المختار من

تاريخ الجبرتى

اختيار

محمد قنديل البقلى

الطبعة الثانية
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الأول ، الذى لا يزول ملكه ولا يتحول . خالق الخلائق ، وعالم الذرات بالحقائق . مفنى الأمم ، ومحيى الرمم ، ومعيد النعم ، ومبيد النقم ، وكاشف الغمم ، وصاحب الجود والكرم .. لا اله الا هو ، كل شىء هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون .

وأشهد أن لا اله الا الله تعالى عما يشركون ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الى الخلق أجمعين ، المنزل عليه نبأ القرون الأولين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما تعاقبت الأيام والليالى ، وتداولت السنون والأعوام .

وبعد ، فيقول الفقير عبد الرحمن بن حسن الجبرتى الحنفى غفر الله له ولوالديه ، وأحسن اليهما واليه :

انى كنت سودت أوراقا فى حوادث آخر القرن الثانى عشر وما يليه ، وأوائل الثالث عشر الذى نحن فيه .. جمعت فيها بعض الوقائع اجمالية ، وأخرى محققة تفصيلية . وغالبها محن أدركناها ، وأمور شاهدناها . واستطردت فى ضمن ذلك سوابق سمعتها ، ومن أفواه الشيخة (١) تلقيتها ، وبعض تراجم الأعيان المشهورين ، من العلماء والأمراء المعتبرين ، وذكر لُمع من أخبارهم وأحوالهم ، وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها فى أوراق متسقة النظام ، مرتبة على السنين والأعوام : ليسهل على الطالب النبيه المراجعة ، ويستفيد ما يرومه من المنفعة . ويعتبر المطلع على الخطوب الماضية ليتأسى اذا لحقه مصاب، ويتذكر بحوادث الدهر انما يتذكر أولو الألباب .. فانها حوادث غريبة فى بابها ، متنوعة فى عجائبها .

وسميته « عجائب الآثار ، فى التراجم والأخبار » .

وانا لنرجو ممن اطلع عليه ، وحل بمحل القبول لديه ، ألا ينسانا من صالح دعواته ، وأن يغضى عما عثر عليه من هفواته

* * *

اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ، ورسومهم وعاداتهم ، وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم .

وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم

والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هى ، وكيف كانت ، وفائدة العبرة بتلك الأحوال ، والتنصح بها ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين ، من الأمم المذكورة السالفين ، ويستجلب خيار أفعالهم ، ويتجنب سوء أقوالهم ، ويزهد فى الفانى ، ويجتهد فى طلب الباقى ..

* * *

وأول واضع له فى الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك حين كتب أبو موسى الأشعرى الى عمر أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندرى على أيها نعمل . فقد قرأنا صكا محله شعبان ..

(١) الشيخة : جمع شيخ .

فما ندرى أى الشعبانين : أهو الماضى أم القابل !

وقيل : رفع لعمر صك محله شعبان فقال : أى شعبان : هذا هو الذى نحن فيه ، أو الذى هو آت؟

ثم جمع وجوه الصحابة رضى الله عنهم وقال : ان الأموال قد كثرت ، وما قسمناه غير مؤقت . فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك ؟

فقال له الهرمزان — وهو ملك الأهواز وقد أسر عند فتوح فارس وحمل الى عمر وأسلم على يديه : ان للعجم حسابا يسمونه « ماه روز » ، ويسندونه الى من غلب عليهم من الأكاسرة . فعربوا لفظة « ماه روز » بـ « مورخ » ومصدره « التاريخ » ، واستعملوه فى وجوه التصريف .

.. وقيل ان تواريخ الفرس غير مسندة الى مبدأ معين ، بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ماقبله . فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ، بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وكان للعرب فى القديم من الزمان بأرض اليمن والحجاز تواريخ يتعارفونها خلفا عن سلف الى زمن الهجرة . فلما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وظهر الاسلام ، وعلت كلمة الله تعالى ، اتخذت هجرته مبدأ لتاريخها ، وسميت كل سنة باسم الحادثة التى وقعت فيها . وتدرج هذا الى سنة سبع عشرة من الهجرة فى زمن عمر . فكان اسم :

السنة الأولى : سنة الاذن (بالرحيل من مكة الى المدينة)

السنة الثانية : سنة الأمر (أى الأمر بالقتال) الى آخره ...

* * *

وقال أصحاب التواريخ ان العرب فى الجاهلية كانت تستعمل شهور الأهلة ، وتقصد مكة للحج . وكان حجهم وقت عاشر الحجة كما رسمه سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

ولكن لما كان « الحج » لا يقع فى فصل واحد من فصول السنة ، بل يختلف موقعه منها بسبب تفاضل ما بين السنة الشمسية والقمرية ، ووقوع أيام الحج فى الصيف تارة وفى الشتاء أخرى — وكذا فى الفصلين الآخرين — أرادوا أن يقع حجهم فى زمان واحد لا يتغير ، وهو وقت ادراك الفواكه والغلال ، واعتدال الزمن فى الحر والبرد .. ليسهل عليهم السفر ، ويتجروا بما معهم من البضائع والأرزاق مع قضاء مناسكهم .

فشكوا ذلك الى أميرهم وخطيبهم فقام فى الموسم ، عند اقبال العرب من كل مكان ، فخطب ثم قال : أنا أنشأت لكم فى هذه السنة شهرا أزيده فتكون السنة ثلاثة عشر شهرا ، وكذلك أفعل فى كل ثلاث سنين أو أقل — حسبما يقتضيه حساب وضعته — ليأتى حجكم وقت ادراك الفواكه والغلال فتقصدوننا بما معكم منها .

فوافقت العرب على ذلك ومضت الى سبيلها . فنسأ المحرم وجعله كبيسا ، وأخره الى صفر ، وصفر الى ربيع الأول ، وهكذا .. فوقع الحج فى السنة الثانية فى عاشر المحرم ، وهو ذو الحجة عندهم وآخر السنة . فوقع فى السنة الأولى محرمان : الأول رأس السنة ، والآخر فى النسىء ، وعدة الشهور ثلاثة عشر .

وبعد انقضاء سنتين أو ثلاث ، وانتهاء نوبة الكبيس — أى الشهر الذى كان يقع فيه الحج — وانتقاله الى الشهر الذى بعده ، قام فيهم خطيبا وتكلم بما أراد ثم قال : « انا جعلنا الشهر الفلانى ،

من السنة الفلانية الداخلة ، للشهر الذى بعده » . ولهذا فسر النسيء بالتأخير ، كما فسر بالزيادة

وكانوا يديرون النسيء على جميع شهور السنة بالنوبة ، حتى يكون لهم مثلا فى سنة محرمان ، وفى أخرى صفران ، ومثل هذا بقية الشهور . فاذا آلت النوبة الى الشهر المحرم قام لهم خطيبا فينبئهم أن هذه السنة قد تكرر فيها اسم الشهر الحرام ، فيحرم عليهم واحدا منها بحسب رأيه على مقتضى مصلحتهم .

فلما انتهت النوبة فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم الى ذى الحجة ، وتم دور النسيء على جميع الشهور ، حج صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة حجة الوداع ، وهى السنة العاشرة من الهجرة ، لموافقة الحج فيها عاشر الحجة . ولهذا لم يحج صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة حين حج أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ، لوقوعه فى عاشر ذى القعدة .

فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع خطب وأمر الناس بما شاء الله تعالى ، ومن جملته : « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » — يعنى رجوع الحج الى الموضع الأول كما كان فى زمن سيدنا ابراهيم صلوات الله تعالى عليه

ثم تلا قوله تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة . واعلموا أن الله مع المتقين . انما النسيء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا : يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله . زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدى القوم الكافرين » .

ومنع العرب من هذا الحساب ، وأمر بقطعه والاستمرار بوقوع الحج فى أى زمان أتى من فصول السنة الشمسية .. فصارت سنوهم دائرة فى الفصول الأربعة ، والحج واقع فى كل زمان منها كما كان فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام .

* * *

وفن التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة : لولا ما ثبتت أصولها ، ولا تشعبت فروعها .. وأما الكتب المصنفة فيه فكثيرة جدا .. وهذه (الكتب) صارت أسماء من غير مسميات ، فانا لم نر من ذلك كله الا بعض أجزاء مدشتة بقيت فى بعض خزائن الأوقاف بالمدارس ، مما تداولته أيدى الصحافين وباعها القومة والمباشرون ، ونقلت الى بلاد المغرب والسودان ، ثم ذهبت بقايا البقايا فى الفتن والحروب ، وأخذ الفرنسيس ماوجدوه الى بلادهم ..

* * *

ولما عزمت على جمع ماكنت سودته أردت أن أوصله بشيء قبله .. وكنت ظفرت بتاريخ من تلك الفروع ، لكنه على نسق فى الجملة مطبوع ، لشخص يقال له أحمد چلبى بن عبد الغنى مبتدئا فيه من وقت تملك بنى عثمان للديار المصرية (٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م) ، وينتهى ، كغيره مما ذكرناه ، الى خمسين ومائة وألف هجرية (١٧٣٧ م) ..

.. فرجعنا الى النقل من أفواه الشيخة المسنين ، وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين ، وما انتقش على أحجار ترب المقبورين ..

ولم أقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير ، أو طاعة وزير أو أمير . ولم أداهن فيه دولة بنفاق ، أو مدح أو ذم مباين للاخلاق .. لميل نفسانى ، أو غرض جسمانى ..

مقدمة

اعلم أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها .. أحوج بعض الناس الى بعض فى ترتيب معايشهم ومآكلهم ، وتحصيل ملابسهم ومساكنهم . لأنهم ليسوا كسائر الحيوانات التى تحصل ما تحتاج اليه بغير صنعة .

فان الله تعالى خلق الانسان ضعيفا لا يستقل وحده بأمر معاشه ، لاحتياجه الى غذاء ومسكن ، ولباس وسلاح . فجعلهم الله تعالى يتعاضدون ويتعاونون فى تحصيلها وترتيبها : بأن يزرع هذا لذاك ، ويخبز ذاك لهذا . وعلى هذا القياس تتم سائر أمورهم ومصالحهم .

وركز فى نفوسهم الظلم والعدل . ثم مست الحاجة بينهم الى سائس عادل ، وملك عالم ، يضع بينهم ميزانا للعدالة ، وقانونا للسياسة توزن به حركاتهم وسكناتهم ، وترجع اليه طاعاتهم ومعاملاتهم ، فأنزل الله كتابه بالحق ، وميزانه بالعدل . كما قال تعالى : « الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » .

قال علماء التفسير : المراد بالكتاب والميزان : العلم والعدل ..

.. والعدالة تابعة للعلم بأوساط الأمور ، المعبر عنها فى الشريعة بالصراط المستقيم . وقوله تعالى : « ان ربى على صراط مستقيم » اشارة الى أن العدالة الحقيقية ليست الا لله تعالى . فهو العادل الحقيقى الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ووضع كل شيء على مقتضى علمه الكامل ، وعدله الشامل .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « بالعدل قامت السموات والأرض » اشارة الى عدل الله تعالى الذى جعل لكل شيء قدرا .. لو فرض فارض زائدا عليه أو ناقصا عنه لم ينتظم الوجود على هذا النظام بهذا التمام والكمال .

.. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان أحب الناس الى الله تعالى يوم القيامة ، وأقربهم منه : امام عادل . وان أبغض الناس الى الله تعالى ، وأشدهم عذابا يوم القيامة : امام جائر » .

فمن عدل فى حكمه ، وكف عن ظلمه .. نصره الحق ، وأطاعه الخلق ، وصفت له النعمى ، وأقبلت عليه الدنيا..فتهنأ بالعيش ، واستغنى عن الجيش[1] وملك القلوب ، وأمن الحروب ، وصارت طاعته

---

(١) يريد الجيش يتخذه الحاكم للبطش بشعبه ، لا للذود عن هذا الشعب وحمل أمانته .

فرضا ، وظلت رعيته جندا ؛ لأن الله تعالى ما خلق شيئا أحلى من العدل ، ولا أروح الى القلوب من الانصـاف ، ولا أمر من الجور ، ولا أشـنع من الظلم .

روى ابن يسار عن أبيه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أيما وال ولى من أمر أمتى شيئا ، فلم ينصح لهم ويجتهد — كنصيحته وجهده لنفسه — كبه الله على وجهه يـوم القيامة فى النـار » .

* * *

اللهم بحرمة سيد الأنام ، يسر لنا حسن الختام .
واصرف عنا سوء القضاء ، وانظر لنا بعين الرضاء .

وهذا أوان انشقاق كمائم طلع الشماريخ
عن زهر مجمل التاريخ

مجمل التاريخ

أرسل الله رسوله الأكرم ، سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وأمره بالصدع والاعلان ، والتطهير من عبادة الأوثان .

ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو ، ويتعالى ويسمو ، حتى تم ميقاته ، وقربت من النبى وفاته فلما قبض صلى الله عليه وسلم قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ثم عمر رضى الله عنه ، ثم عثمان رضى الله عنه ، ثم على كرم الله وجهه ولم تصف له الخلافة بمغالبة معاوية — رضوان الله عليهم أجمعين — فى الأمر .

وبموت على تمت مدة الخلافة التى نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا »

وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين .

وانقرضت (دولة الأمويين) بظهور أبى مسلم الخراسانى واظهاره دولة بنى العباس . فكان أولهم السفاح وظهرت دولتها الظهور التام ، وبلغت القوة الزائدة ، والضخامة العظيمة .

ثم أخذت (دولة العباسيين) فى الانحطاط بتغلب الأتراك والديلم .

ولم تزل منحطة ، وليس للخلفاء فى آخر الأمر الا الاسم فقط ، حتى ظهرت فتنة التتار التى آبادت العالم . وخرج هولاكو خان ، وملك بغداد ، وقتل الخليفة المعتصم وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد .

* * *

وفى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب افتتحت الديار المصرية والبلاد الشامية ولم تزل فى النيابة أيام الخلفاء الراشدين ودولة بنى أمية وبنى العباس ، الى أن ضعفت الخلافة العباسية بعد قتل المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) ، وتغلب على النواحى كل متملك لها

فانفرد أحمد بن طولون بمملكة مصر والشام ، وكذلك أولاده من بعده

ثم دولة الاخشيد ، وبعده كافور أبو المسك ممدوح المتنبى .

ولما مات (كافور) قدم جوهر القائد من قبل المعز الفاطمى من المغرب (الى مصر) ، فملكها من غير ممانع ، وأسس القاهرة فى سنة ٣٦١ (٩٧١ م) . وقدم المعز الى مصر بجنوده وأمواله ، ومعه رمم آبائه وأجداده محمولة فى توابيت ، وسكن بالقصرين ، وادعى الخلافة لنفسه دون العباسيين .

وأول ظهور أمر الفاطميين فى سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣م). فظهر عبد الله بن عبيد الملقب بالمهدى — وهو جد بنى عبيد الخلفاء المصريين العبيديين الروافض — باليمن . وأقام على ذلك الى سنة ٢٧٨ هـ (٨٩١م) ، فحج فى تلك السنة ، واجتمع بقبيلة من كنانة فأعجبهم حاله ، فصحبهم الى مصر ، ورأى منهم طاعة وقوة ، فصحبهم الى المغرب ، فنما شأنه وشأن أولاده من بعده ، الى أن حضر المعز لدين الله أبو تميم معد بن اسماعيل بن القائم بين المهدى الى مصر ، وهو أولهم فملكوا نيفا ومائتين من السنين الى أن ضعف أمرهم فى أيام العاضد وسوء

سياسة وزيره شاور ، فتملكت الافرنج بلاد السواحل الشامية ، وظهر بالشام نور الدين محمود ابن زنكى ، فاجتهد فى قتال الافرنج واستخلاص ما استولوا عليه من بلاد المسلمين .

وجهز (نور الدين) أسد الدين شيركوه بعساكر لأخذ مصر ، فحاصرها نحو شهرين ، فاستنجد العاضد بالافرنج ، فحضروا من دمياط ، فرحل أسد الدين الى الصعيد ، فجبى خراجه ورجع الى الشام .

وقصد الافرنج الديار المصرية فى جيش عظيم وملكوا بلبيس — وكانت اذ ذاك مدينة حصينة .

ووقعت حروب بين الفريقين ، فكانت الغلبة فيها على المصريين ، وأحاطوا بالاقليم برا وبحرا وضربوا على أهله الضرائب .

ثم ان الوزير شاور أشار بحرق الفسطاط ، فأمر الناس بالجلاء عنها ، وأرسل عبيده بالشعل والنفوط فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها ، واستمرت النار بها أربعة وخمسين يوما .

وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين ، وبعث اليه بشعور نسائه ... فأرسل اليه جندا كثيفا وعليهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف ، فارتحل الافرنج عن البلاد ، وقبض أسد الدين على الوزير شاور الذى أشار بحرق المدينة وصلبه .

وخلع العاضد على أسد الدين الوزارة ، فلم يلبث أن مات بعد خمسة وستين يوما ، فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين ، وقلده الأمور ، ولقبه « الملك الناصر » ... فبذل لله همته ، وأعمل حيلته ، وأخذ فى اظهار السنة ، واخفاء البدعة : فثقل أمره على الخليفة العاضد ، فأبطن له فتنة أثارها فى جنده ليتوصل بها الى هزيمة الأكراد واخراجهم من بلاده . فتفاقم الأمر ، وانشقت العصا ، ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاء حسنا ، وانجلت الحروب عن نصرتهما .

فعند ذلك ملك الناصر القصر ، وضيق على الخليفة ، وحبس أقاربه ... وخطب للمستضىء العباسى بمصر ، وسير البشارة بذلك الى بغداد .

ومات العاضد قهرا !

وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية ، وطهر الاقليم من البدع والتشييع والعقائد الفاسدة ، وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة ...

ولما توفى نور الدين الشهيد انضم اليه (الى صلاح الدين) ملك الشام . وواصل الجهاد واستخلص ماتغلب عليه الافرنج من السواحل وبيت المقدس ، بعدما أقام بيد الافرنج نيفا واحدى وتسعين سنة ... وتوفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م) ، ولم يترك الا أربعين درهما ...

ثم استمر الأمر فى أولاده وأولاد أخيه الملك العادل

وحضر الافرنج أيضا الى مصر فى أيام الملك الكامل ابن العادل ، وملكوا دمياط وهدموها ، فحاربهم شهورا حتى أجلاهم . وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة فى غير مكانها — وكانت تسمى بالمنشية .

وفى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب — ابن الكامل — حضر الافرنج وملكوا دمياط ، وزحفوا الى فارسكور . واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرا وهو مريض ، وانحصر جهة الشرق ، وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة ، ومات بها سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، والحرب قائمة .

وأخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الأمور حتى حضر ابنه توران شاه من حصن كيفا ، وانهزمت الافرنج ، وأسر ملكهم ... وكانوا طائفة الفرلسيس .

والملك الصالح هذا هو أول من اشترى المماليك واتخذ منهم جندا كثيفا ، وبنى لهم قلعة الروضة ، وأسكنهم بها ، وسماهم « البحرية » . ومقدمهم الفارس أقطاى .

ولما انهزم الافرنج ، ومات الصالح ، وتملك ابنه توران شاه ، استوحش من مماليك أبيه واستوحشوا منه ، فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور ، وقلدوا فى السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت ... وهى آخر الدولة الأيوبية . ومدة ولايتهم احدى وثمانون سنة .

ثم تولى سلطنة مصر عز الدين أيبك التركمانى الصالحى سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) ، وهو أول الدولة التركية بمصر .

ولما قتل ولوا ابنه المظفر على . فلما وقعت حادثة التتار العظمى خلع المظفر لصغره ، وتولى الملك المظفر قطز ، وخرج بالعساكر المصرية لمحاربة التتار ، فظهر عليهم ، وهزمهم ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك ... بعد أن كانوا ملكوا معظم المعمور من الأرض ، وقهروا الملوك وقتلوا العباد وأخربوا البلاد . وفى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦ م) ، ملكوا سائر بلاد الروم بالسيف وفى البحر .

فلما فرغوا من ذلك جميعه نزل هولاكو خان — وهو ابن طلون بن جنكيز خان — على بغداد ، وذلك سنة ٦٥٦ (١٢٥٨ م) ، وهى اذذاك كرسى مملكة الاسلام ودار الخلافة ، فملكها ، وقتلوا ونهبوا وأسروا من بها من جمهور المسلمين والفقهاء والعلماء والأئمة والقراء والمحدثين وأكابر الأولياء والصالحين ، وفيها خليفة رب العالمين ! وامام المسلمين ، وابن عم سيد المرسلين ... فقتلوه وأهله وأكابر دولته ، وجرى فى بغداد مالم يسمع بمثله فى الافاق .

ثم ان هولاكو خان أمر بعدّ القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة .

ثم تقدم التتار الى بلاد الجزيرة واستولوا على جران والرها وديار بكر فى سنة ٦٥٧ (١٢٥٨ م) ، ثم جاوزوا الفرات ونزلوا على حلب فى سنة ٦٥٨ (١٢٥٩ م) ، واستولوا عليها وأحرقوا المساجد ، وجرت الدماء فى الأزقة ، وفعلوا ما لم يتقدم مثله .

ثم وصلوا الى دمشق ، وسلطانها الناصر يوسف ابن أيوب ، فخرج هاربا وخرج معه أهل القدرة . ودخل التتار الى دمشق وتسلموها بالأمان ... ثم غدروا بهم .

وتعدّوها فوصلوا الى نابلس ، ثم الى الكرك وبيت المقدس ، فخرج سلطان مصر ... فالتقاهم عند عين جالوت ، فكسرهم وشردهم وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم ، ووصلت البشائر بالنصر فطار الناس فرحا ...

ودخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا ، وأحبه الخلق محبة عظيمة .

وساق بيبرس خلف التتار الى بلاد حلب فطردهم . وكان السلطان وعده بحلب ثم رجع عن ذلك ، فتأثر بيبرس وأضمر له الغدر ... وكذلك السلطان ، وأسر ذلك الى بعض خواصه فأطلع بيبرس ، فساروا الى مصر وكل منهم محترس من صاحبه فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق .

* * *

وتسلطن بيبرس ودخل مصر سلطانا ، وتلقب بالملك الظاهر ، وذلك سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) ، والظاهر بيبرس أحد المماليك البحرية .

وعندما استقر بالقلعة أبطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات ، وجهز الحج بعد انقطاعه اثنتى

عشرة سنة بسبب فتنة التتار وقتل الخليفة ومنافقة امير مكة مع التتار .

واستقر الملك للظاهر بيبرس حتى مات بدمشق في ٢٧ المحرم سنة ٦٧٦ هجرية (٣٠ يونيه ١٢٧٧م).

وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة وانقيادا للشرع ، وله فتوحات وعمارات مشهورة ، ومآثره حميدة ، ومنها رد الخلافة لبني العباس . وذلك أنه لما جرى ماجرى على بغداد ، وقتل الخليفة ، وبقيت ممالك الاسلام بلا خلافة ثلاث سنوات ، حضر شخص من أولاد الخلفاء الفارين في الواقعة الى عرب العراق ، فركب الظاهر للقائه ومعه القضاة وأهل الدولة ، فأثبت نسبه على يد قاضي القضاة ، ثم بويع بالخلافة ، فبايعه السلطان (هو الملك الظاهر بيبرس نفسه) وقاضي القضاة ، ثم الكبار على مراتبهم ، ولقب بالمستنصر ، وركب يوم الجمعة وعليه السواد (وهو شعار العباسيين) الى جامع القلعة ، وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بني العباس ، ودعافيها للسلطان (أي بيبرس) وللمسلمين ، ثم صلى بالناس ، ورسم بعمل خلعة خليفية الى السلطان ، وكتب له تقليدا وقرىء بظاهر القاهرة بحضرة الجمع . وألبس الخليفة السلطانَ الخلعةَ بيده ، وفوض اليه الأمور ، وركب السلطان بالخلعة ، والتقليد محمول على رأسه ، ودخل من باب النصر . وزينت القاهرة والأمراء مشاة بين يديه ...

ثم انه عزم (أي الخليفة المستنصر) على التوجه الى العراق ، فخرج معه السلطان وشيعه الى دمشق ، وجهز معه ملوك الشرق : صاحب الموصل ، وصاحب سنجار والجزيرة ، وغرم عليه وعليهم ألف ألف دينار وستين ألف دينار . وسافروا حتى تجاوزوا هيت ، فلاقاهم التتار فحاربوهم ، فعدم الخليفة ولم يعلم له خبر .

وبعد أيام حضر شخص آخر من بني العباس الى دمشق ، فكاتب صاحب دمشق السلطان في شأنه ، فأرسل يستدعيه فأرسله فلما قدم الى القاهرة — ومعه ولده وجماعته — أكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة كما سبق للمستنصر ، وأنزله بالبرج الكبير بالقلعة .

واستمرت الخلافة (العباسية) بمصر ، وأقام الحاكم فيها نيفا وأربعين سنة .

* * *

ولما مات الملك الظاهر ، تولى بعده ابنه الملك السعيد ، ثم أخوه الملك العادل — وكان صغيرا والأمر لقلاوون — فخلعه واستبد بالملك ، ولقب بالملك المنصور قلاوون . وهو صاحب البيمارستان المنصوري والمدرسة والقبة التي دفن بها . وله فتوحات بسواحل البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) . وله مصافات مع التتار وغير ذلك . تولى سنة ٦٧٨ (١٢٧٩ م) ، ومات أواخر سنة ٦٨٩ (١٢٩٠ م) ، وكانت مدته احدى عشرة سنة .

وتولى بعده ابنه الملك الأشرف . وكان بطلا شجاعا ذا همة علية ، ورياسة مرضية . خانه أمراؤه وغدروه وقتلوه بترانة جهة البحيرة سنة ٦٩٣ (١٢٩٣ م) [1] .

ولما مات الأشرف تولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمره تسع سنين ، فأقام سنة وخلعه مملوك أبيه زين الدين كتبغا .

فلما تولى زين الدين كتبغا الملك باسم « الملك العادل » ثار الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة على العادل .

وتسلطن (حسام الدين) عوضه . فثار عليه

(١) في هذه الأيام كانت بوادر النهضة في اوربا قد اخذت تلوح بشائرها . فكان « روجر بيكون » ، مثلا ، مكبا على تعلم اللغة العربية ، ينهل مما كتب علماء العرب في « البصريات » (علم الضوء) ما مكنه من صنع العدسات ، ويستلهم من كيميائهم ما توصل به الى صنع البارود !

مملوكان لم يكادا يقتلانه حتى قتلا أيضا .

استدعى الناصر (الذى خلع من قبل ونفى فى الكرك) ، فقدم وأعيد الى السلطنة مرة ثانية ، فأقام عشر سنوات وخمسة أشهر محجورا عليه ، والقائم بتدبير الدولة الأميران بيبرس الجاشنكير ، وسلار نائب السلطنة. فأظهر الناصر أنه يريد الحج بعياله ؛ فوافقه الأميران على ذلك ، فتوجه الى الكرك ونزل بقلعتها ، وصرح بأنه ثنى عزمه عن الحج ، واختار الاقامة بالكرك ، وترك السلطنة ليستريح ، وكتب الى الأمراء بذلك ، وسأل أن ينعم عليه بالكرك والشوبك .

وتسلطن بيبرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر . وكتب للناصر (الملك السابق) تقليدا بنيابة الكرك . فعندما وصله التقليد اظهر البشر وخطب باسم المظفر على منبر الكرك ...

فلم يتركه المظفر ، وأخذ يناكده ، ويطلب منه من معه من المماليك الذين اختارهم للاقامة عنده ، والخيول التى أخذها من القلعة ، والمال الذى أخذه من الكرك . وهدده ، فحنق لذلك وكتب الى نواب الشام يشكو ماهو فيه ، فحثوه على أخذ ملكه ، ووعدوه بالنصرة ، فتحرك لذلك وسار الى دمشق ، وأتت النواب اليه ، وقدم الى مصر ، وفر بيبرس (المظفر) ، وطلع الناصر الى القلعة يوم عيد الفطر سنة ٧٠٩ (١٣١٠ م) فأقام فى الملك ٣٢ سنة و٣ أشهر . ومدة سلطنته ٤٣ سنة و ٨ أشهر و ٩ أيام .

وكان ملكا عظيما جليلا كفؤا للسلطنة ،ذا دهاء ، محبا للعدل والعمارة وطابت مدته ، وشاع ذكره ، وطار صيته فى الآفاق ، وخطب له فى بلاد بعيدة .

وقد أسقط المكوس من أعمال الممالك المصرية والشامية ، وأبطل الرشوة وعاقب عليها ، فلا يقلد المناصب الا مستحقيها بعد التروى والامتحان واتفاق الرأى ، ولا يقضى الا بالحق ... فكانت أيامه سعيدة ، وأفعاله حميدة .

وفى أيامه كثرت العمائر حتى يقال : ان مصر والقاهرة زادتا فى أيامه أكثر من النصف ، وكذلك القرى بحيث صارت كل بلدة من القرى القبلية والبحرية مدينة على انفرادها .

وحضر فى أوائل دولته القان غازات بجنود التتار ، فخرج اليهم بعساكر مصر وهزمهم مرتين .

وقد قال فيه الصفى الحلى ، من قصيدة طويلة :

الناصر السلطان من خضعت له
كل الملوك مشارقا ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة
ويعدّ راحات الفراغ متاعبا
ترجى مكارمه ويخشى بطشه
مثل الزمان : مسالما ومحاربا
فاذا سطا ملأ القلوب مهابة
واذا سخا ملأ العيون مواهبا
كالليث : يحمى غابه بزئيره
طورا ، وينشب فى القنيص مخالبا
كالسيف : يبدى للنواظر منظرا
طلقا ، ويمضى فى الهياج مضاربا
كالسيل : تحمد منه عذبا واصلا
ويعده قوم عذابا واصبا
كالبحر : يهدى للنفوس نفائسا
منه ، ويبدى للعيون عجائبا

* * *

يا أيها الملك العزيز ، ومن له
شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصلحت بين المسلمين بهيبة
تذر الأجانب بالوداد أقاربا
ووهبتهم زمن الأمان ... فمن رأى
ملكا يكون له الزمان مواهبا ؟

وتولى من أولاد السلطان الناصر ، وأولاد أولاده ، اثنا عشر سلطاناً :

منهم السلطان حسن صاحب الجامع بسوق الخيل بالرميلة . ومن شاهده عرف علو همته بين الملوك .

ومنهم الملك الأشرف شعبان . وهو الذى أمر الاشراف بوضع العلامة الخضراء فى عمائمهم . وفى ذلك يقول بعضهم :

جعلوا لأبناء النبى علامة
ان العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة فى كريم وجوههم
يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وفى أيام الأشرف هذا قدمت الافرنج الى الاسكندرية على حين غفلة ، ونهبوا أموالها ، وأسروا نساءها . ووصل الخبر الى مصر فتجهز الأشرف وسار بعساكره فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها . ويقال ان الفرساوى الذى تكون فى أذنه قرط ... أمه أصلها من النساء المأسورات فى تلك الواقعة !

وفى أيامه كثر عبث المماليك الأجلاب ، فأمر باخراجهم من مصر ، فتجمعوا وعصوا ، فحاربهم وقاتلهم فانهزموا ، فقبض على كثير منهم ، فقتل منهم طائفة ، وغرق منهم طائفة ، ونفى منهم طائفة ، وبقى منهم بمصر طائفة التجأوا الى بعض الأمراء .. وكانوا أرذل مذكور فى الاقليم المصرى !

فلما عزم الأشرف على الحج ، انتهزوا عند ذلك الفرصة ، وكتموا أمرهم ، ومكروا مكرهم ، وتواعدوا مع أصحابهم الذين بصحبة السلطان أنهم يثيرون الفتنة مع السلطان فى العقبة ، وكذلك المقيمون بمصر يفعلون فعلهم ، حتى ينقضوا نظام الدولة ، ويزيلوا السلطان والأمراء .

ولما خرج السلطان وبعد عن مصر أثاروا الفتنة بعد أن استمالوا طائفة من المماليك السلطانية ، وفعلوا ما فعلوه ، ونادوا بموت السلطان ، ووّلوا ابنه وثار أيضا أصحابهم على السلطان فى العقبة ، فانهزم طالبا المجىء الى مصر . وجرى ما هو مسطر فى الكتاب من ذبح الأمراء واختفاء السلطان وخنقه ، وتمكن هؤلاء الأجلاب من الدولة ، ووصل كل صعلوك منهم لمراتب الملوك ، وأزالوا عز الدولة القلاوونية ، وأخذوا لأنفسهم الأمريات والمناصب ، وأصبح الذين كانوا بالأمس أسفل الناس ... ملوك الأرض يجبى اليهم ثمرات كل شىء !

ثم وقعت فيهم حوادث وحروب أسفرت عن ظهور برقوق الچركسى ، أحد مماليك يلبغا العمرى وكان غاية فى الدهاء والمكر ، فلم يزل يدبر لنفسه حتى عزل ابن الأشرف وأخذ السلطنة لنفسه والأشرف هذا هو آخر دولة المماليك البحرية .

* * *

وبرقوق هو أول ملوك الچراكسة بمصر . وبعده ابنه فرج واستمر الملك فيهم وفى أولادهم الى الأشرف قانصوه الغورى .

وابتداء دولتهم سنة ٧٨٤ (١٣٨٢ م) ، وانقضاؤها سنة ٩٢٣ (١٥١٧ م) ، فتكون مدة دولتهم ١٣٩ سنة .

* * *

وسبب انقضاء دولة المماليك الچراكسة ، فتنة السلطان سليم شاه بن عثمان ، وقدومه الى الديار المصرية ، فخرج اليه سلطان مصر قانصوه الغورى فلاقاه عند مرج دابق بحلب . وخامر عليه أمراؤه : خير بك ، والغزالى ، فخذلوه وفقدوه .

ولم يزل حتى تملك السلطان سليم الديار المصرية والبلاد الشامية ، وأقام خير بك نائبا بها كما هو مسطر ومفصل فى تواريخ المتأخرين ، مثل « مرج الزهور » لابن اياس ، وابن زنبل (١) .

ولما خلص أمر مصر للسلطان سليم .. رجع الى بلاده ، وأخذ معه الخليفة العباسى ، وانقطعت الخلافة والمبايعة ، وأخذ صحبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التى لم توجد فى بلاده بحيث انه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة (٢) ..

ولما توفى السلطان سليم تولى بعده السلطان سليمان .. ولم تزل البلاد منتظمة فى سلكهم ، ومنقادة تحت حكمهم ، من ذلك الأوان الذى استولوا عليها فيه ، الى هذا الوقت الذى نحن فيه، وولاة مصر نوابهم ، وحكامها أمراؤهم .

وكانوا فى صدر دولتهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين .. فانظر ، يا أخى ، وتأمل .. ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ! وليس الحال بمجهول ، حتى يفصح عنه اللسان بالقول .. وقد أخرسنى العجز أن أفتح فما ، أفغير الله أبتغى حكما ؟

وكانوا قديما على صحة
فقد داخلتهم حروف العلل

* * *

وفى أثناء الدولة العثمانية ، ونوابهم وأمرائهم المصرية ، ظهر فى عسكر مصر سنة جاهلية ، وبدعة شيطانية .. زرعت فيهم النفاق ، وأسست فيما بينهم الشقاق . ووافقوا فيها أهل الحرف اللئام ، فى قولهم « سعد » و « حرام » . وهو أن الجند بأجمعهم اقتسموا قسمين ، واحتزبوا بأسرهم حزبين : فرقة يقال لها « فقارية » . وأخرى تدعى « قاسمية » .

ولذلك أصل مذكور ، وفى بعض سير المتأخرين مسطور .. لا بأس بايراده فى المسامرة ، تتميما للغرض فى مناسبة المذاكرة :

وهو أن السلطان سليم شاه ، لما بلغ من ملك الديار المصرية مناه ، قال يوما لبعض جلسائه : يا هل ترى هل بقى أحد من الجراكسة نراه ؟

فقال له خير بك : نعم أيها الملك العظيم . هناك رجل قديم ، يسمى سودون الأمير ، طاعن فى السن كبير ، رزقه الله تعالى بولدين شهمين بطلين ، لا يضاهيهما أحد فى الميدان . فلما حصلت هذه القضية ، تنحى وحبس ولديه بالدار ، وعكف على العبادة .

فقال السلطان : هذا والله رجل عاقل ينبغى لنا أن نذهب لزيارته .

ثم ركب فى الحال الى أن وصل اليه ، ودخل عليه . فعندما عرف أنه السلطان بادر لمقابلته وسلم عليه ، فأمره بالجلوس الى أن اطمأن خاطره . وسأله عن سبب عزلته ، فأجابه أنه لما رأى فى دولتهم اختلال الأمور ، وترادف الظلم والجور ، « فتنحيت عن حال الغرور ، وتباعدت عن نار الشرور ، ومنعت ولدىّ عن التداخل فى الأهوال ، وحبستهما عن مباشرة القتال ، خوفا عليهما لما أعلمه فيهما من الاقدام .. » .

ثم أحضر ولديه قاسما وذا الفقار ، وأخرجهما من محبسهما . فنظر اليهما السلطان ، فرأى فيهما مخايل الفرسان الشجعان ..

ثم ركب السلطان سليم عائدا الى مكانه . وأصبح ثانى يوم ، فركب السلطان مع القوم . وخرج الى الخلا ، بجمع من الملا . وجلس ببعض

---

(١) هى كتب حافلة سنقدمها - باذن الله - الى قراء « كتاب الشعب » .

(٢) لقد رات مصر من ايام السوء ما رات ، وعانت من السلب والنهب ما عانت .. ولكنها لم تشهد اسوا مما فعل بها سليم بفعلته هذه ، ولم ينل من تراثها عاد ما نال هذا الجلف الغشوم !

القصور ، ونبه على جميع أصناف العساكر بالحضور .

وطلب الأمير سودون وولديه ، فحضروا بين يديه . فقال لهم : أتدرون لم طلبتكم ؟ فقالوا : لا يعلم ما فى القلوب ، الا علام الغيوب .

فقال : أريد أن يركب قاسم وأخوه ذو الفقار ، ويترامحا ويتسابقا بالخيل فى هذا النهار .

فامتثلا أمره ، فنزلا وركبا ورمحا ولعبا ، وأظهرا من أنواع الفروسية الفنون ، حتى شخصت فيهما العيون . ثم أشار اليهما ، فنزلا عن فرسيهما ، وصعدا الى أعلى المكان ، فخلع عليهما السلطان .

ثم خرج فى اليوم التالى ، وحضر الأمراء والعسكر المتوالى . فأمرهم أن ينقسموا بأجمعهم قسمين ، وينحازوا بأسرهم فريقين : قسم يكون رئيسهم ذا الفقار ، والثانى أخوه قاسم الكرلر ، وأضاف الى ذى الفقار أكثر فرسان العثمانيين ، والى قاسم أكثر الشجعان المصريين . وميز الفقارية بلبس الأبيض من الثياب ، وأمر القاسمية أن يتميزوا بالأحمر فى الملبس والركاب . وأمرهم أن يركبوا فى الميدان على هيئة المتحاربين ، وصورة المتنابذين المتخاصمين . فأذعنوا بالانقياد ، وعلوا على ظهور الجياد . وساروا بالخيل ، وانحدروا كالسيل . وانعطفوا متسابقين ، ورمحوا متلاحقين ، وتناوبوا فى النزال ، واندفعوا كالجبال ، وارتفعت الأصوات ، وكثرت الصيحات .. وكاد الخرق يتسع على الراقع . وقرب أن يقع القتل والقتال ، فنودى فيهم عند ذلك بالانفصال ..

فمن ذلك اليوم افترق أمراء مصر وعساكرها فرقتين ، واقتسموا بهذه الملعبة حزبين . واستمر كل منهما على محبة اللون الذى ظهر فيه ، وكره اللون الآخر فى كل ما يتقلبون فيه .. حتى أوانى المتناولات ، والمأكولات والمشروبات .. والفقارية يميلون الى « نصف سعد » والعثمانيين ، والقاسمية لا يألفون الا « نصف حرام » والمصريين . وصار فيهم قاعدة لا يتطرقها اختلال ، ولا يمكن الانحراف عنها بحال من الأحوال (1)

ولم يزل الأمر يفشو ويزيد ، ويتوارثه السادة والعبيد ، حتى تجسم ونما ، وأهريقت فيه الدما . فكم خربت بلاد ، وقتلت أمجاد ! وهدمت دور ، وأحرقت قصور ! وسبيت أحرار ، وقهرت أخيار !

* * *

وقيل غير ذلك ، وأن أصل القاسمية ينسبون الى قاسم بيك الدفتردار تابع مصطفى بيك ، والفقارية نسبة الى ذى الفقار بيك الكبير . وأول ظهور ذلك من سنة ١٠٥٠ (١٦٤٠ م) . والله أعلم بالحقائق .

واتفق أن قاسم بيك المذكور أنشأ فى بيته قاعة جلوس ، وتأنق فى تحسينها ، وعمل فيها ضيافة لذى الفقار بيك أمير الحج المذكور ، فأتى عنده وتغدى عنده بطائفة قليلة .

ثم قال له ذو الفقار بيك : وأنت ايضا ضيفى فى غد .

وجمع ذو الفقار مماليكه فى ذلك اليوم — صناجق وأمراء واختيارية — وحضر قاسم بيك بجمع من طائفته ، فدخل قاسم بيك عنده فى البيت . وأوصى ذو الفقار أن لا أحد يدخل عليهما الا بطلب ، الى أن فرشوا السماط ، وجلس صحبته على السماط .

فقال قاسم بيك : حتى يقعد الصناجق والاختيارية !

---

(1) صحت هذه القصة ام لم تصح .. فلا تزال سياسة « فرق تسد » هى المفتاح السحرى لماد يريد ان يجثم على صدر امة من الأمم !

فقال ذو الفقار : انهم يأكلون بعـــدنا . هؤلاء جميعهم مماليكى ، عندما أموت يترحمون على ، ويدعون لى .. وأنت قاعتك تدعو لك بالرحمة ! لكونك ضيعت المال فى الماء والطين !

فعنـــد ذلك تنبـــه قاســـم بك ، وشرع ينشىء اشراقات كذلك .

وكانت الفقارية موصـــوفة بالـــكثرة والكرم ، والقاسمية بكثرة المال والبخل .

وكان الذى يتميز به أحد الفريقين من الآخـــر اذا ركبـــوا فى المواكب أن يكون بيرق الفقارى أبيض ، ومزاريقه برمانة .. وبيرق القاسمية أحمر ، ومزاريقه بجلبة ... ولم يزل الحال على ذلك .

مطلع اليوميات

استهل القرن الثانى عشر (الهجرى ، وهو يوازى المدة الواقعة بين ١٦٨٨و١٧٨٦ م) وامراء مصر فقارية وقاسمية .

فالفقارية : ذو الفقار بيك ، وابراهيم بيك أمير الحج ، ودرويش بيك ، واسماعيل بيك ، ومصطفى بيك قزلار ، واحمد بيك قزلار بجدة ، ويوسف بيك القرد ، وسليمان بيك بارم ذيله ، ومرجان جوز بيك (وكان أصله قهوجى السلطان محمد ، عملوه صنجقا فقاريا بمصر) ـــ الجميع تسعة ، وأمير الحج منهم .

والقاسمية : مراد بيك الدفتردار ، ومملوكه ابو ظبيك ، وابراهيم بيك ابو شنب ، وقانصوه بيك ، وأحمد بيك منوفية ، وعبد الله بيك .

ونواب مصر : من طرف السلطان سليمان بن عثمان فى أوائل القرن : حسن باشا السلحدار سنة ١٠٩٩ ـــ ١١٠١ هجرية . والسلطان فى ذلك الوقت السلطان سليمان ، ابن ابراهيم خان .

امارة الحج : وتقلد ابراهيم بيك ابو شنب امارة الحج . واسماعيل بيك دفتردار ـــ وذلك ســـنة ١٠٩٩ هجرية . . .

يوميات الجبرتى

سنة ١٠٩٩ هجرية

ذو الحجة

آخره (٢٥ اكتوبر ١٦٨٨) :

حصلت واقعة عظيمة بين ابراهيم بيك بن ذى الفقار وبين العرب الحجازيين ، خلف جبل الجيوشى . وقتلوا كثيرا من العرب ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم. وأحضر منهم أسرى كثيرة ، ووقفت العرب فى طريق الحج تلك السنة بالشرفة . فقتلوا من الحج خلقا كثيرا وأخذوا نحو ألف جمل بأحمالها ، وقتلوا خليل كتخدا الحج فعين عليهم خمسة أمراء من الصناجق فوصلوا الى العقبة وهرب العربان .

سنة ١١٠٠ هجرية

جمادى الآخرة

٤ منه (٢٦ مارس ١٦٨٩ م) :

خنق الباشا كتخداه بعد أن أرسله الى دبر الطين ، على أنه يتوجه الى جرجا لتحصيل الغلال ، وذلك لذنب نقمه عليه .

شعبان

(مايو ١٦٨٩ م) :

نقب المحابيس العرقانة ، وهرب المسجونون منها .

وفيه غلت الأسعار مع زيادة النيل وطلوعه فى أوانه على العادة . ثم عزل حسن باشا ونزل الى بيت محمد بيك حاكم جرجا المقتول .

وتولى قيطاس بيك قائمقام فكانت مدته هذه المرة سنة واحدة وتسعة أشهر .

سنة ١١٠١ هجرية

المحرم

١٦ منه (٣٠ اكتوبر ١٦٨٩ م)

تولى أحمد باشا وحضر من طريق البر — وكان سابقا كتخدا ابراهيم باشا الذى مات بمصر (١) — وطلع الى القلعة .

ووصل أغا بطلب ألفى عسكرى وعليهم صنجق يكون عليهم سردارا ، فعينوا مصطفى بيك حاكم جرجا سابقا .

جمادى الآخرة

منتصفه (٢٦ مارس ١٦٩٠ م)

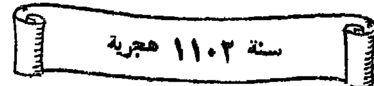
سافر مصطفى بيك ومعه الألفا عسكرى . وفى هذا التاريخ سافرت تجريدة عظيمة الى ولاية البحيرة والبهنسا وعليهم صنجقان . وسافر أيضا خلفهم اسماعيل بيك ، وجميع الكشاف وكتخدا الباشا وأغوات البلكات وكتخدا الجاويشية وبعض اختيارية . وحاربوا ابن وافى وعربانه مرارا ، ثم وقعت وقعة كبيرة فهزم فيها الأحزاب وولوا منهزمين نحو الفرق .

---

(١) توفى فى ١٢ جمادى الآخرة سنة ١١٠٢ هـ (١٣ مارس ١٦٩١ م) فكانت مدة ولايته سنة وستة أشهر . ومن مآثره ترميم الجامع المؤيدى . وقد كان تداعى للسقوط .

وأما قيطاس بيك (١) وحسن أغا بلفية وكتخدا الباشا .. فانهم صادفوا جمعا من العرب فى طريقهم ، فأخـذوهم ونهبوا مالهم وقطعوا منهم رؤوسا ثم حضروا الى مصر .

وفى أيامهم كانت وقعة ابن غالب شريف مـكة ومحاربته بها مع محمد بيك حاكم جدة ، فكانت الهزيمة على الشريف .



سنة ١١٠٢ هجرية

رجب

١٥ منه (١٤ مايو ١٦٩١) :

حضر قانصـوه بيك ــ تابع قيطاس بيــك (المتوفى) ــ من سفره بالخزينة مكان كتخدا الباشا المتولى قائمقام بعد موت سيده فألبس قانصوه بيك دفتردار .

ثم ورد مرسـوم بولاية على كتخـدا الباشا قائمقام وأذن بالتصرف الى آخر مسرى (٦ الحجة ١١٠٢ / أول سبتمبر ١٦٩١ م) فكانت مـدة تصرفه أربعة وتسعين يوما .

رمضـــان

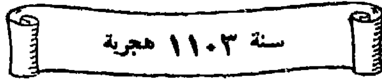
٢٢ منه (١٩ يونية ١٦٩١) :

تولى على باشا وحضر من البحر الى القلعة . وحضر صحبته ترخان وأقام بمصر الى أن توجه الى الحج ورجع على طريق الشام .

ذو القعـــدة

٢٢ منه (١٧ أغسطس ١٦٩١) :

حضر قرا سليمان من الديار الرومية (٢) ومعه مرســوم مضمونه ' الخبـر بجلوس الســلطان أحمد بن السلطان ابراهيم ، فزينت مصر ثلاثة أيام وضربت مدافع من القلعة .



سنة ١١٠٣ هجرية

صـــفر

١٣ منه (٥ نوفمبر ١٦٩١ م) :

ورد نجاب من مكة وأخبر بأن الشريف سعد تغلب على محسن وتولى امارة مـكة . فأرسـل الباشا عرضا الى السلطنة بذلك .

ربيــع الأول

٨ منه (٢٩ نوفمبر ١٦٩١ م) :

ورد مرســوم مضمونه ولاية نظر الدشايش والحرمين لأربعـة من الصناجق ، فتولى : ابراهيم بيك بن ذى الفقار أمير الحج حالا عوضا عن أغات مستحفظان ، ومراد بيك الدفتردار على المحمـدية عوضا عن كتخدا مستحفظان ، وعبد الله بيك على وقف الخاصـكية عوضـا عن كتخـدا العزب ، واسـماعيل بيك على أوقاف الحرمين عوضـا عن باشجاويش مستحفظان ، فألبسهم على باشا قفاطين على ذلك .

رمضـــان

مستهله (١٧ مايو ١٦٩٢ م) :

حضر من الديار الرومية الشريف سعد بن زيد بولاية مكة وتوجه الى الحجاز .

شـــوال

(يونيو ١٦٩٢ م)

فيه سافر على كتخدا أحمـد باشا المتوفى الى الروم .

وفيه تقلد اسماعيل بيك الدفتردارية عوضـا عن مراد بيك .

(١) توفى فى ١٤ رجب سنة ١١٠٢ هـ (١٣ مايو ١٦٩١ م)

(٢) يعنى بالديار الرومية : مقـر الخلافة الاسـلامية ... اسطنبول !

١٣ منه (٢٨ يونيو ١٦٩٢ م) :

قتل جلب خليل كتخدا مستحفظان ببابهم . وحصلت في بابهم فتنة آثارها كجك محمد ، وأخرجوا سليم أفندى من بلكهم ورجب كتخدا وألبسوهما الصنجقية .

٢٣ منه (٨ يوليو ١٦٩٢) :

أبطل كجك محمد الحمايات من مصر ، باتفاق السبع بلكات ، وأبطلوا جميع ما يتعلق بالعزب والانكشارية من الحمايات بالثغور وغيرها . وكتب بذلك « بيورلدى » (١) ، ونادوا به فى الشوارع .

ذو القعدة

غرته (١٥ يوليو ١٦٩٢) :

قبض الباشا على سليم أفندى وخنقه بالقلعة ونزل الى بيته محمولا فى تابوت .

وتغيب رجب كتخدا ثم استعفى من الصنجقية فرفعوها عنه وسافر الى المدينة

سنة ١١٠٤ هجرية

ربيع الأول

١٨ منه (٢٧ نوفمبر ١٦٩٢ م) :

ورد مرسوم بتزيين الأسواق بمصر وضواحيها بمولودين توأمين رزقهما السلطان أحمد سمى أحدهما : سليمان والآخر ابراهيم .

شعبان

١٢ منه (١٨ ابريل ١٦٩٣ م) :

سافر حسين بيك أبو يدك بألف نفر من العسكر لاحقا بابراهيم بيك أبى شنب ، الذى سافر فى أواخر ربيع الأول (أوائل ديسمبر ١٦٩٢ م) لقلعة كريد .

(١) « بيورلدى » أى موافقة .

سنة ١١٠٥ هجرية

رمضان

١٢ منه (٧ مايو ١٦٩٤) :

هبت ريح شديدة وتراب أظلم منه الجو . وكان الناس فى صلاة الجمعة ، فظن الناس أنها القيامة . وسقطت المركب التى على منارة جامع طولون وهدمت دور كثيرة .

سنة ١١٠٦ هجرية

جمادى الآخرة

١٢ منه (٢٨ يناير ١٦٩٥ م) :

حضر الشريف أحمد بن غالب أمير مكة مطرودا من الشريف سعد .

رجب

٢٨ منه (٤ مارس ١٦٩٥ م) :

ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى بن محمد (١) .

شعبان

٤ منه (٢٠ مارس ١٦٩٥ م) :

ورد مرسوم بضبط أموال نذير آغا ، واسماعيل أغا الطواشيين ، فسجنوهما بباب مستحفظان وضبطوا أموالهما وختموها .

١٢ منه (٢٨ مارس ١٦٩٥ م) :

طلع أحمد بيك بموكب مسافرا باش على ألف عسكرى الى أنكروس .

(١) فى ٢٢ جمادى الآخرة تسلطن السلطان مصطفى خان الثانى بعد وفاة السلطان أحمد خان الثانى وله من العمر ٥٤ سنة حكم منها ٤ سنوات و٨ أشهر .

(التوفيقات الالهامية سنة ١١٠٦ هـ)

٢٧ منه (١٢ ابريل ١٦٩٥ م) :

طلع اسماعيل بيك بألف عسكرى لمحافظة رودس بموكب الى بولاق . فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم سافر الى الاسكندرية .

شــوال

٥ منه (١٩ مايو ١٦٩٥ م) .

انهى أرباب الأوقاف والعلماء والمجاورون بالأزهر الى على باشا : امتناع الملتزمين من دفع خراج الأوقاف وخراج الرزق المرصدة على المساجد، وما يلزم من تعطيل الشعائر .. فأمر الملتزمين بدفع ماعليهم من غير توقف ، فامتثلوا

وفى هذا الشهر أرسل الباشا الى مراد بيك الدفتردار بعمل جمعية فى بيته بسبب غلال الأنبار. فاجتمعوا وتشاوروا فى ذلك فوقع التوافق « أن البلاد الشراقى تبقى غلالها الى العام القابل . وأما الرى فيدفع ملتزموها ماعليهم » وأخذوا أوراقا بيعت بالثمن ، اشتراها الملتزمون من أرباب الاستحقاق ، عن الجراية مائة وخمسون نصفا . وغلق الملتزمون ماعليهم بشراء الوصلات .

١٢ منه (٢٦ مايو ١٦٩٥ م) :

ورد الخبر من منفلوط بأن الشريف فارس بن اسماعيل التبتلاوى قتل عبد الله بن وافى شيخ عرب المغاربة .

ذوالقعدة

١١ منه (٢٣ يونيو ١٦٩٥ م) .

ورد آغا بمرسوم ببيع متاع لذبر آغا واسماعيل أغا المعتقلين ، وضبط أثمانهما ، ماعدا الجواهر والذخائر التىاختلسوها من السرايا ، فانها تبقى بأعيانها، وأن يفحص عن أموالهما وأماناتهما وأن يسجنا فى قلعة الينكجرية ، ففعل بهم ذلكوبلغ اثمان المبيعات آلفا وأربعمائة كيس خلاف الجواهر والذخائر فانها جهزت مع الأموال صحبة الخزينة على يد سليمان بيك كاشف ولاية المنوفية .

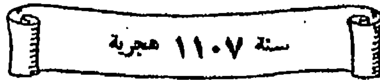
ذوالحجة

(يوليو ١٦٩٥ م) :

فيه : سافر أناس من مكة الى دار السلطنة . وشكوا من ظلم الشريف سعد .. فعين اليه محمدبيك نائب جدة واسماعيل باشا نائب الشام فوردا بصحبة الحج فتحاربوا معه وتزعوه ونهب العسكر منزله وولوا الشريف عبد الله بن هاشم على مكة . ثم بعد عود الحج ، رجع سعد وتغلب وطرد عبد الله ابن هاشم .

وفى هذه السنة قصر مد النيل وهبط بسرعة فشرقت الأراضى ووقع الغلاء والفناء (١)

وفيها : وقعت مصالحات فى المال الميرى بسبب الرى والشراقى .



سنة ١١٠٧ هجرية

المحرم

منتصفه (٢٦ اغسطس ١٦٩٥ م) :

اجتمع الفقراء والشحاذون ، رجالا ونساء وصبيانا ، وطلعوا الى القلعةووقفوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع فلم يجبهم أحد ، فرجموا بالأحجار فركب الوالىوطردهم . فنزلوا الى الرميلة

---

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان ثمن اردب القمح بلغ فى بولاق ١٢٠ نصف فضة وبالرميلة ١٨٠ نصف فضة والشعير ١٢٠ والفول كذلك .

ونهبوا حواصل الغلة التي بها وكالة القمح وحاصل كتخدا الباشا وكان ملآنا بالشعير والفول . وكانت هذه الحادثة ابتداء الغلاء حتى بيع الأردب من القمح بستمائة نصف فضة ، والشعير بثلثمائة ، والفول بأربعمائة وخمسين ، والأرز بثمانمائة نصف فضة وأما العدس فلا يوجد وحصل شدة عظيمة بمصر وأقاليمها . وحضر أهالي القرى والأرياف حتى امتلأت بهم الأزقة ، واشتد الكرب حتى أكل الناس الجيف ، ومات الكثير من الجوع . وخلت القرى من أهلها ، وخطف الفقراء الخبز من الأسواق ومن الأفران ومن على رؤوس الخبازين . ويذهب الرجلان والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف وبأيديهم العصى حتى يخبزوه بالفرن ثم يعودون به

٢٨ منه (٨ سبتمبر ١٦٩٥ م) :

عزل على باشا وكانت مدته أربع سنوات وثلاثة أشهر وأياما . ونزل الى منزل أحمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل .

وفيه حضر مسلم اسماعيل باشا من الشام ، وجعل ابراهيم بيك أبا شنب قائمقام .

صفر

١٧ منه (٢٧ سبتمبر ١٦٩٥ م) :

تولى اسماعيل باشا وحضر من البر وطلع الى القلعة بالموكب على العادة (١) . ورأى مافيه الناس من الكرب والغلاء . فأمر بجمع الفقراء والشحاذين بقراميدان ، فلما اجتمعوا أمر بتوزيعهم على الأمراء والأعيان...كل انسان على قدر حاله وقدرته . وأخذ لنفسه جانبا ولأعيان دولته جانبا ، وعين لهم مايكفيهم من الخبز والطعام صباحا ومساء الى أن انقضى الغلاء ، وأعقب ذلك وباء عظيم ، فأمر الباشا بيت المال أن يكفن الفقراء والغرباء فصاروا يحملون الموتى من الطرقات ويذهبون بهم الى مغسل السلطان عند سبيل المؤمن الى أن انقضى أمر الوباء ، وذلك خلاف من كفنه الأغنياء وأهل الخير من الأمراء والتجار وغيرهم .

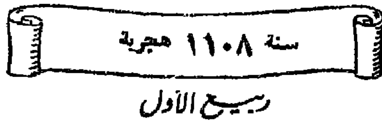
رجب

١٧ منه (٢١ فبراير ١٦٩٦ م) :

تقلد قيطاس بيك تابع أمير الحج ذى الفقار بيك ، الصنجقية عوضا عن ابن سيده ابراهيم بيك.

وفيه ورد الافراج عن نذير أغا ورتب له خمسمائة عثماني وخمس جرايات وعشر علائف في ديوان مصر . واستمر رفيقه اسماعيل أغا في السجن.

وفي هذا الشهر ورد مرسوم بطلب ألفين من العسكر وأميرهم مراد بيك .


سنة ١١٠٨ هجرية

ربيع الأول

١٣ منه (١٠ اكتوبر ١٦٩٦ م) :

ورد أمر بتزيين أسواق مصر سرورا بمولود للسلطان وسمى محمودا .

وورد أيضا الخبر باستشهاد مراد بيك .

رمضان

١٣ منه (٥ ابريل ١٦٩٧ م) :

قامت العساكر على ياسف اليهودي وقتلوه وجروه من رجله وطرحوه في الرميلة ، وقامت الرعايا فجمعوا حطبا وأحرقوه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة..وسبب ذلك أنه كان ملتزما بدار الضرب في دولة على باشا المنفصل . ثم طلب الى اسلامبول

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان تولية اسماعيل باشا في اول رجب ١١٠٧ هـ (٥ فبراير ١٦٩٦ م)

وسئل عن أحوال مصر فأملى أمورا ، والتزم بتحصيل الخزينة زيادة عن المعتاد ، وحسن بمكره احداث محدثات . ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق وأطلعوه الى الديوان . وقرئت الأوامر التى حضر بها ووافقه الباشا على اجرائها وتنفيذها ، وأشهر النداء بذلك فى شوارع مصر ، فاغتم الناس وتوجه التجار وأعيان البلد الى الأمراء وراجعوهم فى ذلك ، فركب الأمراء والصناجق وطلعوا الى القلعة وفاوضوا الباشا فجاوبهم بما لا يرضيهم ، فقاموا عليه قومة واحدة وسألوه أن يسلمهم اليهودى فامتنع من تسليمه فأغلظوا عليه وصمموا على أخذه منه . فأمرهم بوضعه فى العرقانة ولا يشوشوا عليه حتى ينظروا فى أمره ، ففعلوا به كما أمرهم ، فقامت الجند على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودى المذكور ليقتلوه فامتنع ، فمضوا الى السجن وأخرجوه وفعلوا به ما ذكر .

سنة ١١٠٩ هجرية

صفر

(اغسطس ١٦٩٧ م)

فيه : وردت سكة دينار عليها طرة ، فجمع الباشا الأمراء ، وأحضر أمين الضربخانة ، وسلمها له وأمره أن يطبع بها ، وأن يكون عيار الذهب ٢٢ قيراطا ، والوزن كل مائة شريفى مائة وخمسة عشر درهما ، وسعر الأبى طرة مائة وخمسة عشر نصفا .

وفيه : لبس عبد الرحمن بيك على ولاية جرجا وتوجه اليها .

ربيع الأول

١٢ منه (٢٨ سبتمبر ١٦٩٧ م) :

قامت العسكر المصرية وعزلوا الباشا فكانت مدة اسماعيل باشا سنتين ، وتقلد مصطفى بيك قائمقام مصر .

منتصفه (٢٧ يناير ١٦٩٨ م) :

حضر حسين باشا من صيدا وطلع الى القلعة فى موكب عظيم .

رمضان

١٩ منه (٣١ مارس ١٦٩٨ م) :

ورد مرسوم بطلب تجهيز ألفى نفر من العسكر وعليهم يوسف بيك المسلمانى ، فقضى أشغاله وسافر .

ذو الحجة

منتصفه (٢٤ يونية ١٦٩٨ م) :

خرج اسماعيل باشا الى العادلية(1) ليسافر وكان قد حاسبه حسين باشا فتأخر عليه خمسون ألف أردب دفع عنها خمسين كيسا وباع منزله وبلاد البدرشين التى كان قد وقفها وتوجه الى بغداد .

سنة ١١١٠ هجرية

جمادى الآخرة

آخرها (٢ يناير ١٦٩٩ م) :

ظهر رجل من أهل الفيوم يدعى بالعليمى ، قدم الى القاهرة وأقام بظهر القهوة المواجهة لسبيل المؤمن فاجتمع عليه كثير من العوام ، وادعوا فيه الولاية . وأقبلت عليه الناس من كل جهة ، واختلط النساء بالرجال . وكان يحصل بسببه مفاسد عظيمة ، فقامت عليه العسكر وقتلوه بالقلعة ودفن بناحية مشهد السيدة نفيسة .

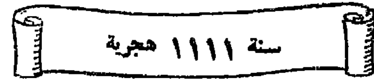
شوال

١٤ منه (١٥ ابريل ١٦٩٩ م) :

كانت واقعة المغاربة من أهل تونس وفاس . وذلك أن من عادتهم أن يحملوا كسوة الكعبة التى

(1) هى الوايلية الآن .

تحمل كل سنة للبيت الحرام ، ويمرون بها فى وسط القاهرة ، وتحمل المغاربة جانبا منها للتبرك بهـا ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان فى طريق مرورهم ، فرأوا رجلا من أتبـاع مصطفى كتخدا القازدغلى ، فكسروا أنبوبته وتشاجروا معه وشجوا رأسه . وكان فى مقدمتهم طائفة منهم مسلحون ، وزاد التشاجر ، واتسعت القضية ، وقام عليهم أهل السوق . وحضر أوده باشة البوابة فقبض عـلى أكثرهم ، ووضعهم فى الحديد وطلع بهم الى الباشا وأخبروه بالقضية ، فأمر بسجنهم بالعرقانة ، فاستمروا حتى سافر الحج من مصر ومات منهم جماعة فى السجن ثم أفرج عن باقيهم .

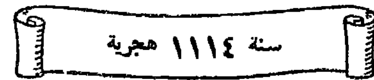


سنة ١١١١ هجرية

ربيع الآخر

منتصفه (١٠ اكتوبر ١٦٩٩ م) :

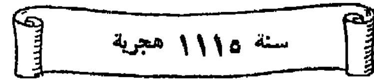
حضر الى مصر قره محمد باشـا المتولى عليها وهو كتخدا اسماعيل باشا .



سنة ١١١٤ هجرية

(٢٨ مايو ١٧٠٢ ـ ١٦ مايو ١٧٠٣)

فيها ولاية (قره محمد باشا) ، حصلت حادثة الفضة المقصوصة والتسعيرة .



سنة ١١١٥ هجرية

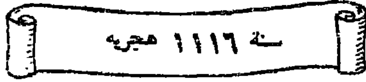
ربيع الآخر

١٧ منه (٣٠ اغسطس ١٧٠٣ م) :

وردت الأخبـار بوفاة السـلطان مصـطفى خان الثانى (١) .

(١) توفى السلطان مصطفى خان الثانى بن السلطان محمد الرابع وله من العمر ٤٠ سنة حكم منها ٨ سنوات و٨ اشهر وتسلطن بعد السلطان احمد الثالث بن السلطان محمد الرابع . (التوفيقات الالهامية)

وفى هذه السنة ، أمر الباشـا بقطع السقائف والدكاكين لأجل توسعة الطريق والاسواق ، ففعل ذلك . ثم أمر بقطع الأرض وتمهيدها فحفروا نحو ذراع أو أكثر من الأسواق ففعل ذلك



سنة ١١١٦ هجرية

رجب

(نوفمبر ١٧٠٤ م) :

فى هذا الشهر عزل قره محمد باشا من ولاية مصر .. فكانت مدة ولايته خمس سنوات . ومن أهم مآثره : تعمير الأربعين الذى بجوار باب قراميدان . وأنشأ فيه جامعا بخطبة ، وتكية لفقراء الخلوتية من الأروام(١) وأسكنهم بها . وأنشأ تجاهها مطبخا ودار ضيافة للفقراء ، وفى علوها مكتبا للأطفال يقرأون فيه القرآن ، ورتب لهم ما يكفيهم ، وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف بالغـورى حمـاما فسيحا مفروشا بالرخام الملون ، وجدد بستان الغورى ، وغرس فيه الأشجار ، ورمم قاعة الغـورى التى بالبستان .

شعبان

٦ منه (٤ ديسمبر ١٧٠٤ م)

تولى رامى محمـد باشا (٢) ، وكان تـولى الوزارة فى زمن السلطان مصطفى وانفصل عنها وجعل محافظا بجزيرة قبرص ، ثم حضر منها واليا على مصر وطلع الى القلعة .

(١) يعنى بالاروام ... الاتراك !

(٢) يخالف الحاج مصطفى بن ابراهيم ـ فى كتابه « تاريخ وقائع مصر » ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٠٢ ـ تاريخ الجبرتى وصاحب التوفيقات الالهامية فى تاريخ تولية محمد رامى باشا فيذكر أنه تولى مصر فى سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) ويقول ايضا انه دخل مصر فى موكب عظيم وطلع الى قلعة الجبل ، وعمل له الانكشارية شنك مدافع من الابراج .

١٧ منه (١٥ ديسمبر ١٧٠٤ م) :

تقلد قيطاس بيك امارة الحج عوضا عن أيوب بيك .

وفى تلك السنة توقف النيل عن الزيادة ، فضج الناس وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء . واجتمعوا على جبل الجيوشى وغيره من الأماكن المعروفة باجابة الدعاء ، فاستجاب الله لهم . فروى بعض البلاد وهبط سريعا فحصل الغلاء . وبلغ سعر الأردب من القمح والفول ٢٤٠ فضة ، والعدس ٢٠٠ نصف فضة ، والشعير ١٠٠ نصف فضة ، والأرز ٤٠٠ نصف فضة ، واللحم الضانى الرطل ٣ أنصاف فضة ، والجاموسى والبقرى بنصفى فضة ، والسمن القنطار بستمائة نصف فضة ، والزيت بثلاثمائة وخمسين . والدجاجة بثمانية أنصاف فضة . والبيض كل ثلاث بيضات بنصف . والرطل الشمع الدهن بثمانية أنصاف فضة ... وكثر الشحاذون فى الأزقة .

سنة ١١١٧ هجرية

(٢٥ ابريل ١٧٠٥ ــ ١٤ ابريل ١٧٠٦)

اشتد فيها الغلاء (١) .

وفيها أنشأ الأمير الجوربجى جامع الهياتم بالحنفى .

سنة ١١١٨ هجرية

فى هذه السنة لم يأت من اليمن ولا من الهند مراكب ، فشح القماش الهندى ، وغلا البن حتى بلغ القنطار ٢٧٥٠ نصفا . وغلا الشاش ، فبيع الفرحات خان بأربعمائة نصف فضة ، والخنكارى بسبعمائة نصف .

(١) أخبار هذا العام نقلناها من التوفيقات الالهامية .

رجب

٦ منه (١٤ اكتوبر ١٧٠٦ م) :

عزل محمد رامى باشا وحضر مسلم على باشا (١) .

٩ منه (١٧ اكتوبر ١٧٠٦ م) :

نزل محمد باشا رامى من القلعة فى موكب عظيم . وسكن بمنزل أحمد كتخدا العزب سابقا المطل على بركة الفيل بالقرب من حمام السكران .

شعبان

٩ منه (١٦ نوفمبر ١٧٠٦ م) :

وصل على باشا من طريق البحر ، وذهبت اليه الملاقاة على العادة ، وأرسى بساحل بولاق وهو فى نحو ألف ومائتى نفس خلاف الأتباع .

١٢ منه (١٩ نوفمبر ١٧٠٦ م) :

ركب بالموكب وطلع الى القلعة وضربوا المدافع لقدومه .

فى آخره (أوائل ديسمبر ١٧٠٦ م) :

وقعت فتنة بين العزب والمتفرقة .. وسببها : أن شخصا من بلك العزب ، يسمى محمد أفندى كاتب صغير سابقا ، ثم بعد عزله تولى خليفة فى ديوان المقابلة ، وحصل له تهمة عزل بها من المقابلة . ثم عمل سردار بالاسكندرية على طائفة العزب وعمل كتخدا القبودان .. وركب فى المراكب وأشيع أنه غرق فى البحر ، فحلوا اسمه وماله من التعلقات فى بابه وغيره . وبعد مده حضر الى مصر وطلع الى الديوان . وصحح اسمه الذى فى العزب وجراياته وتعلقاته ،

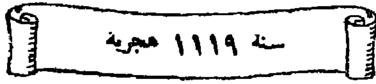
(١) يسميه صاحب التوفيقات الالهامية والحاج مصطفى بن ابراهيم فى كتابه ــ وقائع مصر القاهرة ــ « على مسلم باشا»

ويقى له بعض تعلقات لم يقدر على خلاصها .. ولم يساعده أهل بابه واشهاوا أمره . فتغير خاطره منهم : وذهب الى بلك المتفرقة . وانضم اليهم وسألهم آن يخرجوه من العزب ويدخلوه فيهم . وجعل يركب معهم كل يوم للديوان ويمر على باب العزب . فبينما هو ذات يوم طالع الى الديوان ، اذ وقف له جماعة من العزب ، وقبضوا على لجام فرسه وأنزلوه من على فرسه وحبسوه فى بابهم ، وبلغ الخبر المتفرقه وهم فى الديوان وحضر محمد أمين بيت المال فى العزب : وكان فى ذلك اليوم نائبا عن باشجاويش لتمرضه فعاتبه جماعة المتفرقة على مافعله جماعته : فأغلظ عليهم فى الجواب فقبضوا عليه من أطواقه : وأرادوا ضربه فدخل بينهم المصلحون وخلصوه من أيديهم ، فنزل الى باب العزب وأخبرهم بما فعله المتفرقة . فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على بابهم .. فلما مر عليهم اثنان من جماعة المتفرقة نازلين الى منازلهما وهما : محمد الأبدال وصارى على . فلما حاذياهم هجم عليهما طائفة العزب هجمة واحدة وضربوهما ضربا مؤلما ، وأنزلوهما عن الخيل وشجوهما ونهبوا ماعلى الخيل من العدد وأخذوا ماعليهما من الملبوس . فلما وصل الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقية الوجاقات وقعدوا فى باب الينكجرية ، وأنهوا أمرهم الى الأغوات والصناجق وأهل الحل والعقد . واستمروا على ذلك ثلاثة أيام الى أن وقع التوافق على إخراج أربعة أنفار ... الذين كانوا سببا لاشعال نار الفتنة ونفيهم من مصر وهم : أحمد كتخدا العزب ومحمد أمين بيت المال والشريف محمد باش أوده باشه ومحمد أفندى قاضى أوغلى الذى كان الباعث على ذلك ، فوافق على ذلك الجميع وصمموا عليه فسفروهم الى جهة الصعيد .

ذو الحجة

٢ منه (٧ مارس ١٧٠٧ م) :

عزل على أغا مستحفظان وتولى عوضه رضوان آغا كتخدا الجاويشية سابقا وركب بالشعار المعلوم وقطع ووصل وأمر أهل الأسواق أن يدمغوا الأرطال فى دار الضرب بالدمغة السلطانية ، وجعلوا على كل دمغة نصف فضة فتحصل من ذلك مال له صورة .



سنة ١١١٩ هجرية

المحرم

١٧ منه (٢٠ ابريل ١٧٠٧ م) :

توفى اسماعيل بيك الدفتردار وولى أيوب بيك عوضه وهو الذى كان أمير الحج سابقا .

صفر

٦ منه (٩ مايو ١٧٠٧ م) :

ورد مرسوم من السلطان أحمد بأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا ، وكانوا يقطعونه على ستة عشر .

٩ منه (١٢ مايو ١٧٠٧ م) :

ورد أمر بحبس محمد باشا رامى وبيع كامل ما يملكه من متاع وملبوس وغيره ، فحبس بقصر يوسف صلاح الدين ، وابطال والى البحر الذى يتولى من باب العزب .

وفيه وصل الحجاج وقد تأخروا الى نصف صفر .. بسبب دخول مراكب الهند وشراء مابها من الأقمشة .

ربيع الأول

(يونيو ١٧٠٧ م) .

حبس جماعة من آتباع الباشا وهم : الكتخدا والخازندار وغيرهم من أرباب الكلمة .

ربيع الآخر

١٨ منه (١٦ سبتمبر ١٧٠٧ م) :

تقلد ابراهيم بيك الدفتردارية عوضا عن أيوب بيك بموجب مرسوم سلطاني .

وفيه عــزل رضوان أغا مستحفظان . وتولى أحمد أغا بن بكير افندى عوضا عنه .

وفيه : ورد أمر بابطال نوبة محمد باشا ونفيه الى جزيرة رودس ، فنزل من يومه الى بولاق وأقام بها الى أن سافر .

رجب

أوله (٢٨ سبتمبر ١٧٠٧ م) :

ورد أمر بعزل على باشا وحبسه فى قصر يوسف ، واستخلاص ماعليه من الديون الى تجار اسلامبول . وجعــل ابراهيم بيك قائمقام ، وحبس على باشا وبيعت موجوداته .

ووقعت فتنــة بباب الينكجرية ، فعزلوا افرنج أحمد باش أوده باشا وحسين أوده باشا ، ثم نفوهم الى الطينة بدمياط (١) .

ووردت الأخبار بولاية حســين باشا على مصر وقدومه الى الاسكندرية .

شعبــان

٢٣ منه (١٩ نوفمبر ١٧٠٧ م) :

قدم حسين باشا الوالى الى مصر .

وفيه : سافر الشريف يحيى بن بركات الى مكة بمرسوم سلطاني .

وفيه : فر افرنج أحمد أوده باشا وحسين أغا من حبس الطينة ، ودخلا مصر ليلا فاختبآ عند أغات الجراكسة . والتجأ حسين الى باب التفكجية .

٢٥ منه (٢١ نوفمبر ١٧٠٧ م) :

طلع حسين باشا الى القلعة بالموكب المعتاد على العــادة .

٢٦ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٠٧ م) :

اجتمع الينكجرية بالباب بأسلحتهم .. لما بلغهم قدوم افرنج أحمد الى مصر وقالوا : « لابد من نفيه ورجوعه الى الطينة » فعاند فى ذلك طائفة الجراكسة ، وامتنعوا من التسليم فيــه وقالوا « لابد من نقله من وجاقكم » وساعدهم بقية البلكات ، ولم يوافق الينكجــرية على ذلك ، ومكثوا ببــابهم يومين وليلتين ، وكذلك فعل كل بلك ببابه . فاجتمع كل العلماء والمشايخ على الصناجق والأعيان وخاطبوهم فى حسم الفتنــة . فوقع الاتفــاق على أن يجعلوه صاحب طبلخانة ، وأرسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأرباب الدرك . وأحضروه الى مجلس الأغا وقرأوا عليــه فرمان الصنجقية ، وان خالف يكون عليه بخلاف ذلك . فامتثل الأمر ولبس الصنجقيــة وطلع من منزل أغات الجراكسة بموكب عظيم الى منزله ونزل الى الصنجق السلطاني والطبلخانة .

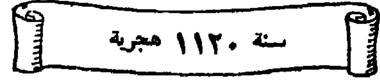
ذو الحجــة

(مارس ١٧٠٨ م) :

فيــه ورد أغا بطلب خازندار ابراهيــم بك الدفتردار . وسببــه أنه أنهى الى السلطــان أن خليل الخازندار المذكور أتاه رجل دلال بقوس ، فصار يجذبها ، ويتصرف فيها ، وكان بجانبه رجل من العثمانيين فأخذ القوس من يد خليل ، وأراد جذبها فلم يستطع ، فتعجب من خليل ، وأخذ منه القوس وسافر بها الى الديار الرومية ليمتحن بها أهل ذلك الفن ، فلم يقدر أحد على جذبها . واتصــل خبرها بالسلطــان فطلبها لجذبهــا ، فلم يستطع .

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان فى هذا اليوم اجتهد الوالى فى منع العسكر مما كانوا يفعلونه ، لضجوا من ذلك وقاموا عليه قومة واحدة ، وحاصروه بالقلعة ، ونهبت البلد ، واغلقت الحوانيت والخانات .

فتعجب من صعوبتها ، فقال له الرجل ان بمصر مملوكا عند ابراهيم بك أوترها وصار يجذبها حتى تجمع طرفاها ، وعنده أيضا مكحلة ثلاثون درهما يرمى بها الهدف وهو رامح على ظهر الحصان فأمر السلطان باحضاره ، فجهزه ابراهيم بك وأرسله .



شوال

١٨ منه (٣١ ديسمبر ١٧٠٨ م) (١) :

اجتمع عسكر بالديوان وأنهوا الى الباشا أن محمد بك حاكم جرجا أنزل عربان المغاربة وآمنهم ، وهذا يؤدى الى الفساد ، فعزلوه وولوا آخر اسمه محمد من أتباع قيطاس بك جعلوه صنجقا وألبسوه على جرجا ، وهو الذى عرف بقطامش .

١٩ منه (١ يناير ١٧٠٩ م) :

ورد محسن زاده أخو كتخدا الوزير ، فأدخله حسين باشا بموكب حافل وطلع الى القلعة وأبرز مرسوما بعزل ايواز بك وتولية محمد باشا محسن زاده فى منصبه ، فأنزله فى غيط قراميدان الى أن سافر صحبة الحاج الشريف .

ذو القعدة

١٤ منه (٢٥ يناير ١٧٠٩ م) :

وقف مملوك لرجل يسمى محمد أغا الحلبى على دكان قصاب بباب زويلة ليشترى منه لحما فتشاجر مع حمار عثمان أوده باشا البوابة فأعلم عثمان بذلك ، فأرسل أعوانه وقبضوا على ذلك المملوك وأحضروه اليه ، فأمر بحبسه فى سجن الشرطة فلما بلغ محمد جاويش سجن مملوكه حضر هو وأولاده وأتباعه الى باب صاحب الشرطة لخلاص مملوكه ، فتفاوضا فى الكلام وحصل بينهما مشاجرة ، فقبض عثمان أوده باشا على محمد جاويش المذكور وأودعه فى السجن ، وركب الى باش أوده باشا ، وهو اذ ذاك سليمان بن عبد الله وطلع الى كتخدا مستحفظان وعرض القصة فلم يرضوا له بذلك وأمروه باطلاقه ، فرجع وأخرج محمد جاويش ومملوكه من السجن . وفى ثانى يوم الحادثة اجتمعت طائفة الجاويشية مع طائفة المتفرقة والثلاث بلوكات الأسباهية والأمراء والصناجق والأغوات فى الديوان ، وطلبوا نفى عثمان أوده باشا المذكور فلم توافقهم الينكجرية على ذلك ، فطلعوا الى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى عليه ، فحضر وأقيمت الدعوى بحضرة الباشا والقاضى ، فأمر القاضى بحبس عثمان كما حبس محمد جاويش ، فلم يرض الأخصام بذلك وقالوا « لابد من عزله ونفيه » فلم توافقهم الينكجرية ، فطلب العسكر من الباشا أمرا بنفيه ، فتوقف فى ذلك ، فنزلوا مغضبين واجتمعوا بمنزل كتخدا الجاويشية وأنزلوا مطبخهم من نوبة خاناه الى منزل كتخدا الجاويشية صالح أغا وأقاموا به ثلاثة أيام ليلا ونهارا وامتنعوا من التوجه الى الديوان ، ثم اجتمع أهل البلوكات وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد ، واتفقوا على نفى عثمان أوده باشا . ثم اجتمعوا على الصناجق واتفقوا على أن يكونوا معهم على طائفة الينكجرية لأنهم لم يعتبروهم . وأرسل الأسباهية مكاتبات لأنفارهم المحافظين مع الكشاف بالولايات يأمرونهم بالحضور .

وفى ذلك اليوم عزل أوده باشا البوابة وولى خلافه .

---

(١) وقع فى هذه السنة (اى سنة ١١٢٠ هـ) حوادث بين الأمراء نشأ عنها حروب بينهم استمرت نحو ثمانين يوما بين الفقارية والقاسمية . وكانوا اذ ذاك يخرجون فى كل يوم الى خارج القاهرة قريبا من المحل المعروف بقبة العزب فيتحاربون الى ان تدنو الشمس من الغروب ثم يرجعون الى منازلهم .

السيد اسماعيل الخشاب : تاريخ وقائع بمصر من سنة ١١٠٠ هـ : مخطوطة بدار الكتب المصرية ، مكتبة تيمور .

الجمعة ٢٨ منه (٨ فبراير ١٧٠٩ م) :

حضر الى طائفة الينكجرية من أخبرهم أن العسكر يريدون قتالهم ، فأرسلوا القابجية الى أنفارهم ليحضروا الى الباب بآلة الحرب ، فاجتمعوا وانزعج أهل الأسواق وأقفل غالبهم دكاكينهم ثم اطمأنوا بعد ذلك وجلسوا فى دكاكينهم ، واستمر أهل الوجاقات الستة يجتمعون ويتشاورون فى أبوابهم وفى منزل محمد أغا المعروف بالشاطر ومنزل ابراهيم بك الدفتردار . وأما الينكجرية فانهم كانوا يجتمعون بالباشا فقط .

ذو الحجة

الأحد ١٤ منه (٢٤ فبراير ١٧٠٩) :

قدم محمد بك الذى كان بالصعيد فى جند كثيف وأتباع كثيرة وطلع الى ديوان مصر على عادة حكام الصعيد المعزولين ، ولبس الخلع السلطانى ونزل الى بيته بالصليبة . ثم ان أهل الوجاقات الستة اجتمعوا واتفقوا على ابطال المظالم المتجددة بمصر وضواحيها وكتبوا ذلك فى قائمة واتفقوا أيضا :

أن من كان له وظيفة بدار الضرب والأنبار والتعريف بالبحرين أو المذبح لا يكون له جامكية فى الديوان ولا ينتسب لوجاق من الوجاقات .

وألا يحتمى أحد من أهل الأسواق فى الوجاقات.

وأن ينظر المحتسب فى أمورهم ويحرر موازينهم على العادة .

وأن يركب معه نائب من باب القاضى مباشرا معه .

وألا يتعرض أحد للمراكب التى ببحر النيل التى تحمل غلال الأنبار .

وأن يحمل الغلال المذكورة جميع المراكب التى ببحر النيل ولا تختص مركب منها بباب من أبواب الوجاقات .

وأن كل ما يدخل مصر من بلاد الأمناء باسم الأكل لا يؤخذ عليه عشر .

وألا يباع شىء من قسم الحيوانات والقهوة الى جنس الأفرنج .

وألا يباع رطل البن بأزيد من سبعة عشر نصفا فضة .

وأرسلوا القائمة المكتتبة الى الباشا ليأخذوا عليها « بيورلدى » [1] وينادى به فى الأسواق . فتوقف الباشا فى اعطاء « البيورلدى» . ولما بلغ الانكشارية ما فعل هؤلاء اجتمعوا ببابهم وكتبوا قائمة نظير تلك القائمة بمظالم الخردة ومظالم اسباهية الولايات وغيرها وأرسلوها الى الباشا فعرضها على أهل الوجاقات فلم يعتبروها ، وقالوا لابد من اجراء قائمتنا وابطال ما يجب ابطاله منها من المظالم .

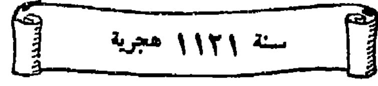
الأحد ٢١ منه (٣ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع أهل الوجاقات ومعهم الصناجق بباب العزب وقاضى العسكر ونقيب الأشراف بالديوان عند الباشا ، وأرسلوا الى الباشا أن يكتب لهم « بيورلدى » بابطال ما سألوه فيه والمناداة به . وان لم يفعل ذلك أنزلوه ، ونصبوا عوضه حاكما منهم وعرضوا ذلك على الدولة ، فلما تحقق الباشا منهم ذلك كتب لهم ما سألوه ، وكتب لهم القاضى أيضا حجة على موجبه ، ونزل بهم المحتسب وصاحب الشرطة ونائب القاضى وأغا من تباع الباشا ونادوا بذلك فى الشوارع .

غايته (١٢ مارس ١٧٠٩ م) :

كسف جرم الشمس فى الساعة الثامنة ، واستمر سبع عشرة درجة ثم انجلت .

(١) موافقة



سنة ١١٢١ هجرية

المحرم

السبت ٤ منه (١٦ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع الينكجرية عند أغاتهم وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد ، واجتمع أنفارهم جميعا بالغيظ المعروف بخمسين كتخدا وتحالفوا كذلك .

٧ منه (١٩ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع أهل الوجاقات بمنزل ابراهيم بك الدفتردار وتصالحوا على أن يكونوا كما كانوا عليه من المصافاة والمحبة بشرط أن ينفذوا جميع ما كتب فى القائمة ونودى به ، ولا يتعرضوا فى شىء منه فلم يستمر ذلك الصلح .

السبت ١١ منه (٢٣ مارس ١٧٠٩ م) :

وقع فى الجامع الأزهر فتنة بعد موت الشيخ النشرتى [1] ، ثم ان الينكجرية قالوا : لا نوافق على نقل دار الضرب الى الديوان حتى تكتبوا لنا حجة بأن ذلك لم يكن لخيانة صدرت منا ولا تخوف علينا . فامتنع أخصامهم من اعطاء حجة بذلك . ثم توافق أهل البلوكات الستة على أن يعرضوا فى شأن ذلك الى باب الدولة ، فان أقرها فى مكانها رضوا به ، وان أمر بنقلها نقلت . فاجتمعوا هم ونقيب الأشراف ومشايخ السجاجيد وكتبوا العرض المذكور ووضعوا عليه ختومهم ما عدا الينكجرية فانهم امتنعوا من الختم ، ثم أمضوه من القاضى وأرسلوه مع أنفار من البلوكات وأغا من طرف الباشا . وأما الينكجرية فانهم اجتمعوا ببابهم وكتبوا عرضا من عَنَدَ أنفسهم الى أرباب الحل والعقد من أهل وجاقهم بالديار الرومية ، وعينوا للسفرية على افندى كاتب مستحفظان سابقا ، وأحمد جوربجى ، وجهزوهم للسفر .

(١) توفى فى ١١٢٠ هـ (١٧٠٨ م)

ربيع الأول

١٣ منه (٢٣ مايو ١٧٠٩ م) :

تقلد امارة الحج قيطاس بك مقررا على العادة فى صبيحة المولد النبوى فى كل سنة ، وكان أشيع أن بعض الأمراء سعى على منصب امارة الحج . فلما بلغ الينكجرية ذلك اجتمعوا ببابهم لابسين سلاحهم وجلسوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان بناء على أنه ان لبس شخص امارة الحج خلاف قيطاس بك لا يمكنوه من ذلك . فلما رأى الصناجق والأمراء ذلك منهم خافوهم وقالوا : « هذه أيام تحصيل الخزينة ، ونخشى وقوع أمر من هؤلاء الجماعة يؤدى الى تعطيل المال » . فاجتمع رأى الصناجق وأهل الوجاقات الستة على نفى ستة أشخاص من الينكجرية الذين بأيديهم الحل والعقد ، ويخرجونهم من مصر الى بلاد التزامهم تسكينا للفتنة حتى يأتى جواب العرض .

فلما بلغ الينكجرية ما دبروه اجتمعوا فى بابهم ، فى عددهم وعددهم ، فلم يلتفتوا الى فعلهم وقالوا : «لابد من نفيهم أو محاربتهم» . واجتمعوا كذلك فى أبوابهم ، واستعد الينكجرية فى بابهم وشحنوه بالأسلحة والذخيرة والمدافع ، فحصل لأهل البلد خوف وانزعاج ، وأغلقوا الدكاكين ، ونقل الجاويشية مطبخهم من القلعة من النوبة الى منزل كتخدا الجاويشية ، وأقام طائفة الينكجرية منهم طوائف محافظين على أبواب القلعة وباب الميدان والصحراء الذى بالمطبخ الموصل الى القرافة خوفا من أن العسكر يستميلون الباشا وينزلونه بالميدان لأنهم كانوا أرسلوا له كتخدا الجاويشية وطلبوا منه النزول الى قراميدان ليتداعوا مع الينكجرية على يد قاضى العسكر ، فلم تمكنهم الينكجرية من ذلك ، وحصل لكتخدا الجاويشية ومن معه مشقة فى ذلك اليوم من المذكورين عند عودهم من عند الباشا ، وما خلصوا الا بعد جهد عظيم .

٢٠ منه (٣٠ مايو ١٧٠٩ م) :

اجتمع الصناجق والعسكر واختاروا محمد بيك الذى كان بالصعيد لحصار القلمة من جهة القرافة على جبل الجيوشى بالمدافع والعسكر ، ففعل ما أمروا به ، وخافت العسكر وقوع نهب بالمدينة فعينوا مصطفى أغا أغات الجراكسة يطوف فى أسواق البلد وشوارعها كما كان يفعل فى زمن عزل الباشا .

السبت ٢٢ منه (١ يونية ١٧٠٩ م) :

اجتمع الأمراء الصناجق والأسباهية بالرميلة وعينوا أحمد بك المعروف بافرنج أحمد أغات التفكجية ليحاصروا طائفة الينكجرية من بابهم المتوصل منه الى المحجر وباب الوزير، ويمنعوا من يصل اليهم بالأمداد . وأما الينكجرية الذين كانوا بالقاهرة فاجتمعوا بباب الشرطة ، واتفقوا على أن يدهموا العسكر المحافظين بالباب ويكشفوهم ويدخلوا الى باب الينكجرية . فلما بلغ الصناجق ذلك والعسكر عينوا ابراهيم الشهير بالوالى ، ومصطفى أغات الجبجية فى طائفة من الاسباهية فنزلوا الى باب زويلة[1] . ولما بلغ خبرهم الينكجرية الذين كانوا قد تجمعوا فى باب الشرطة تفرقوا فجلس مصطفى أغا محل جلوس الأوده باشا ، وابراهيم بك فى محل جلوس العسس ، وانتشرت طوائفهم فى نواحى باب زويلة والخرق[2] ، واستمروا ليلة الأحد على هذا المنوال فطلع فى صبحها نقيب الأشراف والعلماء وقاضى العسكر وأرباب الأشاير واجتمعوا بالشيخونيتين بالصليبة وكتبوا فتوى بأن الينكجرية ان لم يسلموا فى نفى المطلوبين والا جاز محاربتهم ، وأرسلوا الفتوى صحبة جوخدار من طرف القاضى الى باب الينكجرية . فلما قرئت عليهم تراخت عزائمهم وفشلوا عن المحاربة وسلموا فى نفى المطلوبين بشرط ضمانهم من القتل ، فضمنهم الأمراء الصناجق وكتبوا لهم حجة بذلك ، فلما وصلتهم الحجة أنزلوا الأنفار الثمانية المطلوبين الى أمير اللواء ايواز بك[1] ورضوان أغا[2] ، فتوجها بهم الى بولاق ومن هناك سافروا الى بلاد الريف .

ربيع الآخر

١٩ منه (٢٨ يونية ١٧٠٩ م) :

ورد أمير آخور صغير من الديار الرومية ، وطلع الى القلعة ، وأبرز مرسومين قرئا بالديوان بمحضر الجمع : أحدهما بابطال المظالم والحمايات بموجب القائمة المعروضة من العسكر ونفى عطاء الله المعروف ببولاق ، وأحمد جلبى بن يوسف أغا ، وأن يحاسبوا تجار القهوة على مرابحة العشرة اثنى عشر بعد رأس المال والمصاريف . والأمر الثانى بنقل دار الضرب من قلعة الينكجرية الى حوش الديوان ، وبناء قنطرة اللاهون بالفيوم ، وأن يحسب مايصرف عليهما من مال الخزينة العامرة .

وفى يوم تاريخه : برز أمر من الباشا برفع صنجقية أحمد بك الشهير بافرنج أحمد بك[3] والحاقه بوجاق الجملية . واجتمع أعيان مستحفظان بمنزل أحمد كتخدا المعروف بشهر اغلان ، وأرسلوا خلف افرنج أحمد وتصالحوا معه وتعاهدوا على الصدق وأن لا يغدرهم ولا يغدروه ، ومضوا معه الى الباب الجملى ، وأخذوا عرضه ، وركب الحمار وطلع الى باب مستحفظان فى جم غفير من الأوده باشية وتقرر باش أوده باشا كما كان سابقا وعاد الى منزله .

(١) بناه امير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٨٥ هـ .

(٢) هو ميدان « باب الخلق » حتى قريب ، وميدان أحمد ماهر الآن . وهو يبدأ من آخر شارع تحت الربع وينتهى أول شارع قبط العدة بجوار مسجد السلطان شاه .

(١) من طائفة القاسمية .

(٢) من طائفة القاسمية .

(٣) كان جبارا عنيدا ، تسببت عنه الفتنة الكبرى التى نجمت عنها حروب طويلة بين طوائف المماليك .

٣٠ منه (٨ يولية ١٧٠٩) :

رجع الأنفار الثمانية المنفيون وأخرجوهم من وجاق الينكجرية ووزعوهم على أهـل الوجاقات باطلاع الأمراء الصناجق والأغوات .

جمـادى الأولى

اوله (٩ يولية ١٧٠٩ م) :

أرسل القاضى فأحضر مشايخ الحرف وعرفهم أنه ورد أمر يتضمن أن لا يكون لأحد من أرباب الحرف والصنائع علاقة ولا نسبة فى أحد الوجاقات السبع ، فأجابوه بأن أغلبهم عسكرى وابن عسكرى وقاموا على غير امتثال ، ثم بلغ القاضى أنهم أجمعوا على ايقاع مكروه به ، فخافهم وترك ذلك وتغافل عنه ولم يذكره بعد .

جمـادى الآخرة

١٥ منه (٢٢ اغسطس ١٧٠٩ م) :

تم بنـاء دار الضرب التى أحدثوها بحوش الديوان ، وضرب بها السكة ، وكان محلها قبـل ذلك معمل البارود ، ونقل معمل البارود الى محل بجوارها .

وفيه لبس ابراهيم بيك أبوشنب (١) أميرا على الحاج عوضا عن قيطاس بيك ، وتولى قيطاس بيك دفتردارية مصر عوضـا عن ابراهيم بيك بموجب مرسوم ورد بذلك من الأعتاب .

رمضـان

١٩ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٠٩ م) :

ورد الخبر بعزل حسين باشا وولاية ابراهيم باشا القبودان ، ووردت منه مكاتبة بأن يكون حسين باشا نائبا عنه الى حين حضوره . ولم نفوض أمر النيابة الى أحد من صناجق مصر كما هو المعتاد .

(١) من طائفة القاسمية الذين قضى عليهم ابراهيم كتخدا . استاذ طائفة المماليك الابراهيمية . (محمد رفعت رمضان — على بك الكبير ص ١٧) .

شـوال

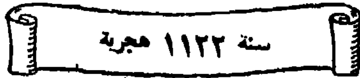
(ديسمبر ١٧٠٩ م) :

ترادفت الأمطار وسالت الأودية حتى زاد بحر النيل بمقدار خمسة أذرع وتغير لونه لكثرة ممازجة الطفل للماء فى الأودية ، واستمرت الأمطار تنزل وتنسكب الى آخر الشهر .

ذو القعـدة

١٥ منه (١٦ يناير ١٧١٠ م) :

نزل حسين باشا من القلعة بموكب عظيم وأمامه الصناجق والأغوات الى منزل الأمير يوسف أغا دار السعادة بسويقة عصفور ، ووصـل ابراهيم باشا القبودان وطلع الى القلعة فى منتصف الحجة .


سنة ١١٢٢ هجرية

المحـرم

فى منتصفه (١٦ مارس ١٧١٠ م) :

اجتمع أهل البلوكات السبعة بسبيل على باشا(١) بجوار الامام الشافعى ، واتفقـوا على نفى ثلاثة أنفار من بينهم ، فنفوا فى يوم الخميس من اختيارية الجاويشية : قاسم أغا ، وعلى افندى كاتب الحوالة ، ومن وجاق المتفرقة : عـلى أفندى المحاسبجى . وسببه أنهم اتهموهم بأنهم يجتمعون بالباشا فى كل وقت ويعـرفونه بالأحوال ، وأنهم أغروه بقطع الجوامك المكتتبة بأسماء أولاد وعيال ، والجوامك المرتبة على الأوقاف . واتفـق أنه مات جماعـة فضبط جوامكهم المرتبة على أولاد وعيال للمحلول وأن العسكر راجعـوه فى ذلك فلم يوافقهم على ذلك وأيضا راجعه الاختيارية المرة بعد المرة فقال : لا أسلم الا لمن ينقل اسـمه الى أحـد الوجاقات السبعة ، فمن نقل اسمه فانى لا أعارضه ، فرضوا

(١) غربى مشهد الامام الشافعى من وقف الأمير على باشا انشاء على باشا سنة ١٠١٣ هـ .

بذلك وأخذوا منه فرمانا ، فورد بعد ذلك سلحدار الوزير وعلى يده أوامر بابطال المرتبات ، وأن من عاند فى ذلك يؤدبه الحاكم ، فأذعنوا بالطاعة ، فأراد الباشا نفى الثلاثة أنفار من اختيارية العزب ، فلم توافق العسكر . ثم اتفق العسكر على كتابة عرض بالاستعطاف بابقاء ذلك ، وسافر به سبعة أنفار من الأبواب السبعة .

ربيع الأول

الخميس غايته (٢٩ مايو ١٧١٠ م)

تقلد الأمير ايواز بيك امارة الحج عوضا عن ابراهيم بيك لضعف مزاجه ووهن قوته .

جمادى الأولى

أوائله (أوائل يوليه ١٧١٠ م) :

ورد من الديار الرومية مرسوم قرىء بالديوان مضمونه أن وزن الفضة المصرية زائد فى الوزن عن وزن اسلامبول ، والأمر بقطع الزائد ، وأن تضرب سكة الجنزرلى ظاهرة ، ويحرر عياره على ثلاثة وعشرين قيراطا .

رجب

٢ منه (٢٧ أغسطس ١٧١٠ م) :

حصلت زلزلة فى الساعة الثامنة .

وفيه ورد مرسوم بابقاء المرتبات التى عرض فى شأنها كما كانت ولكن لا يكتب بعد اليوم فى التذاكر أولاد وعيال ولا ترتب على جهة وقف .

١٥ منه (٩ سبتمبر ١٧١٠ م) :

ورد عزل ابراهيم باشا ، وولاية خليل باشا واقامة أيوب بيك قائمقام . ونزل ابراهيم باشا من القلعة الى منزل عباس أغا ببركة الفيل فكانت مدته ثمانية أشهر .

شعبان

١٠ منه (٤ اكتوبر ١٧١٠ م) :

وصل خليل باشا الكوسج ، وكان بصيدا من أعمال الشام فقدم بالبر

ذو القعدة

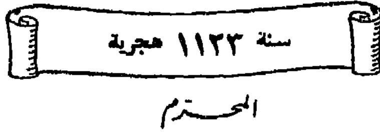
١٢ منه (٢ يناير ١٧١١ م) :

ورد أمر بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى وعليهم صنجق لسفر الموسقو ، وكانت النوبة على محمد بيك حاكم جرجا حالا ، فتعذر سفره ، فأقيم بدله اسماعيل بيك (١) تابع ذى الفقار بيك فقلدوه الصنجقية .

ذو الحجة

١٢ منه (أول فبراير ١٧١١ م) :

أمد محمد بيك اسماعيل بيك بأربعين كيسا مصرية وجعله بدلا عنه وألبس القفطان .



سنة ١١٢٣ هجرية

المحرم

الخميس مستهله (١٩ فبراير ١٧١١ م) :

(الموافق ١٤ من أمشير ــ ٧ شباط الرومى) .

فى ذلك اليوم انتقلت الشمس الى برج الحوت.

وفيه : نزل اسماعيل بيك بموكب وشق فى وسط القاهرة الى بولاق .

١٥ منه (٥ مارس ١٧١١ م) :

سافر اسماعيل بيك بالعسكر .

الجمعة ١٦ منه (٦ مارس ١٧١١ م) :

اجتمعت طائفة مصطفى كتخدا القزدغلى (٢)

---

(١) اسماعيل بيك زوج شقيقة حسن اغا بلفية ، وهما من الامراء الفقارية .

(٢) انحدرت المماليك الابراهيمية من القازدغلية ، وأستاذهم ابراهيم كتخدا تابع سليمان كتخدا القازدغلى تابع مصطفى كتخدا الكبير جد القازدغلية .

(محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ص ١٧)

ومعــه من أعيــان الينكجرية خمسة عشر نفرا ، واتفقوا أنهم لا يرضون افرنج أحمد باش أوده باشا . فاما أن يلبس الضلمة أو يكون جربجيا فى الوجاق ، وان لم يرض بأحــد الأمرين يخـرج المذكورون من الوجاق ويذهبـون الى أى وجاق شاءوا وكان الاجتماع بباب العزب ، وساعدهم على ذلك أرباب البلكات الستة ، وصمموا أيضا على رجوع الثمانية أنفار الذين كانوا أخرجوهم من باب الينكجرية ، ومشت الصناجق بينهم والاختيارية وصاروا يجتمعون تارة بمنزل قيطاس بيك الدفتردار ، وتارة بمنزل ابراهيم بيك أمير الحج سابقا . ثم أجمع رأى الجميع على نقــل الثمانيــة أنفــار المذكورين ومن انضم اليهم من الوجاقات الى باب العزب ، وأن يخرجوا أنفارا كثيرة من مصر منفيين منهم : ثلاثة من الكتخدائية وعشرة من الجربجية والباقى من الينكجرية ، وعرضوا فى شأن ذلك للباشا ، فاتفق الأمر على أن من كان منهم مكتوبا لسفر الموسقو فليذهب مع المسافرين ومن لم يكن مكتوبا فيعطى عرضه ويذهب الى باب العــزب . وحضر كاتب العزب والينكجرية فى المقابلة وأخرجوا من كان اسمه فى السفر وما عداهم أعطوهم عرضهم وتفرقوا عن ذلك . ووقع الحث على سفر من خرج اسمه فى المســافرين وعــدم اقامتهم بمصر ، وأن يلحقوا بالمسافرين بثغر الاسكندرية .

صــفر

١٣ منه (٢ ابريل ١٧١١ م) :

قدم ركب الحج صحبة أمير الحج ايواز بيك . وفيه : اجتمع حسن جاويش القزدغلى الذى كان سردار القطار والأمير سليمان جربجى تابع القزدغلى سردار الصرة ، وابراهيم جربجى سردار جداوى ، وطلبــوا عرضهم من باب مســتحفظان ، فذهب اليهم اختيارية بابهم واستعطفوهم فلم يوافقوهم ثم طلب موسى جــربجى تابع ابن الأمير مرزا أن يخرج أيضا من الوجاق وينقلوا اسمه من الجملية فلم يوافقه رضوان أغا ، فذهب موسى جربجى الى ابراهيم بيك وايواز بيك وقيطاس بيك ، وسألهم أن يتشفعوا له فى ذلك فلم يوافق رضوان أغا ، فاتفق رأيهم أن يعرضوا للباشا بأن يعزل رضوان أغا المذكور ويتولى على أغات الينكجرية سابقا ، وأن يعزل سليمان كتخدا الجاويشية ، ويولى عوضه اسماعيل أغا تابع ابراهيم بيك ، فامتنع الباشا من ذلك وكان اختيارية الجملية توافقوا مع الأمراء الصناجق على عزل رضوان أغا . فلما رأوا امتناع الباشا أخذوا الصندوق من منزل رضوان أغا . واجتمعوا بمنزل باشجاويش ، واجتمع أهل كل وجاق ببابهم ، واســتمروا على ذلك أياما . وأما الينكجرية الذين انتقلوا الى العزب فانهم اجتمعوا ببــاب العــزب وقطعوا الطريق الموصــلة الى القلعة ، ومنعوا من يريد الطلوع الى باب الينكجرية من العسكر والأتباع ، ولم يبق فى الطريق الموصلة الى القلعة الا باب المطبخ ، ثم توجهوا للسواقى لأجل منع الماء عن القلعة ، فمنعهم العســكر من الوصول اليها ، فكسروا خشب الســواقى التى بعرب اليسار ، وقطعوا الحبال والقواديس . ثم ان نفرا من أنفــار الينكجرية أراد الطلوع من طريق المحجر فضربوه وشجوا رأسه ومنعوه ، فمضى من طريق الجبل ودخل من باب المطبخ واجتمع بافرنج أحمد وبقية الينكجرية وعرفهم حاله ، فأخذه جماعة منهم وعرضــوا أمره على خليــل باشــا وقاضى العسكر . فقال : هؤلاء صاروا بغــاة خارجين عن الطاعــة حيث فعلوا ذلك ومنعونا المــاء والزاد وأخافوا الناس وسلبوهم ، فقــد جاز لنا قتالهم ومحاربتهم .

١٧ منه (٦ ابريل ١٧١١) :

ثم ان أحمد أوده باشا استأذن الباشا فى محاربة

باب العزب وضربهم بالمدافع والمكاحل فأذن له فى ذلك .

ومن ذلك الوقت تعـــوق القاضى عن النزول وأخافوه ، واستمر مع الباشا الى انقضاء الفتنة مدة سبعين يوما . ورجع افرنج أحمد وشرع فى المحاربة وضرب على باب العزب بالمدافع وذلك من بعـد الزوال الى بعد العشاء ، وقتل من طائفة العزب أربعة أنفار بالمحجر .

ثم فى صبيحة ذلك اليـوم اجتمع من الأمراء الصـناجق الأمير ايواز بيك أمير الحاج والأمير ابراهيم بيك أبو شنب وقانصوه بيك ومحمود بيك ومحمد بيك تابع قيطاس بيك الدفتردار ، واتفقوا على أن يلبسوا آلة الحرب ويذهبوا الى الرميلة معونة للعزب على الينكجرية ، فأخبروا أن أيوب بيك ركب مدافع على طريق المـارين على منزله وعلى قلعة الكبش ، وربما أنهم اذا طلعوا الى الرميلة يذهب أيوب بيك وينهب منازلهم ، فامتنعوا من الركوب وجلسوا فى منازلهم بسلاحهم خوفا من طارق

واستمر افرنج أحمد يحارب ثلاثة أيام بلياليها ، واجتمع على رضوان أغا طائفة من نفره ، وتذاكروا فيمن كان سببا لاثارة الفتنة فقالوا : سليم جربجى ومحمد افندى بن طلق ويوسف افندى وأحمـد جربجى توالى . فقالوا : لا نرضى هؤلاء الأربعة بعد اليوم أن يكونوا اختيارية علينـا . ثم ركبوا وتوجهوا الى منزل قيطاس بيك ، وأرسـلوا من كل بلوك اثنين من الاختيارية الى منزل أيوب بيك يطلبون رضوان أغا ، فأركبوه فى موكب عظيم ، وكتبوا تذاكر للأربعة الاختيارية المذكورين بأنهم يلزمون بيوتهم ولا يركبون لأحد ولا يجتمع بهم أحد . ثم ركب رضوان أغا الى منزل أيوب بيك وتذاكروا فى الصلح ، وكتبوا تذكرة لأحمد أوده باشا بابطال الحرب فأبى الصلح ، فكتبوا عرضا الى الباشا عن لسان الصناجق وأغوات الوجاقات الخمسة برفع المحاربة فأرسل الباشا الى الينكجرية فامتثلوا أمره وأبطلوا الحرب وضرب المدافع .

ثم ان الصناجق والأغوات أرسلوا يطلبون جماعة من اختيارية الينكجرية ليتكلموا معهم فى الصلح فأجابوا الى الحضور غير أنهـم تعللوا بانقطاع الطريق من العسكر المقيمين بالمحجر ، فأرسلوا الى حسن كتخدا العزب ، فأرسل اليهم من أحضرهم وخلت الطريق . فاجتمع رأى الينكجرية على ارسال حسن كتخدا سابقا وأحمد بن مقز كتخدا سابقا أيضا فاجتمعوا بالعسكر والصناجق بمنزل اسماعيل بيك ، وحضر معهم جميع أهل الحـل والعقـد ، وتشاوروا فى اخماد هذه الفتنة ، وأرسلوا الى باب الينكجرية فقالوا : « نحن لا نأبى الصلح بشرط أن هؤلاء الثمانية الذين كانوا سببا لاثارة هـذه الفتنة لا يكونون فى باب العزب ، بل يذهبـون الى وجاقاتهم الأصلية ولا يقيمون فيه ، وأن يسلموا الأمير حسن الأخميمى للباشا يفعل فيه رأيه » فأبى أهل باب العزب ذلك ولم يرضوه ، فأرسل الأمراء الصناجق كتخداتهـم الى افرنج أحمـد ومعهـم اختيارية الوجاقات الخمسة يشفعون عنـده بأن الأنفار الثمانية يرجعون كما ذكرتم الى وجاقاتهم ويعفون من النفى ومن طلب الأمير حسن . فلم يوافق افرنج أحمـد على ذلك وقال : « ان لم يرضوا بشرطى والا حاربتهم ليلا ونهـارا الى أن أخفى آثار ديار العزب » . فتفرقوا على غير صلح .

ربيع الأول

٤ منه (٢٢ ابريل ١٧١١ م) :

ثم اجتمع الأمراء الصـناجق والأغوات بمنزل ابراهيم بيك بقناطر السباع ، وتذاكروا فى اجراء الصلح على كل حال ، وكتبوا حجة على أن من

صدر منه بعد اليوم مايخالف رضا الجماعة يكون خصم الجماعة المذكورين جميعا . وكلموا أيوب بيك أن يرسل الى أفرنج أحمد بصورة الحال ، وأن يمنع المحاربة الى تمام الأمر المشروع ، فبطل الحرب نحو خمسة عشر يوما .

وأخذ افرنج أحمد مدة هذه الأيام فى تحصين جوانب القلعة وعمل متاريس ونصب مدافع وتعبية ذخيرة وجبخانة وملأوا الصهاريج . وحضر فى أثناء ذلك محمد بيك حاكم الصعيد ، ونزل بالبساتين فأقام ثلاثة أيام ودخل فى اليوم الرابع ومعه السواد الأعظم من العرب والمغاربة والهوارة ، ونزل ببيت آق بردى بالرميلة ، وحارب من جامع السلطان حسن (١) من منزل يوسف أغات الجراكسة سابقا ، فلم يظفر وقتل من جماعته نحو ثلاثين نفرا وظهر عليه محمد بيك المعروف بالصغير تابع قيطاس بيك مع من انضم اليه من أتباع ابراهيم بيك وابواز بيك ومماليكه ، وكانوا تترسوا فى ناحية سوق السلاح (٢) ووضعوا المتاريس فى شبابيك الجامع ، وانتقل من محله وذهب الى طولون وتترس هناك وهجم على طائفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمنين على حين غفلة وصحبته ذو الفقار تابع أيوب بيك فوقع بينهم مقتلة عظيمة من الفريقين ، فلم يطق العزب المقاومة فتركوا السبيل وذهبوا الى باب العزب وربط محمد بيك جماعة من عسكره فى مكانهم .

ثم ان الشيخ الخليفى طلع الى باب الينكجرية وتكلم مع أحمد أوده باشا والاختيارية فى أمر الصلح ، فقام عليه أفرنج أحمد وأسمعه مالا يليق ، وأرسل الى الطبجية وأمرهم بضرب المدافع على

(١) تجاه قلعة الجبل ، ابتدأ عمارته السلطان حسن سنة ٧٥٧ هـ .

(٢) هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية وبين قصر بشتاك . استجد فيما بعد الدولة الفاطمية فى خط بين القصرين وجعل لبيع القسى والنشاب .

حين غفلة ، فانزعج الناس وقاموا وقام الشيخ ومضى . وأما سكان باب العزب فانهم أخذوا ما أمكنهم من أمتعتهم وتركوا منازلهم ونزلوا المدينة وتفرقوا فى حارات القاهرة ، وحصل عند الناس خوف شديد ، وأغلقوا الوكائل والخانات والأسواق ، ورحل غالب السكان القريبين من القلعة مثل جهة الرميلة والحطابة والمحجر خوفا من هدم المنازل عليهم . وكان الأمر كما ظنوه فان غالبها هدم من المدافع واحترق ، والذى سلم منها حرقه عسكر طوائف الينكجرية بالنار ، ولم يصب باب العزب شىء من ذلك ما عدا مجلس الكتخدا فانه انهدم منه جانب وكذلك موضع الأغا لا غير .

ثم ان افرنج أحمد توافق مع أيوب بيك وعينوا عمر أغات جراكسة وأحمد أغا تفكجيان ورضوان أغا جمليان فقعدوا بمن انضم اليهم بالمدرسة بقوصون وجامع مزدادة بسويقة العزى (١) وجامع قجماس بالدرب الأحمر ليقطعوا الطريق على العزب . واختار افرنج أحمد نحو تسعين نفرا من الينكجرية وأعطى كل شخص دينارا طرلى وأرسلهم بعد الغروب الى الأماكن المذكورة .

فأما رضوان أغا فانه تعلل واعتذر عن الركوب . وأما أحمد أغا فانه توجه الى المحل الذى عين له ، فتحارب مع طائفة من الصناجق والعزب فى الجنابكية . وأما الذين ربطوا بجامع مزدادة فلم يأتهم أحد الى الصباح فأخذوا الفطور من الذاهبين به الى باب العزب .

وفى أثناء ذلك نزل رجل أوده باشا من العزب من السلطان حسن يريد منزله ، فقبض عليه طائفة من الأخصام وسلبوه ثيابه وتركوه بالقميص وأرسلوه الى افرنج أحمد . فلما بلغ العزب ذلك أرسلوا طائفة

(١) نسبة الى الأمير عز الدين ايبك العزى نقيب الجيوش . وهى خارج باب زويلة ، قريبا من قلعة الجبل ، فيما بين الباب الجديد والحارات وبركة الفيل وبين قلعة الجبل .

منهم الى المقيمين بجامع مزدادة فدخلوا من بيت الشريف يحيى بن بركات ونقبوا منزل عمر كتخدا مستحفظان اذ ذاك وما بجواره من المنازل الى أن وصلوا منزل مراد كتخدا ، فبمجرد مارآهم العسكر الذين بجامع مزدادة فروا .

وأما عمر أغات جراكسة المقيم بجامع قجماس فانه وزع أتباعه جهة باب زويلة وجهة التبانة (١) ، فحصل لأهل تلك الخطة خوف شديد ، خصوصا من كان بيته بالشارع . فأرسلت العزب صالح جربجى الرزاز بجملة من عسكر العزب ومن انضم اليهم من الينكجرية الذين انقلبوا الى العزب ، كأتباع الأمير حسن باشجاويش سابقا والأمير حسن جاويش تابع القزدغلى والأمير حسن جلب كتخدا ، وجماعة محمد جاويش كدك ، فحاربوا من بجامع قجماس ، واستولى صالح جربجى عليه وعلى المتاريس التى بشبابيكه ، وملك الأمير حسن جاويش تابع القزدغلى جامع المردانى وأقام به ، وحسن جاويش جلب أقام بجامع أصلم وانتشرت طوائفهم بتلك الأخطاط والأماكن فاطمأن الساكنون بها . وأما عمر أغا الجراكسة فانه لما فر من جامع قجماس ذهب الى جامع المؤيد (٢) داخل باب زويلة . ثم ان محمد بيك أرسل بطلبه فركب ومر على أحمد أغا التفكجية ، فأركبه معه وذهبا الى محمد بيك الصعيدى بالصليبة . وحصل لأهل خط قوصون خوف عظيم بسبب اقامة أحمد أغا بالسلمانية ، ورحل غالبهم من المنازل ، فلما رحل عنهم اطمأنوا وتراجعوا .

وحضرت طائفة من المتفرقة الى محل أحمد أغا التفكجية ، وعملوا متاريس على رأس عطفة الحطب ومكثوا هناك أياما قلائل ثم رحلوا عنها فأتى على

(١) تبدأ من عند المفارق التى بجوار جامع عارف باشا وتنتهى اول شارع باب الوزير بجوار جامع ابراهيم اغا .

(٢) بجوار باب زويلة من داخله . انشاه السلطان الملك المؤيد ابو النصر .

كتخدا الساكن بالداودية بطائفة من العزب فتملكوا ذلك الموضع وجلسوا به

ثم ان طائفة من المتفرقة والأسباهية هجموا على منزل الأمير قرا اسماعيل كتخدا مستحفظان ، فدخلوا من بيت مصطفى بيك بن ايواز ونقبوا الحائط بينه وبين منزل قرا اسماعيل كتخدا ، فلما وصل الخبر الى العزب عينوا له بيرقا من عسكر العزب ورئيسهم أحمد جربجى تابع ظالم على كتخدا فلم يمكنه الدخول من جهة الباب فخرق صدر دكان وتوصل منه الى منزل أحمد افندى كاتب الجراكسة سابقا ، ثم نقبوا منه محلا توصلوا منه الى منزل اسماعيل كتخدا ودخلوا على طائفة البغاة فوجدوهم مشغولين فى نهب أثاث المنزل المذكور ، فهجموا عليهم هجمة واحدة ، فألقوا ما بأيديهم من السلب ورجعوا القهقرى الى المحل الذى دخلوا منه من بيت مصطفى بيك ، فتبعوهم وتقاتل الفريقان الى أن كانت الدائرة على المتفرقة والأسباهية ، ونهب العزب منزل مصطفى بيك لكونه مكن البغاة من الدخول الى منزله ، ولكونه كان مصادقا لأيوب بيك .

ثم ان أحمد جربجى المذكور انتقل بمن معه من العسكر الى قوصون ودخل جامع الماس (١) وتحصن به ، وكان محمد بيك حاكم جرجا يمر من هناك ويمضى الى الصليبة ، فانتهز أحمد جربجى فرصة ، وهو أنه وجد منزل حسين كتخدا الجزايرلى خاليا فدخل فيه فرأى داخله قصرا متصلا بمنزل محمد كتخدا عزبان المعروف بالبيرقدار بعلو دهليز منزله وطبقاته تشرف على الشارع . فكمن فيه هو وطائفة ممن معه ليغتال محمد بيك اذا مر به . واذا بمحمد بيك قد خرج من عطفة الحطب مارا الى جهة الصليبة فضربوه بالبندق فأصيب أربعة من طائفته فقتلوا ، فظن أن الرصاص أتاه من منزل محمد

(١) هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ، بناء الامير سيف الدين الماس الحاجب ، وكمل فى سنة ٧٣٠ هـ .

كتخدا البيرقدار فوقف على بابه وأضرم النار فيه ، فاحترق أكثر المنزل ونهبوا ما فيه من أثاث ومتاع ثم ان النار اتصلت بالأماكن المجاورة له والمواجهة فاحترقت البيوت والرباع والدكاكين التى هنــاك من الجهتين من جامع الماس الى تربة المظفر يمينــا وشمالا وأفسدت ما بها من الأمتعــة ، والذى لم يحترق نهبته البغاة . وخرجت النســـاء حواسر مكشفات الوجوه ، فاستولى أحمد جربجى على جامع الماس ، وعلى كتخدا الساكن بالداودية أقام بالمدرسة السليمانية . وأما أطراف القاهرة وطرقها فانها تعطلت من المارة وعلى الخصوص طريق بولاق ومصر العتيقة والقرافة لكون أيوب بيك أرسل الى حبيب الدجوى يستعين به ، فحضر منهم طائفة ، وكذلك أخـلاط الهوارة (١) الذين حضروا من الصـعيد صحبة محمد بيك فاحتاطوا بالأطـراف يسلبون الخلق ، واستاقوا جمال السقائين حتى كاد أهل مصر يموتون عطشا .

وصار العسكر فرقتين : ايواز بيك (٢) وقيطاس بيك (٣) الدفتردار وابراهيم بيك أمير الحاج سابقا ومحمد بيك وقانصوه بيك وعثمان بيك بن سليمان بيك ومحمود بك ، وبلكات الأسـباهية الثلاثة والجاويشية والعزب عصبة واحــدة وأيوب بيك ومحمـد بيك الكبير وأغوات الأسباهية من غير الأنفار ومحمد أغا متفرقة باشا وأهل بلكه وسليمان أغا كتخدا الجاويشـية وبلك الينكجرية المقيمين بالقلعة صحبة افرنج أحمد والباشا وقاضى العسكر الجميع عصبة واحــدة . وأخـذوا عنـدهم نقيب الأشراف بحيلة واحتبسوه عندهم ، وأغلقوا جميع أبواب القلعة ماعدا باب الجبل ، وامتنع الناس من النزول من القلعة والطلوع اليها الا من الباب المذكور. واستمر أفرنج أحمد ومن معه يضربون المدافع على باب العزب ليلا ونهارا ، وبباب العزب خلق كثيرون منتشرون حوله ، وما قاربه من الحارات ، ورتبوا لهم جوامك تصرف عليهم كل يوم .

فلما طال الأمر اجتمع الأمراء الصناجق بجامع بشتاك (١) بدرب الجماميز ،واتفقوا على عزل الباشا واقامة قائمقام من الأمراء : فأقاموا قانصــوه بيك قائمقام نائبا . وولوا أغوات البلكات وهم الأسباهية الثـــلاثة ، فولوا على الجمليـــة صالح أغا ، وعلى الجراكسة مصطفى أغا ، وعلى التفكجية محمد أغا ابن ذى الفقار بيك ، واسماعيل أغا جعلوه كتخدا الجاويشية ، وعبد الرحمن أغا متفرقة باشا ، وقلدوا الزعامة الأمير حسن الذى كان زعيما وعزله الباشا بعبد الله أغا . فلما أحكموا ذلك وبلغ الخبر طائفة الينكجرية الذين بالقلعــة توجهوا الى خليل باشا وأخبروه بالصورة ، فكتب لأغوات البلكات الثلاث ومتفرقة باشا يأمرهم بمحاربة الصناجق ومن معهم لكونهم بغاة خارجين على نائب السلطان . ثم اتفق مع افرنج أحمد على اتخاذ عسكر جديد يقال لهم سردن كچدى ويعطى لكل من كتب اسمه خمسة دنانير وخمسة عثامنة ، فكتبوا ثمانمائة شـــخص وعلى كل مائة بيرقدار ورئيس يقال له أغات السردن كچدى .

ثم ان محمد بيك الصعيدى اتفق مــع افرنج أحمد بأن يهجم على طائفة العزب من طريق قراميدان ويكسر باب العزب المتوصل منه الى قراميـــدان ويهجم على العزب . ووصل خبر ذلك الى العزب فاستعدوا له وكمنوا قريبا من الباب المذكور ، فلما كان بعد العشاء الأخيرة هجموا على الباب المذكور وكان العزب أحضروا شيئا كثيرا من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والـكبريت . فلمــا تكامل

(١) اختلف المؤرخون فى أصل عرب الهوارة ويذكر المقريزى فى كتابه « البيان والاعراب عما بارض مصر من الأعراب » ص ٢٣ـ٥٨ أن الظاهر برقوق اقطع كبيرهم ارضا بناحية جرجا حوالى سنة ٧٨٢ هـ وكانت خرابا فعمروها

(٢) والد الأمير اسماعيل بيك وأصل اسمه « عوض » تحرفت باعوجاج التركية الى ايواز وهو جركسى الجنس قاسمى ، تابع مراد بيك الدفتردار . تولى الامارة فى سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م)

(٣) مملوك ابراهيم بيك ذى الفقار كريدلى الجنس تولى امارة الحج ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) .

(١) انشىء فى سنة ٧٣٦ هـ

عسكر محمد بيك أوقدوا النار فى ذلك الحطب ، فأضاء لهم قراميدان وصار كالنهار ، ثم ضربوهم بالبندق ففروا ، فصار كل من ظهر لهم ضربوه ، فقتلوا منهم طائفة كثيرة وولوا منهزمين .

ثم ان قانصوه بيك (١) صار يكتب بيورلديات وأوامر ويرسلها الى محمد بيك الصعيدى يأمره بالتوجه الى ولايته آمنا على نفسه وتحصيل ماعليه من الأموال السلطانية ، فأرعد وأبرق .

ثم ان جماعة من العزب آخذوا حسن الوالى المولى من طرف قائمقام مصر وذهبوا — وصحبتهم جماعةمن أتباع الأمراء الصناجق — الى باب الوالى ليملكوه . قلما بلغ الخبر عبد الله أغا الوالى أخذ فرشه وفر الى بيت أيوب بيك وفر الأوده باشا أيضا فلما لم تجد العزب أحدا فى بيت الوالى توجهوا لمنزل عبد الله الوالى لينهبوه ، فقام عليهم جماعة من أتباع سليمان كتخدا الجاويشية ومن بجوارهم من الجند فهزموا العزب وقتلوا منهم رجلا ، فأقام حسن الوالى بباب قيطاس بيك الدفتردار ، فلما اتسع الخرق أرسل الباشا الى ابراهيم بيك وايواظ بيك وقيطاس بيك يطلبهم الى الديوان ليتداعوا مع الينكجرية . فلما حضر تابع الباشا وقرأ عليهم الفرمان أجابوا بالسمع والطاعة ، واعتذروا عن الطلوع بانقطاع الطرق من الينكجرية وترتيب المدافع ولولا ذلك لتوجهنا اليه . فلما يئس الباشا منهم اتفق مع أيوب بيك (٢) ومن انضم اليه من العسكر على محاربتهم وبرز الجميع الى خارج البلد .

ربيع الأول

٣ منه (٢١ ابريل ١٧١١ م) :

أرسلوا أيوب بيك ومحمد بيك الى العزبان ليأخذوا جمال السقائين وحميرهم ، ومنع الماء عن البلد فأخذوا جميع ما وجدوه ، فعز الماء ووصل ثمن القربة خمسة أنصاف فضة . فأمر الأمراء الآخرون طائفة من العسكر أن يركبوا الى جهة قصر العينى ويستخلصوا الجمال ممن نهبهم ، فتوجهوا وجلسوا بالمصاطب ينتظرون من يمر عليهم بالجمال . فلما بلغ محمد بيك حضورهم هناك جمع طائفة هوارة وهجموا عليهم وهم غير مستعدين ، فاندهشوا ودافعوا عن أنفسهم ساعة ثم فروا ، وتأخرعنهم جماعة لم يجدوا خيلهم لكون سواسهم أخذوها وفروا فقتلهم محمد بيك وأرسل رؤوسهم للباشا فانسر سرورا عظيما وأعطى ذهبا كثيرا . فلما رجع المنهزمون الى منزل قانصوه بيك وايواظ بيك لم يسهل بهم ذلك ، واتفقوا على البروز اليهم .

ربيع الآخر

الاثنين ١٤ منه (١ يونيو ١٧١١ م) :

خرج الفريقان الى جهة قصر العينى والروضة فتلاقيا وتحاربا وتقاتلا قتالا عظيما تجندلت فيه الأبطال وقتل من الجند خاصة زيادة عن الأربعمائة نفر من الفريقين خلاف العربان والهوارة وغيرهم .

وقصد ايواظ بيك محمد بيك الصعيدى فانهزم الى جهة المجراة فساق خلفه . وكان الصعيدى قد أجلس أنفارا فوق المجراة مكيدة وحذرا ، فضربوا علي ايواظ بيك بالرصاص ليردوه فأصيب برصاصة فى صدره فسقط عن جواده وتفرقت جموعه وأخذ الأخصام رأسه وبينما القوم فى المعركة اذ ورد عليهم الخبر بموت ايواظ بيك فانكسرت نفوسهم وذهبوا فى طلبه نوجدوه مقتولا مقطوع الرأس ، فحمله أتباعه . حم القوم الى منازلهم .

ولما قطعوا رأس ايواظ بيك وذهبوا بها الى محمد بيك قال : هذه رأس من ؟ قالوا : رأس قلينهم (١) ايواظ بيك ، فأخذها وذهب بها عند

(١) تابع قيطاس بيك الكبير الدفتردار .

(٢) كان ممن تسبب فى اثارة الفتنة مع افرنج احمد . تولى الامارة سنة ١١٠٧ هـ وطلع بالحج عشر مرات . مات سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م)

(١) زعيمهم

أيوب بيك ورضوان ، فقال أيوب بيك : هذه رأس من ؟ قال : رأس قليدهم . فبكى أيوب بيك وقال : حرم علينا عيش مصر . قال محمد بيك : هذا رأس قليدهم وراحت عليهم . قال له أيوب بيك : أنت ربيت فين ؟ أما تعلم أن ايواظ بيك وراءه رجال وأولاد ومال ، وهذه الدعوة ليس للقاسمية فيها جناية . والآن جرى الدم فيطلبون ثأرهم ويصرفون مالا ولا يكون الا مايريده الله .

ولما ذهبوا بالرأس الى الباشا فرح فرحاشديدا وظن تمام الأمر له ولمن معه ، وأعطى ذهباوبقاشيش ، ودفنوا ايواظ بيك ، وطلبوا من أيوب بك الرأس فأرسلها لهم بعدما سلخها الباشا فدفنوها مع جثته .

ثم ان أيوب بيك كتب تذكرة وأرسلها الى ابراهيم أبو شنب يعزيه فى ايواظ بك . ويقول له : ان شاء الله تعالى بعد ثلاثة أيام نأخذ خاطر الباشا ويقع الصلح . وأرادوا بذلك التثبيط حتى يأخذوا من الباشا دراهم يصرفونها ويرتبوا أمرهم .

وأما ما كان من أمر أتباع ايواظ بيك فركب يوسف الجزار وأخذ معه اسماعيل بن ايواظ بيك المتوفى وأحمد كاشف وذهبوا عند قانصوه بيك فوجدوا عنده ابراهيم بيك وأحمد بيك مملوكه وقيطاس بيك وعثمان بيك بارم ذيله ومحمد بيك الصغير المعروف بقطامش جالسين وعليهم الحزن والكآبة . فلما استقر بهم الجلوس بكى قيطاس بيك . فقال له يوسف الجزار : وايش فائدة البكاء ؟ دبروا أمركم . قالوا : كيف العمل ؟ قال يوسف الجزار : « هذه الواقعة ليس لنا فيها علاقة . أنتم فقارية فى بعضكم ، واننا الآن انجرحنا ومات منا واحد خلف ألفا وخلف مالا . اعملونى صنجقا وأمير حاج وسر عسكر واعملوا ابن سيدى اسماعيل صنجقا يفتح بيت أبيه وفيه البركة . وأعطونى فرمانا من الذى جعلتموه قائمقام وحجة من نائب الشرع الذى أقمتموه أيضا عن الذى سقطت عدالته ، أنه سقط عنه حلوان البلاد ، ونحن نصرف الحلوان على العسكر والله يعطى النصر لمن يشاء من عباده » .

ففعلوا ذلك وراضوا أمورهم فى الثلاثة أيام وتهيأ الفريقان للمبارزة .

السبت ١٩ منه (٦ يونيو ١٧١١ م) :

خرجوا فى هذا اليوم ، وكان أيوب بيك حصن منزله ، فاتفق رأيهم على محاربة العسكر المجتمعة أولا ثم محاصرة المنزل ، فخرج أيوب بيك على جهة طولون ووقعت حروب وأمور ، ثم رجعوا الى منازلهم .

فلما رأى طائفة العزب تطاول الأمر وعدم التوصل الى القلعة وامتناع من فيها ، وضرب المدافع عليهم ليلا ونهارا ، أجمع رأيهم على أن يولوا كتخدا على الينكجرية ويجلسوه بباب الوالى بطائفة من العسكر وينادوا فى الشوارع بأن كل من كانت له علوفة فى وجاقات مستحفظان يأتى تحت البيرق بالبوابة ، ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام ينهب بيته . ففعلوا ذلك وعملوا حسن جاويش قريب المرحوم جلب خليل كتخدا لكونها نوبته ، وألبسه قانصوه بيك قائمقام قفطانا وركب وأمامه الوالى والبيرق والعسكر والمنادى أمامه ينادى بما ذكر الى أن نزل بيت الوالى وأحضروا الأودة باشا المتولى اذ ذاك وأجلسوه محله ، وطاف البلد بطائفته وكذلك العسكر .

الخميس ٢٤ منه (١١ يونيو ١٧١١ م) :

هجمت الينكجرية من البذرم على باب العزب ، ومعهم محمد بيك الكبير وكتخدا الباشا وأفرنج أحمد فعندما نزل أولهم من البذرم وكان العزب قد أعدوا فى الزاوية التى تحت قصر يوسف مدفعين ملآنين بالرش والفلوس الجدد — فضربوا عليهم فوقع محمد أغا سركدك والبيرقدار وأنفار منهم فولوا منهزمين يطأ بعضهم

بعضا ، فأخذت العزب رءوس المقتولين فأرسلوها الى قانصوه بيك .

الخميس ٢٤ منه (١١ يونيو ١٧١١ م) :

ثم ان قائمقام والصناجق اتفقوا على تولية على أغا مستحفظان لضبطه واهتمامه . فلما أرسلوا له أبى أن يقبل ذلك ، فتغيب من منزله ، فركب يوسف بيك الجزار ومحمد بيك الصغير وعثمان بيك فى عدة كبيرة ودخلوا على منزل على أغا فلم يجدوه ، وأخبروا بالمكان الذى هو فيه فطلبوه ، فأتى بعد امتناع وتخويف ، وتوجه معهم الى قائمقام فألبسه قفطان الأغاوية .

وعاد الى منزله بالقفطان يقدمه العسكر مشاة بالسلاح والملازمون معلنين بالتكبير وبلفظ الجلالة كما هى عادتهم فى المواكب .

وفى صبيحة ذلك اليوم عين قائمقام بمعرفة حسن كتخدا مستحفظان طائفة من العسكر الى بولاق صحبة أحمد جربجى ليجلسوه فى التكية وصحبته والى بولاق وأغا من المتفرقة عوضا عن أغات الرسالة الذى بها من جانب الباشا ، فأجلسوه فى منزله ونهبوا ماوجدوه لأغات الرسالة الأول من فرش وأمتعة وخيل وغير ذلك .

السبت ٢٦ منه (١٣ يونيو ١٧١١ م) :

فى الصباح خرج الفريقان الى خارج القاهرة من باب قناطر السباع واجتمعوا بالقرب من قصر العينى ومعهم المدافع وآلات الحرب ، فتحارب الفريقان من ضحوة النهار الى العصر ، وقتل من الفريقين من دنا أجله وأيوب بيك ومحمد بيك بالقصر ، ثم تراجع الفريقان الى داخل البلد ، وتأخرت طائفة من العزب فأتى اليهم محمد بيك الصعيدى واحتاط بهم وحاصرهم . وبلغ الخبر قانصوه بيك فأرسل اليهم يوسف بيك ومحمد بيك وعثمان بيك فتقاتلوا مع محمد بيك الصعيدى وهزموه وتبعوه الى قنطرة السد (١) .

وقد كان أيوب بيك داخل التكية المجاورة لقصر العينى فلما رأى الحرب ركب جواده ونجا بنفسه ، فبلغ يوسف بيك أنه بالتكية فقصدوه واحتاطوا بالقصر فأخبرهم الدراويش بذهابه فلم يصدقوهم ، ونهبوا القصر وأخربوه وأحرقوه وعادوا الى منازلهم .

وفى صبيحة يوم الأحد ذهب يوسف بيك الجزار ونهب غيط افريج أحمد الذى بطريق بولاق ، ثم اجتمعوا فى محل الحرب وتحاربوا ولم يزالوا على ذلك . وفى كل يوم يقتل منهم ناس كثير .

جمادى الأولى

فى ٢ منه (١٨ يونيو ١٧١١ م) :

اجتمع الأمراء الصناجق بمنزل قائمقام وتنازعوا بسبب تطاول الحرب وامتداد الأيام ، ثم اتفقوا على أن ينادوا فى المدينة بأن من له اسم فى وجاق من الوجاقات السبعة ولم يحضر الى بيت أغاته نهب ماله وقتل . وأمهلوهم ثلاثة أيام ونودى بذلك فى عصريتها .

وكتب قائمقام بيورلدى الى من فى القلعة من طائفة الينكجرية والكتخدائية والجربجية والأوده باشية والنفر بأننا أمهلناكم ثلاثة أيام ، فمن لم ينزل منكم بعدها ولم يمتثل نهبنا داره ، وهدمناها ، وقتلنا من ظفرنا به . ومن فر رفعنا اسمه من الدفتر ... فتلاشى أمرهم واختلفت كلمتهم .

٤ منه (٢٠ يونيو ١٧١١ م) :

خرج الأمراء والأغوات الى محل الحرب ، وأرسلوا طائفة كبيرة من العسكر المشاة لمحاصرة منزل أيوب بيك ، فتحارب الفرسان الى آخر النهار. وأما الرجالة فانهم تسلقوا من منزل ابراهيم بيك

---

(١) من أهم قناطر الخليج الكبير ، وهى التى كان يتوصل بها الى منشاة المهرانى وغيرها من شاطىء الخليج الغربى .

(الدكتور عبد الرحمن زكى ـ القاهرة)

وتوصلوا الى منزل عمر آغا الجراكسة فتحاربوا مع من فيه الى أن أخلوه ودخلوا فيه وشرعوا ليلا فى نقب الربع المبنى على علو منزل أيوب بيك ، فنقبوه وكمنوا فيه .

٦ منه (٢٢ يونيو ١٧١١ م) :

اجتمع العساكر بمنزل قائمقام بالأسلحة وآلات الحرب ، وأرسلوا طائفة الى جبل الجيوشى فركبوا مدافع على محل الباشا ، ومدافع على قلعةالمستحفظان ، وأحاطوا بالقلعة من أسفل ، وضربوا ستة مدافع على الباشا ، ورموا بنادق . فنصب الباشا بيرقا أبيض يطلب الأمان . وفر من كان داخل القلعة من العسكر . فبعضهم نزل بالحبال من السور وبعضهم خرج من باب المطبخ . فعند ذلك هجمت العساكر الخارجة على الباب ودخلوا الديوان ، فأرسل الباشا القاضى ونقيب الأشراف يأخذان له أمانا من الصناجق والعسكر ، فتلقوهما وأكرموهما وسألوهما عن قصدهما فقالا لهم : « ان الباشا يقرئكم السلام ويقول لكم : انا كنا اغتررنا بهؤلاء الشياطين وقد فروا . والمراد أن تعلمونا بمطلوبكم فلا نخالفكم » . فقالوا لهما : « أعلموه أن الصناجق والأمراءوالأغوات والعسكر قد اتفقوا على عزله ، وأن قانصوه بيك قائمقام . وأما الباشا فانه ينزل ويسكن فى المدينة الى أن نعرض الأمر على الدولة ويأتينا جوابهم » .

فأرسل القاضى نائبه الى الباشا يعرفه عن ذلك فأجابه بالطاعة واستأمنهم على نفسه وماله وأتباعه ، وركب من ساعته فى خواصه يقدمه قائمقام وأغات مستحفظان عن يمينه وأغات المتفرقة عن شماله واختيارية الوجاقات من خلفه وأمامه . ونزل من باب الميدان وشق من الرميلة على الصليبة والعامةقد اصطفت يشافهونه بالسب واللعن الى أن دخل بيت على أغا الخازندار بجوار المظفر . وهجم العسكر على باب مستحفظان فملكوه ونهبوا بعض أسباب حسين أغا مستحفظان .

وخرج حسين أغا من باب المطبخ ، فلما رآ يوسف بيك أشار الى العسكر فقطعوه وقطعوا اسماعيل افندى بالمحجر ، وكذلك عمر أغات الجراكسة بحضرة اسماعيل بن ايواظ . وخازنداره ذو الفقار وقع فى عرض بلديه على خازندار وحسن كتخدا الجلفى ، فحماه من القتل .

وذو الفقار هذا هو الذى قتل اسماعيل بيك ابن ايواظ وصار أميرا ، فقتلوه بباب العزب ، ونزل أفرنج أحمد وكجك أحمد أوده باشا الى المحجر متنكرين فعرفهما الجالسون بالمحجر فقبضوا عليهما وذهبوا بهما الى باب العزب ، وقطعوا رؤوسهما ، وذهبوا بهما الى بيت ايواز بيك ، وطلع على أغا الى محل حكمه وطلع حسن كتخدا من باب الوالى وأمامه العساكر بالأسلحة الى باب مستحفظان والبيرق أمامه ، ونزل جاويش الى أحمد كتخدا برمقس فوجده فى بيت اسماعيل كتخدا عزبان فأخذه وطلع به الى الباب فخنقوه وأخذوه الى منزله فى تابوت ، وركب على أغا وأمامه الملازمون بالبيرشان فطاف البلد وأمر بتنظيف الأتربة وأحجار المتاريس وبناء النقوب ، وألبس قائمقامأغوات البلكات السبعة قفاطينوطلع الذين كانوا بباب العزب من الينكجرية الى بابهم وعدتهم ستمائة انسان .

١١ منه (٢٧ يونيو ١٧١١ م) :

لبس يوسف بيك الجزار (١) على امارة الحاج ، ومحمود بيك على السويس ، وعين يوسف بيك المذكور ومصطفى آغات الجراكسة للتجريدة على الشرقية .

فى ١٤ منه (٣٠ يونيو ١٧١١ م) :

لبس محمد بيك الصغير على ولاية الصعيد ،

(١) تابع الأمير ايواظ بيك ، تقلد الامارة والصنجقية فى سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) وتولى الدفتردارية سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥م) وقع له مع العرب عدة وقائع وقتل منهم الوفا ولذلك سمى بالجزار .

وخرج من بيته بموكب الى الأثر ، وصحبته الطوائف الذين عينوا معه من السبعة بلكات بسرداریاتهم وبيارقهم وعدتهم خمسمائة نفر . منهم مئتان من الينكجرية والعزب ، وثلثمائة نفر من الخمسة بلكات أعطوا لكل نفر من المائتين ألف نصف فضة ترحيلة ، ولكل شخص من الثلثمائة ، ألف وخمسمائة نصف فضة .

١٥ منه (١ يوليو ١٧١١ م) :

فى الصباح حملوا حملة واحدة على منزل أيوب بيك وضربوا البنادق فلم يجدوا من يمنعهم بل فر كل من فيه وركب أيوب بيك وخرج هاربا من باب الجبل فلم يعلم أين يتوجه. فملكوا منزله ونهبوه مع كونه كان مستعدا وركب فى أعالى منزله المدافع ، وفى قلعة الكبش فأرسل له افرنج أحمد بيرقا وعساكر فلم يفده ذلك شيئا ونهبوا أيضا منزل أحمد أغا التفكجية بعدما قتلوه ببيت قائمقام ولحق من لحق بأيوب بيك وفر الجميع الى جهة الشام .

وفر محمد بيك الى جهة الصعيد ووقع النهب فى بيوت من كان من حزبهم ونهبوا بيت يوسف أغا ناظر الكسوة سابقا وبيت محمد أغات متفرقة باشا وبيت محمد بيك الكبير وأحرقوه وبيت جربجى القونيلى وأحرقوا بيت أيوب بيك وما لاصقه من الربع والدكاكين .

جمادى الآخرة

فى ٤ منه (٢٠ يوليو ١٧١١ م) :

سافر الجميع ، وكان محمد بيك الكبير خرج مقبلا وصحبته الهوارة ، فخرج وراءه يوسف بيك الجزار وعثمان بيك بارم ذيله ومحمد بيك قطامش فوصلوا دير الطين ، فلاقاهم شيخ الترابين فأخبرهم أنه مر من ناحية التبين نصف الليل ، فرجعوا الى منازلهم .

وبلغهم فى حال رجوعهم أن خازندار رضوان أغا تخلف عند الدراويش بالتكية فقبضوا عليه وقطعوا دماغه .

ولم يزل محمد بيك الصعيدى حتى وصل اخميم وصحبته الهوارة وقتل ما بها من الكشاف ونهب البلاد وفعل أفعالا قبيحة ، ثم ذهب الى أسيوط فأرسل الى قائمقام جرجا فتصرف فى جميع تعلقاته وأرسلها اليه نقودا ، ونزل مختفيا الى بحرى ،ومر من البابه نصف الليل. ولم يزل سائرا الى دمياط ، ونزل فى مركب أفرنجى وطلع الى حلب ، ووصل خبره الى السردار ، فجمع السردارة والعسكر ولحقوه على البرج فلم يدركوه . ثم انه ركب من حلب وذهب الى دار السلطنة من البر . وكان أيوب بيك ومحمد أغا متفرقة وكتخدا الجاويشية سليمان أغا وحسن الوالى وصلوا قبله وقابلوا الوزير ، وأعلموه بقصتهم ، وعرضوا عليه الفتوى وعرض الباشا والقاضى ، فأكرمهم وأنزلهم فى مكان ورتب لهم تعيينا ، ثم أتاهم محمد بيك ، وقابل معهم الوزير أيضا فخلع عليه وولاه منصبا . وأما رضوان أغا فانه تخلف ببلاد الشام ومحمد أغا الكور صحبته .

فى ٧ منه (٢٣ يوليه ١٧١١ م) :

تقلد محمد بيك بن اسماعيل بيك بن ايواظ بيك الصنجقية ، ثم انهم اجتمعوا فى بيت قائمقام ، وكتبوا عرضحال بصورة ما وقع ، وطلبوا ارسال باشا واليا على مصر ، وذكروا فيه أن الخزنة تصل صحبة محمد بيك الدالى ، وانتفت الفتنة وما حصل بها من الوقائع . واستمر خليل باشا بمصر حتى حضر والى باشا وحاسبوه .

رجب

فى أواخره (أوائل سبتمبر ١٧١١ م) :

تولى على مصر والى باشا فوصلها وطلع الى القلعة

رمضان

(اكتوبر – نوفمبر ١٧١١ م) :

فيه : جلس رجل رومى يعظ الناس بجامع المؤيد ، فكثر عليه الجمع ، وازدحم المسجد ، وأكثرهم أتراك . ثم انتقل من الوعظ ، وذكر ما يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء ، وايقاد الشموع والقناديل على قبور الأولياء ، وتقبيل أعتابهم ، وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه ، وعلى ولاة الأمور السعى فى ابطال ذلك . وذكر أيضا قول الشعرانى فى طبقاته ان بعض الأولياء اطلع على اللوح المحفوظ ، أنه لا يجوز ذلك ، ولا تطلع الأنبياء — فضلا عن الأولياء — على اللوح المحفوظ ، وأنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء والتكايا ، ويجب هدم ذلك . وذكر أيضا وقوف الفقراء بباب زويلة فى ليالى رمضان

فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التراويح ، ووقفوا بالنبابيت والأسلحة ، فهرب الذين يقفون بالباب ، فقطعوا الجوخ والأكر المعلقة وهم يقولون : أين الأولياء ؟ . فذهب بعض الناس الى العلماء بالأزهر وأخبروهم بقول ذلك الواعظ ، وكتبوا فتوى وأجاب عليها الشيخ أحمد النفراوى (١) والشيخ أحمد الخليفى (٢) بأن كرامات الأولياء لاتنقطع بالموت ، وأن انكاره اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ لا يجوز ، ويجب على الحاكم زجره عن ذلك .

وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها الى الواعظ وهو فى مجلس وعظه . فلما قرأها غضب وقال : يا أيها الناس ، ان علماء بلدكم أفتوا بخلاف ما ذكرت لكم ، وانى أريد أن أتكلم معهم وأباحثهم فى مجلس قاضى العسكر . فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق ؟ فقال له الجماعة : نحن معك لا نفارقك . فنزل عن الكرسى ، واجتمع عليه من العامة زيادة عن ألف نفس ، ومر بهم من وسط القاهرة الى أن دخل بيت القاضى قريب العصر ، فانزعج القاضى ، وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى ، وطلب منه احضار المفتيين والبحث معهما ، فقال القاضى : اصرفوا هؤلاء الجموع ثم نحضرهم ونسمع دعواكم . فقالوا : ما تقول فى هذه الفتوى ؟ قال : هى باطلة . فطلبوا منه أن يكتب لهم حجة ببطلانها . فقال : ان الوقت قد ضاق ، والشهود ذهبوا الى منازلهم . وخرج الترجمان ، فقال لهم ذلك فضربوه ، واختفى القاضى بحريمه ، فما وسع النائب الا أنه كتب لهم حجة حسب مرادهم .

٢٠ منه (١ نوفمبر ١٧١١ م) :

اجتمع الناس وقت الظهر بالمؤيد لسماع الوعظ على عادتهم ، فلم يحضر لهم الواعظ ، فأخذوا يسألون عن المانع من حضوره ، فقال بعضهم : أظن أن القاضى منعه من الوعظ . فقام رجل منهم وقال : أيها الناس ، من أراد أن ينصر الحق فليقم معى ، فتبعه الجم الغفير فمضى بهم الى مجلس القاضى .

فلما رآهم القاضى ومن فى المحكمة طارت عقولهم من الخوف ، وفر من بها من الشهود ، ولم يبق الا القاضى فدخلوا عليه ، وقالوا له : أين

---

(١) ولد ببلدة نفرة ونشأ بها . وانتهت اليه الرياسة فى مذهبه واخذ عنه الأعيان . توفى سنة ١١٢٥ هـ (١٧١٣ م)

(٢) العلامة الشيخ أبو العباس احمد الشهير بالخليفى الضرير أصله من الشرق وقدم جده أبو الخير واقام بمنية موسى من أعمال المنوفية . وولد بها الشيخ ونشأ . وكان فقيها نحويا . توفى فى سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥ م) .

شيخنا ؟ فقال : لا أدرى . فقالوا له : قم واركب معنا الى الديوان ، ونكلم الباشا فى هذا الأمـر ، ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذين أفتوا بقتل شيخنا ، ونتباحث معهم فان أثبتوا دعواهم نجوا من أيدينا والا قتلناهم . فركب القاضى معهم مكرها وتبعوه من خلفه وأمامه الى أن طلعوا الى الديوان فسأله الباشا عن سبب حضوره فى غير وقته . فقال: انظر الى هؤلاء الذين ملأوا الديوان والحوش فهم الذين أتوا بى ، وعرفه عن قصتهم ، وما وقع منهم بالأمس واليوم ، وأنهم ضربوا الترجمان وأخـذوا منى حجة قهرا ، وأتوا اليوم وأركبونى قهرا .

فأرسل الباشا الى كتخدا الينكجرية وكتخدا العزب ، وقال لهما : اسألوا هؤلاء عن مرادهم . فقالوا : نريد احضار النفراوى والخليفى ليبحثـا مع شيخنا فيما أفتيا به عليه ، فأعطاهم البـاشا بيورلديا على مرادهم ونزلوا الى المؤيد ، وأتوا بالواعظ وأصعدوه الى الـكرسى فصـار يعظهم ويحرضهم على اجتماعهم فى غد بالمؤيد ويذهبون بجمعيتهم الى القاضى وحضهم على الانتصار للدين وقمع الدجالين وافترقوا على ذلك .

وأما الباشا فانه لما أعطاهم البيورلدى ، أرسل بيورلديا الى ابراهيم بيك وقيطاس بيك يعرفهم ماحصل وما فعله العامة من سوء الأدب ، وقصدهم تحريك الفتن وتحقيرنا نحن والقاضى . وقد عزمت أنا والقاضى على السفر من البلد .

فلما قرأ الأمراء ذلك لم يقر لهم قرار وجمعـوا الصناجق والأغوات ببيت الدفتردار وأجمعوا رأيهم على أن ينظروا هذه العصبة من أى وجاق ويخرجوا من حقهم وينفى ذلك الواعظ من البلد ، وأمروا الأغا أن يركب ، ومن رآه منهم قبض عليه وأن يدخل جامع المؤيد ويطرد من يسكنه من السفط .

فلما كان صبيحة ذلك اليوم ركب الأغا وأرسل الجاويشية الى جامع المؤيد فلم يجدوا منهم أحدا ، وجعل يفحص ويفتش على أفراد المتعصبين ، فمن ظفر به أرسله الى باب أغاته فضربوا بعضهم ونفوا بعضهم وسكنت الفتنة .

شـوال

(نوفمبر — ديسمبر ١٧١١ م) :

قلدوا أحمد بيك الأعسر (١) — تابع ابراهيم بيك — صنجقية ، وزادوه كشوفية البحيرة . وكان قانصـوه بيك ، قبـل وصـول الباشـا ، رسم باخراج تجريدة الى هوارة المفسدين الذين أتوا الى مصر صحبة محمد بيك الصعيدى ، ورجعوا صـحبته وأخربوا أخميم وقتلوا الكشاف وأمير التجريدة محمد بيك قطامش وصحبته ألف عسكرى ، وأعطوا كل عسكرى ثلاثة آلاف نصف فضة من مال البهار سنة تاريخه ، وأن يكون محمد بيـك حاكم جرجا عن سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ، وقضى أشغاله وبرز خيامه الى الآثار ، ثم طلب الوجه القبلى الى أن وصل الى أسيوط فقبض على كل من وجده من طرف محمد بيك الصعيدى وقتله ، ومنهم حسين أوده باشا بن دقماق . ثم انتقل الى منفلوط وهربت طوائف الهوارة بأهلها الى الجبل الغربى ، وأتت اليه هوارة بحرى صحبـة الأمير حسن فأخبروه بما وقع لهم ، وساروا صحبته الى جرجا ، فنزل بالصيوان وأبرز فرمانا قرىء بحضرة الجمع باهراق دم هوارة قبـلى ، وأمر بالركوب عليهم الى اسنا ، وتسلط عليهم هوارة بحرى ونهبوا مواشيهم وأغنامهم ومتاعهم وطواحينهم ، واشتفوا منهم ، وكل من وجده منهم قتلوه .

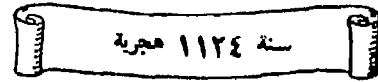
ل فى سيره حتى وصل قنا وقوص ثم
رجع جرجا .

(١) من مماليك ابراهيم بيك ابى شنب القاسمى . قتل فى سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) فى واقعة البهنسا .

ثم ان هوارة قبلى التجأوا الى ابراهيم بك أبو شنب ، والتمسوا منه أن يأخذ لهم مكتوبا من قيطاس بيك بالأمان ، ومكتوبا الى حاكم الصعيد كذلك ، وفرمانا من الباشا بموجب ذلك . فأرسل الى قيطاس بيك تذكرة صحبة احمد بيك الأعسر يترجى عنده ، فأجاب الى ذلك وارسلوا به محمد كاشف كتخدا ، وبرجوع التجريدة والعفو عن الهوارة ، ورجع محمد كاشف والتجريدة وصحبته التقادم والهدايا ، وأرسلوا الى ابراهيم بيك مركب غلال وخيولا مثمنة وأغناما .

فى اواخره (اوائل ديسمبر ١٧١١ م) :

ورد آغا من الدولة وعلى يده مرسومات منها محاسبة خليل باشا واستعجال الخزينة وبيع بلاد من قتل فى أيام الفتنة وكذلك أملاكهم .



سنة ١١٢٤ هجرية

المحرم

فى ٣ منه (١١ فبراير ١٧١٢ م) :

ورد مرسوم سلطانى بطلب ثلاثة آلاف من العساكر المصرلية الى الغزو .

فى ٨ منه (١٦ فبراير ١٧١٢ م) :

تشاجر رجل شريف مع تركى فى سوق البندقانيين . فضرب التركى الشريف فقتله ، ولم يعلم أين ذهب ، فوضع الأشراف المقتول فى تابوت وطلعوا به الى الديوان وأثبتوا القتل على القاتل .

فى ١٠ منه (١٨ فبراير ١٧١٢ م) :

قامت الأشراف وقفلوا أسواق القاهرة ، وصاروا يرجمون أصحاب الدكاكين بالحجارة ، ويأمرونهم بقفل الدكاكين ، وكل من لقوه من الرعية أو من أمير يضربونه ، ومكثوا على ذلك يومهم . وأصبحوا كذلك يوم الجمعة ، وأرسلوا خبرا للأشراف القاطنين بقرى مصر ليحضروا ، واجتمعوا بالمشهد الحسينى ، ثم خرجوا وأمامهم بيرق وذهبوا الى منزل قيطاس بيك الدفتردار ، فخرج عليهم أتباعه بالسلاح فطردوهم وهزموهم فلما تفاقم أمرهم تحركت عليهم العساكر وركب أغوات الاسباهية الثلاثة وأغات الينكجرية فى عددهم وعددهم وطافوا البلد ، فعند ذلك تفرقت الجمعية ورجع كل الى مكانه ونادوا بالأمن والأمان ، وفتحت الدكاكين ، ثم اجتمع رأى الأمراء ، على نفى طائفة من أكابر الأشراف فتشفع فيهم المشايخ والعلماء فعفوا عنهم .

وفى هذا الشهر : وقع ثلج بقريتى مرسنا وعشما[1] من بلاد المنوفية ، كل قطعة منه مقدار نصف رطل وأقل وأكثر ، ثم نزلت صاعقة أحرقت مقدارا عظيما من زرع الناحية وقتلت أناسا .

ربيع الأول

فى ٨ منه (١٥ ابريل ١٧١٢ م) :

سافر مصطفى بيك تابع يوسف آغا من بولاق بالعسكر صحبة المعينين للغزو ، وحضرت العساكر الذين كانوا فى سفر الموسقو صحبة سردارهم اسماعيل بيك ، ولما عادوا الى اسلامبول بالنصر وضعوا على رؤوسهم ريشا فى عمائمهم سمة لهم . ودخلوا مصر وعلى رؤوسهم تلك الريش المسماة بالشلنجات . ومات أميرهم اسماعيل بيك باسلامبول .

فى ٢٢ منه (٢٩ ابريل ١٧١٢ م) :

قبل الغروب خرجت فرتينة بريح عاصف أظلم منها الجو ، وسقط منها بعض المنازل .

---

(١) الآن تابعتان لمركز الشهداء منوفية .

ربيع الآخر

فى غرته (٨ مايو ١٧١٢ م) :

ورد أغا ومعه مرسوم مضمونه حصول الصلح بين السلطنة والموسقو ورجوع العسكر المصرى . ولما رجعوا أخذوا منهم ثلثى النفقة ، وتركوا لهم الثلث . وكذلك التراقى من الجوامك التى تعطى للسردارية وأصحاب الدركات .

فى ١٨ منه (٢٥ مايو ١٧١٢ م) :

ورد قابجى باشا وعلى يده مرسوم بتقليد قيطاس بيك الدفتردار أميرا على الحج ، عوضا عن يوسف بيك الجزار ، وأن يكون ابراهيم بيك بشناق المعروف بأبى شنب دفتردارا ، فامتثلوا ذلك ولبسوا الخلع . ومرسوم آخر بانشاء سفينتين ببحر القلزم لحمل غلال الحرمين ، وأن يجهزوا الى مكة مائة وخمسين كيسا من الأموال السلطانية برسم عمارة العين على يد محمد بيك بن حسين باشا . ثم ان قيطاس بيك اجتمع بالأمراء وشكا اليهم احتياجه لدراهم يستعين بها على لوازم الحاج ومهماته ، فعرضوا ذلك على الباشا وطلبوا منـه أن يمده بخمسين كيسا من مال الخزينة ، ويعرض فى شأنها بعد تسليمها الى الدولة ، وان لم يمضوا ذلك يحصلوا من الوجاقات بدلا عنها .

وفى يوم الاربعاء ٢٥ منه (١ يونيو ١٧١٢ م) :

وصل من طريق الشام باشا معين لمحافظة جدة يسمى خليل باشا ، فدخل القاهرة فى كبكبة عظيمة وعساكر رومية كثيرة يقال لهم سارجة سليمان ، وجمال محملة بالأثقال يتقدمهم ثلاثة بيارق . وخرج لملاقاته الباشا وقيطاس بيك أمير الحج فى طائفة عظيمة من الأمراء والأغوات والصناجق ، وقابلوه وأنزلوه بالغيط المعروف بحسن بيك ، ومدوا هناك سماطا عظيما حافلا ، وقدموا له خيولا وساروا معه الى أن دخلوا المدينة فى موكب عظيم الى أن أنزلوه بمنزل المرحوم اسماعيل بيك — المتوفى بسفر الموسقو — بجوار الحنفى . ثم لم يزل هناك حتى سافر فى أواخر رجب من سنة تاريخه ، وخرج بموكب عظيم أيضا .

شعبان

فى منتصفه (١٧ سبتمبر ١٧١٢ م) :

تقلد أحمد بيك الأعسر على ولاية جرجا عوضا عن محمد بيك الصغير المعروف بقطامش ، ثم ورد أمر بتقليد امارة الحج لمحمد بيك قطامش عوضا عن سيده ، وطلع بالحج سنة أربع وعشرين ورجع سنة خمس وعشرين ، وذلك من فعل قيطاس بيك سرا . وتقلد ولاية جرجا مصطفى بيك قزلار .

فى ٢٠ منه (٢٢ سبتمبر ١٧١٢ م) :

تقلد محمد بيك المعروف بجركس ، تابع ابراهيم بيك أبى شنب الصنجقية ، وكذلك قيطاس تابع قيطاس بيك أمير الحج .

شوال

فى ١٠ منه (١٠ نوفمبر ١٧١٢ م) :

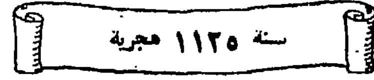
ورد عبد الباقى افندى وتولى كتخدائية ولى باشا ومعه تقرير للباشا على ولاية مصر .

ذو القعدة

فى ١٣ منه (١٢ ديسمبر ١٧١٢ م)

ورد أيضا مرسوم صحبة أغا معين يطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى لسفر الموسقو لنقضهم المهادنة ، وقرىء ذلك بالديوان بحضرة الجمع ، فألبسوا حسين بيك المعروف بشلاق سردار عوضا

عن عثمان بيك بن سليمان بيك بارم ذيله ، وقضى أشغاله وسافر فى أوائل المحرم .


سنة ١١٢٥ هجرية

المحرم

فى أوله (٢٨ يناير ١٧١٣ م) :

ورد أيضا أغا باستعجال الخزينة .

صفر

(مارس ١٧١٣) :

رجع الحجاج صحبة محمد بيك قطامش ، وانتهت رياسة مصر الى قيطاس بيك ومحمد بك وحسن كتخدا النجدلى وكور عبد الله وابراهيم الصابونجى ، فسولت لقيطاس بيك نفسه قطع بيت القاسمية ، وأخذ يدبر فى ذلك ، وأغرى سالم بن حبيب ، فهجم على خيول اسماعيل بيك بن ايواظ بيك فى الربيع ، وجم أذناب الخيول ومعارفها ماعدا الخيول الخاصة فانها كانت بدوار الوسية . ودهب ولم يأخذ منها شيئا .

وحضر فى صبحها أمير آخور فأخبروه ، وكان عنده يوسف بيك الجزار فلاطفه وسكن حدته ، وأشار عليه بتقليد حسن أبى دفية قائمقام الناحية ، ففعل ذلك وجرت له مع ابن حبيب أمور .

ثم انه كتب عرضحالا أيضا على لسان الأمير منصور الخبيرى يذكر فيه أن عرب الضعفاء أخربوا الوادى وقطعوا درب الفيوم ، وأرسل ذلك العرضحال صحبة قاصد يأمنه فختمه منصور وأرسله الى الباشا صحبة البكارى خفير القرافة فلما طلع قيطاس بيك فى صبحها الى الباشا واجتمع بباقى الأمراء ، وكان قيطاس بيك رتب مع الباشا أمرا سرا وأغراه وأطمعه فى القاسمية وما يؤول اليه من حلوان بلاد ابراهيم بيك ويوسف بيك وابن ايواظ بيك وأتباعهم .

فلما استقر مجلسهم دخل البكارى بالعرضحال ، فأخذه كاتب الديوان وقرأه على أسماع الحاضرين فأظهر الباشا الحدة وقال : أنا أذهب لهؤلاء المفاسيد الذين يخربون بلاد السلطان ويقطعون الطريق فقال ابراهيم بيك : أقل ما فينا يخرج من حقهم . وانحط الكلام على ذهاب ابراهيم بيك واسماعيل بيك ويوسف بيك وقيطاس بيك وعثمان بيك ومحمد بيك قطامش ، وكان قانصوه بيك فى بنى سويف فى الكشوفية وأحمد بيك الأعسر فى اقليم البحيرة . فلما وقع الاتفاق على ذلك خلع عليهم الباشا قفاطين ، ونزلوا فأرسلوا خيامهم ومطابخهم الى تحت أم خنان ببر الجيزة ، وعدوا بعد العصر ونزلوا بخيلهم . واتفق قيطاس بيك مع عثمان بيك أنهم يعدون خلفهم بعد المغرب ، ويكونون أكلوا العشاء وعلقوا على الخيول . وعندما ينزلون الى الصيوان يتركون الخيول ملجمة ، والمماليك والطوائف بأسلحتها ، فاذا أتى الينا الثلاثة صناجق نقتلهم ثم نركب على طوائفهم وخيولهم مربوطة فنقتل كل من وقع ، وننخلص ثأر الفقارية الذين قتلهم خال ابراهيم بيك فى الطرانة .

فلما فعلوا ذلك وعدوا وأوقدوا المشاعل — وذلك وقت العشاء — ونزلوا بالصيوان ، قال ابراهيم بيك ليوسف بيك واسماعيل بيك : قوموا بنا نذهب عند قيطاس بيك . قالا له : أنت فيك الكفاية. فذهب ابراهيم بيك وهو ماش ولم يخطر بباله شيء من الخيانة . فلما دخل عندهم وسلم وجلس ، سأله قيطاس بيك عن رفقائه ، فقال : انهم جالسون محلهم ، فلم يتم ما أرادوه فيهم من الخيانة ، فعند ذلك قام محمد بيك وعثمان بيك الى خيامهما وقلعا

سلاحهما وخلعا لجامات الخيل وعلقا مخالى التبن ورجعا اليهما ، فقال قيطاس بيك لابراهيم بيك : اركبوا أنتم الثلاثةفى غد ، وانصبوا عند وسيم(١)، ونحن نذهب الى جهة سقارة فنطرد العرب فيأتوا الى جهتكم ، فاركبوا عليهم ، فأجابه الى ذلك ثم قام وذهب الى رفقائه فأخبرهم بذلك ، وباتوا الى الصباح .

وفى الصباح جملوا وساروا الى جهة وسيم — كما أشار اليهم قيطاس بيك—فنزلت اليهم الزيدية بالفطور ، فسألوهم عن العرب فقالوا لهم : الوادى فى أمن وأمان بحمد الله ... لا عرب ولا جرب ولا شر .

وأما قيطاس بيك ومن معه فانه رجع الى مصر وأرسل الى ابن حبيب بأن يجمع نصف سعدوعرب بلى ويرسلهم مع ابنه سالم يدهمون الجماعةبناحية وسيم ويقتلونهم ،فتلكأ ابن حبيب فى جمع العربان لصداقة قديمة بينه وبين ابراهيم بيك ، وحضرلهم رجل من الأجناد كان تخلف عنهم لعذر حصل له ، فأخبرهم برجوع قيطاس بيك ومن معه الى مصر ، فركب ابراهيم بيك ويوسف بيك واسماعيل بيك ونزلوا بالجيزة عند أبى هريرة (٢) وصحبتهم خيالة الزيدية وباتوا هناك وعدوا فى الصباح الى منازلهم سالمين .

ربيع الأول

فى غرته (٢٨ مارس ١٧١٣ م) :

حصل طاعون وكان ابتداؤه فى القاهرة .

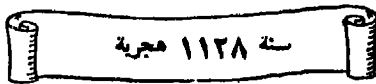
جمادى الآخرة

فى أواخره (يولية ١٧١٣ م) :

وصـل عابدين باشا الى الأسكندرية ، وتقلد يوسف بيك الجزار قائمقام ، وخلع على ابن سيده اسماعيل بيك .

ولما حضر الباشا الى الحى وطلع الى العادلية ، أحضر الأمراء تقـادمهم ، وقدم له اسماعيل بيك تقدمة عظيمة وأحبه الباشا واختص به ، ومال قلبه الى فرقة القاسمية فقلدهم المناصب والكشوفيات ، وحضرمرسوم بامارةالحج لاسماعيل بيك بن ايواظ بيك وعابدين باشا ، وهو الذى قتل قيطاس بيك بقراميدان . وهرب محمد بيك قطامش تابعه بعد قتل سيده الى بلاد الروم وأقام هناك مدة ثم عاد الى مصر .

وفى ولايته تقلد عبدالله كاشف ، وصارى على ، وعلى الأرمنى (١) ، واسماعيل كاشف صـناجق الأربعة ايواظية . وتقلد منهم أيضا عبد الرحمن أغا ولجه أغات جمـلية ، واسـماعيل أغا كتخدا ايواظ بيك كتخداجاويشية . ومن أتباع ابراهيم بيك أبى شنب (٢) : قاسم الكبير ، وابراهيم فارسكور ، وقاسم الصغير ، ومحمـد جلبى بن ابراهيم بيك أبى شنب وجركس محمد الصغير . وخمستهم صناجق. واستقر الحال ، وطلع بالحج الأمير اسماعيل بيك بن ايواظ سنة سبع وعشرين وسنة ثمان وعشرين فى أمن وأمان وسخاء ورخاء .



سنة ١١٢٨ هجرية

(٢٧ ديسمبر ١٧١٥ — ١٥ ديسمبر ١٧١٦ م) :

ورد أغا من اسلامبول وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى وعليهم أمير قادر ، وكانت النوبة على محمد بيك جركس الكبير . فلما اجتمعوا بالديوان ، وقرىء المرسوم ، خلع الباشا على محمـد بيك جركس القفطان ، ونزل الى داره فطوى القفطان وأرسله الى سيده ابراهيم بيك ،

(١) وسيم بمركز الجيزة .
(٢) له مقام ومسجد بمدينة الجيزة .

(١) يعرف أيضا بالشامى من اتباع ايواظ بيك .
(٢) أصله مملوك مراد بيك القاسمى وخشداش ايواظ بيك .

ويقول له : عنـدك خلاف صناجق كثـيرة فانى قشلان (١) ، فتكدر خاطره .

ثم أرسل اليه صحبة أحمد بيك الأعسر عشرين كيسا فاستقلها ، فأعطاه أيضا وصولا بعشرة أكياس على الطرانة ، فجهـز حاله وركب الى قصر الحلى بالموكب ، وأحضر عنده الحريم ، فأقام أياما فى حظه وصفائه ... والأغا المعين يستعجل السفر . وفى كل يوم يأتيه فرمان من الباشا بالاسـتعجال والذهاب وهو لايبالى بذلك .

ثم ان الباشا تكلم مع ابراهيم بيك فى شـأن ذلك . فلما نزل الى بيته أرسل اليـه أحمـد بيك الأعسر وقاسم بيك الكبير فأخبراه بتفريط الباشا والاستعجال . فقال فى جوابه : جلوسى هنا أحسن من اقامتى تحت الطرانة حتى يدفعـوا الى العشرة أكياس ، فلا أرتحل حتى تأتينى العشرة أكياس ، ورمى لهم الوصول . فرجع أحمد بيك الى ابراهيم بيك وأخبره بمقالته ، ورد اليـه الوصـول ، فما وسعه الا أنه دفع ذلك القدر اليه نقدا وقال : سوف يخرب هذا بيتى بعناده . فلما وصله ذلك نزل الى المراكب وسافر ، ثم ورد مسلم على باشـا وأخبر بولايته مصر عن سنة ١١٢٩ .

سنة ١١٢٩ هجرية

(١٦ ديسمبر ١٧١٦ ــ ٤ ديسمبر ١٧١٧)

اجتمعوا بالديوان ، وتقلد ابراهيم بيك أبو شنب قائمقام ، ونزل الى بيتـه ، وخلع عن أحمـد بيك الأعسر ، وجعله أمين السماط ، ونزل عابدين باشا من القلعة عند ما وصل الخبر بوصول على باشا الى الأسـكندرية ، وسـافرت اليـه أرباب الخـدم والعكاكيز ، وسافر عابدين باشا قبل حضور على باشا الى مصر .

وحضر على باشا ، وطلع الى القلعة على الرسم المعتاد ، واسـتقر فى ولاية مصر والأمور صالحة ، والفتن ساكنة ، ورياسة مصر للأمـير ابراهيم بيك أبى شنب الكبير والأمير اسماعيل بيك بن ايواظ بيك ومحمد كتخدا جدك مستحفظان وابراهيم جوربجى الصابونجى عزبان وأتباع حسن جاويش القازدغلى ، وهم عثمـان أوده باشا وسليمان أوده باشـا تابع مصطفى كتخدا وخـلافهم من رؤساء باب العزب وباقى البلكات .

فى أواخر هـذه السـنة ورد قابجى وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من عسكر مصر وعليهم أمير لسفر الجهاد ، وكان الدور على محمـد بيك بن ايواظ أخى اسماعيل بيك ، فعلم أخوه أنه خفيف العقل ، فلا يستر نفسه فى السفر ، فقلد أحمد كاشف صنجقية ، وجعله أمير العسكر ، وجعل مملوكه على الهندى كتخداه .

سنة ١١٣٠ هجرية

(٥ ديسمبر ١٧١٧ ــ ٢٣ نوفمبر ١٧١٨)

حضر محمد جركس من السفر فوجـد سيده ابراهيم بيك توفى وأمير مصر اسماعيل بيك ، فتاقت نفسه للرياسة ، فضم اليه جماعة من الفقارية : مثل حسين أبو يدك ، وذى الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن يلوذ بهم من أمثالهم ، واتخذ لهم سراجا قبيحا يقال له الصيفى .

وكان الدفتردار فى ذلك الوقت أحمـد بيك الأعسر تابع ابراهيم بيك أبى شنب ، وكلما رأى تحرك محمد بيك جركس لاثارة الفتن يهدى عليه ويلاطفه ويطفىء نارته .

وكان ذو الفقار لما قتل سـيده عمر أغا وأراد اسماعيل بيك قتله أيضا فى ذلك اليوم ، فوقع على خازندار حسن كتخدا الجلفى وحمـاه من القتل ، وأخرج له حسن كتخـدا حصـة فى قمن العروس بالمحلول عن سيده ، وهى شركة اسماعيل بيك بن ايواظ . ولم يقدر حسن كتخدا أن يذكر اسماعيل

(١) لفظ عامى معناه « فقير » .

بيك فى فائظها لعلمه بكراهته لذى الفقـار ويريد قتله .

فلما مات حسن كتخدا الجلفى (١) ، وحضر محمد بيك جركس من السفر ، انضم اليه ذو الفقار المذكور وخاطب فى شأنه اسماعيل بيك ، فلم يفد ، ولم يرض أن يعطيه شيئا من فائظه . وتكرر هذا مرارا حتى ضاق خناق ذى الفقار من الفشل ، فدخل على محمد بيك جركس فى وقت خلوة ، وشكا اليـه حاله ، وفاوضه فى اغتيال اسماعيل بيك ، فقال له : « افعل ماتريد » . فأخذ معه فى ثانى يوم أصـلان وقيلان وجماعة خيالة من الفقارية ، ووقفوا لاسماعيل بيك فى طريق الرميلة عنـد سـوق الغلة وهو طالع الى الديوان ، فمر اسماعيل بيك وصحبته يوسف بيك الجزار واسماعيل بيك جرجا وصارى على بيك (٢) ، فرموا عليهم بالرصاص فلم يصب منهم الا رجـل قواس . ورمح اسماعيل بيك ومن بصحبته الى باب القلعة ، ونزل هناك ، وكتب عرضـحالا ملخصـه الشكوى من محمد بيك جركس ، وأنه جامع عنده المفسدين ويريد اثارة الفتن فى البلد وأرسله الى الباشا صحبة يوسف بيك ... فأمر على باشا بكتابة فرمان خطابا للوجاقات باحضار محمد بيك جركس وان أبى فحاربوه واقتلوه .

فلما وصل الخبر الى جركس ركب مع المنضمين اليه — فقارية وقاسمية — ووصل الى الرميلة ، فصادف الموجهين اليه ، فحاربهم وحاربوه . وقتل حسين بيك أبو يدك (٣) وآخرون . وانهزم جركس ، وتفرق من حوله ، ولم يتمكن من الوصـول الى داره ، فذهب على طريق الناصرية ، ولم يزل سائرا حتى وصل الى شبرا ولم يبق صحبته سوى مملوكين ، فلاقاه جماعة من عرب الجزيرة وقبضـوا عليهم ، وأخذوا سلاحهم وأتوا بهم الى بيت اسماعيل بيك ابن ايواظ بيك . وكان عنـد أحمد كتخـدا أمين البحرين (١) والصابونجى ، فأشاروا عليه بقتله فلم يرض وقال : « انه دخل بيتى » ، وخلع عليه فروة سمور ، وأعطاه كسوة ، وذهب ونفاه الى جزيرة قبرص. ورجع العسكر الذين كانوا بالسفر واستشهد أمير العسكر أحمد بيك فقلدت الدولة على كتخدا الهندى صنجقا عوضا عن مخدومه أحمـد بيك ، وأعطوه نظر الخاصكية قيد الحيـاة ، وأطلقوا له بلاده من غير حلوان . فلما وصلوا الى مصر عمـل له يوسف بيك الجزار سـماطا بالحلى ، ثم ركب وطلع الى القلعة وخلع الباشا على على بيك الهندى خلعة السلامة ، ونزل الى بيت اسماعيل بيك ، وأنعم عليه بتقاسيط بلاد فائظها اثنا عشر كيسا ، واستمر صنجقا وناظرا على الخاصكية .

وفى هذه السنة : حصلت حادثة ببولاق ، وهى أن سكان حارة الجوابر تشاجروا مع بعض الجمالة أتباع أوسية أمير الحج ، فحضر اليهم أمير أخور فضربوه . ووصل الخبر الى الأمير اسماعيل بيك فأرسل اليهم أغات الينكجرية والوالى فضربوهم ، فركب الصنجق بطائفته وقتلوا منهم جماعة وهرب باقيهم ، وأخرجوا النساء بمتاعهن وسمروا الدرب من الجهتين . وكانت حادثة مهولة واستمر الدرب مقفولا ومسمرا نحو سنتين .

وفى هذه السنة أيضا : كان موسم سفر الخزينة — وأميرها محمد بيك بن ابراهيم بيك أبو شنب ، وكان وصل اليه الدور — وخرج بالموكب وأرباب المناصب والسدادرة . ولما وصل الى اسلامبول ، واجتمع بالوزير ورجال الدولة ، وشى اليهم فى حق اسماعيل بيك بن ايواظ ، وعرفهـم أنه ان استمر أمره بمصر ادعى السلطنة بها وطرد النواب ، فان الأمراء وكبار الوجاقات والدفتردار وكتخدا الجاويشية صاروا كلهم أتباعه ومماليكه ومماليك

(١) كان انسانا خيرا له بر ومعروف وصدقات توفى يوم الاربعاء ٩ شوال ١١٢٤ هـ (٩ نوفمبر ١٧١٢ م)

(٢) يقال له « على بيك الاصفر » لان صارى بمعنى الاصفر وهو من اتباع ايواظ بيك .

(٣) حسين بيك ارنؤود المعروف بابى يدك . كان أصـله اغا جراكسة .

(١) كان من الاعيان المشهورين ، نافذ الكلمة وافر الحرمة . عمل باش اوده باشا ثم تولى الكتخدائية وعمل امير البحرين .

أبيــه ، وعلى باشا المتولى لايخرج عن مراده فى كل شيء ، ونفى وأبعد كل من كان ناصحا فى خدمة الدولة : مثل جركس ومن يلوذ به ، وعمل للدولة أربعة آلاف كيس على ازالة اسماعيل بيك والباشا وتونية وال آخر يكون صاحب شهامة ... فأجابوه الى ذلك . وكان قبل خروجه من مصر أوصى قاسم بيك الكبير على احضـــار محمـــد بيك جركس ، فأرسل اليه وأحضره خفية واختفى عنده .

ثم ان أهل الدولة عينوا رجب باشا أمير الحج الشامى ، ورسموا له عند حضوره الى مصر أن يقبض على على باشا ويحاسبه ويقتله ، ثم يحتال على قتل اسماعيل بيك بن ايواظ وعشيرته ماعدا على بيك الهندى (1) . ورجع محمد بيك بن أبى شنب الى مصر ، وعمل دفتردارا ، وحضر مسلم رجب باشا ومعه الأمر بحبس على باشا بقصر يوسف وقائمقامية الى أحمد بيك الأعسر . وبعد أيام وصل الخبر بوصول رجب باشا الى العريش .

سنه ١١٣١ هجرية

(٢٤ نوفمبر ١٧١٨ ــ ١٣ نوفمبر ١٧١٩)

تقلد ابراهيم بيك فارسكور أمين السماط ، وطلع اسماعيل بيك أميرا بالحج ، وذلك عند وصول رجب باشـــا الى العـــريش . ثم حضر الى مصر ، وعملوا له الشنك والموكب على العادة . فلما استقر بالقلعة أحضر اليه ابن على باشا وخازنداره وكاتب خزينته والروزنامجى ، وأمرهم بعمل حسابه ، ثم قطع رأسه ظلما وسلخها وأرسلها الى الباب ، ودفن على باشا بمقام أبى جعفر الطحاوى بالقرافة ، ويعرف قبره بعلى باشـــا المظلوم . وأمـــر بضبط جميـــع مخلفاته ، ثم أحضر له محمـــد جركس خفية ، وأمر الأغا والوالى بالمناداة عليه وكل من آواه يشنق على باب داره ، ثم اختلى به وقال له : كيف العمل والتدبير فى قتل ابن ايواظ بيك وجماعته ؟ فقال له : « الرأى فى ذلك أن ترسل الى العرب يقفون فى طريق الوشاشة فانهم يرسلون يعرفونكم بذلك » . فأرسلوا لهم عبـــد الله بيك . وبعـــد عشرة أيام أرسلوا يوسف بيك الجزار ومحمد بيك بن ايواظ بيك واسماعيل بيك جرجا وعبد الرحمن أغا ولجه أغات الجملية ، فعندما يرتحلون من البركة يقتـــل اسماعيل بيك الدفتردار كتخدا الجاويشية ، وعند ذلك أنا أظهر ، وتقلد امـــارة الحج الى محمـــد بيك بن اسماعيل بيك ونرسله بتجريدة الى ابن ايواظ بيك يقتلونه مع جماعته . وهذا هو الرأى والتـــدبير ... ففعلوا ذلك ولم يتم ، بل اختفى اسماعيل بيك ودخل الى مصر ، ثم ظهر بعد أن دبر أموره وعزل رجب باشا وأنزلوه الى بيت مصطفى كتخدا عزبان ، وفسد تدبيره ، وكتبوا عرضحال بصورة الواقع وأرسلوه الى اسلامبول . وكان رجب باشـــا أخذ من مال دار الضرب مائة وعشرين كيسا صرفها على التجريدة .

سنة ١١٣٣ هجرية

(٢ نوفمبر ١٧٢٠ ــ ٢١ اكتوبر ١٧٢١)

وصل محمد باشا النشانجى ، فعندما استقر بالقلعة طلب من رجب باشا المائة وعشرين كيسا . وقلد امارة الحج لمحمد بيك اسماعيل فطلع بالحج سنة ثلاث وسنة أربع وثلاثين .

ثم حضر مرسوم بالأمان والعفو لاسماعيل بيك ابن ايواظ بيك وقرىء بالديوان .

سافر رجب باشا ، وســـكن الحال مع التنافر والحقد الباطنى الكامن فى نفس محمد بيك جركس وابن أستاذه محمد بيك أبى شنب لاسماعيل بيك ابن ايواظ ، وهو يسامح لهم ، ويتغافل عن أفعالهم وقبائحهم ، ويســـوس أموره معهم ، وكل عقدة عقدوها بمكرهم حلها بحسن رأيه وسياسته وجودة رأيه ، وجرت بينه وبينهم أمور ووقائع ومخاصمات

(1) الامير على بك المعروف بالهندى هو مملوك احمد بيك تابع ايواظ بيك الكبير .

وجمعيات ومصالحات . ولم يزل اسماعيل بيك ظاهرا عليهم حتى خانوه واغتالوه بالقلعة على حين غفلة على يد ذى الفقار تابع عمر آغا وأصلان وقيلان ومن معهم . وقتلوا معه اسماعيل بيك جرجا وعبد الله آغا كتخدا الجاويشية .

سنة ١١٣٥ هجرية

ربيع الآخر

فى ١٧ منه (٢٥ يناير ١٧٢٣ م) :

ورد آغا من الديار الرومية وعلى يده مرسوم بدفع ستين كيسا الى باشة جدة ليشتروا بها مركبا هنديا لحمل غلال الحرمين عوضا عن مركب غرقت قبل هذا التاريخ . وحضر صحبة ذلك الأغا تاجر عظيم من تجار الشوام ومعه أتباعه ، ووصل الجميع على خيل البريد الى أن وصلوا الى بركة الحاج ، فنزلوا ليأخذوا لهم راحة لكونهم وصلوا أرض الأمان ، وفارقهم الأغا ... فنزل عليهم سالم بن حبيب فعراهم ، وأخذ ما معهم . وكان صحبة سالم عرب الجزيرة ومغاربة .

وسبب ذلك أنه لما طرد من دجوة (١) وذهب الى الصعيد ، فنزل اليه قيطاس بيك ، وجمع عليه عربان القبائل وحاربه وقتل أولاده ... فرجع من خلف الجبل ، وقعد بالبركة وقطع الطريق .

فلما وصل الخبر بذلك الى مصر ، نزل اليه أمير الحج وكاشف القليوبية حمزة بيك ، تابع ابن ايواظ ، وعينوا صحبتهم عرب الصوالحة — وهم نصف حرام — فنزل أمير الحج بالمسبك وجلس هناك ، وابن حبيب (٢) نازل فى المساطب التى بعد البركة وناصب صيوان كاشف شرق اطفيح ، وكان نهبه وهو متوجه الى قبلى ... فان الكاشف لما اقبل عليه سالم فرمح عليه — وكان فى قلة — فهزمه سالم ، وأخذ صيوانه ، ونزل البركة ، وربط خيوله هو ومن معه فى الغيطان ، فأكلوا ستة وثلاثين فدان برسيم فى ليلة واحدة .

ثم ان الباشا أرسل الى أمير الحج بالرجوع وعينوا عبد الله بيك وحمزة بيك وخليل آغا . وأرسل اسماعيل بيك صحبتهم خمسمائة جندى من أتباعه ومن البلكات ، ومعهم فرمان لجميع العرب بالتعمير فى أوطانهم ماعدا سالم بن حبيب واخوته ومن يلوذ به . وسافرت لهم التجريدة ، وارتحل ابن حبيب ، وسار الى جهة غزة ونهبت التجريدة ما فى طريقهم من البلاد ، وأرسل الباشا اليهم فرمانا بالعودة فرجعوا من غير طائل .

رجب

فى ١٣ منه (١٩ ابريل سنة ١٧٢٣ م) :

فيه : ورد آغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسوم وسيف وقفطان للشريف يحيى شريف مكة ، وتقرير للباشا على السنة ، وأغاوية المتفرقة لعبد الغفار أفندى ... ولم يسبق نظير ذلك ، وأن أغاوية المتفرقة تأتى من الديار الرومية .

وسبب ذلك أن حسن أفندى والد عبد الغفار(١) أفندى ، كان عنده طواشى أهداه الى السلطنة ، فأرسل ذلك الأغا أغاوية المتفرقة الى ابن سيده ، فألبسه الباشا القفطان على ذلك ، فحصل بسبب ذلك فتنة فى الوجاق . وسبب ذلك أن وجاقهم فرقتان ظاهرتان بخلاف غيره ، والظاهر منهما ستة أشخاص من الاختيارية وهم : سليمان آغا الشاطر وعلى آغا وعبد الرحمن آغا القاشقجى وخليل آغا وابراهيم كاتب المتفرقة سابقا وكبيرهم محمد آغا السنبلاوين (٢) وهم من طرف محمد بيك جركس . لكن لما ظهر اسماعيل بيك انحطت كلمتهم ، وظهرت كلمة الذين من طرف اسماعيل بيك .

---

(١) قرية صغيرة من مديرية القليوبية كان يسكنها ابن حبيب .

(٢) حبيب بن سعد اعظم المشايخ قدرا بالقليوبية خاصة والوجه البحرى عامة ، وهو كبير نصف سعد وليس لهم اصل مذكور فى قبائل العرب . وكان ظهوره فى اوائل القرن الثامن عشر .

(محمد رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ٤٥)

(١) أما بن حسن أفندى تقلد فى ايام ابن ايواظ اغاوية المتفرقة بموجب مرسوم ورد من الدولة .

(٢) كان أغات وجاق المتفرقة وصاحب وجاهة ومات مقتولا بالقرافة محمد بيك جركس .

فلما تولى عبد الغفار الأغاوية لحق أولئك الحقد والحسد ، وتناجوا فيما بينهم على أن يملكوا الباب فاجتمعوا بأنفارهم وملكوا الباب ، فهرب عبد الغفار أغا الى بيت اسماعيل بيك ، وكان عنده الجماعة الآخرون ، فدخل عليهم عبد الغفار أغا وخبرهم بما حصل . فأشار عليهم اسماعيل بيك أن يذهبوا الى بيت أحمد جلبي ويجعلوه محل الحكم . وأرسل أولئك الطرف فطلبوا محمد أغا أبطال وباكير أغا تابع اسماعيل بيك الكبير ، ومصطفى أغا — وكانوا منفيين من بابهم الى العزب وكانوا كبراءهم — وخرجوا منهم فى واقعة جركس فأبوا من الحضور اليهم ، فلما أبوا عليهم عملوا القاشقجي باش اختيار عوضا عن أبطال ، وعزلوا وولوا على مرادهم .

وطلع فى صبحها اسماعيل بيك الى الديوان ، وصحبته على بيك ، وأمير الحج ، وأخبروا الباشا بفعل القاشقجي فأرسل الباشا اثنين أغوات ، ومن كل وجاق اثنين اختيارية لينظروا الخبر ، ففزعوا عليهم ، فرجعوا وأخبروا الباشا والأمراء ، فأرسل لهم فرمانا بنفيهم الى الكشيدة ، فأبوا وصمموا على عدم ذهابهم الى الكشيدة وأقام الأمراء عند الباشا الى الغروب . ثم انهم نزلوا ووعدوا الباشا أنهم فى غد يفصلون هذا الأمر ، وان لم يمتثلوا حاربناهم .

فلما كان فى ثانى يوم عملوا جمعية ، واتفقوا على توزيع الستة أنفار على الستة وجاقات ، وكتبوا من الباشا ست فرمانات لكل فرد منهم فرمان . فكان كذلك ، وتفرقوا فى الوجاقات .

نزل اسماعيل بيك بن ايواظ الى بيته بعد اقامته فى باب العزب ثلاثة أيام فى طائفته ومماليكه وصناجقه ، بحيث أن أوائل الطائفة دخلوا الى البيت قبل ركوبه من باب العزب . وكان خلفه نحو المائتين بالطرابيش الكشف ، وتمم الأمر على مراده ثم تحقق الخبر ، فظهر له أن أصل هذه الفتنة من اسماعيل أغا بن الدالى ، فطلع فى ثانى يوم الى الديوان ، وألبس اسماعيل أغا أغاوية العزب .

وفيه من الحوادث فى أيام محمد باشا : أن فى أول الحماسين طلع الناس على جرى العادة فى ذلك لاستنشاق النسيم فى نواحى الخلاء ، وخرج سرب من النساء الى ناحية الأزبكية ، وذهب منهن طائفة الى غيط الأعجام تجاه قنطرة الدكة ... فحضر اليهن جماعة سراجون وبأيديهم السيوف من جهة الخليج — وهم سكارى — وهجموا عليهن ، وأخذوا ثيابهن وما عليهن من الحلى والحلل .

ثم أن الخفراء وأوده باشا القنطرة حضروا اليهن بعد ذهاب أولئك السراجين ، فأخذوا ما بقى ، وكملوا بقية النهب . وجميع من كان هناك من النساء من الأكابر ومن جملة ماضاع حزام جوهر ، وبشت جوهر ، قالوا ان الحزام قيمته تسعة آكياس والبشت خمسة آكياس .

ومن جملة من كان هناك آمنه الجنكية ، وصحبتها امرأة من الأكابر ، فعروهما ، وأخذوا ما عليهما ، وكان لها ولد صغير ، وعلى رأسه طاقية عليها جواهر وبنادقة وزوج أساور جوهر وخلخال ذهب بندقى قديم وزنه أربعمائة مثقال . ومن جملة ما أخذوا لباس شبيكة من الحرير الأصفر ، والقصب الأصفر ، وفى كل عين من الشبيكة لؤلؤة ، فى كل لؤلؤة شربط مخيش ، والدكة كذلك . وأخذوا أزرهن وفرجياتهن ، وأرسلن الى بيوتهن فأتين بثياب يستترن بها ، وذهبن .

وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث .

ثم ان فى ثانى يوم قدموا عرضحالا الى الباشا ، وأخذوا على موجبه فرمانا الى أغات الينكجرية على أنه يتوجه — وصحبته الوالى وأوده باشا البوابة — فذهبوا الى محل الواقعة ، وأحضروا أهل الحطة ، فشهدوا على أن هذه الفعلة من الخفراء بيد أوده باشا مركز القنطرة ، وهو الذى

أرسل السراجين والحمارة . فقبضوا على الخفراء والأوده باشا ، وسئلوا فأنكروا ، فحبس الأوده باشا فى بابه ، والخفراء فى العرقانة ، وأمر الباشا الوالى بعقابهم ، فلما رأوا آلة العذاب أقروا أن ذلك من فعل الأوده باشا ، فأخذوا منه مالا كثيرا ونفوه الى أبى قير .

ونادى الأغا والوالى على النساء لا يذهبن الى الغيطان بعد اليوم ولا يركبن الحمير .

شعبان (مايو سنة ١٧٢٣ م) :

ورد عرضحال من مكة بأن يحيى الشريف ، وعلى باشا والى جدة ، وعسكر مصر الذين عينوا صحبة أحمد بيك المسلمانى ، وأهل مكة ، تحاربوا مع الشريف مبارك شريف مكة سابقا — وكان معه سبعة آلاف من العرب اليمانية — ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وسقط على باشا من على ظهر جواده الا أن أحمد بيك أدركه وأنقذه بجواده ، وقتل من العرب زيادة عن ألفين وخمسمائة ، ومن العسكر نحو الخمسين . وكان الباشا قتل من الأشراف اثنى عشر شخصا ، وكانوا فى جيرة الشريف يحيى .

وقلد محمد بيك خازنداره رضوان صنجقية ، وجعله أمين السماط ، وأخذ الخاصكية من على بيك الهندى وأعطاها لرضوان المذكور ، وأبطل الخط الشريف الذى بيده بالخاصكية قيد حياته .

ذو القعدة (اغسطس سنة ١٧٢٣ م) :

تقلد الصنجقية على أغا الأرمنى الذى عرف بأبى العزب ، وكذلك على أغا صنجقية وأمين العنبر وحاكم جرجا ، وكمل بذلك صناجق مصر أربعة وعشرين صنجقا ، وكانوا فى المعتاد القديم اثنين وعشرين ، وكتخدا الباشا ، وقبطان الأسكندرية .

سنة ١١٣٦ هجرية

(١ اكتوبر ١٧٢٣ — ١٩ سبتمبر ١٧٢٤)

تحيلوا على قتل عبد الله بيك ومحمد بيك بن ايواظ وابراهيم بيك بن الجزار فى أيام ولاية محمد باشا ، وقلدوا ذا الفقار قاتل اسماعيل بيك[1] الصنجقية وكشوفية المنوفية ، وانضم اليه من كان خاملا من الفقارية وبدأ أمرهم فى الظهور .. فممن انضم اليه مصطفى بيك بلفيه ، ومحمد بيك أمير الحج — وهو ابن اسماعيل بيك الفقارى — واسماعيل بيك الدالى وقيطاس بك الأعور ، واسماعيل بيك ابن سيده ، ومصطفى بيك قزلار وخلافهم ... اختيارية وأغوات من الوجاقلية ونظم أموره ، وقضى لوازمه وأشغاله ، وجعل مصطفى أفندى الدمياطى كاتب تركى ، وعزم على السفر الى المنوفية وركب فى موكب حافل وصحبته من ذكر من الفقارية .

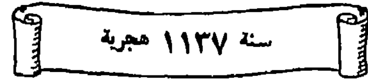
وكان رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية متوجهين الى بيت محمد بيك جركس — وكان لهما الكلمة دون القازدغلية[2] — فصادفا موكب ذى الفقار ، فوقفا ونظرا الى الراكبين معه من الفقارية فتغير خاطرهما على جركس . ولما دخلا على جركس نظر اليهما فرآهما منفعلين فسألهما عن سبب انفعالهما . فأخبراه بما رأيا ، وقالا : « ان دام هذا الحال قتلنا الفقارية » . فقال : « يكون خيرا » ثم أمر الصيفى بقتل أصلان وقيلان ، فوظب (جهز) معه سراجا يثق به ، وأمره أن يقف فى سلالم المقعد . فعندما علم بحضورهما أحدث الصيفى مشاجرة مع ذلك السراج ، وفزع عليه بالطبنجة ، فهرب السراج من أمامه ، فجرى الصيفى خلفه . فأخرج ذلك السراج طبنجته أيضا ورفع زنادها . فقال أصلان : « عيب ! » فأفرغها فيه . وفرغ أيضا الصيفى طبنجته فى قيلان ، وذلك بسلالم المقعد ببيت جركس ، ومسح الخدم الدم ، وأخذوا خيولهما وأرسلوا المقتولين الى بيوتهما فى تابوتين .

ثم ان محمد بيك جركس طلع الى القلعة ، وطلب من الباشا فرمانا بتجريدة يرسلها الى ذى الفقار

(١) أصله جلبى من اشراقات اسماعيل بيك بن ايواظ .

(٢) استاذهم ابراهيم كتخدا ، كان جاويش الينكجرى ثم تولى الكتخدائية والفصل عنها بعد ثلاثة أشهر .

ومن معه من الفقارية ، فامتنع الباشا وقال : « رجل خاطر بنفسه بمعرفتكم واطلاعكم . كيف انى أعطيكم بعد ذلك فرمانا بقتله ؟ » . فقام جركس ونزل الى بيته ، ولم يطلع بعد ذلك الى الديوان ، وأهملوا الدواوين والباشا . فلما ضاق خناق الباشا أبرز مرسوما برفع صنجقية جركس ، وكتب فرمانات للمشايخ والوجاقلية بذلك يمنعهم من الذهاب اليه .



سنة ١١٣٧ هجرية

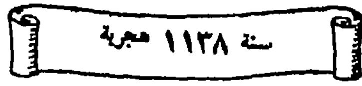
(٢٠ سبتمبر ١٧٢٤ ـ ٨ سبتمبر ١٧٢٥)

فى أواخر هذه السنة بلغ هذا الخبر الى جركس ، فتدارك الأمر ، وعمل جمعيات ، ورتب أمورا ، واجتمعوا بالرميلة وحوالى القلعة ، وعزلوا الباشا وأنزلوه وأسكنوه فى بيت ابن الدالى ... فكانت مدته أربع سنوات . وأرسلوا له محمد بيك بن أبى شنب فخلع عليه ، وجعلوه قائمقام ، وأخذوا منه فرمانا بالتجريدة على ذى الفقار ، وجعلوا ابراهيم بيك فارسكور أمير العسكر وكاشف المنوفية .

ووصل الخبر الى ذى الفقار بيك بما حصل من مصطفى بيك بلفيه ، فوزع طوائفه فى البلاد ودخل الى مصر خفية الى بيت أحمد أوده باشا مطرباز .

فلما سافر ابراهيم بيك بالتجريدة لم يجده ، فضبط موجوداته ، وتحقق من المخبرين أنه دخل الى مصر ، وأرسل الخبر بذلك لجركس .. فأمر لهلوبة الوالى والصيفى بالفحص والتفتيش عليه ، وأرسلوا عرضحال محضرا بما نمقوه وبنزول الباشا .

وكان محمد باشا أرسل قبل ذلك مكاتبات لرجال الدولة بما حصل بالتفصيل . فلما وصل عرض المصريين عينوا على باشا واليا جديدا الى مصر بتدبير مكيدة وصحبته قبودان وقابجى بطلب الأربعة الآلاف كيس التى جعلها محمد بيك بن أبى شنب حلوانا على بلاد النسوارية .



سنة ١١٣٨ هجرية

جمادى الآخرة

فى ٧ منه (١٠ فبراير ١٧٢٦ م) :

كان هروب جركس وخروجه من مصر ، وكتبوا فرمانات لسائر الجهات باهدار دم محمد بيك جركس أينما وجد ، لأنه عاص ، ومفسد ، وأهل شر ... وذلك حسب طلب المصريين .

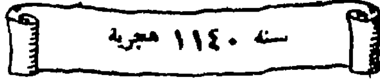
ثم أن محمد باشا والى مصر خلع على جماعة ، وقلدهم أمريات ... وسكن الحال ، وانتهت الرياسة بمصر الى ذى الفقار بيك وعلى بيك الهندى . وحضر محمد بيك قطامش الى مصر من الديار الرومية فلم يتمكن من الدفتردارية ، لأن على بيك الهندى تقلدها .

فاتفق أن جمعا من فرقة القاسمية كانوا يجتمعون فى كل ليلة عند واحد منهم يعملون حظا ويشربون شرابا . فاجتمعوا فى ليلة عند على بيك أبى العذب فلما أخذ الشراب من عقولهم تأوه مصطفى بيك بن ايواظ وقال : يموت العزيز ، أخو الكبير والصغير ، ويصير الهندى مملوكنا سلطان مصر ، ونأكل من تحت يده والباشا فى قبضته — وكان النيل قريب الوفاء — فقال على بيك : « أنا أقتل الباشا يوم جبر البحر » . وكل واحد من الجماعة التزم بقتل واحد ، وقرأوا الفاتحة . وكان معهم مملوك أصله من مماليك عبد الله بيك ، ولما قتل سيده هرب الى الهندى ، وأقام فى خدمته أياما . فلما تقلد مصطفى بيك الصنجقية أخذه من على بيك الهندى . فلما سمع منهم ذلك القول ذهب الى على بيك الهندى وأخبره ، فأرسله الى ذى الفقار فأخبره أيضا ، فبعثه الى الباشا فأخبره .

فلما كان يوم الديوان ، وطلع على بيك أبو العذب ، فقبض عليه الباشا وقتله تحت ديوان قايتباى وأحاط بداره ونهب ما فيها ، وأرسل فى الوقت فرمانا الى الأغا بالقبض على باقى الجماعة ،

فقبضوا على مصطفى بيك بن ايواظ وأركبوه حمارا — وصحبته مقدمه — وأحضروه الى الباشا فأمر بقتله ، وقتل معه مقدمه أيضا ، واختفى الباقون . وأخذ ذو الفقار فرمانا بنفى هانم بنت ايواظ بيك ، وأم محمد بيك بن أبى شنب ، ومحظية على بيك ... فمانع عثمان جاويش القازدغلى فى ذلك واستقبحه ، وضمن غائلتهن ، وألزمهن أن لا يخرجن من بيوتهن ورتب لهن كفايتهن .

فلما حصل ذلك ضعف جانب القاسمية ، وانفرد على بيك الهندى — وكان ذو الفقار أرسل الى الشام — فأحضر رضوان أغا ومحمد أغا السكور فجعلوا رضوان أغا أغات الجملية — ومحمد بيك الجزار غائب باقليم المنوفية — فعند ذلك اغتنموا الفرصة ، وتحرك محمد بيك قطامش فى طلب الدفتردارية ، فدبروا أمرهم مع يوسف جربجى عزبان البركاوى ورضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلى ، وقتلوا على بيك الهندى وذا الفقار قانصوه ، وأرسلوا الى محمد بيك الجزار تجريدة — وأميرها اسماعيل بيك قيطاس وهو باقليم المنوفية — وقلدوا مصطفى أفندى الدمياطى صنجقية وجعلوه حاكم جرجا ، وقبضوا على سليمان بيك أبى شنب ، وقضى اسماعيل بيك أشغاله وسافر بالتجريدة الى المنوفية ، وأخذ صحبته عربان نصف سعد ، وساروا الى محمد بيك الجزار ، وكان لما وصل الخبر ، أخذ ما يعز عليه وترك الوطاق وارتحل الى جسر سديمة ، فلحقوه هناك وحاربوه وحاربهم وقتل بينهم أجناد وعرب وحمى نفسه الى الليل ، ثم أخذ معه مملوكين وبعض احتياجات ، ونزل فى مركب ، وسار الى رشيد ، وترك أربعة وعشرين مملوكا ، فأخذوا الهجن وساروا ليلا مبحرين حتى جاوزوا وطاق اسماعيل بيك ، وتخلف عنهم مملوك ماشى ، فذهب الى وطاق اسماعيل بيك قيطاس وعرفه بمكانهم ، فأرسل اليهم كتخداه بطائفة فردوهم وأخذهم عنده فأقاموا فى خدمته .



(١٩ اغسطس ١٧٢٧ — ٦ اغسطس ١٧٢٨)

ولم يزل محمد بيك فى سيره حتى دخل الى رشيد واختفى فى وكالة ، ووصل خبره الى حسين جربجى الخشاب ، فقبض عليه وقتله بعد أن استأذن فى ذلك ، وتقلد فى نظير ذلك الصنجقية وكشوفية البحيرة .

ثم حضر محمد بيك جركس من غيبته ببلاد الافرنج ، وطلع على درنه وأرسل مركبه التى وصل فيها الى الاسكندرية ، وحضر اليه أمراؤه الذين تركهم من قبل جهة قبلى ، فركب معهم ونزل الى البحيرة ليصل الى الاسكندرية ، فصادف حسين بيك الخشاب ففر منه ، وغنم جركس خيامه وخيوله وجماله ، ثم رجع الى الفيوم ، ونزل على بنى سويف . ثم ذهب الى القطيعة قرب جرجا ، واجتمع عليه القاسمية المشردون ، فحاربه حسين بيك حاكم جرجا والسدارة ، وقتل حسن بيك وطائفته ، واستولى على وطاقهم وعازقهم ووصلت أخباره الى مصر فجمع ذو الفقار بيك جمعية ، وأخرج فرمانا بسفر تجريدة .. فسافر اليه عثمان بيك وعلى بيك قطامش وعساكره فتلاقوا معه ببوادى البهنسا ، فكانت الهزيمة على التجريدة ، واستولى محمد بيك جركس ومن معه على عرضيهم وخيامهم ، وحال بينهم الليل ، ورجع المهزومون الى مصر .. فجمع ذو الفقار الأمراء واتفقوا على التشهيل والخراج تجريدة أخرى ، فاحتاجوا الى مصروف ، فطلبوا فرمانا من الباشا بمبلغ ثلثمائة كيس من الميرى عن السنة القابلة ، فامتنع عليهم ، فركبوا عليه وأنزلوه وقلدوا محمد بيك قطامش قائمقام ، وأخذوا منه فرمانا بمطلوبهم ، وجهزوا أمر التجريدة،واهتموا فيها اهتماما زائدا ، ورتبوا

أشغالهم ، وخرجوا . وجرت أمور وحروب ، وقتل من جماعة جركس سليمان بيك ، ثم وقعت الهزيمة على جركس .

سنة ١١٤٢ هجرية

(٢٧ يولية ١٧٢٩ ــ ١٦ يولية ١٧٣٠)

وصل الى مصر باكير باشا ، وطلع الى القلعة ، فمكث أشهرا وعزله العساكر فى أواخر السنة . وحصل بمصر فى أيام هذه التجاريد ضنك عظيم ، وثار جماعة القاسمية المختفون بالمدينة ودبروا مكرهم — ورئيسهم فى ذلك الوقت سليمان أغا أبو دفية — ودخل منهم طائفة على ذى الفقار بيك وقت العشاء فى رمضان وقتلوه . وكان محمد بيك جركس جهة الشرق ينتظر موعدهم معه ، فقضى الله بموت جركس خارج مصر ، وموت ذى الفقار داخلها . ولم يشعر أحدهما بموت الآخر — وكان بينهما خمسة أيام — وثار أتباع ذى الفقار بالقاسمية ، وظهروا عليهم وقتلوهم وشردوهم ، ولم يقم منهم قائم بعد ذلك الى يومنا هذا .

وانقرضت دولة القاسمية من الديار المصرية .

وظهرت دولة الفقارية ، وتفرع منها طائفة القازدغلية .

سنة ١١٤٣ هجرية

(١٧ يولية ١٧٣٠ ــ ٥ يولية ١٧٣١)

وبهذا كان انقراض فرقة القاسمية ، وظهور أمر الفقارية ، وخلع السلطان أحمد من السلطنة ، وولاية محمود خان . ووالى مصر اذ ذاك عبد الله الكبورلى — نسبة الى كبور بلدة بالروم — وحضر الى مصر فى السنة الخالية ، وكان من أرباب الفضائل ، وله ديوان شعر جيد .. وكان انسانا خيرا صالحا منقادا الى الشريعة ، أبطل المنكرات والخمامير ومواقف الخواطى والبوظ من بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة ، وجعل للوالى والمقدمين عوضا عن ذلك فى كل شهر كيسا من كشوفيات الباشاوات ، وكتب بذلك حجة شرعية وفيها لعن كل من تسبب فى رجوع ذلك .

سنة ١١٤٤ هجرية

(٦ يولية ١٧٣١ ــ ٢٣ يونية ١٧٣٢)

فى أواخر هذه السنة عزل عبد الله باشا ، وأمراء مصر فى هذا العام محمد بيك قطامش ، وتابعه على بيك قطامش ، وعثمان جاويش القازدغلى ، ويوسف كتخدا البركاوى ، وعبد الله كتخدا القازدغلى ، وسليمان كتخدا القازدغلى ، وحسن كتخدا القازدغلى ، ومحمد كتخدا الداودية ، وعلى بيك ذو الفقار ، وعثمان بيك ذو الفقار ، خشداشه.

سنة ١١٤٥ هجرية

(٢٤ يونية ١٧٣٢ ــ ١٣ يونية ١٧٣٣)

وصل مسلم محمد باشا السلحدار فأخبر بولاية محمد باشا السلحدار ، وقدم من البصرة .

سنة ١١٤٦ هجرية

(١٤ يونية ١٧٣٣ ــ ٢ يونية ١٧٣٤)

استمر محمد باشا واليا على مصر ، ثم عزل وتولى عثمان باشا الحلبى . ووصل المسلم بقائمقامية الى على بيك ذو الفقار ، فطلع الى الديوان ، ولبس القفطان من عثمان باشا ونزل الى

بيته وحضر اليه الأمراء وهنوه ، وخلع على اسماعيل بيك أبى قلنج أمين السماط ، ووصل عثمان باشا الى العرش ، وتوجهت اليه الملاقاة وأرباب الخدم، وحضر الى العادلية وعملوا له شنكا وطلع الى القلعة وخلع الخلع .

وورد قابجى باشا بالسكة وابطال سكة الذهب الفندقلى ، وضرب الزر محبوب كامل وصرفه مائة نصف فضة وعشرة أنصاف ، وكذلك سكة النصف محبوب وصرفه خمسة وخمسون ، وزاد فى الفندقلى الموجود بأيدى الناس اثنى عشر نصف فضة فصار يصرف بمائة نصف وستة وأربعين نصفا وحضر مرسوم أيضا بتعيين صنجق للوجه القبلى بتحرير النصارى واليهود وما عليهم من الجزية فى كل بلد العال (١) : أربعمائة نصف وعشرين نصفا ، والوسط : مائتين وسبعين ، والدون (٢) مائة ، فتشاوروا فيمن ينزل بصحبة الأغا والكاتب من الأمراء الصناجق لتحرير بلاد قبلى . فقال حسين بيك الخشاب : « أنا مسافر بمنصب جرجا وينزل بصحبتى الأغا المعين ، وانظروا من يذهب الى بحرى » . فقال محمد بك قطامش « كل أقليم يتقيد بتحريره الكاشف المتولى عليه ومعه الأغا والكاتب » . فاتفق الرأى على ذلك .

سنة ١١٤٧ هجرية

شعبان

(يناير ١٧٣٥ م) :

عمل اسماعيل بيك بن محمد بيك الدالى مهما لزواج ولده ، ودعا عثمان باشا الى منزله الذى ببركة الفيل وعندما حضر الباشا واستقر به الجلوس وضع بين يديه مندبلا فيه ألف دينار برسم تفرقة البقاشيش على الخدم وأرباب الملاعيب ، وقدم له تقادم : خيول وهدايا وجواد .

رمضان

(فبراير ١٧٣٥ م) :

فى أوائله ظهر بالجامع الأزهر رجل تكرورى وادعى النبوة ، فأحضروه بين يدى الشيخ أحمد العماوى (١) ، فسأله عن حاله . فأخبره أنه كان فى شربين فنزل عليه جبريل وعرج به الى السماء ليلة سبع وعشرين رجب ، وأنه صلى بالملائكة ركعتين ، وأذن له جبريل . ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقة وقال له : أنت نبى مرسل ، فانزل وبلغ الرسالة واظهر المعجزات . فلما سمع الشيخ كلامه قال له : « أنت مجنون » . فقال : « لست بمجنون وانما أنا نبى مرسل » . فأمر بضربه فضربوه وأخرجوه من الجامع ، ثم سمع به عثمان كتخدا فأحضره وسأله ، فقال مثل ما قاله للشيخ العماوى ، فأرسله الى المارستان . فاجتمع عليه الناس والعامة رجالا ونساء ، ثم أنهم أخفوه عن أعين الناس . ثم طلبه الباشا فسأله فأجابه بمثل كلامه الأول ، فأمر بحبسه فى العرقانة ثلاثة أيام .

ثم جمع العلماء وسألوه فلم يتحول عن كلامه ، فأمروه بالتوبة فامتنع وأصر على ما هو عليه فأمر الباشا بقتله فقتلوه بحوش الديوان وهو يقول « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » . ثم أنزلوه والقوه بالرميلة ثلاثة أيام .

ذو الحجة

٢٤ منه (١٧ مايو ١٧٣٥ م) :

اشيع فى الناس بمصر بأن القيامة قائمة يوم

---

(١) لفظ عامى معناه « الجيد »

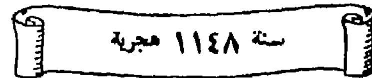
(٢) لفظ عامى معناه « الردىء »

(١) الامام العالم استاذ المحققين ، مالكى . كان فقيها محدثا نحويا منطقيا ، توفى فى ٧ جمادى الاولى ١١٥٥ هـ (١٠ يوليه ١٧٤١ م) .

الجمعة سادس عشرين الحجة (١٩ مايو ١٧٣٥ م) وفشا هذا الكلام فى الناس قاطبة حتى فى القـرى والأرياف ، وودع الناس بعضهم بعضا ، ويقـول الانسان لرفيقه : « بقى من عمرنا يومان » . وخرج الـكثير من النـاس والمخاليع (١) الى الغيطـان والمتنزهات ، ويقول لبعضهم البعض : دعونا نعمل حظا ونودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة .

وطلع أهل الجيزة نساء ورجالا ، وصـــاروا يغتسلون فى البحر ومن الناس من علاه الحزن وداخله الوهم ، ومنهم من صار يتوب من ذنوبه ويدعو ويبتهل ويصلى ، واعتقـدوا ذلك ووقع صدقه فى نفوسهم ، ومن قال لهم خلاف ذلك ، أو قال : هذا كذب ، لا يلتفتون لقوله ، ويقولون هذا صحيح ! وقاله فلان اليهودى وفلان القبطى ، وهما يعرفان فى الجفور والزايرجات ولا يكذبان فى شىء يقولانه .

وقد أخبر فلان منهم على خروج الريح الذى خرج فى يوم كذا ، وفلان ذهب الى الأمير الفلانى وأخبره بذلك وقال له : احبسنى الى يوم الجمعة . وان لم تقم القيـامة فاقتلنى .. ونحـو ذلك من وساوسهم . وكثر فيهم الهرج والمرج الى يوم الجمعة المعين المذكور فلم يقع شىء . ومضى يوم الجمعة ، وأصبح يوم السبت فانتقلوا يقولون : فلان العالم قال ان سيدى أحمد البدوى والدسوقى والشافعى تشفعوا فى ذلك وقبل الله شفاعتهم ، فيقول الآخر: اللهم انفعنا بهم فاننا يا أخى لم نشبع من الدنيـا وشارعون نعمل حظ ، ونحو ذلك من الهذيانات .


سنة ١١٤٨ هجرية

(٢٤ مايو ١٧٣٥ ـ ١١ مايو ١٧٣٦)

فيها عزل عثمان باشا بعد أن أقام فى ولاية مصر سنة واحدة وخمسة أشهر وتولى بعده باكير باشا وهى ولايته الثانية .

شـــوال

فى ٢٤ منه (٢٧ مارس ١٧٣٦ م) :

قدم باكير باشا من جدة الى السـويس من القلزم ، لأنه كان واليا عليها بعد انفصاله من مصر. ولما ركب بالموكب كان خلفه من أتباعه نحو الثلاثين خيالا ملبسة بالزروخ المذهبـة ، وله من الأولاد خمسة ركبوا أمامه فى الموكب ، وصرخت العـامة فى وجهه من جهة فساد المعاملة ، وهى الاخشـنا والمرادى والمقصوص والفندقلى ... فان الاخشنـا صار بستة عشر جديدا ، والمرادى باثنى عشر ، والمقصوص بثمانية جدد . وصار صرف الفندقلى بثلثمائة نصف ، والجنزرلى بمائتين ، وغلت بسبب ذلك الأسـعار ، وصار الذى كان بالمقصـوص بالديوانى .. فلم يلتفت الباشا لذلك .

ذو القعـــدة

(مارس ـ ابريل ١٧٣٦) .

ورد أغا وعلى يده مرسوم بطلب سفر ثلاثة الاف عسكرى لمحافظة بغداد وأن يكون العسكر من أصحاب العثـامنة ، ولا يرسلوا عسـكرا من فلاحى القليوبية والجيزة والبحيرة وشرق أطفيح والمنصورة . فقلدوا أمير السفر مصطفى بيك أباظه حاكم جرجا سابقـا ، وسـافر حسن بك الدالى بالخزينة وارتحل من العادلية فى منتصف الحجة ، وكان خروجه بالموكب فى أوائل رجب .

ذو الحجـــة

فى يوم الخميس ٥ منه (١٧ ابريل ١٧٣٦ م) :

ركب مصطفى بيك بموكب السفر وسافر فى المحرم .

---

(١) الرقعاء .

فى ١٠ منه (٢٢ ابريل ١٧٣٦ م) :

فيه : يوم الأضحية ، قبل آذان العصر ، خرجت ريح سوداء غريبة أظلمت منها الدنيا وحجبت نور الشمس ، فغرق منها مراكب ، وسقطت أشجار — ومن جملتها شجرة جميز عظيمة بناحية الشيخ قمر — وهدمت دور قديمة ، وشجرة اللبخة بديوان مصر القديمة ثم أعقبها بعد العشاء مطر عظيم . ووصل أيوب بيك أمير سفر العجم ، وطلع الى الديوان وألبسه الباشا قفطان القدوم والسدادرة وأصحاب الدركات . وكانت مدة غيابه سنتين وثلاثة أشهر .

وفى أيامه : ورد أغا وعلى يده مراسيم وأوامر : منها ابطال مرتبات أولاد وعيال ، ومنها ابطال التوجيهات وأن المال يقبض الى الديوان ويصرف من الديوان ، وأن الدفاتر تبقى بالديوان ولا تنزل بها الافندية الى بيوتهم فلما قرىء ذلك قال القاضى . «أمر السلطان لا يخالف ويجب اطاعته». فقال الشيخ سليمان المنصورى : « ياشيخ الاسلام : هذه المرتبات فعل نائب السلطان ، وفعل النائب كفعل السلطان ، وهذا شىء جرت به العادة فى مدة الملوك المتقدمين ، وتداولته الناس وصار يباع ويشرى ، ورتبوه على خيرات ومساجد وأسبلة ، ولا يجوز ابطال ذلك ، واذا بطل بطلت الخيرات ، وتعطلت الشعائر المرصد لها ذلك ، فلا يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله أن يبطل ذلك ، وان أمر ولى الأمر بابطاله لا يسلم له ويخالف امره ، لأن ذلك مخالفة للشرع ، ولا يسلم للامام فى فعل ما يخالف الشرع ولا لنائبه أيضا » . فسكت القاضى ، فقال الباشا : « هذا يحتاج الى المراجعة » . ثم قال الشيخ سليمان : « وأما التوجيهات ففيها تنظيم وصلاح وأمر فى محله » ، وانفض الديوان على ذلك .

ووقع الطاعون المسمى بطاعون كو ، ويسمى أيضا الفصل العائق بأخذ على الرائق ، ومات به كثير من الأعيان وغيرهم بحيث مات من بيت عثمان كتخدا القازدغلى فقط مائة وعشرون نفسا ، وصارت الناس تدفن الموتى بالليل فى المشاعل

ووقع فى أيامه الفتنة التى قتل فيها عدة من الأمراء وسببها : أن صالح كاشف زوج هانم بنت ايواظ بيك كان ملتجئا الى عثمان بيك ذى الفقار ، وتزوج بنت ايواظ بيك بعد يوسف بيك الخائن — وكان من القاسمية — فحرضته على طلب الامارة والصنجقية ، وتأخذ له فائظ عشرين كيسا ، وكلم عثمان بيك فى شأن ذلك فوعده ببلوغ مراده ، وخاطب محمد بيك قيطاس المعروف بقطامش — وهو اذ ذاك كبير القوم فى ذلك — فلم يجبه ، وقال له : تريد أن تفتح بيتا للقاسمية فيقتلونا على غفلة .. هذا لا يكون أبدا ما دمت حيا . وكان عثمان بيك المذكور أخذ كشوفية المنصورة فأنزل فيها صالح كاشف قائمقام . فلما كمل السنة ورجع ، تحركت الهمة الى طلب الصنجقية ، وعاود عثمان بيك فى الخطاب ، وهو كذلك تكلم مع محمد بيك فصمم على الامتناع فوقع على الأغوات والاختيارية فلم يجب ولم يرض ، ووافقه على الامتناع على بيك تابع المذكور وخليل افندى . فذهب صالح كاشف الى عثمان كتخدا القازدغلى (١) واتفق معه على قتل الثلاثة ، وقال له : اعمل تدبيرا فى قتلهم . فذهب الى رضوان بيك أمير الحج سابقا وسليمان بيك الفراش ، فاتفق معهما على قتل الثلاثة فى بيت محمد بيك الدفتردار باطلاع باكير باشا . وعرفوا محمد بيك بذلك فرضى وكتب فرمانا بالجمعية فى بيت الدفتردار بسبب الحلوان والخزينة ... فركبوا بعد العصر الى بيت

(١) تابع حسن جاويش القازدغلى ، والد عبد الرحمن كتخدا صاحب العماير . اشتهر ذكره ونما صيته . وعمر الجامع المعروف به بالازبكية ، وبنى زاوية العميان بالأزهر .

محمدبيكقطامش ، وركبوا معه الى بيت الدفتردار، وصحبتهم على بيك وصالح بيك وخليل افندى وأغات الجملية وعلى صالح جربجى واختيار من الأسباهية ويوسف كتخدا البركاوى ، وحضر عثمان بيك ذو الفقار وعثمان كتخدا القازدغلى وأحمد كتخدا الخربوطلى وكتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة وعلى جلبى الترجمان . فلما تكاملت الجمعية أمر محمد بيك قطامش بكتابة عرضحال ، وقال للكاتب : اكتب كذا وكذا ، فطلع الى خارج — وصحبته كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا — وجلس يكتب فى العرض وقد قرب الغروب ، فأرادوا الانصراف فوقف الدفتردار وقال : « هاتوا شربات » وكان ذلك القول هو الاشارة مع صالح كاشف وعثمان كاشف مملوك سليمان بيك ، ففتحوا باب الخزانةوخرج منها جماعة بطرابيش وهم شاهروالسلاح فوقفمحمد بيك قطامشعلىأقدامه وقال : « هى خونة » فضربه الضارب بالقرابينة فى صدره ، ووقع الضرب ، وهاج المجلس فى دخنة البارود وظلام الوقت .. فلم يعلم القاتل من المقتول. وعندما سمع كتخدا الجاويشية أول ضربة ، وهو جالس مع الأفندى الكاتب ، نزل مسرعا وركب ، وعلى الترجمان ألقى بنفسه من شباك الجنينة وعثمان بيك ذو الفقار أصابه سيف فقطع شاشه وقاووقه ، ودفعه صالح كاشف فنجا بنفسه الى أسفل ، وركب حصان بعض الطوائف وخرج من باب البركة . وأصيب باش اختيارمستحفظان البرلى بجراحة قوية ، فأرسلوه الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام .

ثم أوقدوا الشموع وتفقدوا المقتولين ، واذا هم محمد بيك قطامش ، وعلى بيك تابعه وصالح بيك ، وعثمان بيك كتخدا القازدغلى واحمد كتخدا الخربطلى (١) ويوسف كتخدا البركاوى(٢)وخليل أفندى ، وأغات الجمليةوعلى صالح جربجى والأسباهى تتمة عشرة ، وباش اختيار الذى مات بعد ذلك فى بيته .. فعروا المقتولين من ثيابهم وقطعوا رءوسهم ، وأتوا بهم جامع السلطان حسن فوجدوه مغلوقا فأحرقوا ضرفة الباب الذى جهة سوق السلاح ووضعوا الرءوس العشرة على البسطة ، ووضعوا عند كل رأس شيئا من التبن ، وظنوا أنهم غالبون . وطلع صالح كاشف الى الباشا من باب الميدان فخلع عليه الصنجقية ، فطلب منه دراهم يفرقها فى العسكر المجتمعين اليه فقال له : « انزل لأشغالك وأنا أرسل اليك ما تطلب » . فنزل الى السلطان حسن فوجد محمد كتخدا الداودية حضر بأتباعه وجماعته هناك يظن أنهم غالبون . وعندما بلغ الخبر سليمان كتخدا الجلفى ركب فى جماعته بعد المغرب ، وطلع الى باب العزب وكان كتخدا الوقت اذ ذاك احمد كتخدا الشراق يوسف كتخدا البركاوى ، فطرق الباب . فقال التفكجية : « من هذا ؟ » فعرفهم عن نفسه . فقال الكتخدا : « قولوا له أنت توليت الكتخدائية وتعرف القانون ، وان الباب لا يفتح بعد الغروب ، فان كان له حاجة يأتى فى الصباح » .

وأما عثمان بيك فانه لما خرج من باب البركة وشاشه مقطوع لم يزل سائرا الى باب الينكجرية فوجده ملآن جاويشية وواجب رعايا ونفر . وطلع عندهم عمر جلبى بن على بيك قطامش فأخذه حسن جاويش النجدلى ، ومعه طائفة ، وطلع به الى الباشا — بعد نزول صالح كاشف — فخلع عليه صنجقية أبيه ، وأعطاه فرمانا بالخروج من حق الذين قتلوا الأمراء وحرقوا باب المسجد ونزل .

(١) هو الذى عمر الجامع المعروف بالفاكهانى بعطفة خوشقدم بخط العقادين .

(٢) كان أصله جربجيا بباب العزب .

فرد على كتخدا الوقت وصحبته حسن جاويش النجدلى ومعهم بيرق وأنفار وواجب رعايا من المحجر خلف جامع المحمودية وبيت الحصرىوزاوية الرفاعى .

سنة ١١٤٩ هجرية

فى هذه السنة عزل باكير باشا وتولى مكانه مصطفى باشا .

رجب

الجمعة ٥ منه (٩ نوفمبر ١٧٣٦ م) :

ليلة مولد الرفاعى : عملوا متريز على باب الدرب قبالة باب السلطان حسن ، وضربوا عليهم بالرصاص ، وكذلك من باب العزب وبيت الأغا وكان أغات العزب عبد اللطيف أفندى وروزنامجى مصر سابقا . وأما صالح بيك فانه انتظر وعد الباشا فلم يرسل له شيئا ، فأخذ رضوان بيك وعثمان كاشف ومملوك سليمان بيك واختفوا فى خان الخليلى ، واختفى أيضا محمد بيك اسماعيل . ومحمد كتخدا الداودية ندم على مافعل ، فركب بجماعته وذهب الى بيت مصطفى بيك الدمياطى فوجده مقفولا فطرق الباب فلم يجبه أحد . فذهب الى بيت ابراهيم بيك بلفيه ودخل هناك .

ولما بطل الرمى من السلطان حسن هجم حسن جاويش فلم يجد به أحدا . ولما طلع النهار ذهبوا الى بيت الدفتردار فنهبوه ، ونهبوا أيضا بيت رضوان بيك ، وذهبوا الى سليمان بيك فقتلوه وقطعوا رأسه ، ونهبوا البيت وأتوا الى الباب .

ثم أن السبعة وجاقات اجتمعوا فى بيت على كتخدا الجلفى وقالوا له : « أنت بيت سر يوسف كتخدا البركاوى ، ولا يفعل شيئا الا باطلاعك ، وعندك خبر بقتل أمرائنا وأعياننا والشاهد على ذلك مجىء خشداشك سليمان كتخدا بعد المغرب بطائفته يملك باب العزب » فحلف بالله العظيم لم يكن عنده خبر بشىء من ذلك ، ولا بمجىء سليمان كتخدا الى الباب . ولكن أى شىء جاء بمحمد كتخدا الداودية الى السلطان حسن .

ثم انهم أنزلوا باكير باشا وعزلوه وطيبوا عليه حلوان بلاد المقتولين ، وكتبوا عرض محضر وسفروه صحبة سبعة أنفار فحضر مصطفى أغا أمير اخور كبير ومعه مرسوم من الدولة بضبط متروكات المقتولين فمكث بمصر شهرين .

ثم ورد أمر بولايته على مصر وتوجيه باكير باشا الى جدة

سنة ١١٥٢ هجرية

(١٠ ابريل ١٧٣٩ ـ ٢٨ مارس ١٧٤٠)

أقام مصطفى باشا واليا بمصر الى هذه السنة .

تولى بعده سليمان باشا الشامى الشهير بابن العظم . ولما استقر فى ولاية مصر أراد ايقاع فتنة بين الأمراء . فضم اليه عمر بيك بن على بيك قطامش . فأرسل اليه من يأمنه على سره . واتفق معه على قتل عثمان بيك ذى الفقار وابراهيم بيك قطامش وعبد الله كتخدا القازدغلى وعلى كتخدا الجلفى ، وهم اذ ذاك أصحاب الرياسة بمصر . ووعده نظير ذلك امارة مصر والحج ، وأن يعطيه من بلادهم فائظ عشرين كيسا فجمع عمر بيك خليل أغا وأحمد كتخدا عزبان وابراهيم جاويش قازدغلى ، واختلى بهم وعرفهم بالمقصود ، وتكفل أحمد كتخدا بقتل على كتخدا وخليل أغا بعثمان بيك وابراهيم جاويش بعبد الله كتخدا ، واذا انفرد ابراهيم بيك أخذوه بعد ذلك بحيلة وقتلوه فى الديوان .

ثم ان أحمد كتخدا أغرى بعلى كتخدا لاظ

ابراهيم فقتل على كتخدا عند بيت أقبرى وهو طالع الى الديوان . وبلغ الخبر عثمان بيك ، فتدارك الأمر ، وفحص عن القضية حتى انكشف له سرها وعمل شغله وقتل أحمد كتخدا . وعندما قتل على كتخدا ظن الباشا تمام المقصد ، فأراد أن يملك باب الينكجرية بحيلة ، وأرسل مائتى تفكجى ومعهم مطرجى وجوخدار — وهم مستعدون بالأسلحة — فمنعهم التفجكية من العبور . وطلب الكتخدا شخصين من أعيانهم يسألهما عن مرادهم، فقالا : أن الباشا « مقصر فى حقنا ولم يعطنا علائفنا» فأرسل معهم باش جاويش بالسلام على الباشا من الاختيارية والوصية بهم . فقبل ذلك ولم يتمكن من مراده .

ثم ان حسين بيك الخشاب طلع الى باب العزب ، وتحيل فى نزول أحمد كتخدا من الباب وملك هو الباب . واجتمعوا بعد ذلك وأمروا الباشا بالنزول الى قصر يوسف ، فركب وأراد أن يدخل الى باب الينكجريةفرفعوا عليه البنادقفدخل الى قصر يوسف فوجده خرابا . فأخذ حسن جاويش النجدلى خاطر الينكجرية على نزوله ببيت الأغا .

وانتقل الأغا الى السرجى فأقام الباشا الى أن نزل ببيت البيرقدار وسافر بعد ذلك

سنه ١١٥٣ هجرية

جمادى الأولى

(يوليو – اغسطس ١٧٤٠ م) :

كانت ولاية سليمان باشا على مصر الى شهر جمادى الأولى من هذه السنة .

ثم تولى بعده الوزير على باشا حكيم أوغلى — وهى توليته الأولى بمصر — فدخل مصر فى جمادى الأولى . ومكث الى عاشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين ومائة وألف (٢٤ يولية ١٧٤١ م)

سنه ١١٥٤ هجرية

جمادى الأولى

١٠ منه (٢٤ يوليو ١٧٤١ م) :

نزل سليمان باشا الى بيت البيرقدار ، وعمل على باشا أول ديوان بقرا ميدان بحضرة الجم الغفير ، وقرىء مرسوم الولاية بحضرة الجميع . ثم قال الباشا : « أنا لم آت الى مصر لأجل اثارة فتن بين الأمراء واغراء ناس علي ناس ، وانما أتيت لأعطى كل ذى حق حقه . وحضرة السلطان اعطانى المقاطعات ، وأنا أنعمت بها عليكم فلا تتعبونى فى خلاص المال والغلال » . وأخذ عليهم حجة بذلك وانفض المجلس .

ثم انه سلم على الشيخ البكرى وقال له : « أنا بعد غد ضيفك » . ثم ركب وطلع الى السراية ، وأرسل الى الشيخ البكرى هدية وأغناما وسكرا وعسلا ومربيات . ونزل اليه فى الميعاد وأمر ببناء رصيف الجنينة التى فى بيتهم ، وكان له فيه اعتقاد عظيم لرؤيا منامية رآها فى بعض سفراته .

وكانت أيامه أمنا وأمانا ، والفتن ساكنة ، والأحوال مطمئنة .

ثم عزل ونزل الى قصر عثمان كتخدا القازدغلى بين بولاق وقصر العينى .

ثم تولى يحيى باشا ، ودخل الى مصر وطلع الى القلعة فى موكبه على العادة ، وطلع اليه على باشا وسلم عليه . ونزل هو الآخر وسلم على على باشا بالقصر . ودعاه عثمان بيك ذو الفقار وعمل له وليمة فى بيته . وقدم له تقادم كثيرة وهدايا . ولم يتفق نظير ذلك فيما تقدم أن الباشا نزل الى بيت أحد من الأمراء فى دعوة ، وانما كان الأمراء يعملون لهم الولائم بالقصور فى الخلاء مثل قصر العينى أو المقياس .

سنة ١١٥٦ هجرية

رجب

فى ٢٠ منه (٩ سبتمبر ١٧٤٣ م):

أقام يحيى باشا فى ولاية مصر (١) الى أن عزل فى هذا التاريخ .

تولى بعده محمد باشا اليدكشى وحضر الى مصر وطلع الى القلعة .

وفى أيامه كتب فرمان بابطال شرب الدخان فى الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت .

ونزل الأغا والوالى فنادوا بذلك . وشددوا فى الانكار والنكال بمن يفعل ذلك من عال أو دون وصار الاغا يشق البلد فى التبديل كل يوم ثلاث مرات ، وكل من رأى فى يده آلة الدخان عاقبه وربما أطعمه الحجر الذى يوضع فيه الدخان بالنار .

وفى أيامه أيضا قامت العسكر بطلب جراياتهم وعلائفهم من الشون ، ولم يكن بالشون أردب واحد . فكتب الباشا فرمانا بعمل جمعية فى بيت على بيك الدمياطى الدفتردار ، لينظروا الغلال فى ذمة أى من كان يخلصونها منه . فلما كانوا فى ثانى يوم اجتمعوا ، وحضر الروزنامجى وكاتب الغلال والقلقات وأخبروا أن بذمة ابراهيم بيك قطامش أربعين ألف أردب . والمذكور لم تكن فى الجمعية وانتظروه فلم يأت ، فأرسلوا له كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة ، فامتنع من الحضور فى الجمهور وقال : « الذى له عندى حاجة يأتى الى عندى » ، فرجعوا وأخبروهم بما قال . فقال العسكر : « نذهب اليه ونهدم بيته على دماغه » فقام وكيل دار السعادة وأخذ معه من كل بلك اثنين اختيارية وذهبوا الى ابراهيم بيك قطامش . فقال له الوكيل : « أى شىء هذا الكلام ؟ » والعسكر قائمة على اختياريتها . قال : « والمراد أى شىء وليس عندى غلال ؟ » قال له الوكيل : « نجعلها مثمنة بقدر معلوم » فثمنوا القمح بستين نصف فضة الأردب والشعير بأربعين . فقال ابراهيم بيك : « يصبروا حتى يأتينى شىء من البلاد » . قال الوكيل : « العسكر لا يصبروا ويحصل من ذلك أمر كبير » . فجمعوا مبلغ اليكون فبلغ ثمانين كيسا . فرهن عند الوكيل بلدين لأجل معلوم ، وكتب بذلك تمسك وأخذ التقاسيط ، ورجع الوكيل الى محل الجمعية ، وأحضر مبلغ الدراهم .. وكل من كان عليه غلال أورد بذلك السعر . وهذه كانت أول بدعة ظهرت فى تثمين غلال الأنبار للمستحقين .

فى ٢١ منه (١٠ سبتمبر ١٧٤٣ م):

الثلاثاء : حصلت فتنة بين عثمان بيك شيخ البلد والبكوات انتهت بفرار عثمان بيك الى سوريا ومنها الى الآستانة فولى بروحه حتى توفاه الله وقد أحرقت الأهالى بيت عثمان بيك واقتسموا أمواله وتركته بمصر . وبعد مقتلة عظيمة بين البكوات تولى ابراهيم كخيا مشيخة البلد ، وسمى رضوان بيك أميرا للحج (١) .

سنة ١١٥٨ هجرية

(٣ فبراير ١٧٤٥ ـ ٢٣ يناير ١٧٤٦)

استمر محمد باشا فى ولاية مصر حتى عزل فى هذه السنة . ووصل مسلم محمد باشا راغب .

وتقلد ابراهيم بيك بلفيه قائمقام . وخلع عليه محمد باشا القفطان ، وعلى محمد بيك أمين السماط . ثم ورد الساعى من اسكندرية فأخبر بورود حضرة محمد باشا راغب الى ثغر الاسكندرية . فنزل أرباب العكاكيز لملاقاته ، وحضروا صحبته

(١) حكم يحيى باشا مصر لمدة سنتين .

(١) نقلنا أخبار هذا اليوم من « التوفيقات الالهامية » .

الى مصر . وطلع الى القلعة ، وحصل بينه وبين حسين بيك الخشاب محبة ومودة ، وحلف له أنه لايخونه . ثم أسر اليه أن حضرة السلطان يريد قطع بيت القطامشة والدمايطة . فأجاب الى ذلك . واختلى بابراهيم جاويش وعرفه بذلك . فقال له الجاويش : « عندك توابع عثمان بيك قرقاش وذو الفقار كاشف ، وهم يقتلون خليل بيك وعلى بيك الدمياطى فى الديوان » . فقال له : « يحتاج يكون صحبتهم أناس من طرفك ، والا فليس لهم جسارة على ذلك » فقال له : « أنا أتكلم مع عثمان أغا أبى يوسف يطلب شرهم لأنه من طرفى » .

فلما كان يوم الديوان ، وطلع حسين بيك الخشاب وقرقاش وذو الفقار وجماعته ، وطلع على بيك الدمياطى وصحبته محمد بيك ، وطلع فى أثرهم خليل بيك أمير الحج وعمر بيك بلاط ، فجلسوا بجانب المحاسبة ، فحضر عثمان أغا أغات المتفرقة عند خليل بيك ، فقال له : « لماذا لم تدخل عند الباشا ؟ » . فقال له : « قد تركناه لك » . فقال : « كأنى لم أعجبك » . واتسع بينهما الكلام ، فسحب أبو يوسف النمشة وضرب خليل بيك . واذا بالجماعة كذلك أسرعوا وضربوا عمر بيك بلاط فقتلوه ، ودخلوا برأسيهما الى الباشا . فقام على بيك الدمياطى ومحمد بيك ونزلا ماشيين ودخلا الى نوبة الجاويشية . فأرسل الباشا للاختيارية يقول لهم : « انهما مطلوبان للدولة وأخذهما وقطع رأسيهما أيضا » . وكتبوا فرمانا الى الصناجق والأغوات واختيارية السبعة وجاقات بأن ينزلوا بالبيارق والمدافع الى ابراهيم بيك وعمر بيك وسليمان بيك الألفى . وكان سليمان بيك دهشور مسافرا بالخزينة فنزلت البيارق والمدافع ، فضربوا أول مدفع عند قنطرة سنقر . فحمل الثلاثة أحمالهم وخرجوا بهجنهم وعازقهم الى جهة قبلى ، ودخل العساكر الى بيت ابراهيم بيك فنهبوه ، وكذلك بيت خليل بيك ، وذهبوا الى بيت على بيك فوجدوا فيه صنجقا من الصناجق ملكه بما فيه ، ولم يتعرضوا ليوسف بيك ناظر الجامع الأزهر ، ورفعوا صنجقية محمد بيك صنجق ستة . وماتت ستة أيضا وذهب الى طندتا وعمل فقيرا بضريح سيدى أحمد البدوى .

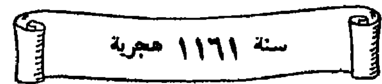
ولما رجع سليمان بيك دهشور من الروم ، رفعوا صنجقيته ، وأمروه بالاقامة برشيد ، وقلدوا عثمان كاشف صنجقية ، وكذلك كجك أحمد كاشف ، وقلدوا محمد بيك أباظة اشراق حسين بيك الخشاب دفتردارية مصر . وانقضت تلك الفتنة .

ثم ان الباشا قال لحسين بيك الخشاب : « مرادى ان نعمل تدبيرا فى قتل ابراهيم جاويش قازدغلى ورضوان كتخدا الجلفى ، وتصير أنت مقدام مصر وعظيمها » . فاتفق معه على ذلك ، وجمع عنده على بيك جرجا وسليمان بيك — مملوك عثمان بيك ذى الفقار — وقرقاش وذا الفقار كاشف .. ودار القال والقيل ، وسعى المنافقون ، وعلم ابراهيم جاويش ورضوان كتخدا مايراد بهما ، فحضر ابراهيم جاويش عند رضوان كتخدا ، وامتلأ باب الينكرجية وباب العزب بالعسكر والأودة باشية .

واجتمعت الصناجق والأغوات السبعة فى سبيل المؤمنين ، والاسباهية بالرميلة ، وأرسلوا يطلبون فرمانا من الباشا بالركوب على بيت حسين بيك الخشاب الذى جمع عنده المفاسيد أعداءنا ، وقصده قطعنا .

فلما طلع كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا الى راغب باشا وطلبوا منه فرمانا بذلك . فقال الباشا : « رجل نفذ أمر مولانا السلطان ، وخاطر بنفسه ، ولم ينكسر عليه مال ولا غلال . كيف أعطيكم فرمانا بقتله ؟ الصلح أحسن

ما يكون » . فرجعوا وردوا عليهم بجـــواب الباشا . فأرسلوا له من كل بلك اثنين اختيارية بالعرضحال . فان أبى فقولوا له : « ينزل ويولى قائمقام ونحن نعرف خلاصنا مع بعضنا » . فنزل بكامل أتباعه من قراميدان لما صار فى الرميلة ، فأراد أن ينزل على شيخون الى بيت حسين بيـــك الخشاب يكرنك معه فيه . واذا بالعزب المرابطين فى السلطان حسن ردوه بالنار ، فقتل أغا من أغواته .. فنزل على بيت آقبردى الى بيت ذى عــرجان تجاه المظفر ، فأرسلوا له ابراهيم بيك بلفية — صحبة كتخدا الجاوبشية — خلع عليه قفطـــان القائمقائية ورجع الى بيته ، وأخـذوا منه فرمانا بجر المدافع والبيارق من ناحية الصليبة وسارت الصناحق تتقدمهم عمر بيك أمير الحاج ومحمد بيك الدالى وابراهيم بيك بلفيه ويوسف بيـــك قطامش وحمزه بيك وعثمان بيك أبو سيف وأحمد بيك بن كجك محمد واسماعيل بيك جلفى وعثمان بيك وأحمد بيك قازدغلية ورضوان بيك خازندار عثمان كتخدا قازدغلى كان ، واحتاطوا ببيت حسين بيك الخشاب ومحمد بيك أباظه من الأربع جهات .
فحارب بالبندق من الصبح الى الظهر حتى وزع مايعز عليه ، وحمل أثقاله وطلع من باب السر على زين العباد وذهب الى جهة الصعيد فدخل العسكر الى بيته فلم يجدوا فه شئا ولا الحريم



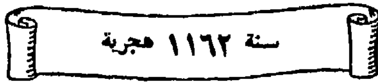
(٢ يناير ١٧٤٨ — ٢١ ديسمبر ١٧٤٨)

فى آخر هذه السنة(١) هرب ابراهيم بيك قبطاس الى الصعيد . وعمر بيك بن على بيك وصحبته طائفة من الصناجق هربوا الى أرض الحجاز .

(١) فى هذه السنة قامت فتنة بين الدمايطة ورئيسهم على بيك الدمياطى وبين القطامشة ورئيسهم ابراهيم بيك قطامش ، وبعد حروب انتصرت الدمايطة على اخصامهم .
(التوفيقات الالهامية)

كانت مـدة محمد باشـا راغب فى ولاية مصر سنتين ونصفا .

ثم سافر الى الديار الرومية وتولى الصدارة ، وكان انسانا عظيما عالما محققا ، وكان أصله رئيس الكتاب



المحـرم

غرته (٢٢ ديسمبر ١٧٤٨ م) :

وصل أحمد باشـا — المعروف بكور وزيـر — فطلع الى ثغر الاسكندرية ، ووصلت السعاة ببشائر قدومه ، فنزلت اليه الملاقاة وأرباب العكاكيز وأصحاب الخدم ، مثل كتخدا الجاويشية ، وأغات المتفرقة ، والترجمان ، وكاتب الحوالة وغيرهم

واجتمع فى رشيد براغب باشـا ، وسـافر فى المركب التى حضر فيها أحمد باشا .

وحضر الى مصر ، وطلع بالمـوكب المعتاد الى القلعة ، وضربوا له المدافع والشنك من أبـراج الينكجرية ، وعمل الديوان ، وخلع الخلع عـلى الأمراء والأعيان والمشايخ

وخلصت رياســة مصر وامارتها الى ابراهيم جاويش ورضوان كتخدا ، وقلد ابراهيم جاويش مملوكه عـلى أغا — وهـو الذى عرف بالغزاوى — صنجقا ، وكذلك حسين أغا — وهو الذى عرف بكشكش (١) — وكذلك قلد رضوان كتخدا أحمد أغا خازنداره صنجقا ، فصار لكل واحـد منهما ثلاثة صـناجق : وهـم عثمان وعـلى وحسـين

(١) كان ذائع الصيت واسع الحيلة . سافر اميرا للحج اربع مرات دون أن يؤدى عوائد العربان .

الابراهيمية ، واسماعيل وأحمد ومحمدالرضوانية ، ثم ان ابراهيم جاويش عمل كتخدا الوقت ثلاثة أشهر وانفصل عنها .

وحضر عبد الرحمن كتخدا القازدغلى من الحجاز وعمل كتخدا الوقت بباب مستحفظان سنتين . وشرع فى عمل الخيرات وبناء المساجد وأبطل الخمامير .

أقام فى ولاية مصر الى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة وألف (١٢ سبتمبر ١٧٥٠ م) . وكان من أرباب الفضائل وله رغبة فى العلوم الرياضية .

ولما وصل الى مصر استقر بالقلعة ، وقابله صدور العلماء فى ذلك الوقت ، وهم : الشيخ عبد الله الشبراوى — شيخ الجامع الأزهر — والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ سليمان المنصورى ... فتكلم معهم وناقشهم وباحثهم ، ثم تكلم معهم فى الرياضيات فأحجموا وقالوا : لا نعرف هذه العلوم ! فتعجب وسكت ...

... ودخل الشيخ الشبراوى عند الباشا يحادثه ، فقال له الباشا : المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق الى المجيء اليها . فلما جئتها وجدتها كما قيل «تسمع بالمعيدى خير من أن تراه !»

فقال الشيخ : هى ، يا مولانا ، كما سمعتم : معدن العلوم والمعارف .

فقال : وأين هى ... وأنتم أعظم علمائها ؟ وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم ، فلم أجد عندكم منها شيئا . وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل : ونبذتم المقاصد .

فقال له الشيخ : نحن لسنا أعظم علمائها ، وانما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام . وغالب أهل الأزهر لايشتغلون بشيء من العلوم الرياضية الا بقدر الحاجة الموصلة الى علم الفرائض والمواريث ، كعلم الحساب والغبار .

فقال له (الباشا) : وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية ، بل هو من شروط صحة العبادة . كالعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، وأوقات الصوم ، والأهلة ، وغير ذلك .

فقال (الشيخ) : نعم . معرفة ذلك من فروض الكفاية ... اذا قام به البعض ، سقط عن الباقين . وهذه العلوم تحتاج الى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية ، كرقة الطبيعة ، وحسن الوضع ، والخط والرسم والتشكيل ، والأمور العطاردية ! وأهل الأزهر بخلاف ذلك... غالبهم فقراء وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق ، فيندر فيهم القابلية لذلك .

فقال (الباشا) : وأين البعض !

فقال (الشيخ) : موجودون فى بيوتهم ... يسعى اليهم .

ثم أخبره عن الشيخ الوالد (أى الشيخ حسن الجبرتى والد المؤلف) ، وعرفه عنه ، وأطنب فى ذكره .

فقال : ألتمس منكم ارساله عندى .

فقال : يا مولانا ، انه عظيم القدر ، وليس هو تحت أمرى ...

فقال : وكيف الطريق الى حضوره ؟

قال : تكتبون له ارسالية مع بعض خواصكم ، فلا يسعه الامتناع .

ففعل ذلك ، وطلع اليه ، ولبى دعوته ، وسر برؤيته ، واغتبط به كثيرا . وكان يتردد اليه يومين فى الجمعة ، هما السبت والأربعاء . وأدرك منه مأموله بالبر والاكرام الزائد الكثير ، ولازم المطالعة عليه مدة ولايته . وكان يقول : لو لم أغنم من مصر الا اجتماعى بهذا الأستاذ .. لكفانى !

ومما اتفق له — لما طالع « ربع الدستور » وأتقنه — طالع بعد « وسيلة الطلاب ، فى استخراج الأعمال بالحساب » ، وهو مؤلف دقيق للعلامة المرديني . فكان الباشا يحتلى بنفسه ، ويستخرج منه ما يستخرجه بالطرق الحسابية ، ثم يستخرجه من « التجيبيب » ، فيجده مطابقا

فاتفق له عدم المطابقة فى مسألة من المسائل ، فاشتغل ذهنه وتحير فكره الى ان حضر اليه الأستاذ فى الميعاد ، فأطلعه على ذلك ، وعلى السبب فى عدم المطابقة ، فكشف له علة ذلك بديها . فلما انجلى وجهها على مرآة عقله ، كاد يطير فرحا ، وحلف أن يقبل يده ، ثم أحضر له فروة من ملبوسه السمور ، باعها المرحوم بثمانمائة دينار ، ثم اشتغل عليه برسم المزاول والمنحرفات حتى أتقنها ، ورسم على اسمه عدة منحرفات ، على ألواح كبيرة من الرخام صناعة وحفرا بالازميل ، كتابة ورسما ، وعمل له تاريخا منظوما نقشه عليها ، وهو هذا :

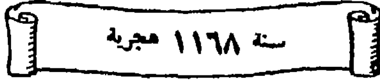
مزولة متقنة   نظيرها لا يوجد
راسمها حاسبها   هذا الوزير الأمجد
تاريخها : أتقنها   وزير مصر أحمد
٥٥٧   ٢٢٣ ٢٣٠   ٥٣

= ١١٦٣ هجرية (١)

ولصب واحدة من هذه المزاول بالجامع الأزهر فى ركن الصحن على يسار الداخل ، وأخرى بسطح جامع الامام الشافعى ، وأخرى بمشهد السادات الوفائية ، وغير ذلك

وكان المرحوم الشيخ عبد الله الشبراوى كلما تلاقى مع المرحوم الوالد يقول له : ستركك الله كما ستركتنا عند هذا الباشا . فانه لولا وجودك كنا جميعا عنده حمير !

رحم الله الجميع .



(١٨ اكتوبر ١٧٥٤ — ٦ اكتوبر ١٧٥٥)

فى هذه السنة أخذ أتباع ابراهيم كتخدا يدبرون فى اغتيال رضوان كتخدا ، وازالته ، وسعت فيهم عقارب الفتن .

فتنبه رضوان كتخدا لذلك ، فاتفق مع أغراضه وملك القلعة والأبواب والمحمودية وجامع السلطان حسن . واجتمع اليه جمع كثير من أمرائه وغيرهم ومن انضم اليهم ، وكاد يتم له الأمر . فسعى عبد الرحمن كتخدا والاختيارية فى اجراء الصلح ، وطلع بعضهم الى رضوان كتخدا ، وقالوا له : هؤلاء أولاد أخيك . وقد مات وتركهم فى كنفك مثل الأيتام ، وأنت أولى بهم من كل أحد ، وليس من المروءة والرأى أن تناظرهم أو تخاصمهم ، فانك صرت كبير القوم وهم فى قبضتك أى وقت . فلا تسمع كلام المنافقين .

فلم يزالوا به حتى انخدع لكلامهم وصدقهم واعتقد نصحهم ، لأنه كان سليم الصدر . ففرق الجمع ونزل الى بيته الذى بقوصون . فاغتنموا عند ذلك الفرصة ، وبيتوا أمرهم ليلا ، وملكوا القلعة والأبواب والجهات وهو فى غفلته ، آمن فى بيته ، مطمئن من قبلهم ، ولا يدرى ما خبىء له

فلم يشعر الا وهم يضربون عليه بالمدافع ، وكان المزين يحلق له رأسه ، فسقطت على داره الجلل ، فأمر بالاستعداد ، وطلب من يركن اليهم ، فلم يجد أحدا ، ووجدهم قد أخذوا حوله الطرق والنواحى ، فحارب فيهم الى قرب الظهر

وخامر عليه أتباعه ، فضربه مملوكه صالح

(١) كان هذا النوع من التاريخ بالنظم مالوفا لدى ادباء ذلك العصر . واساسه ان لحروف الابجدية فى حسابهم نظائر رقمية : فالالف تناظر واحدا ، وهكذا حتى الياء من حروف « ابجد هوز حطى » ، فتناظر الياء عشرة . والكاف تناظر عشرين ، وهكذا حتى القاف من حروف « كلمن سعفص ق » ، فتناظر القاف مائة . والراء تناظر مائتين ، وهكذا حتى الغين من حروف « رشت ثخذ ضظغ » ، فتناظر الغين الفا .

الصغير برصاصة من خلف الباب الموصل لبيت الراحة فأصابته فى ساقه ، وهرب مملوكه الى الأخصام ، وكانوا وعدوه بامرية ان هو قتل سيده . فلما حضر اليهم وأخبرهم بما فعله ، أمر على بيك بقتله ، وقال : هذا خائن ، وليس فيه خير ! فشفعوا فيه ، وأمروا بنفيه .

ولما أصيب رضوان كتخدا طلب الخيول وركب فى خاصته ، وخرج من نقب نقبه فى ظهر البيت ، وتألم من الضربة لأنها كسرت عظم ساقه ، فسار الى جهة البساتين ، وهو لا يصدق بالنجاة . فلم يتبعه أحد ، ونهبوا داره . ثم ركب وسار الى جهة الصعيد ، فمات بشرق أولاد يحيى ، ودفن هناك ، فكانت مدته — بعد قسيمه — قريبا من ستة أشهر .

ولما مات تفرقت صناجقه ومماليكه فى البلاد ، وسافر بعضهم الى الحجاز من ناحية القصير ، ثم ذهبوا من الحجاز الى بغداد ، واستوطنوها ، وتناسلوا وماتوا ، وانقضت دولتهما فكانت مدتهما نحو سبع سنوات . . ومصر فى تلك المدة هادئة من الفتن والشرور ، والاقليم البحرى والقبلى آمن وأمان ، والأسعار رخية ، والأحوال مرضية ، واللحم الضانى المجروم من عظمه رطله بنصفين ، والجاموسى بنصف ، والسمن البقرى عشرته بأربعين نصف فضة ، واللبن الحليب عشرته بأربعة أنصاف ، والرطل الصابون بخمسة أنصاف ، والسكر المنعاد كذلك ، والمكرر قنطاره بألف نصف ، والعسل القطر قنطاره بمائة وعشرين نصفا وأقل ، والرطل البن القهوة باثنى عشر نصفا ، والتمر يجلب من الصعيد فى المراكب الكبار ويصب على ساحل بولاق مثل عرم الغلال ، ويباع بالكيل والأرادب . والأرز أردبه بأربعمائة نصف ، والعسل النحل قنطاره بخمسمائة نصف ، وشمع العسل رطله بخمسة وعشرين نصفا ، وشمع الدهن بأربعة أنصاف ، والفحم قنطاره بأربعين نصفا ، والبصل قنطاره بسبعة أنصاف وقس على ذلك .

وقد أدركت بقايا تلك الأيام ، وذلك أن مولدى كان فى سنة ١١٦٧ (١٧٥٣ — ١٧٥٤ ميلادية) . ولما صرت فى سن التمييز رأيت الأشياء على ما ذكر الا قليلا . وكنت أسمع الناس يقولون : الشىء الفلانى زاد سعره عما كان فى سنة كذا ، وذلك فى مبادى دولة ابراهيم كتخدا وحدوث الاختلال فى الأمور .

وكانت مصر اذ ذاك محاسنها باهرة ، وفضائلها ظاهرة ، ولأعدائها قاهرة . . يعيش رغدا بها الفقير، وتتسع للجليل والحقير .

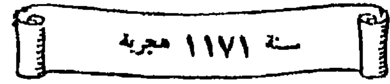
وكان لأهل مصر سنن وطرائق فى مكارم الأخلاق لا توجد فى غيرها . منها أن فى كل بيت من بيوت جميع الأعيان مطبخين : أحدهما أسفل رجالى ، والثانى فى الحريم . فيوضع فى بيوت الأعيان السماط فى وقتى العشاء والغداء مستطيلا فى المكان الخارج ، مبذولا للناس ، ويجلس بصدره أمير المجلس وحوله الضيفان ، ومن دونهم مماليكه وأتباعه . ويقف الفراشون فى وسطه يفرقون على الجالسين ، ويقربون اليهم ما بعد عنهم من القلايا والمحمرات . ولا يمنعون فى وقت الطعام من يريد الدخول أصلا ، ويرون أن ذلك من المعايب ، حتى أن بعض ذوى الحاجات عند الأمراء اذا حجبهم الخدام انتظروا وقت الطعام ودخلوا فلا يمنعهم الخدم فى ذلك الوقت . فيدخل صاحب الحاجة ، ويأكل ، وينال غرضه من مخاطبة الأمير لأنه اذا نظر على سماطه شخصا لم يكن رآه قبل ذلك ، ولم يذهب بعد الطعام ، عرف ان له حاجة فيطلبه ويسأله عن حاجته ، فيقضيها له . وان كان محتاجا واساه بشىء .

ولهم عادات وصدقات فى أيام المواسم ، مثل أيام أول رجب ، والمعراج ، ونصف شعبان ، وليالى

رمضان ، والأعياد ، وعاشوراء ، والمولد الشريف .. يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ، ويملأون من ذلك قصاعا كثيرة ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين .

ولهم غير ذلك صـدقات وصلات لمن يلوذ بهم ويعرفون منه الاحتياج ، وذلك خـلاف ما يعمل ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجميـة ، والشريك .. على المدافن والترب فى الجمع والمواسم

وكذلك أهل القرى والأرياف فيهم من مكارم الأخـلاق ما لا يوجد فى غـيرهم من أهل قرى الأقاليم . فان أقل من فيهم اذا نزل به ضيف — ولو لم يعرفه — اجتهد وبادر بقراه فى الحال ، وبذل وسعه فى اكرامه ، وذبح له ذبيحة فى العشاء ، وذلك ما عدا مشايخ البلاد والمشاهير والمقادم .. فان لهم مضايف واستعدادات للضيوف ومن ينزل عليهم من السفار والأجناب ، ولهم مساميح وأطيان فى نظير ذلك خلفا عن سلف


سنة ١١٧١ هجرية

رجب

(مارس ١٧٥٧ م) :

استمر مصطفى باشا فى ولاية مصر الى هـذا التاريخ

وفى تلك السنة نزل مطر كثير سالت منه السيول واعقبه الطاعون المسمى « بقارب شيحه الذى أخذ المليح والمليحة » ، مات به الكثـير من النـاس المعروفين وغيرهم ما لا يحصى .

ومات فى تلك السنة الحاج أحمد بن محمـد الشرايبى ، وكان من أعيـان التجار المشتهرين كأسلافه ، وبيته المشهور بالازبكية ، بيت المجـد والفخر والعز ، ومماليكهم وأولاد مماليكهم من أعيان مصر .

ومنهم يوسف بيك الشرايبى ، وكان فى غاية الغنى والرفاهيـة والنظـام ومكارم الأخلاق ، والاحسان للخاص والعـام ، ويتردد الى منزلهم العلماء والفضلاء ، ومجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة : للاعارة والتغيير ، وانتفاع الطلبة ، ولا يكتبون عليها وقفية ، ولا يدخلونها فى مواريثهم ، ويرغبون فيها ، ويشترونها بأغلى ثمن ، ويضعونها على الرفوف والخزائن والخورْنَقات ، وفى مجالسهم جميعا ، فكل من دخل الى بيتهم من أهل العلم الى أى مكان يقصد الاعارة (يعنى الاسـتعارة) أو المراجعة وجد بغيته ومطلوبه فى أى علم كان من العلوم ، ولو لم يكن الطالب معروفا ! ولا يمنعون من يأخذ الكتاب بتمامه : فان رده فى مكانه رده ، وان لم يرده واختص به أو باعه لايسـأل عنه . وربمـا بيع الكتـاب عليهم واشـتروه مرارا ! ويعتذرون عن الجانى بضرورة الاحتياج !

وخبزهم وطعامهم مشهور بغاية الجودة والاتقان والكثرة ، وهو مبذول للقاصى والدانى ، مع السعة والاستعداد .

ومن أوضاعهم وطرائفهم أنهم لايتزوجون الا من بعضهم البعض ، ولا تخرج من بيتهم امرأة الا للمقبرة !

فاذا عملوا عرسا أولموا الولائم، وأطعموا الفقراء والقراء على نسق اعتـادوه . وتنزل العروس من حريم أبيها الى مكان زوجها بالنساء الخلص والمغانى والجنك (الراقصات) ، ترفها ليلا بالشموع ... وباب البيت مغلوق عليهن ، وذلك عندما يـكون الرجال فى صلاة العشاء بالمسجد الأزبكى المقابل لسكنهم

وبيتهم يشتمل على اثنى عشر مسـكنا ، كل مسكن بيت متسع على حدته .

وكان الأمراء بمصر يترددون اليهم كثيرا من غير سبق دعوة . وكان رضوان كتخدا يتفسح عنـد

الحاج أحمد الشرايبى فى كثير من الأوقات ، مع الكمال والاحتشام ، ولا يصحبه فى ذلك المجلس الا اللطفاء من ندمائه .

واذا قصده الشعراء بمدح لايأتونه فى الغالب الا فى مجلسه لينالوا فضيلتين ، ويحرزوا جائزتين !

وكان من سنتهم أنهم يجعلون عليهم كبيرا منهم ، وتحت يده الكاتب والمستوفى والجابى ، فيجمع لديه جميع الايراد من الالتزام والعقار والجامكية ، ويسدد الميرى ، ويصرف لكل انسان راتبه على قدر حاله وقانون استحقاقه ، وكذلك لوازم الكساوى للرجال والنساء فى الشتاء والصيف ، ومصروف الجيب فى كل شهر . وعند تمام السنة يعمل الحساب ، ويجمع ما فضل عنده من المال ، ويقسمه على كل فرد بقدر استحقاقه وطبقته .

واستمروا على هذا الرسم والترتيب مدة مديدة، فلما مات كبارهم وقع بينهم الاختلاف ، واقتسموا الايراد ، واختص كل فرد منهم بنصيبه يفعل به ما يشتهى ، وتفرق الجمع ، وقلت البركة ، وانعزل المحبون ، وصار « كل حزب بما لديهم فرحون » .

* * *

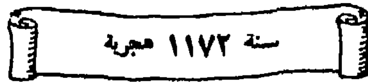
ومات فى تلك السنة أيضا الرجل الفاضل النبيه ، الذكى المتفنن ، المتقن الفريد ، الأسطى ابراهيم السكاكينى .

كان انسانا حسنا عطارديا ، يصنع السيوف والسكاكين ، ويجيد سقيها وجلاءها ، ويصنع قراباتها ، ويسقطها بالذهب والفضة . ويصنع المقاشط الجيدة الصناعة والسقى والتطعيم ، والبركارات للصنعة ، وأقلام الجدول الدقيقة الصنعة المخرمة ، وغير ذلك .

وكان يكتب الخط الحسن الدقيق بطريقة متسقة معروفة من دون الخطوط ، لاتخفى . وكتب بخطه ذلك كثيرا مثل مقامات الحريرى وكتب أدبية ورسائل فى الرياضيات والرسميات وغير ذلك .

وبالجملة فقد كان فريدا فى ذاته وصفاته وصناعته ، لم يخلف بعده مثله ..

وكان حانوته تجاه جامع المردانى ، بالقرب من درب الصباغ .

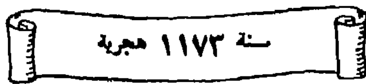


(٤ سبتمبر ١٧٥٨ ــ ٢٤ اغسطس ١٧٥٩)

أخذ الطاعون ينقر فى تلك السنة . وكان قوة عمله فى رجب وشعبان .

وولد للسلطان مصطفى مولود فى تلك السنة ، وورد الأمر بالزينة فى تلك الأيام ، فكانت أبرد من يخ [1] . وهذا المولود هو السلطان سليم المتولى الآن (أى زمن الجبرتى) .

ولما قتل حسين بيك القازدغلى ، المعروف بالصابونجى ، وتعين فى الرياسة بعده على بيك الكبير ، أحضر خشداشينه المنفيين واستقر أمرهم .



(٢٥ اغسطس ١٧٥٩ ــ ١٢ اغسطس ١٧٦٠)

تقلد على بك الكبير امارة الحج فبيت مع سليمان بيك الشابورى وحسن كتخدا الشعراوى وخليل جاويش حيضان مصلى ، وأحمد جاويش المجنون ، واتفق معهم على قتل عبد الرحمن كتخدا فى غيبته ، وأقام عوضه فى مشيخة البلد خليل بيك الدفتردار . فلما سافر استشعر عبد الرحمن كتخدا بذلك فشرع فى نفى الجماعة المذكورين ، فأغرى

(١) هو خليط الثلج المجروش بالملح . ومن اقوالهم : « شيئان مثل يخ : شيخ يتصابى ، وصبى يتمشيخ ! » .

بهم على بيك بلوط قبن ... فنفى خليـل جاويش حيضان مصلى واحمـد جاويش الى الحجاز من طريق السويس على البحر ، ونفى حسن كتخـدا الشـعراوى وسليمان بيك الشابورى — مملوك خشداشه — الى فارسكور .

فلما وصل على بيك ، وهو راجع بالحج الى العقبة ، وصل اليه الخبر .. فكتم ذلك ، وأمـر بعمل شنك يوهم من معـه بأن الهجان أتاه بخبر سـار . ولم يزل سـائرا الى أن وصل الى قلعة نخل ، فانحاز الى القلعة ، وجمع الدويدار وكتخدا الحج والسدادرة ، وسـلمهم الحجاج والمحمل ، وركب فى خاصته وسار الى غزة .. وسار الحجاج من غير أمير الى أن وصلوا الىأجرود ، فأقبل عليهم حسين بيك كشكش ومن معه يريد قتل على بيك ، فلم يجده فحضر بالحجاج ، ودخل بالمحمل الىمصر ، واستمر على بيك بغزة نحو ثلاثة أشهر وأكثر ، وكاتب الدولة بواسطة باشا الشام فأرسلوا اليه واحـد أغا ، ووعدوه ومنـوه وتحيلوا عليه حتى استصفوا ما معه من المال والأقمشة وغير ذلك .

ثم حضر الى مصر بسعاية نسيبه على كتخـدا الخربطلى وأغراضه . ومات بعد وصوله الى مصر بثمانية أيام . يقال ان بعض خشداشينه شغله بالسم حين كان يطوف عليهم للسلام .

وفى تلك السنة حضر مصطفى باشا واليا على مصر ونزل الى القبة متوجها الى جدة فأقام هناك .

سنة ١١٧٤ هجرية

(١٣ اغسطس ١٧٦٠ — ١ اغسطس ١٧٦١)

استمر مصطفى باشا واليا الى آخر هذه السنة .

وحضر فى آخرها أيضا أحمد باشا كامل المعروف بصبطلان ، وكان ذا شهامة وقوة مراس ، فدقق فى الأحكام ، وصار يركب وينزل ويكشف عـلى الأنبار والغلال ، فتعصب عليه الأمراء ، وأصعدوا مصطفى باشا المعزول ، وعرضوا فى شأنه الى الدولة .. وسافر بالعرض الشيخ عبد الباسط السنديونى ، ووجه مصطفى باشا خازنداره الى جدةوكيلا عنه .

ولما وصل العرض الى الدولة — وكان الوزير اذ ذاك محمد باشا راغب — فوجهوا أحمد باشا المنفصل الى ولاية قندية ومصطفى باشا الى حلب ، ووجهوا باكير باشـا والى حلب الى مصر ، وأقام نحو شهرين ومات ، ودفن بالقرافة .

وتقلد فى امارة الحج حسين بيك كشكش ، وقد وقف له العرب فى مضيق ، وحضر اليه كبراؤهم ، وطلبوا مطالبهم وعوائدهم ، فأحضر كاتبه الشيخ خليـل كاتب الصرة والصراف وأمرهم بدفع مطلوبات العرب ، فذهبوا معه الى خيمته وأحضر المـال وشرع الصراف يعـد لهـم الدراهم ، فضرب عنـد ذلك مدفـع الشـيل . فقـال لهم حينئذ : « لا يمكن فى هـذا الوقت فاصبروا حتى ينزل الحج فى المحطة يحصل المطلوب » .

وسار الحج حتى خـرج من ذلك المضيق الى الوسع ، ورتب مماليكه وطوائفه ، وحضر العرب — وفيهم كبيرهم هزاع — فأمر بقتلهم ، فنزلوا عليهم بالسيوف فقتلوهم عن آخرهم ، وفيهم نيف وعشرون كبيرا منمشايخ العربانالمشهورين خلاف هزاع المذكور . وأمر بالرحيل وضربوا المـدفع وسار الحج ، وتفرق قبـائل العـرب ونساؤهم يصرخون بطلب الثأر ... فتجمعت القبائل من كل جهة ، ووقفوا بطريق الحجاج وفى المضايق ، وهو يسوق عليهم من أمام الحج وخلفه ، ويحـاربهم ويقاتلهم بمماليكه وطوائفه حتى وصـل الى مصر بالحج سالما ، ومعه رؤوس العـربان محملة على الجمال ، ودخـل المدينـة بالمحمـل والحجـاج منصورا مؤيدا .

فاجتمع عليه الأمراء من خشداشينه وغيرهم وقال له على بيك بلوط قبن : « انك أفسدت علينا العرب ، وأخربت طريق الحج ، ومن يطلع بالحج فى العام القابل بعد هذه الفعلة التى فعلتها ؟ » . فقال : « أنا الذى أسافر بالحج فى العام القابل ومنى للعرب أصطفل » . فطلع أيضا فى السنة الثانية ، وتجمع عليه العرب ، ووقفوا فى كل طريق ومضيق وعلى رؤوس الجبال ، واستعدوا له بما استطاعوا من الكثرة من كل جهة ... فصادمهم وقاتلهم وحاربهم ، وصار يكر ويفر ، ويحلق عليهم من أمام الحج ومن خلفه حتى شردهم وأخافهم وقتل منهم الكثير . ولم يبال بكثرتهم مع ماهو فيه من القلة ، فانه لم يكن معه الا نحو الثلثمائة مملوك خلاف الطوائف والأجناد وعسكر المغاربة . وكان يبرز لحربهم حاسرا رأسه مشهورا حسامه ، فيشتت شملهم ويفرق جمعهم ، فهابوه وانكمشوا عن ملاقاته ، وانكفوا عن الحج ... فلم تقم للعرب معه بعد ذلك قائمة ، فحج أربع مرات أميرا بالحج آخرها سنة ست وسبعين ومائة وألف (١٧٦٢ م) . ورجع سنة سبع وسبعين ومائة ألف (١٧٦٣ م) . ولم يتعرض له أحد من العرب ذهابا وايابا بعد ذلك .

وكذلك أخاف العربان الكائنين حوالى مصر ويقطعون الطريق على المسافرين والفلاحين ويسلبون الناس ، فكان يخرج اليهم على حين غفلة فيقتلهم ، وينهب مواشيهم ، ويرجع بغنائمهم ورؤوسهم فى أشناف (١) على الجمال ... فارتدعوا وانكفوا عن أفاعيلهم ، وأمنت السبل وشاع ذكره بذلك .

وفى هذه المدة ظهر شأن على بيك بلوط قبن ، واستفحل أمره ، وقلد اسماعيل بيك الصنجقية وجعله اشراقه ، وزوجه هانم بنت سيده وعمل لها مهما عظيما احتفل به للغاية ببركة الفيل — وكان ذلك فى أيام النيل — فعملوا على معظم البركة أخشابا مركبة على وجه الماء يمشى عليها الناس للفرجة، واجتمع بها أرباب الملاهى والملاعيب وبهلوان الحبل وغيره من سائر الأصناف والفرج والمتفرجون والبياعون من سائر الأصناف والأنواع . وعلقوا القناديل والوقدات على جميع البيوت المحيطة بالبركة — وغالبها سكن الأمراء والأعيان ، أكثرهم خشداشين بعضهم البعض ومماليك ابراهيم كتخدا أبى العروس — وفى كل بيت منهم ولائم وعزائم وضيافات وسماعات وآلات وجمعيات . واستمر هذا الفرح والمهم مدة شهر كامل ، والبلد مفتحة ، والناس تغدو وتروح ليلا ونهارا للحظ والفرجة من جميع النواحى .

ووردت على على بيك الهدايا والصلات من اخوانه الأمراء والأعيان الاختيارية والوجاقلية والتجار والمباشرين والأقباط والافرنج والأروام واليهود ، والمدينة عامرة بالخير ، والناس مطمئنة ، والمكاسب كثيرة ، والأسعار رضية ، والقرى عامرة . وحضرت مشايخ البلدان ، وأكابر العربان ، ومقادم الأقاليم والبنادر بالهدايا والأغنام والجواميس والسمن والعسل ، وكل من الأمراء الابراهيمية كأنه صاحب الفرح ، والمشار اليه من بينهم صاحب الفرح على بيك

وبعد تمام الشهر زفت العروس فى موكب عظيم شقوا به من وسط المدينة بانواع الملاعيب والبهلوانات والجنك والطبول ومعظم الأعيان والجاويشية والملازمين والسعاة والأغوات أمام الحريمات ، وعليهم الخلع والتخاليق الثمنة ،وكذلك المهاترة والطبالون ، وغيرهم من المقدمين والخدم والجاويشية والركبدارية والعروس فى عربة .

وكان الخازندار لعلى بيك فى ذلك الوقت محمد

---

(١) جمع « شنفة » وهى شبكة مصنوعة من حبال غليظة تحمل فيها الاشياء على الجمال .

بيك أبو الذهب ماشي بجانب العربة وفي يده عكاز، ومن خلفها أولاد خزنات الأمراء ، ملبسين بالزرد والخرد ، واللثامات الكشميرى ، مقلدين بالقسي والنشاب ، وبأيديهم المزاريق الطوال ، وخلف الجميع النوبة التركية والنفيرات .

فمن ذلك الوقت اشتهر أمر على بيك ، وشاع ذكره ، وعلا صيته ، وقلد أيضا مملوكه على بيك المعروف بالسروجية . ولما كان عبد الرحمن كتخدا ابن سيدهم ومركز دائرة دولتهم ، الضوى الى ممالأته ومال هو الآخر الى صداقته ، ليقوى به على أرباب الرياسة من اختيارية الوجاقات ، وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه حتى أن عبد الرحمن كتخدا لما أراد نفى الجماعة المتقدم ذكرهم بيت مع بعض المتكلمين وصوروا على أحمد جاويش المجنون مايقتضى نفيه . ثم عرضوا ذلك على عبد الرحمن كتخدا فمانع فى ذلك ، وأظهر الغيظ ، وأصبح فى ثانى يوم اجتمع عنده الاختيارية والصناجق على عادتهم ، فلما تكامل حضور الجميع تكلم عبد الرحمن كتخدا فقال : « ان على بيك سافر الى الحجاز ولا بد من كبير تجتمع فيه الكلمة » ، فقال له : « الرأى ماتراه » . فقال على بيك : « هذا يكون شيخ البلد وكبيرها ، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصاه » . فقالوا « سمعنا وأطعنا ونحن كذلك » .

وأصبح عبد الرحمن كتخدا غاديا الى بيت على بيك ، وكذلك باقى الأمراء والاختيارية . وصار الجميع والديوان فى بيته من ذلك اليوم ، ولبس الخلعة من الباشا على ذلك .

ثم انهم طلعوا أيضا فى ثانى يوم الى الديوان ، واجتمعوا بباب الينكجرية ، وكتبوا عرضحال بنفى أحمد جاويش وخليل جاويش وسليمان بيك الشابورى . فقال عبد الرحمن كتخدا : « واكتبوا معهم حسن كتخدا الشعراوى أيضا » فكتبوه وأخرجوا فرمانا بذلك ونفوهم . واستمروا فى نفيهم وعمل أحمد جاويش وقادا بالحرم المدنى ، وخليل جاويش أقام أيضا بالمدينة ، والشابورى وحسن كتخدا جهة فارسكور والسرو ورأس الخليج .

وأخذ على بيك يمهد لنفسه ، واستكثر من شراء المماليك ، وشرع فى مصادرة الناس ، ويتحيل على أخذ الأموال من أرباب البيوت المدخرة والأعيان المستورين مع الملاطفة ، وادخال الوهم على البعض بمثل النفى والتعرض الى الفائظ ببعض المقتضيات ونحو ذلك .

جمادى الأولى

فى ١٩ منه (٢٧ ديسمبر ١٧٦٠ م) :

هبت ريح عظيمة شديدة نكباء غربية غرق منها بالأسكندرية ثلاثة وثلاثون مركبا فى مرسى المسلمين وثلاثة مراكب فى مرسى النصارى ، وضجت الناس ، وماج البحر هياجا شديدا ، وتلف بالنيل بعض مراكب ، وسقطت عدة أشجار .



(١٢ يوليه ١٧٦٣ ـــ ٣٠ يونيه ١٧٦٤)

طلع على بيك أميرا بالحج .

فيها تمكن على بيك من استلام مشيخة البلد فى القاهرة (١) .



(١ يوليه ١٧٦٤ ـــ ١٩ يونيه ١٧٦٥)

رجع على بيك بالحج فى أوائل هذه السنة فى أبهة عظيمة ، وأرخى مملوكه محمد الخازندار لحيته على زمزم . فلما رجع قلده الصنجقية

(١) نقلنا هذا الخبر من التوفيقات الالهامية .

— وهو الذى عرف بأبى الذهب — ثم قلد مملوكه أيوب أغا ورضوان قرابته وابراهيم شلاق بلفيه وذا الفقار وعلى بيك الحبشى صناجق أيضا .

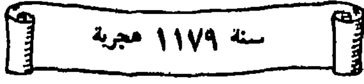
وانقضت تلك السنة وأمر على بيك يتزايد ، وشهلوا أمور الحج على العادة ، وقبضوا الميرى ، وصرفوا العلوفات والجامكية والصرة وغلال الحرمين والأنبار . وخرج المحمل على القانون المعتاد ، وأميره حسن بيك رضوان .

ولما رجعوا من البركة بعد ارتحال الحج ، طلع على بيك وخشداشينه وأغراضه ، وملكوا أبواب القلعة ، وكتبوا فرمانا ، وأخرجوا عبد الرحمن كتخدا (١) وعلى كتخدا الخربطلى وعمر جاويش الداودية ورضوان جربجى الرزاز وغيرهم منفيين فأما عبد الرحمن كتخدا فأرسلوه الى السويس ليذهب الى الحجاز ، وعينوا للذهاب معه صالح بيك ليوصله الى السويس ، ونفوا باقى الجماعة الى جهة بحرى .

وارتجت مصر فى ذلك اليوم ، وخصوصا لخروج عبد الرحمن كتخدا ، فانه كان أعظم الجميع وكبيرهم وابن سيدهم ، وله الصولة والكلمة والشهرة ، وبه ارتفع قدر الينكجرية على العزب ، وكان له عزوة كبيرة ومماليك وأتباع وعساكر مغاربة وغيرهم ، حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة فى ذلك اليوم ، فلم يحصل شىء من ذلك سوى مانزل بالناس من البهتة والتعجب ثم أرسل الى صالح بيك فرمانا بنفيه الى غزة فوصل اليه الجاويش فى اليوم الذى نزل فيه عبد الرحمن كتخدا فى المركب وسافر ، وذهب صالح بيك الى غزة فأقام بها مدة قليلة ، ثم أرسلوا له جماعة ونقلوه من غزة وحضروا به الى ناحية بحرى وأجلسوه برشيد ،

(١) كان اكبر منافس لعلى بيك ، واشتد ساعد على بيك بعد نفى عبد الرحمن كتخدا وانصاره ، فاخذ يثير الفتن ويغرى البعض على البعض الآخر حتى أضعف شوكة الاقوياء .

ورتب له على بيك مايصرفه ، وجعل له فائظا فى كل سنة عشرة أكياس ، فأقام برشيد مدة ، حتى حضرت أخبار وصول الباشا الجديد .



سنة ١١٧٩ هجرية

(٢٠ يونيه ١٧٦٥ ــ ٨ يونيه ١٧٦٦)

حضر حمزة باشا الى ثغر الأسكندرية ، فأرسلوا الى صالح بيك جماعة يعيبونه من رشيد ويذهبون به الى دمياط يقيم بها ، وذلك لئلا يجتمع بالباشا فلما وصلت اليه الأخبار بذلك ركب بجماعته ليلا ، وسار الى جهة البحيرة ، وذهب من خلف جبل الفيوم الى جهة قبلى فوصل الى منية ابن خصيب ، فأقام بها ، واجتمع عليه أناس كثيرة من الذين شردهم على بيك ونفاهم فى البلاد ، وبنى له أبنية ومتاريس . وكان له معرفة وصداقة مع شيخ العرب همام وأكابر الهوارة وأكثر البلاد الجارية فى التزامه جهة قبلى ، واجتمع عليه الكثير منهم ، وقدموا له التقادم والذخيرة وما يحتاج اليه ولما حضر حمزة باشا الى مصر طلع القلعة فعرضوا له أمر صالح بيك ، وأنه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى ، وأخذوا فرمانا بالتجريد عليه وتقلد حسين بيك كشكش حاكم جرجا وأمير التجريدة (١) ، وشرعوا فى التشهيل والخروج .. فسافر حسين بيك كشكش ، وصحبته محمد بيك أبو الذهب وحسن بيك الأزبكاوى ، فالتطموا مع صالح بيك لطمة صغيرة ، ثم توجه وعدى الى شرق أولاد يحيى ، وكان حسين بيك شبكه — مملوك حسين بيك كشكش — نفاه على بيك الى قبلى ، فلما ذهب

(١) استصدر على بيك امرا من الباشا بالتجريد على صالح بيك بحجة انه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى ثم عهد برياسة التجريدة الى حسين بيك كشكش ومساعديه محمد بيك ابى الذهب وحسن بيك الازبكاوى ، وكان غرضه من ذلك بذر الشقاق بين حسين بيك وصالح بيك .

(ولعت رمضان ـ على بيك الكبير ص ٢٦)

صالح بيك الى قبلى ، انضم اليه وركب معه . فلما توجه حسين بيك بالتجريدة وعدى صالح بيك شرق أولاد يحيى [1] انفصل عنه وحضر الى سيده حسين بيك ، وانضم اليه كما كان .

ورجع محمد بيك وحسن بيك الى مصر وتخلف حسين بيك عن الحضور يريد الذهاب الى منصبه بجرجا ، وأقام فى المنيا . فأرسل اليه على بيك فرمانا بنفيه الى جهة عينها له ، فلم يمتثل لذلك ، وركب فى مماليكه وأتباعه وأمرائه وحضر الى مصر ليلا فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقا ، فطرقه فلم يفتحوه فكسره ودخل وذهب الى بيته . وبقى الأمر بينهم على المسالمة أياما ، فأراد على بيك أن يشغله بالسم بيد عبد الله الحكيم ، وقد كان طلب منه معجونا للباءة ، فوضع له السم فى المعجون ، وأحضره له ، فأمره أن يأكل منه أولا فتلكأ واعتذر فأمر بقتله . وكان عبد الله الحكيم هذا نصرانيا روميا يلبس على رأسه قلبق سمور . وكان وجيها ، جميل الصورة ، فصيحا متكلما يعرف التركية والعربية والرومية والطليانية .

وعلم حسين بيك أنها من غريمه على بيك ، فتأكدت بينهما الوحشة ، وأضمر كل منهما لصاحبه السوء . وتوافق على بيك مع جماعته على غدر حسين بيك أو اخراجه فوافقوه ظاهرا . واشتغل حسين بيك على اخراج على بيك ، وعصب خشداشينه وغيرهم ، وركبوا عليه المدافع ... فكرنك فى بيته وانتظر حضور المتوافقين معه ، فلم يأته منهم أحد وتحقق نفاقهم عليه ، فعند ذلك أرسل اليهم يسألهم عن مرادهم فحضر اليه منهم من يأمره بالركوب والسفر . فركب وأخرجوه منفيا الى الشام ومعه مماليكه وأتباعه ؛ وذلك فى أواخر شهر رمضان سنة ١١٧٩ ، وأقام بالعادلية ثلاثة أيام حتى عملوا حسابه وحساب أتباعه ، وهم محيطون بهم من كل جهة بالعسكر والمدافع حتى فرغوا من الحساب ، واستخلصوا مابقى على طرفهم ثم سافروا الى جهة غزة .

وكانت العادة فيمن ينفى من أمراء مصر أنه اذا خرج الى خارج فعلوا معه ذلك ، ولا يذهب حتى يوفى جميع مايتأخر بذمته من ميرى وخلافه . وان لم يكن معه مايوفى ذلك باع أثاث داره ومتاعه وخيوله ولا يذهب الا خالص الذمة .

وسافر صحبة على بيك أمراؤه ، وهم : محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك وذو الفقار بيك وعبد الله أغا الوالى وأحمد جاويش وسليمان جاويش وغيطاس كتخدا وباقى أتباعه .

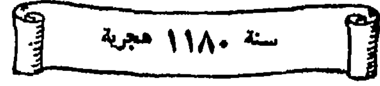
واستقر خليل بيك كبير البلد مع قسيمه حسين بيك كشكش وباقى جماعتهم وحسن بيك جوجو ، وعزلوا عبد الرحمن أغا ، وقلدوا قاسم أغا الوالى أغات مستحفظان . وورد الخبر من الجهة القبلية بأن صالح بيك رجع من شرق أولاد يحيى الى المنيا واستقر فيها وحصنها . فعند ذلك شرعوا فى تشهيل تجريدة وبرزوا الى جهة البساتين .

وفى تلك الأيام رجع على بيك ومن معه على حين غفلة ، ودخل الى مصر فنزل ببيت حسين بيك كشكش ، ومحمد بيك نزل عند عثمان بيك الجرجاوى ، وأيوب بيك دخل منزل ابراهيم أغا الساعى ... فاجتمع الأمراء بالآثار ، وعملوا مشورة فى ذلك ، فاقتضى الرأى بأن يرسلوه الى جدة ، وقال بعضهم : « اسمعوا نصحى واقتلوه وارتاحوا منه فانه ان دام حيا أتعبكم ولا يبقى منكم أحدا » . فقالوا : « لايصح ! انه أخونا ودخل الى بيوتنا » فأرسلوا له بذلك . وقال : « لا أخرج من بيت سيدى الا أن يكون جهة بحرى » . فاجتمع الرأى بأن يعطوه النوسات [1] ويذهب اليها ... فرضى بذلك

(1) أولاد يحيى قرية من قرى جرجا فى شرق النيل كانت عامرة ذات مساجد ونخيل (خطط على مبارك جـ ٩ ص ١٠٥) .

(1) تسمى نوسا الغيط (تابعة لمركز أجا بمديرية الدقهلية)

وذهب الى النوسات وأقام بها . وأرسلوا محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك الى قبلى بناحية أسيوط وجهاتها . وكان هناك خليل بيك الأسيوطى فانضموا اليه وصادقوه . وسفروا التجريدة الى صالح بيك فهزمت ، فأرسلوا له تجريدة أخرى — وأميرها حسن بيك جوجو ، وكان منافقا — فلم يقع بينهم الا بعض مناوشات ورجعوا أيضا كأنهم مهزومون ، وأرسلوا له ثالث ركبة فكانت الحرب بينهم سجالا ، ورجعوا كذلك بعد أن اصطلحوا مع صالح بيك على أن يذهب الى جرجا .



سنة ١١٨٠ هجرية

جمادى الأولى

(اكتوبر ١٧٦٦ م) :

كان الصلح مع صالح بيك على أن يذهب الى جرجا ويأخذ مايكفيه هو ومن معه ويمكث بها ويقوم بدفع المال والغلال .

شعبان

فى ٢ منه (٣ يناير ١٧٦٧ م) :

اتهموا حسن بيك الأزبكاوى أنه يراسل على بيك وعلى بيك يراسله ، فقتلوه فى ذلك اليوم بقصر العينى ، ورسموا بنفى خشداشينه وهم : حسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردي وسليمان أغا كتخدا الجاويشية سيد الثلاثة — وهو زوج أم عبد الرحمن كتخدا ، وكان مقيما بمصر القديمة ، وقد صار مسنا — فسفروهم الى جهة بحرى ، وتخيلوا من اقامة على بيك بالنوسات ، فأرسلوا له خليل بيك السكران فأخذه وذهب به الى السويس ليسافر الى جدة من القلزم ، وأحضر له المركب لينزله فيها .

شوال

فى ٢ منه (٣ مارس ١٧٦٧ م) :

ركب الأمراء الى قراميدان ليهنئوا الباشا بالعيد ، وكان معتاد الرسوم القديمة أن كبار الأمراء يركبون بعد الفجر من يوم العيد — وكذلك أرباب العكاكيز — فيطلعون الى القلعة ، ويمشون أمام الباشا من باب السراية الى جامع الناصر بن قلاوون فيصلون صلاة العيد ، ويرجعون كذلك ، ثم يقبلون أتكه ويهنئونه وينزلون الى بيوتهم فيهنىء بعضهم بعضا على رسمهم واصطلاحهم .

وينزل الباشا فى ثانى يوم الى الكشك بقراميدان ، وقد هيئت مجالسه بالفرش والمساند والستور ، واستعد فراشو الباشا بالتطلى والقهوة والشربات والقماقم والمباخر . ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل ، واصطفت الخدم والجاويشية والسعاة والملازمون ، وجلس الباشا بذلك الكشك ، وحضرت أرباب العكاكيز والخدم قبل كل أحد ثم يأتى الدفتردار وأمير الحج والأمراء الصناجق والاختيارية وكتخدا الينكجرية والعزب وأصحاب الوقت والمقادم والأودة باشية واليمقات والجربجية فيهنئون الباشا ويعيدون عليه على قدر مراتبهم بالقانون والترتيب ثم ينصرفون .

فلما حضروا فى ذلك اليوم المذكور ، وهنأ الأمراء الصناجق الباشا ، وخرجوا الى دهليز القصر يريدون النزول .. وقف لهم جماعة ، وسحبوا السلاح عليهم ، وضربوا عليهم بنادق ، فأصيب عثمان بيك الجرجاوى بسيف فى وجهه ، وحسين بيك كشكش أصيب برصاصة نفذت من شقه. وسحب الآخرون سلاحهم وسيوفهم ، واحتاط بهم مماليكهم ، ونط أكثرهم من حائط البستان ونفذوا من الجهة الأخرى ، وركبوا خيولهم وهم لايصدقون بالنجاة ، وأركبوا عثمان بيك حصانه وهو يقول :

باب العزب ! باب العزب ! » وقد قطع السيف وجهه وحنكه . وذهبوا به الى باب العزب وأنزلوه فمكث هنيهة ومات ، فشالوه الى بيته وغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنازته ودفنوه . وانجرح أيضا اسماعيل بيك أبو مدفع ومحمود بيك وقاسم أغا ، ولكن لم يمت منهم الا عثمان بيك وباتوا على ذلك .

فلما أصبحوا اجتمعوا وطلعوا الى الأبواب وأرسلوا الى الباشا يأمرونه بالنزول فنزل الى بيت أحمد بيك كشك بقوصون . وعند نزوله ومروره بباب العزب ، وقف له حسين بيك كشكش وأسمعه كلاما قبيحا .

ثم أنهم جعلوا خليل بك بلفيه قائمقام (١) ، وقلدوا عبد الرحمن أغا مملوك عثمان بيك صنجقا عوضا عن سيده . ونسبت هذه النكتة الى حمزة باشا ، وقيل انها من على بيك الذى بالنوسات ومراسلاته الى حسن بيك جوجو ، فبيت مع أنفار من الجلفية وأخفاهم عنده مدة أيام وتواعدوا على ذلك اليوم . وذهبوا الى الكشك بقراميدان — وكانوا نحو الأربعين — فاختلفوا واتفقوا على ثانى يوم بدهليز بيت القاضى ، وتفرقوا الا أربعة منهم ثبتوا على ذلك الاتفاق وفعلوا هذه الفعلة . وبطل أمر العيد من قراميدان من ذلك اليوم وتهدم القصر وخرب ، وكذلك الجنينة ماتت أشجارها وذهبت نضارتها .

ولما حصلت هذه الحادثة أرسلوا حمزة بيك الى على بيك فوجده فى المركب بالغاطس ينتظر اعتدال الريح للسفر ، فرده الى البر وأركبه بمماليكه وأتباعه ، ورجع الى جهة مصر ومر من الجبل وذهب الى جهة شرق أطفيح ثم الى أسيوط بقبلى ، ورجع حمزة بيك الى مصر .

ثم ان على بيك اجتمعت عليه المنافى وهوارة وخلافهم ، وأراد الانضمام الى صالح بيك فنفر منه ، فلم يزل يخادعه . وكان على كتخدا الخربطلى هناك منفيا من قبله وجعله سفيرا فيما بينه وبين صالح بيك هو وخليل بيك الأسيوطى وعثمان كتخدا الصابونجى فأرسلهم فلم يزالوا به حتى جنح لقولهم ، فعند ذلك أرسل اليه محمد بيك أبو الذهب فلم يزل به حتى انخدع له واجتمع عليه بكفالة شيخ العرب همام وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف ، وكتبوا بذلك حجة واتفق مع على بيك أنه اذا تم لهم الأمر أعطى لصالح بيك جهة قبلى قيد حياته ، واتفقوا على ذلك بالمواثيق الأكيدة وأرسلوا بذلك الى شيخ العرب همام فانسر بذلك ورضى به مراعاة لصالح بيك . وأمدهم عند ذلك همام بالعطايا والمال والرجال ، واجتمع عليهم المتفرقون والمشردون من الغز والأجناد والهوارة والشجعان ولموا جموعا كثيرة وحضروا الى المنيا ، وكان بها خليل بيك السكران ، فلما بلغه قدومهم ، ارتحل منها وحضر الى مصر هاربا واستقر على بيك وصالح بيك وجماعتهم بالمنيا وبنوا حولها أسوارا وأبراجا وركبوا عليها المدافع وقطعوا الطريق على المسافرين المبحرين والمقبلين . وأرسل على بيك الى ذى الفقار بيك وكان بالمنصورة وصحبته جماعة كشاف فارتحلوا ليلا وذهبوا الى المنيا . فعمل الأمراء جمعية وعزموا على تشهيل تجريدة وتكلموا وتشاوروا فى ذلك فتكلم الشيخ الحفناوى (١) فى ذلك المجلس وأفحمهم بالكلام ومانع فى ذلك وقال : « أخربتم الأقاليم والبلاد . فى أى شىء هذا الحال وكل ساعة خصام ونزاع وتجاريد ؟ على بيك هذا رجل أخوكم وخشداشكم ، أى شىء يحصل اذا أتى وقعد فى بيته واصطلحتم مع بعضكم

(١) أى يحكم لحين حضور الباشا الجديد .

(١) الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوتى ، ولد سنة ١١٠٠ هـ ببلدة حفنا من قرى بلبيس ، هادته الملوك وقصده الأمير والصعلوك . يقال انه مات بالسم .

وارحتم أنفسكم والناس ؟ » . وحلف أنه لايسافر أحد بتجريدة مطلقا وان فعلوا ذلك لايحصل لهم خير أبدا . فقالوا : « انه هو الذى يحرك الشر ويريد الانفراد بنفسه ومماليكه ، وان لم نذهب اليه أتى هو الينا وفعل مراده فينا » . فقال لهم الشيخ « أنا أرسل اليه مكاتبة فلا تتحركوا بشىء حتى يأتى رد الجواب » . فلم يسعهم الا الامتثال .

فكتب له الشيخ مكتوبا وبخه فيه وزجره ونصحه ووعظه وأرسلوه اليه . فلم يلبث الشيخ بعد هذا المجلس الا أياما ومرض ورمى بالدم . وتوفى الى رحمة الله تعالى . فيقال انهم أشغلوه وسموه ليتمكنوا من أغراضهم



ربيع الآخر

فى غرته (٢٧ اغسطس ١٧٦٧ م) :

ورود الخبر بوصول محمد باشا راقم (١) الى الاسكندرية . وحضر الى مصر وطلع الى القلعة .

جمادى الأولى

فى ١١ منه (٥ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

اجتمعوا بالديوان وقلدوا حسن بيك رضوان دفتردار مصر .

فى ١٥ منه (٩ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

قلدوا خليل بيك بلفيه أمير الحج وقاسم أغا صنجقا . وكتبوا فرمانا بطلوع التجريدة الى قبلى .

ولبس سارى عسكرها حسين بيك كشكش وشرعوا فى التشهيل . واضطرهم الحال الى مصادرة التجار ، وأحضر خليل بيك النواخيذ وهم : ملا مصطفى وأحمد أغا الملطيلى وقرا ابراهيم وكاتب البهار ، وطلب منهم مال البهار معجلا فاعتذروا ، فصرخ عليهم وسبهم فخرجوا من بين يديه وأخذوا فى تشهيل المطلوب وجمع المال من التجار .

وفيه : برز حسين بيك خيامه للسفر وخرج صحبته ستة من الصناجق وهم حسن بيك جوجو وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة واسماعيل بيك أبو مدفع وحمزة بيك وقاسم بيك وأسرعوا فى الارتحال

فى ٢٠ منه (١٤ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

أخرج خلفهم أيضا خليل بيك تجريدة أخرى وفيها ثلاثة صناجق ووجاقلية وعسكر مغاربة وسافروا أيضا فى يومها . وبعد ثلاثة أيام ورد الخبر بوقوع الحرب بينهم ببياضة تجاه بنى سويف فكانت الهزيمة على حسين بيك ومن معه . وقتل على أغا الميجى وخلافه ، وقتل من ذلك الطرف ذو الفقار بيك .

٢٤ منه (١٨ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

رجع المهزومون فى ثانى يوم الكسرة ، وهم فى أسوأ حال .

٢٥ منه (١٩ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

طلعوا الى أبواب القلعة وطلبوا من الباشا فرمانا بالتجريدة على على بيك وصالح بيك ومن معهم وطلبوا مائتى كيس من الميرى يصرفونها فى اللوازم فامتنع الباشا من ذلك

٢٦ منه (٢٠ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

حضر الخبر بوصول القادمين الى غمازة . وكان الوجاقلية وحسن بيك جوجو ناصبين خيامهم جهة البساتين فارتحلوا ليلا وهربوا . وتخيل عزل خليل بيك وحسين بيك ومن معهما وتحيروا فى

(١) كان من خطة الدولة العثمانية ايقاد نار الفتنة بين البكوات لوقعت فتنة بين امراء المماليك فقتلوا بعضهم بعضا كما حدث فى ولاية ابن العظم سنة ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) . وهنا نرى راقم باشا يعضد خصوم على بيك ويساعد على ارسال حملة لمقاومته تحت رياسة حسين بيك كشكش ويجمع لهذه الحملة المال . كما نجده يقابل على بيك بعد انتصاره على جيش حسين بيك كشكش ويخلع عليه ويقره شيخا للبلد .

(حافظ عوض ــ فتح مصر الحديث ص ٢٩)

أمرهم وتحققوا الادبار والزوال وأرسل الباشا الى الوجاقلية يقول لهم « كل وجاق يلازم بابه » .

٢٧ منه (٢١ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

حضر على بيك وصالح بيك ومن معهم الى البساتين فازداد تحيرهم وطلعوا الى الأبواب فوجدوها مغلوقة . فرجعوا الى قراميدان وجلسوا هناك ثم رجعوا .

وفى الليل تسحب كثير من الأمراء والأجناد وخرجوا الى جهة على بيك وكان حسن بيك المعروف بجوجو ينافق الطرفين ويراسل على بيك وصالح بيك سرا ويكاتبهما . وضم اليه بعض الأمراء مثل قاسم بيك خشداشه ، واسماعيل بيك زوج هانم بنت سيدهم وعلى بيك السروجى وجن على — وهو خشداش ابراهيم بيك بلفيه — وكثير من أعيان الوجاقلية ، ويرسلون لهم الأوراق فى داخل الأقصاب التى يشربون فيها الدخان .

٢٩ منه (٢٣ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

هرب الأمراء الذين بمصر وهم خليل بيك شيخ البلد وأتباعه وحسين بيك كشكش وأتباعه وهم نحو عشرة صناجق وصحبتهم مماليكهم وأجنادهم عدة كثيرة .

وفى الصباح خرج الأعيان وغيرهم لملاقاة القادمين . ودخل فى ذلك اليوم على بيك وصالح بيك وصناجقهم ومماليكهم وأتباعهم وجميع من كان منفيا بالصعيد قبل ذلك من أمراء ووجاقلية وغيرهم . وحضر صحبتهم على كتخدا الخربطلى وخليل بيك الأسيوطى وقلده على بيك الصنجقية مجددا وضربت النوبة فى بيته ثم أعطاه كشوفية الشرقية .

جمادى الآخرة

٢ منه (٢٦ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

طلع على بيك وصالح بيك وباقى الأمراء القادمين والذين تخلفوا عن الذاهبين مثل حسين بيك جوجو واسماعيل بيك زوج هانم وجن على وعلى بيك السروجى وقاسم بيك والاختيارية والوجاقلية وغيرهم الى الديوان بالقلعة . فخلع الباشا على على بيك واستقر فى مشيخة البلد كما كان ، وخلع على صناجقه خلع الاستمرار أيضا فى اماراتهم كما كانوا ونزلوا الى بيوتهم . وثبت قدم على بيك فى امارة مصر ورئاستها فى هذه المرة ، وظهر بعد ذلك الظهور التام ، وملك الديار المصرية ، والأقطار الحجازية ، والبلاد الشامية ، وقتل المتمردين ، وقطع المعاندين ، وشتت شمل المنافقين ، وخرق القواعد ، وخرم العوائد ، وأخرب البيوت القديمة ، وأبطل الطرائق التى كانت مستقيمة .

ثم انه حضر سليمان أغا كتخدا الجاويشية وصناجقه الى مصر وعزم على نفى بعض الأعيان واخراجهم من مصر ، فعلم أنه لايتمكن من أغراضه مع وجود حسن بيك جوجو وأنه مادام حيا لايصفو له الحال . فأخذ يدبر على قتله فبيت مع أتباعه على قتله ، فحضر حسن بيك جوجو وعلى بيك جن على عند على بيك ، وجلسوا معه حصة من الليل وقام ليذهب الى بيته فركب وركب معه جن على ومحمد بيك أبو الذهب وأيوب بيك ليذهبوا أيضا الى بيوتهم لاتحاد الطريق . فلما صاروا فى الطريق التى عند بيت الشابورى خلف جامع قوصون ، سحبوا سيوفهم وضربوا حسن بيك وقتلوه وقتلوا معه أيضا جن على ورجعوا وأخبروا سيدهم على بيك .

رجب

٨ منه (٣٠ نوفمبر ١٧٦٧ م) :

أصبح على بيك مالكا للأبواب ، ورسم بنفى قاسم بيك واسماعيل بيك أبى مدفع وعبد الرحمن

بيك واسماعيل بيك كتخدا عزبان ومحمد كتخدا زنور ومصطفى جاويش تابع مصطفى جاويش الكبير مملوك ابراهيم كتخدا وخليل جاويش درب الحجر .

شوال

فى ١١ منه (اول مارس ١٧٦٨ م) :

اخرج أيضا نحو الثلاثين شخصا من الأعيان ونفاهم فى البلاد . وفيهم ثمانية عشر أميرا من جماعة الفلاح (١) وفيهم على كتخدا وأحمد كتخدا الفلاح وابراهيم كتخدا مناو وسليمان أغا كتخدا جاووشان الكبير وصناجقه حسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردى وخلافهم مقادم وأوده باشية ، فنفى الجميع الى جهة قبلى . وأرسل سليمان أغا كتخدا الجاويشية الى السويس يذهب الى الحجاز من القلزم واستمر هناك الى أن مات .

وفيه : قبض على بيك على الشيخ يوسف بن وحيش وضربه علقة قوية ونفاه الى بلدة جناج (٢) فلم يزل بها الى أن مات . وكان من دهاة العالم ، وكان كاتبا عند عبد الرحمن كتخدا القازدغلى ، وله شهرة وسمعة فى السعى وقضاء الدعاوى والشكاوى والتحيلات والمداهنات والتلبيسات وغير ذلك .

ذو الحجة

(ابريل ١٧٦٨) :

فيه وصلت أخبار عن حسين بك كشكش (١) وخليل بيك ، أنهم لما وصلوا الى غزة جمعوا جموعا ، وأنهم قادمون الى مصر . فشرع على بيك فى تشهيل تجريدة عظيمة ، وبرزوا وسافروا .

ثم ورد الخبر بعد ثلاثة أيام أنهم عرجوا الى جهة دمياط ، ونهبوا منها شيئا كثيرا ، ثم حضروا الى المنصورة ونهبوا منها كذلك . فأرسل على بيك يأمر التجريدة بالذهاب اليهم ، وأرسل لهم أيضا عسكرا من البحر ، فتلاقوا معهم عند الديرس والجراح من أعمال المنصورة عند سمنود . فوقع بينهم وقعة عظيمة ، وانهزمت التجريدة وولوا راجعين ، وقتل فى هذه المعركة سليمان جربجى باش اختيار جمليان ، وأحمد طنان جراكسة ، وعمر أغا جاووشان أمين الشون — وكانوا صدور الوجاقات .

ولم يزالوا فى هزيمتهم الى دجوة . فلما وصل الخبر بذلك الى على بيك اهتم لذلك ونزل الباشا وخرج الى قبة باب النصر خارج القاهرة ، وجمع الوجاقلية والعلماء وأرباب السجاجيد ، وأمر الباشا بأن كل من كان وجاقليا أو عليه عتامنة يشهل نفسه ويطلع الى التجريدة أو يخرج عنه بدلا .

واجتهد على بيك فى تشهيل تجريدة عظيمة أخرى ، وكبيرها محمد بيك أبو الذهب ، وسافروا فى أوائل المحرم ، واجتمعوا بالتجريدة الأولى .. وسار الجميع خلف حسين بيك وخليل بيك ومن معهم . وكانوا عدوا الى بر الغربية بعد أن هزموا التجريدة . فلو قدر الله أنهم لما كسروا التجريدة ساقوا خلفهم ، كما فعل على بيك وصالح بيك ،

---

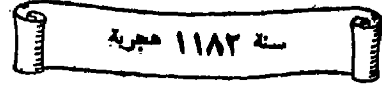
(١) جماعة الفلاح استاذهم الحاج صالح الفلاح من قرية الراهب بالمنوفية . ولد (١١٦٧ هـ) وتربى بمسرل على كتخدا الجلفى ولم يزل ينتقل فى الأطوار حتى صار من أرباب الأموال واشترى المماليك والعبيد والجوارى يزوجهم من بعضهم ويشترى لهم الدور والايراد ويدخلهم الوجاقات والبلكات بالصانعات والرشوات لأرباب الحل والعقد والمتكلمين وتنقلوا حتى تلبسوا بالمناصب الجليلة كتخدامات واختيارية وامراء طبلخانات وجاويشية وأوذباشية وصار لهم اتباع ومماليك .

(رفعت رمضان ـ على بيك الكبير ص ١٦)

(٢) قرية تابعة الآن لمركز بسيون غربية .

(١) عاد من غزة بعد ثمانية أشهر فى جيش من فرسان المماليك والدروز ومشاة المغاربة (رفعت رمضان ـ على بيك الكبير ص ٢١)

لدخلوا الى مصر من غير مانع .. ولكن لم يرد الله تعالى لهم ذلك .



المحرم

الخميس ٢ منه (١٩ مايو ١٧٦٨ م) (١) :

سافرت التجريدة المعينة الى بحرى بسبب الأمراء المتقدم ذكرهم ، وهم حسين بيك وخليل بيك ومن معهم . وقد بذل جهده على بيك حتى شهل أمرها ولوازمها فى أسرع وقت ، وأميرها وسر عسكرها محمد بيك أبو الذهب .

فلما وصلوا الى ناحية دجوة وجدوهم عدوا الى مسجد الخضر ، فعدوا خلفهم .. فوجدوهم قد ذهبوا الى طندتا وكرنكوا بها ، فتبعوهم الى هناك وأحاطوا بالبلدة من كل جهة .

منتصفه : (١ يونيو ١٧٦٨ م) :

وقعت الحرب بينهم ، ولم تزل قائمة بين الفريقين حتى فرغ ما عندهم من الجبخانة والبارود ... فعند ذلك أرسلوا الى محمد بيك وطلبوا منه الأمان ، فأعطاهم الأمان وارتفع الحرب بين الفريقين وكاتبهم محمد بيك وخادعهم ، والتزم لهم باجراء الصلح بينهم وبين مخدومه على بيك ، فانخدعوا له وصدقوه ، وانحلت عزائمهم ، واختلفت آراؤهم ، وسكن الحال تلك الليلة .

ثم ان محمد بيك أرسل فى ثانى يوم الى حسين بيك ستدعيه ليعمل معه مشورة فحضر عنده بمفرده وصحبته خليل بيك السكران تابعه فقط . فلما وصلوا الى مجلسه لم يجدوه . فعندما استقر بهما الجلوس دخل عليهما جماعة وقتلوهما (١) .

وحضر فى اثرهما حسن بيك شبكة ولم يعلم ما جرى لسيده . فلما قرب من المكان أحس قلبه بالشر فأراد الرجوع فعاقه رجل سائس يسمى مرزوق وضربه بنبوت فوقع الى الأرض فلحقه بعض الجند واحتز رأسه . فلما علم بذلك خليل بيك الكبير ومن معه ، ذهبوا الى ضريح سيدى أحمد البدوى والتجئوا الى قبره ، واشتد بهم الخوف ، وعلموا أنهم لاحقون باخوانهم ، فلما فعلوا ذلك لم يقتلوهم وأرسل محمد بيك يستشير سيده فى أمر خليل بيك ومن معه فأمر بنفيه الى ثغر الاسكندرية وخنقوه بعد ذلك بها .

الجمعة ١٧ منه (٣ يونيو ١٧٦٨ م) :

رجع محمد بيك وصالح بيك والتجريدة ، ودخلوا المدينة من باب النصر فى موكب عظيم ، وأمامهم الرؤوس محمولة فى صوان من فضة ، والخدم يقولون « صلوا على محمد » ، وصالح بيك ظاهر بوجهه الانقباض والتعبيس ، وعدتها ستة رؤوس . وهى : رأس حسين بيك وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة وحمزة بيك واسماعيل بيك أبى مدفع وسليمان أغا الوالى .

صفر

١٤ منه (٣٠ يونيه ١٧٦٨ م) :

حضر نجاب الحج واطمأن الناس .

١٧ منه (٣ يوليو ١٧٦٨ م) :

وصل الحجاج بالسلامة ، ودخلوا المدينة — — وأمير الحج خليل بيك بلفيه — وسر الناس

---

(٢) فى هذه السنة طلب الباب العالى ١٢ الف نفر لمحاربة الروسيا فاوقعت المماليك والباشا الفتن فى حق على بيك فورد فرمان شاهانى بقتله وارسال راسه الى الاستانة لكنه لم يفد حيث علم بذلك على بيك وتربص لحامل الفرمان ورفقائه الاربعة وقتلوا بامره واعلن استقلال مصر وكتب الى امير عكا بذلك .
(التوفيقات الالهامية)

(١) يذكر الاستاذ رفعت رمضان انه قتل فى هذه المكيدة مع حسين بك خمسة من صناجقه ايضا .

بسلامة الحجاج ، وكانوا يظنون تعبهم بسبب هذه الحركات والوقائع .

١٨ منه (٤ يوليو ١٧٦٨ م) :

أخرج على بيك جملة من الأمراء من مصر ، ونفى بعضهم الى الصعيد وبعضهم الى الحجاز ، وأرسل البعض الى الفيوم ، وفيهم محمد كتخدا — تابع عبد الله كتخدا — وقرا حسن كتخدا وعبد الله كتخدا تابع مصطفى باش اختيار مستحفظان ، وسليمان جاويش ومحمد كتخدا الجردلى وحسن افندى الباقرجى وبعض أودة باشيه وعلى جربجى وعلى افندى الشريف جمليان .

وفيه : صرف على بيك الجامكية .

وفيه : أرسل على بيك وقبض على أولاد سعد الخادم بضريح سيدى أحمد البدوى ، وصادرهم ، وأخذ منهم أموالا عظيمة لايقدر قدرها ، وأخرجهم من البلدة ، ومنعهم من سكناها ومن خدمة المقام الأحمدى . وأرسل الحاج حسن عبد المعطى وقيده بالسدنة عوضا عن المذكورين ، وشرع فى بناء الجامع والقبة والسبيل والقيسارية العظيمة ، وأبطل منها مظالم أولاد الخادم والحمل والنشالين والحرمية والعيارين وضمان البغايا والخواطىء وغير ذلك .

ربيع الأول

٩ منه (٢٤ يولية ١٧٦٨ م) :

حضر قابجى من الديار الرومية برسوم وقفطان وسيف لعلى بيك من الدولة .

وفيه : وصلت الأخبار بموت خليل بيك الكبير بثغر الاسكندرية مخنوقا .

١٢ منه (٢٧ يوليه ١٧٦٨ م) :

نزل الباشا الى بيت على بيك باستدعائه ، فتغدى عنده ، وقدم له تقادم وهدايا .

ربيع الآخر

١٨ منه (١ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

اجتمع الأمراء بمنزل على بيك على العادة — وفيهم صالح بيك — وقد كان على بيك بيت مع أتباعه على قتل صالح بيك . فلما انقضى المجلس وركب صالح بيك، ركب معه محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك وأحمد بيك بشناق ، المعروف بالجزار ، وحسن بيك الجداوى ، وعلى بيك الطنطاوى ... وأحدق الجميع بصالح بيك ، ومن خلفهم الجند والمماليك والطوائف .. فلما وصلوا الى مضيق الطريق عند المفارق بسويقة عصفور ، تأخر محمد بيك ومن معه عن صالح بيك قليلا ، وأحدث له محمد بيك حماقة مع سائسه ، وسحب سيفه من غمده سريعا وضرب صالح بيك [1] وسحب الاخرون سيوفهم ، ما عدا أحمد بيك بشناق ، وكملوا قتلته ووقع طريحا على الأرض . ورمح الجماعة الضاربون وطوائفهم الى القلعة . وعندما رأى مماليك صالح بيك وأتباعه مانزل بسيدهم خرجوا على وجوههم .

ولما استقر الجماعة القاتلون بالقلعة ، وجلسوا مع بعضهم يتحدثون ، عاتبوا أحمد بيك بشناق على عدم ضربه معهم صالح بيك ، وقالوا له « لماذا لم تجرد سيفك وتضرب مثلنا ؟ » فقال « بل ضربت معكم » . فكذبوه ، فقال له بعضهم : « أرنا سيفك » ، فامتنع وقال : « ان سيفى لا يخرج من غمده لأجل الفرجة » ، ثم سكتوا .. وأخذ فى نفسه منهم ، وعلم أنهم سيخبرون سيدهم بذلك فلا يأمن غائلته .

---

(١) وبموت صالح بيك تخلص على بيك من آخر منجق كان يحتمل ان ينافسه فى مشيخة البلد ، واستقرت الامور وسلمت مقاليدها لعلى بيك الذى اصبح شيخ البلد وسيدها الفعلى .

وذلك أن أحمد بيك (١) هذا لم يكن مملوكا لعلى بيك ، وانما كان أصله من بلاد بشناق ... حضر الى مصر فى جملة أتباع على باشا الحكيم عندما كان واليا على مصر فى سنة تسع وستين ومائة وألف (١٧٥٥ م) فأقام فى خدمته الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف (١٧٥٧ م) . وتلبس صالح بيك بأمارة الحج فى ذلك التاريخ ، فاستأذن أحمد بيك المذكور على باشا فى الحج وأذن له ، فحج مع صالح بيك وأكرمه وأحبه وألبسه زى المصريين ورجع صحبته . وتنقلت به الأحوال ، وخدم عند عبد الله بيك على ، ثم خدم عند على بيك فأعجبته شجاعته وفروسيته فرقاه فى المناصب حتى قلده الصنجقية وصار من الأمراء المعدودين ، فلم يزل يراعى منة صالح بيك السابقة عليه .

فلما عزم على بيك على خيانة صالح بيك وغدره خصصه بالذكر ، وأوصاه أن يكون أول ضارب فيه لما يعلمه فيه من العصبية له ، فقيل له : ان أحمد بيك أسر ذلك الى صالح بيك وحذره غدر على بيك اياه فلم يصدقه لما بينهما من العهود والأيمان والمواثيق . ولم يحصل منه ما يوجب ذلك ولم يعارضه فى شىء ، ولم ينكر عليه فعلا . فلما اختلى صالح بك بعلى بيك أشار اليه بما بلغه ، فحلف له على بيك بأن ذلك نفاق من المخبر ولم يعلم من هو .

(١) يقول الاستاذ رفعت رمضان (ص ٣٤) : الثابت أن على بيك تحمل بسبب ذلك عداء احمد بيك بشناق (الشهير بالجزار) . وبيان ذلك ان على بيك حرض الجزار فيمن حرضهم على قتل صالح بيك . ولما كان الجزار من اخلص الناس لصالح بيك ـ لفضل الاخير عليه أيام كان منفيا بالصعيد ـ فقد اعتذر لعلى بيك، فكتم هذا غيظه وتصنع امامه اكباره لشهامته واكد له انه انما كان يختبر اخلاصه واستشف احمد نيات على بيك الحقيقية فاسرع واسرها الى صالح بيك الذى انكرها ظاهرا واستنكرها باطنا لما كان بينه وبين على بيك من المواثيق . كما أن على بيك اسرع يعطى الموقف لهنا صالح بيك باخلاص الجزار ومره عليه قائلا : ينبغى لك يااخى ان تختبر رجالك ايضا لئلا يكون بينهم خيانة وانا قد اختبرت الجزار فوجدته نصوحا .

فلما حصل ما حصل ، ورأى مراقبة الجماعة له ومناقشتهم له عند استقرارهم بالقلعة ... تخيل وداخله الوهم وتحقق فى ظنه تجسم القضية . فلما نزلوا من القلعة وانصرفوا الى منازلهم ، تفكر تلك الليلة ، وخرج من مصر ، وذهب الى الاسكندرية وأوصى حريمه بكتمان أمره ما أمكنهم حتى يتباعد عن مصر . فلما تأخر حضوره بمنزل على بيك وركوبه ، سألوا عنه ، فقيل لهم : انه متوعك ، فحضر اليه فى ثانى يوم محمد بيك ليعوده وطلب الدخول اليه ، فلم يمكنهم منعه فدخل الى محل مبيته فلم يجده فى فراشه ، فسأل عنه حريمه . فقالوا : لا نعلم له محلا ، ولم يأذن لأحد بالدخول عليه وفتشوا عليه فلم يجدوه .

وأرسل على بيك عبد الرحمن أغا وأمره بالتفتيش عليه وقتله ، فأحاط بالبيت — وهو بيت شكره فره — وفتش عليه فى البيت والخطة فلم يجده . وهو قد كان هرب ليلة الواقعة فى صورة جزائرلى مغربى ، وقصقص لحيته ، وسعى بمفرده الى شلقان ، وسافر الى بحرى ووصل السعاة بخبره الى على بيك بأنه بالاسكندرية فأرسل بالقبض عليه فوجدوه نزل بالقبطانة واحتمى بها وكان من أمره ما كان بعد ذلك ، وهو أحمد باشا الجزار الشهير الذكر الذى تملك عكا ، وتولى الشام وامارة الحج الشامى ، وطار صيته فى الممالك .

وفيه عين على بيك تجريدة على سويلم بن حبيب (١) وعرب الجزيرة ، فنزل محمد بيك بتجريدة الى عرب الجزيرة ، وأيوب بيك الى سويلم . فلما

(١) ورث سويلم بن حبيب وشقيقه سالم شهرة تردد صداها فى انحاء الوجه البحرى وانتهت اليه زعامة جميع القبائل هناك وهابه الجميع لجرأته وشدة بأسه وأحاطوا اعماله بهالة من الخيال (رفعت رمضان ـ على بيك الكبير ص ٤٥)

ذهب أيوب بيك الى دجوة (1) فلم يجدوا بها أحدا وكان سويلم بائتا في سندنهور وباقى الحبايبة متفرقين في البلاد . فلما وصله الخبر ركب من سندنهور وهرب بمن معه الى البحيرة ، والتجأ الى الهنادي .. ونهبوا دوائره ومواشيه ، وحضروا بالمنهوبات الى مصر . واحتج عليه بسبب واقعة حسين بيك وخليل بيك لما أتيا الى دجوة بعد واقعة الديرس والجراح قدم لهم التقادم ، وساعدهم بالكلف والذبائح ونحو ذلك . والغرض الباطنى اجتهاده في ازالة أصحاب المظاهر كائنا ما كان .

الاثنين ١٩ منه (٢ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

أمر على بيك باخراج على كتخدا الخربوطلى منفيا ، وكذلك يوسف كتخدا مملوكه ونفى حسن أفندى درب الشمسى واخوته الى السويس ليذهبوا الى الحجاز ، وسليمان كتخدا الجلفى ، وعثمان كتخدا عزبان المنفوخ وكان خليل بيك الأسيوطى بالشرقية ، فلما سمع بقتل صالح بيك هرب الى غزة .

جمادى الأولى

٥ منه (١٧ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

طلع على بيك الى القلعة ، وقلد ثلاثة صناجق من أتباعه ، وكذلك وجاقلية ، وقلد أيوب بيك تابعه ولاية جرجا وحسن بيك رضوان أمير حج .

جمادى الآخرة

(اكتوبر — نوفمبر ١٧٦٨ م)

قلد اسماعيل بيك الدفتردارية وصرف المواجب في ذلك اليوم .

(1) دجوة قرية صغيرة من مديرية القليوبية واقعة على الضفة الشرقية لفرع دمياط وكانت مركز عرب أولاد حبيب .
(على مبارك — الخطط ج ١ ص ١٠١)

رجب

منتصفه (٢٥ نوفمبر ١٧٦٨ م)

وصل أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسوم بطلب عسكر للسفر ، فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسوم . وكان على بيك أحضر سليمان بيك الشابورى من نفيته بناحية المنصورة ، وكان منفيا هناك من سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف (١٧٥٨ م) .

وفى يوم الثلاثاء عملوا الديوان بالقلعة ، ولبسوا سليمان بيك الشابورى أمير السفر الموجه الى الروم ، وأخذوا في تشهيله . وسافر محمد بيك أبو الذهب بتجريدة — ومعه جملة من الصناجق والقاتلين — لمنابذة شيخ العرب همام . فلما قربوا من بلاده ترددت بينهم الرسل ، واصطلحوا معه على أن يكون لشيخ العرب همام من حدود برديس ولا يتعدى حكمه لما بعدها ، واتفقوا على ذلك . ثم بلغ شيخ العرب أنه ولد لمحمد بيك مولود ، فأرسل له بالتجاوز عن برديس أيضا انعاما منه للمولود ، ورجع محمد بيك ومن معه الى مصر .

وفيه : قبض على بيك على الشيخ أحمد الكتبى المعروف بالسقط وضربه علقة قوية ، وأمر بنفيه الى قبرص . فلما نزل الى البحر الرومى ذهب الى اسلامبول ، وصاهر حسن أفندى قطه مسكين المنجم ، وأقام هناك الى أن مات . وكان المذكور من دهاة العالم يسعى في القضايا والدعاوى ، يحيى الباطل ، ويبطل الحق بحسن سبكه وتداخله .

في ١٧ منه (٢٧ نوفمبر ١٧٦٨ م) :

حصلت قلقة من جهة والى مصر محمد باشا . وكان أراد أن يحدث حركة فوشى به كتخداه عبد الله بيك الى على بيك ، فأصبحوا وملكوا الأبواب والرميلة والمحجر وحوالى القلعة ، وأمروه

بالنزول ، فنزل من باب الميدان الى بيت أحمد بيك كشك ، وأجلسوا عنده الحرسجية ..

شعبان

و غرته (١١ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

تقلد على بيك قائمقامية عوضا عن الباشا .

الخميس ٥ منه (١٥ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

أرسل على بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان الى رجل من الأجناد يسمى اسماعيل أغا من القاسمية وأمره بقتله ، وكان اسماعيل هذا منفيا جهة بحرى ، وحضر الى مصرقبل ذلك وأقام ببيته جهة الصليبة ، وكان مشهورا بالشجاعة والفروسية والأقدام . فلما وصل الأغا حذاء بيته وطلبه ، ونظر الى الأغا واقفا بأتباعه ينتظره علم أنه يطلبه ليقتله كغيره ، لأنه تقدم قتله لأناس كثيرة على هذا النسق بأمر على بيك ! فامتنع من النزول ، وأغلق بابه ، ولم يكن عنده أحد سوى زوجته ، وهى أيضا جارية تركية ، وعمر بندقيته وقرابينته وضرب عليهم ، فلم يستطيعوا العبور اليه من الباب ، وصارت زوجته تعمر له وهو يضرب حتى قتل منهم أناسا وانجرح كذلك . واستمر على ذلك يومين وهو يحارب وحده ! وتكاثروا عليه وقتلوا من أتباعه — وهو ممتنع عليهم — الى أن فرغ منه البارود والرصاص ، ونادوه بالأمان فصدقهم ونزل من الدرج . فوقف له شخص وضربه وهو نازل من الدرج ، وتكاثروا عليه وقتلوه وقطعوا رأسه ظلما رحمه الله تعالى .

فى ١٩ منه (٢٩ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

صرفت المواجب على الناس والفقراء .

فى ٢٨ منه (٧ يناير ١٧٦٩ م) :

خرج موكب السفر الموجه الى الروم فى تجمل زائد .

رمضان

فى ١٠ منه (١٨ يناير ١٧٦٩ م) :

قبض على بيك على المعلم اسحق اليهودى ، معلم الديوان ببولاق ، وأخذ منه أربعين ألف محبوب ذهب وضربه حتى مات . وكذلك صادرأناسا كثيرة فى أموالهم من التجار مثل العشوبى والكمين وغيرهما . وهو الذى ابتدع المصادرات وسلب الأموال من مبادىء ظهوره واقتدى به من بعده .

شوال

(فبراير ١٧٦٩ م) :

وفيه : هيأ على بيك هدية حافلة وخيولا مصرية جيادا ، وأرسلها الى اسلامبول للسلطان ورجال الدولة . وكان المتسفر بذلك ابراهيم أغا سراج باشا ، وكتب مكاتبات الى الدولة ورجالها ، والتمس من الشيخ الوالد [1] أن يكتب له أيضا مكاتبات لما يعتقده من قبول كلامه واشارته عندهم . ومضمون ذلك الشكوى من عثمان بيك ابن العظم والى الشام ، وطلب عزله عنها بسبب انضمام بعض المصريين المطرودين اليه ومعاونته لهم ، وطلب منه أن يرسل من طرفه أناسا مخصوصين . فأرسل الشيخ عبد الرحمن العريشى ومحمد افندى البردلى فسافروا مع الهدية وغرضه بذلك وضع قدمه بالقطر الشامى أيضا .

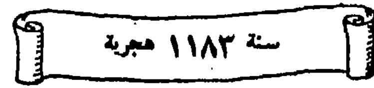
ذو القعدة

فى ١٢ منه (٢٠ مارس ١٧٦٩ م) :

رسم بنفى جماعة من الأمراء أيضا ، وفيهم ابراهيم أغا الساعى اختيار متفرقة ، واسماعيل أفندى جاويشان وخليل أغا باشجاويشان جمليان وباشجاويش تفكجيان ومحمد أفندى جراكسة ورضوان بيك تابع حسن بيك رضوان والزعفرانى .

(١) يقصد والد الجبرتى

فأرسل منهم الى دمياط ورشيد واسكندرية وقبلى، وأخذ منهم دراهم قبل خروجهم ، واستولى على بلادهم وفرقها فى أتباعه . وكانت هذه طريقته فيمن يخرجه : يستصفى أموالهم أولا ، ثم يخرجهم ويأخذ بلادهم واقطاعهم فيفرقها على مماليكه وأتباعه الذين يؤمرهم فى مكانهم . ونفى أيضا ابراهيم كتخدا جدك وابنه محمد الى رشيد ، وكان ابراهيم هذا كتخداه ثم عزله وولاه الحسبة ، فلما نفاه ولى مكانه فى الحسبة مصطفى أغا .


سنة ١١٨٣ هجرية

المحرم

(مايو ١٧٦٩ م) :

فيه : أخرج على بيك عثمان أغا الوكيل من مصر منفيا الى جهة الشام ، وكذلك أحمد أغا أغات الجوالى وأغات الضربخانة الى جهة الروم . وكان أحمد أغا هذا رجلا عظيما ذا غنية كبيرة وثروة زائدة ، فصادره على بيك فى ماله وأمره بالخروج من مصر ، فأحضر المطربازية والدلالين والتجار وأخرج متاعه وذخائره وباعها بسوق المزاد بينهم ، فبيع موجوده من أمتعة وثياب وجواهر وتحف وأسلحة وكتب وأشياء نفيسة وهو ينظر اليها ويتحسر ، ثم سافر الى جهة الاسكندرية .

وفيه : توفى محمد باشا الذى كان بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطىء النيل، ولعله مات مسموما ، ودفن بالقرافة الصغرى عند مدافن الباشوات بالقرب من الامام الشافعى .

ونزل الحج ودخل الى مصر مع أمير الحج خليل بيك بلفيا فى أمن وأمان .

صفر

(يونيو ١٧٦٩ م) :

وصل باشا من طريق البر ، وطلع الأمراء الى العادلية لملاقاته ، ونصبوا خيامهم ودخل بالموكب .

وفيه : أخرج على بيك حسن بيك رضوان وأتباعه الى مسجد وصيف ثم نقل منها الى المحلة الكبرى فأقام سنين .

وفيه : أرسل على بيك تجريدة الى سويلم ابن حبيب والهنادى بالبحيرة وباش التجريدة اسماعيل بيك . وذلك أن ابن حبيب لما رحل من دجوة ، ذهب الى البحيرة وانضم الى عرب الهنادى. وكان المتولى على كشوفية البحيرة عبد الله بيك ، تابع على بيك ، فحاربوه وحاربهم حتى قتل عبد الله بيك المذكور فى المعركة ونهبوا متاعه ووطاقه .

وكان أحمد بيك بشناق لما خرج من مصر هاربا ، بعد قتل صالح بيك ، ذهب الى الروم فصادف هناك جماعة من الهربانين ، ومنهم يحيى السكرى وعلى أغا المعمار وعلى بيك الملط وغيرهم ، وزيفوا بسبب المغرضين لعلى بيك بدار السلطنة فنزلوا فى مركبين الى درنة فوصلوها متفرقين ، فالتى وصلت أولا بها يحيى السكرى وعلى المعمار والملط ، فركبوا عندما وصلوا الى درنة ، وذهبوا الى الصعيد ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمد بيك بشناق فطلع الى عند الهنادى . فلما وصل اسماعيل بيك ومن معه بالتجريدة تحاربوا مع الحبايبة ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمد بيك بشناق فطلع الى عند الهنادى . فلما وصل اسماعيل بيك ومن معه بالتجريدة فتحاربوا مع الحبايبة والهنادى — ومعهم أحمد بيك بشناق — ثلاثة أيام . وكان سويلم بن حبيب منعزلا فى خيمة صغيرة عند امرأة بدوية بعيدا عن المعركة ، فذهب بعض العرب وعرف الأمراء بمكانه ، فكبسوه وقتلوه وقطعوا رأسه ورفعوها على رمح .. واشتهر ذلك فارتفع الحرب من بين الفريقين وتفرق الهنادى وعرب الجزيرة والصوالحة وغيرهم ، وراحت كسرة على الجميع ، ولم يقم لهم قائم من ذلك اليوم .

وتغيب أحمد بيك بشناق فلم يظهر الا بعد مدة ببلاد الشام .

وفيه : تقلد أيوب بيك على منصب جرجا ، وخرج مسافرا ومعه عدة كبيرة من العساكر والأجناد ، فوصلوا الى قرب أسيوط . فوردت الأخبار باجتماع الأمراء المنافى وتملكهم أسيوط وتحصنهم بها .

وكان من أمرهم أنه لما ذهب محمد بيك أبوالذهب الى جهة قبلى لمنابذة شيخ العرب همام(1) كماتقدم ، وجرى بينهما الصلح على أن يكون لهمام من حدود برديس (2) وتم الأمر على ذلك ورجع محمد بيك الى مصر ، وأرسل على بيك يقول له : « انى أمضيت ذلك بشرط أن تطرد المصريين الذين عندك ، ولا تبقى منهم أحدا بدائرتك فجمعهم وأخبرهم بذلك . وقال لهم : « اذهبوا الى أسيوط واملكوها قبل كل شىء فان فعلتم ذلك كان لكم بها قوة ومنعة ، وأنا أمدكم بعد ذلك بالمال والرجال » فاستصوبوا رأيه وبادروا وذهبوا الى أسيوط — وكان بها عبد الرحمن كاشف من طرف على بيك وذى الفقار كاشف — وقد كانوا حصنوا البلدة وجهاتها ، وبنوا كرانك والبوابة ، وركب عليها المدافع .. فتحيل القوم ليلا وزحفوا الى البوابة ، ومعهم أنخاخ وأحطاب ، جعلوا فيها الكبريت والزيت ، وأشعلوها وأحرقوا الباب ، وهجموا على البلدة ، فلم يكن له بهم طاقة لكثرتهم وهم جماعة صالح بيك وباقى القاسمية ، وجماعة الخشاب ، وجماعة الفلاح ، وجماعة مناو ، ويحيى السكرى وسليمان الجلفى وحسن كاشف ترك وحسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردى وعبد الرحمن كاشف من خشداشين صالح بيك — وكان من الشجعان — ومحمد كتخدا الجلفى وعلى بيك الملط — تابع خليل بيك — وجماعة كشكش وغيرهم ، ومعهم كبار الهوارة وأهالى الصعيد — فملكوا أسيوط وتحصنوا بها ، وهرب من كان فيها .

وردت الأخبار بذلك الى على بيك فعين للسفر ابراهيم بيك بلفيا ومحمد بيك أبو شنب وعلى بيك الطنطاوى ، ومن كل وجاق جماعة وعساكر ومغاربة ، وأرسل الى خليل بيك القاسمى المعروف بالأسيوطى فأحضره من غزة ، وطلع هو وابراهيم بيك — تابع محمد بيك — بعساكر أيضا ، وعزل الباشا وأنزله وحبسه ببيت ايواظ بيك عند الزير المعلق . ثم سافر محمد بيك أبو الذهب ورضوان بيك وعدة من الأمراء والصناجق ، وضم اليهم ماجمعه وجلبه من العساكر المختلفة الأجناس من دلاة ودروز ومتاولة وشوام ، وسافر الجميع برا وبحرا حتى وصلوا الى أيوب بيك ، وهو يرسل خلفهم فى كل يوم بالامداد والجبخانات والذخيرة والبقسماط ، وذهب الجميع الى أن وصلوا قرب أسيوط ، ونصبوا عرضيهم عند جزيرة منقباط ، وتحققوا وصول محمد بيك ومن معه ، وفرحوا بذلك لأنهم كانوا رأوا فى زايرجات الرمل سقوطه فى المعركة ، ثم اجمعوا رأيهم على أن يدهموهم آخر الليل ، فركبوا فى ساعة معلومة ، وسار بهم الدليل فى طوق الجبل ، وقصدوا النزول من محل كذا على ناحية كذا من العرضى ، فتاه وضل بهم الدليل حتى تجاوزوا المكان المقصود بنحو ساعتين ، وأخذوا جهة العرضى فوجدوه قبليهم بذلك المقدار ، وعلموا فوات القصد ، وأن القوم متى علموا حصولهم خلفهم ملكوا البلدة من غير مانع قبل رجوعهم من المكان الذى أتوا منه ، فما

---

(1) هو شيخ العرب همام بن يوسف الهوارى . وبقدر ماكانت هيبة سويلم بن حبيب فى الوجه البحرى تقوم على الرهبة من طغيانه وفجوره ، كانت هيبة همام بن يوسف فى الوجه القبلى تقوم على الاعجاب بشهامته وتقدير مجموعة الصفات النادرة التى كونت شخصيته الفذة . (رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ٤٨)

(2) كان سبق صلح سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) عقده همام مع ابراهيم كخيا ، مؤداه التنازل لهمام عن التزام برديس وفرشوط

وسعهم الا الذهاب اليهم ومصادمتهم على أى وجه كان ، فلم يصلوهم الا بعد طلوع النهار .

وتيقظ القوم واستعدوا لهم فالتطموا معهم — وهم قليلون بالنسبة اليهم — ووقع الحرب ، واشتد الجلاد ، وبذلوا جهدهم فى الحرب ، ويصرخ الكثير منهم بقوله : « أين محمد بيك ! » فبرز اليهم محمد بيك أبو شنب وهو يقول : « أنا محمد بيك » .. فقصدوه وقاتلوه وقاتلهم حتى قتل ، وسقط جواد يحيى السكرى فلم يزل يقاتل ويدافع حصة طويلة حتى تكاثروا عليه وقتلوه ، وعبد الرحمن كاشف القاسمى يحارب بمدفع يضربه وهو على كتفه . وانجلت الحرب عن هزيمتهم ونصرة المصريين عليهم، وذلك عند جبانة أسيوط (١) ، فتشتتوا فى الجهات ، وانضموا الى كبار الهوارة ، وملك المصريون أسيوط ، ودفنوا القتلى ومحمد بيك أبو شنب . واغتم محمد بيك أبو الذهب لموته ، وفرح لوقوع الزايرجة عليه ومفاداته له لأنه كان يعلم ذلك أيضا .

وأقاموا بأسيوط أياما ، ثم ارتحلوا الى قبلى بقصد محاربة همام والهوارة. واجتمع كبار الهوارة مع من انضم اليهم من الأمراء المهزومين .. فراسل محمد بيك اسماعيل أبو عبد الله — وهو ابن عم همام — واستماله ومناه ، وواعده برياسة بلاد الصعيد عوضا عن شيخ العرب همام ، حتى ركن الى قوله ، وصدق تمويهاته ، وتقاعس وتثبط عن القتال وخذل طوائفه .

ولما بلغ شيخ العرب همام ماحصل ورأى فشل القوم ، خرج من فرشوط ، وبعد عنها مسافة ثلاثة أيام ومات مكمودا مقهورا ، ووصل محمد بيك ومن معه الى فرشوط فلم يجدوا مانعا فملكوها ونهبوها وأخذوا جميع ماكان بدوائر همام وأقاربه وأتباعه من ذخائر وأموال وغلال ، وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد من ذلك التاريخ كأنها لم تكن .

ورجع الأمراء الى مصر ومحمد بيك أبو الذهب ، وصحبته درويش بن شيخ العرب همام ، فانه لما مات أبوه ، وانكسر ظهر القوم بموته ، وعلموا أنهم لانجاح لهم بعده .. أشاروا على ابنه بمقابلة محمد بيك وانفصلوا عنه وتفرقوا فى الجهات ، فمنهم من ذهب الى درنة ، ومنهم من ذهب الى الروم ، ومنهم من ذهب الى الشام . وقابل درويش بن همام محمد بيك ، وحضر صحبته الى مصر ، وأسكنه فى مكان بالرحبة المقابلة لبيته ،وصار يركب ويذهب لزيارة المشاهد ويتفرج على مصر ويتفرج عليه الناس ويعدون خلفه وأمامه لينظروا ذاته ، وكان وجيها طويلا أبيض اللون أسود اللحية جميل الصورة .. ثم ان على بيك أعطاه بلاد فرشوط والوقف بشفاعة محمد بيك ، وذهب الى وطنه فلم يحسن السير والتدبير ، وأخذ أمره فى الانحلال ، وحاله فى الاضمحلال ، وأرسل من طالبه بالأموال والذخائر فأخذوا ماوجدوه ، وحضر الى مصر والتجأ الى محمد بيك فأكرمه وأنزله بمنزل بجواره ، فلم يزل مقيما به حتى خرج محمد بيك من مصر مغاضبا لأستاذه فلحق به وسافر الى الصعيد .

وخلص الاقليم المصرى بحرى وقبلى الى على بيك وأتباعه . فشرع فى قتل المنافى الذين أخرجهم الى البنادر مثل دمياط ورشيد والاسكندرية والمنصورة ، فكان يرسل اليهم ويخنقهم واحدا بعد واحد .. فخنق على كتخدا الخربطلى برشيد ، وحمزة بيك — تابع خليل بيك — بزفتا وقتلوا معه سليمان أغا الوالى واسماعيل بيك أبا مدفع بالمنصورة وعثمان بيك — تابع خليل بيك — هرب الى مركب البيليك فحماه وذهب الى اسلامبول

---

(١) وكانت معركة أسيوط من احسم المواقع فى تاريخ على بيك ، وهى التى أكدت له النصر ، فأصبح سيد الوجهين وصاحب النفوذ المطلق فى جميع انحاء مصر .

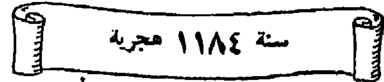
(رفعت رمضان — على بيك الكبير — ص ٥٢) .

ومات هناك . ونفى أيضا جماعة وأخرجهم من مصر ، وفيهم سليمان كتخدا المشهدى وابراهيم افندى جمليان . ومات الباشا المنفصل بالبيت الذى نزل فيه ولحق بمن قبله .

رمضان

أوله (٢٩ ديسمبر ١٧٦٩ م) :

اتفق أن علي بيك صلى الجمعة الأولى من رمضان بجامع الداودية ، فخطب الشيخ عبد ربه ودعا للسلطان ثم دعا لعلى بيك . فلما انقضت الصلاة ، وقام على بيك يريد الانصراف ، أحضر الخطيب — وكان رجلا من أهل العلم يغلب عليه البله والصلاح — فقال له : « من أمرك بالدعاء باسمى على المنبر ؟ أقيل لك أنى سلطان ؟ » فقال : « نعم أنت سلطان وأنا أدعو لك » . فأظهر الغيظ وأمر بضربه ، فبطحوه وضربوه بالعصى . فقام بعد ذلك متألما من الضرب .وركب حمارا وذهب الى داره وهو يقول فى طريقه : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ » . ثم ان على بيك أرسل اليه فى ثانى يوم بدراهم وكسوة واستسمحه .



فيها ورد على على بيك ، الشريف عبد الله (١)

(١) هو الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات . وقد اتخذ على بيك تلك الحادثة سببا مباشرا لاعداد حملة كان الغرض الظاهرى منها مساعدة الشريف عبد الله ، بينما كان غرضه الحقيقى منها تعيين شريف لمكة يخلص لمصلحته ويضمن بطاعته ولاء ذلك الجزء الهام من الدولة الاسلامية . اذ أن وجود شريف فى مكة من صنائع الدولة العثمانية كان مثارا لمتاعب جمة قد تؤدى الى فساد أمر الحج وسخط الحجاج من مصر والشرق ولضعف من مركزه فى مصر اذا اقترن وجوده فى الحكم بتلك المتاعب لتعيين شريف من صنائعه كان عاملا أساسيا فى نظره يضمن به هدوء الاحوال . ويدخل فى اغراضه أيضا الشهرة التى يحوزها بحمايته للحرمين الشريفين وما كان سيفيده من نفوذ فى مصر ، وهيبة بلاد المغرب والسودان وبلاد الشام وما يليها بتأمين الحج للمسلمين .

(رفعت رمضان – على بيك الكبير ص ١٣٨ – ١٣٩)

من أشراف مكة ، وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد ، أخى الشريف مساعد (١) ، منازعة فى امارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد ، فتغلب عليه الشريف أحمد واستقل بالامارة ، وخرج الشريف عبد الله هاربا ، وذهب الى ملك الروم واستنجد به ، فكتب له مكاتبات لعلى بيك بالمعونة والوصية والقيام معه ، وحضر الى مصر بتلك المكاتبات فى السنة الماضية .

وكان على بيك مشتغلا بتمهيد القطر المصرى ، ووافق ذلك غرضه الباطنى :وهو طمعه فى الاستيلاء

(١) يذكر الاستاذ رفعت رمضان فى كتابه «على بيك الكبير ص١٣٩» ان رواية الجبرتى هذه تحتاج الى تصحيح . فيقول « وايراد المسألة على تلك الصورة يحتمل اخطاء تاريخية : اولها انه جعل وفاة الشريف مساعد فى ١١٨٣ هـ والواقع أن الشريف مساعد توفى فى يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنة اربع وثمانين ومائة والف ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة الا ثلاثة اشهر . (ابن دحلان ص ٢٠٠ – ٢٠١) ثم عاد فذكر (أى الجبرتى) أنه وقع بين الشريف عبد الله وابن عمه الشريف احمد أخى الشريف مساعد منازعة فى امارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد فاستنجد عبد الله بملك الروم الذى أوصى به على بيك . وهذه الرواية تحتمل غموضا يؤدى الى الخطأ ، فقد وقع تنافس حقا على امارة مكة بين الشريفين أحمد وعبد الله ، ولكنه ليس عبد الله الذى يقصده فان هذا تولى الشرافة فعلا ولم يحضر الى مصر ، وانما الذى استعان بعلى بيك هو ابن عمه عبد الله بن حسين من آل بركات .

ومجمل ماحدث انه بعد عودة المحمل المصرى صحبة أبى الذهب عام ١١٨٣ هـ ثم انتصار الشريف مساعد على عبد الله بن حسين فر هذا عقب الصلح الى على بيك يستنجده للمرة الثانية . وبينما كان على بيك يعد الحملة توفى الشريف مساعد قبل وصول الحملة المصرية الى بلاد العرب فى المحرم ١١٨٤ هـ (ابريل ١٧٧٠ م) . وكان قد عقد البيعة لأخيه الشريف عبد الله بن سعيد . فما كاد عبد الله هذا يتولى الشرافة حتى نازعه أخوه الشريف احمد ابن سعيد وقال : « أنا لها ، أنا لها » فنزل له عن الشرافة وقلده اياها ١١٨٤ هـ . وهكذا قدر أن تاتى الحملة المصرية لخلع الشريف مساعد فلا تجده فتضطر فيما بعد الى خلع الشريف احمد . (ابن دحلان ص ٣٠٢ ، ومرعى التواريخ حوادث سنة ١١٨٧ هـ) . وقد انفرد الجبرتى بذكره أن الشريف عبد الله استنجد بملك الروم فكتب له مكاتبات لعلى بيك بالمعونة والوصية والقيام معه . ومن العجيب أن السلطان العثمانى بعث الى على بيك بمثل هذا الرجاء فى اواخر ١١٨٣ هـ واوائل ١١٨٤ هـ (١٧٧٠ م) ،وهى السنة التى وضحت فيها اطماعه ونوأياه . فهل كان يريد من ذلك ان يغريه على ان يقذف بنفسه وجيشه فى بلاد العرب لينهكه ويقضى على قوته كما طلب ذلك من محمد على فيما بعد ، ام ان الجبرتى أورد ذلك مجرد الايراد دون تثبت ؟ وهو المرجح .

على الممالك . فأنزله فى مكان ، وأكرمه ورتب له كفايته ، وأقام بمصر حتى تمم أغراضه بالقطر ، وخلص له قبلى وبحرى ، وقتل من قتله ، وأخرج من أخرجه — فالتفت عند ذلك الى مقاصده البعيدة ، وأمر بتجهيز الذخائر والاقامات ، وعمل البقسماط الكثير حتى ملأوا منه المخازن ببولاق ومصر القديمة والقصور البرانية وبيوت الأمراء المنافى الخالية . ثم عبوا ذلك وأرسل مع باقى الاحتياجات واللوازم من الدقيق والسمن والزيت والعسل والسكر والأجبان فى البر والبحر ، واستكتب أصناف العساكر أتراكا ومغاربة وشواما ومتاولة ودروزا وحضارمة ويمانية وسودانا وحبوشا ودلاة وغير ذلك ، وأرسل منهم طوائف فى المقدمات والمشاة ، أنزلوهم من القلزم فى المراكب وصحبتهم الجبخانات والمدافع وآلات الحرب .

صفر

(يونيو ١٧٧٠ م) :

خرجت التجريدة ، بعد دخول الحجاج ، فى تجمل زائد ، ومهيأ عظيم . وسارى عسكرها محمد بيك أبو الذهب ، وصحبته حسن بيك ومصطفى بيك وخلافهم (١) .

ربيع الأول

فى ٢٢ منه (١٦ يوليو ١٧٧٠ م) :

وردت الأخبار من الأقطار الحجازية بوقوع حرابة عظيمة بين المصريين وعرب الينبع وخلافهم من قبائل العربان والأشراف ، ووقعت الهزيمة على المذكورين ، وانتصر عليهم المصريون ، وقتل وزير الينبع (٢) المتولى من طرف شريف مكة ، وقتل معه خلائق كثيرة .

(١) يذكر ابن دحلان ص ٢٠٠ أنه كان بالحملة ثلاثة صناجق وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا .

(٢) كان درويش أغا وزير ينبع فى هذا الوقت (ابن دحلان — ص ٢٠٤) .

وفى هذا الشهر ابتدأ القحط والشدة بمصر بسبب المصاريف المتسببة عن هذه الحرب ، فان هذه التجريدة تكلفت ٢٦ مليون فرنك (١)

ربيع الآخر

فى ٩ منه (٢ اغسطس ١٧٧٠ م) :

وصل نجاب الى مصر من الديار الحجازية ، وأخبر بدخول محمد بيك ومن معه الى مكة وانهزام الشريف أحمد وخروجه هاربا (٢) . ونهب المصريون دار الشريف ومن يلوذ به ، وأخذوا منها أشياء كثيرة من أمتعة وجواهر وأموال لها قدر .

وجلس الشريف عبد الله فى امارة مكة ، ونزل حسن بيك الى بندر جدة وتولى امارتها عوضا عن الباشا الذى تولاها من طرف ملك الروم ، ولذلك عرف بالجداوى .. وأقام محمد بيك أياما بمكة ثم عزم على المسير والرجوع الى مصر ، ووصلت الأخبار والبشائر بذلك ، وأرسلت اليه الملاقاة بالعقبة وخلافها .

رجب

اوائله (اواخر اكتوبر ١٧٧٠ م) :

لما ورد الخبر بوصوله الى العقبة خرجت الأمراء الى بركة الحج والدار الحمراء لانتظار قدومه .

فى ٨ منه (٢٨ اكتوبر ١٧٧٠ م) :

وصل ودخل الى مصر فى موكب عظيم وأتت اليه العلماء والأعيان للسلام وقصدته الشعراء بالقصائد والتهانى .

(١) نقلنا هذا الخبر من التوفيقات الالهامية .

(٢) هرب الى الطائف . ويقول ابن دحلان ص ٢٠٣ : « كان هروبه فى منتصف ربيع الأول ١١٨٤ هـ (٩ يوليو ١٧٧٠ م) .

فى منتصفه (٤ نوفمبر ١٧٧٠ م) :

عزل على بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان . وقد عوضه سليم أغا الوالى ، وقد عوض الوالى موسى أغا من أتباعه ، وأمر عبد الرحمن أغا بالسفر الى ناحية غزة — وهى أول حركاته الى جهة الشام — وأمره بقتل سليط شيخ عربان غزة .. فلم يزل يتحيل عليه حتى قتله هو واخوته وأولاده . وكان سليط هذا من العصاة العتاة ، له سير وأخبار .

وفيه : زاد اهتمام على بيك بالتحرك على جهة الشام ، واستكثر من جمع طوائف العساكر ، وعمل البقسماط والبارود والذخائر والمؤن وآلات الحرب ، وأمر بسفر تجريدة وأميرها اسماعيل بيك (١) ، وصحبته على بيك الطنطاوى وعلى بيك الحبشى ، فبرزوا الى جهة العادلية ، وخرجوا بما معهم من طوائف العسكر والمماليك والأحمال والخيام والجبخانات والعربات والضوية وقرب الماء الكثيرة على الجمال والكرارات والمطابخ والطبول والزمور والنقاقير وغير ذلك . فلما تكامل خروجهم أقاموا بالعادلية أياما حتى قضوا لوازمهم وارتحلوا وسافروا الى جهة الشام .

فى ٢١ منه (١٠ نوفمبر ١٧٧٠ م) :

برزت تجريدة أخرى ، وعليها سليمان بيك وعمر كاشف وجملة كثيرة من العساكر ، فنزلوا من طريق البحر على دمياط .

ذو القعدة

فى ١٠ منه (٢٥ فبراير ١٧٧١ م) :

وردت أخبار من جهة الشام ، وأشيع وقوع حرابات بينهم وبين حكام الشام وأولاد العظم .

(١) لاسماعيل بيك مواقف مشهورة منها : القضاء على سويلم ابن حبيب ، وانتصاراته فى الحجاز ، وتأثيره على ابى الذهب فى حملة الشام ، لم تولية الشياخة لهما بعد .

فى منتصفه (٢ مارس ١٧٧١ م) :

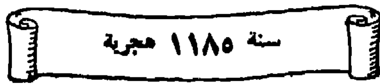
خرجت تجريدة أخرى ، وسافرت على طريق البر على النسق .

فى ١٧ منه (٤ مارس ١٧٧١ م) :

طلب على بيك حسن أغا تابع الوكيل والروزنامجى وباش قلفه واسماعيل أغا الزعيم وآخرين ، وصادرهم فى نحو أربعمائة كيس بعد ماعوقهم أياما .

فى أواخره (أوائل مارس ١٧٧١ م) :

عمل على بيك دراهم على القرى ، وقرر على كل بلد مائة ريال وثلاثة ريالات حق طريق ، فضجت الناس من ذلك ، وطلب من النصارى القبط مائة ألف ريال ، ومن اليهود أربعين ألفا ، وقبضت جميعها فى أسرع وقت .



سنة ١١٨٥ هجرية

وفيها : أخرج على بيك تجريدة عظيمة ، وسر عسكرها وأميرها محمد بيك أبو الذهب وأيوب بيك ورضوان بيك وغيرهم كشاف وأرباب مناصب ومماليكهم وطوائفهم وأتباعهم ، وعساكر كثيرة من المغاربة والترك والهنود واليمانية والمتاولة . . . وخرجوا فى تجمل زائد واستعداد عظيم ، ومعهم الطبول والزمور والذخائر والأحمال والخيام والمطابخ والكرارات والمدافع والجبخانات ومدافع الزنبلك على الجمال ، وأجناس العالم ألوفا مؤلفة . وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال وشحنوا بها السفن ، وسافرت من طريق دمياط فى البحر . (١)

(١) كان على بيك يطمع فى ان تمتلك البندقية جزر الدولة العثمانية فى البحر الأبيض . وارسل الى البندقية يعرض محالفته ومساعدته لها لتكون قاعدة حربية له . فردت جمهورية البندقية شاكرة ومعتذرة . وقام بهذه الرسالة يعقوب الارمنى احد معاونى على بك . (رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ١٦٠) .

فلما وصلوا الى الديار الشامية ، حاصروا يافا وضيقوا عليها حتى ملكوها بعد أيام كثيرة ، ثم توجهوا الى باقى المدن والقرى وحاربهم النواب والولاة وهزموهم وقتلوهم وفروا من وجوههم واستولوا على الممالك الشامية الى حد حلب .

ربيع الأول

(يونية – يولية ١٧٧١ م) :

وردت البشائر بذلك فنودى بالزينة ، فزينت مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة أيام بلياليها وعملت وقدات وأحمال قناديل وشموع بالأسواق وسائر الجهات ، وعملوا ولائم ومغانى وآلات وطبولا وشنكا وحراقات .

وتعاظم على بيك فى نفسه ولم يكتف بذلك ، فأرسل الى محمد بيك يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التى افتتحوها وملكوها ، وأن يستمر فى سيره ويتعدى الحدود ، ويستولى على الممالك الى حيث شاء ، وهو يتابع اليه ارسال الامدادات واللوازم والاحتياجات ، ولا يثنون عنانهم عما يأمرهم به (١)

فعند ذلك جمع محمد بيك أمراءه وخشداشينه الكبار فى خلوة وعرض عليهم الأوامر ، فضاقت نفوسهم ، وسئموا الحرب والقتال والغربة وذلك مافى نفس محمد بيك أيضا . ثم قال لهم : «ماتقولون ؟» . قالوا : « وما الذى نقوله والرأى لك ، فأنت كبيرنا ، ونحن تحت أمرك واشارتك ولا نخالفك فيما تأمر به » . فقال : « ربما يكون رأيى مخالفا لأمر أستاذنا » . قالوا : « ولو مخالفا لأمره فنحن جميعا لانخرج عن أمرك واشارتك » . فقال : « لا أقول لكم شيئا حتى تتحالف جميعا وتتعاهد على الرأى الذى يكون بيننا » . ففعلوا ذلك ، وتعاهدوا وحلفوا على السيف والكتاب .

ثم انه قال لهم : « ان أستاذكم يريد أن تقطعوا أعماركم فى الغربة والحرب والأسفار والبعد عن الأوطان ، وكلما فرغنا من شىء فتح علينا غيره . فرأيى أن نكون على قلب رجل واحد ونرجع الى مصر ولا نذهب الى جهة من الجهات ، وقد فرغنا من خدمتنا ، وان كان يريد غير ذلك من الممالك يولى أمراء غيرنا ويرسلهم الى مايريد ، ونحن يكفينا هذا القدر ونرتاح فى بيوتنا ونغتبط عيالنا » . فقالوا جميعا : « ونحن على رأيك » . وأصبحوا راحلين وطالبين الى مصر (١) .

رجب

أواخره (أوائل نوفمبر ١٧٧١ م) :

حضروا على خلاف مراد مخدومهم (٢) ، وبقى الأمر على السكوت . ثم ان على بيك قلد أيوب بيك امارة جرجا وقضى أشغاله وسافر الى الصعيد بطائفته وأتباعه .

انقضى شعبان ورمضان (نوفمبر وديسمبر ١٧٧١ م) : وعلى بيك مصمم على رجوع محمد

---

(١) ذكر الرحالة فولنى – ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام – ترجمة أدوار البستانى « ان الاشاعات تواترت بان عدد الحملة المصرية ٦٠٫٠٠٠ مقاتل وان الاوربيين دهشوا لضخامة تلك الحملة لظنهم ان كفاءة الجندى المصرى لاتقل عن نظيره الروسى او البروسى . ثم ذكر ان الجيش كان معدوم النظام فرسانه مختلفو السلاح واللبس وخيولهم مختلفة الالوان والاحجام ، لا يسيرون فى صفوف منظمة او وفق توزيع خاص » .

(١) حاول كثير من الكتاب والمؤرخين تعليل هذا الانسحاب فمنهم من ينسب ذلك الى اسماعيل بيك لميله الى الدولة العثمانية وحسده لأبى الذهب لحرضه على عدم اطاعته لاوامر على بيك . ومنهم من ينسبه الى أبى الذهب نفسه ، فكان يدبر وسيلة للقضاء على على بيك منذ زمن طويل وانه كان يعبد لنفسه طريق الحكم والسلطان عندما تنضج الثمرة . وقد حانت الفرصة فلماذا لاقتطافها .

(ولعت رمضان – على بيك الكبير ص ١٧٤).

(٢) روج ابو الذهب اشاعة قبيل الانسحاب بوفاة على بيك . ابتكرها بنفسه وروجها انصاره بقصد اغراء الجند على سرعة العودة الى مصر .

(المصدر السابق ص ١٧٦) .

بيك الى جهة الشام ، وذلك مصمم على خلاف ذلك ، وبدت بينهما الوحشة الباطنية .

شوال

فى ٤ منه (١٠ يناير ١٧٧٢ م) :

فى هذه الليلة : بيت على بيك مع على بيك الطنطاوى وخلافه ، واتفق معهم على غدر محمد بيك .. فركبوا عليه ليلا وأحاطوا بداره ، ووقفت له العساكر بالأسلحة فى الطرق . فركب فى خاصته وخرج من بينهم وذهب الى ناحية البساتين وارتحل الى الصعيد (١) فحضر اليه بعض الأمراء أصحاب المناصب ، وعلى كاشف ، تابع سليمان افندى كاشف ، شرق أولاد يحيى ، وقدموا له ما معهم من الخيام والمال والاحتياجات . ولم يزل فى سيره حتى وصل الى جرجا ، واجتمع عليه أيوب بيك خشداشه ، وأظهر له المصافاة والمؤاخاة ، وقدم له هدايا وخيولا وخياما .. فلم يلبث الا وقد أحضر عيون محمد بيك الذين أرصدهم بالطريق رجلا ومعه مكاتبة من على بيك ، خطابا لأيوب بيك ، يأمره ويستحثه على عمل الحيلة وقتل محمد بيك بأى وجه أمكنه ويعده امارته وبلاده وغير ذلك .

فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها أكرم الرجل وقال له : « تذهب اليه بالكتاب وائتنى بجوابه ولك مزيدالاكرام» . فذهب ذلك الساعى وأوصل الكتاب الى أيوب بيك وطلب منه رد الجواب

(١) امر على بيك باغلاق أبواب القاهرة ، فاغلقت ، وامر الحرس بعدم السماح لكائن من كان بولوجها داخلا او خارجا ، وتهيات النفوس لحدث على وشك الوقوع دون أن يعلموا كنهه . ثم عهد الى على بيك طنطاوى واتباعه فى تنفيذ الخطة . ولكن أبا الذهب كان أسعد حظا ، فقد نجح فى اختراق الحصار الذى ضرب حول منزله ثم امر حراس احد الابواب أن يفتحوه بامر على بيك حتى يقوم باداء رسالة خطيرة امره بها مولاه ، وبذلك تمكن من الفرار الى الصعيد .

(رفعت رمضان - على بيك الكبير ص ١٧٩)

وأعطاه الجواب وذكر فيه أنه مجتهد فى تتميم الغرض ، ومترقب حصول الفرصة ، فحضر به الى محمد بيك .

فعند ذلك استعد محمد بيك وتحقق خيانته ونفاقه . فاتفق مع خاصته وأمرائه بالاستعداد والوثوب ، وأنه اذا حضر اليه أيوب بيك أخذ أرباب المناصب نظراءهم وتحفظوا عليهم . فلما حضر فى صبحها أيوب بيك جلس معه فى خلوة ، وأخذ كل من الخازندار والكتخدا والجوخدار والسلحدار نظراءهم من جماعة محمد بيك .

ثم قال محمد بيك يخاطب أيوب بيك : « يا هل ترى نحن مستمرون على الأخوة والمصافاة والصداقة والعهد واليمين الذى تعاقدنا عليه بالشام ؟ » . قال : « نعم وزيادة » . قال : « ومن نكث ذلك وخان اليمين ونقض العهد ؟ » . قال : « يقطع لسانه الذى حلف به ويده التى وضعها على المصحف » . فعند ذلك قال له : « بلغنى أنه أتاك كتاب من أستاذنا على بيك » ، فجحد ذلك . فقال : « لعل ذلك صحيح وكتبت له الجواب أيضا » . قال : « لم يكن ذلك أبدا ، ولو أتانى منه جواب لأطلعتك عليه ولا يصح أنى أكتمه عنك أو أرد له جوابا » .

فعند ذلك أخرج له الجواب من جيبه ، وأحضر اليه ذلك الرسول .. فسقط فى يده ، وأخذ يتنصل ببارد العذر . فعند ذلك قال له : « حينئذ لا تصح مرافقتك معى وقم فاذهب الى سيدك » . وأمر بالقبض عليه وأنزلوه الى المركب ، وأحاط بوطاقه وأسبابه وتفرقت عنه جموعه . فلما صار وحيدا فى قبضته أحضر عبد الرحمن أغا ، وكان اذ ذاك بناحية قبلى ، وانضم الى محمد بيك فقال له : « اذهب الى أيوب بيك واقطع يده ولسانه كما حكم على نفسه بذلك » . فأخذ معه المشاعلى وحضر اليه فى السفينة وقطعوا يمينه ثم شبكوا فى لسانه سنارة

وجذبوه ليقطعوه ، فتخلص منهم وألقى بنفسه الى البحر فغرق ومات (١)

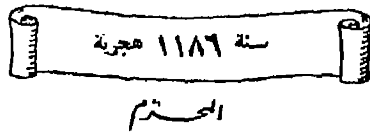
وكان قصد محمد بيك أن يفعل به ذلك ويرسله على هذه الصورة الى سيده بمصر . ثم انهم أخرجوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه . فعند ماوقع ذلك أقبلت الأمراء والأجناد المتفرقون بالأقاليم على محمد بيك ، وتحققوا عند ذلك الخلاف بينه وبين سيده ، وقد كانوا محجمين عن الحضور اليه ويظنون خلاف ذلك ، وحضر اليه جميع المنافى وأتباع القاسمية والهوارة الذين شردهم على بيك وسلب نعمتهم ، فأنعم عليهم وأكرمهم وتلقاهم بالبشاشة والمحبة ، واعتذر لهم وواساهم وقلدهم الخدم والمناصب ، وهم أيضا تقيدوا بخدمته وبذلوا جهدهم فى طاعته .

ووصلت الأخبار بذلك الى مصر ، وحضر اليه كثير من مماليك أيوب بيك وأتباعه سوى من انضم منهم والتجأ الى محمد بيك وأتباعه . فعند ذلك نزل بعلى بيك من القهر والغيظ المكظوم ما لا يوصف ، وشرع فى تشهيل تجريدة عظيمة وأميرها وسرعسكرها اسماعيل بيك ، واحتفل بها احتفالا كثيرا ، وأمر بجمع أصناف العساكر ، واجتهد فى تنجيز أمرها فى أسرع وقت .

ذو القعدة

فى اواخره (أوائل مارس ١٧٧٢ م) :

سافروا برا وبحرا ، فلما التقى الجمعان خامر اسماعيل بيك وانضم بمن معه من الجموع الى محمد بيك وصاروا حزبا واحدا ، ورجع الذين لم يميلوا — وهم القليل — الى مصر . فعند ذلك اشتد الأمر بعلى بيك ، ولاحت على دولته لوائح الزوال ، وكاد يموت من الغيظ والقهر . وقلد سبعة صناجق ، والكل مزلقون ، وسماهم أهل مصر السبع بنات (١) وهم : مصطفى بيك وحسن بيك ومراد بيك وحمزه بيك ويحيى بيك وخليل بيك كوسه ومصطفى بيك أوده باشا . وعمل لهم برقا وداقما ولوازم وطبلخانات فى يومين ، وضم اليهم عساكر وطوائف ومماليك وأتباعا وبرز بنفسه الى جهة البساتين ، وشرع فى تشهيل تجريدة أخرى — وأميرها على بيك الطنطاوى — وأخرج الجبخانات والمدافع الكثيرة ، وأمر بعمل متاريس من البحر الى جهة الجبل



المحرم

(ابريل ١٧٧٢ م) :

فيه : خرج على بيك الى جهة البساتين (٢) فى أواخر العام الماضى وعمل متاريس ونصب عليها المدافع من البحر الى الجبل ، واجتهد فى تشهيل تجريدة وأميرها على بيك الطنطاوى وصحبته باقى الأمراء الذين قلدهم

منتصفه (١٨ ابريل ١٧٧٢ م) :

عدوا لمحاربة محمد بيك أبى الذهب واسماعيل بيك ومن معهما ، وكانوا سائرين يريدون مصر .. فتلاقوا معهم عند بياضة (٣) ، ووقعت بينهم معركة قوية ظهر فيها فضل القاسمية — وخصوصا أتباع صالح بيك وعلى أغا

---

(١) بموت أيوب بيك تغير الموقف السياسى فى مصر ، ذلك ان أبا الذهب اصبح محورا التفت حوله جميع العناصر المعارضة لعلى بيك .

(١) مزلقون اى متزينون ناعمون . وتسميتهم بالسبع بنات كناية من منتهى الترف وعدم الصلاحية لجهاد الحرب .

(٢) البساتين : قرية جنوبى مصر القديمة على الضفة الشرقية للنيل ، يشتغل معظم أهلها بقطع الاحجار . وعندما كان يعبر المسافرون من الصعيد الى الوجه البحرى من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، وذلك يحدث بسهولة لوجود مدة جزر فى عرض النيل تجاه البساتين .

(٣) تجاه بنى سويف الى الشمال .

المعمار (١) — ووقعت الهزيمة على عسكر على بيك ، وساق خلفهم القبالى مسافة ، فمانعوا عن أنفسهم ، وعدوا على دير الطين ، وكان على بيك مقيما به .

فلما حصل ما حصل اشتد القهر بالمذكور ، وتحير فى أمره ، وأظهر التجلد ، وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع ، وأقام الى آخر النهار ، وتفرق عنه غالب عساكره من المغاربة وغيرهم وحضر محمد بيك الى البر المقابل لعلى بيك ونصب صيوانه وخيامه تجاهه فتفكر على بيك فى أمره ، وركب عند الغروب وسار الى جهة مصر ، ودخل من باب القرافة ، وطلع الى باب العزب فأقام به حصة من الليل ، وأشيع بالمدينة أن مراده المحاصرة بالقلعة .

٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٧٧٢ م) :

ثم انه ركب الى داره ، وحمل حموله وأمواله ، وخرج من مصر ، وذهب الى جهة الشام ، وصحبته على بيك الطنطاوى ، وباقى صناجقه ومماليكه وأتباعه وطوائفه (٢) .

الخميس ٢٦ منه (٢٩ ابريل ١٧٧٢ م) :

عدى محمد بيك الى بر مصر ، وأوقدوا النار فى ذلك اليوم فى الدير بعدما نهبوه ، ودخل محمد بيك الى مصر وصار أميرها . ونادى أصحاب الشرطة على أتباعه بأن لا أحد يأويهم ولا يتاويهم ، فكانت مدة غيبته سبعين يوما .

وأرسل عبد الرحمن أغا مستحفظان الى عبد الله كتخدا الباشا ، فذهب اليه بداره ، وقبض عليه وقطع رأسه . ونادى بابطال المعاملة التى ضربها المذكور بيد رزق النصرانى ، وهى قروش مفرد ومجوز ، وقطع صغار تصرف بعشرة أنصاف وخمسة أنصاف ونصف قرش ، وكان أكثرها نحاسا وعليها علامة على بيك .



سنه ١١٨٧ هجرية

فيها تواترت الأخبار والارجافات بمجىء على بيك (١) من البلاد الشامية بجنود الشام وأولاد الظاهر عمر . فتهيأ محمد بيك للقائه، وبرز خيامه الى جهة العادلية ، ونصب الصيوان الكبير هناك — وهو صيوان صالح بيك — وهو فى غاية العظم والاتساع والعلو والارتفاع ، وجميعه بدوائر من جوخ صاية ، وبطانته بالأطلس الأحمر ، وطلائعه وعساكره من نحاس أصفر مموه بالذهب ، فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر ، ووصل الخبر بوصول على بيك بجنوده الى الصالحية .

صفر

فى ٥ منه (٢٨ ابريل ١٧٧٣ م) :

ارتحل محمد بيك فالتقى مع على بيك فى الصالحية.. وتحاربا فكانت الهزيمة على على بيك (٢) ، وأصابته جراحة فى وجهه فسقط عن جواده ، فاحتاطوا به وحملوه الى مخيم محمد بيك . وخرج اليه وتلقاه وقبل يده ، وحمله من تحت ابطه حتى أجلسه بصيوانه (٣)

---

(١) من خشداشين صالح بيك الذى قتل فى عهد محمد على بيك انضم الى أبى الذهب واشترك فى معركة بياضة .

(٢) أمر على بيك رجاله بتجهيز ماله ومتاعه الخاص والاستعداد للرحيل . ثم أرسل أمرا الى المعلم رزق — وهو المتصرف فى شئون المالية المصرية — باحضار ما بالخزينة من مال . ولكن رزق كان قد اختفى .

(رفعت رمضان — على بيك الكبير — ص ١٨٢)

(١) لم يكد يصل على بيك الى الشام حتى أصابته حمى شديدة لفرط مالاقاه من الجهد والاعياء . وقد أرسل له حليفه ظاهر طبيبه ووزيره ابراهيم الصباغ . فشفى بعد ثلاثة أسابيع

(ميخائيل نقولا العكاوى — تاريخ الشيخ ظاهر العمر ص ١٣٠)

(٢) كان لخيانة المرتزقة من مشاة المغاربة أثر أساسى فى هزيمة الصالحية ، وهى أهم الوقائع الثلاث الحاسمة فى تاريخ على بيك .

(رفعت رمضان — على بيك الكبير — ص ١٩٦)

(٣) الواقع أنه رغم منافسه محمد بيك لسيده — تلك المنافسة غير الشريفة — فانه كان يجله ويحترمه .

٨ منه (١ مايو ١٧٧٣ م) :

قتل على بيك الطنطاوى وسليمان كتخدا وعمر جاويش وغيرهم .

٩ منه (٢ مايو ١٧٧٣ م) :

وصل خبر ذلك الى مصر فى الصباح ، وحضروا اليها ، وأنزل محمد بيك أستاذه فى منزله الكائن بالأزبكية بدرب عبد الحق ، وأجرى عليه الأطباء لمداواة جراحاته .

فى ١٥ منه (٨ مايو ١٧٧٣ م) :

وصل الحجاج ودخلوا الى مصر وأمير الحج ابراهيم بيك محمد .

وفى تلك الليلة : توفى الأمير على بيك وذلك بعد وصوله بسبعة أيام ... قيل انه سم فى جراحاته فغسل وكفن ، ودفنوه عند أسلافه بالقرافة .

* * *

وعلى بيك الكبير هو مملوك ابراهيم كتخدا ، تابع سليمان جاويش ، تابع مصطفى كتخدا القزدغلى . تقلد الامارة والصنجقية بعد موت أستاذه سنة ١١٦٨ هـ (١٧٥٤ — ١٧٥٥ م) .

وكان قوى المراس ، شديد الشكيمة ، لا يرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى بديلا . فمما قال : أنا لا أتقلد الامارة الا بسيفى لا بمعونة أحد .

وكان يلقب بـ « جن على » ، وكان يلقب أيضا بـ « بلوط قبن » .

وقد قتل منافسيه من الرؤساء والأقران وباقى الأعيان ، وفرق جمعهم فى القرى والبلدان ، وتتبعهم خنقا وقتلا ، وأبادهم فرعا وأصلا . واستأصل كبار خشداشينه وقبيلته . وأخرم القوانين الجسيمة ، والعوائد المرتبة . وحارب كبار العربان .

واستكثر من شراء المماليك ، وجمع العسكر من جميع الأجنـاس ، وخلص له الاقليم المصرى من الاسكندرية الى أسوان ، ونفذ أغراضه بالبلاد الحجازية والشام ، ومنع ورود الولاة العثمانيين .

وكان يطالع كتب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصرية . وكان لا يجالس الا أهل الوقار والحشمة والمسنين .

وتتبع المفسدين الذين يتداخلون فى القضايا والدعاوى — بأخذ الرشوات والجعالات — وعاقبهم بالضرب الشديد ، حتى أن الشخص كان يسافر بمفرده ليلا — راكبا أو ماشيا ، ومعه حمل الدراهم والدنانير — ويبيت فى الغيط أو البرية آمنا مطمئنا ، لا يرى مكروها أبدا .

وكان عظيم الهيبة . فقد اتفق لأناس أن ماتوا فرقا من هيبته ! وكان صحيح الفراسة ، شديد الحذق ، ولا يحتاج فى التفهيم الى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق ، بل يقرأها بنفسه .

وهو الذى أقام المسجد الجامع والقبة على مقام سيدى أحمد البدوى ، وما يجاورها من الحوانيت للتجار ، وسميت هناك بالغورية . ورتب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين ، وجعل لهم خبزا وجرايات فى كل يوم .

وهو الذى جدد أيضا قبة الامام الشافعى رضى الله عنه ، وكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبى فى القرن الخامس وقد تشعث وصدىء لطول الزمان ، فجدد ما تحته من خشب القبة البالى بغيره من الخشب النقى الحديث ، ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة .. وهو عمل كثير ، وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ . وكتب بافريزها تاريخا منظوما بخط صالح افندى .

وهدم أيضا الميضأة التى كانت من عمارة عبد الرحمن كتخدا ، وكانت صغيرة مثمنة الأركان ، ووسعها ، وعمل عوضها هـذه الميضأة الكبيرة . وهى مربعة مستطيلة (!) متسعة وبجانبها حنفية

وبزابيز يصب منها الماء . وحــول الميضأة كراسى راحة بحيضان متسعة تجرى مياهها الى بعضها ، وماؤها شديد الملوحة !

ومن انشائه أيضا العمارة العظيمة التى أنشأها بشاطىء النيل ببولاق ، حيث دكك الحطب ، تحت ربع الخرنوب ، وهى عبــارة عن قيسارية عظيمة ببابين ، يسلك منها من بحرى الى قبلى وبالعكس ، وخانا عظيما يعلوه مساكن من الجهتين ، وبخارجه حوانيت وشونة غلال ، حيث مجرى النيل ، ومسجد متوسط . فحفروا أساس جميع هذه العمارة حتى بلغوا الماء ، ثم بنوا لها خنازير مثــل المنارات من الأحجار والدبش والمؤن ، وغاصــوا بها فى ذلك الخندق حتى استقرت على الأرض الصحيحة ، ثم ردموا ذلك الخندق المحتوى على تلك الخنــازير بالمؤن والأحجار (١) . واستعلوا عليه بعــد ذلك بالبناء المحكم بالحجر النحيت ، وعقدوا العقــود والقواصر ، والأعمدة والأخشاب المتينة ..

.. وبعــد موته لم تزل الأرض تعلو ، والأتربة تزيد فيما بين زاوية تلك العمارة الى شون الغلال ، ويزيد نموها فى كل سنة حتى صار لا يركبها الماء الا فى سنين الغرق ! ثم فحش الأمر وبنى النــاس دورا وقهاوى فى بحرى العمارة ، وسبحوا الى جهة قرب الماء مغربين ، وألقوا أتربة العمائر ومايحفرونه حول ذلك . واقتــدى بهم الترابة وغيرهم ، ولم يجدوا مانعا ولا رادعا .. وكلما فعلوا ذلك هرب الماء وضعف جريانه ، وربت الأرض وعلت وزادت حتى صارت كيمانا تنقبض النفوس من رؤيتهــا ، وتمتلىء المنافس من عجاجها ، وخصوصا فى وقت الهجير . . بعد أن كانت نزهة للناظرين .

ولقد أدركنا فيما قبل ذلك تيار النيل يندفع من ناحية بولاق التكرور الى تلك الجهة ، ويمر بقو تحت جدران الدور والوكائل القبلية وساحل الشـ ووكالة الأبزار وخضرة البصل وجامع السنانية و د الخرنوب الى الجيعانية وينعطف الى قصر الحـ والشيخ فرج صــيفا وشــتاء ولا يعوقه عائق ولا يقدر أحــد أن يرمى بساحل النيل شيئا التراب . فان اطلع الحاكم على ذلك نــكل بـ أو بخفير تلك الناحية !

وهذا شىء قد تودع منه ، ومن أمثاله . وآ من أدركنا فيه هذا الالتفات والتفقد للأمور الجز التى يترتب بزيادتها الضرر العام عبد الرحمن مســتحفظان ، فانه كان يحــذو طريق الحـ السابقين ..

وتضاعف الحال حتى أن بعض الطرق الموصـ الى بولاق استدت بتراكم الأتربة التى يلقيها آ الأطارف خارج الدروب ، ولا يجدون من يمنعـ أو يردعهم . وقدرت علو الأرض — بسبب هـ العمارة — زيادة عن أربع قامات . فاننا كنا نعـ درج وكالة الابزاريين من ناحية البحر ، عندما ساكنين بها قبل هذه العمارة ، نيفا وعشرين درجـ وكذلك ســلم قيطون .. وقد غابت جميعها تحـ الأرض ، وغطتها الأتربة .. ولله عاقبة الأمور .

ومن انشــاء على بيك الكبير داره المطلة عـ بركة الأزبكية بدرب عبد الحق ، التى مات بها والحوض والساقية والطاحون بجوارها .

وبالجملة فأخباره ووقائعه وسيرته لو جمعت ـ مبدأ أمره الى آخره لكانت مجلدات . وقد ذكر فيما تقدم لمعا من ذلك بحسب الاقتضاء ، ممـ استحضره الذهن القاصر ، والفكر المشوش الفا بتراكم الهموم ، وكثرة الغموم ، وتزايد المحن واختلاط الفتن ، واختلال الدول ، وارتفاع السفل

(١) الهس هذا قريبا مما نفعل اليوم ، بعد مائتين من السنين ؟

ولعل العود يخضر بعد الذبول ، ويطلع النجم بعد الأفول ، أو يبسم الدهــر بعد كشــارة أنيابه ، أو يلحظنا من نظر المتغابى فى ايابه .

زمن كأحلام تقضى بعــــده
زمن نعلل فيــه بالأحـــلام

ولله فى خلقه من قديم الزمان عادة . وانتظــار الفرج عبادة . نسأله انقشاع المصــائب ، وحسن العواقب [1] .

ربيع الأول

فى ١٧ منه (٨ يونيو ١٧٧٣ م) :

وصل الوزير خليل باشا والى مصر .

الخميس ١٩ منه (١٠ يونيو ١٧٧٣ م) :

طلع خليل باشــا الى القلعة فى موكب عظيم ، وضربوا لهمدافع وشنكا من الأبراج . وكان وصوله من طريق دمياط فعمل الديوان وخلع الخلع .

سنة ١١٨٨ هجرية

(١٤ مارس ١٧٧٤ ــ ٣ مارس ١٧٧٥ م).

استهلت ووالى مصر خليل باشا محجور عليه .. ليس له فى الولاية الا الاسم والعلامة على الأوراق، والتصرف الكلى للأمير الكبير محمد بيك أبو الذهب والأمراء وأعيان الدولة مماليكه واشراقاته ، والوقت فى هدوء وســكون وأمن ، والأحــكام فى الجملة مرضية ، والأسعار رخية ، وفى الناس بقية ، وستائر الحياء عليهم مرخية .

وما الدهر فى حال السكون بساكن
ولــكنه مســــــتجمع لوثــوب

(١) حين ينطلق قلم الجبرتى من اسار السرد التاريخى ،يبين من نفس مريرة تنفعل بالأحداث الجسام التى مرت بالبلاد فى ايامه ...

سنة ١١٨٩ هجرية

فيهــا عزم محمد بيك أبو الذهب على السفر والتوجه الى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر ، واستخلاص مابيده من البلاد . فبرز خيامه الى العادلية ، وفرق الأموال والتراحيل على الأمراء والعساكر والمماليك ، واســتعد لذلك استعدادا عظيمــا فى البحر والبر ، وأنزل بالمراكب الذخيرة والجبخانة والمدافع والقنابر والمدفع الكبير المسمى « أبو مايله » ، الذى كان سبكه فى العام الماضى .

المحــرم

أوائله (أوائل مارس ١٧٧٥ م) :

سافر محمد بيك أبو الذهب بجموعه وعساكره ، وأخذ صحبته ... مراد بيك ، وابراهيم بيك طنان ، واسماعيل بيك ــ تابع اسماعيل بيك الكبير لاغير ، وترك بمصر ابراهيم بيك ، وجعله عوضا عنه فى امارة مصر ، واسماعيل بيك وباقى الأمراء ، والباشا الذى بالقلعة ، وهو مصطفى باشا النابلسى ، وأرباب العكاكيز والخدم والوجاقلية . ولم يزل فى ســيره حتى وصل الى جهة غزة ، وارتجت البلاد لوروده ، ولم يقف أحد فى وجهه . وتحصن أهل يافا بها ، وكذلك الظاهر عمر تحصن بعكا .

قلما وصل الى يافا ، حاصرها وضيق على أهلها ، وامتنعوا هم أيضا عليه ، وحاربوه من داخل ، وحاربهم من خارج ، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليال .. فكانوا يصعــدون الى أعــلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سبا قبيحا . فلم يزالوا بالحرب عليها حتى نقبوا أسوارها ، وهجموا عليها من كل ناحية ، وملكوها عنــوة ، ونهبــوها

وقبضوا على أهلها ، وربطوهم فى الحبال والجنازير . وسبوا النساء والصبيان وقتلوهم عن آخرهم . ولم يميزوا بين الشريف والنصرانى واليهودى ، والعالم والجاهل والعامى والسوقى ، ولا بين الظالم والمظلوم .. وربما عوقب من لا جنى ، وبنوا من رءوس القتلى عدة صوامع ووجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع ، ثم ارتحل عنها طالبا عكا .

فلما بلغ الظاهر عمر ماوقع بيافا ، اشتد خوفه ، وخرج من عكا هاربا ، وتركها وحصونها .. فوصل اليها محمد بيك ودخلها من غير مانع وأذعنت له باقى البلاد ودخلوا تحت طاعته وخافوا سطوته . وداخل محمد بيك من الغرور والفرح ما لا مزيد عليه ، وما آل به الى الموت والهلاك . وأرسل بالبشائر الى مصر والأمراء بالزينة فنودى بذلك ، وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة عظيمة ، وعمل بها وقدات وشنكات وحراقات وأفراح ثلاثة أيام بلياليها .

ربيع الآخر

أوائله (يونيو ١٧٧٥ م) :

عند انقضاء ذلك ، ورد الخبر بموت محمد بيك ، واستمر فى كل يوم يفشو الخبر وينمو ويزيد ويتناقل ويتأكد ، حتى وردت السعاة بتصحيح ذلك . وشاع فى الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى : « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » (١) .

وذلك أنه لما تم الأمر وملك البلاد المصرية والشامية ، وأذعن الجميع لطاعته .. وقد كان أرسل اسماعيل أغا — أخا على بيك الغزاوى — الى اسلامبول يطلب امرية مصر والشام ، وأرسل صحبته أموالا وهدايا ، فأجيب الى ذلك وأعطوه التقاليد والخلع والبرق والداقم ، وأرسل له المراسلات والبشائر بتمام الأمر ، فوافاه ذلك يوم دخوله عكا ، فامتلأ فرحا وحم بدنه فى الحال . . فأقام محموما ثلاثة أيام ومات ليلة الرابع .

ووافى خبر موته اسماعيل أغا عندما تهيأ ونزل فى المراكب يريد المسير الى مخدومه ، فانتقض الأمر وردت التقاليد وباقى الأشياء .

ولما تم له أمر يافا وعكا وباقى البلاد والثغور .. فرح الأمراء والأجناد الذين بصحبته برجوعهم الى مصر ، وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع الى الأوطان . فاجتمعوا اليه فى اليوم الذى نزل به مانزل فى ليلته ، فتبين لهم من كلامه عدم العود ، وأنه يريد تقليدهم المناصب والأحكام بالديار الشامية وبلاد السواحل ، وأمرهم بارسال المكاتبات الى بيوتهم وعيالهم بالبشارات ... بما فتح الله عليهم وما سيفتح لهم . ويطمنوهم ويطلبوا احتياجاتهم ولوازمهم المحتاجين اليها من مصر . فعند ذلك اغتموا وعلموا انهم لا براح لهم ، وأن أمله غير هذا ، وذهب كل الى مخيمه يفكر فى أمره . وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام التى تمرض فيها ، وأكثرهم لايعلم بمرضه ، ولا يدخل اليه الا بعض خواصه ، ولا يذكرون ذلك الا بقولهم فى اليوم الثالث انه منحرف المزاج .

فلما كان فى صبح الليلة التى مات بها نظروا الى صيوانه وقد انهدم ركنه ، وأولاد الخزنة فى حركة . ثم زاد الحال وجردوا على بعضهم السلاح بسبب المال ، وظهر أمر موته ، وارتبك العرضى ، وحضر مراد بيك فصدهم وكفهم عن بعضهم ، وجمع كبراءهم وتشاوروا فى أمرهم وأرضى خواطرهم ، خوفا من وقوع الفشل فيهم ، وتشتتهم فى بلاد الغربة ، وطمع الشاميين وشماتتهم فيهم . واتفق رأيهم على الرحيل ، وأخذوا رمة سيدهم

(١) آية ٤٤ ، سورة الأنعام .

صحبتهم لما تحقق عندهم أنهم ان دفنوه هنـاك فى بعض المواضع أخرجه أهل البلاد ونبشوه وأحرقوه فغسلوه وكفنوه ولفوه فى المشمعات ووضعوه فى عربة وارتحلوا به طالبين الديار المصرية (١) .

ربيع الآخر

٢٤ منه (٢٤ يونيو ١٧٧٥ م)

وصـلوا فى سـتة عشر يوما أواخر النهار ، فأرادوا دفنه بالقرافة . وحضر الشيخ الصعيدى فأشار بدفنه فى مدرسته تجاه الأزهر ، فحفروا له قبرا فى الليوان الصغير الشرقى وبنوه ليـلا ، ولما أصبح النهار عملوا له مشهدا وخرجوا بجنازته من بيته الذى بقوصون ، ومشى أمامه المشايخ والعلماء والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد وأطفال المكاتب ، وأمام نعشه مجامر العنبر والعود سترا على رائحته ونتنه .. حتى وصلوا به الى مدفنه ، وعملوا عنده ختمات وقراءات وصدقات عدة ليـال وأيام نحو أربعين يوما .

واستقر أتباعه أمراء مصر ورئيسـهم ابراهيم بيك ومراد بيك وباقيهم الذين أمرهم فى حياته ومات عنهم يوسف بيك وأحمـد بيك الكلارجى ومصطفى بيك الكبير وأيوب بيك الكبير وذو الفقار بيك ومحمد بيك طبال ورضـوان بيك ، والذين تأمروا بعده أيوب بيك الدفتردار وسليمـان بيك الأغا وابراهيم بيك الوالى وأيوب بيك الصـغير وقاسم بيك الموسقو وعثمان بيك الشرقاوى ومراد بيك الصغير وسليم بيك أبو دياب ولاجين بيك .

سنة ١١٩٠ هجرية

كان السلطان فى هذه السنة السلطان عبد الحميد ابن أحمد خان العثمانى . ووالى مصر الوزير محمد باشا عزت الكبير وأمراؤها ابراهيم ومراد بيك ، مملوكا محمد بك أبى الذهب ، وخشداشينهما ..

صفر

٧ منه (٢٨ مارس ١٧٧٦) :

وصـل الحج الى مصر ، ودخل الركب ، وأمير الحج يوسف بيك .

ليلة الجمعة ٩ منه (٣٠ مارس ١٧٧٦) :

وقـع حـريق بالأزبكيـة — وذلك فى نصف الليل — احترق فيها عدة بيوت عظام .. وكان شيئا مهولا . ثم انها عمرت فى أقرب وقت . والذى لم يقدر على العمـارة باع أرضه فاشـتراها القادر وعمرها ، بحيث انه لم يأت النيل القابل الا وهى أحسن وأبهج مما كانت عليه .

* * *

وفيها : سقط ربع بسوق الغورية ، ومات فيه عدة كثيرة من النـاس تحت الردم . ثم ان عبـد الرحمن أغا مستحفظان أخذ تلك الأماكن من أربابها شراء ، وأنشـأ الحوانيت والربع علوها والوكالة المعروفة الآن بوكالة الزيت ، والبوابة التى يسلك منها من السوق .

وفيها : حضر جمـاعة من الهنـود ، ومعهم فيل صغير ذهبـوا به الى قصر العينى ، وأدخلوه الى الاسطبل الكبير ، وهرع الناس للفرجة عليه ، ووقف الخدم على أبواب القصر يأخـذون من المتفرجين دراهم ، وكذلك سواسه الهنود جمعوا بسببه دراهم كثيرة . وصـار الناس يأتون اليه بالكعك وقصب السكر ، ويتفرجون على مصه فى القصب ، وتناوله بخرطومه . وكان الهنـود يخاطبونه بلسـانهم ، ويفهمـون كلامه ، واذا أحضروه بين يدى كبير كلموه فيبرك على يديه ويشير بالسلام بخرطومه .

(١) وهذه عاقبة المعتدين !

رمضـــان

(أكتوبر ـ نوفمبر ١٧٧٦ م) :

تعصب مراد بيك وتغير خاطره على ابراهيم بيك طنان ، ونفاه الى المحلة الكبيرة ، وفرق بلاده على من أحب ، ولم يبق له الا القليل .

ذو الحجـــة

اوائله (يناير ١٧٧٧) :

شرع الأمير اسماعيل كتخدا فى عمل مهم لزواج ابنته (أى حفل عرس أو « فرح ») . وكان قبل هذا حصل بينه وبين مراد بيك منازعة . وسببها أن مراد بيك أراد أن يأخـــذ من اسماعيل بيك السرو ورأس الخليج ، فوقع بينهما مخاصمة كاد يتولد منها فتنة ، فسـعى فى الصـلح بينهما ابراهيم بيك ، فاصطلحا على غل .

وشرع فى اثر ذلك اسماعيل بيك فى عمل الفرح ، فاجتمعوا يوم العقد فى وليمة عظيمة ، ووقفه مراد بيـك وفرق المحارم والمنـاديل على الحاضرين ، ويطوف بنفسه، على أقدامه ، وعمل المهم أياما كثيرة .

ونزل محمد باشا عزت (١) — باستدعاء — الى بيت اسماعيل بيك . وعندما وصل الى حارة قوصون نزل الأمراء بأسرهم مشـــاة على أقدامهم لملاقاته ، فمشوا جميعا أمامه على أقدامهم ، وبأيديهم المباخر والقمـــاقم . ولم يزالوا كذلك حتى طلعــوا الى المجلس .

ووقفوا فى خـــدمته مثل المماليك ! حتى انقضى الطعام والشربات ، وقدموا له الهـــدايا والتقادم والخيول الكثيرة المسومة .

وكانت هذه الزفة من المواكب الجليلة ، ومشى فيها الفيل وعليه خلعة جوخ أحمر .. فكان ذلك من النـــوادر !

❋ ❋ ❋

وفى هذه السنة مات الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وهو ابن حسن جاويش القازدغلى ، أستاذ سليمان جاويش ، أستاذ ابراهيم كتخدا مولى جميع الأمراء المصريين الموجودين الآن

وتولى كتخدا الوقت سنتين ، وشرع فى بنـــاء المساجد ، وعمل الخـــيرات ، وابطال المنكرات .. فأبطل خمامير حارة اليهود .

وأول عماراته السبيل والكتاب الذى يعلوه بين القصرين ، وجاء فى غاية الظرف ، وأحسن المبانى . وأنشأ جامع المغاربة ، وعمل عند بابه سبيلا وكتابا وميضأة تفتح بطول النهار . وأنشأ تجاه باب الفتوح مســـجدا ظريفا بمنارة وصهريج ، ومدفن الســـيدة السطوحية . وأنشـــأ بالقرب من تربة الأزبكيـــة سقاية ، وحوضا لسقى الدواب ، ويعلوه كتاب ، وفى الحطابة كذلك ، وعند جامع الدشطوطى كذلك .

وأنشأ وزاد فى مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولا وعرضا ، يشتمل على خمسين عمودا من الرخام ، تحمل مثلها من البوائك المقـــوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت ، وسقف أعلاها بالخشب النقى ، وبنى به محرابا جديدا ومنبرا ، وأنشأ له بابا عظيما جهة حارة كتامة . وبنى بأعلاه مكتبا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن . وبداخله رحبة متسعة ، وصهريج عظيم ، وسقاية لشرب العطاش المارين . وعمل لنفسه مدفنا بتلك الرحبة ، وعليه قبة معقودة ، وتركيبة من رخام بديعة الصـــنعة . وبها أيضا رواق مخصوص بمجـــاورين الصـــعائدة المنقطعين لطلب العلم ، يسلك اليه من تلك الرحبة بدرج يصعد منه الى الرواق ، وبه مرافق ومنـــافع

(١) الوالى التركى م

ومطبخ ومخادع وخزائن كتب . وبنى بجانب ذلك الباب منارة ، وأنشأ بابا آخر جهة مطبخ الجامع ، وعليه منارة أيضا .. وغير ذلك .

وعمر أيضا المشهد النفيسى ، ومسجده ، وبنى صهريجا على هذه الهيئة الموجودة ، وجعل لزيارة النساء طريقا بخلاف طريق الرجال .

وبنى أيضا مشهد السيدة زينب بقناطر السباع ، ومشهد السيدة سكينة بخط الخليفة ، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة ، والسيدة فاطمة والسيدة رقية ، والجامع والرباط بحارة عابدين ، وكذلك مشهد أبو السعود الجارحى على الصفة التى هو عليها الآن ، ومسجد شرف الدين الكردى بالحسينية ، والمسجد بخط الموسكى . وبنى للشيخ الحنفى دارا بجوار ذلك المسجد ، ينفذ اليه من داخل . وجدد المارستان المنصورى .

وله عمائر كثيرة ، وقناطر ، وجسور ، فى بلاد الأرياف ، وبلاد الحجاز ، حين كان مجاورا هناك . وبنى القناطر بطندتا فى الطريق الموصلة الى محلة مرحوم .

ورتب للعميان الفقراء الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط ، فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء فى كل سنة ، فيأتون الى داره أفواجا فى أيام معلومة ، ويعودون مسرورين بتلك الكساوى ، وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الاحرامات الطولونية ، يرتدون بها وقت التسبيح فى ليالى الشتاء .

وكذلك يفرق جملة من الحبر المحلاوى والبز الصعيدى والملايات والأخفاف والبوابيج القيصرلى على النساء الفقيرات والأرامل . ويخرج عند بيته فى ليالى رمضان وقت الافطار عدة من القصاع الكبار المملوءة بالثريد المسقى بمرق اللحم والسمن للفقراء المجتمعين ، ويفرق عليهم هبر اللحم النضيج ، فيعطى لكل فقير جمله وحصته فى يده ، وعندما يفرغون من الأكل يعطى كل واحد منهم رغيفين ونصفى فضة برسم سحوره .. الى غير ذلك .

وبلغت عدة المساجد التى أنشأها وجددها ثمانية عشر مسجدا ، وذلك خلاف الزوايا ، والأسبلة ، والسقايات ، والمكاتب ، والأحواض ، والقناطر ، والمربوط للنساء الفقيرات والمنقطعات .

وكان له فى هندسة الأبنية ، وحسن وضع العمائر ، ملكة يقتدر بها على ما يرومه من الوضع . وضم لوقفه ثلاث قرى من بلاد الأرز بناحية رشيد وهى : تفينة وديبى وحصة كتامة ، وجعل ايرادها وما يتحصل من غلة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقراء والمنقطعين . وزاد فى طعام المجاورين بالأزهر ومطبخهم الهريسة فى يومى الاثنين والخميس .

وقد تعطل غالب ذلك فى هذا التاريخ الذى نحن فيه لغاية سنة ١٢٢٠ هجرية (١٨٠٥ م) ، بسبب استيلاء الخراب ، وتوالى المحن ، وتعطل الأسباب .

ولم يزل هذا شأنه ، الى أن استفحل أمر على بيك ، وأخرجه منفيا الى الحجاز ، فأقام هنالك اثنتى عشرة سنة .

فلما سافر يوسف بيك أميرا بالحج فى السنة الماضية ، صمم على احضاره صحبته الى مصر ، فأحضره فى تختروان ، وقد استولى عليه العى والهرم ، وكرب الغربة ، فدخل الى بيته مريضا فأقام أحد عشر يوما ومات .

ولم يخلف بعده مثله .. رحمه الله !

* * *

ومن مساويه ، قبول الرشا ، والتحيل على مصادرة بعض الأغنياء فى أموالهم . واقتدى به فى ذلك غيره ، حتى صارت سنة مقررة ، وطريقة مسلوكة ليست منكرة !

ومن سيئاته العظيمه التى طار شررها ، وتضاعف ضررها ، وعم الاقليم خرابها ، وتعدى الى جميع الدنيا هبابها ... معاضدته لعلى بيك ليقوى به على أرباب الرآسة . فلم يزل يلقى بينهم الفتن ، ويغرى بعضهم على بعض ، ويسلط عليهم على بيك المذكور ، حتى أضعف شوكات الأقوياء ، وأكد العداوة بين الأصفياء ، واشتد ساعد على بيك .. فعند ذلك التفت اليه ، وكلب بنابه عليه ، وأخرجه من مصر ، وأبعده عن وطنه .. فلم يجد عند ذلك من يدافع عنه ، وأقام هذه المدة فى مكة غريبا وحيدا

وأخرج أيضا — فى اليوم الذى أخرجه فيه — نيفا وعشرين أميرا من الاختيارية كما تقدم .

فعند ذلك ، خلا لعلى بيك وخشداشينه الجو .. فباضوا وأفرخوا ، وامتد شرهم الى الآن الذى نحن فيه .

فهو الذى كان السبب — بتقدير الله تعالى — فى ظهور أمرهم .

فلو لم يكن له من المساوى الا هذه ، لكفاه !

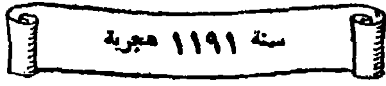
ولما رجع من الحجاز متمرضا ، ذهب اليه ابراهيم بيك ومراد بيك ، وباقى خشداشينهم . ليعودوه — ولم يكن رآهم قبل ذلك ، فكان من وصايته لهم :

كونوا مع بعضكم ...
واضبطوا أمركم ...
ولا تدخلوا الأعادى بينكم ...

وهذا يدل عن قوله : أوصيكم بتقوى الله تعالى ، وتجنبوا الظلم ، وافعلوا الخير ... فان الدنيا زائلة ... وانظروا حالى ومآلى !

هكذا أخبرنى من كان حاضرا فى ذلك الوقت .

وكان سليط اللسان ، ويتصنع الحماقة ... فغفر الله لنا وله .



سنة ١١٩١ هجرية

ربيع الأول

فى اوائله (ابريل ١٧٧٧ م) :

ورد أغا من الديار الرومية بطلب عساكر لسفر العجم ، فاجتمع الأمراء وتشاوروا فى ذلك ، فاتفق رأيهم على احضار ابراهيم بيك طنان ، فأحضروه من المحلة وقلدوه امارة ذلك .

جمادى الأولى

فى اوائله (يونية ١٧٧٧ م) :

وقعت حادثة فى طائفة المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر . وذلك أنه آل اليهم مكان موقوف ، وجحد واضعو اليد ذلك ، والتجأ الى بعض الأمراء ، وكتبوا فتوى فى شأن ذلك . واختلفوا فى ثبوت الوقف بالاشاعة ، ثم أقاموا الدعوى فى المحكمة ، وثبت الحق للمغاربة ، ووقع بينهم منازعات ، وعزلوا شيخهم ، وولوا آخر . وكان المندفع فى الخصومة واللسانة شيخا منهم يسمى الشيخ عباس ، والأمير الملتجىء اليه الخصم يسمى يوسف بيك . فلما ترافعوا وظهر الحق على خلاف غرض الأمير ، حنق لذلك ، ونسبهم الى ارتكاب الباطل ، فأرسل من طرفه من يقبض على الشيخ عباس المذكور من بين المجاورين ، فطردوا المعينين ، وشتموهم وأخبروا الشيخ أحمد الدردير ، فكتبوا مراسلة الى يوسف بيك ، تتضمن عدم تعرضه لأهل العلم ، ومعاندة الحكم الشرعى ، وأرسل صحبة الشيخ عبد الرحمن الفرنوى وآخر .

فعندما وصلوا اليه وأعطوه التذكرة ، نهرهم وأمر بالقبض عليهم ، وسجنهم بالحبس .

ووصل الخبر الى الشيخ الدردير وأهل الجامع ، فاجتمعوا فى صبحها وأبطلوا الدروس والأذان والصلوات ، وقفلوا أبواب الجامع ، وجلس المشايخ فى القبلة القديمة ، وطلع الصغار على المنارات يكثرون الصياح والدعاء على الأمراء !

وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت . وبلغ الأمراء ذلك ، فأرسلوا الى يوسف بيك فأطلق المسجونين ، وأرسل ابراهيم بيك — من طرفه — ابراهيم أغا بيت المال .. فلم يأخذ جوابا

وحضر الأغا الى الغورية ، ونزل هناك ونادى بالأمان ، وأمر بفتح الحوانيت ، فبلغ مجاورى المغاربة ذلك ، فذهب اليه طائفة منهم ، وتبعهم بعض العوام وبأيديهم العصى والمساوق ، وضربوا أتباع الأغا ، ورجموهم بالأحجار .. فركب عليهم ، وأشهر فيهم السلاح هو ومماليكه ، فقتل من مجاورى المغاربة ثلاثة أنفار ، وانجرح منهم كذلك ، ومن العامة

وذهب الأغا ، ورجع الفريق الآخر ، وبقى الهرج الى ثانى يوم ، فحضر اسماعيل بيك والشيخ السادات وعلى أغا كتخدا الجاويشية ، وغيرهم .. فنزلوا الأشرفية ، وأرسلوا الى أهل الجامع تذكرة بانفضاض الجمع ، وتمام المطلوب ، وكان ذلك عند الغروب .. فلم يرضوا بمجرد الوعد ، وطلبوا الجامكية والجراية ، فركبوا ورجعوا

وأصبح يوم الأربعاء والحال على ما هو عليه ، واسماعيل بيك مظهر الاهتمام لنصرة أهل الأزهر ، فحضر مع الشيخ السادات ، وجلسوا بالجامع المؤيدى ، وأرسلوا للمشايخ تذكرة صحبة الشيخ ابراهيم السندوبى ، ملخصها أن اسماعيل بيك تكفل بقضاء أشغال المشايخ وقضاء حوائجهم ، وقبول فتواهم ، وصرف جماكيهم وجراياتهم .. وذلك بضمان الشيخ السادات له .

فلما حضر الشيخ ابراهيم بالتذكرة ، وقرأها الشيخ عبد الرحمن العريشى جهارا وهو قائم على أقدامه ، وسمعوها ، أكثروا من الهرج واللغط ، وقالوا : هذا كلام لا أصل له !

وترددت الارساليات ، والذهاب والمجىء بطول النهار ، ثم اصطلحوا وفتحوا الجامع فى آخر النهار ، وأرسلوا لهم فى يوم الخميس جانبا من دراهم الجامكية .

ومن جملة مااشترطوه فى الصلح ، عدم مرور الأغا والوالى والمحتسب من حارة الأزهر ... وغير ذلك شروط لم ينفذ منها شىء !

وعمل ابراهيم بيك ناظرا على الجامع عوضا عن الأغا ، وأرسل من طرفه جنديا للمطبخ ، وسكن الاضطراب .

وبعد مضى أربعة أيام من هذه الحادثة ، مر الأغا ، وبعده الوالى كذلك ، فأرسل المشايخ الى ابراهيم بيك يخبرونه ، فقال : ان الطريق يمر بها البر والفاجر ، ولا يستغنى الحكام عن المرور !

جمادى الآخرة

١٢ منه (١٨ يولية ١٧٧٧ م) :

قبض الأغا على انسان شريف من أولاد البلد يسمى حسن المدابغى ، وضربه حتى مات . وسبب ذلك أنه كان فى جملة من خرج على الأغا بالغورية يوم فتنة الجامع !

١٤ منه (٢٠ يولية ١٧٧٧ م) :

خرج اسماعيل بيك جهة العادلية مغضبا . وسبب ذلك أن مراد بيك زاد فى العسف والتعدى ، خصوصا فى طرف اسماعيل بيك . وابراهيم بيك يسعى بينهم فى الصلح .

واجتمعوا فى آخر مجلس عند ابراهيم بيك ، فتكلم اسماعيل بيك كلاما مفحما ، وقال :

أنا تارك لكم مصر ، وامارتها ، وجاعلكم مثل أولادي ، ولا أريد الا المعيشة وراحة السر ، وأنتم لا تراعون لى خقا

فحضر فى هذه الأيام الى اسماعيل بك مركب غلال ، فأرسل مراد بيك وأخذ مافيها !

تم اتفق مراد بيك مع بعض أغراضه ، أنهم يركبون من غد الى اسماعيل بيك ، ويدخلون عليه فى بيته ، ويقتلونه .

فعلم اسماعيل بيك بذلك ، فركب فى الصباح وخرج الى العادلية بعد أن عزل بيته وحريمه ليلا ، وجلس بالأشبكية .

وركب مراد بيك ذاهبا الى اسماعيل بيك ، فوجده قد خرج الى الاشبكية وكان ابراهيم بيك طلع الي قصر العيني ، فذهب الى مراد بيك .

ولما أشيع خروج اسماعيل بيك ، ركب يوسف بيك وخرج اليه ومعه آخرون ، ووصل الخبر الى ابراهيم بيك ومراد بيك ومن انضم اليهم فركبوا وحضروا الى القلعة ، وملكوا الأبواب ، وامتلأت الرميلة والميدان بعساكرهم ، واضطربت المدينة ، وأغلق الناس الدكاكين ، وصحبتهم جماعة الى باب النصر ، وفتحوا الباب ، وطردوا الوالى ، واشتد الحال ، وعظمت الفتنة ، فأراد الباشا اجراء الصلح ، فأرسل أيوب أغا ورجع بجواب : عدم رضاهم بالصلح

وفى يوم الأربعاء ، دخل عبد الرحمن أغا من باب النصر ، وشق من وسط المدنة وأمامه المنادى ينادى على الناس برفع بضائعهم من الحوانيت . فرفع الناس بواقى بضائعهم من الدكاكين .

وخرجوا من باب زويلة الى الدرب الأحمر ، الى جامع المردانى ، ثم زحفوا الى التبانة ، الى قرب المحجر ، وعملوا هناك متاريس ، ولاحت لوائح الخذلان على من بالقلعة ودخل عليهم الليل ، وانكفه الفريقان ، وأصبح يوم الخميس ، فدخل الكثير من البرانيين الى المدينة شيئا فشيئا ، ورابطوا فى جميع الجهات ... حتى انحصروا بالقلعة ، وأخذوا ينقبون عليهم . فلما شاهدوا الغلبة فيهم ، نزلوا من باب الميدان ، وذهبوا جهة البساتين الى الصعيد ، فتخلف عنهم فريق ، وخرج المتخلفون الى اسماعيل بيك ويوسف بيك ، وطلبوا منهم الأمان ، وانضموا اليهم .

وعندما أشيع نزول ابراهيم بيك ، ومراد بيك من القلعة ، هجم المرابطون بالمحجر وسوق السلاح ، على الرميلة ، ونهبوا خيامهم

وفى الخميس بعد العصر ، دخل اسماعيل بك ، ويوسف بيك من باب النصر ، وتوجهوا الى بيوتهم .

وأصبح يوم الجمعة ، فشق عبد الرحمن أغا ، ونادى بالأمان ، والبيع والشراء ، وراق الحال ...

٢٢ منه (٢٨ يولية ١٧٧٧ م) :

طلع اسماعيل بيك ويوسف بيك الى الديوان ، فخلع الباشا عليهما خلعتى سمور ، واستقر اسماعيل بيك شيخ البلد ومدبر الدولة .

رجب

٤ منه (٨ اغسطس ١٧٧٧ م ـ ٤ مسرى ١٤٩٣) :

نودى بوفاء النيل ، ونزل الباشا وكسر السد على العادة . وجرى الماء فى الخليج ، وعاد الباشا الى القلعة

رمضــان

منتصفه (١٧ اكتوبر ١٧٧٧ م) :

ولدت امرأة مولودا يشبه خلقة الفيل ... مثل وجهه وآذانه ، وله نابان خارجان من فمه . وأبوه رجل جمال ، وامرأته لما رأت الفيل — وكانت فى أشهر وحامها — نقلت شبهه فى ولدها ، وأخذ الناس يتفرجون عليه فى البيوت والأزقة !!

٢٩ منه (٣١ اكتوبر ١٧٧٧ م) :

ركب امراء اسماعيل بيك وصناجقه وعساكره فى آخر الليـل ، واحتاطوا ببيت اسماعيل بيك الصغير — أخى على بيك الغزاوى — فركب فى مماليكه وخاصته ، وخرج من البيت ، فوجدوا الطرق كلها مسدودة بالعسكر والأجناد ، فدخل من عطفة الفرن يريد الفرار ، وخرج على جهة قنطرة عمر شاه ، فوجد العسكر والأجناد أمامه وخلفه ، فصار يقاتلهم ويتخلص منهم من عطفة الى عطفة ، حتى وصل الى عطفة البيدق ، وأصيب بسيف على عاتقه ، وسقطت عمامته ، وصار مكشوف الرأس الى أن وصل الى تجاه درب عبد الحق بالأزبكية ، فلاقاه عثمان بيك — أحد صناجق اسماعيل بيك — فرده ، وسقط فرسه ، واحتاطوا به ، فنزل على دكان فى أسوأ حال ، مكشوف الرأس ، والدم خارج من كركه ، فعصبوا رأسه بعمامة رجل جمال ، وأخذه عثمان بيك الى بيته ، وتركه وذهب الى سيده ، فأخبره ، فخلع عليه فروة وفرسا . وأرسلوا اليه الوالى ، فخنقه ، ووضعوه فى تابوت ، وأرسلوه الى بيته ، فبات به ميتا ، وأخرجوه فى صبحها فى مشهد ، ودفنوه ...

وكان اسماعيل بيك قد استوحش منه ، وظهر عليه فى أحكامه وأوامره ، وكلما أبرم شيئا عارضه فيه ، وازدحم الناس على بيته ، وأقبلت اليه أرباب الحكومات والدعاوى ، وصار له عزوة كبيرة ، وانضم اليه كشاف واختيارية ، وحدثته نفسه بالانفراد .

وتخيل منه اسماعيل بيك ... فتركه وما يفعله ، وأظهر أنه مرمود فى عينيه ، وانقطع بالحريم من أول شهر رمضان ، ثم سافر فى أواخره فى النيل لزيارة سيدى أحمد البدوى ، ثم رجع وبيت مع أتباعه ومن يثق به ، وقاموا عليه وقتلوه ... كما ذكر .

ولما انقضى أمره ، شرع اسماعيل بيك فى ابعاد ونفى من كان يلوذ به ، وينتمى اليه .

ذو القعدة

٨ منه (٨ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

سافرت تجريدة لجهة الصعيد للأمراء القبالى ، لأنهم تقووا واستولوا على البلاد ، وقبضوا الخراج ، وملكوا من جرجا الى فوق ، وحسن بيك أمير الصعيد مقيم ، وليس لديه قدرة على مقاومتهم . ومنعوا ورود الغلال ، حتى غلا سعرها .

٢١ منه (٢١ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

خرج اسماعيل بيك الى ناحية دير الطين ، وعزم على التوجه بنفسه الى قبلى ، وأرسل الباشا فرمانات لسائر الأمراء ، والوجاقلية ، وأمرهم جميعا بالسفر . فخرجوا جميعا ، ونصبوا وطاقاتهم عند المعادى ، ونزل الباشا وجلس بقصر العينى .

٢٧ منه (٢٧ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

عدى اسماعيل بيك الى البر الثانى ، وترك بمصر عبد الرحمن آغا مستحفظان كتخدا ، ورضوان بيك بلفيا ، وعثمان بيك طبل وابراهيم بيك قشطة

صـــهره ، وحسين بيك ، ومقادم الأبواب ، لحفظ البلد . فكان المقادم يدورون بالطوف فى الجهات ليـــلا ونهارا .. مع هدوء سر الناس ، وســـكون الحال ، فى مدة غياب الجميع !

ذوالحجـــة

٦ منه (٤ يناير ١٧٧٨ م) :

وصلت مكاتبات من اسماعيل بيك ، ومن الأمراء الذين بصحبته ، بأنهم وصلوا الى المنية ، فلم يجدوا بها أحدا من القبليين ، وأنهم فى أسيوط ، ومعهم اسماعيل أبو على من كبار الهوارة .

* * *

وفى هذه السنة مات الأمير يوسف بيك الكبير — وهو من أمراء محمد بيك أبو الذهب — أمره فى سنة ١١٨٦ هجرية ، وزوجه بأخته ، وشرع فى بناء داره على بركة الفيل ، داخل درب الحمام ، تجاه جامع الماس .

وكان يسلك اليها من هذا الدرب ، ومن طرق الشيخ الظلام ، وكان هذا الدرب كثير العطف ، ضـــيق المسالك ، فأخذ بيوته — بعضها شراء ، وبعضها غصبا — وجعلها طريقا واسعة وعليها بوابة عظيمة . وأراد أن يجعـــل أمام باب داره رحبـــة متسعة ، فعارضه جامع خير بيك حديد ، فعزم على هدمه ونقله الى آخر الرحبة ، فسأل المرحوم الوالد (والد المؤلف) ، وكان يعتقده ، ويجنح الى قوله ، فقال له : لايجوز ذلك . فامتثل وتركه على حاله

واستمر يعمر فى تلك الدار نحو خمس سنوات ، وأخذ بيت الداودية الذى بجواره ، وهدمه جميعه ، وأدخله فيها ، وصرف فى تلك الدار أموالا عظيمة ، فكان يبنى الجهة منهـــا حتى يتمها بعد تبليطهـــا وترخيمها بالرخام الدقى الخردة المحكم الصنعة ، والســـقوف والأخشـــاب والرواشن ، والخرط والأدهان ... ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها الى آخرها ويبنيها ثانيا على وضع آخر ، وهكذا .. كان دأبه !

واتفق أنه ورد اليـــه من بلاده القبلية ثمانون ألف أردب غلال ، فوزعها بأسرها على الموانة فى ثمن الجبس والجير ، والأحجـــار والأخشـــاب ، والحديد وغير ذلك !

وكان فيه حـــدة زائدة ، وتخليط فى الأمور والحركات ، ولا يستقر بالمجلس .. بل يقوم ويقعد ، ويصرخ ويزوق حاله فى بعض الأوقات ... فيظهر فيـــه بعض انســـانية . ثم يتغير ويتعكر من أدنى شىء !

ولمـــا مات ســـيده محمد بيك ، وتولى امارة الحج ، ازداد عتوا وعسفا وانحرافا ، خصـــوصا مع طائفة الفقهاء والمتعممين ، لأمور نقمها عليهم .

ومن هذه الأمور .. أنه اتفق أن الشيخ عبـــد الباقى ، ابن الشيخ عبد الوهاب العفيفى ، طلق على زوج بنت أخيه فى غيابه ، على يد الشيخ حسن الجداوى المـــالكى — على قاعدة مذهبه — وزوجها من آخر .

وحضر زوجهـــا من الفيوم ، وذهب الى ذلك الأمير ، وشكا له الشيخ عبد الباقى ، فطلبه فوجده غائبا فى منية عفيف ، فأرسل اليه أعوانا أهانوه ، وقبضوا عليه ، ووضعوا الحديد فى رقبته ورجليه ، وأحضروه فى صورة منكرة ، وحبسه فى حاصـــل أرباب الجرائم من الفلاحين ...

فركب الشيخ على الصعيدى العدوى ، والشيخ الجداوى ، وجماعة كثيرة من المتعممين ، وذهبوا اليه .

وخاطبه الشيخ الصعيدى ، وقال له : ماهذه الأفعال ، وهذا التجارى ؟

فقال له : أفعالكم يامشايخ أقبح .. !

فقال له : هذا قول فى مذهب المالكية ، معمول به .

فقال : من يقول ان المرأة تطلق زوجها اذا غاب عنها ، وعندها ماتنفقه ، وما تصرفه ، ووكيله يعطيها ماتطلبه ، ثم يأتى من غيبته فيجدها مع غيره ؟ !

فقالوا له : نحن أعلم بالأحكام الشرعية ..

فقال : لو رأيت الشيخ الذى فسخ الزواج !

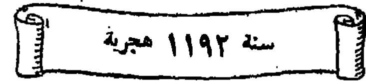
فقال الشيخ الجداوى : أنا الذى فسخت الزواج على قاعدة مذهبى ...

فقام على أقدامه وصرخ وقال : والله أكسر رأسك !

فصرخ عليه الشيخ على الصعيدى ، وسبه ، وقال له :

لعنك الله ! ولعن اليسرجى الذى جاء بك ! ومن باعك ! ومن اشتراك ! ومن جعلك أميرا ! !

فتوسط بينهم الحاضرون من الأمراء ، يسكنون حدته ، وأحضروا الشيخ عبد الباقى من الحبس ، فأخذوه وخرجوا وهم يسبونه ، وهو يسمعهم .. !



سنة ١١٩٢ هجرية

المحرم

٧ منه (٥ فبراير ١٧٧٨ م) :

حضر اسماعيل كتخدا عزبان وبعض صناجق اسماعيل بيك .

٩ منه (٧ فبراير ١٧٧٨ م) :

وصل اسماعيل بيك ، وعدى من معادى الخبيرى ، ودخل الى مصر ، وذهب الى بيته ، وكثر الهرج فى الناس بسبب حضوره ، ومن وصل قبله — على هذه الصورة — ثم تبين الأمر بأن حسن بيك الجداوى وخشداشينه وجماعة الفلاح بأسرهم ، وكشاف ومماليك وأجناد ، ومغاربة . خامر الجميع على اسماعيل بيك ، والتفوا على ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهم . فعند ذلك ركب اسماعيل بيك بمن معه وطلب مصر ، حتى وصلها فى أسرع وقت وهو فى أشد مايكون من القهر والغيظ . وفى الصباح أرسل اسماعيل بيك ومنع المعادى من التعدية .

وفى يوم الاثنين ، طلعوا الى القلعة ، وعملوا ديوانا عند الباشا ، وحضر الموجودون من الأمراء والوجاقلية والمشايخ . وتشاوروا فى هذا الشأن ، فلم يستقر الرأى على شىء ، ونزلوا الى بيوتهم ، وشرعوا فى توزيع أمتعتهم وتعزيل بيوتهم . واضطربت أحوالهم .

١٤ منه (١٢ فبراير ١٧٧٨ م) .

نزل اسماعيل بيك وصناجقه بالعادلية ، فى هذه الليلة ، وباتت الناس فى وجل .

١٥ منه (١٣ فبراير ١٧٧٨ م) :

أشيع خروج اسماعيل بيك ومن معه ، ووقع النهب فى بيوتهم وركبوا فى صبح ذلك اليوم وذهبوا الى جهة الشام ، فكانت مدة امارة اسماعيل بيك وأتباعه على مصر — فى هذه المرة — ستة أشهر وأياما .

وعدى مراد بيك ومصطفى بيك وآخرون ، فى ذلك اليوم ، وكذلك ابراهيم أغا الوالى — الذى كان فى أيامهم — وشق المدينة ونادى بالأمان ، وأرسل ابراهيم بيك يطلب من الباشا فرمانا بالاذن بالدخول .

فكتب لهم الباشا فرمانا وأرسله صحبة ولده وكتخدائه ، وهو سعيد بك .

٢١ منه (١٩ فبراير ١٧٧٨ م) :

طلع ابراهيم بيك وأتباعه الى الديوان ، فخلع الباشا على ابراهيم بيك ، واستقر فى مشيخة البلد كما كان ، واستقر أحمد بك شنن صنجقا كماكان ، وتقلد عثمان أغا خازندار ابراهيم بيك صنجقية — وهو الذى عرف بالأشقر — وقلدوا مصطفى كاشف المنوفية صنجقية أيضا ، وعلى كاشف أغات مستحفظان ، وموسى أغا — من جماعة على بيك — واليا كما كان أيام سيده .

فى أواخره (مارس ١٧٧٨ م) :

وردت أخبار بأن اسماعيل بيك ومن معه وصلوا الى غزة . واستقر المذكورون بمصر ، علوية ، ومحمدية ، والعلوية شاغة على المحمدية ، ويرون المنة لأنفسهم عليهم ، والفضيلة لهم بمخامرتهم معهم . ولولا ذلك مادخلوا مصر ، ولا يمكن المحمدية التصرف فى شىء الا باذنهم ورأيهم ، بحيث صاروا كالمحجور عليهم ، لايأكلون الا مافضل عنهم .

جمادى الأولى

٨ منه (٤ يونية ١٧٧٨ م) :

حضر الى مصر ابراهيم بيك أوده باشه من غزه مفارقا لاسماعيل بيك ، وقد كان أرسل قبل وصوله يستأذن فى الحضور ، فأذنوا له ، وحضر وجلس فى بيته ، وتخيل منه رضوان بيك ، وقصد نفيه فالتجأ الى مراد بيك وانضم اليه ، وقال له مراد بيك : لاتخش من أحد . فحرك ذلك ماكمن فى صدور العلوية .

١٧ منه (١٣ يونية ١٧٧٨ م) :

ركب مراد بيك وخرج الى مرمى النشاب منتفخا من القهر ، مفكرا فى أمره مع العلوية . فحضر اليه عبد الرحمن بيك وعلى بيك الحبشى من العلوية ، فعندما أراد عبد الرحمن بيك القيام ، عاجله مراد بيك ومن معه .. وقتلوه .. وفر على بيك الحبشى وغطى رأسه بفوقانيته ، وانزوى شجر الجميز ، فلم يروه .

فلما ذهبوا ، ركب وسار مسرعا حتى دخل على حسن بيك الجداوى فى بيته ، وركب مراد بيك وذهب الى بيته ، واجتمع على حسن بيك أغراضه ، وعشيرته ، وأحمد بيك شنن ، وسليمان كتخدا وموسى أغا الوالى ، وحسن بيك رضوان أمير الحج ، وحسن بيك سوق السلاح ، وابراهيم بيك بلفيا ... وكرنكوا فى بيت حسن بيك الجداوى بالداودية ، وعملو متاريس فى ناحية باب زويلة ، وناحية باب الخرق والسروجية والقنطرة الجديدة . واجتمع على مراد بيك خشداشينه وعشيرته وهم مصطفى بيك الكبير ومصطفى بيك الصغير وأحمد بيك الكلارجى . وركب ابراهيم بيك من قبة العزب ، وطلع الى القلعة ، وملك الأبواب ، وضرب المدافع على بيت حسن بيك الجداوى ، ووقع الحرب بينهم ، وأغلقت الأسواق والحوانيت ، واستمر الضرب بين الفريقين فى الأزقة والحارات . ويزحفون على بعضهم تارة ، ويتأخرون أخرى ، وينقبون البيوت على بعضهم ، فحصل الضرر للبيوت الواقعة فى حيزهم ، من النهب والحرق والقتل . ثم ان المحمدية تسلق منهم طائفة من الخليج ، وطلعوا من عند جامع الحين من بين المتاريس ، وفتحوا بيت عبد الرحمن أغا من ظاهره ، وملكوه ، وركبوا عليه المدافع ، وضربوا على بيت الجداوى ، فعند ذلك عاين العلوية الغلب . فركبوا ، وخرجوا من باب زويلة الى باب النصر . والمحمدية

خلفهم ، شاهرين السيوف يحجون بالخيل . فلما خرجوا الى الخلا ، التقوا معهم ، فقتل حسن بيك رضوان أمير الحج ، وأحمد بيك شنن ، وابراهيم بيك بلفيا المعروف بشلاق ، وغيرهم أجناد وكشاف ومماليك . وفر حسن بيك الجداوى ورضوان بيك ، ولم يقتل أحد من المحمديين ، سوى مصطفى بيك الكبير ، أصابته رصاصة فى كتفه ، انقطع بسببها أياما ثم شفى . وأما حسن بيك ورضوان بيك فهربا فى طائفة قليلة ، وخرج عليهم العربان فقاتلوهما قتالا شديدا ، وتفرقا من بعضهما ، وتخلص رضوان بيك وذهب فى خاصته الى شبين الكوم . وأما حسن بيك الجداوى فلم تزل العرب تحاوره حتى أضعفوه ، وتفرق من حوله . وشيخ العربان سعد صحصاح يتبعه ويقول له :

أين تذهب يا ابن الملعون .. ونحو ذلك . ثم حلق عليه رتيمة شيخ عرب بلى ، فتقنطر به الحصان فى مبلة كتان ، فقبضوا عليه وأخذوا سلاحه ، وعروه وكتفوه ، وصفعه رتيمة على قفاه ووجهه ! ثم سحبوه بينهم ماشيا على أقدامه وهو حاف،وأرسلوا له كاشفا . فلما حضر اليه وواجهه ، لاطفه ، فقال له :

الى أين تذهب بى ؟ فقال له : محل ماتريد . فلما دخل الى مصر سار الى بولاق ، ودخل بيت الشيخ أحمد الدمنهورى ، فركب جماعة كثيرة من المحمدية وذهبوا الى بولاق ، وطلبوه ، فامتنع من اجابتهم . فلم يجسروا على أخذه قهرا من بيت الشيخ ، فداخله الوهم ، وطلع الى السطح ، ونط الى سطح آخر . ولم يزل حتى نزل بالقرب من وكالة الكتان ، فصادف بعض المماليك فضربه ، وأخذ حصانه وركبه ، وذهب راكحا بمفرده ، وأشيع هروبه

فركبت اليه الأجناد ، وحلقوا عليه الطرق ، فصار يقاتل من يدركه . ولم يجد طريقا مسلوكا الى الخلاء . فدخل المدينة ، وذهب الى بيت ابراهيم بيك فوجده جالسا مع مراد بيك ،فاستجار بابراهيم بيك فأجاره وأمنه ، ومكث فى بيته خمسة أيام وهو كالمختل فى عقله مما قاساه من معاينة الموت مرارا . ثم رسموا له أن يذهب الى جدة وأرسلوه الى السويس فى محفة . فلما نزل بالمركب أمر الريس أن يذهب به الى القصير فامتنع ، فأراد قتله ، فذهب بالمركب الى القصير . فطلع الى الصعيد .

جمادى الآخرة

فيه : حضر الى مصر سليمان كتخدا الشرايبى ، كتخدا اسماعيل بيك ، وعلى يده مكاتبة من اسماعيل بيك مضمونها : يريد الاذن بالتوجه الى أخميم أو الى السرو ورأس الخليج ، يقيم هناك ، ويبقى ابراهيم بيك قشطة بمصر رهينة ، ويكون وكيله فى تعلقاته وقبض فائضه والصلح أحسن وأولى . فعملوا ديوانا وأحضروا المشايخ والقاضى وعرضوا عليهم تلك المكاتبة ، واشتوروا فى ذلك ، فانحط الرأى بأن يرسلوا له جوابا بالسفر الى جدة من السويس ويطلقوا له فى كل سنة أربعين كيسا وستة آلاف أردب غلال وحبوب ، وأن يرسل ابراهيم بيك صهره كما قال الى مصر ويكون وكيلا عنه ، ومن بصحبته من الأمراء يحضرون الى مصر بالأمان ويقيمون برشيد ودمياط والمنصورة . . ونحو ذلك . وأرسلوا المكاتبة صحبة سليم كاشف تمرلنك أخى اسماعيل بيك المقتول وآخرين .

وفيه : رسموا بنفى ابراهيم بيك أوده باشه وسليمان كتخدا الشرايبى وكان أشيع تقليد ابراهيم بيك الصنجقية فى ذلك اليوم وتهيأ لذلك وحضر فى الصباح عند ابراهيم بيك . فلما دخل رأى عنده مراد بيك فاختليا معه . فأخرج ابراهيم بيك من جيبه مكتوبا مسكوه عليه من اسماعيل بيك خطابا

له ، مضمونه : أنه بلغنا ماصنعت فى ايقاع الفتنة بين الجماعة ، وهلاك الطائفة الخائنة . . وفيه : أن يأخذ من الرجل المعهود كذا من النقود يوزعها على جهات كناها له . . وربنا يجمعنا فى خير . فلما تناوله من ابراهيم بيك وقرأه قال فى الجواب : كل منكم لايجهل مكايد اسماعيل بيك ، وأنكر ذلك بالكلية . فلم يقبلوا عذره ، ولم يصدقوه ، وقام وذهب الى بيته ، فأرسلوا خلفه محمد كتخدا أباظة ، فأخذه وصحبته مملوكان فقط ، ونزل به الى بولاق ونفوه الى رشيد ، وكذلك نفوا سليمان كتخدا الشرايبى واحتاطوا بموجود ابراهيم بيك .

١١ منه (٧ يولية ١٧٧٨ م) :

وصل ابراهيم باشا والى جدة ، وذهب الى العادلية وجلس هناك بالقصر حتى شهلوه ، وسفروه الى السويس بعد ماذهبوا اليه وودعوه .

١٩ منه (١٥ يولية ١٧٧٨ م) :

ركب الأمراء وطلعوا الى باب الينكجرية والعزب وأرسلوا الى الباشا كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة والترجمان وكاتب حوالة ، وبعض الاختيارية ، يأمرونه بالنزول الى بيت حسن بيك الجداوى ، وهو بيت الداوودية . فلما قالوا له ذلك قال : وأى شيء ذنبى حتى أعزل ، فرجعوا وأخبروهم بمقالة الباشا ، فأمروا أجنادهم بالركوب ، فطلعوا الى حوش الديوان واجتمعوا به حتى امتلأ منهم ، فارتعب الباشا منهم ، فركب من ساعته ونزل من القلعة الى بيت الداوودية ، وأحضروا الجمال وعزلوا متاعه فى ذلك اليوم . فكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

رجب

٢١ منه (١٥ اغسطس ١٧٧٨ م – ١٠ مسرى ١٤٩٤) :

كان وفاء النيل المبارك . وزاد النيل فى هذه السنة زيادة مفرطة . حتى انقطعت الطرقات من كل ناحية واستمر الى آخر توت (اكتوبر ١٧٧٨ م) .

شعبان

٢٢ منه (١٥ سبتمبر ١٧٧٨ م) :

حضر من أخبر أن جماعة من الأجناد حضروا من ناحية غزة وصحبتهم عبد الرحمن أغا مستحفظان على الهجن ، ومروا من خلف الجرة ، وذهبوا الى قبلى ، وتخلف عنهم عبد الرحمن أغا فى حلوان لغرض من الأغراض ، ينتظره من مصر . فركب من ساعته مراد بيك فى عدة ، وذهبوا الى حلوان ليلا على حين غفلة واحتاطوا بها وبدار الأوسية وقبضوا على عبد الرحمن أغا وقطعوا رأسه . ورجع مراد بيك وشق المدينة ، والرأس أمامه على رمح . ثم أحضروا جثته الى بيته الصغير بالكعكيين ، وغسلوه وكفنوه، وخرجوا بجنازته وصلوا عليه بالماردانى . ثم ألحقوا به الرأس فى الرميلة ، ودفنوه بالقرافة ، ومضى أمره .

رمضان

فى اواخره (اكتوبر ١٧٧٨ م) :

هرب رضوان بيك على شبين الكوم وذهب الى قبلى . فلما فعل ذلك عينوا ابراهيم بيك الوالى، فنزل الى رشيد وقبض على على بيك الحبشى وسليمان كتخدا وقتلهما ، وأما ابراهيم بيك أوده باشه فهرب الى القبطان واستجار به .

شـــوال

١٩ منه (١٠ نوفمبر ١٧٧٨ م) :

خرج المحمل والحجاج صحبة أمير الحج رضوان بيك بلفيا .

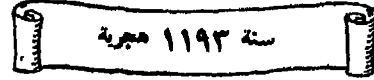
٢٧ منه (١٨ نوفمبر ١٧٧٨ م) :

سافر المحمل من البركة .

ذو القعـــدة

١٥ منه (٤ ديسمبر ١٧٧٨ م) :

نزل أرباب العكاكيز وهم على كتخدا جاوجان وأغات المتفرقة والترجمان ، وكاتب حوالة وأرباب الخدم ، وسافروا لملاقاة الباشا الجديد .



سنة ١١٩٣ هجرية

المحـــرم

السبت ٥ منه (٢٣ يناير ١٧٧٩ م) :

وصل الى مصر اسماعيل باشا والى مصر ، وبات ببر انبابة ليلة السبت المذكور ، وركب الأمراء فى صبحها وقابلوه ، ورجعوا وعدى الآخـر وركب الى العادلية وجلس بالقصر ، وتولى أمر السماط مصطفى بيك الصغير .

الثلاثاء ٩ منه (٢٧ يناير ١٧٧٩ م) :

ركب الباشـا بالموكب ودخل من باب النصر ، وشق القاهرة وطلع الى القلعة ، وعملوا له شنكا ومدافع ، ووصل الخبر بنزول اسماعيل بيك الى البحر وسفره من الشام الى الروم .. وغاب أمره .

ربيـع الأول

فى اواخره (ابريل ١٧٧٩ م) :

وقعت حادثة بالجامع الأزهر بين طائفة الشوام وطائفة الأتراك بين المغرب والعشاء . فهجم الشوام على الأتراك وضربوهم . فقتلوا منهم شخصـــا وجرحوا منهم جماعة . فلما أصبحوا ذهب الأتراك الى ابراهيم بيك ، وأخبروه بذلك ، فطلب الشيخ عبد الرحمن العرايشى مفتى الحنفية ، والمتكلم على طائفة الشوام وسأله عن ذلك ، فأخبره عن أسماء جماعة ، وكتبهم فى ورقة ، وعرفه أن القاتلين تغيبوا وهربوا ، ومتى ظهروا أحضرهم اليه .. ولما توجه من عنده تفحص ابراهيم بيك عن مسميات الأسماء ... فلم يجد لهم حقيقة ! . فأرسل الى الشيخ أحمـد العروسى شيخ الأزهر وأحضر بقية المشايخ وطلب الشيخ عبد الرحمن فتغيب ، ولم يجدوه ، فاغتاظ ابراهيم بيـك ومراد بيك وعزلوه عن الافتـاء ، وأحضروا الشـيخ محمد الحريرى وألبسوه خلعة ليكون مفتى الحنفية عوضا عن الشيخ عبد الرحمن ، وحثوا خلفه بالطلب ليخرجوه من البلدة منفيا فشفع فيه شيخ السادات ، وهرب طائفة الشوام بأجمعهم ، وسمر الأغا رواقهم ، ونادوا عليهم . واستمر الأمر على ذلك أياما ، ثم منعوا المجـادلة والطبرية من دخول الرواق ، ويقطع من خبزهم مائة رغيف تعطى للأتراك دية المقتولين ، وكتب بذلك محضر باتفاق المشايخ والأمراء ، وفتحوا الرواق ، ومرض الشيخ العريشى من قهره .. وتوفى .

جمـادى الآخرة

(يونية ١٧٧٩ م) :

جاءت الأخبـار بأن حسن بيك ورضوان بيك قوى أمرهم ، وجمعـوا جموعا ، وحضروا الى دجرجا ، والتف عليهم أولاد همـام والجعـافرة واسماعيل أبو على . فتجهز مراد بيك وسافر قبله أيوب بيك الصغير . ثم سافر هو أيضا . فلما قربوا من دجرجا ، ولى القبالى وصعدوا الى فوق ، فأقام مراد بيك فى دجرجا الى أوائل رجب . وقبض على

اسماعيل أبى على وقتله ونهب ماله وعبيده ، وفرق بلاده على كشافه وجماعته .

رجب

١٥ منه (٢٩ يولية ١٧٧٩ م) :

ظهر بمصر وضواحيها مرض . سموه بأبى الركب، وفشا فى الناس قاطبة حتى الأطفال . وهو عبارة عن حمى ، ومقدار شدته ثلاثة أيام . وقد يزيد على ذلك ، وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ، ويحدث وجعا فى المفاصل والركب والأطراف ، ويوقف حركة الأصابع وبعض ورم ، ويبقى أثره أكثر من شهر ، ويأتى الشخص على غفلة ، فيسخن البدن ويضرب على الانسان دماغه وركبه ، ويذهب بالعرق والحمام .. وهو من الحوادث الغريبة .

٢٠ منه (٣ اغسطس ١٧٧٩ م) :

وصل مراد بيك من ناحية قبلى ، وصحبته منهوبات وأبقار وأغنام كثيرة .

٢٢منه (٥ اغسطس ١٧٧٩ م ــ ٢ مسرى ١٤٩٥):

أوفى النيل المبارك . ثم زاد فى ليلتها زيادة كثيرة حتى علا على السد وجرى المـاء فى الخليج بنفسه . وأصبح الناس فوجدوا الخليج جارياً ، وفيه المراكب . فلم تحصل الجمعية ، ولم ينزل الباشا على العادة .

شعبان

فى أواخره (سبتمبر ١٧٧٩ م)

وصل الى مصر قابجى باشا وبيده أوامر بعزل اسماعيل بيك عن مصر ، ويتوجه الى جدة . وأن ابراهيم باشا والى جدة ، يأتى الى مصر . وفرمان آخر بطلب الخزينة .

شوال

(اكتوبر ــ نوفمبر ١٧٧٩ م) :

فيه : وصلت الأخبار بموت على بيك السروجى وحسن بيك سوق السلاح بغزة .

١٨ منه (٢٩ اكتوبر ١٧٧٩ م) :

عمل موكب المحمل ، وخرج الحجاج وأمير الحج مراد بيك ، وخرج فى موكب عظيم وطلب كثير وتفاخر . وماجت مصر وهاجت ، فى أيام خروجه ، بسبب الأطلاب ، وجمع الأموال ، وطلب الجمال والبغال والحمير . وغصبوا بغال الناس ، ومن وجدوه راكبا على بغلة أنزلوه عنها ، وأخذوها منه قهرا . فان كان من الناس المعتبرين أعطوه ثمنها والا فلا ، وغلت أسعارها جدا ! .

ولم يعهد حج مثل هذه السنة فى كل شىء . وسافر فيه خلائق كثيرة من سائر الأجناس ، وسافر صحبة مراد بيك أربعة صناجق ، وهم : عبد الرحمن بيك عثمان ، وسليمان بيك الشابورى ، وعلى بيك المالطى ، وذو الفقار بيك ، وأمراء وأغوات .. وغير ذلك أكابر كثيرة وأعيان وتجار .

وفيه : حضر واحد أغا وعلى يده تقرير لاسماعيل باشا على مصر كما كان .. وكان — لما أتاه العزل — نزل من القلعة فى غرة رمضان ، وصام رمضان فى مصر العتيقة . ولما انقضى رمضان تحول الى العادلية ليتوجه الى السويس ويذهب الى جدة — حسب الأوامر السابقة — فقدر الله بموت ابراهيم باشا ، وحضر التقرير له بالولاية ثانيا .

ذو القعدة

٦ منه (١٥ نوفمبر ١٧٧٩ م) :

ركب اسماعيل باشا الى القلعة من باب الجبل . بعد التقرير له بالولاية ثانيا .

سنة ١١٩٤ هجرية

صفر

١١ منه (١٧ فبراير ١٧٨٠ م) :

دخل الحجاج الى مصر وأمير الحج مراد بيك ، ووقف لهم العربان فى الصفرة والجديدة ، وحصروا الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات ومات كثير من الناس والغز والأجناد ، ونهبت بضائع وأحمال كثيرة ، وكذلك من الجمال والدواب . والعرب بأعلى الجبال ، والحج أسفل ... كل ذلك والحج سائر .

رجب

٣ منه (٥ يولية ١٧٨٠ م) :

اجتمع الأمراء ، وأرسلوا الى الباشا أرباب العكاكيز ، وأمروه بالنزول من القلعة معزولا . فركب فى الحال ونزل الى مصر العتيقة ، ونقلوا عزاله ومتاعه فى ذلك اليوم واستلموا منه الضربخانة ، وعمل ابراهيم بيك قائمقام مصر . فكانت مدة ولاية اسماعيل باشا — فى هذه المرة — ثمانية أشهر تنقص ثلاثة أيام

وكان أصله رئيس الكتاب باسلامبول ، وكان مراد بيك .. هذا ، أصله من مماليكه ! فباعه لبعض التجار فى معاوضة ، وحضر الى مصر ولم يزل حتى صار أميرها . وحضر سيده هذا فى أيام امارته ... وهو — مراد بيك — الذى عزله من ولايته ، ولكن كان يتأدب معه ، ويهابه كثيرا ، ويذكر سيادته عليه . وكان هذا الباشا أعوج العنق للغاية ، وكان قد خرج له خراج فعالجه بالقطع فعجزت العروق ، وقصرت ، فاعوج عنقه ، وصارت لحيته عند صدره ، ولا يقدر على الالتفات الا بكليته ... الا أنه كان رئيسا عاقلا ، صاحب طبيعة ، ويحب المؤانسة والمسامرة .

شعبان

١٠ منه (١١ اغسطس ١٧٨٠ م — ٧ مسرى ١٤٩٦) :

أوفى النيل المبارك ، وكسر السد فى صبحها ، بحضرة ابراهيم بيك قائمقام مصر والأمراء

وفى أواخره (اغسطس ١٧٨٠ م) :

شرع الأمراء فى تجهيز تجريدة ، وسفرها الى جهة قبلى ، لاستفحال أمر حسن بيك ورضوان، وانه انضم اليهم كثير من الأجناد وغيرهم ، وذهب اليهم جماعة اسماعيل بيك . فعندما تحققوا ذلك ، أخذوا فى تجهيز تجريدة وأميرها مراد بيك وصحبته ، وطلبوا الاحتياجات واللوازم ، وحصل منهم الضرر . وطلب مراد بيك الأموال من التجار وغيرهم .. مصادرة ، وجمعوا المراكب ، وعطلوا الأسباب ، وبرزوا بخيامهم الى جهة البساتين .

شوال

٢٠ منه (١٩ اكتوبر ١٧٨٠ م) :

كان خروج المحمل والحجاج صحبة أمير الحج مصطفى بيك الصغير

سنة ١١٩٥ هجرية

المحرم

١٥ منه (١١ يناير ١٧٨١ م) :

قبض ابراهيم بيك على ابراهيم أغا بيت المال ، المعروف بالمسلمانى ، وضربه بالنبابيت حتى مات وأمر بالقائه فى بحر النيل ، فألقوه وأخرجه عياله بعد أيام من عند شبرا فأتوا به الى بيته وغسلوه وكفنوه ودفنوه .. ولم يعلم لذلك سبب .

وكان عنده ، من جملة كتبه ، زيج الراصد لغيبك السمرقندى ، نسخة شريفة بخط العجم (الخط الفارسى) ، فى غاية الجودة والصحة والاتقان ، وعليها تقييدات وتحريرات وفوائد شريفة لا يسمح الدهر بمثل تلك النسخة . وكنت كثيرا ما أسمع من المرحوم الوالد ذكرها ومدحتها ، ويقول : ليس فى الدنيا الا نسختى ونسخة الشيخ ابراهيم الزمزمى ونسخة حسن افندى قطه مسكين! ولا يعتمد على غيرهم فى الصحة ، لأنهم كتبوا وصححوا فى عهد الراصد

ونسخة الوالد مكتوب عليها بخط رستم شاه ما نصه : « قد اشترينا هذا الكتاب فى دار سلطنة هراة باثنى عشر ألف دينار » .. وتحت ذلك اسمه وختمه .

فلما كان فى سنة ست وتسعين ورد علينا بعض الحجاج الجزائرية وسألنى عن كتب يشتريها — من جملتها الزيج المذكور — وأرغبنى فى زيادة الثمن ، فلم تسمح نفسى فى شىء من ذلك .

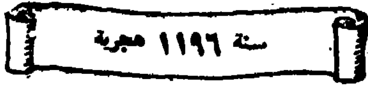
ثم سافر الى الحج ورجع وأتانى ، ومع خادمه رزمة كبيرة فوضعها بين أيدينا وفتحها وأخرج منها نسخة الزيج المذكورة ، وفرجنى عليها ، وقال : أيهما أحسن ؟ نسختك التى ضننت بها ، أو هذه ؟ .. وكنت لم أرها قبل ذلك . فرأيتها شقيقتها ، وتزيد عنها فى الحسن صغر حجمها ، وكثرة التقييدات بهامشها ، وطيارات كثيرة بداخلها فى المسائل المعضلة — مثل التسييرات والانتهاءات والنمودارات وغير ذلك — وجميعها بحسن الخط والوضع ، فرأيتها المخدرة التى كشف عنها القناع ، وانما هى المعشوقة بالسماع [1] ..

فقلت له : كيف وصلت الى هذه اليتيمة ؟ وما مقدار ما دفعته فيها من المهر والقيمة ؟

فأخبرنى أنه اشتراها من ابن الشيخ بعشرين ريالا .. وكتاب المجسطى ، وكتاب التبصرة ، وشرح التذكرة ، ونسخة البارع فى غاية الجودة ، وزيج ابن الشاطر ، وغير ذلك من الكتب التى لا توجد فى خزائن الملوك .. وكلها بمثل ذلك الثمن البخس ...

فقضيت أسفا ! وأخذ الجميع مع ما أخذ ، وذهب الى بلاده .

وهكذا حال الدنيا !



صفر

(اواخر يناير وأوائل فبراير ١٧٨٢ م) :

نزل مراد بيك وسرح (ا) بالاقاليم البحرية ، وطاف البلاد بالشرقية ، وطلب منهم أموالا ، وفرد عليهم مقادير من المال عظيمة ، وكلفا وحق طرق معينين .. وغير ذلك ما لا يوصف !

ثم نزل الى الغربية وفعل بها كذلك ، ثم المنوفية

شعبان

فى منتصفه (٢٦ يولية ١٧٨٢ م) :

ورد أغا بطلب محمد باشا ملك الى الباب ليتولى الصدارة ، فنزل من القلعة الى قصر العينى ، وأقام بقية شهر شعبان ، ونزل فى غرة رمضان وسافر الى الاسكندرية .. فكانت مدة ولايته ١٣ شهرا ونصفا .

وهاداه الأمراء ولم يحاسبوه على شىء . ونزل فى غاية الاعزاز والاكرام .

وكان من أفاضل العلماء ، متضلعا من سائر

---

(١) حين تدلهم الحوادث ، وتدهم الخطوب ، وتتوالى الكوارث على أمة يكتنفها الظلام الحالك من جميع جنباتها ونواحيها .. ثم تجد ـ تحت رماد نكباتها المتكاثف ـ هذا الوهج المقدس من حب العلم ، وهذا الافتتان والشغف بكتبه .. تعلم أن هذه أمة لن تخمد لها جذوة ، ولن ينطفىء لها نور ، ولن يخبو لها شعاع ...

الفنون ، ويحب المذاكرة والمباحثة والمسامرة وأخبار التواريخ وحكايات الصالحين وكلام القوم. وكان طاعنا فى السن ، منور الشيبة ، متواضعا .

رمضان

اواسطه (اواخر اغسطس ١٧٨٢ م) :

حضر الباشا الجديد ، ونزل اليه الملاقاة .

شوال

١٠ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٢ م) :

طلع الباشا الجديد الى قصر العينى ، فبات به وركب بالموكب فى صبحها ، ومر من جهة الصليبة ، وطلع الى القلعة .. وذلك على خلاف العادة .

وفيه : جاءت الأخبار على أيدى السفار الواصلين من اسلامبول بأنه وقع بها حريق عظيم لم يسمع بمثله . واحترق منها نحو الثلاثة أرباع ، واحترق خلق كثير فى ضمن الحريق ، وكان أمرا مهولا .

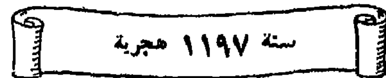
وبعد ذلك حصل بها فتنة أيضا ، ونفوا الوزير عزت محمد باشا وبعض رجال الدولة .

ذو القعدة

ليلة ١٨ منه (٢٥ اكتوبر ١٧٨٢ م) :

هرب سليم بيك وابراهيم بيك قشطة ، وتبعهم جماعة كبيرة نحو الثمانين ، فخرجوا ليلا على الهجن وجرائد الخيل ، وذهبوا الى الصعيد .

وأصبح الخبر شائعا بذلك ، فارتبك ابراهيم بيك ومراد بيك . ونادى الأغا والوالى بترك الناس المشى بعد العشاء .



سنة ١١٩٧ هجرية

فيها تسحب أيضا جماعة من الكشاف والمماليك ، وذهبوا الى قبلى .

فشرعوا فى تجهيز تجريدة ، وعزم مراد بيك على السفر ، وأخذ فى تجهيز اللوازم ، فطلب الأموال ، فقبضوا على كثير من مساتير الناس والتجار والمتسببين .. وحبسوهم وصادروهم فى أموالهم ، وسلبوا ما بايديهم .. فجمعوا من المال ما جاوز الحد ، ولا يدخل تحت العد !

ربيع الآخر

فى منتصفه (٢٠ مارس ١٧٨٣ م) :

برز مراد بيك للسفر ، وأخرج خيامه الى جهة البساتين ، وخرج صحبته الأمير لاچين بيك ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر ، وسليمان بيك أبو نبوت . . وكشافهم ومماليكهم وطوائفهم ، وسافروا بعد أيام .

جمادى الآخرة

فى اواخره (اواخر مايو ١٧٨٣ م) :

وردت الأخبار بأن رضوان بيك — قرابة على بيك — حضر الى مراد بيك وانضم اليه . فلما فعل ذلك انكسرت قلوب الآخرين وانخذلوا ورجعوا القهقرى ، ورجع مراد بيك أيضا الى مصر ، وترك هناك مصطفى بيك ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر

رجب

٢٦ منه (٢٧ يونية ١٧٨٣ م) :

اتفق مراد بيك وابراهيم بيك على نفى جماعة من خشداشينهم ، وهم ابراهيم بيك الوالى ، وأيوب بيك الصغير ، وسليمان بيك الأغا ورسموا لأيوب بيك أن يذهب الى المنصورة فأبى وامتنع من الخروج ، فذهب اليه حسن كتخدا الجربان — كتخدا مراد بيك — واحتال عليه ، فركب وخرج الى غيط مهمشة ، ثم سافر الى المنصورة .

وأما ابراهيم بيك الوالى فركب بطوائفه ومماليكه وعدى الى بر الجيزة ، فركب خلفه على بيك أباظة ولاچين بيك ، وحجزوا هجنه وجماله عند المعادى ، وعدوا خلفه فأدركوه عند الأهرام ، فاحتالوا عليه وردوه الى قصر العينى ، ثم سفروه الى ناحية السرو ورأس الخليج .

وأما سليمان بيك فانه كان غائبا باقليم الغربية والمنوفية يجمع من الفلاحين فردا وأموالا ومظالم ! فلما بلغه الخبر رجع الى منوف ، فحضر اليه المعينون لنفيه ، وأمروه بالذهاب الى المحلة الكبرى ، فركب بجماعته وأتباعه فوصل الى مسجد الخضر ، فاجتمع بأخيه ابراهيم بيك الوالى هناك ، فأخذه صحبته وذهبا الى جهة البحيرة .

فى غايته (أول يولية ١٧٨٣ م) :

طلع الأمراء الى الديوان ، وقلدوا خمسة من أغوات الكشاف صناجق ، وهم : عبد الرحمن خازندار ابراهيم بيك سابقا ، وقاسم أغا كاشف المنوفية سابقا (وعرف بالموسقو) وهو من مماليك محمد بيك واشراق ابراهيم بيك ، وحسين كاشف (وعرف بالشفت بمعنى اليهودى) ، وعثمان كاشف ، ومصطفى كاشف السلحدار .. وهؤلاء الثلاثة من طرف مراد بيك .

شعبان

(يولية ١٧٨٣ م) .

وردت الأخبار من ثغر سكندرية بوصول باشا الى الثغر — واسمه محمد باشا السلحدار — واليا على مصر ، فنزل الباشا القديم من القلعة الى القصر بشاطىء النيل .

فى اواخره (أواخر يولية ١٧٨٣ م) :

وصل سلحدار الباشا الجديد بخلعة قائمقامية لابراهيم بيك .

وفيه : وصلت الأخبار بأن سليمان بيك وابراهيم بيك رجعوا من ناحية البحيرة الى طندتا ، وجلسوا هناك ، وأرسلوا جوابات الى الأمراء بمصر بذلك ، وأنهم يطلبون أن يعينوا لهم ما يتعيشون به .

وفيه : أرسلوا خلعة الى عثمان بيك الشرقاوى بأن يستقر حاكما بجرجا ، وطلبوا مصطفى بيك ، وسليمان بك أبا نبوت ، وعثمان بيك الأشقر للحضور لمصر ... فحضروا واستقر عثمان بيك الشرقاوى بجرجا

رمضان

فى غرته (٣١ يولية ١٧٨٣ م) :

هرب سليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى من طندتا وعدوا الى شرقية بلبيس ، ومروا من خلف الجبل ، وذهبوا الى الصعيد . ورجع على كتخدا ، ويحيى كتخدا سليمان بيك ، الى مصر بالحملة والجمال وبعض مماليك وأجناد .

فى أواخره (أواخر اغسطس ١٧٨٣ م) :

هرب أيضا أيوب بيك من المنصورة وذهب الى الصعيد أيضا . وتواترت الأخبار بأنهم اجتمعوا مع بعضهم واتفقوا على العصيان . فأرسلوا لهم محمد كتخدا أباظه ، وأحمد أغا جمليان ، وطلبوهم الى الصلح ، ويعينون لهم أماكن يقيمون بها ويرسلون لهم احتياجاتهم . . فأبوا ذلك . فطلبوا عثمان بيك الشرقاوى ومصطفى بيك للحضور فامتنعا أيضا ، وقالا : لا نحضر ولا نصطلح الا ان رجع اخواننا رجعنا معهم ، ويردون لهم امرياتهم وبلادهم وبيوتهم ، ويبطلوا من صنجقوه وأمروه عوضهم .

فلما حضر الجواب بذلك شرعوا فى تجهيز تجريدة ، وأخذوا يفتشون أماكن الأمراء المذكورين ، فأخذوا ماوجدوه بمنزل مصطفى بيك.

واتهموا أناسا بأمانات وودائع لمصطفى بيك وعثمان بيك الشرقاوى ، منهم الدالى ابراهيم وغيره ، فجمعوا بهذه « النكتة ! » أموالا كثيرة .. حقا وباطلا ..

شوال

٢٠ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٣ م) :

كان خروج المحمل والحجاج ، وأمير الحج مصطفى بيك الكبير .

ولما انقضى أمر الحج برروا للتجريدة — وأميرها ابراهيم بيك الكبير — وجمعوا المراكب وحجزوها من أربابها ، وعطلوا أسباب التجارة والمسافرين ، وجمعوا الأموال — كما تقدم — من المصادرات والملتزمين والفلاحين وغير ذلك .. وكان أمرا مهولا أيضا !

وبعد أيام وصل الخبر بأن ابراهيم بيك ضمهم للصلح واصطلح معهم ، وأنه واصل صحبتهم جميعا .

ذو القعدة

١٦ منه (١٣ أكتوبر ١٧٨٣ م) :

حضر ابراهيم بيك ، ووصل بعده الجماعة ، ودخلوا الى مصر ، وسكنوا فى بيوت صغار — ما عدا عثمان بيك ومصطفى بيك فانهم نزلوا فى بيوتهم .

وحضر صحبتهم أيضا على بيك وحسين بيك الاسماعيلية ، فلم يعجب مراد بيك ما فعله ابراهيم بيك ، ولكن أسره فى نفسه ، ولم يظهره . وركب للسلام على ابراهيم بيك فقط فى الخلاء . ولم يذهب الى أحد من القادمين .

وسكن الحال على ذلك أياما ، وشرع ابراهيم بيك فى اجراء الصلح وصفاء الخاطر بينهم وبين مراد بيك ، وأمرهم بالذهاب اليه ، وسلموا عليه ، ثم ركب هو الآخر اليهم — ما عدا الثلاثة المعزولين — وكل ذلك وهو ينقل فى متاع بيته وتعزيل ما فيه .

ثم انه ركب فى يوم الجمعة وعدى الى جزيرة الذهب ، وتبعه كشافه وطوائفه ، وأرسل الى بولاق وأخذ منها الأرز والغلة والشعير والبقسماط وغير ذلك ، فأرسل له ابراهيم بيك لاچين بيك وسليمان بيك أبا نبوت ليردوه عن ذلك .. فنهرهم وطردهم .. فرجعوا !

ثم انه عدى الى ناحية الشرق وذهب الى قبلى ، وتبعه أغراضه وأتباعه وحملته من البر والبحر .

* * *

وفى هذه السنة قصر مد النيل وانهبط قبل الصليب بسرعة ، فشرقت الأراضى القبلية والبحرية وعزت الغلال بسبب ذلك ، وبسبب نهب « الأمراء ! » ، وانقطاع الوارد من الجهة القبلية .

وشطح سعر القمح الى عشرة ريالات الاردب. واشتد جوع الفقراء .

ووصل مراد بيك الى بنى سويف ، وأقام هناك وقطع الطريق على المسافرين ، ونهبوا كل ما مر بهم فى المراكب الصاعدة والهابطة ..

اذا وصل فساد الحكام الى مثل هذا ، فهل تدهش اذا صارت البلاد مطمعا للغزاة والعادين ؟

سنه ١١٩٨ هجريه

المحرم

فيه : (ديسمبر ١٧٨٣ م) :

سافر مراد بيك الى منية ابن خصيب مغضبا .. وجلس هناك .

وفيه : حضر الى مصر محمد باشا والى مصر ، فأنزلوه بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطىء النيل . فأقام به يومين ، ثم عملوا له موكبا وطلع الى القلعة من تحت الربع على الدرب الأحمر .

فى منتصفه (١٠ ديسمبر ١٧٨٣ م) :

اتفق رأى ابراهيم بيك والأمراء الذين معه على ارسال محمد افندى البكرى ، والشيخ أبى الأنوار شيخ السادات ، والشيخ احمد العروسى شيخ الأزهر الى مراد بيك ... ليأخذوا خاطره ، ويطلبوه للصلح مع خشداشينه ، ويرجع اليهم ، ويقبلوا شروطه ما عدا اخراج أحد من خشداشينهم . فلما سافروا اليه وواجهوه ، وكلموه فى الصلح ، فتعلل بأعذار ، وأخبر أنه لم يخرج من مصر الا هروبا ، وخوفا على نفسه ، فانه تحقق عنده توافقهم على غدره . فان ضمنتم وحلفتم لى بالأيمان أنه لا يحصل لى منهم ضرر ... وافقتكم على الصلح ، والا .. فدعونى بعيدا عنهم .

فقالوا له : لسنا نطلع على القلوب ، حتى نحلف ونضمن ! ولكن الذى نظنه ، ونعتقده ، عدم وقوع ذلك بينكم ، لأنكم اخوة ، ومقصودنا الراحة فيكم ، وبراحتكم ترتاح الناس وتأمن السبل .

فأظهر الامتثال ، ووعد بالحضور بعد أيام . وقال لهم :

« اذا وصلتم الى بنى سويف ، ترسلون لى عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك الدفتردار لأشترط عليهم شروطى . فان قبلوها ، توجهت معهم . والا عرفت خلاصى معهم ! » .

وانفصلوا عنه على ذلك ... وودعوه وسافروا .

صفر

٢٣ منه (١٧ يناير ١٧٨٤ م) :

حضر المذكورون الى مصر .

وصل الحجاج الى مصر .

٢٥ منه (١٩ يناير ١٧٨٤ م) :

دخل أمير الحج مصطفى بيك بالمحمل .

ربيع الأول

مستهله (٢٤ يناير ١٧٨٤ م) :

خرج الأمراء الى ناحية معادى الخبيرى ، وحضر مراد بيك الى بر الجيزة وصحبته جمع كبير من الغز والأجناد والعربان والغوغاء من أهل الصعيد والهوارة . ونصبوا خيامهم ووطاقهم قبالتهم فى البر الآخر ، فأرسل اليه ابراهيم بيك ، عبد الرحمن بيك عثمان وسليمان بيك الشابورى وآخرين فى مركب . فلما عدوا اليه ، لم يأذن لهم فى مقابلته ، وطردهم . ونزل أيضا كتخدا الباشا

وصحبته اسماعيل أفندى الخلوتى فى مركب آخر ، ليتوجهوا اليه أيضا لجريان الصلح . فلما توسطوا البحر ، ووافق رجوع الأولين ، ضربوا عليهم بالمدافع ، فكادت تغرق بهم السفن ، ورجعوا وهم لايصدقون بالنجاة .

فلما رأى ذلك ابراهيم بيك ، ونظر امتناعه عن الصلح ، وضربه بالمدافع ... أمر هو الآخر بضرب المدافع عليهم نظير فعلهم ، وكثر الرمى بينهم من الجهتين على بعضهم البعض ، وامتنع كل من الفريقين عن التعدية الى الجهة الأخرى ، وحجزوا المعادى من الطرفين . واستمر الحال بينهم على ذلك من أول الشهر الى عشرين منه ... واشتد الكرب والضنك على الناس وأهل البلاد ، وانقطعت الطرق القبلية والبحرية برا وبحرا ، وكثر تعدى المفسدين ، وغلت الأسعار ، وشح وجود الغلال ، وزادت أسعارها .

وفى تلك المدة كثر عبث المفسدين ، وأفحش جماعة مراد بيك فى النهب والسلب فى بر الجيزة ، وأكلوا الزروعات ، ولم يتركوا على وجه الأرض عودا أخضر ، وعين لقبض الأموال من الجهات ، وغرامات الفلاحين

وظن الناس حصول الظفر لمراد بيك ، واشتد خوف الأمراء بمصر منه ، وتحدث الناس بعزم ابراهيم بيك على الهروب .

٢٧ منه (١٩ فبراير ١٧٨٤ م) .

أرسل ابراهيم بيك المذكور خمسة من الصناجق وهم : سليمان بيك الأغا وسليمان بيك أبو نبوت وعثمان بيك الأشقر وابراهيم بيك الوالى وأيوب بيك ، فعدوا الى البر الآخر بالقرب من البابة ليلا ، وساروا مشاة ، فصادفوا طابورا فضربوا عليهم بالبندق فانهزموا منهم ، وملكوا مكانهم ، وذلك بالقرب من بولاق التكرور . كل ذلك والرمى بالمدافع متصل من عرضى ابراهيم بيك ثم عدى خلفهم جماعة أخرى ومعهم مدفعان ، وتقدموا قليلا قليلا من عرضى مراد بيك ، وضربوا على العرضى بالمدفعين فلم يجبهم أحد . فباتوا على ذلك وهم على غاية من الحذر والخوف . وتتابع بهم طوائفهم وخيولهم .

فلما ظهر نور النهار نظروا فوجدوا العرضى خاليا وليس به أحد ، وارتحل مراد بيك ليلا وترك بعض أثقاله ومدافعه . فذهبوا الى العرضى وأخذوا ما وجدوه ، وجلسوا مكانه ، ونهب أوباشه المراكب التى كانت محجوزة للناس ، وعدى ابراهيم بيك ، وتتابعوا فى التعدية ، وركبوا خلفهم الى الشيمى ، فلم يجدوا أحدا .

فأقاموا هناك أربعة أيام ، ورجع ابراهيم بيك وبقية الأمراء الى مصر . ودخلوا بيوتهم ، وانقضت هذه الفتنة الكذابة على غير طائل ، ولم يقع بينهم مصاف ولا مقاتلة ، وهرب مراد بيك ، وذهب بمن معه يهلكون الزرع حصادا ، ويسعون فى الأرض فسادا .

جمادى الأولى

فى أواخره (حوالى منتصف ابريل ١٧٨٤ م) :

اتفق رأى ابراهيم بيك على طلب الصلح مع مراد بيك . فسافر لذلك لاجين بيك وعلى آغا كتخدا جاووجان . وسبب ذلك ، أن عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك ومصطفى بيك وسليمان بيك وابراهيم بيك الوالى ، تحزبوا مع بعضهم ، وأخذوا ينقضون على ابراهيم بيك الكبير ، واستخفوا بشأنه ، وقعدوا له كل مرصد . وتخل منهم وتحرز ، وجرت مشاجرة بين أيوب بيك وعلى أغا كتخدا جاووجان بحضرة ابراهيم بيك ، وسبه وشتمه وأمسك عمامته ، وحل قولانه وقال له « ليس هذا المنصب مخلدا عليك » . فاغتاظ

ابراهيم بيك لذلك وكتمه فى نفسه ، وعز عليه على أغا لأنه كان بينه وبينه محبة أكيدة ، ولا يقدر على فراقه ، فشرع فى اجراء الصلح بينه وبين مراد بيك ، فاجتمع اليه الأمراء وتكلموا معه وقالوا له : كيف تصنع .. ؟ قال : نصطلح مع أخينا .. أولى من التشاحن ، ونزيل الغل من بيننا لأجل راحتنا وراحة الناس ، ويكون كواحد منا ، وان حصل منه خلل أكون أنا وأنتم عليه .وتحالفوا على ذلك ، وسافر لاجين بيك وعلى أغا .

وبعد أيام حضر حسن كتخدا الجربان — كتخدا مراد بيك — الى مصر ، واجتمع بابراهيم بيك ، ورجع ثانيا . وأرسل ابراهيم بيك صحبته ولده ومرزوق بيك طفلا صغيرا ، ومعه الدادة والمرضعة . فلما وصلوا مراد بيك أجاب بالصلح ، وقدم لمرزوق بيك هدية وتقادم ، ومن جملتها بقرة ... ولابنتها رأسان !

وحضر بهما الى مصر ، وشاع خبرها ، فذهبت بصحبة أخينا وصديقنا مولانا السيد اسماعيل الوهبى الشهير بالخشاب — فوصلنا الى بيت أم مرزوق بيك الذى بحارة عابدين ، ودخلنا الى اسطبل مع بعض السواس ، فرأينا بقرة مصفرة اللون ببياض ، وابنتها خلفها سوداء ولها رأسان كاملا الأعضاء ، وهى تأكل بفم أحد الرأسين وتشتر (تجتر) بفم الرأس الثانى ... فتعجبنا من عجيب صنع الله وبديع خلقته ... فكانت من العجائب الغريبة المؤرخة !

رجب

فى ١٠ منه (٣٠ مايو ١٧٨٤ م) :

حضر مرزوق بيك وصحبته حسن كتخدا الجربان ، فأوصله الى أبيه ، ورجع ثانيا الى مراد بيك .

وشاع الخبر بقدوم مراد بيك ، وعمل مصطفى بيك وليمة ، وعزم من بصحبته ، وأحضر لهم آلات الطرب ، واستمروا على ذلك الى آخر النهار ...

١١ منه (٣١ مايو ١٧٨٤ م) :

وفى ثانى يوم اجتمعوا عند ابراهيم بيك وقالوا له : « كيف يكون قدوم مراد بيك ؟ ولعله لا يستقيم حاله معنا ! » .

فقال لهم : « حتى يأتى ... فان استقام معنا فبها ، والا أكون — أنا وأنتم — عليه » .

فتحالفوا وتعاهدوا وأكدوا المواثيق .

فلما كان يوم الجمعة وصل مراد بيك الى غمازة ، فركب ابراهيم بيك على حين غفلة وقت القائلة فى جماعته وطائفته ، وخرج الى ناحية البساتين ، ورجع من الليل وطلع الى القلعة وملك الأبواب ومدرسة السلطان حسن والرميلة والصليبة والتبانة ، وأرسل الى الأمراء الخمسة يأمرهم بالخروج من مصر ، وعين لهم أماكن يذهبون اليها ، فمنهم من يذهب الى دمياط ، ومنهم من يذهب الى المنصورة وفارسكور ... فامتنعوا من الخروج واتفقوا على الكرنكة والخلاف ... ثم لم يجدوا لهم خلاصا بسبب أن ابراهيم بيك ملك القلعة وجهاتها ،ومراد بيك واصل يوم تاريخه وصحبته السواد الأعظم من العساكر والعربان .

ثم أنهم ركبوا وخرجوا بجمعيتهم الى ناحية القليوبية ، ووصل مراد بيك لزيارة الامام الشافعى . فعندما بلغه خبر خروجهم ذهب من فوره من خلف القلعة ، ونزل على الصحراء ، وأسرع فى السير حتى وصل الى قناطر أبى المنجا ، ونزل هناك ، وأرسل خلفهم جماعة فلحقوهم عند شبرا شهاب .

وأدركهم مراد بيك ، والتطموا معهم ، فتقنطر مراد بيك بفرسه ، فلحقوه وأركبوه غيره ... فعند

ذلك ولى راجعا . وانجرح بينهم جماعة قلائل ، وأصيب سليمان بيك برصاصة نفذت من كتفه ولم يمت .

ورجع مراد بيك ومن معه الى مصر على غير طائل ، وذهب الأمراء الخمسة المذكورون وعدوا على وردان ، وكان بصحبتهم رجل من كبار العرب — يقال له طرهونه — يدلهم على الطريق الموصلة الى جهة قبلى ، فسار بهم فى طريق مقفرة ليس بها ماء ولا حشيش يوما وليلة حتى كادوا يهلكون من العطش . وتأخر عنهم أناس من طوائفهم وانقطعوا عنهم شيئا فشيئا الى أن وصلوا الى ناحية سقارة ، فرأوا أنفسهم بالقرب من الأهرام فضاق خناقهم وظنوا الوقوع ، فأحضروا الهجن وأرادوا الركوب عليها والهروب ويتركوا أثقالهم ، فقامت عليهم طوائفهم فقالوا لهم : كيف تذهبون وتتركونا مشتتين؟ وصار كل من قدر على خطف شىء أخذه وهرب ، فسكنوا عن الركوب وانتقلوا من مكانهم الى مكان آخر .

وفى وقت الكبكبة ركب مملوك من مماليكهم وحضر الى مراد بيك — وكان بالروضة — فأعلمه بالخبر ، فأرسل جماعة الى الموضع الذى ذكره له ، فلم يجدوا أحدا ، فرجعوا .

واغتم أهل مصر لذهابهم الى جهة قبلى لما يترتب على ذلك من التعب وقطع الجالب ، مع وجود القحط والغلاء . وبات الناس فى غم شديد ..

٢١ منه (١٠ يونية ١٧٨٤) :

شاع الخبر بالقبض عليهم . وكان من أمرهم أنهم لما وصلوا الى ناحية الأهرام ، ووجدوا أنفسهم مقابلين البلد ، أحضروا الدليل وقالوا له : انظر لنا طريقا نسلك منه ... فركب لينظر فى الطريق ، وذهب الى مراد بيك وأخبره بمكانهم ، فأرسل لهم جماعة ، فلما نظروهم مقبلين عليهم ركبوا الهجن وتركوا أثقالهم وولوا هاربين .

وكانوا أكمنوا لهم كمينا ، فخرج عليهم ذلك الكمين ومسكوا بزمامهم من غير رفع سلاح ولا قتال ، وحضروا بهم الى مراد بيك بجزيرة الذهب فباتوا عنده . ولما أصبح النهار أحضر لهم مراد بيك مراكب وأنزل كل أمير فى مركب وصحبته خمسة مماليك وبعض خدام ، وسافروا الى جهة بحرى . فذهبوا بعثمان بيك وأيوب بيك الى المنصورة ، ومصطفى بيك الى فارسكور ، وابراهيم بيك الوالى الى طندتا ، وأما سليمان بيك فاستمر ببولاق التكرور حتى برأ جرحه .

رمضان

منتصفه (٢ اغسطس ١٧٨٤) :

اتفق الأمراء المنفيون على الهروب الى قبلى ، فأرسلوا الى ابراهيم بيك الوالى ليأتى اليهم من طندتا ، وكذلك الى مصطفى بيك من فارسكور . وتواعدوا على يوم معلوم بينهم ، فحضر ابراهيم بيك الى عثمان بيك وأيوب بيك خفية فى المنصورة . وأما مصطفى بيك فانه نزل فى المراكب وعدى الى البر الشرقى بعد الغروب ، وركب وسار فركب خلفه رجل يسمى طه شيخ فارسكور — وكان بينه وبين مصطفى بيك حزازة — وأخذ صحبته رجلا يسمى الأشقر فى نحو ثلاثمائة فارس وعدوا خلفه فلحقوه آخر الليل والطريق ضيقة بين البحر والأرز المزروع ... فلم يمكنهم الهروب ولا القتال . فأراد الصنجق أن يذهب بمفرده فدخل فى الأرز بفرسه فانغرس فى الطين فقبضوا عليه هو وجماعته ، فعروهم وأخذوا ما كان معهم وساقوهم مشاة الى البحر ، وأنزلوهم المراكب وردوهم الى مكانهم محتفظين عليهم . وأرسلوا الخبر الى مصر بذلك .

وأما الجماعة الذين فى المنصورة فانهم انتظروا ... بيك فى الميعاد فلم يأتهم ، ووصلهم الخبر ... وقع له ... ركب عثمان بيك وابراهيم بيك وساروا ، وتخلف أيوب بيك بالمنصورة . فلما قربوا من مصر سبقتهم الرسل الى سليمان بيك فركب من الجيزة وذهب اليهما وذهبوا الى قبلى ، وأرسل مراد بيك محمد كاشف الألفى وأيوب كاشف ،فأخذا مصطفى بيك من فارسكور وتوجها به الى ثغر الاسكندرية ، وسجنوه بالبرج الكبير — وعرف من أجل ذلك بالاسكندرانى .

وأحضروا أيوب بيك الى مصر وأسكنوه فى بيت صغير . وبعد أيام ردوه الى بيته الكبير وردوا له الصنجقية أيضا فى منتصف شوال .

شـــوال

الاثنين ٦ شوال (٢٣ أغسطس ١٧٨٤ م — ١٩ مسرى ١٥٠٠ ق) :

كان وفاء النيل المبارك . ونزل الباشا يوم الثلاثاء فى عربة ، وكسر السد على العادة .

٢١ شوال (٧ سبتمبر ١٧٨٤ م) :

كان خروج المحمل صحبة أمير الحج مصطفى بيك الكبير فى موكب حقير جدا بالنسبة للمواكب المتقدمة ، ثم ذهب الى البركة فى يوم الخميس ، وقد كان تأخر له مبلغ من مال الصرة وخلافها ، فطلب ذلك من ابراهيم بيك فأحاله على مراد بيك من الميرى الذى طرفه وطرف أتباعه ، فقال : نعم طرفى ذلك ، لكنه قبض فردة البلاد واختص بها ، ولم آخذ منها الا قدرا يسيرا . وكانوا قبل ذلك قرروا فردة على البلاد وقبضها ابراهيم بيك ولم يأخذ منها مراد بيك الا أقل من مأموله — وقصده يقطع ما عليه من الميرى — لذلك فلم يلتفت ابراهيم بيك لقوله وأحال عليه أمير الحج .

وركب من البركة راجعا الى مصر ، ورده واياه ... فلم يسع مراد بيك الا الدفع وتشهيل الحج ، وعاد الى مصر وخرج الى قصره بالروضة ، وأرسل الى الجماعة الذين بالوجه القبلى . فلما علم ابراهيم بيك بذلك أرسل اليه يستعطفه ، وترددت بينهما الرسل من العصر الى بعد العشاء ...

ونظر ابراهيم بيك فلم يجد عنده أحدا من خشداشيته ، واجتمعوا كلهم على مراد بيك ... فضاق صدره وركب الى الرميلة فوقف بها ساعة حتى أرسل الحملة صحبة عثمان بيك الأشقر وعلى بيك أباظة ، وصبر حتى ساروا وتقدموا عليه مسافة ثم سار نحو الجبل وذهب الى قبلى وصحبته على أغا كتخدا الجاويشية ، وعلى أغا مستحفظان ، والمحتسب وصناجقه الأربعة .

فلما بلغ مراد بيك ركوبه وذهابه ركب خلفهم حصة من الليل ثم رجع الى مصر وأصبح منفردا بها . وقلد قائد أغا أغات مستحفظان ، وصالح أغا الوالى القديم وجعله كتخدا الجاويشية ، وحسن أغا كتخدا ، ومصطفى بيك محتسب . وأرسل الى محمد كاشف الألفى ليحضر مصطفى بيك من محبسه بثغر اسكندرية ، ونادى بالأمان فى البلد ، وزيادة وزن الخبز ، وأمر باخراج الغلال المخزونة لتباع على الناس .

ذو القعدة

٥ منه (٢٠ سبتمبر ١٧٨٤ م) :

فى ليلته حضر مصطفى بيك ونزل فى بيته أميرا وصنجقا على عادته كما كان .

وفيه : قلد مراد بيك مملوكه محمد كاشف الألفى صنجقا ، وكذلك مصطفى كاشف الأخميمى صنجقا أيضا .

١٧ منه (٢ اكتوبر ١٧٨٤ م) :

حضر عثمان بيك الشرقاوى ، وسليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى ، وسليمان بيك أبو نبوت ... وكان مراد بيك أرسل يستدعيهم كما تقدم .

فلما حضروا الى مصر سكنوا بيوتهم كما كانوا على امارتهم .

فى اواخره (اوائل اكتوبر ١٧٨٤ م) :

وصل واحد أغا من الدولة وبيده مقرر للباشا على السنة الجديدة . فطلب الباشا الأمراء لقراءته عليهم ، فلم يطلع منهم أحد ، وأهمل ذلك مراد بيك ولم يلتفت اليه .

ذو الحجة

١٤ منه (٢٩ اكتوبر ١٧٨٤ م) :

رسم مراد بيك بنفى رضوان بيك — قرابة على بيك الكبير — الذى كان خامر على اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى ، وحضر مصر صحبة مراد بيك ، وانضم اليه وصار من خاصته . فلما خرج ابراهيم بيك من مصر أشيع أنه يريد صلحه مع اسماعيل بيك وحسن بيك ، فصار رضوان بيك كالجملة المعترضة ... فرسم مراد بيك بنفيه فسافر من ليلته الى الاسكندرية .

١٥ منه (٣٠ اكتوبر ١٧٨٤ م) :

أرسل مراد بيك الى الباشا وأمره بالنزول ، فأنزلوه الى قصر العينى معزولا ، وتولى مراد بيك قائم مقام ، وعلق الستور على بابه — فكانت ولاية هذا الباشا أحد عشر شهرا ، سوى الخمسة الأشهر التى أقامها بثغر اسكندرية . وكانت أيامه كلها شدائد ومحنا وغلاء .

فى اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٨٤ م) :

شرع مراد بيك فى اجراء الصلح بينه وبين ابراهيم بيك . فأرسل له سليمان بيك الأغا ، والشيخ أحمد الدردير ، ومرزوق بيك ولده ... فتهيأوا وسافروا فى ثامن عشرينه (١٢ نوفمبر ١٧٨٤ م) .

***

وانقضت هذه السنة — كالتى قبلها — فى الشدة والغلاء ، وقصور النيل ، والفتن المستمرة ، وتواتر المصادرات والمظالم من الأمراء ، وانتشار أتباعهم فى النواحى لجبى الأموال من القرى والبلدان ، واحداث أنواع « المظالم » (ويسمونها مال الجهات) ، ودفع المظالم والفردة ... حتى أهلكوا الفلاحين ، وضاق ذرعهم ، واشتد كربهم ، وطفشوا من بلادهم ...

فحولوا الطلب على الملتزمين ، وبعثوا اليهم المعينين فى بيوتهم ، فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك ... مع ماهم فيه من المصادرات الخارجة عن ذلك ، وتتبع من يشم فيه رائحة الغنى فيؤخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف مايقدر عليه .

وتوالى طلب السلف من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة . ولما تحقق التجار عدم الرد استعوضوا خساراتهم من زيادة الأسعار !

ثم مدوا أيديهم الى المواريث ... فاذا مات الميت أحاطوا بموجوده ، سواء كان له وارث أو لا ؟

وصار « بيت المال » من جملة المناصب التى يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه فى كل شهر ! ...ولا يعارض فيما يفعل فى الجزئيات وأما الكليات فيختص بها الأمير ... فحل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلاء الا من تداركه الله

برحمته ، أو اختلس شيئا من حقه ، فان اشتهروا عليه عوقب على استخراجه ...

وفسدت النيات ، وتغيرت القلوب ، ونفرت الطباع ، وكثر الحسد والحقد فى الناس لبعضهم البعض ... ليتتبع الشخص عورات أخيه ، ويدلى به الى الظالم ... حتى خرب الاقليم ، وانقطعت الطرق ، وعربدت أولاد الحرام ، وفقد الأمن ، ومنعت السبل الا بالخفارة وركوب الغرر .

وجلا الفلاحون من بلادهم من الشراقى والظلم ، وانتشروا فى المدينة بنسائهم وأولادهم يصيحون من الجوع ، ويأكلون مايتساقط فى الطرقات من قشور البطيخ وغيره ... فلا يجد الزبال شيئا يكنسه من ذلك ...

واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال . فاذا خرج حمار ميت تزاحموا عليه وقطعوه وأخذوه ، ومنهم من يأكله نيئا من شدة الجوع !

ومات الكثير من الفقراء بالجوع ... هذا والغلاء مستمر ، والأسعار فى الشدة ، وعز الدرهم والدينار من أيدى الناس ، وقل التعامل الا فيما يؤكل ... وصار سمر الناس وحديثهم فى المجالس ذكر المآكل والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير !

ولولا لطف الله تعالى ، ومجيء الغلال من نواحى الشام والروم ، لهلكت أهل مصر من الجوع !

وبلغ الأردب من القمح ألفا وثلاثمائة نصف فضة ، والفول والشعير قريبا من ذلك . وأما بقية الحبوب والأبزار فقل أن توجد .

واستمر ساحل الغلة خاليا من الغلال بطول السنة ، والشون كذلك مقفولة ، وأرزاق الناس وعلائفهم مقطوعة . وضاع الناس بين صلحهم وغبنهم ، وخروج طائفة ورجوع الأخرى . ومن خرج الى جهة قبض أموالها وغلالها . واذا سئل المستقر فى شيء تعلل بما ذكر . ومحصل هذه الأفاعيل — بحسب الظن الغالب — أنها حيل على سلب الأموال والبلاد ، وفخاخ ينصبونها ليصيدوا بها اسماعيل بيك !

وفى أواخره أيضا وصلت مكاتبة من الديار الحجازية عن الشريف سرور ووكلاء التجار — خطابا للأمراء والعلماء — بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتجر ، وحضور المراكب مغبرة بالأتربة ... والشكوى من زيادة المكوسات عن الحد .

فلما حضرت قرىء بعضها وتغوفل عنها ، وبقى الأمر على ذلك ...

* * *

وممن مات فى هذه السنة السيد الفاضل على بن عمر بن محمد بن على ... ويتصل نسبه — فى الجد الخامس عشر — بالقطب سيدى عبد الرحيم القناوى الشريف الحسينى .

ولد بقنا ، وقدم مصر ، وتلقن الطريقة عن الأستاذ الحفنى ثم حبب اليه السياحة ، فورد الحرمين ، وركب من جدة الى سورت ، ومنها الى البصرة وبغداد ، وزار من بهما من المشاهد الكرام ، ثم دخل المشهد فزار أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم دخل خراسان ، ومنها الى غزنين وكابل وقندهار ، واجتمع بالسلطان أحمد شاه فأكرمه وأجزل له العطاء ، ثم عاد الى الحرمين ، وركب من هناك الى بحر سيلان ، فوصل الى بنارس واجتمع بسلطانها ، وذهب الى بلاد جاوة ، ثم رجع الى الحرمين ، ثم سار الى اليمن ، ودخل صنعاء واجتمع بامامها ، ودخل زبيد واجتمع بمشايخها وأخذ عنهم واستأنسوا به ، وصار يعقد لهم حلق الذكر على طريقته وأكرموه ثم عاد الى الحرمين ، ثم الى مصر وذلك سنة

اثنتين وثمانين . وكانت مدة غيبته نحـو عشرين سـنة !

ثم توجه فى آخـر هذه السنة الى الصعيد ، واجتمع بشيخ العرب همام — رحمه الله تعالى — وأكرمه اكراما زائدا .

ودخل قنا ، فزار جده ، ووصل رحمه . ومكث هناك شهورا ثم رجع الى مصر ، وتوجه الى الحرمين من القلزم ، وسافر الى اليمن ، وطلع الى صنعاء ، ثم عاد الى كوكبان — وكان امامها اذ ذاك العلامة السيد ابراهيم بن أحمد الحسينى .

وانتظم حـاله ، وراج أمره ، وشـاع ذكره ، وتلقن منه الطريقة جماعة من أهل زبيد .

واستمال بحسن مذاكرته ومداراته طائفـة من الزيدية ببلدة تسـمى « زمرمر » — وهى بلدة باليمن بالجبال . وهم لا يعرفون الذكر ولا يقولون بطرق الصوفية ... فلم يزل بهم حتى أحبوه ، وأقام حلقة الذكر عندهم وأكرموه .

ثم رجع من هناك الى جدة ، وركب من القلزم الى السويس ، ووصل مصر سنة أربع وتسعين . فنزل بالجمالية ، فذهبت اليه بصحبة شيخنا السيد مرتضى ، وسلمنا عليه .

وكنت أسمع به ولم أره قبل ذلك اليوم ، فرأيت منه كمال المودة ، وحسن المعاشرة ، وتمام المروءة ، وطيب المفاكهة .

وسمعت منه أخبار رحلته الأخـيرة . وترددنا عليـه وتردد علينـا كثيرا . وكان ينزل فى بعض الأحيان الى بولاق ، ويقيم أياما بزاوية على بيك بصحبة العلامة الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ بدوى الهيتمى .

وحضر الى منزلى ببولاق مرارا — باستدعاء وبدون استدعاء .

ثم تزوج بمصر . وأتى اليه ولده السيد مصطفى من البلاد زائرا .

وما زال على حاله فى عبادة وحسن توجه الى الله ، مع طيب معاشرة ، وملازمة الأذكار ، صحبة العلماء الأخيار ، حتى تمرض بعلة الاستسقاء مدة وتوفى ليلة الثلاثاء غرة جمادى الأولى من السنة . وصلى عليـه بالأزهر ، ودفن بالقرافة بين يـدى شيخه الحفنى .

وكان ابنه غائبا فحضر بعد مدة من موته ، فلم يحصل من ميراثه الا شيئا نزرا .. وذهب ما جمعه فى سفراته حيث ذهب ...

***

ومات الوجيه النبيـل ، والجليل الأصـيل ، السيد حسين باشجاوش الأشراف ، ابن ابراهيم كتخدا تفكجيان ، ابن مصطفى افندى الخطاط .

كان انسـانا حسنا جامعـا للفضائل واللطف والمزايا . واقتنى كتبا كثيرة فى الفنون — وخصوصا فى التاريخ .

وكان مألوف الطباع ، ودودا ، شريف النفس ، مهذب الأخلاق ... فلم يخلف بعده مثله رحمه الله تعـالى .

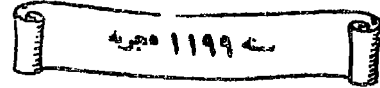
***

ومات الأمير الجليل ابراهيم كتخدا البركاوى . وأصله مملوك يوسف كتخدا عزبان البركاوى .

نشأ فى سـيادة سيده ، وتـولى فى مناصب وجاقهم ، وقرأ القرآن فى صغره ، وجود الخط ، وحبب اليه العلم وأهله .

ولما مات سيده كان هو المتعين فى رآسة بيتهم دون خشداشينه — لرآسته وشـهامته — ففتح بيت سيده ، وانضم اليـه خشداشينه وأتبـاعه ، واشترى المماليك ودربهـم فى الآداب والقـراءة وتجويد الخط .

وأدرك محاسن الزمن الماضى . وكان بيته مأوى الفضلاء وأهل المعارف والمزايا والخطاطين . واقتنى كتبا كثيرة جدا فى كل فن وعلم ، حتى ان الكتاب المعدوم اذا احتيج اليه لايوجد الا عنده ... ويعير للناس ما يرومونه من الكتب للانتفاع فى المطالعة والنقل — رحمه الله تعالى .


سنه ١١٩٩ هجريه

المحرم

استهل العام بيوم الاثنين المبارك ، وأرخه أديب العصر الشيخ قاسم بقوله :

يا أهــل مصر اســتبشروا
فالله فــرج كــل هــم

وأتى الرخـــــاء مؤرخا :

عم	الله	بفضل	عــام
١١٠	٦٦	٩١٢	١١١

= ١١٩٩

فكان الفــأل بالمنطق ، وأخــذت الأشــياء فى الانحلال قليلا .

فى ٧ منه (٢٠ نوفمبر ١٧٨٤ م) :

جاءت الأخبار بأن الجماعة المتوجهين لابراهيم بيك فى شــأن الصلح — وهم : الشيخ الدردير وسليمان بيك الأغا ومرزوق جلبى — اجتمعــوا بابراهيم بيك ، فتكلموا معه فى شأن ذلك . فأجاب بشروط منها أن يكون هو على عادته ، أمير البلد ، وعلى أغا كتخــدا الجاويشية فى منصبه . فلمــا وصل الرسول بالمكاتبة ، جمع مراد بيك الأمراء وعرفهم ذلك ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وكتبوا جواب الرسالة وأرسلوها صحبة الذى حضر بها .

فى ١٩ منه (٢٦ نوفمبر ١٧٨٤ م) :

سافر أيضا أحــمد بيك الكلارجى وسليم أغا أمين البحرين .

فى ٢٠ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

وصلت الأخبار بأن ابراهيم بيك نقض الصلح الذى حصل ، وقيل ان صلحه كان مداهنة لأغراض لا تتم له بدون ذلك . فلما تمت احتج بأشياء أخر ، ونقض ذلك .

صــفر

فى ٦ منه (١٩ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

حضر الشيخ الدردير وأخبر بمــا ذكر ، وأن سليمان بيك وسليم أغا استمروا معه .

فى منتصفه (٢٨ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

وصل الحجاج مع أمير الحج مصطفى بيك . وحصل للحجاج فى هــذه السنة مشقة عظيمة من الغــلاء وقيــام العربان بسبب عوائدهم القديمة والجديدة . ولم يزوروا المدينة المنورة — علــى صاحبها أفضل الصلاة وأزكى الســلام — لمنع السبل ، وهلك عالم كثير من الناس والبهائم من الجوع ، وانقطع منهم جانب عظيم ، ومنهــم من نزل فى المراكب الى القلزم وحضر من السويس الى القصير ، ولم يبق الا أمير الحج وأتباعه ووقفت العربان لحجاج المغاربة فى سطح العقبة ، وحصروهم هناك ، ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم ، ولم ينج منهم الا نحو عشرة أنفار .

وفى أثناء نزول الحج وخروج الأمــراء لملاقاة أمير الحج ، هرب ابراهيم بيك الوالى — وهــو أخــو سليمان بيك الأغا — وذهب الى أخيــه بالمنية ، وذهب صحبته من كان بمصر من أتبــاع أخيه . وسكن الحال أياما .

وفى اواخره (يناير ١٧٨٥ م) :

سافر أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير بسبب تجديد الصلح . فلما وصلوا الى بنى سويف، حضر اليهم سليمان بيك الأغا وعثمان بيك الأشقر باستدعاء منهم ثم أجاب ابراهيم بيك الى الصلح ، ورجعوا جميعا الى المنية .

ربيع الأول

فى اوائله (يناير ١٧٨٥ م) :

حضر حسن أغا بيت المال بمكاتبات بذلك . وفى أثر ذلك حضر أيوب بيك الصغير وعثمان بيك الأشقر ، فقابلا مراد بيك ، وقدم مراد بيك لعثمان بيك تقادم . ثم رجع أيوب بيك الى المنية ثانية .

ربيع الآخر

فى ٤ منه (١٤ فبراير ١٧٨٥ م) :

وصل ابراهيم بيك الكبير — ومن معه من الأمراء — الى معادى الخبيرى بالبر الغربى . فعدى اليه مراد بيك وباقى الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، وسلموا عليه ، ورجعوا الى مصر ، وعدى فى اثرهم ابراهيم بيك .

فى ٥ منه (١٥ فبراير ١٧٨٥ م) :

حضر ابراهيم بيك الى مصر ، ودخل الى بيته ، وحضر اليه فى عصريتها مراد بيك فى بيته ، وجلس معه حصة طويلة .

فى ١٠ منه (٢٠ فبراير ١٧٨٥ م) :

عمل الديوان ، وحضرت لابراهيم بيك الخلع من الباشا فلبسها بحضرة مراد بيك والأمراء والمشايخ وعند ذلك قام مراد بيك وقبل يده وكذلك بقية الأمراء ، وتقلد على أغا كتخدا الجاويشية كما كان ، وتقلد على أغا أغات مستحفظان كما كان . فاغتاظ لذلك قائد أغا الذى كان ولاه مراد بيك ، وحصل له قلق عظيم ، وصار يترامى على الأمراء ويقع عليهم فى رجوع منصبه ، وصار يقول : ان لم يردوا الى منصبى والا قتلت على أغا . وصمم ابراهيم بيك على عدم عزل على أغا ، واستوحش على أغا وخاف على نفسه من قائد أغا . ثم ان ابراهيم بيك قال : ان عزل على أغا لا يتولاها قائد أغا أبدا . ثم انهم لبسوا سليم أغا أمين البحرين ، وقطع منها أمل قائد أغا ، وما وسعه الا السكوت .

جمادى الآخرة

فى اوائله (ابريل ١٧٨٥ م) :

طلب عثمان بيك الشرقاوى ولاية جرجا فلم يرض ابراهيم بيك وقال له : « نحن نعطيك كذا من المال واترك ذلك ، فان البلاد خراب وأهلها ماتوا من الجوع » .

منتصفه (٢٥ ابريل ١٧٨٥ م) :

خرج عثمان بيك المذكور ، بمماليكه وأجناده ، مسافرا الى الصعيد بنفسه ، ولم يسمع لقولهم ، ولم يلبس تقليدا لذلك على العادة ... فأرسلوا له جماعة ليردوه فأبى من الرجوع .

الخميس ١٨ منه (٢٨ ابريل ١٧٨٥ م) :

مات على بيك أباظة الابراهيمى فانزعج عليه ابراهيم بيك ، وكان الأمراء خرجوا بأجمعهم الى ناحية قصر العينى ومصر القديمة خوفا من ذلك . فلما مات على بيك وكثير من مماليكهم ، داخلهم الرعب ورجعوا الى بيوتهم .

الاحد ٢١ منه (١ مايو ١٧٨٥ م) :

طلعوا الى القلعة ، وخلعوا على لاجين بيك

وجعلوه حاكم جرجا ، ورجع ابراهيم بيك الى بيته أيضا ، وكان اذ ذاك قائمقام .

وفيه : كثر الموت بالطاعون وكذلك الحميات ، ونسى الناس أمر الغلاء . وفيه مات سليمان بيك أبو نبوت بالطاعون . وفى منتصف رجب خف أمر الطاعون .

شعبان

منتصفه (٢٣ يونيه ١٧٨٥ م) :

ورد الخبر بوصول باشا مصر الجديد الى ثغر اسكندرية ، وكذلك باشا جدة .

ووقع قبل ورودهما بأيام فتنة الاسكندرية بين أهل البلد وأغات القلعة والسردار بسبب قتيل من أهل البلد قتله بعض أتباع السردار ، فثار العامة وقبضوا على السردار وهانوه وجرسوه على حمار ، وحلقوا نصف لحيته ، وطافوا به البلد وهو مكشوف الرأس وهم يضربونه ويصفعونه بالنعالات .

وفيه : وقعت فتنة بين عربان البحيرة . وحضر منهم جماعة الى ابراهيم بيك وطلبوا منه الاعانة على أخصامهم فكلم مراد بيك فى ذلك ، فركب مراد بيك وأخذهم صحبته ونزل الى البحيرة فتواطأ معه الأخصام وأرشوه سرا ، فركب ليلا وهجم على المستعينين به وهم فى غفلة مطمئنون ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، ونهب مواشيهم وابلهم وأغنامهم ، ثم رجع الى مصر بالغنائم .

غايته (٧ يولية ١٧٨٥ م) :

حضر باشا جدة الى ساحل بولاق ، فركب على أغا كتخدا الجاويشية وأرباب العكاكيز وقابلوه وركبوا صحبته الى العادلية ليسافر الى السويس .

رمضان

غرته (٨ يوليو ١٧٨٥ م) :

ثار فقراء المجاورين والقاطنين بالأزهر ، وقفلوا أبواب الجامع ، ومنعوا منه الصلوات — وكان ذلك يوم الجمعة فلم يصل فيه ذلك اليوم .

وكذا أغلقوا مدرسة محمد بيك المجاورة له ، ومسجد المشهد الحسينى ، وخرج العميان والمجاورون يرمحون بالأسواق ويخطفون مايجدونه من الخبز وغيره . وتبعهم فى ذلك الجعيدية وأراذل السوقة . وسبب ذلك قطع رواتبهم وأخبازهم المعتادة .

واستمروا على ذلك الى بعد العشاء . فحضر سليم أغا أغات مستحفظان الى مدرسة الأشرفية ، وأرسل الى مشايخ الأروقة والمشار اليهم فى السفاهة ، وتكلم معهم ووعدهم ، والتزم لهم باجراء رواتبهم ، فقبلوا منه ذلك وفتحوا المساجد .

شوال

الاحد ٨ منه (١٤ اغسطس ١٧٨٥ م) الموافق ٩ مسرى :

كان وفاء النيل ، وكانت زيادته كلها فى هذه التسعة أيام فقط ، ولم يزد قبل ذلك شيئا ، واستمر بطول شهر أبيب وماؤه أخضر ، فلما كان أول شهر مسرى زاد فى ليلة واحدة أكثر من ثلاثة أذرع . واستمرت دفعات الزيادة حتى أوفى أذرع الوفاء يوم التاسع .

وفيه : وقع جسر بحر أبى المنجا بالقليوبية ، فعينوا له أميرا فأخذ معه جملة أخشاب ونزل وصحبته ابن أبى الشوارب شيخ قليوب ، وجمعوا الفلاحين ودقوا له أوتادا عظيمة ، وغرقوا به نحو خمسة مراكب ، واستمروا فى معالجة سده مدة أيام فلم ينجع من ذلك شىء . وكذلك وقع ببحر مويس .

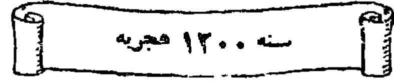
٢٢ منه (٢٨ اغسطس ١٧٨٥ م) :

خرج أمير الحج مصطفى بيك بالمحمل والحجاج .

ذو القعدة

١٨ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٥ م) :

سافر كتخدا الجاويشية وصحبته أرباب الخدم الى الاسكندرية لملاقاة الباشا . والله تعالى أعلم .


سنه ١٢٠٠ هجريه

المحرم

الجمعة أوله (٤ نوفمبر ١٧٨٥) :

فى ذلك اليوم وصل الباشا الجديد الى بر انبابة — واسمه محمد باشا يكن — فبات هناك ليلة الجمعة .

وفى الصباح ذهب اليه الأمراء وسلموا عليه على العادة ، وعدوا به الى قصر العينى فجلس هناك الى يوم الاثنين .

الاثنين ٤ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٥ م) :

ركب الباشا بالموكب ، وشق من الصليبة ، وطلع الى القلعة ، واستبشر الناس بقدومه .

صفر

الخميس ١٢ منه (١٥ ديسمبر ١٧٨٥) :

حضر مبشر الحج بمكاتيب العقبة ، وأخبر أن الحجاج لم يزوروا المدينة أيضا فى هذه السنة مثل العام الماضى بسبب طمع أمير الحج فى عدم دفع العوائد للعربان وصرة المدينة ، وأن أحمد باشا أمير الحج الشامى أكد عليه فى الذهاب وأنعم عليه بجملة من المال والعليق والذخيرة ، فاعتل بأن الأمراء بمصر لم يوفوا له العوائد ولا الصرة فى العام الماضى وهذا العام . واستمر على امتناعه .

وحضر الشريف سرور ، شريف مكة ، وكلمه بحضرة أحمد باشا وقال : « اذا كان كذلك فنكتب عرض محضر ونخبر السلطان بتقصير الأمراء ، وتضع عليه خطك وختمك ... وللسلطان النظر بعد ذلك » . فأجاب الى ذلك ، ووضع خطه وختمه ، وسار متوجها الى الديار المصرية . ووقع الضجيج والعويل فى الحجاج لعدم زيارتهم المدينة . فلما وصل الجاويش بهذه الأخبار اغتم الناس ، وأظهر ابراهيم بيك الغيظ على أمير الحج ، وحلف لا يخرج الى ملاقاته وأرسل الى مراد بيك — وكان بالقصر جهة العادلية — فأحضره وقال له كذلك ، ثم اختلوا مع بعضهم فى العشية وتحدثوا بالنجوى بينهم ، وحضر اليهم الجاويش فى صبحها فخلعوا عليه كالعادة ، ورجع بالملاقاة ، وخرج الأمراء فى ثانى يوم الى خارج بأجمعهم ونصبوا خيامهم

الاثنين ١٦ منه (١٩ ديسمبر ١٧٨٥) :

وصل الحجاج ودخلوا الى مصر ، ونزل أمير الحج بالخنلاطبة بباب النصر ، ولم ينزل بالحصوة أولا على العادة .

الثلاثاء ١٧ منه (٢٠ ديسمبر ١٧٨٥) :

دخل أمير الحج بالمحمل بموكب دون المعتاد ، وسلم المحمل الى الباشا .

الاربعاء ١٨ منه (٢١ ديسمبر ١٧٨٥ م) :

اجتمع الأمراء ببيت ابراهيم بيك ، وأحضروا مصطفى بيك أمير الحج ، وتشاجر معه ابراهيم بيك ومراد بيك بسبب هذه الفعلة وكتابة العرضحال ، وادعوا عليه أنه تسلم جميع اللوازم ، وطلبوا منه حساب ذلك ، وقالوا له : « فضحتنا فى مصر وفى الحجاز وفى الشام وفى الروم وجميع الدنيا » . واستمروا على ذلك الى قرب المساء .

ثم ان مراد بيك أخذ أمير الحج الى بيتـه فبات عنده .

وفى صبحها حضر ابراهيم بيك عند مراد بيك ، وأخذ أمير الحج الى بيته ووضعه فى مكان محجورا عليه ، وأمر الكتاب بحسابه فحسابوه فاستقر فى طرفه مائة ألف ريال وثلاثة آلاف ، وذلك خلاف ما على طرفه من الميرى .

الجمعة ٢٠ منه (٢٣ ديسمبر ١٧٨٥) :

طلع ابراهيم بيك الى القلعة وأخبر الباشا بما حصل ، وأنه حبسه حتى يوفى ما استقر بذمته ، فاستمر أياما وصالح وذهب الى بيته مكرما .

وفى ذلك اليوم — بعد صلاة الجمعة — ضج مجاورو الأزهر بسبب أخبازهم ، وقفلوا أبـواب الجامع ، فحضر اليهم سليم اغا والتزم لهم باجراء رواتبهم بكرة تاريخه ، فسـكنوا وفتحوا الجامع وانتظروا ثانى يوم فلم نأتهم شىء فأغلقوه ثانيـا وصعدوا على المنارات يصيحون ، فحضر سليم أغا بعد العصر ونجز لهم بعض المطلوبات وأجرى لهم الجراية أياما ثم انقطع ذلك . وتكرر الغلق والفتح مرارا .

وفى ليلة خروج الأمراء الى ملاقاة الحجاج ، ركب مصطفى بيك الاسـكندرى وأحمـد بيك الكلارجى وذهبا الى جهة الصعيد ، والتفوا على عثمان بيك الشرقاوى ولاجين بيـك ، وتقاسموا الجهات والبلاد ، وأفحشوا فى ظلم العباد .

ربيع الأول

منتصفه (١٦ يناير ١٧٨٦ م) :

شرع مراد بيك فى السفر الى جهة بحرى بقصد القبض على رسلان والنجار قطاع الطريق ، فسافر . وسمع بحضوره المذكوران فهربا فأحضر ابن حبيب وابن حمـد وابن فودة وألزمهم باحضـارهما فاعتذروا اليه ، فحبسهم ثم أطلقهم على مال ... وذلك بيت القصيد ! وأخذ منهم رهائن ثم سار الى طملوها وطالب أهلها برسلان ، وقال لهم انه يأوى عندكم ، ثم نهب القرية وسلب أموال أهلها وسبى نساءهم وأولادهم ، ثم أمر بهدمها وحرقها عن آخرها . ولم يزل ناصبا وطاقه عليها حتى أتى على آخرها هدما وحرقا وجرفوا بالجراريف حتى محوا أثرها وسووها بالأرض ، وفرق كشافه فى مدة اقامته عليها فى البلاد والجهات لجبى الأموال ، وقرر على القرى ما سولته له نفسه ، ومنـع من الشفاعة وبث المعينين لطلب الـكلف الخارجة عن المعقول ، فاذا استوفوها طلبوا حق طرقهم ، فاذا استوفوها طلبوا المقرر ... وكل ذلك طلبا حثيثا والا أحرقوا البلدة ونهبوها عن آخرها .

ولم يزل فى سيره على هذا النسق حتى وصل الى رشيد ، فقرر على أهلها جملة كبيرة من المـال وعلى التجار وبياعين الأرز ، فهرب غالب أهلها . وعين على الاسكندرية صالح أغا كتخدا الجاويشية سابقا ، وقرر له حق طريقه خمسـة آلاف ريال . وطلب من أهل البلد مائة ألف ريال . وأمر بهـدم الكنائس . فلما وصـل الى الاسـكندرية هرب تجارها الى المراكب وكذلك غالب النصارى ، فلم يجد الا قنصل الموسقو فقال : « أنا أدفع لـكم المطلوب بشرط أن يكون بموجب فرمان من الباشا أحاسب به سلطانكم ».فانكف عن ذلك ، وصالحوه على كراء طريقه ، ورجع ، وارتحل مراد بيك من رشيد . ولما وصل الى جميجون هدمها عن آخرها ، وهدم أيضا كفر دسوق ، واستمر — هو ومن معه — يعبثون بالأقاليم والبلاد حتى أخربوها وأتلفوا الزروعات ! !

غرته (٢ مارس ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بقدومه الى زنكلون ، ثم ثنى عنانه وعرج على جهة الشرق يفعل بها فعله بالمنوفية والغربية . وأما صناجقه الذين تركهم بمصر فانهم تسلطوا على مصادرات الناس فى أموالهم — وخصوصا حسين بيك المعروف بشفت (بمعنى يهودى) — فانه تسلط على هجم البيوت ونهبها بأدنى شبهة .

وفى عصر هذا اليوم :ركب حسين بيك المذكور بجنوده وذهب الى الحسينية وهجم على دار شخص يسمى أحمد سالم الجزار متولى رياسة دراويش الشيخ البيومى ، ونهبه — حتى مصاغ النساء والفراش — ورجع ... والناس تنظر اليه !

وكذلك أرسل جماعة من سراجينه بطلب الخواجا محمود بن حسن محرم ، فلاطفهم وأرضاهم بدراهم ، وركب الى ابراهيم بيك فأرسل له كتخداه وكتخدا الجاويشية فتلطفوا به وأخذوا خاطره وصرفوه عنه ، وعبى له الخواجا هدية بعد ذلك وقدمها اليه .

الجمعة ٢ منه (٣ مارس ١٧٨٦ م) :

فى الصباح ثارت جماعة من أهالى الحسينية بسبب ماحصل فى أمس من حسين بيك ، وحضروا الى الجامع الأزهر ومعهم طبول ، والتف عليهم جماعة كثيرة من أوباش العامة والجعيدية وبأيديهم نبابيت ومساوق وذهبوا الى الشيخ الدردير فوسهم وساعدهم بالكلام ، وقال لهم : « أنا معكم» . فخرجوا من نواحى الجامع وقفلوا أبوابه وصعد منهم طائفة الى أعلى المنارات يصيحون ويضربون بالطبول ، وانتشروا بالأسواق فى حالة منكرة وأغلقوا الحوانيت. وقال لهم الشيخ الدردير :

« فى غد نجمع أهالى الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم ، وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم » .

فلما كان بعد المغرب حضر سليم أغا مستحفظان ومحمد كتخدا أرنؤود الجلفى كتخدا ابراهيم بيك وجلسوا فى الغورية ، ثم ذهبوا الى الشيخ الدردير وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال ، وقالوا للشيخ : « اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ونأتى بها من محل ما تكون » .

واتفقوا على ذلك وقرأوا الفاتحة وانصرفوا وركب الشيخ فى صبحها الى ابراهيم بيك وأرسل الى حسين بيك فأحضره بالمجلس وكلمه فى ذلك ، فقال فى الجواب : « كلنا نهابون ! وأنت تنهب ، ومراد بيك ينهب ، وأنا أنهب كذلك ! وانفض المجلس وبردت القضية ! !

وفى عقبها بأيام قليلة : حضر من ناحية قبلى سفينة وبها تمر وسمن وخلافه ، فأرسل سليم بيك الأغا وأخذ ما فيها جميعه وادعى أن له عند أولاد وافى مالا منكسرا . ولم يكن ذلك لأولاد وافى وانما هو لجماعة تتسببون فيه من مجاورى الصعايدة وغيرهم ، فتعصب مجاورو الصعايدة وأبطلوا دروس المدرسين ، وركب الشيخ الدردير والشيخ العروسى والشيخ محمد المصيلحى وآخرون وذهبوا الى بيت ابراهيم بيك وتكلموا معه بحضرة سليمان بيك كلاما كثيرا مفحما ، فاحتج سليم بيك بأن ذلك متاع أولاد وافى وأنا أخذته بقية من أصل مالى عندهم . فقالوا : « هذا لم يكن لهم ، وانما هو لأربابه ، وهم ناس فقراء . فان كان لك عند أولاد وافى شيء فخذه منهم » . فرد بعضه وذهب بعضه !

١٠ منه (١١ مارس ١٧٨٦ م) :

قدم مراد بيك من ناحيـة الشرق . ودخل فى ليلتها من المنهوبات من الجمال والأغنام والأبقار والجواميس وغير ذلك شيء كثير يجل عن الحصر !

وفيه : سافر أيوب بيك الى ناحية قبلى لمصالحة الأمراء الغضاب وهم : مصطفى بيك ، وأحمد بيك الـكلارجى ، وعثمان بيك الشرقاوى ، ولاجين بيك ... لأنهم بلغوا قصدهم من البـلاد وظلم العباد !

جمـادى الآخرة

منتصفه (١٥ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر عثمان بيك الشرقاوى من ناحية قبلى .

وفيه : أنعم مراد بيك على بعض كشافه بفردة دراهم على بلاد المنوفية ... كل بلد مائة وخمسون ريالا . .

وفيه : اجتمع الناس بطندتا لعمل مولد سيدى أحمد البدوى المعتاد المعروف بمولد الشرنبابليه . وحضر كاشف الغربية والمنوفية على جارى العادة ، وكاشف الغربيـة من طرف ابراهيـم بيك الوالى المولى أمير الحج ، فحصل منه عسف ، وجعل على كل جمل يباع فى سوق المولد نصف ريال فرانسة. فأغار أعوان الكاشف على بعض الأشراف وأخذوا جمالهم ... وكان ذلك فى آخر أيام المولد . فذهبوا الى الشيخ الدردير — وكان هناك بقصد الزيارة — وشكوا اليه ماحل بهم ، فأمر الشـيخ بعض أتباعه بالذهاب اليه ، فامتنع الجماعة من مخاطبة ذلك الكاشف ، فركب الشيخ بنفسه وتبعه جماعة كثيرة من العامة .

فلما وصـل الى خيمة كتخدا الكاشف دعاه فحضر اليه — والشيخ راكب على بغلته — فكلمه ووبخه وقال له « أنتم ماتخافوا من الله ! » .

ففى أثناء كلام الشيخ لكتخدا الكاشف هجم على الكتخدا رجل من عامة الناس وضربه بنبوت. فلما عاين خدامه ضرب سيدهم هجموا على العامة بنبابيتهم وعصيهم وقبضوا عـلى السيد أحمـد الصافى تابع الشيخ وضربوه عدة نبابيت ، وهاجت الناس على بعضهم . ووقع النهب فى الخيم وفى البلد ، ونهبت عدة دكاكين ، وأسرع الشـيخ فى الرجوع الى محله ، وراق الحال بعد ذلك (١) .

وركب كاشف المنوفيـة — وهو من جماعة ابراهيم بيك الكبير — وحضر الى كاشف الغربية ، وأخذه وحضر به الى الشيخ ، وأخذوا بخاطره ، وصالحوه ونادوا بالأمان .

وانفض المولد ورجع النـاس الى أوطانهم ، وكذلك الشيخ الدردير . فلما استقر بمنزله حضر اليه ابراهيم بيك الوالى وأخذ بخاطره أيضـا ، وكذلك ابراهيم بيك الكبير وكتخدا الجاويشية .

فى ١٧ منه (١٧ ابريل ١٧٨٦ م) :

ركب حسين بيك الشفت وقت القائلة وحضر الى بيت صغير بسوق المـاطيين وصحبته امرأة ، فصعد اليه ، ونقب فى حائط ، وأخرج منه برمـة مملوءة ذهبا ... فأخذها وذهب .

وخبر ذلك أن هذا البيت كان لرجل زيات فى السنين الخالية ، فاجتمعت لديه هـذه الدنانير ، فوضعها فى برمة من الفخار وأفرج لها نقبا فى كتف الحائط ووضعها فيه ، وبنى عليها وسواها بالجبس . وكانت هذه المرأة ابنة صغيرة تنظر اليه . ومات ذلك الرجل ، وبيعت الدار بعد مدة ووقفها الذى اشتراها .

وتداولت الأعوام ، وآل البيت الى وقف المشهد الحسينى ، وسكنه النـاس بالأجرة ، ومضى على

(١) من الجلى ان الشعب كان مليء الصدر بالحفيظة والحنق والغضب على هذا الفساد . وواضح انه كان يحاول – بين الحين والحين – الانتقاض على ذلك الحكم الجائر . ولكن هبوط مستوى الوعى العام ، وعـدم وجود زعامة تلتف حول رايتهـا فـكرة الجماعة ... كانا سببا فى انطفاء الثورات فور اشتعالها .

ذلك نحو الأربعين عاما وتلك المرأة تتخيل ذلك فى ذهنها وتكتمه ولا يمكنها الوصول الى ذلك المكان بنفسها . وقلت ذات يدها واحتاجت ، فذهبت الى حريم حسين بيك المذكور وعرفتهن القضية . وأخبر الأمير بذلك فقال : « لعل بعض الساكنين أخذها » . فقالت : « لايعرفها أحد غيرى » . فأرسل الى ساكن الدار وأحضره وقال له : « أخل دارك فى غد وانتظرنى ولا تفزع من شىء » . ففعل الرجل ، وحضر الصنجق وصحبته المرأة ، فأرته الموضع فنقبوه وأخرجوا منه تلك البرمة ، وأعطى صاحب المكان « احسانا » ، وركب وصاحب المكان يتعجب !

وركب أيضا قبل ذلك وذهب الى بيت رجل يقال له الشيخ عبد الباقى أبو قلبطة لبلا ، وأخذ منه صندوقا مودعا عنده أمانة لنصر بن شديد البدوى شيخ عرب الحويطات يقال ان فيه شيئا كثيرا من الذهب العين وغيره

وهجم أيضا على بيت بالقرب من المشهد الحسينى فى وقت القائلة ، وكان ذلك البيت مقفولا وصاحبه غائب ، فخلع الباب وطلع اليه وأخذ منه عشرة أكياس مملوءة ذهبا وخرج وأغلق الباب كما كان : وركب هو ومماليكه والأكياس فى أحضانهم على قرابيس سروج الخيل ، وهو بجملتهم يحمل كيسا أمامه والناس تنظرهم !

فى ٢٠ منه (٢٠ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر أيوب بيك ولاجين بيك وأحمد بيك من ناحية قبلى ، ودخلوا بيوتهم بالمنهوبات والمواشى . وتأخر مصطفى بيك .

٢٧ منه (٢٧ ابريل ١٧٨٦ م) :

هبت رياح عاصفة جنوبية نسفت رمالا وأتربة مع غيم مطبق ، وأظلم منها الجو ، واستمرت من الظهر الى الغروب .

٢٩ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر مصطفى بيك أيضا .

وفى هذا الشهر نقب الشطار حاصلا فى وكالة المسايرة التى بباب الشعرية ، وكان بظهر الحاصل المذكور قهوة متخربة ، فتسلق اليها بعض الحرامية ، ونقبوا الحاصل ، وأخذوا منه صندوقا فى داخله اثنا عشر ألف بندقى ، عنها ثلاثون ألف ريال فى ذلك الوقت . وفيه من غير جنس البندقى أيضا ذهب ودراهم وثياب حرير وطرح النساء المحلاوى التى يقال لها « الحبر » .

وبعد أيام قبضوا على رجلين ، أحدهما فطاطرى والآخر مخللاتى — بتعريف الخفراء ، بعد حبسهم ومعاقبتهم — فأخذوا منهما شيئا واستمرا محبوسين .

رجب

غرته (٣٠ ابريل ١٧٨٦ م) :

عزم مراد بيك على التوجه الى سد خليج منوف المعروف بالفرعونية ، وكان منذ سنين لم يحبس ، واندفع اليه الشرقى حتى تهور وشرق بسببه بحر دمياط وتعطلت مزارع الأرز .

وفيه : وصلت الأخبار من ثغر الاسكندرية بأنه ورد اليها مركب البيليك ، وذلك على خلاف العادة . ثم حضر عقبه أيضا قليون آخر فيه أحمد باشا والى جدة ، ثم تعقبهما آخر وفيه غلال كثيرة . نقلوها الى الثغر وشرعوا فى عمل بقسماط فكثر اللغط بمصر بسبب ذلك .

فى ١٠ منه (٩ مايو ١٧٨٦ م) :

ورد ططرى من البر ، وقابجى من البحر ، ومعهما مكاتبات .

الخميس ١٢ منه (١١ مايو ١٧٨٦ م) :

قرئت المكاتبات بالديوان . ومضمونها طلب الخزائن المنكسرة وتشهيل مرتبات الحرمين من الغلال والصرر فى السنين الماضية ، واللوم على عدم زيارة المدينة . وفيه الحث والوعد والوعيد والأمر بصرف العلوفات وغلال الأنبار ، وفيه المهلة ثلاثون يوما . فكثر لغط الناس والقال والقيل .

وأشيع ورود مراكب أخرى الى ثغر الاسكندرية ، وأن حسن باشا القبطان واصل أيضا فى أثر ذلك وصحبته عساكر محاربون .

وفيه : حضر معلم ديوان الاسكندرية . قيل انه هرب ليلا .

ثم ان ابراهيم بيك أرسل يستحث مراد بيك فى الحضور من سد الفرعونية ، ثم بعث اليه على أغا كتخدا جاووجان ، والمعلم ابراهيم الجوهرى ، وسليمان أغا الحنفى ، وحسن كتخدا الجربان ، وحسن أفندى شقبون كاتب الحوالة سابقا وأفندى الديوان حالا ... فأحضروه الى مصر يوم الثلاثاء ولم يتم سد الترعة بعد أن غرق فيها عدة مراكب ومراسى حديد وأخشاب أخذوها من أربابها من غير ثمن ، وفرد على البلاد الأموال وقبض أكثرها ... وذهب ذلك جميعه من غير فائدة ثم ان الأمراء عملوا جمعيات وديوانا ببيت ابراهيم بيك وتشاوروا فى تنجيز الأوامر . وفى أثناء ذلك تشحطت الغلال ، وارتفع القمح من السواحل والعرصات ، وغلا سعره وقل وجوده حتى امتنع بيع الخبز من الأسواق ، وأغلقت الطوابين فنزل سليم أغا ، وهجم المخازن ، وأخرج الغلال ، وضرب القماحين والمتسببين ومنعهم من زيادة الأسعار ، فظهر القمح والخبز بالأسواق وراق الحال وسكنت الأقاويل .

* * *

وفى هذا الشهر — أعنى شهر رجب — حصلت عدة حريقات ، منها حريقتان فى ليلة واحدة : احداهما بالأزبكية ، وأخرى بخطتنا بالصنادقية .

وظهرت النار من دكان رجل صنادقى — وهى مشحونة بالأخشاب والصناديق المدهونة — عند خان الجبلاية . فرعت النار فى الأخشاب ووجت فى ساعة واحدة ، وتعلقت بشبابيك الدور ، وذلك بعد حصة من الليل .

وهاج الناس والسكان ، وأسرعوا بالهدم وصب المياه ، وأحضر الوالى القصارين حتى طفئت .

* * *

وفيه أيضا أن امرأة تعلقت برجل من المجاذيب يقال له الشيخ على البكرى ، مشهور ومعتقد عند العوام .

وهو رجل طويل ، حليق اللحية ، يمشى عريان ، وأحيانا يلبس قميصا وطاقية ، ويمشى حافيا ... فصارت هذه المرأة تمشى خلفه أينما توجه ، وهى بإزارها ، وتخلط فى ألفاظها ، وتدخل معه الى البيوت ، وتطلع الحريمات .

واعتقدها النساء ، وهادوها بالدراهم والملابس ، وأشاعوا أن الشيخ « لحظها » وجذبها ، وصارت من الأولياء !

ثم ارتقت فى درجات الجذب ، وثقلت عليها الشربة ، فكشفت وجهها ، ولبست ملابس كالرجال . ولازمته أينما توجه ، ويتبعها الأطفال والصغار ، وهوام العوام .

ومنهم من اقتدى بهما أيضا ، ونزع ثيابه ، وتحنجل فى مشيه ! وقالوا انه اعترض على الشيخ والمرأة ، فجذبه الشيخ أيضا ، أو أن الشيخ لمسه فصار من الأولياء !

وزاد الحال ، وكثر خلفهم أوباش الناس ، والصغار ، وصاروا يخطفون أشياء من الأسواق ، ويصير لهم فى مرورهم ضجة عظيمة !

واذا جلس الشيخ فى مكان وقف الجميع ،

وازدحم الناس للفرجة عليه . وتصعد المرأة على دكان أو علوة ، وتتكلم بفاحش القول ، ساعة بالعربي ، ومرة بالتركي ... والناس تنصت لها ، ويقبلون يدها ! ويتبركون بها ! وبعضهم يضحك ، ومنهم من يقول : الله ... الله ... وبعضهم يقول : دستور ياأسيادي ! .. وبعضهم يقول : لا تعترض بشيء ...

فمر الشيخ فى بعض الأوقات — على مثل هذه الصورة والضجة — ودخلوا من باب بيت القاضي الذى من ناحية بين القصرين . وبتلك العطفة سكن أحد الأجناد يقال له جعفر كاشف ، فقبض على الشيخ ، وأدخله الى داره ، ومعه المرأة وباقى المجاذيب ، فأجلسه وأحضر له شيئا يأكله ، وطرد الناس عنه ، وأدخل المرأة والمجاذيب الى الحبس ، وأطلق الشيخ لحال سبيله ، وأخرج المرأة والمجاذيب فضربهم ، وعذرهم ، ثم أرسل المرأة الى المارستان ، وربطها عند المجانين ، وأطلق باقى المجاذيب بعد أن استغاثوا وتابوا ولبسوا ثيابهم ... وطارت الشربة من رؤوسهم !

وأصبح الناس يتحدثون بقصتهم . واستمرت المرأة محبوسة بالمارستان حتى حدثت الحوادث فخرجت وصارت شيخة على انفرادها ، ويعتقدها الناس والنساء ، وجمعت عليها الجمعيات وموالد وأشباه ذلك !

***

وفيه ورد الخبر من الديار الشامية بحصول طاعون عظيم فى بلادهم ، وحصل عندهم أيضا قحط وغلاء فى الأسعار .

شعبان

٢ منه (٣١ مايو ١٧٨٦ م) :

ركب سليم أغا فى عصريته الى جامع السلطان حسن بن قلاوون الذى بسوق السلاح ، وأحضر معه فعلة وفتح باب المسجد المسدود — وهو الباب الكبير الذى من ناحية سوق السلاح — فهدموا الدكاكين التى حدثت أسفله والبناء الذى بصدر الباب . وكانت مدة سده فى هذه المرة احدى وخمسين سنة ، وكان سببها المقتلة التى قتل فيها الأحد عشر أميرا ببيت محمد بيك الدفتردار فى سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) .

وسبب فتحه أن بعض أهل الخطة تذاكر مع الأغا فى شأنه وأعلمه بحصول المشقة على الناس المصلين فى الدخول اليه من باب الرميلة . وربما فاتهم حضور الجماعة فى مسافة الذهاب ، وأن الأسباب التى سد الباب من أجلها قد زالت وانقضت ونسيت ، فاستأذن سليم أغا ابراهيم بيك ومراد بيك فى فتحه فأذنا له ففتحه وصنع له بابا جديدا عظيما ، وبنى له سلالم ومصاطب ، وأحضر نظاره وأمرهم بالصرف عليه ، ويأتى هو فى كل يوم يباشر العمل بنفسه ، وعمروا ماتشعث منه ونظفوا حيطانه ورخامه ، وظهر بعد الخفاء ، وازدحم الناس للصلاة فيه ، وأتوا اليه من الأماكن البعيدة .

٥ منه (٤ يونيه ١٧٨٦ م) :

توفى مصطفى بيك المرادى المجنون .

فى ٢٠ منه (١٨ يونيه ١٧٨٦ م) :

كثر الارجاف بمجيء مراكب الى الاسكندرية وعساكر وغير ذلك .

رمضان

٥ منه (٢ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر واحد أغا من الديار الرومية وعلى يده مكاتبة بالحث على المطلوبات ، فطلع الأمراء الى القلعة ليلا واجتمعوا بالباشا وتكلموا مع بعضهم كلاما كثيرا ، وقال مراد بيك للباشا : « ليس لكم

عندنا الا حساب . أمهلونا الى بعد رمضان ، وحاسبنا على جميع ما هو فى طرفنا .. نورده . وأرسل الى من وصل الى الاسكندرية يرجعون الى حيث كانوا ، والا فلا نشهل حجا ولا صرة ولا ندفع شيئا ... وهذا آخر الكلام » .

كل ذلك وابراهيم بيك يلاطف كلا منهما . ثم اتفقوا على كتابة عرضحال من الوجاقلية والمشايخ ويذكر فيه أنهم أقلعوا وتابوا ورجعوا من المخالفة والظلم والطريق التى ارتكبوها ، وعليهم القيام باللوازم ، وقرروا على أنفسهم مصلحة يقومون بدفعها لقبطان باشا والوزير وباشة جدة ، وقدرها ثلثمائة وخمسون كيسا . وقاموا على ذلك ونزلوا الى بيوتهم .

ليلة ٧ منه (٤ يوليو ١٧٨٦ م) :

جمع ابراهيم بيك المشايخ وأخبرهم بذلك الاتفاق ، وشرعوا فى كتابة العرضحالات ، أحدها للدولة وآخر لقبطان باشا ، بالمهلة حتى يأتى الجواب ، وآخر لباشة جدة الذى فى الاسكندرية .

وفى صبحها : وردت مكاتبة من أحمد باشا الجزار يخبر فيها بالحركة والتحذير وأخبار بورود مراكب أخرى بالاسكندرية ومراكب وصلت الى دمياط ... فزاد اللغط والقال والقيل .

وفيه : ركب سليمان أغا مستحفظان ونادى فى الأسواق على الأروام والقليونجية والأتراك بأنهم يسافرون الى بلادهم . ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل .

وفيه : اتفق رأى ابراهيم بيك ومراد بيك أنهم يرسلون لاجين بيك ومصطفى بيك السلحدار الى رشيد لأجل المحافظة والاتفاق مع عرب الهنادى ويطلبون أحمد باشا والى جدة ليأتى الى مصر ويذهب الى منصبه .

١٠ منه (٧ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافروا فى هذه الليلة

وفيها : ركب ابراهيم بيك بعد الافطار وذهب الى مراد بيك وجلس معه ساعة ثم ركبا وطلعا الى القلعة ، وطلع أيضا المشايخ باستدعاء من الأمراء وهم : الشيخ البكرى والشيخ السادات والشيخ العروسى والشيخ الدردير والشيخ الحريرى ... وقابلوا الباشا وعرضوا عليه العرضحالات . وكان المنشى لبعضها الشيخ مصطفى الصاوى وغيره ، فأعجبهم انشاء الشيخ مصطفى وأمروا بتغيير ما كان من انشاء غيره . وانخضع مراد بيك فى تلك الليلة للباشا جدا ، وقبل أتكه وركبتيه ويقول له : « ياسلطانم ! نحن فى عرضك فى تمكين هذا الأمر ودفعه عنا . ونقوم بما علينا ونرتب الامور وننظم الأحوال على القوانين القديمة » . فقال الباشا « ومن يضمنكم ويتكفل بكم ؟ » . قال : « أنا الضامن لذلك ، ثم ضمانى على المشايخ والاختيارية » .

١٣ منه (١٠ يوليو ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بوصول حسن باشا القبطان الى ثغر الاسكندرية . وكان وصوله يوم عاشره (٧ يوليو ١٧٨٦) قبل العصر وصحبته عدة مراكب ، فزاد الاضطراب وكثر اللغط فتمموا أمر العرضحالات وأرسلوها صحبة سلحدار الباشا والططرى وواحد أغا ، ودفعوا لكل فرد منهم ألف ريال وسافروا من يومهم .

وفيه : وردت الأخبار بأن مشايخ عرب الهنادى والبحيرة ذهبوا الى الاسكندرية وقابلوا أحمد باشا الجداوى فالبسهم خلعا وأعطاهم دراهم وكذلك أهل دمنهور .

وفيه : حضرت صدقات من مولاى محمد ، صاحب المغرب ، ففرقت على فقراء الأزهر ، وخدمة الأضرحة والمشايخ المفتين ، والشيخ البكرى ،

والشيخ السادات ، والعمريين ... على يد الباشا ، بموجب قائمة ومكاتبة .

١٥ منه (١٢ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر مصطفى جربجى باش سراجين مراد بيك سابقا وسردار ثغر رشيد حالا . وكان السبب فى حضوره أنه حضر الى رشيد أحد القباطين وصحبته عدة وافرة من العسكر ، فطلع الى بيت السردار المذكور وأعطاه مكاتبة من حسن باشا خطابا للأمراء بمصر وأمره بالتوجه بها فحضر بتلك المكاتبة مضمونها التطمين ببعض ألفاظ .

وفيه : اتفق رأى الأمراء على ارسال جماعة من العلماء والوجاقلية الى حسن باشا ، فتعين لذلك الشيخ أحمد العروسى والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد الحريرى . ومن الوجاقلية اسماعيل أفندى الخلوتى وابراهيم أغا الوردانى . وذهب صحبتهم أيضا سليمان بيك الشابورى . وأرسلوا صحبتهم مائة فرق بن ، ومائة قنطار سكر ، وعشر بقج ثياب هندية ، وتفاصيل وعودا وعنبرا وغير ذلك .

١٨ منه (١٥ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافروا على أنهم يجتمعون به ويكلمونه ويسألونه عن مراده ومقصده ، ويذكرون له امتثالهم وطاعتهم وعدم مخالفتهم ورجوعهم عما سلف من أفاعيلهم ، ويذكرونه حال الرعية وما توجبه الفتن من الضرر والتلف .

١٩ منه (١٦ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر تفكجى باشا من طرف حسن باشا وذهب الى ابراهيم بيك وأفطر معه وخلع عليه خلعة سمور وأعطاه مكاتبات ، وكان صحبته محمد أفندى حافظ من طرف ابراهيم بيك أرسله الأمراء قبل ذلك بأيام عندما بلغهم خبر القادمين ليستوعب الأحوال . ثم ان ذلك التفكجى جلس مع ابراهيم بيك حصة من الليل وذهب الى محله ، وحضر على أغا كتخدا الجاويشية فركب مع ابراهيم بيك وطلعا الى الباشا فى سادس ساعة من الليل ، ثم نزلا وسافر التفكجى فى صبحها وصحبته الحافظ .

وكان فيما جاء به ذلك التفكجى طلب ابراهيم بيك أمير الحج ، فلم يرض بالذهاب وقال أيضا لابراهيم بيك : « ان حضرة الباشا بلغه أنكم تستعدون للحرب ، ونصبتم مدافع وغير ذلك ، وأنا لم أر شيئا من ذلك » .

فقال له ابراهيم بيك : « معاذ الله اننا نحارب رجال دولة سلطاننا أو نعصى عليه ولا يليق ذلك » .

فقال : « انكم أرسلتم تقولون له أنكم تبتم ورجعتم عن الأفعال المتقدمة ، ثم انكم أرسلتم أمراء منكم ينهبون البلاد ويطلبون الكلف الزائدة — ومن جملتها أردبا بن ... والبن لايطلع الا فى بلاد اليمن ! » . فقال له : « هذا كلام المنافقين » .

وكان لاجين بيك ومصطفى بيك — لما سافرا للمحافظة بعد التوبة بيومين — فعلوا أفاعيلهم بالبلاد ، وطلبوا هذه الكلف ، وحرقوا وردان ... فضجت أهالى البلاد . وذهبوا الى عرضى حسن باشا وشكوا مانزل بهم ، فأخذ بخواطرهم وكتب لهم فرمانا برفع الخراج عنهم سنتين ، وأرسل مع ذلك التفكجى العتاب واللوم فى شأن ذلك ويقول لهم : « أرسلوا لهم وارفعوهم عن خلق الله تعالى » ... فلم يفعلوا .

وفى تلك الليلة : ذهب سليم أغا الى ناحية باب الشعرية وقبض على الحافظ اسحاق وأخذه على صورة أرباب الجرائم من أسافل الناس ، وذهب به الى بولاق ، فلحقه مصطفى بيك الاسكندرانى ورده .

٢١ منه (١٨ يوليو ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بورود حسن باشا الى ثغر رشيد يوم سادس عشره (١٣ يوليو ١٧٨٦) ، وأنه كتب عدة فرمانات بالعربى وأرسلها الى مشايخ البلاد وأكابر العربان والمقادم ، وحق طريق المعينين بالفرمانات ثلاثون نصفا فضة لاغير ، وذلك من نوع الخداع و... ل وجذب القلوب ، ومثل قولهم أنهم يقرروا مال الفدان سبعة أنصاف ونصف نصف ، حتى كادت الناس تطير من الفرح ، وخصوصا الفلاحين لما سمعوا ذلك . وأنه يرفع الظلم ويمشى على قانون دفتر السلطان سليمان وغير ذلك .

وكان الناس بجهلون أحكامهم ... فمالت جميع القلوب اليهم وانحرفت عن الأمراء المصرية وتمنوا سرعة زوالهم .

...صورة ذلك الفرمان — وهو الذى أرسل الى أولاد حبيب من جملة ما أرسل :

« صدر هذا الفرمان الشريف ، الواجب القبول والتشريف ، من ديوان حضرة الوزير المعظم ، والدستور المكرم ، عالى الهمم . وناصر المظلوم على من ظلم ، مولانا العزيز : غازى حسن باشا ، صارى عسكر السفر البحرى المنصور حالا ، ودونانمه همايون ، أبدت سيادته السنية ، وزادت رتبته العلية ... الى مشايخ العرب أولاد جبيب بناحية دجوة ، وفقهم الله تعالى ...

«نعرفكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان — نصره الله — ماهو واقع بالقطر المصرى من الجور والظلم للفقراء وكافة الناس ، وأن سبب هذا خائنو الدين ابراهيم بيك ومراد بيك وأتباعهما ، فتعينا بخط شريف من حضرة مولانا السلطان — أيده الله — بعساكر منصورة بحرا لدفع الظلم ولايقاع الانتقام من المذكورين ، وتعين عليهم عساكر منصورة برا بسارى عسكر عليهم من حضرة مولانا السلطان نصره الله .

« وقد وصلنا الى ثغر اسكندرية ثم الى رشيد فى ١٦ رمضان (١٣ يوليو ١٧٨٦) ، فحررنا لكم هذا الفرمان لتحضروا وتقابلونا وترجعوا الى أوطانكم مجبورين مسرورين ان شاء الله تعالى .

« فحين وصوله اليكم تعملوا به وتعتمدوه . والحذر ثم الحذر من المخالفة .. وقد عرفناكم » .

***

ثم ان الأمراء زاد قلقهم واجتمعوا فى ليلتها ببيت ابراهيم بيك وعملوا بينهم مشورة فى هذا الأمر الذى دهمهم ، وتحققوا اتساع الخرق ، والنيل آخذ فى الزيادة .

فعند ذلك تجاهروا بالمخالفة ، وعزموا على المحاربة . واتفق الرأى على تشهيل تجريدة وأميرها مراد بيك ، فيذهبون الى جهة فوة ، ويمنعون الطريق ، ويرسلون الى حسن باشا مكاتبات بتحرير الحساب والقيام بغلاق المطلوب . ويرجع من حيث أتى . فان امتثل والا حاربناه ، وهذا آخر الكلام .

ثم جمعوا المراكب ، وعبوا الذخيرة والبقسماط . وذلك كله فى يوم الثلاثاء والأربعاء . ونقلوا عزالهم ومتاعهم من البيوت الكبار الى أماكن لهم صغار جهة المشهد الحسينى والشنوانى والأزهر ، وعطلوا القناديل والتعاليق المعدة لمهرجان رمضان . وزاد الارجاف ، وكثر اللغط ، ولاحت عليهم لوائح الخذلان ، ورخص أسعار الغلال بسبب بيعهم الغلال المخزونة عندهم ... كما قيل : مصائب قوم عند قوم فوائد ...

٢٤ منه (٢١ يوليو ١٧٨٦ م) :

خرج مراد بيك والأمراء المسافرون معه الى ناحية بولاق ، وبرزوا خيامهم ، وعدوا فى ليلتها الى بر انبابة ، ونصبوا وطاقهم هناك .

وتعين للسفر — صحبة مراد بيك — مصطفى

بيك الداوودية الذى عرف بالاسكندرانى ، ومحمد بيك الألفى ، وحسين بيك الشفت ، ويحيى بيك ، وسليمان بيك الأغا ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر .

وركب ابراهيم بيك بعد المغرب وذهب اليهم وأخذ بخاطرهم ورجع ، فأقاموا فى بر انبابة يوم الجمعة ، حتى تكامل خروج العسكر . وأخذ مراد بيك ما احتاجه من ملائل الحج جمالا وبغالا وغيره ... حتى الذى قبض من مال الصرة .

وأرسلوا فى ليلتها على أغا كتخدا الجاويشية ، وسليمان أغا الحنفى الى الباشا ، وطلبوا منه الدراهم التى كانوا استخلصوها من مصطفى بيك أمير الحج وأودعوها عند الباشا ، فدفعها لهم بتمامها .

٢٦ منه (٢٣ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافر مراد بيك من بر انبابة وأصبح معه سلام أغاسى الباشا ليكون سفيرا بينه وبين قبطان باشا .

٢٨ منه (٢٥ يوليو ١٧٨٦ م) :

فى ليلتها سافر مصطفى بيك الكبير أيضا ولحق بمراد بيك .

٢٩ منه (٢٦ يوليو ١٧٨٦ م) :

فى الليل حضر المشايخ ومن معهم من ثغر رشيد ، فوصلوا الى بولاق بعد العشاء ، وباتوا هناك وذهبوا الى بيوتهم فى الصباح ، فأخبروا أنهم اجتمعوا على حسن باشا ثلاث مرات ... الأول للسلام ، فقابلهم بالاجلال والتعظيم ، وأمر لهم بمكان نزلوا فيه ، ورتب لهم ماتكفيهم من الطعام المهيأ فى الافطار والسحور ، ودعاهم فى ثانى يوم وكلمهم كلمات قليلة .

وقال له الشيخ العروسى : « يا مولانا ... رعية مصر قوم ضعاف ، وبيوت الأمراء مختلطة ببيوت الناس » .

فقال : « لاتخشوا من شىء . فان أول ما أوصانى مولانا السلطان أوصانى بالرعية » . وقال : « ان الرعية وديعة الله عندى . وأنا استودعتك ما أودعنيه الله تعالى » .

فدعوا له بخير ...

ثم قال : « كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران ، وترضونهم حكاما عليكم يسومونكم بالعذاب والظلم ؟ لماذا لم تجتمعوا عليهم وتخرجوهم من بينكم ؟ » .

فأجابه اسماعيل أفندى الخلوتى بقوله : « يا سلطانم ! هؤلاء عصبة شديدو البأس ويد واحدة » .

فغضب من قوله ونهره وقال : « تخوفنى ببأسهم ؟ » .

فاستدرك وقال : « انما أعنى بذلك أنفسنا ، لأنهم — بظلمهم — أضعفوا الناس » .

ثم أمرهم بالانصراف .

واجتمعوا عليه مرة ثالثة — بعد صلاة الجمعة — فاستأذنوه فى السفر فقال لهم . « فى غد أكتب لكم مكاتبة للرعية تقرأونها على الملأ فى الجامع الأزهر » فقال له الشيخ العروسى : « هذا أمر لايمكننا فعله فى هذا الوقت » . فقبل عذره وقال : « يكفى الاستفاضة » .

ثم تركهم يومين وكتب لهم مكاتبات وسلمها ليد سليمان بيك الشابورى وأمرهم بالانصراف ، فودعوه وساروا . وأخفيت تلك المكاتبات .

غايته (٢٧ يوليو ١٧٨٦ م) :

أرسل الباشا عدة أوراق الى أفراد المشايخ ، وذكر أنها وردت من صدر الدولة . وأما

العرضحالات التى أرسلوها صحبة السلحدار والططرى فانهما لما وصلا الى الاسكندرية واطلع عليها حسن باشا حجزها ومنع المراسلة الى اسلامبول ، وقال : « أنا دستور مكرم ... والأمر مفوض الى فى أمر مصر » . وسأل السلحدار عن الأوراق التى من صدر الدولة هل أرسلها الباشا الى أربابها . فأخبره أنه خاف من اظهارها ، فاشتد غضبه على الباشا وسبه بقوله : « خائن ، منافق ! »

فلما رجع السلحدار فى تاريخه وأخبر الباشا ... فعند ذلك أرسلها كما تقدم .

شوال

٢ منه (٢٩ يوليو ١٧٨٦ م) :

اشيع أن مراد بيك ملك مدينة فوة وهرب من بها من العسكر ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وانه أحد المراكب التى وجدها على ساحلها ... ثم ظهر عدم صحة ذلك .

٣ منه (٣٠ يوليو ١٧٨٦ م) :

نزلت الكسوة من القلعة على العادة الى المشهد الحسينى ، وركب ابراهيم بيك الكبير وابراهيم بيك أمير الحج الى قراميدان ، ونزل الباشا كذلك ، وأكد على أمير الحج فى التشهيل ، فاعتذر اليه بتعطيل الأسباب ، فوعده بالمساعدة .

٤ منه (٣١ يوليو ١٧٨٦ م) :

اشاعوا اشاعة مثل الأولى مصطنعة ، وأظهروا البشر والسرور .

وركب ابراهيم بيك فى ذلك اليوم ، وذهب الى الشيخ البكرى ، وعيد عليه ، ثم الى الشيخ العروسى ، والشيخ الدردير .. وصار يحكى لهم ، وتصاغر فى نفسه جدا ، وأوصاهم على المحافظة ، وكف الرعية عن أمر يحدثونه ، أو قومة أو حركة فى مثل هذا الوقت — فانه كان يخاف ذلك جدا ، وخصوصا لما أشيع أمر الفرمانات التى أرسلها الباشا للمشايخ ، وتسامع بها الناس ...

***

وفى وقت ركوب ابراهيم بيك من بيت الشيخ البكرى حصلت زعجة عظيمة ببركة الازبكية وسببها أن مملوكا أسود ضرب رجلا من زراع المقاثىء فجرحه ، فوقع الصياح من رفقائه واجتمع عليهم خلق كثير من الأوباش . وزاد الحال حتى امتلأت البركة من المخلوقات ، وكل منهم سأل عن الخبر من الآخر ، ويختلقون أنواعا من الأكاذيب .

فلما رجع ابراهيم بيك الى داره أرسل من طرد الناس ، وفحصوا عن أصل القضية ، وفتشوا على الضارب فلم يجدوه فأخذوا المضروب فطيبوا خاطره وأعطوه دراهم !

***

وفيه : أرسل مراد بيك بطلب ذخيرة وبقسماط ، وركب أيوب بيك الصغير وذهب الى مصر العتيقة وعثمان بيك الطنبورجى الى بولاق ، ونزلوا جملة مدافع ومنها « الغضبان » و « أبو مايلة » . وكان أيوب بيك هذا متمرضا عدة شهور ومنقطعا فى الحريم ، فعرق وشفى فى ساعة واحدة .

٥ منه (أول اغسطس ١٧٨٦ م)

كان مولد السيد أحمد البدوى ببولاق ، وكراء مشايخ الأشاير المراكب ليسافروا فيها فأخذوها بأجمعها لأجل الذخيرة والمدافع ، ووسقوها وأرسلوا منها جملة .

٦ منه (٢ اغسطس ١٧٨٦ م) :

حضرت مراكب من مراكب الغائبين ، وفيها مماليك ومجاريح وأجناد ، وأخبروا بكسرة مراد بيك ومن معه ، وأصبح الخبر شائعا فى المدينة

وثبت ذلك . ورجعت المراكب بما فيها ، وأخبروا عما وقع وهو أنه لما وصل مراد بيك الى الرحمانية فعدى سليمان بيك الأغا وعثمان بيك الشرقاوى والألفى الى البر الشرقى فحصل بينهم اختلاف وغضب بعضهم ورجع القهقرى فكان ذلك أول الفشل ثم تقدموا الى محله العلويين فاخلوا منها الأروام فدخلوا اليها وملكوها . وأرسلوا الى مراد بيك يطلبون منه الامداد ، فأمر بعض الأمراء بالتعدية اليهم فامتنعوا وقالوا : « نحن لانفارقك ونموت تحت أقدامك » فحنق منهم وأرسل عوضهم جماعة من العرب ثم ركبوا وقصدوا أن يتقدموا الى فوة ، فوجدوا أمامهم طائفة من العسكر ناصبين متاريس فلم تمكنهم التقدم لوعر الطريق وضيق الجسر وكثرة القنى ومزارع الأرز ، فتراموا بالبنادق فرمح سليمان بيك فعثر بقتاة وسقط فحصلت فيهم ضجة وظنوها كسرة ، فرجعوا القهقرى ودخل الرعب فى قلوبهم ورجعت عليهم العرب نهبويهم فعدوا الى البر الآخر .

وكان مراد بيك مستقرا فى مكان توصل اليه من طريق ضيقة لاتسع الا لفارس بمفرده ،فأشاروا عليه بالانتقال من ذلك المكان ... وداخلهم الخوف وتخلوا تحبلات !

وما زالوا فى نقض وابرام الى الليل ، ثم أمر بالارتحال فحملوا حملاتهم ورجعوا القهقرى وما زالوا فى سيرهم وأشيع فيهم الانهزام وتطاير الأخبار بالكسرة ، وتيقن الناس أن هذا أمر الهى ليس بفعل فاعل .

وفيه : حصلتْ كرشة من ناحية الصاغة . وسببها عبد مملوك أراد الركوب على حمار بعض المكارية فازدحم عليه الحمارة ، ورمحوا خلفه .. فصارت كرشة ! ورمحت الصغار .. فأغلقوا الدكاكين بالأشرفية والغورية والعقادين وغير ذلك .

ثم تبين أن لا شيء ، ففتح الناس الدكاكين !

وفى ذلك اليوم حضر أناس من المماليك مجاريح، وزاد الارجاف فنزل الباشا وقت الغروب الى باب العزب وأراد ابراهيم بيك أن يملك أبواب القلعة فلم يتمكن من ذلك وأرسل الباشا فطلب القاضى والمشايخ فطلع البعض وتأخر البعض الى الصباح، وبات السيد البكرى عند الباشا بباب العزب ، وكان له بها مندوحة ذكرها بعد ذلك الباشا لحسن باشا وشكره عليها وأحبه وذهب للسلام عليه عند قدومه دون غيره من بقية المشايخ .

٧ منه (٣ اغسطس ١٧٨٦ م) :

فى الصباح طلعوا بأجمعهم — وكذلك جماعة الوجاقلية — ونصب الباشا البيرق على باب العزب ونزل جاويش مستحفظان وجاويش العزب وأمامهم القابجبة والمناداة على الألضاشات وغيرهم ، وكل من كان طائعا لله وللسلطان يأتى تحت البيرق ، فطلع عليه جميع الألضاشات والتجار وأهل خان الخليلى وعامة الناس ، وظهرت الناس المخفيون والمستضعفون والذين أنحلهم الدهر ، والذى لم يجد ثياب زيه استعار ثيابا وسلاحا حتى امتلأت الرميلة وقراميدان من الخلائق ، وأرسل محمد باشا يستحث حسن باشا فى سرعة القدوم ويخبره بما حصل . وكان قصد حسن باشا التأخر حتى يسافر الحج وتأتى العساكر البرية ، فاقتضى الحال ولزم الأمر فى عدم التأخر .

وأما ابراهيم بيك فانه اشتغل فى نقل عزاله ومتاعه بطول الليل فى بيوته الصغار ، فلم يترك الا فرش مجلسه الذى هو جالس فيه ، ثم انه جلس ساعة وركب الى قصر العينى وجلس به .

وأما ابراهيم بيك — أمير الحج — فانه طلع الى باب العزب وطلب الأمان ، فأرسل له الباشا فرمانا بالأمان وأذن له فى الدخول .

وكذلك حضر أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير وكتخدا الجاويشية وسليمان بيك الشابورى وعبد الرحمن بيك عثمان وأحمد جاويش المجنون ومحمد كتخدا أزنور ومحمد كتخدا أباظة وجماعة كثيرة من الغز والأجناد وكذلك رضوان بيك بلفيا، فكان كل من حضر لطلب الأمان فان كان من الأمراء الكبار فانه يقف عند الباب ويطرقه ويطلب الأمان ويستمر واقفا حتى يأتيه فرمان الأمان ويؤذن له فى الدخول من غير سلاح .. وان كان من الأصاغر فانه يستمر بالرميلة أو قراميدان أو يجلس على المصاطب .

فلما تكامل حضور الجميع ، أبرز الباشا خطا شريفا وقرأه عليهم وفيه المأمورات المتقدم ذكرها، وطلب ابراهيم بيك ومراد بيك فقط ، وتأمين كل من يطلب الأمان ، واستمر أمير الحج على منصبه . ثم انه خلع على حسن كاشف — تابع حسن بيك قصبة رضوان — وقلده آغات مستحفظان . وخلع على محمد كتخدا أزنور وقلده الزعامة . وقلد محمد كتخدا أباظة أمين احتساب . ونزلوا الى المدينة ونادوا بالأمان والبيع والشراء . وكذلك نزل الأمراء الى دورهم — ما عدا ابراهيم بيك أمير الحج ، فان الباشا عوقه عنده ذلك اليوم . وكذلك أذنوا للناس بالتوجه الى أماكنهم بشرط الاستعداد والاجابة وقت الطلب . ولم يتأخر الا المحافظون على الأبواب . وأما مراد بيك فانه حضر الى بر انبابة واستمر هناك ذلك اليوم ثم ذهب فى الليل الى جزيرة الذهب وركب ابراهيم بيك ليلا وذهب الى الآثار .

وفى عصر ذلك اليوم : نزل الأغا ونبه على الناس بالطلوع الى الأبواب .

وفيه : حضر سليمان بيك الأغا ، وطلب الأمان ، فأعطوه فرمان الأمان وذهب الى بيته .

وأصبح يوم الخميس فنزلت القابجية ، ونبهت على الناس بالطلوع ... فطلعوا ، واجتمعت الخلائق زيادة على اليوم الأول ، وحضر أهالى بولاق ، ونزل الأغا ، فنادى بالأمن والأمان ...

وفى ذلك اليوم ، قبل العصر ، ركب عثمان خازندار مراد بيك سابقا ، وذهب الى سيده ... وكان من جملة من أخذ فرمانا بالأمان . فلما نزل الى داره أخذ ما يحتاجه وذهب ، فلما بلغ الباشا هروبه ، اغتاظ من فعله .

ثم ان الباشا تخيل من ابراهيم بيك أمير الحج ، فأمر بالنزول الى بيته ، فنزل الى جامع السلطان حسن ، وجلس به ، فأرسل له الباشا بالذهاب الى منزله .. فذهب

وفى صبح ثانى يوم : ركب سليمان بيك وأيوب بيك الكبير والصغير وخرجوا الى مضرب النشاب ، وركب ابراهيم بيك أمير الحج وذهب الى بولاق وأحب أن يأخذ الجمال من المناخ فمنعه عسكر المغاربة ، ثم ذهب عند رفقائه بمضرب النشاب .

فلما بلغ الباشا ذلك أرسل لهم فرمانا بالعود ، فطردوا الرسول ومزقوا الفرمان وأقاموا بالمصاطب حتى اجتمعت عليهم طوائفهم وركبوا ولحقوا باخوانهم . فلما حصل ذلك اضطربت البلد وتوهموا صعودهم على الجبل بالمدافع ، ويضربوا على القلعة ، وغير ذلك من التوهمات .

وركب قائد أغا بعد صلاة الجمعة وعلى آغا خازندار مراد بيك سابقا وصحبتهم جملة من المماليك والعسكر..وهم بالطرابيش وبيدهم مكاحل البندق والقرابينات وفتائلها موقودة ، فوصلوا الى الرميلة ، فضربوا عليهم مدفعين ، فرجعوا الى ناحية الصليبة ونزلوا الى باب زويلة ومروا على الغورية والأشرفية وبين القصرين ، وطلعوا من باب النصر وأمامهم المناداة : أمان واطمئنان ! حكم مارسم ابراهيم بيك ومراد بيك ... وحكم الباشا بطال ! !

فلما سمع الناس ذلك ورأوه على تلك الصورة انزعجوا وأغلقوا الدكاكين المفتوحة وهاجت الناس وحاصوا حيصة عظيمة وكثر فيهم اللغط .

ولما بلغ الباشا هروب المذكورين حصن القلعة والمحمودية والسلطان حسن ، وأرسل الأغـا فنادى على الالضاشات بالطلوع الى القلعة .

وفى تلك الليلة : ضرب المنسر كفر الطماعين ، ونهبوا منه عدة أماكن ، وقتل بينهم أشـخاص ، وانقطعت الطرق حتى الى بولاق ومصر القديمة ، وصارت التعدية من عند رصيف الخشاب .

وفى يوم السبت ركب ابراهيم بيك وحسين بيك وأتوا الى المناخ أيضا .

وأرادوا أخذ الجمال فمنعهم المغاربة ، وقيل أخذوا منهم جملة . وعربدوا فى ذلك اليوم عربدة عظيمة من كل ناحية ، وأرسل الباشا قبل المغرب فطلب تجار المغاربة فاجتمعوا وطلعوا بعد العشاء وباتوا بالسبيل الذى فى رأس الرميلة . وشـدد الباشا فى اجتماع الالضاشات ومن ينتسب للوجاقات فقيل له ان منهم من لايملك قوت يومه ، وسبب تفرقهم الجوع وعدم النفقة . فطلب أغات مستحفظان وأعطاه أربعة آلاف ريال لينفقها فيهم .

وفيه : عدى مراد بيك من جزيرة الذهب الى الآثار ، وكان ابراهيم بيك ركب الى حلوان وضربها وأحرقها بسبب أن أهل حلوان نهبوا مركبا من مراكبه .

ولـما عدى مراد بيك الى البر الشرقى أرسل الى ابراهيم بيك فحضر اليه واصـطلح معه لأن ابراهيم بيك كان مغتاظا منه بسبب سفرته وكسرته ، فان ذلك كان على غير مراد ابراهيم بيـك وكان قصـده أنهم يستمرون مجتمعين ومنضـمين واذا وصل القبطان أخلوا من وجهه ان لم يقدروا على دفعه أو مصالحته ، وتركوا له البـلد ومصيره الرجوع الى بلاده فيعودون بعد ذلك بأى طريق كان ، وكان ذلك هو الرأى فلم يمتثل مراد بيك وقال : « هذا عين الجبن » . وأخذ فى أسـباب الخروج والمحاربة ، ولم يحصل من ذلك الا ضياع المال والفشل والانهزام الذى لا حقيقة له ... وكان الكائن .

ولـما اصـطلحا تفرقت طوائفهما يعيثون فى الجهات ويخطفون مايجدونه فى طريقهم من جمال السقائين وحمير الفلاحين ، وبعضهم جلس فى مرمى النشاب ، وبعضهم جهة بولاق ، ونهبوا نحو عشرين مركبا كانت راسية عند الشيخ عثمان ، وأخذوا ماكان فيهـا من الغلال والسمن والأغنام والتمر والعسل والزيت .

١١ منه (٧ اغسطس ١٧٨٦ م) :

زاد تنطيطهم وهجومهم على البـلد من كل ناحية ، ويدخلون أحزابا ومتفرقين . ودخل قائد أغا وأتى الى بيته الذى كان سكن فيه وسـكنه بعده حسن أغا المتولى — وهو بيت قصبة رضوان — فوجد بابه مغلوقا ، فأراد كسره بالبلط فأعياه . وخاف من طارق فذهب الى باب آخر من ناحيـة القربية فضرب عليه الحراس بنـادق فرجع بقهره يخطف كل ماصادفه . ولم يزالوا على هذه الفعال الى بعد الظهر من ذلك اليوم .

واشتد الكرب ، وضاق خناق الناس ، وتعطلت أسبابهم ، ووقع الصياح فى أطراف الحارات من الحرامية والسراق والمناسر نهارا ، والأغا والوالى والمحتسب مقيمون بالقلعة لا يجسرون على النزول منها الى المدينة .

وتوقع كل النـاس نهب البلد من أوباشها ، وكل ذلك والمآكل موجودةوالغلال معرمة كثيرةبالرقع ،

ورخصت أسعارها ، والأخباز كثيرة ، وكذلك أنواع الكعك والفطير .

وأشيع وصول مراكب القبطان الى شلقان ، ففرح الناس وطلعوا المنارات والأسطحة العالية ينظرون الى البحر ، فلم يروا شيئا ، فاشتد الانتظار وزاغت الأبصار .

فلما كان بعد العصر سمع صوت مدافع على بعد ، ومدافع ضربت من القلعة ، ففرحوا واستبشروا وحصل بعض الاطمئنان . وصعدوا أيضا على المنارات فرأوا عدة مراكب وتقاير وصلت الى قرب ساحل بولاق ، ففرح الناس وحصل فيهم ضجيج .

وكان مراد بيك وجماعة من صناجقه وأمرائه قد ذهبوا الى بولاق ، وشرعوا فى عمل متاريس جهة السبتية ، وأحضروا جملة مدافع على عجل ، وجمعوا الأخشاب وحطب الذرة وأفراد وغيرها ، فوردت مراكب الأروام قبل اتمامهم ذلك فتركوا العمل وركبوا فى الوقت ورجعوا ، وضجت الناس وصرخت الصبيان وزغرتت النساء ، وكسروا عجل المدافع ...

وفيه : أرسل الأمراء مكاتبة الى المشايخ والوجاقات يتوسلون بهم فى الصلح ، وأنهم يتوبون ويعودون الى الطاعة ، فقرئت تلك المكاتبات بحضرة الباشا ، فقال الباشا : « ياسبحان الله ! كم يتوبون ويعودون ! ولكن كتبوا لهم جوابا معلقا على حضور قبطان باشا » .. فكتبوه وأرسلوه .

١٢ منه (٨ اغسطس ١٧٨٦ م) :

فى وقت العشاء وصل حسن باشا القبطان الى ساحل بولاق ، وضربوا مدافع لقدومه ، واستبشر الناس وفرحوا وظنوا أنه مهدى الزمان ، فبات فى مراكبه الى الصباح وطلع بعض أتباعه الى القلعة وقابلوا الباشا .

ثم ان حسن باشا ركب من بولاق وحضر الى مصر من ناحية باب الخرق ، ودخل الى بيت ابراهيم بيك وجلس فيه وصحبته أتباعه وعسكره ، وخلفه الشيخ الأترم المغربى ومعه طائفة من المغاربة ، فدخل بهم الى بيت يحيى بيك ، وراق الحال وفتحت أبواب القلعة واطمأن الناس ، ونزل من بالقلعة الى دورهم . وشاع الخبر بذهاب الأمراء المصرية الى جهة قبلى من خلف الجبل ، فسافر خلفهم عدة مراكب وفيها طائفة من العسكر واستولوا على مراكب من مراكبهم وأرسلوها الى ساحل بولاق ، وأنفذ حسن باشا رسلا الى اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى يطلبهما للحضور الى مصر .

وفيه : خرجت جماعة من العسكر ففتحوا عدة بيوت من بيوت الأمراء ونهبوها ، وتبعهم فى ذلك الجعيدية وغيرهم فلما بلغ القبطان ذلك أرسل الى الوالى والأغا وأمرهم بمنع ذلك وقتل من يفعله ولو من أتباعه ثم ركب بنفسه وطاف البلد وقتل نحو ستة أشخاص من العسكر وغيرهم وجد معهم منهوبات فانكفوا عن النهب ، ثم نزل على باب زويلة وشق من الغورية ودخل من عطفة الحراطين على باب الأزهر وذهب الى المشهد الحسينى فزاره ونظر الى الكسوة ، ثم ركب وذهب الى بيت الشيخ البكرى بالأزبكية فجلس عنده ساعة ، وأمر بتسمير بيت ابراهيم بيك الذى بالأزبكية وبيت أيوب بيك الكبير وبيت مراد بيك ، ثم ذهب الى بولاق ورجع بعد الغروب الى المنزل ، وحضر عنده محمد باشا مخففا واختلى معه ساعة

١٣ منه (٩ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ذهب اليه مشايخ الأزهر وسلموا عليه ، وكذلك التجار وشكوا اليه ظلم الأمراء ، فوعدهم بخير واعتذر اليهم باشتغاله بمهمات الحج وضيق الوقت وتعطل أسبابه .

وفيه : عمل الباشا الديوان وقلد حسن أغا مستحفظان صنجقية ، وخلع على على بيك جركس الاسماعيلى صنجقية كما كان فى أيام سيده اسماعيل بيك ، وخلع على غيطاس كاشف — تابع صالح بيك — صنجقية ، وخلع على قاسم كاشف — تابع أبى سيف — صنجقية أيضا . وخلع على مراد كاشف — تابع حسن بيك الأزبكاوى — صنجقية ، وخلع على محمد كاشف — تابع حسين بيك كشكش — صنجقية ، وقلد محمد أغا أرنؤود الوالى أغات الجمليان ، وقلد موسى أغا الوالى — تابع على بيك — أغات تفكجية ، وخلع على باكير أغا تابع محمود بيك وجعله أغات مستحفظان ، وخلع على عثمان أغا الجلفى وقلده الزعامة عوضا عن محمد أغا .

ولما تكامل لبسهم التفت اليهم الباشا ونصحهم وحذرهم وقال للوجاقلية : « الزموا طرائقكم وقوانينكم القديمة ، ولا تدخلوا بيوت الأمراء الصناجق الا لمقتض ، واكتبوا فوائكم بتعلقاتكم وعوائدكم أمضيها لكم » .

ثم قاموا وانصرفوا الى بيوتهم ، ونزل الأغا وأمامه المناداة بالتركى والعربى بالأمان على أتباع الأمراء المتوارين والمختفين ... وكل ذلك تدبير وترتيب الاختيارية . وقلدوا من كل بيت أميرا لئلا يتعصبوا لأنفسهم ولا تتحد أغراضهم .

وفيه : أرسل حسن باشا الى نواب القضاء وأمرهم أن يذهبوا الى بيوت الأمراء ويكتبوا مايجدونه من متروكاتهم ويودعوه فى مكان من البيت ويختموا عليه ففعلوا ذلك .

وفى تلك الليلة : وردت خمس مراكب رومية وضربوا مدافع وأجيبوا بمثلها من القلعة .

١٤ منه (١٠ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب حسن باشا وذهب الى بولاق وهو بزى الدلاة وعلى رأسه هيئة قلبق من جلد السمور ، ولابس عباءة بطراز ذهب ، وكان قبل ذلك يركب بهيئته المعتادة ، وهى هيئة القباطين ، وهى فوقانية جوخ صاية بدلاية حرير على صدره ، وعلى رأسه طربوش كبير يعمم بشال أحمر ، وفى وسطه سكينة كبيرة ، وبيديه مخصرة لطيفة هيئة حربة بطرفها مشعب حديد على رسم الجلالة .

وفيه : نادى الأغا على كل من كان سراجا بطالا ، أو فلاحا أو قواسا بطالا ... يسافر الى بلده . ومن وجد بعد ثلاثة أيام يستحق العقوبة .

وفيه أيضا : نودى على طائفة النصارى بألا يركبوا الدواب ، ولا يستخدموا المسلمين ، ولا يشتروا الجوارى والعبيد ، ومن كان عنده شىء من ذلك باعه أو أعتقه ، وأن يلزموا زيهم الأصلى من شد الزنار والزنوط .

وفيه : أرسل حسن باشا الى القاضى وأمره بالكشف عن جميع ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهرى على الديور والكنائس من أطيان ورزق وأملاك .. والمقصود من ذلك كله استجلاب الدراهم والمصالح !

١٥ منه (١١ أغسطس ١٧٨٦ م — الموافق ٦ مسرى) :

نودى على طائفة النصارى بالأمان : وعدم التعرض لهم بالايذاء . وسببه تسلط العامة والصغار عليهم ...

وفيه : كثر تعدى العساكر على أهل الحرف : كالقهوجية ، والحمامية ، والمزينين ، والخياطين ... وغيرهم . فيأتى أحدهم الى الحمامى ، أو القهوجى ، أو الخياط ... ويقلع سلاحه ويعلقه ، ويرسم ركنه فى ورقة أو على باب دكان ، وكأنه صيره شريكه وفى حمايته . ويذهب حيث شاء ، أو يجلس متى شاء ... ثم يحاسبه ، ويقاسمه فى المكسب . وهذه عادتهم : اذا ملكوا بلدة ذهب كل

ذي حرفة الى حرفته التي كان يحترفها في بلده ، ويشارك البلدي فيها ... فثقل على أهل البلدة هذه الفعلة لتكلفهم ما لا ألفوه ولا عرفوه .

وفيه : أجلسوا على أبواب المدينة رجلا أوده باشا ، ومعه طائفة من العسكر نحو الثلاثين أو العشرين .

وفيه : نودي بوفاء النيل ، فأرسل حسن باشا في صبح يوم الجمعة كتخداه والوالي ، فكسر السد على حين غفلة ، وجرى الماء في الخليج ولم يعمل له موسم ولا مهرجان مثل العادة ، بسبب القلقة وعدم انتظام الأحوال ، والخوف من هجوم الأمراء المصرية ، فانهم لم يزالوا مقيمين جهة حلوان .

وفيه : نودي بتوقير الأشراف ، واحترامهم ، ورفع شكواهم الى نقيب الأشراف ، وكذلك المنسوبون الى الأبواب ... ترفع الى وجاقه .

وان كان من أولاد البلد فالى الشرع الشريف ! (1)

وفيه : مرت جماعة من العسكر على سوق الغورية فخطفوا من الدكاكين أمتعة وأقمشة ، فهاجت أهل الدكاكين ، والناس المارون ، وأغلقوا الحوانيت ، وثارت كرشة الى باب زويلة ... وصادف مرور الوالي ، فقبض على ثلاثة منهم ، واستخلص ما بأيديهم ، وهرب الباقون .

وكان الوالي والاغا ، كل منهما صحبته ضابطان من جنس العسكر !

وفيه : نودي بمنع القواسة وأسافل الناس من لبس الشيلان الكشميري ، والتختم أيضا !

وفيه : وصلت مراكب القباطين الواردين من جهة دمياط الى ساحل بولاق — وفيهم اسماعيل كتخدا حسن باشا — فضربت لهم مدافع من القلعة .

وفيه : قبضوا على ثلاثة من العسكر أفسدوا بالنساء بناحية الرميلة ، فرفعوا أمرهم — وأمر الخطافين — الى القبطان ، فأمر بقتلهم ، فضربوا أعناق ثلاثة منهم بالرميلة ، وثلاثة في جهات متفرقة ...

وفيه : نودي بابطال شركة العسكر لاهل الحرف ، ومن أتاه عسكري يشاركه ، أو أخذ شيئا بغير حق ، فليمسك ، ويضرب ، وتوثق أكتافه ، ويؤتى به الى الحاكم .

وحضر الوالي — وصحبته الجاويش — وقبض على من وجده منهم بالحمامات والقهاوي . طردهم وزجرهم ... وذلك بسبب تشكي الناس . فلما حصل ذلك اطمأنوا وارتاحوا منهم .

١٧ منه (١٢ اغسطس ١٧٨٦ م) :

خلعوا على محمدبيك — تابع الجرف — وجعلوه كاشفا على البحيرة .

وفيه : جاء الخبر عن الأمراء أن جماعة من العرب نحو الألف اتفقوا أنهم يكبسون عليهم ليلا ويقتلونهم وينهبونهم ، فذهب رجل من العرب وأخبرهم بذلك الاتفاق ، فأخلوا من خيامهم وركبوا خيولهم وكمنوا بمرأى من وطاقهم . فلما جاءت العربان وجدوا الخيام خالية فاشتغلوا بالنهب ... فكبس عليهم الأمراء من كمينهم فلم ينج من العرب الا من طال عمره .

وفيه : نودي على طائفة النساء ألا يجلسن على حوانيت الصياغ ، ولا في الأسواق الا بقدر الحاجة .

١٨ منه (١٤ اغسطس ١٧٨٦ م) :

عملوا الديوان ، وقلدوا مراد بيك أمير الحج . وسماه حسن باشا « محمدا » ... كراهة في اسم

---

(1) أي ان السارق من السادة الاشراف ، يشكى الى نقيب الاشراف ! والسارق من « المنسوبين الى الابواب » ، ترفع الشكوى فيه الى « وجاقه » ! أما السارق من « اولادالبلد » ، فتقطع يده !

مراد بيك ، فصار يكتب فى الامضاء « محمد بيك حسن » .

وكان هذا اليوم هو ثانى يوم ميعاد خـروج المحمل من مصر ، فان معتاده فى هذه العصـور سابع عشر شوال .

٢٠ منه (١٦ اغسطس ١٧٨٦ م) :

كتبت فرمانات لشيخ العرب أحمـد بن حبيب بغفر البرين والموارد من بولاق الى حـد دمياط ورشيد على عادة أسلافه — وكان ذلك مرفوعا عنهم من أيام على بيك — ونودى له بذلك على ساحل بولاق

وفيه : أخرجت خبايا وودائع الأمراء من بيوتهم الصغار ، لهم ولأتباعهم وختم أيضا على أماكن ، وتركت على ما فيها ووقع التفتيش والفحص على غيرها ، وطلبوا الفقراء فجمعوهم وحبسوهم ليدلوا على الأماكن التى فى العطف والحارات .

وطلبت زوجة ابراهيم بيك ، وحبست فى بيت كتخدا الجاويشية — هى وضرتها أم مرزوق بيك — حتى صالحوا بجملة من المال والمصاغ ، خلاف ما أخذ من المستودعات عند الناس .

وطولبت زليخا — زوجة ابراهيم بيك — بالتاج الجوهر وغيره

وطلبت زوجة مراد بيك ، فاختفت .

وطلب من السيد البكرى ودائع مراد بيـك فسلمها

٢٢ منه (١٨ أغسطس ١٧٨٦ م) :

عمل الباشـا ديوانا وخلع على على أغا كتخدا الجاويشية وقلده صنجقا ودفتردار وشـيخ البلد ومشير الدولة ، فصار صاحب الحل والعقد واليه المرجع فى جميع الأمور الكلية والجزئية . وقلد محمد أغا الترجمان وجعله كتخدا الجاويشية عوضا عن المذكور ، وخلع على سـليمان بيك الشابورى وقلده صنجقا كما كان أيضا فى الدهور السالفة ، وخلع على محمد كتخدا ابن أباظة المحتسب وجعله ترجمانا عوضا عن محمد أغا الترجمان ، وخلع على أحمد أغا بن ميلاد وجعله محتسبا عوضا عن ابن أباظة .

٢٣ منه (١٩ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب المشايخ الى حسن باشا ، وتشفعوا عنده فى زوجة ابراهيم بيك ، وذلك باشارة على بيـك الدفتردار .. فأجابهم بقوله : « تدفع ما على زوجها للسلطان وتخلص » .

فقالوا له : « النساء ضعاف . وينبغى الرفق بهن » .

فقال : « ان أزواجهن لهم مدة سنين ينهبـون البلاد ، ويأكلون أموال السلطان والرعية وقد خرجوا من مصر على خيولهم ، وتركوا الأموال عند النساء فان دفعن ما على أزواجهن تركت سبيلهن . والا أذقناهن العذاب » .

وانفض المجلس وقاموا وذهبوا .

وفيه : ورد الخبر عن الأمراء أنهم ذهبوا الى أسيوط وأقاموا بها .

٢٤ منه (٢٠ اغسطس ١٧٨٦ م) :

حصل التشديد والتفتيش والفحص عن الودائع ، ونودى فى الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة أو شىء من متاع الأمراء الخارجين ، ولا يظهره ولا يقر عليه فى مدة ثلاثة أيام .. قتل من غير معاودة ان ظهر بعد ذلك !

وفيه : طلب حسن باشا من التجار المسـلمين والافرنج والأقباط دراهم سلفة لتشهيل لوازم الحج، وكتب لهم وثائق وأجلهم ثلاثين يوما ، ففردوها على أفرادهم — بحسب حال كل تاجر — وجمعوها .

وفيه : حصـلت كائنة على ابن عياد المغـربى ببولاق ، وقتله اسماعيل كتخدا حسن باشا .

وفيه : نادوا على النساء بالمنع من النزول فى مراكب الخليج والأزبكية وبركة الرطلى .

وفيه : كتبوا مكاتبات — من حسن باشا ، ومحمد باشا الوالى ، والمشايخ ، والوجاقات — خطابا لاسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى .. باستعجالهم للحضور الى مصر .

٢٥ منه (٢١ أغسطس ١٧٨٦ م) :

نودى على النساء ألا يخرجن الى الأسواق . ومن خرجت بعد اليوم ، شنقت .. فلم ينتهين !!

أحضر حسن باشا المطربازية واليسرجية وأخرج جوارى ابراهيم بيك وباقى الأمراء بيضا وسودا وحبوشا ونودى عليهن بالبيع والمزاد فى حوش البيت ... فبيعوا بأبخس الأثمان على العثمانية وعسكرهم .

وفى ذلك عبرة لمن اعتبر . .

٢٦ منه (٢٢ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أحضروا أيضا عدة جوار من بيوت الأمراء ومن مستودعات كانوا مودعين فيها ، وأخذوا جوارى عثمان بيك الشرقاوى من بيته ، ومحظيته التى فى بيته الذى عند حيضان المصلى ، فأخرجوها بيد القليونجية . وكذلك جوارى أيوب بيك الصغير وما فى بيوت سليمان أغا الحنفى من جوار وأمتعة ، وكذلك بيوت غيره من الأمراء ، وأحاطوا بعدة بيوت بدرب الميضأة بالصليبة وطيلون ودرب الحمام وحارة المغاربة وغيرهم فى عدة أخطاط فيها ودائع وأغلال ، فأخذوا بعضها وختموا على باقيها ، وأحضروا الجوارى بين يدى حسن باشا فأمر ببيعهن ، وكذلك أمر ببيع أولاد ابراهيم بيك مرزوق وعديله ، والتشديد على زوجاته .

ثم ان شيخ السادات ركب الى الشيخ أحمد الدردير ، وأرسلوا الى الشيخ أحمد العروسى والشيخ محمد الحريرى فحضروا وتشاوروا فى هذا الأمر ، ثم ركبوا وطلعوا الى القلعة وكلموا محمد باشا وطلبوا منه أن يتكلم مع قبطان باشا فقال لهم : « ليس لى قدرة على منعه ، ولكن اذهبوا اليه واشفعوا عنده » . فالتمسوا منه المساعدة فأجابهم وقال : « اسبقونى وأنا أكون فى أثركم » .

فلما دخلوا على القبطان وحضر أيضا محمد باشا وخاطبوه فى شأن ذلك — وكان المخاطب له شيخ السادات — قال له : « انا سررنا بقدومك الى مصر لما ظنناه فيك من الانصاف والعدل . وان مولانا السلطان أرسلك الى مصر لاقامة الشريعة ومنع الظلم . وهذا الفعل لايجوز . ولا يحل بيع الأحرار وأمهات الأولاد » . ونحو ذلك من الكلام .

فاغتاظ وأحضر أفندى ديوانه وقال : « اكتب أسماء هؤلاء حتى أرسل الى السلطان وأخبره بمعارضتهم لأوامره » .

ثم التفت اليهم وقال : « أنا أسافر من عندكم والسلطان يرسل لكم خلافى فتنظروا فعله أما كفاكم أنى كل يوم أقتل من عساكرى طائفة على أيسر شىء مراعاة وشفقة ؟ ولو كان غيرى لنظرتم فعل العسكر فى البيوت والأسواق والناس ! » . فقالوا له : « انما نحن شافعون ، والواجب علينا قول الحق » .

وقاموا من عنده وخرجوا ، وتغير خاطره من ذلك الوقت على شيخ السادات .

وفيه : قبض اسماعيل — كتخدا حسن باشا — على الحاج سليمان بن ساسى التاجر ، وجماعة من طيلون ، وألزمه بخمسمائة كيس .. فولول واعتذر بعجزه عن ذلك . فلم يقبل ولطمه على وجهه ، وشدد عليه .. فراجعوه وتشفعوا فيه ، الى أن قررها مائة كيس . فحلف أنه لا يملك الا ثلاثمائة

فرق بن — وليس له غيرها . فأرسل وختم عليها في حواصلها .

واستمر في الاعتقال حتى غلق المائة كيس .، على نفسه منها خمسون ، ومثلها على الطولونية .

وسبب ذلك حادثة ابن عباد ، لأنهم أولاد بلاده . ولما قتله ببولاق ، ورجع وهو في حدّته ، فدخل الى خان الشرايبي ، فوجد الحاج سليمان المذكور جالسا بالخان مع التجار ، فقال له : « بلغ منكم — يا جربية — حتى تقتلوا عسكر السلطان ! ان ابن عباد قتل من طائفتي شخصين ودينهما تلزمكم . وهي خمسمائة كيس ، تحضرونها في غد ، والا قتلتكم عن آخركم ! » .

فلما أصبح فعل معهم ما ذكر ، وهذا محض ظلم وبغي !

٢٧ منه (٢٣ أغسطس ١٧٨٦ م) .

كان خروج المحمل صحبة أمير الحج محمد بيك المبدول بالموكب على العادة ، ماعدا طائفةالينكجرية والعزب خوفا من اختلاط العثمانية بهم ، وحضر حسن باشا القبطان الى مدرسة الغورية لأجل الفرجة والمشاهدة ، ولم يزل جالسا حتى مر الموكب والمحمل . ولما مرت عليه طوائف الأشاير كانت تقف الطائفة منهم تحت الشباك ويقرأون الفاتحة ، فيرسل لهم ألف نصف فضة في قرطاس .

ولما انقضى أمر ذلك ركب بجماعة قليلة ، وازدحمت الناس للفرجة عليه — وكان لابسا على هيئة ملوك العجم ، وعلى رأسه تاج من ذهب مزرد، مخروط الشكل ، وعليه عصابة لضبة من حرير مرصعة بالجوهر ؛ ولها ذوائب على آذانه وحواجبه، وعليه عباءة لطخ قصب أصفر !

٢٨ منه (٢٤ أغسطس ١٧٨٦ م) :

نودي على النصارى واليهود بأن يغيروا أسماءهم التي على أسماء الأنبياء — كابراهيم وموسى وعيسى ويوسف واسحاق — وأن يحضروا جميع ماعندهم من الجوارى والعبيد ، وان لم يفعلوا وقع التفتيش على ذلك في دورهم وأماكنهم ، فصالحوا على ذلك بمال فحصل العفو ! وأذن لهم بأن يبيعوا ما عندهم من الجوارى والعبيد ويقبضوا أثمانها لأنفسهم ولا يستخدموا المسلمين ، فأخرجوا ما عندهم وباعوا بعضه وأودعوه عند معارفهم من المسلمين (١) .

وفيه : حضر مبشر بتقرير الباشا على السنة الجديدة . وحضر الباشا الجديد الى بولاق .

٢٩ منه (٢٥ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أرسل حسن باشا القبطان جملة من العسكر البحرية وصحبتهم اسماعيل كتخدا الى عرب البحيرة لكونهم خامروا مع المصرلية ووقع الحلف بينهم وبين قبيلتهم ، ثم حضروا مع أخصامهم بين يدى القبطان واصطلحوا ثم نكثوا وتحاربوا مع بعضهم فحضرت الفرقة الأولى واستنجدوا بحسن باشا فأرسل لهم اسماعيل كتخدا بطائفة من العسكر في المراكب فهربوا ورجع اسماعيل كتخدا ومن معه على الفور .

وفيه : وصلت العساكر البرية صحبة عابدى باشا ودرويش باشا الى بركة الحج وكان أمير الحج مقيما بالحجاج بالعادلية ، ولم يذهبوا الى البركة على العادة بسبب قدوم هؤلاء .

---

(١) حكام اجلاف معروفون جهلاء ... يلبسون مسوح الحكماء والسفهاء ، ويذهب أحدهم ليشهد حفلا أو ... ... فيردهم الناس للفرجة عليه .

... حتى يستطيعوا الاحتفاظ بهذا المستوى من الترف المصطنع ، لابد لهم من ابتزاز الأموال .

وتتوالى موجات ابتزازهم . فتتخذ احيانا صورة الاضطهاد الديني .

وما نحسب أن للدين دخلا في ذلك ابدا ... فلم يكن لهؤلاء الحكام الغاشمين دأب الا أن « ينزلوا الظلم بطائفة — أى طائفة — ثم يصالحوها على مال ... فيحصل العفو ! » ... ولم يبتغ طموحهم غير ذلك دينا ...

السبت غرته (٢٦ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ارتحل الحجاج من العادلية ، وحضر عابدى باشا ودرويش باشا الى العادلية ، وخرج حسن باشا الى ملاقاتهم ، ودخلت طوائف عساكرهما الى المدينة وهم بهيئات مختلفة وأشكال منكرة ، وراكبون خيولا وأكاديش كأمثال دواب الطواحين وعلى ظهورها لبابيد شبه البراذع متصلة بكفل الاكديش ، وبعضهم بطراطير سود طوال شبه الدلاة . والبعض معمم ببوشية ملونة مفشولة على طربوش واسع كبير مخيط عليه قطعة قماش لابسها فى دماغه — والطربوش مقلوب على قفاه — مثل حزمة البراطيش ، وهم لابسون زنوط وبشوت محزمين عليها ... وصورهم بشعة ، وعقائدهم مختلفة ، وأشكالهم شتى ، وأجناسهم متفرقة ، مابين أكراد ولاوند ودروز وشوام ... ولكن لم يحصل منهم ايذاء لأحد ، واذا اشتروا شيئا أخذوه بالمصلحة ، فباتوا بالخيام عند سبيل قيماز تلك الليلة .

الأحد ٢ منه (٢٧ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب عابدى باشا ودرويش باشا ، وذهبوا الى البساتين من خارج البلد . فمروا بالصحراء وباب الوزير ، وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والأرز والسمن وغيره .

وفيه : نودى على النصارى باحضار ما عندهم من الجوارى والعبيد ساعة تاريحه . ثم نزلت العساكر وهجمت على بيوت النصارى ، واستخرجوا ما فيها ... فكان شيئ كثيرا . وأحضروهم الى القبطان فأخرجوهم الى المزاد وباعوهم ، واشترى غالبهم العسكر ، وصاروا يبيعونهم على الناس بالمرابحة .

فاذا أراد انسان أن يشترى جارية ذهب الى بيت الباشا ، وطلب مطلوبه ، فيعرض عليه الجوارى من مكان عند باب الحريم . فاذا أعجبته جارية ، أو أكثر ، حضر صاحبها الذى اشتراها ، فيخبره برأس ماله ، ويقول : « وأنا آخذ مكسبى كذا » ، فلا يزيد ولا ينقص . فإن أعجبه الثمن دفعه ، والا تركها وذهب .

ثم وقع التشديد على ذلك ، وأحضروا الدلالين والنحاسين ، القدم والجدد ، وأستدلوا منهم على المبيوعات .

وفيه : جمع القبطان المهندسين ليستخبر منهم عن الخبايا والدفائن التى صنعوها فى البيوت وغيرها .

الاثنين ٣ منه (٢٨ اغسطس ١٧٨٦ م) :

أمر القبطان الأمراء والصناجق والوجاقلية أن يذهبوا للسلام على عابدى باشا ودرويش باشا .. فذهب الصناجق أولا بسائر أتباعهم وطوائفهم ، وتلاهم الوجاقلية ... فسلموا ورجعوا من البساتين ، وكلاهما فى جمع كثير .

الثلاثاء ٤ منه (٢٩ اغسطس ١٧٨٦ م) :

حضر عابدى باشا عند القبطان ، وسلم عليه ، ثم طلع الى القلعة وسلم على محمد باشا المتولى ، ثم نزل وخرج الى مخيمه بالبساتين .

وفيه : قرر على بيوت النصارى الذين خرجوا بصحبة الأمراء المصرية مبلغ دراهم مجموع متفرقها خمسة وسبعون الف ريال .

وفيه : أمر أيضا باحصاء بيوت جميع النصارى ودورهم وما هو فى ملكهم ، وأن يكتب جميع ذلك فى قوائم ، ويقرر عليها أجرة مثلها فى العام ، وأن يكشف فى السجل على ما هو جار فى أملاكهم .

ثم قرر عليهم أيضا خمسمائة كيس ، فوزعوها

على أفرادهم . وحصل لفقرائهم الضرر الزائد .

وقيل انهم حسبوا لهم الجوارى المأخوذة منهم من أصل ذلك ... على كل رأس أربعون ريالا .

وقرر أيضا على كل شخص دينارا جزية : العال كالدون ... وذلك خارج عن الجزية الديوانية المقررة !

الخميس ٦ منه (٣١ أغسطس ١٧٨٦ م) :

عمل محمد باشا ديوانا ، وخلع على مصطفى أغا — تابع حسن أغا ، تابع عثمان أغا وكيل دار السعادة سابقا -- وقلده وكيل دار السعادة كأستاذ أستاذه ... وكانت شاغرة من أيام على بيك .

وفيه أيضا : سمحوا فى جمرك البهار والسلخانة لباب الينكجرية كما كان قديما . وكان ذلك مرفوعا عنهم من أيام فتهور على بيك .

وفيه : انتقل عابدى باشا ودرويش باشا من ناحية البساتين الى قصر العينى بشاطىء النيل ، وجلسوا هناك .

وفيه : دفع قبطان باشا بعض دراهم السلفة التى كان اقترضها من التجار ، فدفع مال الافرنج جانبا لتجار المغاربة ... يغلاق الباقى ..

وفيه : قبض القبطان على راهب من رهبان النصارى ، واستخلص منه صندوقا من ودائع النصارى .

وفيه أيضا : قبض على شخص من الأجناد من بيته بخوشقدم ، وأخرجوا من داره زلعتين مسدودتين فى كل واحدة منهما يرفعها ثمانية من الرجال العتالين بالآلة ، لا يعلم ما فيها ...

الجمعة ٧ منه (١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

عمل شيخ السادات عزومة لحسن باشا عند تربة أجداده بالقرافة .

وفيه : حضر قاصد من طرف اسماعيل بيك وعلى يده مكاتبات من المذكور يخبر فيها بأنه وصل الى دجرجا وقصده الاقامة هناك لأجل المحافظة فى تلك الجهة حتى تسافر العسكر ، فاذا التقوا مع الأمراء وكسروهم وهزموهم يكون هو ومن معه فى أقفيتهم وقت الحرب ومانعا عند الهزيمة .

السبت ٨ منه (٢ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

قبض القبطان على المعلم واصف وحبسه وضربه وطالبه بالأموال . وواصف هذا أحد الكتاب الباشرين المشهورين ، ويعرف الايراد والمصاريف ، وعنده نسخ من دفتر الروزنامة ، ويحفظ الكليات والجزئيات ، ولا يخفى عن ذهنه شىء من ذلك ، ويعرف التركى .

الأحد ٩ منه (٣ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

قبض على بعض نساء المعلم ابراهيم الجوهرى من بيت حسن أغا كتخدا على بيك أمين احتساب سابقا ، فأقرت على خبايا أخرجوا منها أمتعة وأوانى ذهب وفضة وسروجا وغير ذلك .

الاثنين ١٠ منه (٤ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حصلت جمعية بالمحكمة بسبب جمرك البهار . وذلك أن ابراهيم بيك شيخ البلد أخذ من التجار فى العام الماضى مبلغا كبيرا من حساب الباشا ، وذلك قبل حضوره من ثغر الاسكندرية ، فلما حضر دفعوا له البواقى وحاسبهم وطالبهم بذلك المبلغ فماطلوا ووعدوه الى حضور المراكب .

فلما حضرت المراكب فى أوائل رمضان من هذه السنة أحضرهم وطالبهم ، فلم يزالوا يسوفونه ويعتذرون له — وذلك خوفا من ابراهيم بيك — ويعيدون القول على ابراهيم بيك فيقول لهم لاتفضحونى ، ويلاطفهم ويداهنهم كما هى عادته ، والباشا يطالبهم ... فلما ضاق خناقهم أخبروه أن

ابراهيم بيك بطلب ذلك ويقول : « أنا محتاج لذلك فى هذا الوقت . ووالدى الباشا يمهل وأنا أحاسبه به بعد ذلك »...ولم يحبروه أنه أخذه ، فلم يرض ولم نقبل ، وصار يرسل الى ابراهيم بيك يشكو له من التجار ومطلهم ، فيرسل ابراهيم بيك مع رسوله معينين من سراجينه تقولون للتجار : « ادفعوا مطلوبات الباشا » فاذا حضر اليه التجار تملق لهم ويقول : « اشتروا لحيتى واشترونى » ... فلم يزل التجار فى حيرة بينهما .

وقصد ابراهيم بيك أن التجار يدفعون ذلك القدر ثانيا الى الباشا ، وهم يثاقلونه خوفا من أن يقهرهم فى الدفع ثم حصلت الحركات المذكورة وحضور القبطان وخروج ابراهيم بيك واخوانه ، فبقى الأمر على السكوت .فلما راق الحال واطمأن الباشا أرسل يطالب التجار بالمبلغ ، وهو أربعة وأربعون ألف ريال فرانسة . فعند ذلك أفصحوا له عن حقيقة الأمر ، وأنهم دفعوا ذلك لابراهيم بيك قبل حضوره الى مصر ، فاشتد غيظه وقال : « ومن أمركم بذلك ، ولا يلزمنى . ولا بد من أخذ عوائدى على الكامل » . ثم انهم ذهبوا الى حسن باشا واستجاروا به فأمرهم أن يترافعوا الى الشرع . فاجتمعوا يوم الأحد فى المحكمة ، وأقام الباشا من جهته وكيلا وأرسله صحبة أنفار من الوجاقلية ، واجتمعت التجار حتى ملأوا المحكمة . وطلبوا حضور العلماء .. فلم يحضروا . وانفض المجلس بغير تمام .

ثم حضر التجار فى ثانى يوم ، وحضر العلماء .. ولم يحضر وكيل الباشا .

ثم أبرز التجار رجعة بختم ابراهيم بيك وتسلمه المبلغ مؤرخة فى ١٢ شعبان أيام قائمقاميته ووكالته عن الباشا ، وأبرزوا فتاوى أيضا . وسئل العلماء فأجابوهم بقولهم : « حيث ان الباشا أرسل فرمانا لابراهيم بيك أن يكون قائما مقامه ووكيلا عنه الى حين حضوره ... فيكون فعل الوكيل كالأصيل ، وتخلص ذمة التجار . وليس للباشا مطالبتهم ، ومطالبته على ابراهيم بيك ... على أن ذلك ليس حقا شرعيا » .

وكتب القاضى اعلاما بذلك وأرسله الى الباشا ، وانفض المجلس على دماغ الباشا !

الخميس ١٣ منه (٧ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

تعين للسفر عدة من العساكر البحريه فى المراكب ، ولحقت بالمراكب السابقة .

الجمعة ١٤ منه (٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أحمد باشا — والى جدة — الذى كان مقيما بثغر الاسكندرية ، الى ثغر بولاق . فذهب لملاقاته على بيك الدفتردار ، وكتخدا الجاويشية ، وأرباب الخدم . فركب صحبتهم ، وتوجه الى ناحية العادلية ، وجلس هناك بالقصر .

السبت ١٥ منه (٩ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر حسن باشا ، وعابدى باشا ، ودرويش باشا الى بيت الشيخ البكرى بالأزبكية باستدعاء ، وجلسوا هناك الى العصر وقدم لهم تقادم وهدايا . وحضروا اليه فى مراكب من الخليج .

الأحد ١٦ منه (١٠ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

أحضروا عند حسن باشا رجلا من الأجناد يسمى رشوان كاشف من ممالك محمد بيك أبى الذهب ، فأمر برمى عنقه .. ففعلوا به ذلك وعلقوا رأسه قبالة باب البيت .

قيل ان سبب ذلك أنه كان بجرجا أيام الحركة ، فلما خرج رفقاؤه حضر الى مصر وطلب الأمان فأمنوه ، ولم يزل بمصر الى هذا الوقت ، فحدثته نفسه بالهروب الى قبلى فركب جواده وخرج

فقبض عليه المحافظون وأحضروه الى حسن باشا فأمر برمى عنقه . وقيل ان السبب غير ذلك .

وفيه : وصلت مراسلة من كبير العساكر البحرية وآخبروا أنهم وقع بينهم وبين الأمراء القبالى لطمة ورموا على بعضهم مدافع وقنابر من المراكب ، فانتقل المصريون من مكانهم وترفعوا جهة الجبانة ، وصار البلد حائلا بين الفريقين ، وساحل أسيوط طرد لايحمل المراكب ، ومن الناحية الأخرى جزيرة تعوقهم عن التقرب اليهم ، وصوروا صورة ذلك وهيئته فى كاغد لأجل المشاهدة ، وأرسلوها مع الرسول .

وفيه : عمل الديوان بالقلعة ، وتقلد قاسم بيك أبو سيف ولاية جرجا وسارى عسكر التجريدة المعينة صحبة عابدى باشا ودرويش باشا ، ومعهم من الصناجق أيضا على بيك جركس الاسماعيلى وغيطاس بيك المصالحى ومحمد بيك كشكش ، ومن الوجاقلية خمسمائة نفر ... وأخذوا فى التجهيز والسفر .

الاثنين ١٧ منه (١١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر الى ساحل بولاق أغا من الديار الرومية ، وهو أميراخور ، وعلى يده مثالات وخلع وهو جواب عن الرسالة بالأخبار الحاصلة ، وخروج الأمراء .. فركب أغات مستحفظان ، ومن له عادة بالركوب لملاقاته ، وطلع حسن باشا ، وعابدى باشا ، وأحمد باشا الجداوى ، ودرويش باشا ، والأمراء ، والصناجق ، والوجاقات ، والقاضى ، والمشايخ .. واجتمعوا بالقلعة ، وحضر الأغا من بولاق بالموكب ، والنوبة خلفهم ، وبقية الأغوات وهم يحملون بقجا على أيديهم ، والمكاتبات فى أكياس حرير على صدورهم .

ولما دخلوا باب الديوان قام الباشوات والأمراء على أقدامهم ، وتلقوهم ، ثم بدأوا بقراءة المرسوم المخاطب به حسن باشا ، فقرأوه ، ومضمونه التبجيل والتعظيم لحسن باشا ، وحسن الثناء عليه بما فعله من حسن السياسة ، والوصية على الرعية ، وصرف العلائف والغلال .

وفيه : ذكر اسماعيل بيك وحسن بيك والتحريض والتأكيد على القتل والانتقام من العصاة ..

ولما فرغوا من قراءة ذلك ، أخرجوا الخلعة المخصوصة به ، فلبسها — وهى فروة سمور وقفطان أصفر مقصب مفرق الأكمام — فلبسه من فوق .. وسيف مجوهر تقلد به

ثم قرأوا المرسوم الثانى ، وهو خطاب لمحمد باشا يكن ، المتولى . ومعه الخطاب للقاضى والعلماء والأمراء والوجاقلية ، والثناء على الجميع ، والنسق المتقدم فى المرسوم السابق . ثم لبس الخلعة المخصوصة به — وهى فروة وقفطان .

ثم قرأوا المرسوم الثالث ، وهو خطاب لأحمد باشا ، والى جدة ، بمثل ذلك . ولبس خلعته أيضا — وهى فروة وقفطان .

ثم قرىء المرسوم الرابع ، وفيه الخطاب لعابدى باشا ، ومضمونه ما تقدم . ولبس أيضا خلعته وفروته .

ثم قرىء المرسوم الخامس ، ومضمونه الخطاب لدرويش باشا ، وذكر ما تقدم . ولبس خلعته .

ثم مرسوم بالخطاب لعلى بيك الدفتردار ، ومضمونه الثناء عليه من عدم التأخر عن الاجابة والنسق .

ثم فرمان ثان ، وهو خطاب لأمير الحج ، والوصية بتعلقات الحج ..

فما فرغوا من ذلك الا بعد الظهر ، ثم ضربوا مدافع كثيرة ، ودخلوا الى داخل ، وجلسوا مع بعضهم ساعة ، ثم ركبوا ونزلوا الى أماكنهم .

وكان ديوانا عظيما ، وجمعة كبيرة لم تعهد قبل

ذلك . ولم يتفق أنه اجتمع في ديوان خمسة باشوات في آن واحد ..

الاربعاء ١٩ منه (١٣ سبتمبر ١٧٨٦) :

عمل الباشا ديوانا ، وخلع على باكير آغا مستحفظان وقلده صنجقا ، وخلع على عثمان آغا الوالى وقلده أغات مستحفظان عوضا عن باكير أغا ...

الخميس ٢٠ منه (١٤ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

خلع الباشا على اسماعيل كاشف من أتباع كشكش وقلده واليا عوضا عن عثمان أغا المذكور ، وأقر أحمد أفندى الصفائي في وظيفته روزنامجى أفندى على عادته ، وكانوا عزموا على عزله وأرادوا نصت غيره فلم يتهيأ ذلك .

وفيه : وصل ابراهيم كاشف من طرف اسماعيل بيك وحسن بيك ، وأخبر بقدومهما ، وأنهما وصلا الى شرق أولاد يحيى ، وأرسلا يستأذنان فى المقام هناك بالجمعية ، حتى تصل العساكر المعينة فيكونوا معهم .. فلم يجبه حسن باشا الى ذلك ، وحثه على الحضور فيقابله ، ثم يتوجه من مصر ثانيا ، ثم أجيت الى المقام حتى تأتيهم العساكر .

وأخبرا أيضا أن الأمراء القبليين لم يزالوا مقيمين بساحل أسيوط على رأس المجرور ، وبنوا هناك متاريس ونصبوا مدافع ، وأن المراكب راسية تجاههم ولا تستطيع السير فى ذلك المجرور الا باللبان .. لقوة التيار ومواجهة الريح للمراكب .

وفيه : استعفى على بيك جركس الاسماعيلى من السفر ، فأعفى .. وعين عوضه حسن بيك رضوان .

وأنفق حسن باشا على العسكر : فأعطى لكل أمير خمسة عشر ألف ريال ، وللوجاقلية سبعة عشر ألف ريال .

وأنفق عابدى باشا فى عسكره النفقة أيضا : فأعطى لكل عسكرى خمسة عشر قرشا .. فغضبت طائفة الدلاة ، فاجتمعوا بأسرهم وخرجوا الى العادلية يريدون الرجوع الى بلادهم . وحصل فى وقت خروجهم زعجة فى الناس . وأغلقت الحوانيت ولم يعرفوا ما الخبر !

ولما بلغ حسن باشا خبرهم ركب بعسكره وخرج يريد قتلهم . وخرج معه المصريون ، وركب عابدى باشا أيضا ولحق به عند قصر قايماز — وكان هناك أحمد باشا الجداوى ، فنزل اليه أيضا ، واجتمعوا اليه ، واستعطفوا خاطره ، وسكنوا غضبه ، وأرسلوا الى جماعة الدلاة فاسترضوهم وزادوا لهم فى نفقتهم ، وجعلوا لكل نفر أربعين قرشا .. وردوهم الى الطاعة .

ورجع حسن باشا وعابدى باشا الى أماكنهم قبيل الغروب .

وفى صبح ذلك اليوم سافر اسماعيل كتخدا بطائفة من العسكر فى البحر الى جهة قبلى .

وفيه (أعنى يوم الخميس) : أخرجوا جملة غلال من حواصل بيوت الأمراء الخارجين .. فأخرجوا من بيت أيوب بيك الكبير ، وبيت أحمد أغا الجملية ، وسليمان بيك الأغا ، وغيرهم .

وفيه أيضا : أخذت عدة ودائع من عدة أماكن ، وتشاجر رجل جندى مع خادمه ، وضربه وطرده ، ولم يدفع له أجرته .. فذهب ذلك الخادم الى حسن باشا ، ورفع اليه قصته ، وذكر له أن عنده صندوقا مملوءا من الذهب من ودائع الغائبين . فأرسل صحبته طائفة من العسكر فدلهم على مكانه فأخرجوه وحملوه الى حسن باشا .. وأمثال ذلك .

الجمعة ٢١ منه (١٥ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

فتحوا بيت المعلم ابراهيم الجوهرى وبأعوا

ما فيه وكان شيئا كثيرا من فرش ومصاغ وأوان وغير ذلك .

السبت ٢٢ منه (١٦ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

برز عابدى باشا ودرويش باشا وأخرجا خيامهما الى البساتين قاصدين السفر .

وفيه : ركب على بيك الدفتردار وذهب الى بولاق ، وفتح الحواصل وأخرج منها الغلال لأجل البقسماط والعليق .

الاحد ٢٣ منه (١٧ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على الغز والأجناد والأتباع البطالين أن يخدموا عند الأمراء .

الاثنين ٢٤ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

سافر عابدى باشا ودرويش باشا .

وأخرج الأمراء الصناجق خيامهم ، ونصبوا مكان المرتحلين .

وفيه حضر باشا من ناحية الشام — وهو أمير كبير من أمراء شين أغلى — وصحبته نحو ألف عسكرى ، فنزل بهم بالعادلية .

الثلاثاء ٢٥ منه (١٩ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

دخلت عساكر المذكور الى القاهرة ، وأميرهم توجه الى ناحية البساتين من نواحى باب الوزير .

وفيه : غمز على مكان ببيت أيوب بيك الكبير مسدود الباب ، ففتح وأخرج منه أشياء كثيرة ، وكذلك ببيت المعلم ابراهيم الجوهرى مكان مرتفع مهدوم الدرج ، وكان ذلك المكان لولده وقد مات من نحو سنتين . فلما مات هدم الدرج التى يتوصل منها اليه حزنا عليه وتركه بما فيه ، فصعدوا اليه وأخرجوا منه أشياء كثيرة من فرش وأمتعة مزركشة وأوانى ذهب وفضة وصينى وغير ذلك فأحضرت جميعها الى حسن باشا وباعها بين يديه بالمزاد فى عدة أيام .

وفيه : قتل حسن باشا شخصين من عسكر عابدى باشا ، تخلفا عنه ، فقبض عليهما وأحضرهما اليه ، فأمر بقتلهما ، ففعلوا بهما ذلك تجاه الباب .

الخميس ٢٧ منه (٢١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

سافر أمير شين أغلى بعساكره جهة قبلى .

الجمعة ٢٨ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى بفرمان بمنع زفاف الأطفال للختان فى يوم الجمعة بالطبول . وسبب ذلك أن حسن باشا صلى بجامع المؤيد شيخ ، الذى بباب زويلة ، فعندما شرع الخطيب فى الخطبة واذا بضجة عظيمة وطبول مرعجة ، فقال الباشا : « ماهذا ؟ » فأخبروه بذلك فأمر بمنع ذلك فى مثل هذا الوقت .

ذو الحجة

الاثنين غرته (٢٥ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

أشيعت أخبار وروايات ووقائع بين الفريقين وأن جماعة من القبالى حضروا بأمان عند اسماعيل بيك .

الثلاثاء ٢ منه (٢٦ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر الى مصر ، فيض الله افندى ، رئيس الكتاب ، فتوجه الى حسن باشا ، فتلقاه بالاجلال والتعظيم ، وقابله من أول المجلس . ثم طلع الى القلعة وقابل محمد باشا أيضا ، ثم نزل الى دار أعدت له ، ثم انتقل الى دار بالقلعة عند قصر يوسف.

الخميس ٤ منه (٢٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أغا ، وعلى يده تقرير لمحمد باشا على السنة الجديدة ، فركب من بولاق الى العادلية ، وخرج اليه أرباب الخدم والدفتردار وأغات مستحفظان ، وأغات العزب والوجاقلية ، ودخل

بموكب عظيم من باب النصر ، وشــق القاهرة ، وطلع الى القلعة .

السبت ٦ منه (٣٠ سبتمبر ١٧٨٦ م) .

نودى بأن من كانت له دعوة وانقضت حكومتها فى الأيام السابقة ، لاتعاد ولا تسمع ثانيا ، وسبب ذلك تسلط الناس على بعضهم فى التداعى .

وفيه : ردت السلفة التى كانت أخذت من تجار المغاربة ، وهى آخر السلف المدفوعة .

الاربعاء ١٠ منه (٤ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

كان عيد النحر ، وفيه وردت أخبار من الجهــة القبلية بوقوع مقتلة عظيمة بين الفريقين ، وقتل من المصرية عمر كاشف الشرقية ، وحسن كاشف وسليمان كاشف ، ثم انحازت العسكر الى المراكب ، ورجع الأمراء الى وطاقهم ، فاغتــم حسن باشــا لتمادى أمرهم ، وكان يرجو انقضاءه قبل دخول الشتاء ويأخذ رؤوسهم ويرجع بهم الى سلطــانه قبل هبوط النيل لسير المراكب الرومية .. حتى انه منع من فتح الترع التى من عادتهــا الفتح بعــد الصليب — كبحر أبى المنجا وموبس والقرنين — خوفا من نقص الماء فتتعوق المراكب الكبار .

وفيه : حضر واحد ططرى ، وعلى يده مرسوم ، فطلب حسن باشا محمد باشا المتولى فنزل اليه وجمع الديوان عنده ، فقرأ عليهم ذلك المرسوم وحاصله : الحث والتشــديد والاجتهاد فى قتــل العصاة ، والفحص عن أموالهم وموجوداتهم ، والانتقام ممن تكون عنده وديعة ولا يظهرها ، وعدم التفريط فى ذلك .. وطلب حــلوان عن البــلاد ، فائظ ثلاث سنوات .

وفيه : حضر ابراهيم بيك قشطة الاسماعيلى ـــ وصحبته زوجته ، ابنة اسماعيل بيك ، وحــــريم اسماعيل بيك أيضا — وســـكنوا فى دارهم التى ببركة الأزبكية .

الخميس ١٨ منه (١٢ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

حضر عثمــان بيك طبل الاسماعيلى ، فذهب عند على بيك الدفتردار . وتوجه صحبته الى حسن باشا ، فسأله عن أحوال العسكر ، وأخبره أنهم محتاجون لنفقة وذخيرة ، وأن عساكر عابدى باشا ثعبانون بسبب قلة النفقة ، وحاصل عندهم قلقة ، وأن الأمراء القبالى ترفعوا الى طحطا .. فأمر حسن باشا بتشهيل بقسماط واحتياجات ، وأوصل عثمان بيك مائتين وسبعين كيسا برسم النفقة .

الاحد ٢١ منه (١٥ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

ســافر عثمان بيك المذكور ، وأرســلوا خلفه المراكب المشحونة بالبقسماط والشــعير والسمن والزيت .

٢٤ منه (١٨ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

خلع على أحمد جاويش المجنون ، وتقلد كتخدا مستحفظان .

فى اواخره (اواخر اكتوبر ١٧٨٦ م) :

أرسل عابدى باشا مكاتبة حضرت له من الأمراء القبالى . وصورتها — وهى جواب عن رسالتهم ، وهى باللغة التركية ، وحاصل ما فهمته من ذلك :

« أنكم تخاطبــونا بالكفرة والمشركين والظلمة والعصاة .

« واننا — بحمد الله تعالى — موحــــدون ، واسلامنا صحيح ، وحججنا بيت الله الحرام .

« وتكفير المؤمن كفر ، ولسنا عصاة ولا مخالفين . وما خرجنا من مصر عجزا ولا جبنا من الحرب الا طاعة للسلطان ولنائبه ، فانه أمرنا بالخروج حتى تسكن الفتن وحقنا للدماء ، ووعدنا أنه يسعى لنا

فى الصلح .. فخرجنا لأجل ذلك ولم نرض باشهار السلاح فى وجوهكم ، وتركنا بيوتنا وحريمنا فى عرض السلطان ، ففعلتم بهم ما فعلتم ، ونهبتم أموالنا وبيوتنا ، وهتكتم أعراضنا وبعتم أولادنا وأحرارنا وأمهات أولادنا .. وهذا الفعل ماسمعنا به ولا فى بلاد الكفر .

« وماكفاكم ذلك حتى أرسلتم خلفنا العساكر يخرجونا من بلاد الله ، وتهددونا بكثرتكم . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، وأن عساكر مصر أمرها فى الحرب والشجاعة مشهور فى سائر الأقاليم ، والأيام بيننا .

« وكان الأولى لكم الاجتهاد والهمة فى خلاص البلاد التى غصبها منكم الكفار واستولوا عليها ، مثل بلاد القرم والودن واسماعيل وغير ذلك » .

وأمثال هذا القول ، وتخشين الكلام تارة وتليينه أخرى . وفى ضمن ذلك آيات وأحاديث وضرب أمثال وغير ذلك .

فأجابهم عابدى باشا ونقض عليهم ، ونسب كاتبهم الى الجهل بصناعة الانشاء ، وغير ذلك مما يطول شرحه .

وانقضت هذه السنة وما وقع بها من الحوادث الغريبة .

***

ومات فى هذه السنة الشيخ العلامة المحقق ، والفهامة المدقق ، شيخنا الشيخ محمد بن موسى الجناجى ، المعروف بالشافعى . وهو مالكى المذهب . أحد العلماء المعدودين ، والجهابذة المشهورين . تلقى عن مشايخ عصره ، ولازم الشيخ الصعيدى ملازمة كلية ، وصار مقرئه ومعيدا لدروسه .

وأخذ عن الشيخ خليل المغربى والسيد البليدى . وحضر على الشيخ يوسف الحفنى والملوى .

وتمهر فى المعقول والمنقول ، ودرس الكتب المشهورة الدقيقة ، مثل : « المغنى » لابن هشام ، والأشمونى ، والفاكهى ، والسعد ، وغير ذلك .

وأخذ علم الصرف عن بعض علماء الأروام ! وعلم الحساب والجبر والمقابلة وشباك ابن الهائم عن الشيخ حسين المحلاوى .

واشتهر فضله فى ذلك وألف فيها رسائل .

وله فى تحويل النقود بعضها الى بعض رسالة نفيسة تدل على براعته وغوصه فى علم الحساب . وكان له دقائق وجودة استحضار فى استخراج المجهولات وأعمال الكسورات والقسمه والجذورات ، وغير ذلك من قسمة المواريث والمناسخات والأعداد الصم والحل والموازين ... ما انفرد به عن نظائره ...

وكان مهذب الأخلاق جدا ، متواضعا ، لايعرف الكبر ولا التصنع أصلا ، يلبس أى شىء من الثياب الناعمة والخشنة ، ويذهب بحماره الى جهة بولاق وبشترى البرسيم ويحمله عليه ويركب فوقه ، ويحمل طبق العجين الى الفرن على رأسه ، ويذهب فى حوائج اخوانه .

ولما بنى محمد بك أبو الذهب مسجده تجاه الأزهر تقرر فى وظيفة خزن الكتب نيابة عن محمد أفندى حافظ ، مضافة الى وظيفة تدريس مع المشايخ المقررين ... فلازم التقييد بها ، وينوب عنه أخوه الشيخ حسن فى غيابه .

وكان أخوه هذا ينسخ أجزاء القرآن بخط حسن فى غاية السرعة ، ويتحدث مع الناس وهو يكتب من حفظه ولا يغلط .

ولم يزل المترجم (أى صاحب السيرة) يملى ويفيد ، ويبدى ويعيد ، مقبلا على شأنه ، ملحوظا بين أقرانه ، حتى وافاه الحمام فى سابع عشرين جمادى الآخرة من السنة مطعونا (١) . وصلى عليه

(١) أى انه مات بالطاعون .

بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بتربة المجاورين .

* * *

ومات فيها أيضا الأجل المكرم أحمد بن عياد المغربى الجربى .

كان من أعيان أهل تونس ، وتولى بها الدواوين ، وأثرى ، فوقع بينه وبين اسماعيل كتخدا حمودة — باشة تونس — أمور أوجبت جلاءه عنها . فنزل فى مركب بأهله وأولاده وماله ، وحضر الى اسكندرية . فلما علم به القبطان أراد القبض عليه ، وأخذ أمواله ، فشفع فيه نعمان أفندى قاضى الثغر — وكان له محبة مع القبطان — فأفرج عنه ، فأهدى ابن عاد لنعمان أفندى ألف دينار فى نظير شفاعته كما أخبرنى بذلك نعمان أفندى المذكور .

ثم حضر الى مصر ، وسكن بولاق بشاطىء النيل بجوار دارنا التى كانت لنا هناك ، ومعه ابنه صغيرا ، ونحو اثنتى عشرة سرية من السرارى الحسان ، طوال الأجسام ، وهن لابسات ملابس الجزائر بهيئة بديعة تفتن الناسك . وكذلك عدة من الغلمان المماليك ... كأنما أفرغ الجميع فى قالب الحسن .. وهم الجميع بذلك الزى !

وصحبته أيضا صناديق كثيرة ، وتحائف وأمتعة ... فأقام بذلك المكان منجمعا عن الناس ، لايخرج من البيت قط ، ولا يخالط أحدا من أهل البلدة ، ولا يعاشر الا بعض أفراد من أبناء جنسه يأتونه فى النادر . فأقام نحو ثمانى سنوات . ومات أكثر جواريه ومماليكه وعبيده .

وخرج بعده من توس اسماعيل كتخدا أيضا فارا من حمودة باشا ابن على باشا ، وحضر الى مصر ، وحج ، ورجع الى اسلامبول واتصل بحسن باشا ولازمه فاستوزره وجعله كتخداه .

فلما حضر حسن باشا الى مصر أرسل اليه ابن عياد تقدمة وهدية فقبلها .

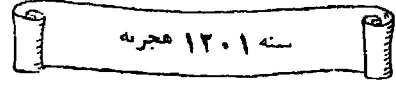
وحضر أيضا فى أثره اسماعيل كتخداه المذكور ، فأغراه به لما فى نفسه منه من سابق العداوة . والظلم كمين فى النفس : القوة تظهره ، والضعف يخفيه .

فأرسل حسن باشا يطلب ابن عياد للحضور اليه بأمان فاعتذر وامتنع ، فسكت عنه أياما ثم أرسل يستقرض منه مالا فأبى أن يدفع شيئا ، ورد الرسل أقبح رد ، فرجعوا وأخبروا اسماعيل كتخدا — وكان بخان الشرايبى بسبب المطلوب من التجار — فحنق لذلك وتحرك كامن مافى قلبه من العداوة السابقة ، وركب فى الحال وذهب الى بولاق ودخل الى بيته وناداه ، فأجابه بأحسن الجواب ، وأبى أن ينزل اليه ، وامتنع فى حريمه ، وقال له : « أما كفاك أنى تركت لك تونس حتى أتيتنى الى هنا ؟ » ... وضرب عليه بنادق الرصاص ، فقتل من أتباعه شخصين ، فهجم عليه اسماعيل كتخدا ، وطلعوا اليه وتكاثروا عليه وقتلوه ، وقطع رأسه ، وأراد قتل ولده أيضا فوقعت عليه أمه فتركوه .

وأخرجوا جثته خارج الزقاق ، فألقوها فى طريق المارة . وأخرجوا نساءه وخدمه واحتاطوا بالبيت وختموا عليه .

ورجع اسماعيل كتخدا الى خان الشرايبى وهو ملطخ بالدم ، وبه الحاج سليمان الساسى ... فلطمه على وجهه وقال : « بلغ منكم — ياجربيون — تفعلون هذه الفعال ، وتحاربون رجال الدولة ؟ » ... وقبض عليه وصادره ..

وما الدهر ، فى حال السكون ، بساكن
ولكنه مستجمع لوثوب



سنه ١٢٠١ هجريه

المحرم

الاثنين ٧ منه (٣٠ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

حضر اسماعيل بيك فى تطريدة الى مصر ، فركب بمفرده وهو ملثم بمنديل . وحضر عند حسن باشا وقابله ، وهو أول اجتماعه به . فجلس معه مقدار درجتين لا غير ، واستأذنه فى القيام ، فخلع عليه فروة سمور وقام وذهب الى بيت مملوكه على بيك جركس ، وهو بيت أيوب بيك الصغير الذى فى الحبانية .

وكان السبب فى حضوره على هذه الصورة أنه فى يوم الخميس ٣ المحرم (٢٦ اكتوبر ١٧٨٦ م) التقوا مع الأمراء القبليين واتفقوا معهم عند المنشية ، فكان بينهم وقعة عظيمة وقتل من الفريقين جملة كبيرة وأبلى فيها المصريون البحرية والقبلية مع بعضهم ، وتنحت عنهم العساكر العثمانية ناحية ، وهجمت القبالى ، وألقوا بأنفسهم فى نار الحرب ، وطلب كل غريم غريمه . ثم اندفعت العثمانية مع البحرية وظهر من شجاعة عابدى باشا ما تحدث به الفريقان فى شجاعته .

وأصيب اسماعيل بيك برشة رصاص دخلت فى فمه وطلعت من خده ، فولى منهزما ، وألقى نفسه فى البحر ، وركب فى قنجة ، وحضر الى مصر على الفور ، ولم يدر ماذا جرى بعده .

فلما حضر على هذه الصورة وأشيع وقوع الكسرة والهزيمة على التجريدة اضطربت الأقاويل ، واختلفت الروايات ، وكثرت الأكاذيب ، وأربح العثمانيون ، وأرسل حسن باشا الرسل لاحضار العساكر التى بالاسكندرية وكذلك أرسل الى بلاد الروم .

السبت ١٢ منه (٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر حسن بيك الحداوى ، وجماعة من الوحاقات والعساكر ، فذهب حسن بيك الى حسن باشا ، وقابله — وقد أصيب بسيف على يده — فخلع عليه فروة ، ثم ذهب الى بيته القديم .. وهو بيت الداوودية .

وكذلك حضر بقية الأمراء الصناجق ، وأصيب قاسم بيك بضربة جرحت أنفه

وكذلك حضر عابدى باشا ، وطلع الى قصر العينى وأقام به .

وفيه : حضر ططرى وعلى يده مرسوم بعزل محمد باشا عن ولاية مصر وولاية عابدى باشا مكانه ، وأن محمد باشا يتوجه الى ولاية ديار بكر عوضا عن عابدى باشا . فشرع عابدى باشا فى نقل عزاله الى بولاق ، فتحدث الناس أن ذلك من فعل حسن باشا لأن بينهما أمورا باطنية .

الاثنين ١٤ منه (٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

عمل حسن باشا ديوانا فى بيته اجتمع فيه جميع الأمراء والصناجق والمشايخ ، وألبس اسماعيل بيك خلعة وجعله شيخ البلد وكبيرها ، وألبس حسن بيك خلعة وقلده أمير الحج . ثم قال يخاطب الجمع : « هذا اسماعيل بيك حضر اليكم وصار كبيركم ، فشدوا عزمكم وتأهبوا لقتال أخصامكم وكل انسان يقاتل عن نفسه » .. فسكتوا جميعا ولم يجيبوه فقال أحمد جربجى أرنؤود : « كيف يخرجون من غير مصروف ؟ وكل انسان يلزمه أتباع وخدم ودواب » . فقال : « الذى يأكله الانسان فى يوم يقسمه على يومين » . فخرجوا من مجلسه وهم كاظمون لغيظهم .

هذا واسماعيل بيك متململ من جرحه ،

والسيد عثمان الحمامى يعالجه ، وأخرج من عنقه ست عشرة زردة من زرد الزرخ ، فان الرصاص لما أصابه منعه الزرخ من الغوص فى الجسد فغاص نفس الزرد ، فأخرجه السيد عثمان بالآلة واحدة بعد واحدة بغاية المشقة والألم ، ثم عالجه بالأدهان والمراهم حتى برىء فى أيام قليلة .

وفيه : حضر الى اسماعيل بيك رجل بدوى وأخبر أن الجماعة القبليين زحفوا الى بحرى ووصلت أوائلهم الى بنى سويف ، وأخبر أنه مات منهم مصطفى بيك الداوودية ، ومصطفى بيك السلحدار ، وعلى أغا — خازندار مراد بيك سابقا — ونحو خمسة عشر أميرا من الكشاف ، وأن نفوسهم قويت على الحرب .

الثلاثاء ١٥ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر اسماعيل أغا كمشيش — وكان ممن تخلف فى الأسر عند القبليين — فأفرجوا عنه وأرسلوا معه مكاتبة يذكرون فيها طلب الصلح وتوبتهم السابقة .. واستعدادهم للحرب ان لم يجابوا فى ذلك .

الاربعاء ١٦ منه (٨ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نزل محمد باشا من القلعة ، وذهب الى بولاق .

الخميس ١٧ منه (٩ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على النفر والألضاشات والأجناد والمماليك بأن يتبع كل شخص متبوعه وبابه . ومن وجد بعد ثلاثة أيام بطالا — ولم يكن معه ورقة — يستحق العقوبة .. وكذلك حضور الغائبين بالأرياف .

وفيه : أخذ أحمد باشا القبطان — المعروف بحماجى أوغلى — المراكب الرومية التى بقيت فى النيل وجملة نقاير وصعد بهم الى ناحية دير الطين قريبا من التبين ، وشرعوا فى عمل متاريس وحفر خنادق هناك ، ونقلوا جملة مدافع أيضا .

وكان أشيع طلوع عابدى باشا الى القلعة فى ذلك اليوم فلم يطلع ، وحضر عند حسن باشا وتكلم معه كلاما كثيرا وقال : « كيف أطلع وأتسلطن فى هذا الوقت والأعداء زاحفون على البلاد ، وأولاد أخى قتلوا فى حربهم ؟ ولا أطلع حتى آخذ بثأرهم أو أموت » .

ثم قام من عنده ورجع الى قصر العينى .

وفيه : سافر عمر كاشف الشعراوى لملاقاة الحجاج الى القلزم ، وحضرت مكاتيب الجبل على العادة القديمة ، وأخبروا بالأمن والراحة .

الجمعة ١٨ منه (١٠ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج رضوان بيك بلفيا ، وسليمان بيك الشابورى ، وعبد الرحمن بيك عثمان .. وبرزوا خيامهم ناحية البساتين .

وفيه : عمل حسن باشا ديوانا ، وخلع على ثلاثة أشخاص من أمراء حسن بيك الجداوى وقلدهم صناجق وهم : شاهين وعلى وعثمان .

وفيه : حضر الى مصر ذو الفقار الخشاب — كاشف الفيوم ، المعروف بأبى سعده .

السبت ١٩ منه (١١ نوفمبر ١٧٨٦ م) .

خرج غالب الأمراء الى ناحية البساتين ، وورد الخبر عن القبليين أنهم لم يزالوا مقيمين فى ناحية بنى سويف .

وفيه : أنفق حسن باشا ثلث النفقة على العسكر . فأعطى اسماعيل بيك عشرين ألف دينار ، وحسن بيك خمسة عشر ألفا ، ولكل صنجق عشرة آلاف ، ولكل طائفة وجاق أربعة آلاف .. فاستقل الينكجرية حصتهم ، وكتبوا لهم عرضحال يطلبون الزيادة فى نفقتهم .

وفيه : طلب حسن باشا دراهم سلفة من التجار فوزعوها على أفرادهم ، فحصل لفقرائهم الضرر وهرب أكثرهم وأغلقوا حوانيتهم وحواصلهم فصاروا يسمرونها وكذلك البيوت ، وطلبوا أيضا الخيول والبغال والحمير وكبسوا البيوت والأماكن لاستخراجها . وعزت الخيول جدا وغلت أثمانها .

الاثنين ٢١ منه (١٣ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

قبض حسن باشا على اسماعيل أغا كمشيش وأمر بقتله ، وأخرجوه من بين يديه وعلى رأسه دفية ، فشفع فيه الوجاقلية فعفا عنه من القتل وسجنوه .

وسبب ذلك أنه أحضر صحبته عدة مكاتيب سرا خطابا لبعض أنفار ، فظهروا على ذلك .. فوقع له ما وقع .

وفيه : عمل حسن باشا ديوانا عظيما جمع فيه الأمراء والأعيان وقرأوا مكاتبات أرسلها القبليون يطلبون الصلح والأمان ، ويذكرون لعابدى باشا ما نهب له فى المعركة ، وأن يرسل قائمة بذلك ويردون له ما ضاع بتمامه . فقال عابدى باشا لحسن بيك الجداوى : «ما تقول فى هذا الكلام ؟» قال : « أقول لا نأخذه الا بالسيف كما أخذوه منا بالسيف » . فقال : « وهذا جوابى » .

ثم ان حسن بيك قال لحسن باشا : « يامولانا ، الرأى أن لا يصحبنا أحد من المحمدية مطلقا ، فانهم أعداؤنا فيلحقنا منهم الضرر » . فأجابه الى ذلك وأمر بجمع خيولهم .

ثم ان حسن باشا قال يخاطب الأمراء خطابا عاما: « اسمعوا ! ربما تحدثكم نفوسكم وتقولون هؤلاء عثمانية لا نملكهم بلادنا ، أو أنهم مقصرون معنا فى النفقة ، والمصرلية غرضهم مع بعضهم .. فتذهبوا معنا ثم يقع منكم الخيانة والمخامرة » . ثم حلف أنه ان وقع منهم شيء من ذلك ليكون سببا فى خراب مصر سبع سنوات ولا يبقى بها أحد .

وانفض الديوان ووقع الاتفاق على أن يكتبوا لهم جوابا عن رسالتهم ، ملخصها : ان كان قصدهم الصلح والأمان وقبول التوبة فانهم يجابون الى ذلك . ويحضر ابراهيم بيك ومراد بيك ويأخذ لهم حضرة القبطان أمانا شافيا من مولانا السلطان ويوجه لهم مناصب أينما يريدون فى غير الاقليم المصرى يتعيشون فيها بعيالهم وأولادهم وما شاءوا من مماليكهم وأتباعهم . وأما بقية الأمراء فان شاءوا حضروا الى مصر وأقاموا بها ، وكانوا من جملة عسكر السلطان ، وان شاءوا عينوا لهم أماكن من الجهات القبلية يقيمون بها ، وان أبوا ذلك فليستعدوا للحرب والقتال .

الثلاثاء ٢٢ منه (١٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

قبض حسن باشا على عمر كاشف الذى سكنه بالشيخ الظلام ، وعلى محمد أغا البارودى ، وأمر بحبسهما عند اسماعيل بيك . وسبب ذلك المكاتبات التى تقدم ذكرها مع اسماعيل أغا كمشيش .

الأربعاء ٢٣ منه (١٥ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

سافر محمد افندى مكتوبجى حسن باشا بالمكاتبة الى القبليين .

وفيه : قتل رجل من عسكر القليونجية رجلا بربريا ، فاجتمعت طائفة البرابرة وأخذوا قتيلهم ، وذهبوا به الى حسن باشا ، فأحضر القليونجى القاتل ... وقتله .

الخميس ٢٤ منه (١٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نزل الأغا والجاويشية ونادوا على جميع الالضاشات بالذهاب الى بولاق ليسافروا فى المراكب صحبة الوجاقلية ، وكل من بات فى بيته استحق

العقوبة . وطاف الأغا عليهم يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل عمن بها منهم ويأمرهم بالخروج . فأغلق الناس حوانيتهم ، وبطل سوق خان الخليلى فى ذلك اليوم ، وخرج منهم جماعة ذهبوا الى بولاق ، ومنهم من طلع الى الأبـواب حسب الأمر . وحصل لفقرائهم كرب شديد لكونهم لم يأخذوا نفقة ، بل رسموا لهم أنهم يأكلون على سماط بلكهم ، ويعلقون على دوابهم ... وطعامهم البقسماط والأرز والعدس لاغير ، وذلك لعزة اللحم وعدم وجوده ، فان اللحم الضانى بالمدينـة بثلاثة عشر نصف فضة ان وجد ، والجاموسى بثمانيـة أنصاف . وزاد سعر الغلة بعد الانحطاط ، وكذلك السمن والزيت .

وفيه : نقل محمد أغا البارودى وعمر كاشف من بيت اسماعيل بيك ، وحبسا بباب مستحفظان بالقلعة .

وفيه : أرسـل القبالى أحد أولاد أخى عابدى باشا ، وكان مأسورا عندهم ، وأرسلوا صـحبته منهوبات عابدى باشا ، وجملة من العساكر المجروحين وأنعموا على كل عسكرى بدينار .

الأحد ٢٧ منه (١٩ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر محمد افندى المكتوبجى من عند الجماعة — وصحبته على أغا مستحفظان — بجواب الرسالة السـابق ذكرها ، فأخبر أنهم ممتثلون لجميـع ما يؤمرون به ما عدا السفر الى غير مصر ، فان فراق الوطن صعب .

ويذكر عنهم أنه لم يشق عليهم شىء أعظم من تمكن أخصامهم من البلاد — أعنى اسماعيل بيك وحسن بيك — وذلك هو السبب الحاض لهـم على القدوم والمحاربة .

فان لم يقبل منهم ذلك فالقصد أن يبرز لحربهم أخصامهم ومن العساكر العثمانية ... « فتـكون الغلبة لنا ، أو علينا . فان كانت علينا ، وظفروا بنا ، استحقوا الامارة دوننا . وان كانت لنا ، وظفرنا بهم ، فالأمر لكم بعد ذلك : ان شئتم قبلتم توبتنا ، ورددتم لنا مناصبنا ، وشرطتم علينـا شروطكم ، فقمنا بها قياما لا نتحول عنه أبدا ما بقينا . وان شئتم ، فوجهتمونا الى أى جهة ، امتثلنا ذلك »

فلما ذكرا ذلك لحسن باشا ، قـال لعلى أغا : « أنا ما جئت الى مصر لأعمل لهم على قدر عقولهم . وانما السلطان أمرنى بما أمرت به فان كانـوا مطيعين ، فليمتثلوا الأمـر . والا فسيلقون وبال عصيانهم » .

وكتب لعلى أغا جوابا بذلك ، وخلع عليه فروة سمور ، وسافر من وقته ورجـع الى أصحابه ، وصحبته شخص من طرف الباشا .

ولما ذهب اليهم محمد افندى المكتوبجى أنعموا عليه وأكرموه ، وأعطاه مراد بيك خاصة ألف ريال ، فجعل يثنى عليهم ، ويمدح مكارم أخلاقهم !

صـفر

الخميس اوله (٢٣ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضرت خزينة حسن باشا من ثغر الاسـكندرية فدفع باقى النفقة للعسكر والأمراء .

وفيه : وصل الخبر ، أن الأمراء القبالى زحفوا الى بحرى ، ووصلت أوائلهم الى برالجيزة وآخرهم بالرقق ، وفرضوا الكلف على بلاد الجيزة .

وفيه خرجت خيام اسماعيل بيك وحسن بيك الى ناحية طرا ، وحجـزوا المعـادى والمراكب ، وانحازت كلها الى البر الشرقى .

وفيه : طلب اسماعيل بيك دراهم سلفة من التجار ، فاعتذروا بقلة الموجود بأيديهم ، وأغنياؤهم جلوا الى الحجاز ولم يدفعوا له شيئا . وادعى على تجار

البن ، بمبلغ دراهم باقى حساب من مدته السابقة ، فصالحوه عنها بأربعة آلاف دينار .

الجمعة ٢ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على المحمدية المقيمين بمصر أنهم يذهبون الى اسماعيل بيك ويقابلونه : سواء كان جنديا ، أو أميرا ، أو مملوكا ... ومن تأخر استحق العقوبة . وقبض على أنفار منهم ، وسجنوا بالقلعة، وختم على دورهم ... من جملتهم جعفر كاشف ، الساكن عند بيت القاضى من ناحية بين القصرين .

وفيه : حضر الأغا الذى كان بصحبة على أغا المتوجه بالرسالة ، وحضر بجوابات من القبالى ملخصها : اننا طلبنا العفو مرارا فلم تعفوا ، ولم تقبلوا توبتنا . وحيث كان كذلك ، فالله أولى وبه الاعانة .

السبت ٣ منه (٢٥ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج حسن باشا ، واسماعيل بيك ، وحسن بيك، وبقية الأمراء ، وبرزوا الى نواحى البساتين

وفى تلك الليلة — أعنى ليلة الأحد — وقعت حادثة لشخص من الأجناد يقال له اسماعيل كاشف ، بيته فى عطفة بخط الخيمية ، قتله مماليكه .

وسبب ذلك — على ما سمعنا — تقصيره فى حقهم ، وفى تصرفه عدة حصص جارية فى التزامه . فكتب تقاسيطها بتمامها باسم زوجته ، ولم يكتب لهم شيئا من ذلك .

وكان جبارا ظالما ، معدودا فى جملة كشاف مراد بيك . فلما حصلت المناداة على المحمدية ، ذهب الى اسماعيل بيك وقابله ، فطرده وأمره بلزوم بيته وألا يخرج منه ... فذهب الى بيته وأرسل الى اسماعيل بيك حصانين بعددهما : أحدهما مركوبه ، والثانى لأحد مماليكه . وأرسل معهما درعين على سبيل التقدمة والهدية ، ليستميل خاطره .

وكان مملوكه صاحب الحصان غائبا فى شغل ، فلما حضر فلم يجد الجواد ، سأل عنه فأخبره خشداشه بصورة الحال ، فدخل الى سيده وسأله فنهره وشتمه فخرج مقهورا ، وجلس يتحدث مع رفيقه ، فقالوا لبعضهم : « هذا الرجل سيدنا ... لا نرى منه الا الأذى ، ولا نرى منه احسانا ، ولا حلاوة لسان . وكذلك الحصص كتبها لزوجته ، ولم يفعل معنا خيرا عاجلا ولا آجلا » .

وحملهم الغيظ على أنهم دخلوا عليه بعد العشاء وقتلوه ، فصرخت زوجته من أعلى ، ونزلت اليهم فقتلوها أيضا ، هى وجاريتها ، فسمعت الجيران وكثر العائط .

وحضر الوالى فوقف المملوكان وضربا عليه بنادق الرصاص ، ونقبوا بيوت الجيران ، ونطوا منها ...

فلم يزل حتى قبض عليهما وقتلهما على رأس العطفة ، وأصبح الخبر شائعا بين الناس بذلك .

الأحد ٤ منه (٢٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر نجاب الحج ، وأخبر أن العرب وقفت للحجاج فى طريق المدينة ، وحاربوهم سبعة أيام ، وانجرح أمير الحج وقتل غالب أتباعه ، وخازنداره، ومن الحجاج نحو الثلث ، ونهبوا غالب حمولهم بسبب عوائدهم القديمة .

الاثنين ٥ منه (٢٧ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

شق الأغا وأمامه المنادى يقول :

ان ابراهيم بيك ومراد بيك مطرودا السلطان ، ومن كان مختفيا أو غائبا ، وأراد الظهور أو الحضور فليظهر أو يحضر ، وعليه الأمان ، ولا بأس عليه ، ومن خالف فلا يلومن الا نفسه .

وفيه : انتقل عساكر القليونجية ، وعدوا الى البر الغربى ، ونصبوا هناك متاريس . وأما الأمراء

القبليـون ، فانهم أخرجوا أثقـالهم من المـراكب وطلعوها بأجمعها الى البر ، وتركوا المراكب تذهب الى حال سبيلها ، وانحازوا جميعا عند الأهرام .

الأحد ١١ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة ، وهم فى أسوأ حال من العرى والجوع ، ونهبت جميـع أحمال أمير الحج وأحمال التجار ، وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم ، وأسر العرب جميع النسـاء بالأحمال . وكان أمرا شنيعا جدا .

ثم ان الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحج الشامي ، فتكلم مع العرب فى أمر النساء ، فأحضروهن عرايا ليس عليهن الا القمصـان ، وأجلسوهن جميعا فى مكان .

وخرجت الناس أفواجا ، فكل من وجد امرأته أو أخته أو أمـه أو بنته وعرفها ، اشتراها ممن هى فى أسره ، وصارت المرأة من نساء العرب تتنوق الأربعة من الجمال والحسنة بأحمالها ، فـلا تجد مانعا وسبب ذلك كله ، رعونة أمير الحج فانه لمـا أراد أن يتوجه بالحجاج الى المدينة ، أرسل الى العرب ، فحضر اليه جماعة من أكابرهم ، فدفع لهم عوائد سـنتين ، وقسـط البواقى على السـنين المستقبلة بموجب الفرمان ، وحجز عنـده أربعـة أشـخاص رهائن ، فبدا له أن كواهم بالنـار فى وجوههم ، فبلغ ذلك أصحابهم ، فقعدوا للحجاج فى الطريق فبلغ أمير الحج ذلك ، فذهب من طريق أخرى ، فوجدهم رابطين فيها أيضا ، فقاتلوه قتالا هينا ، ففر هاربا ، وترك الحجاج والعرب ، فنهبوا حملته ، وقتلوا مماليكه ، ولم يبق معه الا القليل فهرب بمن بقى معه ، واختفى عن الحجاج ثلاثة أيام ولم يره أحد . وفعلت العرب فى الحجاج مافعلوه ، وأخـذوا ما أخذوه ، فلم ينـج منهم الا من طال عمره ، وسلم نفسـه أو افتداها ، الى غير ذلك . وأخذوا المحمل أيضا ولم يردوه .

الاثنين ١٢ منه (٤ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

دخل أمير الحج المذكور وخلفه محمل زوروه من المحامل القديمة ، وأشاعوا رجوعه بالكذب .. !

وفيه : هجم القبليون على المتاريس ، وأرادوا أن يملكوها فى غفلة آخر الليل ، لعلمهم أن الأمراء والباشا ذهبوا الى مصر ، واشتغلوا بالحجاج

وكان حسن باشا ، أمس ذلك اليوم ، لما بلغه حضـور الحجاج ، ركب من فوره ، وذهب الى العادلية ، فقابل أمير الحج ورجـع من ليلتـه الى الوطاق فلما هجموا على المتارس ، كان المترسون مستيقظين ، فضربوا عليهم المدافع من البر والبحر ، من الفجر الى شروق الشمس ، فرجعوا الى مكانهم من غير طائل ثم هجموا أيضا يوم الثلاثاء بعـد الظهر ، فضربوا عليهم ورجعوا .

الأربعاء ١٤ منه (٦ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

ركب الأمراء القبليـون ، وحملوا أحمـالهم ، وصعدوا الى دهشور ، وجلسـوا هناك ، وحضر منهم جمـاعة من الأجناد بأمان ، وانضـموا الى البحريين .

٢٠ منه (١٢ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أحمد كتخدا على ، ومعه بعض كشاف ، ومماليك

وفيه : حصل العفو عن الألضاشات وغيرهم من المتعيشين

وسبب ذلك أنه لما زاد الالحاح فى طلبهم ، وصار الأغا يكثر من تكرار المناداة والتفتيش عليهـم فى الخانات والمساكن ، وكل من صادفه بالغ فى أذاه ... ضاق ذرعهم من ذلك . وشكا بعضهم للاختيارية ،

فتكلموا مع حسن باشا — وكان المخاطب له أحمد جربجى أرنؤود اختيار تفكجيان — فقال له :

« ياسلطانم ! الجماعة الألضاشات مكروبون من هذا الحال . وغالبهم فقراء . ومنهــم من لايملك قوته . وما أعطيتموهم نفقة » .

فقال : « ليست هذه الحادثة أحدثناها ... بل ذلك أمر قديم . لأنهم ينتسبون الى الوجاقات »

فقال له : « نعم . ولكن العادة القديمة كان كل وجاق له دفتر وفيــه عدة معدودة منهم ولهــم جدكات وعوائد وكساوى ... وهذا الأمر بطل من مدة سنين » .

فلما فهم حقيقة الحال أعفاهم وأمر الأغا فنادى عليهم بالعفو ، وكل من كان له عادة قديمة يتبعهــا ويكتب اسمه فى الدفتر ، ويأخذ جدك .. فاطمأنوا لذلك ...

ثم ترك هــذا الأمر ، وقعــدوا فى حوانيتهم ، وسكنت نفوسهم ...

اواخره (ديسمبر ١٧٨٦ م) :

أمر حسن باشا بمحاسبة محمد باشا المعزول ، فذهب اليه أرباب الخدم والعكاكيز ، واختيارية الوجاقات ، والأفنــدية ، وذهبوا اليــه ببولاق ، وتحاسبوا معه ، ودققوا عليه فى الحساب ، فطلع عليه ألف ومائتان وخمسة وعشرون كيسا ، فطلب أن يخصــم منهــا باقى عوائده التى بذمم الأمراء وغيرهم . فعرفوا حسن باشا عن ذلك ، فلم يقبل وقال :

« ان كان له شىء عند أحد يأخذه منه ، ولا بد من احضار الدراهم التى طلعت عليه ، فانى محتاج الى ذلك فى المصاريف اللازمة للعسكر » فشددوا عليه فى الطلب ، فضــاق خناقه ، واعتذر وبكى ، وكتب على نفسه تمسكا بذلك ، واستوحشا من بعضهما ، فسعى فيض الله أفندى الرئيس بينهما فى ازالة ذلك .

ثم ذهب محمد باشا الى حسن باشا ، واجتمع معه فى قصر الآثار .

وفيــه : حضرت مكاتبــة من القبالى يطلبون الأمان ، وأن يعينوا لهم أماكن فى الجهة القبليــة يقيمون بهــا ويعيشون هناك ، فأجيبوا الى ذلك ، ويختاروا مكانا يريدونه ، بشرط أن يكونوا جماعة قليلة ، ويحضر باقى الأمراء والعســكر الى مصر بالأمان ، فلم يرضــوا بالافتراق ، ولم يجابوا الا بمثل الجواب الأول ، واستقروا ناحية بنى‌سويف ، ورجعت عنهم عرب الهنادى وفارقوهم .

ربيع الأول

الجمعة أوله (٢٢ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

فيه : حضر ططرى من الدولة ، وعلى يده مثال لحسن باشا بأن يقيم بمصر ، ولا يخــرج مــع العساكر بل يستمر محافظا فى المدينة ، فتحقق الناس اقامته ، وعدم سفره .

وفيه : شرع الأمراء فى التعدية الى الجهة الغربية . فأول من عدى على بيك الدفتردار ، فعــدى الى الشمى بأثقاله . وكذلك بقية الأمراء صاروا فى كل يوم يعدى منهم جماعة .

وفيه : شرع حسن باشا فى عمل « شركفلك » ، فشرعوا فى عمله على ساحل بولاق تجاه الديوان . وهو عبارة عن متربز مصنوع من أخشاب ممتــدة على مقصات من خشب ، وهى قطع مفصــلات ، يجمعها أغربة من حديد ، وعلى تلك المدادات عدة حراب حــديد مسمرة عليها ، محددة الأطراف ، وبين كل مقصين — سفل الأخشاب الممتدة — مدفع موضوع على شــبه بسطة من الخشب ، ومساحة ذلك نحو أربعمائة وخمسين دراعا . وهــو يوضع

على هيئات مختلفة ، مربعا ومدورا ، والعسكر من داخله متحصنون به ، واذا هجمت عليه الخيول رشقت بها تلك الحراب .

الاثنين ٤ منه (٢٥ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

وركبت طوائف العسكر والوجاقات ، ومروا بنظامهم من تحت قصر الآثار ، وحسن باشا ينظرهم فأعجبه نظامهم وترتيبهم وحسن زيهم ، ثم تتابعوا فى التعدية .

الاثنين ١١ منه (اول يناير ١٧٨٧ م) :

سافر عابدى باشا ، بمن بقى معه من العسكر .

الخميس ١٤ منه (٤ يناير ١٧٨٧ م) :

كسف جرم القمر جميعه . وكان ابتداؤه من رابع ساعة الى ثامن ساعة من الليل .

منتصفه (٥ يناير ١٧٨٧ م) :

حضرت عساكر من الأضات ، مثل قبرص وقرمان وغير ذلك . وجاء الخبر عن الأمراء القبالى ، أنهم وصلوا الى أسيوط ، وتخلف عنهم جملة من المماليك والأتباع فى نواحى المنيا وغيرها . فمنهم من حضر الى مصر ، ومنهم من اختفى فى البلاد .

وفيه : اشتكت الناس من غلاء الأسعار ، وتكلم الشيخ العروسى مع حسن باشا بسبب ذلك ، وقال له :

« فى زمن العصاة ، كان الأمراء ينهبون ويأخذون الأشياء من غير ثمن . والحمد لله هذا الامر ارتفع من مصر بوجودكم ، وما عرفنا موجب الغلاء أى شئ » .

فقال : « أنا لا أعرف اصطلاح بلادكم ! » .

وتشاور مع الاختيارية فى شأن ذلك ، فوقع الاتفاق على عمل جمعية فى باب الينكجرية ، واحضار الأغا والمحتسب والمعلمين ، ويعملون تسعيرة ، وينادون بها ، ومن خالف ، أو احتكر شيئا قتل .

السبت ١٦ منه (٦ يناير ١٧٨٧ م) :

اجتمعوا فى باب مستحفظان ، وحضر الشيخ العروسى أيضا واتفقوا على تسعيرة ، فى الخبز واللحم والسمن وغير ذلك ، وركب الأغا وبجنبه المحتسب ، ونادوا فى الأسواق ، فجعلوا اللحم الضانى بثمانية أنصاف ، وكان بعشرة ، والجاموسى بستة ، بعد سبعة ، والسمن المسلى بثمانية عشر ، والزبد بأربعة عشر ، والخبز عشرة أواق بنصف فضة ، وهكذا . فعزت الأشياء ، وقل وجود اللحم ، واذا وجد كان فى غاية الرداءة ، مع مافيه من العظم والكبد والفشة والكرشة .

السبت ٢٣ منه (١٣ يناير ١٧٨٧ م) :

سافر محمد باشا المنفصل من بولاق الى رشيد .

اواخره (يناير ١٧٨٧ م) :

وصل الخبر بأن رضوان بيك قرابة على بيك الكبير المنافق ، وعلى بيك الملط ، وعثمان بيك ، وجماعة علوية ، حضروا الى عرضى التجريدة ، وأخذوا الأمان من اسماعيل بيك وعابدى باشا . وانهم قادمون الى مصر ، وأن القبالى استقروا بوادى طحطا مكانهم الأول ، الذى قاتلوا فيه .

ربيع الآخر

الخميس ٥ منه (٢٥ يناير ١٧٨٧ م) :

وصل المذكورون الى مصر ، وقابلوا حسن باشا ، وتوجهوا الى بيوتهم .

وفيه : ألبسوا أوده باشا بوابه ، وكان شاغرا من أيام على بيك الكبير نحوا من ثمان عشرة سنة .

الأحد ٨ منه (٢٨ يناير ١٧٨٧ م) :

ضربوا مدافع كثيرة تحت الضحى ، وكان أشيع

فى أمسه أن التجريدة نصرت . وقتل من القبالى أناس كثيرة . فلما سمع الناس تلك المدافع ، ظنوا تحقيق ذلك ، وكثرت الأكاذيب والأقاويل ، ثم تبين أن لاشىء ، وأنها بسبب رجوع بعض مراكب رومية من ناحيةالفشن ، بسبب قلة ماء النيل . ومن عادتهم أنهم اذا وصلوا للمرساة ، ضربوا مدافع فيجابوا بمثلها

منتصفه (٤ فبراير ١٧٨٧ م) :

حضر محمد كتخدا الأشقر بسبب تجهيز ذخيرة ولوازم ومصاريف ، فهيئت ، وأرسلت ، وكذلك قبل ذلك مرارا كثيرة ، وأخبر أن التجريدة وصلت الى دجرجا ، وأن القبالى ارتحلوا منهـا وصعدوا الى فوق ، وتباعدوا عن البلد نحو ست ساعات . ثم انقطعت الأخبار .

جمـــادى الأولى

فيه : زاد قلق حسن باشا بسبب تأخر الجوابات وطول المدة .

وفيه : عين حسن باشا ، على محمد باشا برشيد ، وشدد عليه فى طلب الدراهم . وضايقوه حتى باع أمتعته وحوائجه ، وغلق ماعليه ، وتوفيت زوجته ، فحزن عليها حزنا شديدا مع ماهو فيه من الكرب ، ولم يفده من فعائله وهمته التى فعلها بمصر عنـد قدوم حسن باشا شىء ، وجازاه بعد ذلك بأقبـح المجازاة ! فانه لولا أفاعيله وتمويهاته وأكاذيبه ، ما تمكن حسن باشا من دخول مصر . فانه كان يعظم الأمر على الأمراء المصريين ، ويهول تهويلات كثيرة عليهم ، وعلى المشـايخ ، واختيـارية الوجاقات ويقول :

« اياكم والعنـاد ... واياكم أن توقعوا حربا ، فانكم تخربون بلادكم ، وتكونون سـببا فى هلاك أهلها . فانه بلغنى أنه تعين مع حسن باشا : كذا كذا ألف من الجنس الفلانى ، وكذا كذا ألف من جنس العسكر الفلانى ، وأنهم متأخرون فى الحضور عنـه تحت الاحتياج ، وكذلك فى عسـاكر البر ، الواصلة من الجهة الشامية ، ومعهم ثمانون ألف ثور ، ومائة ألف جاموس ، برسم جر المدافع . وفى المدافع ما يسحبه خمسون ثورا ... » . ونحو ذلك ، حتى أدخل عليهم الوهم وظنوا صدقه .. !

وانحلت عرا الناس عنهم ، وخصوصا بما مناهم به من اقامة العدل ، ومنـع الظلم والجور ، وغير ذلك ، حتى جذب قلوب العالم وتحولوا عن الأمراء ، وتمنـوا زوالهم .فى أسرع وقت ، وهيج النـاس وأثارهم قبل وصول حسن باشا ، وملك القلعـة ، ومهد له الأمور ... فجزاه ، بعد تمكنه ، بالخذلان والعزل ، والحساب والتدقيق ، وغير ذلك .

الأربعاء ٣ منه (٢١ فبراير ١٧٨٧ م) :

ورد نجاب ، وصـحبته مكتوب ، من عابدى باشا الى حسن باشـا ، وأخبر بوقوع الحرب بين الفريقين ، فى يوم الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ، عنـد الأمير ضرار ، وكانت الهـزيمة على القبـالى . ولكن بعد أن كسروا الجردة مرتين ، وهجموا على « شركفلك » ، فضربوا عليهم من داخـله بالمدافع والبنادق ، وقتل لاجين بيك عند شركفلك ، وقتل الـكثير من عرب الهنـادى ، وقبض على كبيرهم أسيرا . ومات من المصاحبين للعسـكر ذو الفقار الخشـاب وجماعة من الوجاقلية : منهـم عـلى جربجى المشهدى . وكانت الحرب بينهم نحو ست سـاعات ، وكانت وقعة عظيمة وقتل من الفريقين ما لا يحصى .

وكان حضور هذا النجاب على الفور من غـير تحقيق فلما ورد ذلك ، سر الباشا سرورا كثيرا ، وأمر بعمل شنك ، فضربوا مدافع كثيرة من قصر

العينى والقلعة ، وضربوا النوبة السلطانية فى برج القلعة ، وكذلك نوبة حسن باشا تحت القصر ، وأرسل المبشرين الى الأعيان ، كالشيخ البكرى ، والشيخ السادات ، وأكابر الوجاقات ، وحضروا جميعا للتهنئة .

وفى عصر ذلك اليوم أحضر آلات اللهو والطرب ، فضربوا نوبة بين يديه ، وعمل فى ليلتها شنكا وحراقة صواريخ ونفوطا ، وابتهج ابتهاجا عظيما ، وسكن ما كان به من الوجل .

السبت ٦ منه (٢٤ فبراير ١٧٨٧ م) :

حضرت عدة مكاتبات من أمراء التجريدة ، فأخبروا فيها بتلك الواقعة ، وأن القبالى صعدوا ، بعد الهزيمة ، الى عقبة الهو على جرائد الخيل . فلم يصعدوا خلفهم ، لصعوبة المسلك على الأحمال والأثقال ، وأنهم منتظرون حضور مراكبهم وما فيها من الذخيرة ، فيحملوا الأحمال ، ويسيرون بأجمعهم خلفهم من الطريق المستقيم ، التى توصل الى خلف العقبة . وأخبروا أيضا ، أنهم استولوا على حملاتهم ومتاعهم ، حتى بيع الجمل وعليه النقاقير بخمسة ريالات ونحو ذلك .

ومن الحوادث فى هذه الأيام : وقوع الموت الذريع فى الأبقار ، حتى صارت تتساقط فى الطرقات . ومات لابن بسيونى غازى ، بناحية سندبون خاصة ، مائة وستون ثورا . وقس على ذلك .

الأربعاء ١٠ منه (٢٨ فبراير ١٧٨٧ م) :

طلب الباشا حوضا ليعمله حنفية ، فأخبره الحاضرون ، وعرفوه بالحوض الذى تحت الكبش ، المعروف بالحوض المرصود . فأمر باحضاره ، فأرسلوا اليه الرجال والحمالين ، وأرادوا رفعه من مكانه ، وازدحمت عليه الناس من الرجال والنساء، لما تسامعوا بذلك ، لينظروا ماشاع وثبت فى أذهانهم من أن تحته كنزا ، وهو مرصود على شىء من العجائب ، أو نحو ذلك ، وان الباشا يريد الكشف عن أمره . فلما حصل ذلك الازدحام ، ووجده الحمالون ثقيلا جدا — وهم لا يعرفون صناعة جر الأثقال — وحركوه عن مكانه يسيرا ، وبلغ الباشا ما حصل من ازدحام العامة ، أمر بتركه. فتركوه ومضوا ، فذهب العامة فى أكاذيبهم كل مذهب : فمنهم من يقول انهم لما حركوه ، وأرادوا جره ، رجع بنفسه ثانيا ، ومنهم من يقول غير ذلك من السخافات .

الثلاثاء ١٦ منه (٦ مارس ١٧٨٧ م) :

وصل نيف وثلاثون رأسا من قتلى القبليين ، فألقوهم عند باب القلعة بالرميلة ، على سرير من جريد النخل ، وأبقوهم ثلاثة أيام . ثم دفنوهم ، ووجد فيهم رأس عزوز كتخدا عزبان .

وفى ذلك اليوم أمر الباشا بشنق رجلين من الغيطانية تشاجرا مع طائفة من العسكر وضرباهم ، وأخذا سلاحهم . ورفعت الشكوى الى الباشا فأمر بشنق الغيطانية ظلما على الشجرة التى عند القنطرة فيما بين طريق مصر القديمة وطريق الناصرية.

السبت ٢٠ منه (١٠ مارس ١٧٨٧ م) :

تقلد حسن أغا — كتخدا على بيك الدفتردار ، المعروف بحسن جلبى — الحسبة ، وعزل ابن ميلاد .

الاثنين ٢٢ منه (١٢ مارس ١٧٨٧ م) :

نظر أصحاب الدرك عدة هجانة مرت من ناحية الجبل ، معهم أمتعة وثياب مرسلة الى القبالى ، من نسائهم . فركبوا خلفهم ، فلم يدركوهم ، وأشاعوا أنهم قبضوا عليهم من غير أصل . ووصل خبرهم حسن باشا ، فاغتاظ على الأغا والوالى ، وأمرهما

بالذهاب الى بيوتهم ، ويسمرونها عليهن . ففعلوا ذلك ، وقبضوا على الأغوات الطواشية والسقائين ، وحصلت ضجة فى البلد ، بين الظهر والعصر ، بسبب ذلك . وفرت زوجة ابراهيم بيك الى بيت شيخ السادات .

ثم ان رضوان بيك قرابة على بيك تشفع فى تسمير البيوت ، فقبلت شفاعته ، وأرسل لمعادى الخبيرى والجيزة ، ومنعهم من التعدية ، وحجزوهم الى البر الشرقى .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٤ مارس ١٧٨٧ م) :

وردت نجابة وعلى أيديهم مكاتبات من عابدى باشا ، يخبر فيها بأن يحيى بيك ، وحسن كتخدا الجربان ، حضرا اليه بأمان ، وخلع عليهم فراوى ، وصحبتهم عدة من الكشاف والمماليك ، وذلك بعد أن وصلوا الى اسنا ، وان القبالى ذهبوا الى ناحية أبريم فتخلف عنهم المذكورون .

الخميس ٢٦ منه (١٦ مارس ١٧٨٧ م) :

حضر اسماعيل القبطان ، وكان بصحبته حمامجى أوغلى ، وأخبر أن العسكر العثمانية ملكوا أسوان ، وأن الأمراء القبالى ذهبوا الى أبريم ، وأنهم فى أسوأ حال ، من العرى والجوع ، وغالب مماليكهم لابسون الزعابيط مثل الفلاحين ، وتخلف عنهم كثير من أتباعهم : فمنهم من حضر الى عابدى باشا بأمان ، ومنهم من تشتت فى البلاد ، ومنهم من قتل الفلاحون ، وغير ذلك من المبالغات .

فى اواخره (النصف الثانى من مارس ١٧٨٧ م) :

خلع حسن باشا على رضوان بيك العلوى وقلده كشوفية الغربية ، وقلد على بيك الملط كشوفية المنوفية ، وقرر لهما على كل بلد أربعة آلاف نصف فضة ، ونزلا الى طندتا لأجل خفارة مولد السيد أحمد البدوى .

وفى هذا الشهر عمت البلوى بموت الأبقار والثيران ، فى سائر الاقليم البحرى ، ووصل الى مصر ، حتى انها صارت تتساقط فى الطرقات وغيطان المرعى ، وجافت الأرض منها : فمنها ما يدركونه بالذبح ، ومنها ما يموت . ورخص سعر اللحم البقرى جدا لكثرته ، حتى صار يباع بمصر ، آخر النهار ، كل رطلين بنصف فضة .. مع كونه سمنا غير هزيل . وعافته الناس ، وبعضهم كان يخاف من آكله .

وأما الأرياف فكان يباع فيها بالأحمال ، وبيعت البقرة بما خلفها .. بدينار . وكثر عويل الفلاحين وبكاؤهم على البهائم ، وعرفوا بموتها قدر نعمتها ؛ وغلا سعر السمن واللبن والأجبان ، بسبب ذلك ، لقلتها .

جمادى الآخرة

الأربعاء ١ منه (٢١ مارس ١٧٨٧ م) :

كان يوم النوروز السلطانى ، وانتقال الشمس لبرج الحمل .

الأحد ٥ منه (٢٥ مارس ١٧٨٧ م) :

حضر حمامجى أوغلى ، وأخبر أن القبالى ذهبوا الى أبريم ، وأن الباشا والوقاجلية والعسكر رجعوا الى اسنا ، وأرسلوا يستشيرون الباشا فى الذهاب خلفهم ، أو الرجوع أو الاقامة .

الاثنين ٦ منه (٢٦ مارس ١٧٨٧ م) :

سافر حمامجى أوغلى بالجوابات ، الى الجهه القبلية ، وفيها الأمر بحضور عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، وباقى الأمراء الى مصر ، وأن حسن بيك ومحمد بيك المبدول ، ويحيى بيك ، يقيمون باسنا محافظين .

الخميس ١٦ منه (٥ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى على النساء ، ألا يخرجن الى موسم الخماسين المعروف عند القبطة بالنسيم ، وذلك يوم الاثنين صبيحة عيدهم .

الاثنين ٢٠ منه (٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى بابطال المعاملة بالذهب الذي قالي الجديد، واستمرت المناداة على النساء في عدم خروجهن الى الأسواق . وسبب ذلك وقائعهن مع العسكر ، منها أنهم وجدوا ببيت يوسف بيك سكن حمامجى أوغلى نحو سبعين امرأة مقتولة ومدفونة بالاسطبلات ، ومن النساء من لعبت على العسكر وأخذت ثيابه ، وأمثال ذلك ، فنودي عليهن بسبب ذلك ، فتضرر المحترفات منهن ، مثل البلانات ، والدلايات ، وبياعات الغزل والقطن ، والكتان ، ثم حصل الاطلاق وسومحوا فى الخروج .

السبت ٢٥ منه (١٤ ابريل ١٧٨٧ م) :

حضرت نجابة من قبلى ، وحضر أيضا حمامجى أوغلى ، وأخبروا أن الباشا والأمراء وصلوا الى جرجا .

اواخره (النصف الثانى من ابريل ١٧٨٧ م) :

وصل جماعة من الوجاقلية ، وحضر على كاشف الشعراوى ولبس قفطانا على كشوفية الشرقية .

رجب

الخميس مستهله (١٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

قبض حسن باشا على أحمد قبودان ، المعروف بحمامجى أوغلى ، وحبسه وحبس أيضا تابعه عثمان التوقتلى ، وكان يسعى معه فى الخبائث ، وكذلك رجل يقال له مصطفى خوجه .

الأربعاء ٧ منه (٢٥ أبريل ١٧٨٧ م) :

نودى على النساء ، أنهن اذا خرجن لحاجة ، يخرجن فى كمالهن ، ولا يلبسن الحبرات الصندل ، ولا الأفرنجى ، ولا يربطن على رءوسهن العمائم المعروفة بالقازدغلية ، وذلك من مبتدعات نساء القازدغلية . وذلك أنهن يربطن الشاشات الملونة المعروفة بالمدورات ، ويجعلنها شبه الكعك ، ويملنها على جباههن ، مقوصات بطريقة معلومة لهن . وصار لهن نساء يتولين صناعة ذلك بأجرة على قدر مقام صاحبتها ، ومنهن من تعطى الصانعة لذلك دينارا أو أكثر أو أقل ، وفعل ذلك جميع النساء حتى الجوارى السود !

الاحد ١١ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

حضر عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، وعلى بيك الدفتردار ، ورضوان بيك بلفيا ، وحسن بيك رضوان ، ومحمد بيك كشكش ، وعبد الرحمن بيك عثمان ، وسليمان بيك الشابورى ، وباقى الوجاقلية .. الى مصر ، وذهبوا الى بيوتهم ، وبات الباشا فى مصر القديمة .

الاثنين ١٢ منه (٣٠ ابريل ١٧٨٧ م) :

ركب عابدى باشا ، وطلع الى القلعة من غير موكب ، وطلع من جهة الصليبة ، وذلك قبل أذان الظهر بنحو خمس درجات . فلما استقر بها ضربوا له مدافع من الأبراج . وبعد انقضاء المدافع ، أرعدت السماء رعودا متتابعة الى العصر ، وأمطرت مطرا غزيرا . وذلك فى الرابع والعشرين من برمودة القبطى والتاسع عشر من نيسان الرومى .

وأما حسن بيك الجداوى ، فانه تخلف بقنا هو وأتباعه ، وكذلك عثمان بيك ، وسليم بيك الاسماعيلى باسنا ، ، وعلى بيك جركس بأرمنت ، وعثمان بيك وشاهين بيك الحسينى ، ويحيى بيك ،

وباكير بيك ، ومحمد بيك المبدول.. كذلك تخلفوا متفرقين فى البنادر لأجل المحافظة . وقاسم بيك أبو سيف فى منصبه بدجرجا .

وأراد الباشا واسماعيل بيك أن يبقوا طائفة من الوجاقلية ، ومعهم طائفة من العسكر . فأبوا وقالوا : « حتى نذهب الى مصر ونعدل حالنا ، وبعد ذلك نأتى » .

وفيه : وصل الخبر بأن القبالى رجعوا الى أسوان ، وشرعوا فى «التعدية الى اسنا . فأرسل اسماعيل بيك الى الاختيارية ، فحضروا عنده بعد العصر ، وتكلموا فى شأن ذلك ، بحضرة على بيك أيضا .

الثلاثاء ١٣ منه (أول مايو ١٧٨٧ م) :

اجتمعوا فى صبح ذلك اليوم ، وانفصل المجلس كالأول .

اواخره (حوالى منتصف مايو ١٧٨٧ م) :

وصل الخبر بأنهم زحفوا الى بحرى ، وأن حسن بيك تأخر عنهم .

شعبان

السبت اوله (١٩ مايو ١٧٨٧ م) :

جاء الخبر أن القبالى وصلوا الى دجرجا ، وأن حسن بيك والأمراء وصلوا فى التأخر الى المنية . وعملت جمعيات ودواوين بسبب ذلك ، وشرعوا فى طلوع تجريدة . ثم وقع الاختلاف بين الباشا والأمراء ، واستقر الأمر بينهم فى الرأى ، أن يراسلوهم فى الصلح ، وأنهم يقيمون فى البلاد التى كانت بيد اسماعيل بيك وحسن بيك ، ويرسلوا أيوب بيك الكبير والصغير ، وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك المرادى ، يسكونوا بمصر رهائن ، وكتبوا بذلك مكاتبات ، وأرسلوها صحبة محمد أفندى المكتوبجى ، وسليمان كاشف قنبور ، والشيخ سليمان الفيومى .

وفيه : تقلد غيطاس بيك امارة الحج .

وفيه : قررت المظالم على البلاد ، وهى المعروفة برفع المظالم . وكان حسن باشا عندما قدم الى مصر أبطلها ، وكتب برفعها فرمانات الى البلاد . فلما حضر اسماعيل بيك ، حسن له اعادتها ، فأعيدت ، وسموها التحرير ، وكتب بها فرمانات ، وعينت بها المعينون ، وتفرقوا فى الجهات والأقاليم بطلبها مع مايتبعها من الكلف ، وحق الطرق وغيرها . فدهى الفلاحون وأهل القرى بهذه الداهية ثانيا ، على ماهم فيه من موت البهائم ، وهياف الزرع ، وسلاطة الفيران الكثيرة على غيطان الغلة والمقاثىء ، وغيرها ، وما هم فيه من تكلف المشاق الطارىء عليهم أيضا ، بسبب موت البهائم فى الدراس ، وادارة السواقى بأيديهم وعوافيهم ، أو بالحمير أو الخيل أو الجمال ، لمن عنده مقدرة على شرائها ، وغلت أثمانها بسبب ذلك الى الغاية فتغيرت قلوب الخلق جميعا على حسن باشا ، وخاب ظنهم فيه ، وتمنوا زواله ، وفشا شر جماعته وعساكره القليونجية فى الناس ، وزاد فسقهم وشرهم وطمعهم ، فانتهكوا حرمة المصر وأهله الى الغاية .

الأربعاء ٥ منه (٢٣ مايو ١٧٨٧ م) :

توفى أحمد كتخدا المجنون ، وقلدوا مكانه فى كتخدائيته مستحفظان رضوان جاويش تابعه ، عوضا عنه .

وفيه : قتل عثمان التوقتلى بالرميلة رفيق حمامجى أوغلى بعد أن عوقب بأنواع العذاب مدة حبسه ، واستصفيت منه جميع الأموال التى كان يملكها واختلسها ، ودل على غيرها حمامجى أوغلى ، واستمر حمامجى أوغلى فى الترسيم .

وفيه : قبض على سراج متوجها الى قبلى ومعه دراهم وأمتعة وغير ذلك ، فأخذت منــه ، ورمى عنقه ظلما بالرميلة .

رمضـــان

الأحد مستهله (١٧ يونية ١٧٨٧ م) :

اختصرت الأمراء من وقدة القناديل فى البيوت عن العادة .

وفيه : عبى اسماعيل بيك هدية جليلة وأرسلها الى حسن باشا ،وهى سبع فروق بن ، وخمسون تفصيلة هندى عال مختلفة الأجناس ، وأربعة آلاف نصفية دنانير نقد مطروقة ، وجملة من بخور العود والعنبر ، وغير ذلك . فأعطى للشيالين ، على سبيل الانعام ، أربعة عشر قرشا رومية ، عنها خمسمائة وســتون نصف فضة .

الأحد ٨ منه (٢٤ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر حسن بيك الجداوى الى مصر .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٦ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر المحمل صحبة رجل من الأشراف ، وذلك أنه لمـا وقع للحجاج من العربان ماوقع فى العـام المـاضى ، ونهبوا الحجاج ، وأخذوا المحمل ، بقى عنــدهم ، الى أن جيش عليهم الشريف سرور ، وحاربهم وقاتلهم قتالا شديدا ، وأفنى منهم خلائق لاتحصى ، واســتخلص منهم المحمل ، وأرسله الى مصر صحبة ذلك الشريف . وقيل ان الشريف الذى حضر به ، هو الذى افتــداه من العرب بأربعمائة ريال فرانسة . فلما حضر خرج الى ملاقاته الأشاير ، والمحملدارية ، وأرباب الوظــائف ، ودخلوا به أيضا من باب النصر وأمامه الأشــاير والطبــول والزمور ، وذلك الشريف راكب أمامه أيضا .

وفيه : وقعت بعد أذان العصر بساعتين حادثة مهولة مزعجة بخط البندقانيين ، وذلك أن رجلا عطارا ، يسمى أحمد ميلاد ، وحانوته تجاه خان البهار ، اشترى جانب بارود انكليزى من الفرنج فى برميلين وبطة ، ووضعها فى داخل الحانوت .. فحضر اليه جمــاعة من أهل الينبع وساوموه على جانب بارود ، وطلبوا منه شيئا ليروه ويجربوه . فأحضر البطة ، وصب منها شيئا فى المنقــد الذى يقد فيه الدراهم ، ووضــعوه على قطعة كاغد ، وأحضروا قطعة يدك ، وطــيروا ذلك البــارود عن الكاغــد فأعجبهم ، ومن خصــــوصية البــارود الانكليزى ، اذا وضع منه شيء على كاغد ، وطير .. فالنار لا تؤثر فى الكاغد ، ثم رموا بالقطعة اليدك على مصــطبة الحانوت ، وشرع يزن لهم ، وهم يضعونه فى ظرفهم ، ويتســاقط فيما بين ذلك من حباته ، وانتشر بعضها الى ناحية اليــدك ، وهم لايشعرون ، فاشتعلت تلك الحبات ، واتصلت بما فى أيديهم ، وبالبطة ، ففرقعت مثل المدفع العظيم ، واتصلت النار بذينك البرميلين كذلك .. فارتفع عقد الحانوت وما جاوره ، بما على تلك العقود من الأبنيــة والبيوت والربع والطبــاق ، فى الهواء ، والتهبت بأجمعهــا نارا ، وسقطت بمن فيهــا من السكان على من كان أسفلها من النــاس الواقفين والمارين ، وصارت كوما يظن من لم يكن رآه قبل ذلك ، أنه له مائة عام .. وذلك كله فى طرفة عين ، بحيث ان الواقف فى ذلك السوق أو المــار ، لــم يمكنه الفرار ، والبعيد أصيب فى بعض أعضائه ، اما من النار واما من الردم .

وكان السوق فى ذلك الوقت مزدحما بالناس ، خصوصا وعصرية رمضان ، وذلك السوق مشتمل على غالب حوائج الناس ، وبه حوانيت العطارين والزياتين والقبانيــة والصيارف وبياعى الــكنافة والقطائف والبطيــخ والعبــدلاوى ، ودكاكين المزينين ، والقهــاوى . وغالب جيران تلك الجهة

وسكان السبع قاعات وشمس الدولة .. يأتون فى تلك الحصة ، ويجلسون على الحوانيت لأجل التسلى . والحاصل أن كل من كان حاصلا بتلك البقعة فى ذلك الوقت — سواء كان عاليا ، أو متسفلا ، أو مارا ، أو واقفا لحاجة ، أوجالسا — أصيب البتة .

وكان ذلك العطار يبيع غالب الأصناف : من رصاص وقصدير ، ونحاس وكحل ، وكبريت ، وعنده موازين شبه الجلل . فلما اشتعل ذلك البارود ، صارت تلك الجلل ، وقطع الرصاص ، والكحل ، والمغناطيس .. تتطاير مثل جلل المدافع ، حتى أحرقت واجهة الربع المقابل لها .

وكان خان البهار مقفولا متحربا . وبابه كبير مسمارى ، فصدمه بعض الجلل وكسره ، واشتعل بالنار ، واتصل بالطباق التى تعلو ذلك الخان . ووقعت ضجة عظيمة وكل من كان قريبا وسلم ، أسرع بطلب الفرار والنجاة ، وما يدرى أى شىء القضية !

فلما وقعت تلك الضجة ، وصرخت النساء من كل جهة ، وانزعجت الناس انزعاجا شديدا ، وارتجت الأرض ، واتصلت الرجة الى نواحى الأزهر والمشهد الحسينى ، وظنوها زلزلة — شرع تجار خان الحمزاوى فى نقل بضائعهم من الحواصل ، فان النار تطايرت اليه من ظاهره

وحضر الأغا والوالى : فتسلم الأغا جهة الحمزاوى ، وتسلم الوالى جهة شمس الدولة ، وتبعوا النار حتى أخمدوها . وختموا على دكاكين الناس التى بذلك الخط ، وأرسلوا فختموا بيت أحمد ميلاد الذى خرجت النار من حانوته ، بعد أن أخرجوا منه النساء ، ثم أفرجوا عنهم بأمر اسماعيل بيك

وأحضروا فى صبحها نحو المائتى فاعل ، وشرعوا فى نبش الأتربة وإخراج القتلى ، وأخذ مايجدونه من الأسباب والأمتعة ، وما فى داخل الحوانيت من البضائع والنقود ، وما سقط من الدور من فرش وأوان ومصاغ النساء ، وغير ذلك شىء كثير .. حتى الحوانيت التى لم يصبها الهدم فتحوها وأخذوا ما فيها ، وأصحابها ينظرون ، ومن طلب شيئا من متاعه يقال له : هو عندنا حتى تثبته .. هذا اذا كان صاحبه ممن يخاطب ويصغى اليه ...

وقيامة قائمة ! ومن يقرأ ومن يسمع !؟

ووقفت أتباعهم بالنبابيت من كل جهة يطردون الناس ، ولا يمكنون أحدا من أخذ شىء .

وأما القتلى ، فان من كان فى السوق ، أو قريبا من تلك الحانوت والنار ، فانه احترق . ومن كان فى العلو من الطباق ، انهرس . ومنهم من احترق بعضه وانهرس باقيه .

واذا ظهر وكان عليه شىء أو معه شىء .. أخذوه ، وان كانت امرأة ، جردوها ، وأخذوا حليها ومصاغها . ثم لا يمكنون أقاربهم من أخذهم الا بدراهم يأخذونها ، وكأنما فتح لهم باب الغنيمة ! ! على حد قول الشاعر : « مصائب قوم عند قوم فوائد ! » .

ولما كشفوا عن أحمد ميلاد وحانوته ، وجده تمزق واحترق وصار قطعا مثل الفحم ، فجمعوا منه ست قطع ، وأخذوا شيئا كثيرا من حانوته ، ودراهم وودائع كانت أسفل الحانوت ، لم تصبها النار ، وكتم عليها الردم والتراب .

وكذلك حانوت رجل زيات انهدم على صاحبه . فكشفوا عنه ، وأخرجوه ميتا ، وأخذوا من حانوته مبلغ دراهم ! وكذلك من بيت صباغ الحرير بجوار الحمزاوى انهدمت داره أيضا ، وأخذوا ما فيها ، ومن جملتها صندوق ضمته دراهم لها صورة ، ونحو ذلك .

واستمر الحال على ذلك أربعة أيام ، وهم فى حفر ونبش ، واخراج قتلى وجنائز ، وبلغت القتلى التى أخرجت نيفا عن مائة نفس .. وذلك خلاف من بقى تحت الردم : منهم امام الزاوية المجاورة لذلك ، فانها انخسفت أيضا على الامام ، وبقى تحت الردم .

ولم يجدوا بقية أعضاء أحمد ميلاد ، وفقدوا دماغه فجمعوا أعضاءه ووضعوها فى كيس قماش ودفنوه ، وسدوا على تلك الخطة من الجهتين ، وتركوها كما هى مدة أيام ، ونظفت وعمرت بعد ذلك فكانت هذه الحادثة من أعظم الحوادث المزعجة المؤرخة .. وما راء كمن سمعا !

الخميس ١٢ منه (٢٨ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر الرسل من عند القبليين ، وحضر أيوب بيك الكبير رهينة عن المماليك المحمدية ، وعثمان بيك الطنبرجى عن مراد بيك ، وعبد الرحمن بيك عن ابراهيم بيك . فذهبوا الى حسن باشا وقابلوه ، وكذلك قابلوا عابدى باشا ، ثم اجتمع الأمراء عند حسن باشا وتكلموا فى شأن هؤلاء الجماعة وقالوا :

« هؤلاء ليسوا المطلوبين ، ولم يأت الا أيوب بيك الكبير من المطلوبين ، ولم يأت عثمان بيك الأشقر ، وأيوب بيك الصغير » .

فاتفق الرأى على اعادة الجواب . فكتبوا جوابات أخرى وأرسلوها صحبة سلحدار حسن باشا .

وفى هذا الشهر أخذت القرصان ثلاثة غلايين ، وفيها أناس من أتباع الدولة وأعيانها .

وفيه : وصل الخبر بوقوع حريق عظيم ببندر جدة ، وتوفى أحمد باشا واليها .

وفيه : عبى على بيك الدفتردار كساوى للأمراء ، فأرسل الى اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى ورضوان بيك ، وباقى الصناجق والأمراء ، حتى لحريمهم وأتباعهم . وأرسل أيضا لطائفة الفقهاء

وفيه : فتح السفر من جهة الموسقو ، وتقلد باكير قبطان باشا قائمقام عن حسن باشا .

وفى منتصفه : وقعت حادثة بثغر بولاق بين طائفة القليونجية والفلاحين باعة البطيخ .. وذلك ان شخصا قليونجيا ساوم على بطيخة ، وأعطاه دون ثمنها ، فامتنع وتشاجر معه ، فوكزه العسكرى بسكين ، فزعق الفلاح على شيعته ، وزعق الآخر على رفقائه .. فاجتمع الفريقان ، ووقع بينهم مقتلة كبيرة ، قتل فيها من الفلاحين نحو ثلاثين انسانا ، ومن القليونجية نحو أربعة .

الأحد ٢٢ منه (٨ يولية ١٧٨٧ م) :

قررت تفريدة على بلاد الأرياف ، أعلى وأوسط وأدنى : الأعلى خمسة وعشرون ألف نصف فضة ، والأوسط سبعة عشر ألفا ، والأدنى تسعة آلاف . وذلك خلاف ما يتبعها من الكلف ، وحق الطرق .

وفيه : رفعوا خفارة البحرين عن ابن حبيب ، وكذلك الموارد ، والتزم بها رضوان بيك ، على خمسين كيسا يقوم بها فى كل سنة لطرف الميرى . وسبب ذلك منافسة وقعت بينه وبين ابن حبيب ، فانه لما تولى المنوفية ومر على دجوة ، أرسل له ابن حبيب تقدمة فاستقلها . ثم أرسل اليه بعد ارتحاله من الناحية يطلب منه جمالا ، وأشياء ، فامتنع ابن حبيب ، فأرسل يطلبه ليقابله ، فلم يذهب اليه واعتذر . ولما رجع نزل اليه ابنه على بالضيافة ، فعاتبه على امتناع أبيه من مقابلته ، وأضمر له فى نفسه ، وتكلم معه حسن باشا فى رفع ذلك عنهم والتزم بالقدر المذكور — وطريقة العثمانية الميل الى الدنيا بأى وجه كان ! — فأخرج فرمانا بذلك .

شـــوال

٢ منه (١٨ يولية ١٧٨٧ م):

برزت الأمراء المعينون لجمع الفردة وهم: سليم بيك الاسماعيلى للغربية، وشاهين بيك الحسينى لاقليم المنصورة، وعلى بيك الحسينى لاقليم المنوفية، ومحمد بيك كشكش للشرقية، وعثمان بيك الحسينى للبحيرة، وعثمان كاشف الاسماعيلى للفيوم، ويوسف كاشف الاسماعيلى للبهنسا، وأحمد كاشف للجيزة.

٨ منه (٢٤ يولية ١٧٨٧ م):

حضر سلحدار الباشا، وسليمان كاشف قنبور، المسافران بالجوابات الى الأمراء القبليين. وذلك أنهم أرسلوا بطلب بلاد أخرى زيادة على ماعينوا لهم وقالوا: « ان هذه البلاد لا تكفينا ».

فأمر لهم حسن باشا بخمسة بلاد أخرى، فقال اسماعيل بيك: « اطلبوا منهم حلوانها ».

فقال اسماعيل كاشف قنبور: « اجعلوا ما آخذ من بيوتهم فى نظير الحلوان ».

فقال: « كذلك ».

١٠ منه (٢٦ يولية ١٧٨٧ م):

حضر قاصد من الحجاز بمراسلة من الشريف سرور، يخبر فيها بعصيان عرب حرب وغيرهم، وقعودهم على الطريق، ومنعهم السبيل، ويحتاج أن أمير الحج يكون فى قوة واستعداد، وأن الحرب قائمة بينهم وبين الشريف، وخرج اليهم فى نحو خمسة عشر ألفا.

منتصفه (٣١ يولية ١٧٨٧ م):

كمل عمارة التكية المجاورة لقصر العينى المعروفة بتكية البكتاشية، وكانت موقوفة على طائفة من الأعجام المعروفين بالبكتاشية، وكانت قد تلاشى أمرها وآلت الى الخراب، وصارت فى غاية من القذارة ومات شيخها وتنازع مشيختها رجل أصله من سراجين مراد بيك، وغلام يدعى أنه من ذرية مشايخها المقبورين، فغلب على الغلام ذلك الرجل لانتسابه الى الأمراء، وسافر الى اسكندرية فصادف مجىء حسن باشا، واجتمع به، وهو بهيئة الدراويش — وهم يميلون لذلك النوع — وصار من أخصائه لكونه من أهل عقيدته، وحضر صحبته الى مصر، وصار له ذكر وشهرة، ويقال له الدرويش صالح. فشرع فى تعمير التكية المذكورة من رشوات مناصب المكوس التى توسط لأربابها مع حسن باشا. فعمرها وبنى أسوارها وأسوار الغيطان الموقوفة عليها، المحيطة بها، وأنشأ بها صهريجا فى فسحة القبة، ورتب لها تراتيب ومطبخا، وأنشأ خارجها مصلى باسم حسن باشا.

فلما تم ذلك عمل ولبمة، ودعا جميع الأمراء، فحصل عندهم وسوسة واعتذروا وركبوا بعد العصر بجميع مماليكهم وأتباعهم وهم بالأسلحة متحذرين، فمد لهم سماطا وجلسوا عليه، وأوهموا الأكل لظنهم الطعام مسموما، وقاموا وتفرقوا فى خارج القصر والمراكب، وعمل شنك وحراقة نفوط وبارود، ثم ركبوا فى حصة من الليل وذهبوا الى بيوتهم.

١٩ منه (٤ اغسطس ١٧٨٧ م):

وصل باشة جده الى بولاق، وركب حسن باشا والأمراء، وذهبوا للسلام عليه.

وفيه حضرت بشارة من شريف مكة بنصرته على العرب، وهزيمتهم، وأنه قتل منهم نحو الثلاثة آلاف، فاطمأن الناس.

وفيه: مرض عابدى باشا.

٢٤ منه (٩ اغسطس ١٧٨٧ م) :

خرج المحمل وأمير الحج غيطاس بيك ، فى موكب محتقر ، بدون الينكجرية والعزب ، مثل العام الماضى . فخرجوا الى الحصوة ، وأقاموا هناك ، ولم يذهبوا الى البركة .

الثلاثاء غايته (١٤ اغسطس ١٧٨٧ م) :

ارتحل الحجاج من الحصوة الى البركة بعد العصر ، وارتحلوا فى ضحوة يوم الأربعاء غرة شهر ذى القعدة .

ذو القعدة

الجمعة ٣ منه (١٧ اغسطس ١٧٨٧ م) : الموافق ١٣ مسرى القبطى :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بذلك ، وعمل الشنك ، وركب حسن باشا فى صبحها ، وكسروا السد بحضرته . وجرى الماء فى الخليج ، ولم يحضر عابدى باشا لمرضه .

الاثنين ٦ منه (٢٠ اغسطس ١٧٨٧ م) :

نودى على المماليك ألا يخرجوا من بيوت أسيادهم ، ولا يركبوا على انفرادهم ويمشوا فى المدينة .

وكان من السنن السابقة فى آداب المماليك ألا يركبوا من بيوت أسيادهم منفردين أبدا ، فترك ذلك فى جملة المتروكات ، وتزوج المماليك ، وصار لهم بيوت وخدم ، ويركبون ويغدون ويروحون ، ويشربون الدخان وهم راكبون فى الشارع الأعظم ، وفى أيديهم شبكات الدخان من غير انكار ، وهم فى الرق ، ولا يخطر ببالهم خروجهم عن الأدب لعدم انكار أسيادهم ، وترخيصهم لهم فى الأمور . فإذا مات بعض الأعيان ، بادر أحد المماليك الى سيده الأمير صاحب الشوكة وقبل يده ، وطلب منه أن ينعم عليه بزوجة الميت ، فيجيبه الى ذلك ، فيركب فى الوقت والساعة ويذهب الى بيت المتوفى — ولو قبل خروج جنازته — وينزل فى البيت ويجلس فيه ، ويتصرف فى تعلقاته ، ويحوزه ويملكه بما فيه ، ويقيم بمجلس الرجال ينتظر انقضاء العدة ، ويأمر وينهى ، ويطلب الغداء والعشاء والفطور ، والقهوة والشربات من الحريم ، ويتصرف تصرف الملاك . وربما وافق ذلك غرض المرأة . فاذا رأته شابا مليحا قويا ، وكان زوجها المقبور بخلاف ذلك ، أظهرت له المخبآت والمدخرات ، فيصبح أميرا من غير تأمر ، وتتعدد عنده الخيول والخدام ، والفراشون والأصحاب ، ويركب ويذهب ويجىء الى بيت سيده ، وفى حاجاته وغير ذلك .

فجرى يوما بمجلس حسن باشا ذكر ركوب المماليك على انفرادهم فى الأسواق ، بحضرة بعض الاختيارية ، فقالوا : « انه قلة أدب ، وخلاف العادة القديمة التى رأيناها وتربينا عليها » . فقال الباشا : « اكتبوا فرمانا بمنع ذلك » . ففعلوا ذلك ، ونادوا به ... من قبيل الشغل الفارغ !

٧ منه (٢١ اغسطس ١٧٨٧ م) :

ثقل عابدى باشا فى المرض وأشيع موته .

١١ منه (٢٥ اغسطس ١٧٨٧ م) :

حضر حسين بيك المعروف بشفت ، من قبلى فى جملة الرهائن ، وقابل الباشا ، وأقام بمصر .

منتصفه (٢٩ اغسطس ١٧٨٧ م) :

عوفى عابدى باشا من مرضه ، وشرعوا فى طلب المال الشتوى ، فضج الملتزمون ، وتكلم الوجاقلية فى الديوان وقالوا :

« من أين لنا ما ندفعه ، وما صدقنا بخلاص

المظالم ، والصيفى ، والفردة ؟ ! ولم يبق عندنا ، ولا عند الفلاحين شىء ، أعطونا الجامكية ، ثم ندفعها لكم فى المال الشتوى » . فانحط الرأى على كتابة رجع الجامكية ، وفرح الناس بذلك . ثم تبين أن لا أحد يأخذ رجعة الا بقدر ماعليه من الميرى ، وان زاد له شىء يبقى له وديعة بالدفتر ، وان لم يكن له جامكية يدفع ماعليه نقدا . فصار بعض الملتزمين يأتى بأسماء برانية ، وينسبها لنفسه ، لأجل غلاق المطلوب منه ، فانفضح ذلك أيضا بالنسبة له ، ومراجعة الدفتر . ثم منعوا كتابة الرجع ، وصار الأفندية يتشفون على الدفاتر ويسلون ويسددون بأنفسهم : فمن زاد له شىء تبقى بالدفتر ، ومن زاد عليه شىء طلب منه .

٢٠ منه (٣ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

ذهب الأمراء الى حسن باشا وهم : اسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وعلى بيك ، وباقى الأمراء . فتكلم معهم بسبب الأموال التى جعلها عليهم ، والميرى المطلوب منهم ، ومن أتباعهم ، وقال لهم :

« أنا مسافر بعد الأضحى ، ولا بد من تشهيل المطلوبات » . فاعتذروا وطلبوا المهلة ، فشنع عليهم ووبخهم بالكلام التركى ، ومن جملة ما قال لهم :

« أنتم وجوهكم مثل الحيط ! » وأمثال ذلك . فخرجوا من عنده وهم فى غاية من القهر ، وكان ذلك باغراء اسماعيل بيك . ولما ذهب اسماعيل بيك الى بيته ، طلب أمراءه ، وشنع عليهم ، كما شنع عليه الباشا . وحلف أن كل من تبقى عليه شىء — ولو ألف درهم — مطلعه للباشا يقطع رأسه .

الخميس نهايته (١٣ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

طلعوا عند عابدى باشا ، فطالبهم بالميرى أيضا ، وشنع عليهم — وخصوصا قاسم بيك أبو سيفه — وحلف أنه يحبسهم حتى يدفعوا ما عليهم ،

ذو الحجة

الجمعة مستهله (١٤ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

فيه : حضر الأغا وعلى يده مقرر لعابدى باشا على السنة الجديدة

وفيه أيضا : قوى عزم حسن باشا على السفر الى بلاد الروم ، وأعطى لاسماعيل بيك جملة مدافع وقنابر وآلات حرب ، وصنع له قليونا صغيرا ، وقرر آلفا وخمسمائة عسكرى تقيمون بمصر

الخميس ١٤ منه (٢٧ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

عمل حسن باشا ديوانا بالقصر ، وحضر عنده عابدى باشا والمشايخ ، وسائر الأمراء ، بسبب قراءة مراسيم حضرت من الدولة فقرأوا منها ثلاثة وفيها طلب حسن باشا الى الديار الرومية ، بسبب حركة السفر الى الجهاد ، وأن المسقو زحفوا على البلاد ، واستولوا على مابقى من بلاد القرم وغيرها . والثانى فيه ذكر العفو عن ابراهيم بيك ، ومراد بيك من القتل ، وأن يقيم ابراهيم بيك بقنا ومراد بيك باسنا ، ولا اذن لهم فى دخول مصر جملة كافية .

وفيه : نودى على صرف الريال الفرانسة بمائة نصف فضة ، وكان وصل الى مائة وعشرة . فتضرر الناس من ذلك .

الجمعة ٢٢ منه (٥ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

ركب الأمراء بأسرهم لوداع حسن باشا ، وكان فى عزمه النزول فى المراكب بعد صلاة الجمعة . فلما تكاملوا عنده ، قبض على الرهائن وهم : عثمان بيك المرادى المعروف بالطنبرجى ، وحسين بيك شفت ، وعبد الرحمن بيك الابراهيمى . ثم أمر بالقبض على حسن كتخدا الجربان ، وسليمان كاشف قنبور ، فهرب حسن كتخدا وساق جواده ، فتبعه جماعة من العسكر . فلم يزل رامحا ، وهم

خلفه ، حتى دخل بيت حسن بيك الجداوى ، ودخل الى باب الحريم . وكان حسن بيك بالقصر ، فرجع العسكر ، وأخبروا الباشا بحضرة اسماعيل بيك . فطلب حسن بيك وسأله اسماعيل بيك فقال :

« ان كان فى بيتى خذوه » . فأرسلوا واحضروه ، ووضعوه صحبة المقيدين .

وفيه عزلوا عثمان آغا مستحفظان ، وقلدوا محمد كاشف — المعروف بالمتيم ، كتخدا اسماعيل بيك — أغات مستحفظان .. عوضه !

السبت ٢٣ منه (٦ أكتوبر [illegible])

سافر حسن باشا من مصر وأخذ معه الرهائن ، وسافر صحبته ابراهيم بيك قشطة ليشيعه الى رشيد ، وزار فى طريقه سيدى أحمد البدوى بطندتا . ولم يحصل من مجيئه الى مصر ، وذهابه منها الا الضرر . ولم يبطل بدعة ، ولم يرفع مظلمة ، بل تقررت به المظالم ، والحوادث . فانهم كانوا يفعلونها قبل ذلك مثل السرقة ، ويخافون من اشاعتها ، وبلوغ خبرها الى الدولة ، فينكرون عليهم ذلك ...

وخابت فيه الآمال والظنون . وهلك بقدومه البهائم التى عليها مدار نظام العالم ، وزاد فى المظالم «التحرير» . لأنه كان عندما قدم أبطل رفع المظالم ، ثم أعاده باشارة اسماعيل بيك ، وسماه التحرير ، فجعله مظلمة زائدة ، وبقى يقال رفع المظالم والتحرير . فصار يقبض من البلاد خلاف أموال الخراج عدة أقلام منها المضاف ، والبرانى ، وعوائد الكشوفية ، والفرد المتعددة ، ورفع المظالم والتحرير ، ومال الجهات ، وغير ذلك ...

ولو مات حسن باشا بالاسكندرية أو رشيد لهلك عليه الاقليم أسفا ! وبنوا على قبره مزارا وقبة وضريحا بقصد الزيارة ! !

* * *

ومات فى هذه السنة الامام العلامة ، واللوذعى الفهامة ، لسان المتكلمين ، وأستاذ المحققين ، الفقيه النبيه ، المستحضر الأصولى ، المنطقى الفرضى الحيسوب ، الشيخ عبد الباسط السنديونى الشافعى .

تفقه على أشياخ العصر المتقدمين ، وأجازه أكابر المحدثين . ولازم الشيخ محمد الدفرى ، وبه تخرج فى الفقه وغيره ، وأنجب ودرس ، وأفاد وأفتى فى حياة شيوخه .

وكان حسن الالقاء ، جيد الحافظة ، يملى دروسه عن ظهر قلبه وحافظته ، عجيب الاستحضار للفروع الفقهية والعقلية والنقلية .

ومما شاهدته من استحضاره أنه وردت فتوى فى مسألة مشكلة فى المناسخة ، فتصدى لتحريرها وقسمتها جماعة من الأفاضل — ومنهم الشيخ محمد الشافعى الجناجى ... وناهيك به فى هذا الفن ! — وتعبوا فيها يوما وليلة حتى حرروها على الوجه المرضى ، ثم قالوا : « دعنا نكتبها فى سؤال على بياض ونرسلها للمتصدرين للافتاء ، وننظر ماذا يقولون فى الجواب ... ولو بالمهلة » .

ففعلوا ذلك وأرسلوها للشيخ المترجم مع بعض الناس وهو لايعلم بشىء مما عانوه . فغاب الرسول مدة لطيفة وحضر بالجواب على الوجه الذى تعب فيه الجماعة يوما وليلة ... فقضوا عجبا من جودة استحضاره ، وحدة ذهنه ، وقوة فهمه ...

الا أنه كان قليل الورع عن بعض سفاسف الأمور !

اتفق أنه تنازع مع عجوز فى فدان ونصف طين مدة سنين ، واهين بسببها مرارا فى أيام مشيخة الشيخ عبد الله الشبراوى والشيخ الحفنى .

ورايته مرة يتداعى معها عند شيخنا الشيخ أحمد العروسى ، فنهاه الشيخ العروسى عنها ، ولامه فلم ينته ، فاحتد الشيخ وقال : « والله لو

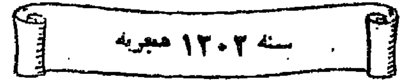
كان هذا الفدان ونصف لى فى الجنة ، ونازعتنى هذه العجوز عليه ... لتركته لها ! » .

ولم يزل بنازعها وتنازعه الى أن مات !

وغـير ذلك أمور يسـتحى من ذكرها فى حق مثله ... وبذلك قلت وجاهته بين نظرائه ..

توفى فى أول جمادى الآخرة من السنة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بتربة المجاورين .

رحمه الله ، وغفر لنا وله



المحـرم

السبت مستهله (١٣ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

عزل المحتسب ، وتولى آخر يسمى يوسف أغا الخربتاوى . وتولى عثمان بيك طبل الاسماعيلى على دجرجا .

وفيه : انفرداسماعيل بيك الكبير فى أمارة مصر ، وصـار بيده العقـد والحل والابرام والنقض ، واستوزر محمد أغا البارودى وجعله كتخـداه . واستمر اسماعيل كتحدا حسن باشا بمصر ، لقبض بواقى المطلوبات ، وسـكن ببيت حسن كتخـدا الجربان بباب اللوق .

وفيه : قبض اسماعيل بيك على الحاج سليمان ابن ساسى ، وحبسه ببيت محمد أغا البارودى ، وصادره فى خمسين كيسا .

فى ٥ منه (١٧ اكتوبر ١٧٨٧ م):

طلب اسماعيل بيك دراهم قرضة مبلغا كبيرا ، فوزعوا منها جانبا على تجار البن والبهار ، وجانبا على الذين يقرضون البن بالمرابحـة للمضطرين ، وجانبا على نصارى القبط ، وعلى الأروام والشوام ، وعلى طوائف المغـاربة بطولون والغورية ، وعلى المتسببين فى الغلال بالسـواحل والرقع ، وكذلك بياعين القطن والبطانة والقماش والمنجدين ، واليهود وغير ذلك . فانزعج الناس ، وأغلقوا وكائل البن والغورية ودكاكين الميدان .

السبت ١٥ منه (٢٧ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

اجتمع جملة من الطوائف المذكورة ، وحضروا الى الجامع الأزهر ، وضجوا واستغاثوا من هـذا النازل . وحضر الشيخ العروسى ، فقاموا فى وجهه وأرادوا قفل أبواب الجـامع ، فمنعهم من ذلك ، فصاحوا عليه وسبوه ، وسحبوه بينهم الى جهـة رواق الشوام فمنع عنـه المجاورون ، وأدخلوه الى الرواق ، ودافعوا عنه الناس ، وقفلوا عليـه باب الرواق ، وصحبته طائفة من المتعممين ، وكتبوا عرضا الى اسماعيل بيك بسبب ذلك ، وأرسـلوه صحبة الشـيخ سليمان الفيومى ، وانتظروه حتى رجع اليهم ومعه تذكرة من اسماعيل بيك مضمونها الأمان والعفو عن الطوائف المذكورة . وفيها أن هذا المطلوب انما هو على سبيل القرض والسلفة من القادر على ذلك فلما قرئت عليهم التذكرة ، قالوا . « هـذه مخادعة . وعند ماينفض الجمع ، وتفتح الدكاكين ، يأخذونا واحدا بعد واحد » .

ثم قام الشيخ وركب ، وحـوله الجم الغفير ، والغوغاء ، وبعض المجاورين .. يدفع الناس عنه بالعصى ، والعامة يصيحون عليـه ، ويسـمعونه الكلام غير اللائق ، الى أن وصل الى باب زويلة ، فنزل بجامع المؤيد ، وأرسل الى اسماعيـل بيك يخبره بهذا الحال .

فحنق اسماعيـل بيـك ، وظن أنها مفتعلة من الشيخ ، وأنه هو الذى أغراهم على هذه الأفعال فأجابه الرسل ، وحلفوا له ببراءته من ذلك ، وليس قصده الا الخلاص منهم . فقال :

« أنا أرسلت اليهم بالأمان ، ودعوهم ينفضوا . وما أحد يطالبهم بشىء » .

فانفضوا وتفرقوا .

ومضى على ذلك يومان .. فأرسلوا الى أهل الصاغة ، والجواهرجية ، والنحاسين ، وطالبوهم بالمقرر والموزع عليهم ، فلم يجدوا بدا من الدفع . ثم طالبوا وكالة الجلابة .. وتطرق الحال الى باقي الناس ، حتى بياعين الفسيخ . ومجموع ذلك نحو اثنتين وسبعين حرفة .

وفيه : حضر على كاشف من جهة قبلى ، وقد كان سافر بعد سفر حسن باشا برسالة الى الأمراء القبالى ، وأخبر أنهم مستقرون فى أماكنهم ، ولم يتحركوا .

٢٦ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

سافر أمير الأنزم بالملاقاة الى الحج ، وكان من عادته السفر فى أول الشهر . ولم يحضر فى هذه السنة نجاب الجبل ، وأخذوا من بلاد أمير الحج بلدين ، وأخذوا أيضا بيته الذى كان سكن به . فلما استقر يحيى بيك بمصر أخذه وسكنه لكونه زوج بنت صالح بيك ، وهو بيت أبيها ، وهو أحق به .

صفر

الاثنين أوله (١٢ نوفمبر ١٧٨٧) :

فيه : كملت القيسارية التى عمرها اسماعيل بيك بجانب السبيل الذى بسويقة لاجين ، فأنشأ بها احدى وعشرين حانوتا وقهوة ، وجعلها مربعة الأركان — وهذا السبيل من انشاء سيده ابراهيم كتخدا — ولما أتمها نقل اليها سوق درب الجماميز بعد العصر ، وانتقل اليه الدلالون والناس والقماشون فى عصرية يوم الثلاثاء ثانية . وبطل سوق درب الجماميز من ذلك اليوم .

وليس لاسماعيل بيك من المحاسن الا نقل هذا السوق من تلك الجهة ووضعه فى هذه الجهة ، كما لا يخفى .

الثلاثاء ٢ منه (١٣ نوفمبر ١٧٨٧ م):

اشتد العسف فى الرعية بسبب طلب السلفة ، وتعدى الحال الى بياعين المخلل والصوفان ، وتضرر الفقراء من ذلك .

الأحد ٧ منه (١٨ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

سافر محمد باشا والى جدة الى السويس .

السبت ١٣ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٧ م):

طلع اسماعيل بيك والأمراء الى الديوان بالقلعة ، وأخرج قوائم مزاد البلاد التى تأخر على ملتزميها الميرى ، فتصدر لشرائها كتخداه محمد أغا البارودى ، فاشترى نحو سبعين بلدا . وفى الحقيقة هى راجعة الى مخدومه ، يفرقها على من يشاء من أغراضه .. فشرع أولا فى طلب الشتوى ، وزاد على من أخذ البلاد سنة ونصفا . ثم ادعى ان حسن باشا أخذ سنة من الحلوان ، ودخلت فى حسابه ، وطلب سنة ونصفا أخرى ، وطلب المال الصيفى أيضا . فعجز الملتزمون ، ففعل هذه الفعلة ، وأخرج قوائم مزادهم الى الديوان ، واستخلصها من ملتزميها .

وفى تلك الليلة حضرت جماعة من كشاف النواحى القبلية ، وأخبروا أن الأمراء القبالى حضروا الى أسيوط ، وأوائلهم تعدى منفلوط . فهرب من كان هناك من الكشاف وغيرهم ، وحضروا الى مصر . فلما تحققت هذه الأخبار ، طلع فى صبحها اسماعيل بيك الى الديوان ، واجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ . فتكلم اسماعيل بيك وقال :

« ياأسيادنا يامشايخ ، ياأمراء ، وياوجاقلية ، ان الجماعة القبليين نقضوا عهد السلطان ، وانتقلوا من أماكنهم ، وزحفوا على البلاد ، فهل الواجب قتالهم ودفعهم ؟ »

قالوا : « نعم » .

فقال :

« ان المخالفين اذا نقضوا عهد السلطان ، ولزم

الحال الى قتالهم ، يصرف على المقاتلين من العسكر من خزينة السلطان ، وليس هنا خزينة ، فكل منكم يقاتل عن نفسه » .

فأجابه اسماعيل أفندى الخلوتى وقال :

« ونحن أى شيء تبقى عندنا ، حتى نصرفه ، وقد صرنا كلنا شحاتين لا نملك شيئا » .

فقال له الباشا :

« هذا الكلام لايناسب ، ولا ينبغى أنك تكسر قلوب العسكر بمثل هذا الكلام ، والأولى أن تقول لهم : أنا وأنتم شيء واحد ، ان جعت جوعوا معى ، وان شبعت اشبعوا معى » .

ثم انحط الرأى بينهم على أن يكتبوا عرضا للدولة ، والاخبار عن نقضهم ، وعرضا لهم بالتحذير . وقال الباشا :

« نرسل نعلم الدولة ، وننظر مايكون الجواب . فان زحفوا قبل مجيء الجواب ، خرجنا اليهم وقاتلناهم » .

ثم كتبوا فرمانات لجميع الغز والأجناد الغائبين بالأرياف بالحضور ، وبكى اسماعيل بيك بالمجلس ، ونهنه فى بكائه فقال له الاختيارية :

« لا تبك يابيك ! » ثم كتبوا مكاتبة من الباشا ، ومن الوجاقلية والمشايخ ، وأرسلوها صحبة واحد من طرف الباشا ، وسراج من طرف اسماعيل بيك ، وأرسلوا الى محمد باشا المسافر الى جدة بالرجوع من السويس الى مصر بأمر من الدولة .

الأحد ١٤ منه (٢٥ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

حضر جاويش الحاج من العقبة .

الأربعاء ١٧ منه (٢٨ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

نبهوا على مماليك الأمراء القبليين ، وكشافهم الكائنين بمصر ، بالاجتماع والحضور . فأرسل كل من كان مستخدما عنده جماعة من الأمراء والصناجق وغيرهم ، فجمعهم فى مكان فى بيته . ومن كان غائبا فى حاجة ، أرسلوا اليه وأحضروه . فلما تكاملوا أخذوا خيولهم وأسلحتهم ، وأبقوهم فى الترسيم .

وأما على بيك الدفتردار ، فانه لم يسلم فيمن عنده ، وكان منقطعا فى الحريم لصداع برأسه ووجع فى عينيه من مدة شهرين .

الجمعة ١٩ منه (٣٠ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

كان نزول الحجاج ودخولهم الى مصر ، وكانوا أغلقوا أبواب مصر ، وأجلسوا عليها حرسجية ، فلم يدخل الحجاج الا من باب النصر فقط ... فتضرر الناس من الازدحام فى ذلك الباب .

وارتاح الحجاج فى هذا العام ، ولم يحصل لهم تعب ، وزاروا المدينة الشريفة .

وفيه : نزل الأغا ، وصحبته كتخدا الباشا ، وأمامهما المناداة على كل من كان مختفيا من أتباع الأمراء القبليين ومماليكهم .. بالظهور ، ويطلعوا يقابلوا الباشا . وكل من ظهر عنده أحد بعد ثلاثة أيام ، فانه يستأهل الذى يجرى عليه .

وفيه : قبضوا على جماعة من المماليك والأجناد — وهم الذين كانوا فى الترسيم — وأنزلوهم فى مراكب ، وأرسلوهم الى ثغر اسكندرية ، وحبسوهم بالبرج ، ومنهم جماعة بأبى قير .

وكان على بيك توقف فى تسليم المنتسبين اليه ، فلم يزل به اسماعيل بيك حتى سلم فيهم .

السبت ٢٠ منه (اول ديسمبر ١٧٨٧ م) :

دخل أمير الحج غيطاس بيك ، وصحبته المحمل .

وفيه : قال اسماعيل بيك للمشايخ :

« اكتبوا للدولة يرسلوا لنا عساكر » .

فقال الشيخ العروسى :

« لا نحتاج الى ذلك ، فان العساكر الرومية لاتنفع بين العساكر المصرية ، والأولى استجلاب خواطر الجند بالاحسان اليهم ، والذى تعطوه للأغراب أعطوه لأهل بلادكم أولى » .

وفيــه : شرع اسماعيل بيك فى طلب تفريدة من البلاد والقرى ، فجعلوا على كل بلد مائة دينــار وعشرة ، خلاف مايتبع ذلك من الكلف وحق الطرق وغير ذلك ، وعين لقبضها خازنداره وغيره .

وفيه : قبضوا على باقى مماليك الأمراء القبلية وأجنادهم ، وأنزلوهم المراكب أيضــا ، وبعضهم أنزلوه عريانا ليس عليه سوى القميص والصديرى واللباس ، وطاقية أو طربوش معمم عليه بمحرمة أو منديل ، ونحو ذلك .

ولم تزل الحرسـجية مقيمــين على الأبواب ، وحصل منهم الضرر للناس والرعية ، والمتســببين والفــلاحين الواردين من القرى بالجبن والسمن والتبن ، ونحو ذلك . وكل من أراد العبور من باب منعوه من الدخول حتى يأخذوا منه دراهم ، ولو كان بنفسه !

الأحد ٢٨ منه (٩ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

نزل الأغا ، وأمامه الوالى ، وأودة باشة البوابة ، وأمامهم المناداة على جميع الألضاشات المنتسبين الى الوجاقات ، بأنهم يأخذون لهم أوراقا من أبوابهم وكل من وجد ، وليس معه ورقة بعد ثلاثة أيام ، يحصل له مزيد الضرر . وبيــد المنادى فرمان من الباشـــا .

وفيه : ركب اســماعيل بيك ونزل الى بولاق ليتفرج على «شركفلك» الذى صنعه وتهشغله . وقد زاد فى صنعته عما فعله حسن باشا ، بأن ركبه على عجل يجرونه ، وزاد فى اتقانه . وسبك جللا كثيرة للمدافع ... فلما رآه أعجبه ، وشرع أيضا فى عمل شركفلكين اثنين ، وجهز ذخيرة عظيمة من بقسماط وغـيره .

الاثنين ٢٩ منه (١٠ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

حضر الرسول الذى كان توجه بالرسالة للأمراء القبليين ، وهو الذى من طرف الباشا ، وصحبته آخــر من طرف اسماعيل بيك ، وعــلى يدهما جوابان : أحدهما خطاب للباشـــا ، والثانى خطاب للمشايخ .

واجتمعوا صبح ذلك اليوم بالديوان ، وقرأوا الجوابات . وملخصها : أنكم نسبتمونا لنقض العهد . والحال أن النقض حصل منكم بتسفير اخواتنـــا الرهائن ، وذهابهم مع قبطان باشـــا الى الروم . وما فعلتم فى بيوتنا وحريمنا . ولما حصل ذلك ، احتد البعض منا ، وزحفوا الى بحرى ، فركبنـــا خلفهم نردهم ، فلم يمتثلوا ، فأقمنا معهم ... وكلام هذا معناه .

فلما قرأوا ذلك بحضرة الجمع ، اقتضى الرأى كتابة مراسلة أخرى من الباشا والمشايخ . وفيهـــا الملاطفــة فى الخطاب والاعتــذار ، وأرسلوها . وأخذوا فى الاهتمام والتشهيل .

ربيع الأول

٢ منه (١٢ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

ركب الأغا ، وشق الأسواق ، وصار يقف على الوكائل والخانات ، ويفتش عــلى الألضاشات ، ودخل سوق خان الخليلى ، ونبه على أفرادهم ، وقال لهم : « فى غد أحضر فى التبديل . وكل من وجدته من غير ورقة جــدك ، فعلت به وفعلت ، وقطعت آذانه أو أنفه » .

وفيه : عزل أحمد افندى الصفائى الروزنامجى من الروزنامه لمرضه ، وتقلد أحمد أفندى — المعروف بأبى كلبة قلفة الأنبار — روزنامجى ، عوضا عنه .

٦ منه (١٦ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

أرسلوا بجوابات الرسالة الشيخ أحمد بن يونس ،

وكتبوا لهم أيضـا سمهود وبرديس ، زيادة على ما بأيديهم من البلاد . والحال أن الجميع بأيديهم .

٧ منه (١٧ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

حضر عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، الى بيت الشيخ البكرى باستدعاء ، بسبب المولد النبوى . فلما استقر بهم الجلوس ، التفت الباشا الى جهـة حارة النصارى وسأل عنها ، فقيل له : انها بيوت النصارى . فأمر بهدمها ! والمناداة عليهم من ركوب الحمير ! فسعوا فى المصالحة ، وتمت على خمسـة وثلاثين ألف ريال : منها على الشوام سبعة عشر ألفا ، وباقيها على الكتبة !

٢٨ منه (٧ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ أحمد يونس والذى توجه صحبته من طرف الباشا ، واجتمعوا فى صبحها بالديوان عند الباشا ، وقرأوا المكاتبات ، مضمونها الجواب السابق ، وعدم الرجوع ، وأنهم طالبون أخصامهم ، وأما الباشا والوجاقلية والمشايخ فليس لهم علاقة فى شىء من ذلك ، وليس لهم الا أمراء تخدمهم ، أيا من كان .

ثم ان الشـيخ احمـد يونس قال للباشـا : « يامولانا .. ملخص الكلام أنكم لو أعطيتموهم من الاسكندرية الى اسوان ، مايرضيهم الا دخول مصر » .

فقـال الباشا : « أنا عنـدى فتوى من شيخ الاسلام باسلامبول على جـواز قتالهم ، وكذلك أريد فتوى من علماء مصر بموجب ذلك ، وأخرج اليهم وأقاتلهم ، وأبذل نفسى ومالى .. » .
فوعدوه بذلك .

٣٠ منه (٩ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر الشـيخ العروسى الى الجامع الأزهر ، وكتبوا سؤالا مضمونه :

« ما قولكم .. دام فضلكم .. فى جمـاعة أمراء وكشاف ، تغلبوا على البلاد المصرية ، وحصل منهم الفساد والافساد ، ومنعوا خراج السلطان ، وأكلوا حقوق الفقراء والحرمين ، ومنعوا زيارة النبى عليه الصلاةوالسلام ، وقطعوا علوفات الفقراء ، وجاكى المسـتحقين والأنبـار ، وأرسـل لهـم السلطان يأمـرهم وينهـاهم ، فـلم يطيعـوا ، ولـم يمتثلوا . وكرر عليهم أوامره ، فلم ينتهوا ، فعين عليهم عساكره ، وأخرجهم من البلاد . ثم ان نائبه صالحهم ، وفرض لهم أماكن ، وعاهدهم على ألا يتعدوها حقنا للدماء ، وقطعا للنزاع ، وسـكونا للفتن . وأخـذ منهم رهائن على ذلك ، ورجـع لمخدومه . فعند ذلك تحركوا ثانيا ، وزحفوا على البلاد ، وسعوا فى ايقاع الفساد ، وقطعوا الطرق ، ونقضوا العهود . فهل يجوز لنائب السلطان دفعهم وقتالهم ، بشرط عدم ازالة الضرر بالضرر ... أم كيف الحال .. ؟ » .

وكتبوا بجواز قتالهم ، ودفعهم ، ويجب على كل مسلم المساعدة ، وطلعوا بها الى الباشا .

ربيع الآخر

اوله (١٠ يناير ١٧٨٨ م) :

كتب الباشا فرمانا ، على موجب الفتوى ، ونزل به أغات مسـتحفظان ، ونادى به جهارا ، وكذلك التنبيه على جميـع الوجاقلية باتبـاع أبوابهم ، وحضور الغائبين منهم ، والاستعداد للخروج .

٣ منه (١٢ يناير ١٧٨٨ م) :

أتفق اسـماعيل بيك على الأمراء الصناجق ، وأرسـل لهم الترحيلة . فأرسـل الى حسن بيك الجداوى ثمانية عشر ألف ريال ، فغضب عليهـا وردها ، ووبخ محمـد كتخدا البارودى ، وركب مغضبا وخرج الى نواحى العادلية . فركب اليه فى

صحبها اسماعيل بيك ، وعلى بيك الدفتردار وصالحاه ، وزادا له فى الدراهم حتى رضى ، وتكلم مع اسماعيل بيك فى تشديده على الرعية والالضاشات وقال له :

« لأى شيء تتعصب هؤلاء الناس ؟ ان كنت تريد تخرجهم سحرة ، ومن غير نفقة ، فما أحد يقاتل سحرة .. وان كنت تعطيهم نفقة فالذى تعطيه لهم ، أعطه للفرسان المقاتلين وأما الوجاقات فليس عليهم الا درك البلد والقلعة » .

الخميس ٨ منه (١٧ يناير ١٧٨٨ م) :

سافر امام الباشا ، وعلى كاشف — من طرف اسماعيل بيك — بجوابات للأمراء القبليين ، حاصلها . اما الرجوع الى أماكنهم على موجب الاتفاق والصلح ، بشرط أن تدفعوا ميرى البلاد التى تعديتم عليها ، والا ... فنحن أيضا ننقض الصلح بيننا وبينكم .

ثم وصل الخبر بأن ابراهيم بيك ارتحل من طحطا غرة الشهر (١٠ ينساير ١٧٨٨) وحضر الى المنيا عند قسيمه مراد بيك ، وأن مراد بيك فرق البلاد من بحرى المنيا على أتباعه وأتباع الأمراء الذين بصحبته . ثم وقع التراخى فى أمر التجريدة ، وحصل التوانى والاهمال والترك ، وخرجت الخيول الى المراعى .

الجمعة ١٦ منه (٢٥ يناير ١٧٨٨ م) :

نزل عابدى باشا الى بولاق ، وركب اليه اسماعيل بيك وبقية الأمراء ، وأمامه مدافع الزمبلك على الجمال ، فتفرج على الشركفلكات ، وسيروا أمامه الثلاثة غلايين الى مصر القديمة ، وضربوا مدافعها .. ثم عاد وطلع الى القلعة .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢٩ يناير ١٧٨٨ م) :

عزل احمد افندى أبو كلبه من الروزنامة ، وتقلدها عثمان أفندى العباسى على رشوة دفعها وضاع على أحمد أفندى مادفعه من الرشوة !

الأربعاء ٢١ منه (٣٠ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر امام الباشا وعلى كاشف ، وأخبرا أن ابراهيم بيك حضر عند مراد بيك بالمنيا ، وأن جماعة من صناجقهم ، وأمرائهم ، وصلوا الى بنى سويف وبحريها وأنهم قالوا فى الجواب :

« اننا تركنا لهم الجهة البحرية ، وأخذنا الجهة القبلية فان قاتلونا عليها قاتلناهم ، وان انكفوا عنا فلسنا واصلين اليهم ، ولا طالبين منهم مصر ، ونعقد الصلح على ذلك ، فيرسلوا لنا بعض المشايخ والاختيارية بتوافق معهم على أمر يحسن السكوت عليه » .

فعملوا ديوانا اجتمع به الجميع ، وتحالفوا واتفقوا على ارسال جواب صحبة قاصد من طرف الباشا ، مضمونه :

انهم يرسلون من جهتهم أميرين كبيرين ، فهما الكفاءة لفصل الخطاب ، ليحصل معهما التوافق ، ونرسل صحبتهما ما أشاروا به ...

الاثنين ٢٦ منه (٤ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر واحد بشلى وعلى يده مكاتبات من حسن باشا خطابا الى الباشا واسماعيل بيك وعلى بيك وحسن بيك ورضوان بيك واسماعيل كتخداه والشيخ البكرى . وأخبر بوصول عسكر أرنؤود الى ثغر الاسكندرية ، وعليهم كبير ومعه هدية الى الأمراء .

الخميس ٢٩ منه (٧ فبراير ١٧٨٨ م) :

طلع الأمراء الى الديوان ، وتكلموا من جهة النفقة . فقال قاسم بيك : أما أنا فلا يكفينى خمسون ألف ريال . فقال له اسماعيل بيك : فعلى هذا أمثالك . يحتاج حسن بيك ورضوان

بيك وعلى بيك كل واحد مائة ألف ، فلازم أننا نرسل الى السلطان يرسل لكم خزائنه حتى تكفيكم.

فرد عليه على بيك وقال : « أنا صرفت على التجريدة الأولى ، وشهلت أربع باشوات والأمراء والأجناد ، وأنت من جملتهم ، وما صادرت أحدا فى نصف فضة » .

فاغتاظ اسماعيل بيك وقال : « اعمل كبير البلد ، وافعل مثل مافعلت ، وأنا أعطيك المال الذى تحت يدى .. الذى جمعته من النـــاس . خذه واصرفه بمعرفتك » .

وقام من المجلس منتورا ، فرده الباشا واختلى به وبعلى بيك وحسن بيك ورضوان بيك ســاعة زمانية ، وتشاوروا مع بعضهم ، ثم قاموا ونزلوا .

جمـــادى الأولى

مستهله (٨ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر ططرى وبيـــده مرســومات ، فاجتمعوا بالديوان وقرأوها : أحدها بطلب مشـــاق ويدك والثانى بسبب الجمـــاعة القبليين ان كانوا مقيمين بالأماكن التى عينها لهم حسن باشا فلا تتعرضـــوا لهم ، وان كانوا زحفوا وتعدوا ونقضوا ، فاخرجوا اليهم ، وقاتلوهم ، وان احتجتم عساكر أرســلنا لـــكم . والثالث مقرر لعابدى باشا على الســـنة الجديدة . والرابع بالوصية على الفقراء وغــلال الحرمين والأنبار والجامكية ... وأمثال ذلك من الكلام الفارغ ...

وفيه ورد الخبر بموت محمد باشا يكن المنفصل عن ولاية مصر .

٣ منه (١٠ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر المرسل من الجهة القبلية — وصـحبته صالح أغا الوالى — بجوابات حاصلها أنهم يطلبون من ططا الى قبلى ، ويطلبون حريمهم ، وأن يردوا لهن ما أخذوه من بلادهن . وكذلك يطلبون أتباعهم ومماليكهم الذين أرسلوهم الى الاسكنـــدرية . فان أجيبوا الى ذلك لا يتعـــدوا بعدها على شئ أصلا .

فلما قرئت المكاتبة بحضرة الجمع فى الديوان ، قال اسماعيل بيك للباشـــا : لايمكن ذلك ، ولا يتصور أبدا والا افعلوا مابدا لكم ، ولا علاقة لى ، ولا أكتب فرمانا . فانى أخاف على نفسى ان زدتهم على ما أعطاهم حسن باشـــا . ولا بد من دفعهم الميرى .

ثم كتبوا لهم جوابا وسافر به صالح أغا المذكور وآخر من طرف اسماعيل بيك .

٨ منه (١٥ فبراير ١٧٨٨ م) :

وقــع بين أهل بولاق وبين العسكر معركة ، بسبب افسادهم وتعديهم ، وفسقهم مع النســـاء ، وأذية السوقة وأصحاب الحوانيت ، وخطفهم الاشياء بدون ثمن ، فاجتمع جمع من أهل بولاق ، وخرجوا الى خارج البلدة يريدون الذهاب الى الباشـــا ، يشكون مانزل بهم من البلاء . فلما علم عســـكر القليونجية دلك ، اجتمعوا بأســلحتهم وحضروا اليهم ، وقاتلوهم ، وانهزم القليونجية . فنزل الأغا وتلافى الأمر ، وأخذ بخاطر العامة ، وسكن الفتنة ، وخاطب العسكر ووبخهم على افعالهم فقالوا له :

« وكيلك فلان وفلان ، هما اللذان يسلطاننا على هذه الأفعال » .

فأحضر أحدهما وقتله وفر الآخر .

١٧ منه (٢٤ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر صالح أغا بجواب ، وأخبر بصلح الأمراء القبليين . على أن يكون لهم من أسيوط وما فوقها ، ويقوموا بدفع ميرى البلاد وغلالها ، ولا يتعدوا بعد ذلك ، وأنهم يطلبون أناسا من كبار الوجاقات والعلماء ليقع الصلح بأيديهم . فعمل الباشا ديوانا ،

وأحضر الأمراء والمشايخ واتفقوا على ارسال الشيخ محمد الأمير واسماعيل أفندى الخلوتى وآخرين ، وسافروا يوم الأربعاء ١٩ منه (٢٦ فبراير ١٧٨٨ م)

٢٥ منه (٣ مارس ١٧٨٨ م) :

هبت رياح عاصفة جنوبية حارة واستمرت اثنى عشر يوما .

جمادى الاخرة

الأحد مستهله (٩ مارس ١٧٨٨ م) :

ورد الخبر بأن جماعة من الأمراء القبليين حضروا الى بنى سويف .

الثلاثاء ٣ منه (١١ مارس ١٧٨٨ م) :

وصل الخبر بأن مراد بيك حضر أيضا الى بنى سويف ، فى نحو الأربعين ، فشرع المصريون فى التشهيل والاهتمام ، وآخرجوا خيامهم ووطاقهم الى ناحية البساتين .

الخميس ٥ منه (١٣ مارس ١٧٨٨ م) :

طلع الأمراء الى الباشا وتكلموا معه ، وأخبروه بما ثبت عندهم من زحف الجماعة الى بحرى ، وطلبوه للنزول صحبتهم ، فقال لهم :

« حتى ترجع الرسل بالجواب ، أو نرسل لهم جوابا آخر وننظر جوابهم » . فامتثلوا الى رأيه . فكتب مكتوبا مضمونه : انكم طلبتم الصلح مرارا وأجبناكم بما طلبتم ، وأعطيناكم ماسألتم ، ثم بلغنا أنكم زحفتم ورجعتم الى بنى سويف ، فما عرفنا أى شىء هذا الحال ... والقصد أنكم تعرفونا عن قصدكم ، وكيفية حضوركم ، وان كنتم نقضتم الصلح والا لا ... فترجعوا الى ماحددناه لكم ، وما وقع عليه الاتفاق .

وأرسله صحبة مرسل من طرفه .

الجمعة ٦ منه (١٤ مارس ١٧٨٨ م) :

سحبوا الشركفلكات من بولاق ، وذهبوا بها الى الوطاق ، وشرع اسماعيل بيك فى عمل متاريس عند طرا والمعصرة ، وكذلك فى بر الجيزة ، وجمع البنائين والفعلة والرجال ، وأمر بحفر خندق ، وبنى أبراجا من حجر ، وحيطانا لتصف المدافع والمتاريس فى البرين .

الاثنين ٩ منه (١٧ مارس ١٧٨٨ م) :

تكامل خروج الأمراء . وفى تلك الليلة هرب بعض الأجناد والكشاف الى قبلى . فأرسل اسماعيل بيك آغات مستحفظان ، فأحاط بدورهم ، وأخرج حريمهم منها ونهبها عن آخرها وأكثره متاع النساء .

الأربعاء ١١ منه (١٩ مارس ١٧٨٨ م) :

نزل الأغا ، ونادى على جميع الاغناشات والأنفار بالطلوع الى القلعة ، ويأخذ كل شخص ألف فضة .

الخميس ١٢ منه (٢٠ مارس ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ محمد الأمير ومن بصحبته ، وأخبروا أنهم تركوا ابراهيم بيك ومراد بيك فى بنى سويف ، وأربعة من الأمراء وهم : سليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى ، وأيوب بيك الصغير ، وعثمان بيك الشرقاوى بزاوية المصلوب ، وحاصل جوابهم :

« ان يكن صلحا فليكن كاملا ، ونقعد معهم بالبلد عند عيالنا ، ونصير كلنا اخوة ، ونقيم تأرنا فى تأرهم ، ودمنا فى دمهم ، وعفا الله عما سلف . فان لم يرضوا بذلك : فليستعدوا للقاء ... وهذا آخر الجواب والسلام » . وأرسلوا جوابات بمعنى ذلك الى المشايخ ، وعلى أنهم يسعون فى الصلح ، أو يخرجوا لهم على الخيل كما هى عادة المصريين فى الحروب .

وفى هذه الأيام : حصل وقف حال وضيق فى المعاش ، وانقطاع للطرق ، وعدم أمن ، ووقوف العربان ، ومنع السبل وتعطيل أسباب ، وعسر فى الأسفار برا وبحرا ، فاقتضى رأى الشيخ العروسى أنه يجتمع مع المشايخ ، ويركبون الى الباشا ويتكلمون معه فى شأن هذا الحال .

فاستشعر اسماعيل بيك بذلك ، فدبج أمرا و« صور ! » حضور ططرى من الدولة وعلى يده مرسوم ! ..

الجمعة ١٣ منه (٢١ مارس ١٧٨٨ م) :

أرسل الباشا فى عصر هذا اليوم للمشايخ والوجاقلية ، وجمعهم ، وقرأوا عليهم ذلك الفرمان ومضمونه :

الحث والأمر والتشديد ، على محاربة الأمراء القبالى ، وطردهم وابعادهم .

فلما فرغوا من ذلك تكلم الشيخ العروسى وقال :

« أخبرونا عن حاصل هذا الكلام ، فاننا لا نعرف بالتركى » فأخبروه فقال :

« ومن المانع لكم من الخروج ، وقد ضاق الحال بالناس ، ولا يقدر أحد من الناس أن يصل الى بحر النيل ، وقربة الماء بخمسة عشر نصف فضة ... وحضرة اسماعيل بيك مشتغل ببناء حيطان ومتارس ،وهذه ليست طريقة المصريين فى الحروب، بل طريقتهم المصادمة وانفصال الحرب فى ساعة ، اما غالب أو مغلوب . وأما هذا الحال ، فانه يستدعى طولا ... وذلك يقتضى الخراب والتعطيل ووقف الحال » .

فقال الباشا :

« أنا ماقلت لكم هذا الكلام أولا . وثانيا هيا شهلوا أحوالكم ، وتهيأوا على الخروج يوم الاثنين وأنا قبلكم » .

الأحد ١٥ منه (٢٣ مارس ١٧٨٨ م) :

حضر شخصان من الططر ، ودخلا من باب النصر ، وأظهرا أنهما وصلا من الديار الرومية على طريق الشام وعلى يديهما مرسومات حاصلها الاخبار بحضور عساكر برية وعليهم باشا كبير وذلك أيضا لا أصل له !

ونودى فى ذلك اليوم بالخروج الى المتاريس ، وكل من خرج يطلع أولا الى القلعة ويأخذ نفقة من باب مستحفظان ، وقدرها خمسة عشر ريالا . فطلع منهم جملة ، وأخذوا نفقاتهم ، وخرجوا الى المتاريس بالجيزة .

الاثنين ١٦ منه (٢٤ مارس ١٧٨٨ م) :

نزل الباشا من القلعة ، وذهب الى قصر الآثار ، ونصب وطاقه هناك ولم يأخذ معه ذخيرة ولا كلارا ، بل تكفل بمصرفه اسماعيل بيك وختم كلاره قبل نزوله .

الأربعاء ٢٥ منه (٢ ابريل ١٧٨٨ م) :

وردت مكاتبات من الديار الحجازية وأخبروا فيها بوفاة الشريف سرور شريف مكة ، وولاية أخيه الشريف غالب .

الأحد ٢٩ منه (٦ ابريل ١٧٨٨ م) :

مات ابراهيم بيك قشطه صهر اسماعيل بيك ، مطعونا .

وفيه : عزل اسماعيل بيك المعلم يوسف كساب ، الجمركى بديوان بولاق ، ونفاه الى بلاد الافرنج . وقيل انه غرقه ببحر النيل ، وقلد مكانه مخائيل كحيل على عشرين ألف ريال .. دفعها .

رجب

مستهله (٧ ابريل ١٧٨٨ م) :

.. نادى المنادى بالخروج ، وهدد من تخلف ،

واستمروا متترسين بالبرين ، وبعض الأمراء ناحية طرا ، وبعضهم بمصر القديمة فى خلاعاتهم ، وبعضهم بالجيزة كذلك ، الى أن ضـاق الحال بالنـاس ، وتعطلت الأسفار ، وانقطع الجالب من قبلى وبحرى .

وأرسـل اسـماعيل بيك الى عرب البحـيرة والهنادى ، فحضروا بجمعهم وأخلاطهم ، وانتشروا فى الجهة الغربية من رشـيد الى الجيزة ، ينهبون البلاد ، ويأكلون الزروعات ، ويضربون المراكب فى البحر ، ويقتلون النـاس . حتى قتلوا فى يوم واحد من بلد النجيلة نيفا وثلاثمائة انسان . وكذلك فعل عرب الشرق والجزيرة بالبر الشرقى ، وكذلك رسلان وباشا النجار بالمنوفية . فتعطل السير برا وبحرا .. ولو بالخفارة . حتى أن الانسان يخاف أن يذهب من المدينـة الى بولاق أو خارج باب النصر !

٥ منه (١١ ابريل ١٧٨٨ م) :

نهب سوق انبابة .

وفيه : قتل حمزة كاشف ، المعروف بالدويدار ، ، شابا نصرانيا روميا صائغا .. اتهمـه مع حريمه فقبض عليه ، وعذبه أياما ، وقلع عينيه وأسنانه ، وقطع أنفه وشفتيه وأطرافه حتى مات ... بعد أن استأذن فيه حسن بيك الجداوى ..

وعندما قبض عليـه أرسل حسن بيك ونهب حانوته من جوهر ومصاغ ومتاع النـاس ، وغير ذلك . وطلق الزوجة بعد أن أراد قتلها ، فهربت عند الست نفيسة زوجة مراد بيك .

وفيه : تشاجر شخص من أولاد البلد ، يقال له ابن البسطى يبيع الصينى مع رجل نطرونى ، فشكاه النطرونى الى محمـد كاشف — تابع احمـد كتخدا المجنون — فأرسل اليه يطلبـه .. فامتنع عليهم ، فأرادوا القبض عليـه قهرا ، فغلب عليهم وضربهم وطردهم . فأرسل له آخرين ففعل بهم كذلك ..

فركب الكاشف ، والنطرونى معه ، الى الوالى وأرشوه ، وذهب معهم الى اسماعيل بيك ، وأخذوا معهم أشخاصا شهدوا على ذلك الشـاب أنه فاجر وقاطع طريق ومؤذ لجيرانه ، واستأذنه فى قتله . فذهب اليه الوالى بجماعة كثيرة ، وقبض عليه ، وقتله تحت شباك داره وأمه تنظر اليه !

فلما كان فى صبحها اجتمع أهل حارة الشـاب بباب الشعرية ، وخرجوا ومعهم بيارق وأعلام ، وخلفهم النساء يندبن ويصرخن وينعين . وحضروا الى الجامع الأزهر . وبعد حصة طلبوا الى العرضى خارج مصر ، فخرجوا ، فأظهر اسماعيل بيك الغيظ والتأسف ، وأخذ بخاطرهم ، ووعدهم بأخذ الثأر ممن تسبب فى قتله ، وأمر باحضار النطرونى ، فتغيب ، فأمر بالتفتيش عليه .

وانفض الجمع ، وبردت القضية وراحت على من راح ، والأمر لله وحده !

٦ منه (١٢ ابريل ١٧٨٨ م) :

أخذ اسماعيل بيك فرمانا من الباشا بفردة على البلاد لسليم بيك أمير الحج ، ليستعين بهـا على الحج ، وقرر على كل بلد مائة ريال وجملا .

٨ منه (١٤ ابريل ١٧٨٨ م) :

اجتمع الأمراء والوجاقلية والمشـايخ بقصر العينى ، فأظهر لهم اسماعيل بيك الفرمان ، وعرفهم احتياج الحال لذلك . فقام الاختيارية ، وأغلظوا عليه ومانعوا فى ذلك .

١٢ منه (١٨ ابريل ١٧٨٨ م ـ الموافق ١٢ برمودة ١٥٠٤ ق) :

أمطرت السماء صبح ذلك اليوم .

١٦ منه (١٩ ابريل ١٧٨٨ م) :

هبت رياح جنوبية باردة قوية . وأثارت غبارا كثيرا واستمرت الى ثانى يوم .

١٧ منه (٢٣ ابريل ١٧٨٨ م) :

وصل نحو الألف من عسكر الأرنؤود الى ساحل بولاق ، وعليهم كبير يسمى اسماعيل باشا ، فخرج اسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وعلى بيك ورضوان بيك ، لملاقاته ، ومدوا له سماطا عند مكان الحلى القديم .

١٨ منه (٢٤ ابريل ١٧٨٨ م) :

أمطرت السماء من بعد الفجر الى العشاء ، وأطبق الغيم قبل الغروب ، وأرعد رعدا قويا ، وأبرق برقا ساطعا ، ثم خرجت فرتونة نكباء شرقية شمالية ، واستمر البرق والمطر يتسلسل غالب الليل وكان ذلك فى ١٧ برمودة .

فسبحان الفعال لما يريد !

٢٠ منه (٢٦ ابريل ١٧٨٨ م) :

كان عيد النصارى . وفيه تقررت الفردة المذكورة ، وسافر لقبضها سليم بيك أمير الحج ، ولم يفد س قيام الوجاقلية وسعيهم فى ابطالها شىء . فانهم لما عارضوا فى ذلك فتح عليهم طلب المساعدة : وليس بأيدى الملتزمين شىء يدفعونه فقال : اذا كان كذلك فاننا نقبضها من البلاد ! فلم يسعهم الا الاجابة .

٢١ منه (٢٧ ابريل ١٧٨٨ م) :

حضر الى ثغر بولاق أغا أسود ، وعلى يده مقرر لعابدى باشا ، وخلعة لشريف مكة فطلع عابدى باشا الى القلعة ، وعمل ديوانا فى يوم الثلاثاء ، واجتمع بالأمراء والمشايخ والقاضى وقرأوا المقرر .

ووصل صحبة الأغا المذكور ألف قرش رومى ، أرسلها حضرة السلطان تفرق على طلبة العلم بالأزهر ويقرأون له صحيح البخارى ، ويدعون له بالنصر !

٢٣ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٨ م) :

سافر سليم بيك ، ونزل الى القليوبية .

وفيه قتل اسماعيل باشا كبير الأرنؤود ، رئيس عسكره وكان يخشاه ويخاف من سطوته . قيل انه أراد أن يأخذ العسكر ويذهب بهم الى الأمراء القبليين رغبة فى كثرة عطائهم ، فطالبه بنفقة ، وألح عليه ، وقال له : ان لم تعطهم والا هربوا حيث شاءوا . فحضر عنده وفاوضه فى ذلك فلاطفه وأكرمه واختلى به واغتاله ، وقطع رأسه وألقاه من الشباك لجماعته

٢٥ منه (أول مايو ١٧٨٨ م) :

كتبوا قائمة بأسماء المجاورين والطلبة ، وأخبروا الباشا أن الألف قرش لا تكفى طائفة من المجاورين .. فزادها ثلاثة آلاف قرش من عنده ، فوزعوها بحسب الحال : أعلى وأوسط وأدنى . فخص الأعلى : عشرون قرشا ، والأوسط عشرة ، والأدنى أربعة . وكذلك طوائف الأروقة بحسب الكثرة والقلة .

ثم أحضروا أجزاء البخارى وقرأوه ، وصادف ذلك زيادة أمر الطاعون والكروب المختلفة !

٢٨ منه (٤ مايو ١٧٨٨ م) :

توفى صاحبنا حسن أفندى قلفة الغربية وتقلد عوضه صهره مصطفى أفندى ميسو كاتب اليومية .

وفيه : توفى أيضا خليل أفندى البغدادى الشطرنجى .

شعبان

الأربعاء اوله (٧ مايو ١٧٨٨ م) :

عدى بعض الأمراء بخيامهم الى البر الغربى ، ثم رجعوا فى ثانيه ، ثم عدى البعض ورجع البعض . وكل ذلك ايهامات بالسفر وتمويهات من اسماعيل بيك . وفى الحقيقة قصده عدم الحركة . وضاقت

أنفس المقيمين بالمتاريس ، وقلقوا من طول المدة ، وتفرق غالبهم ، ودخلوا المدينة .

الأحد ٥ منه (١١ مايو ١٧٨٨ م) :

حضر الى مصر رجل هنــدى ، قيل انه وزير ســلطان الهند حيــدر بيك ، وكان قد ذهب الى اسلامبول بهدية الى السلطان عبــد الحميد ، ومن جملتها : منبر وقبلة مصنوعان من العود القاقلى صنعة بديعة ، وهما قطع مفصلات يجمعها شناكل وأغربة من فضة وذهب ، وسرير يسع ستة أنفار ، وطائران يتكلمان باللغة الهندية .. خلاف الببــغا المشــهور . وأنه طلب منه امدادا يستعين به على حرب أعدائه الانكليز المجاورين لبلاده ، فأعطــاه مرسومات الى الجهات بالاذن لمن يسير معه ، فسار الى الاسكندرية ، ثم حضر الى مصر ، وســكن ببولاق . وهو رجل كالمقعد يجلس على كرسى من فضة ، ويحمل على الأعناق .

وقد ماتت العســاكر التى كانت معه ، ويريد اتخــاذ غيرها من أى جنس كان . وكل من دخــل فيهم برسم الخدمة وسموه بعلامة فى جبهته لاتزول ، فنفرت الناس من ذلك .

وملابسهم مثل ملابس الافرنج ، وأكثرها من شيت هندى مقمطة على أجسامهم ، وعلى رأسهم شقات أفرنجية .

٧ منه (١٣ مايو ١٧٨٨ م) :

رجع الأمراء والوجاقلية الى بيوتهم ، وأشاعوا أن الأمراء القبليين رحلوا ورجعوا القهقرى الى قبلى .

١٠ منه (١٦ مايو ١٧٨٨ م) :

خرجوا ثانيا ، وأشيع حضورهم الى الشيمى .

الجمعة ١٧ منه (٢٣ مايو ١٧٨٨ م) :

فى ليلتها خرج الأمراء بعــد الغروب ، وأشيع وصول القبليين ، وهجومهم على المتاريس .

وفى صبح ذلك اليوم حصلت زعجة وضجة ، وهرب الناس من القرافتين ، ونودى بالخروج ، فلم يخرج أحد . ثم برد هذا الأمر .

وفى تلك الليلة ضربوا أعناق خمسة أشخاص من أتباع الشرطة ، يقال لهم « البصــاصون » . وسبب ذلك أنهم أخذوا عملة وأخفوها من حاكمهم ، واختصوا بها دونه ، ولم يشركوه معهم .

الاثنين ٢٧ منه (٢ يونية ١٧٨٨ م) :

مات محمد أغا مستحفظان ، المعروف بالمتيم .

الاربعاء ٢٩ منه (٤ يونية ١٧٨٨ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة الكبرى ، وكان المنكسف منها نحو الثلاثة أرباع . وأظلم الجو الا يسيرا ، ثم انجلى ذلك عند الزوال .

رمضــان

٣ منه (٧ يونيه ١٧٨٨ م) :

قلدوا اسماعيل بيك ، خازندار اسماعيل بيك — الذى كان زوجه باحدى زوجات أحمــد كتخدا المجنون — أغات مستحفظان ، وقلدوا خازندار حسن بيك الجداوى واليا ، عوضا عن اسماعيــل أغا الجزايرلى .. لعزله .

فى ١٢ منه (١٦ يونية ١٧٨٨ م) :

حضر ابراهيم كاشف من اســلامبول ، وكان اسماعيل بيك أرسله بهدية الى الدولة ، فأوصلها ورجع الى مصر بجوابات القبول ، وأنه لمــا وصل الى اسلامبول ، وجد حسن باشا نزل الى المراكب مسافرا الى بلاد الموسقو ، وبينه وبين اسلامبول

نحو أربع ساعات . فذهب اليه وقابله ورجع معه فى شكترية الى اسلامبول ، وطلع الهدية بحضرته .

وقد كان أشيع هناك بأن ابراهيم بيك ، ومراد بيك ، دخلا الى مصر وخرج من فيها ، وحصل هناك هرج عظيم بسبب ذلك . فلما وصل ابراهيم كاشف هذا بالهدية ، حصل عندهم اطمئنان وتحققوا منه عدم صحة ذلك الخبر .

فى ٢٤ منه (٢٨ يونية ١٧٨٨ م) :

نهب العرب قافلة التجار والحجاج الواصلة من السويس ، وفيها شيء كثير جدا من أموال التجار والحجاج . ونهب فيها التجار خاصة ، ستة آلاف جمل ، مابين قماش وبهار ، وبن وأقمشة وبضائع . وذلك خلاف أمتعة الحجاج ، وسلبوهم حتى ملابس أبدانهم ، وأسروا النساء وأخذوا ما عليهن . ثم باعوهن لأصحابهن عرابا ، وحصل لكثير من الناس وغالب التجار الضرر الزائد ، ومنهم من كان جميع ماله بهذه القافلة فذهب جميعه ، ورجع عريانا ، أو قتل وترك مرميا .. !

فى ٢٥ منه (٢٩ يونية ١٧٨٨ م) :

وقع بين طائفة المغاربه الحجاج النازلين بشاطىء النيل ببولاق ، وبين عسكر القليونجية مقاتلة ، وسبب ذلك .. أن المغاربة نظروا بالقرب منهم جماعة من القليونجبة المتقيدين بقليون اسماعيل بيك ، ومعهم نساء بتعاطون المنكرات الشرعية . فكلمهم المغاربة ونهوهم عن فعل القبيح ، وخصوصا فى مثل هذا الشهر ، أو أنهم يتباعدون عنهم .. فضربوا علهم طبنجات . فثار عليهم المغاربة ، فهرب القليونجية الى مراكبهم ، فنط المغاربة خلفهم ، واشتبكوا معهم ، ومسكوا من مسكوه ، وذبحوا من ذبحوه ، ورموه الى البحر ، وقطعوا حبال المراكب ، ورموا صواريها .

وحصلت زعجة فى بولاق تلك الليلة ، وأغلقوا الدكاكين ، وقتل من القليونجيــة نحو العشرين ، ومن المغاربة دون ذلك .

فلما بلغ اسماعيل بيك ذلك اغتاظ ، وأرسل الى المغاربة يأمرهم بالانتقال من مكانهم ، فانتقلوا الى القاهرة وسكنوا بالخانات .

فلما كان ثانى يوم ، نزل الأغا والوالى وناديا فى الأسواق على المغاربة الحجاج بالخروج من المدينة الى ناحية العادلية ، ولا يقيموا بالبلد ، وكل من آواهم يستاهل ما يجرى عليه .. فامتنعوا من الخروج وقالوا :

« كيف نخرج الى العادلية ونموت فيها عطشا ! » ، وذهب منهم طائفة الى اسماعيل كتخدا حسن باشا ، فأرسل الى اسماعيل بيك بالروضة يترجى عنده فيهم . فامتنع ولم يقبل الشفاعة وحلف أن كل من مكث منهم بعد ثلاثة أيام قتله . فتجمعوا أحزابا واشتروا أسلحة ، وذهب منهم طائفة الى الشيخ العروسى ، والشيخ محمد بن الجوهرى . فتكلموا مع اسماعيل بيك : فنادى عليهم بالأمان .

أواخره (أوائل يولية ١٧٨٨ م) :

ورد خبر من دمياط ، بأن النصارى أخذوا من على ثغر دمياط اثنى عشر مركبا .

شــوال

الثلاثاء ٤ منه (٨ يولية ١٧٨٨ م) :

حضر سليم بيك من سرحته .

الأربعاء ٥ منه (٩ يولية ١٧٨٨ م) :

أرسل الأغا بعض أتباعه بطلب شخصين من عسكر القليونجية ، من ناحية بين السورين ، بسبب شكوى رفعت اليه فيهما . فضرب أحدهما أحد المعينين .. فقتله ، فقبضوا عليه ، ورموا عنقه أيضا بجانبه .

وفيه : حضر طائفة العربان الذين نهبوا القافلة الى مصر ، وهم من العيايدة ، وقابلوا اسماعيل بيك ، وصالحوه على مال !.. وكذلك الباشا ، واتفقوا على شيل ذخيرة أمير الحج ، وخلع عليهم .

ولما نهبت القافلة ، اجتمع الأكابر والتجار ، وذهبوا الى اسماعيل بيك ، وشكوا اليه ما نزل بهم ... فوبخهم ، وأظهر الشماتة فيهم !

وقال لهم : « أنتم ناس أكابر . أنا أطلب العرب لشيل الذخيرة ، وأنتم تحجزونهم لأنفسكم ، وترغبونهم فى زيادة الأجرة لأجل أغراضكم ومتاجركم ، وتعطلوا أشغال الدولة ، ولا تستأذنوا أحدا .. فجزاؤكم ما حل بكم » .

ثم ذهبوا الى الباشا أيضا ، وكلموه فقال لهم مثل ذلك ، وقال أيضا : « انه بلغنى أنكم تختلسون الكثير من المحزوم والبضاعة ، وتأتون بها من غير جمرك ولا عشور ، فوقع لكم ذلك قصاصا ببركة جدى لأنى شريف ! وأنتم أكلتم حقى » .

فأجابه بعضهم — وهو السيد باكير — وقال له : « يا مولانا الوزير ، جرت العادة أن التجار يفعلون ذلك ، ويقولون ما أمكنهم . وعلى الحاكم التفتيش والفحص ! » .

فاغتاظ من جوابه ، وقال : « انظروا هذا ... كيف يجاوبنى ويشافهنى ، ويرد علىّ الكلام والخطاب ! ما رأيت مثل أهل هذه البلدة ، ولا أقل حياء منهم ! » وصارت يده ترتعش من الغيظ ، وخرجوا من بين يديه آيسين .. والحاضرون يلطفون له القول ويأخذون بخاطره ، وهو لا ينجلى عنه الغيظ ، وهو يقول : « كيف أن مثل هذا العامى السوقى يرد علىّ هذا الجواب ؟! ولولا خوفى من الله لفعلت به وفعلت .. » . فلو قال له أن حقك هذا الذى تدعيه مكس وظلم ، أو نحو ذلك .. لقتله بالفعل ... والأمر لله وحده !

وانفصل الأمر على ذلك .

السبت ٨ منه (١٢ يولية ١٧٨٨ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة الى المشهد الحسينى على العادة .

الثلاثاء ١١ منه (١٥ يولية ١٧٨٨ م) :

فى ثالث ساعة من الليل ، حصلت زعجة عظيمة ، وركب جميع الأمراء وخرجوا الى المتاريس . وأشيع أن الأمراء القبليين عدوا الى جهة الشرق ، وركب الوالى والأغا ، وصاروا يفتحون الدروب بالعتالات ، ويخرجون الأجناد من بيوتهم الى العرضى وباتوا بقية الليل فى كركبة عظيمة ، وأصبح الناس هائجين ، والمناداة متتابعة على الناس والألضاشات والأجناد والعسكر بالخروج ، وظن الناس هجوم القبليين ودخولهم المدينة .

فلما كان أواخر النهار حصلت سكتة ، وأصبحت القضية باردة ؛ وظهر أن بعضهم عدى الى الشرق وقصدوا الهجوم على المتاريس فى غفلة من الليل ؛ فسبق العين بالخبر ، فوقع ماذكر . فلما حصل ذلك رجعوا الى بياضة ، وشرعوا فى بناء متاريس ، ثم تركوا ذلك وترفعوا الى فوق ؛ ولم يزل المصريون مقيمين بطرا ماعدا اسماعيل بيك ، فانه رجع بعد يومين لأجل تشهيل الحج .

السبت ٢٢ منه (٢٦ يولية ١٧٨٨ م) :

خرج سليم بيك أمير الحج بموكب المحمل . وكان مثل العام الماضى فى قلة ، بل أقل ، بسبب اقامة الأمراء بالمتاريس .

ذو القعدة

١ منه (٣ اغسطس ١٧٨٨ م) :

فى ذلك اليوم رسموا بنفى سليمان بيك الشابورى الى المنصورة ، وتقاسموا بلاده .

وفيه : رجع الأمراء من المتاريس الى مصر

القـديمة كما كانوا ، ولم يبق بهـا الا المرابطون قبل ذلك .

٢ منه (٤ اغسطس ١٧٨٨ م) :

ثار جماعة الشوام وبعض المغاربة بالأزهر على الشيخ العروسى ، بسبب الجراية ، وقفلوا فى وجهه باب الجامع وهو خارج يريد الذهاب ، بعد كلام وصياح ، ومنعوه من الخروج ، فرجع الى رواق المغاربة ، وجلس به الى الغروب . ثم تخلص منهم وركب الى بيته . ولم يفتحوا الجامع ، وأصبحوا فخرجوا الى السـوق ، وأمروا النـاس بغـلق الدكاكين ، وذهب الشيخ الى اسماعيل بيك وتكلم معه فقال له :

« أنت الذى تأمرهم بـذلك وتريدون بـذلك تحريك الفتن علينـا ، ومنكم أناس يذهبون الى أخصامنا ويعودون » فتبرأ من ذلك ، فلم يقبل .

وذهب أيضا ، وصحبته بعض المتعممين ، الى الباشا بحضرة اسماعيل بيك . فقال الباشـا مثل ذلك ، وطلب الذين يثيرون الفتن من المجاورين ، ليؤدبهم وينفيهم ، فمانعوا فى ذلك ، ثم ذهبوا الى على بيك الدفتردار — وهو الناظر على الجامع — فتلافى القضية ، وصالح اسماعيل بيك ، وأجروا لهـم الأخباز بعد مشقة وكلام من جنس ماتقدم ، وامتنع الشـيخ العروسى من دخول الجامع أياما ، وقرأ درسه بالصالحية .

١٤ منه (١٦ اغسطس ١٧٨٨ م) :

أو فى النيل أذرعه ، وركب الباشا فى صبحها ، وكسر سد الخليج .

٢٠ منه (٢٢ اغسطس ١٧٨٨ م) :

انفتح سد ترعة مويس ، فأحضر اسماعيل بيك ، عمر كاشف الشعراوى — وهو الذى كان تكفل بهـا ، لأنه كاشف الشرقية — ولامـه ، ونسبه للتقصير فى تمكينها ، وألزمه بسدها .. فاعتـذر بعدم الامكان ، وخصوصا وقد عزل من المنصب ، وأعوانه صاروا مع الكاشف الجديد . فاغتاظ منه ، وأمر بقتله . فاستجار برضوان كتخدا مستحفظان ، فشفع فيه ، وأخذه عنده ، وسعى فى جريمتـه ، وصالح عليه .

٢١ منه (٢٣ اغسطس ١٧٨٨ م) :

أحضروا سليمان بيك الشابورى من المنصورة .

ذو الحجـة

الثلاثاء غرته (٢ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

حضر قليونان روميان الى بحر النيل ببولاق ، يشتمل أحدهما على واحد وعشرين مدفعا ، والثانى أقل منه ، اشتراهما اسماعيل بيك .

وفيه : زاد سعر الغلة ضعف الثمن بسبب انقطاع الجالب .

الاثنين ١٤ منه (١٥ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا بقصر العينى ، وتشاوروا فى خروج تجريدة ، وشاع الخبر بزحف القبليين .

الأربعاء ١٦ منه (١٧ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا بقصر العينى ، جمع به سائر الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، بسبب شخص ألجى ، حضر بمكاتبات من قزال الموسـقو . ولحضـوره نبـأ ينبغى ذكره ، كمـا نقل الينـا ، وهو : أن قرال الموسـقو لمـا بلغـه حـركة العثمنلى فى ابتـداء الأمـر عـلى مصر ، أرسـل مكاتبـة الى أمراء مصر ، على يد القنصـل المقيم بثغر الاسـكندرية ، يحذرهم من ذلك ، ويحضهم على تحصين الثغر ، ومنع حسن باشا من العبور . فحضر القنصل الى مصر واختلى بهم ، وأطلعهم على ذلك فأهملوه ، ولم يلتفتوا اليه ، ورجع من غير رد

جواب . وورد حسن باشا ، فعند ذلك انتبهوا ، وطلبوا القنصل ، فلم يجدوه ، وجرى ما جرى ، وخرجوا الى قبـلى ، وكاتبوا القنصـل ، فأعاد الرسالة الى قراله وركب هجانا واجتمع بهم ورجع .

وصادف وقوع الواقعة بالمنشية فى السنة الماضية وكانت الهزيمة على المصريين ، وشـاع الخبر فى الجهات بعودهم .

وقد كان أرسـل لنجدتهم عسـكرا من قبله ومراكب ومكاتبات صحبة هـذا الألجى ، فحضر الى ثغر دمياط فى أواخر رمضان ، فرأى انعكاس الأمر ، فعربد بالثغر وأخذ عدة تقاير ، ورجع الى مرسـاه وأقام بها ، وكاتب قراله وعرفه صـورة الحال . وأن من بمصر الآن من جنسهم أيضـا ، وان العثمنلى لم يزل مقهورا معهم . فأجمع رأيه على مكاتبـة المستقرين وامدادهم ، فكتب اليهم وأرسلها صحبة هذا الالجى ، وحضر الى دمياط ، وأنفذ الخبر سرا بوصوله ، وطلب الحضور بنفسه ، فأعلموا الباشا بذلك سرا وأرسلوا اليه بالحضور .

فلما وصل الى شلقان ، خرج اليه اسماعيل بيك فى تطريدة كأن لم يشعر به أحد ، واعد له منزلا ببولاق ، وحضر به ليلا وأنزله بذلك القناق . ثم اجتمع به صحبة على بيك ، وحسن بيك ، ورضوان بيك ، وقرأوا المكاتبات بينهم . فوصل اليهم عند ذلك جماعة من أتباع الباشا ، وطلبوا ذلك الألجى عند الباشا .. وذلك باشارة خفية بينهم وبين الباشا ، فركبوا معه الى قصر العينى ، وأرسـل الباشا فى تلك الليلة التنابيه لحضور الديوان فى صـبحها . فلما تكاملوا ، أخرج الباشا تلك المراسلات وقرئت فى المجلس ، والترجمـان يفسرها بالعـربى ، وملخصها : « خطابا الى الأمراء المصرية .. بانه بلغنا صـنع ابن عثمان الخائن الغدار معكم ، ووقوع الفتن فيكم ، وقصده أن بعضكم يقتل بعضا ، ثم لايبـقى على من يبقى منـكم ، ويملك بلادكم ، ويفعل بها عوائده من الظلم والجور والخراب . فانه لايضع قدمه فى قطر الا ويعمه الدمار والخراب. فتيقظوا لأنفسكم ، واطردوا من حل ببلادكم من العثمانية ، وارفعوا بندبرتنا ، واختاروا لكم رؤساء منكم ، وحصنوا ثغوركم ، وامنعوا من يصـل اليكم منهم .. الا من كان بسبب التجارة ، ولا تخشوه فى شيء ، فنحن نكفيكم مؤنته ، وانصبوا من طرفكم حكاما بالبـلاد الشامية كما كانت فى السابق ، ويكون لنا أمر بلاد الساحل ، والواصل لـكم كذا وكذا مركبا ، وبهـا من كذا العسـكر والمقاتلين . وعنـدنا من المال والرجال ما تطلبون ، وزيادة على ما تظنون » .

فلما قرىء ذلك ، اتفقوا على ارسـالها الى الدولة ، فأرسلت فى ذلك اليوم ، صحبة مكاتبة من الباشـا والأمراء ، وأنزلوا ذلك الألجى فى مكان بالقلعة مكرما ..

الاثنين ٢١ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

وجهوا خمسة من المراكب الرومية الى جهـة قبلى ، وأبقوا اثنين ، وأرسلوا بها عثمان بيك طبل الاسماعيلى وعساكر رومية . والله أعلم .

* * *

ومات فى هذه السنة الامام العلامة ، أحـد المتصدرين ، وأوحـد العلماء المتبحرين ، حـلال المشكلات ، وصاحب التحقيقات ، الشيخ حسن بن غالب الجداوى المالكى الأزهرى .

ولد بالجدية فى سـنة ثمان وعشرين ومائة والف — وهى قرية قرب رشيد وبها نشأ .

وقدم الجامع الأزهر ، لتفقه على بلديه الشيخ شمس الدين محمد الجداوى ، وعلى أفقه المالكية فى عصره : السيد محمـد بن محمد السلامونى ، وحضر على الشيخ على خضر العمـروسى ، وعلى

السيد محمد البليدى والشيخ على الصعيدى . أخذ عنهم الفنون بالاتقان ، ومهر فيها حتى عد من الأعيان ، ودرس فى حياة شيوخه وأفتى .

وهو شيخ بهى الصورة ، طاهر السريرة ، حسن السيرة ، فصيح اللهجة ، شديد العارضة ، يفيد الناس بتقريره الفائق ، ويحل المشكلات بذهنه الرائق . وحلقة درسه عليها الخفر ، وما يلقيه كأنه نثار جواهر ودرر .

وكان ينزل الى بلده الجدية فى كل سنة مرة ، ويقيم بها أياما ، ويجتمع عليه أهل الناحية ويهادونه ويفصلون على يديه قضاياهم ودعاويهم ومواريثهم ، ويؤخرون وقائعهم الحادثة بطول السنة الى حضوره ، ولا يثقون الا بقوله ... ثم يرجع الى مصر بما اجتمع لديه من الأرز والسمن والعسل والقمح وغير ذلك مايكفى عياله الى قابل ... مع الحشمة والعفة ...

* * *

ومات الامام العالم العلامة ، الفقيه المحدث النحوى ، الشيخ حسن الكفراوى الشافعى الأزهرى .

ولد ببلدة كفر الشيخ حجازى بالقرب من المحلة الكبرى . فقرأ القرآن ، وحفظ المتون بالمحلة ، ثم حضر الى مصر وحضر شيوخ الوقت — مثل الشيخ أحمد السجاعى والشيخ عمر الطحلاوى والشيخ محمد الحفنى والشيخ على الصعيدى — ومهر فى الفقه والمعقول ، وتصدر ودرس وأفتى واشتهر ذكره .

ولازم الاستاذ الحنفى ، وتداخل فى القضايا والدعاوى ، وفصل الخصومات بين المتنازعين ، وأقبل عليه الناس بالهدايا والجعالات ، ونما أمره ، وراش جناحه ، وتجمل بالملابس وركوب البغال ، وأحدق به الأتباع ، واشترى بيت الشيخ عمر الطحلاوى بحارة الشنوانى — بعد موت ابنه سدى على — فزادت شهرته ، ووفدت عليه الناس ، وأطعم الطعام ، واستعمل مكارم الأخلاق

... ثم تزوج بنت المعلم درع الجزار بالحسينيه ، وسكن بها ، فجيش عليه أهل الناحية ، وأهل النجدة والزعارة والشطارة ، وصار له بهم نجدة ومنعة على من يخالفه أو يعانده .. ولو من الحكام .

وتردد الى الأمير محمد بيك أبى الذهب قبل استقلاله بالامارة ، وأحبه وحضر مجالس دروسه فى شهر رمضان بالمشهد الحسينى . فلما استبد بالأمر لم يزل يراعى له حق الصحبة ، ويقبل شفاعته فى المهمات ، ويدخل عليه من غير استئذان فى أى وقت أراد ... فزادت شهرته ، ونفذت أحكامه وقضاياه .

واتخذ سكنا على بركة جناق أيضا .

ولما بنى محمد بيك جامعه كان هو المتعين فيه بوظيفة رآسة التدريس والافتاء ومشيخة الشافعية ، وثالث ثلاثة المفتين الذين قررهم الأمير المذكور وقصر عليهم الافتاء ، وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها أنشأها لهم بظاهر الميضأة بجوار التكية التى جعلها لطلبة الأتراك بالجامع المذكور حصة من النهار فى ضحوة كل يوم للافتاء بعد القائهم دروس الفقه . ورتب لهم مايكفيهم ، وشرط عليهم عدم قبول الرشا والجعالات ... فاستمروا على ذلك أيام حياة الأمير .

واجتمع المترجم بالشيخ صادومة المشعوذ ، ونوه بشانه عند الأمراء والناس ، وأبرزه لهم فى قالب الولاية ، وجعل شعوذته وسيمياه من قبيل الخوارق والكرامات .. الى أن اتضح أمره ليوسف بيك ، فتحامل عليه وعلى قرينه الشيخ المترجم من أجله ، ولم يتمكن من ايذائهما فى حياة سيده .

فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة وألقاه فى بحر النيل ، وعزل المترجم من وظيفة المحمدية والافتاء ... فانكسف باله ، وخمد مشعال

ظهوره بين أقرانه الا قليلا ... حتى هلك يوسف بيك قبل تمام الحول ، ونسيت القضية ، وبطل أمر الوظيفة والتكية ، وتراجع حاله .. لا كالأول .

ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهورا وتعلل ، وذلك فى عشرين شعبان من السنة .

ومن مؤلفاته اعراب الآجرومية ، وهو مؤلف نافع مشهور بين الطلبة .

وكان قوى البأس ، شديد المراس ، عظيم الهمة والشكيمة ، ثابت الجنان عند العظائم ، يغلب على طبعه حب الرياسة ، والحكم والسياسة ، ويحب الحركة بالليل والنهار ، ويمل السكون والقرار . . وذلك مما يورث الخلل ، ويوقع فى الزلل ..

فان العلم اذا لم يقرن بالعمل ، ويصاحبه الخوف والوجل ، ويجمل بالتقوى ، ويزين بالعفاف ، ويحل باتباع الحق والانصاف ... أوقع صاحبه فى الخذلان ، وصيره مثلة بين الأقران ..

اللهم الطف بنا ، ووفقنا ، وارحمنا ، وأحسن عاقبتنا ، وقنا ، واكفنا شر أنفسنا ، يا أرحم الراحمين ، اللهم آمين .

* * *

ومات أيضا العلامة الأديب ، واللوذعى اللبيب ، المتقن المتفنن ، الشيخ محمد بن على المعروف بالشافعى التونسى ، نزيل مصر .

ولد بتونس سنة ١١٥٢ ، ونشأ فى قراءة القرآن وطلب العلم . وقدم الى مصر سنة ١١٧١ ، وجاور بالأزهر برواق المغاربة ، وحضر علماء العصر فى الفقة والمعقولات ، ولازم دروس الشيخ على الصعيدى وأبى الحسن القلعى التونسى شيخ الرواق .

وعاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر ، وتخلق بأخلاقهم ، وطالع كتب للتاريخ والأدب ، وصار له ملكة فى استحضار المناسبات الغريبة والنكات ، وتزوج وتزيا بزى أولاد البلد ، وتحلى بذوقهم ، ونظم الشعر الحسن ...

* * *

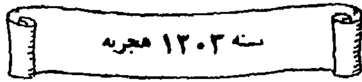
ومات صاحبنا الشاب الصالح العفيف الموفق الشيخ مصطفى بن جاد .

ولد بمصر ، ونشأ بالصحراء بعمارة السلطان قايتباى . ورغب فى صناعة تجليد الكتب وتذهيبها، فعانى ذلك ومارسه عند الأسطى أحمد الدقدوسى حتى مهر فيها ، وفاق أستاذه ، وأدرك دقائق الصنعة والتذهيبات والنقوشات بالذهب المحلول والفضة والأصباغ الملونة ، والرسم والجداول والأطباع وغير ذلك .

وانفرد بدقيق الصنعة بعد موت الصناع الكبار . مثل الدقدوسى وعثمان افندى ابن عبدالله — عتيق المرحوم الوالد — والشيخ محمد الشناوى .

وكان لطيف الذات ، خفيف الروح ، محبوب الطباع ، مألوف الأوضاع ، ودودا مشفقا ، عفيفا صالحا ...

ولم يزل مقبلا على شأنه ، قانعا بصناعته ، يستنسخ بعض الكتب ويبيعها ليربح فيها ، الى أن وافاه الحمام ... عوضنا الله فيه خيرا ، فانه كان بى رءوفا ، وعلى شفيقا ، ولا يصبر عنى يوما كاملا ، مع حسن العشرة والمودة والمحبة ... لا لغرض من الأغراض .. ولم أر بعده مثله (١) .



المحرم

الخميس اوله (٢ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

فيه : زاد اجتهاد اسماعيل بيك فى البناء عند

(١) ان الجبرتى ، وقد انطلق يوفى الصداقة حقها ، لم يستطع ان يحبس قلمه من الانطلاق فى وصف مكارم الاخلاق ، التى ما اجتمعت لصانع الا وفقه الله فاصبح فى عمله فنانا ، يذكر فنه وفضله بعد حين اشرف على قرنين من الزمان ...

طرا ، وأنشأ هناك قلعة بحافة البحر ، وجعل بهـا مساكن ومخازن وحواصل ، وأنشأ حيطانا وأبراجا وكرانك ، وأبنية ممتدة من القلعة الى الجبـل ، وأخرج اليها الجبخانة والذخيرة وغير ذلك .

الجمعة ٩ منه (١٠ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سـافر عثمان كتخـدا عزبان الى اسـلامبول بعرضحال بطلب عسكر ، واذن باقتطاع مصاريف من الخزينة .

السبت ٢٤ منه (٢٥ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر اسماعيل باشـا باش الأرنؤود بجماعته ، ولحقوا بالغلايين ... والجماعة القبليون متترسون بناحية الصول ، وعاملون سبعة متاريس ، والمراكب وصلت الى أول متراس ، فوجدوهم مالكين مزم الجبل ، فوقفوا عند أول متراس ومدافعهم تصيب المراكب ، ومدافـع المراكب لا تصـيبهم ، وهم ممتنعون بأنفسهم الى فوق . وانخرقت المراكب عـدة مرات ، وطلع مرة من أهل المراكب جمـاعة أرادوا الكبس على المتراس الأول ، فخرج عليهم كمين من خلف مزرعة الذرة المزروع ، فقتل من طائفة المغاربة جماعة ، وهرب الباقون ، ونصبت رءوس القتلى على مزاريق ليراها أهل المراكب .

الاثنين ٢٦ منه (٢٧ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر أيضا عثمان بيك الحسنى ، وامتنع ذهاب السفار وايابهم الى الجهة القبلية ، وانقطع الوارد ، وشطح سعر الغلة . وبلغ النيل غايته فى الزيادة ، واستمر على الأراضى من غير نقص الى آخر شهر بابة القبطى ... وروى جميع الأراضى

الثلاثاء ٢٧ منه (٢٨ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

حضر سراج من عنـد القبليين ، وعـلى يده مكاتبـات بطلب صلح ، وعلى أنهم يرجعون الى البلاد التى عينها لهم حسن باشا ، ويقومون بدفع المال والغلال للميرى ، ويطلقون السبل للمسافرين والتجار ... فانهم سئموا من طول المدة ، ولهم مدة شهور منتظرين اللقاء مع أخصامهم ، فلم يخرجوا اليهم ... فـلا يكونون سببا لقطع أرزاق الفقراء والمساكين .

فكتبوا لهـم أجوبة للاجابة لمطلوبهم ، بشرط ارسـال رهائن ، وهم : عثمان بيك الشرقاوى ، وابراهيم بيـك الوالى ، ومحمـد بيك الألفى ، ومصطفى بيك الكبير .

ورجع الرسـول بالجواب ، وصحبته واحـد بشلى من طرف الباشا .

صـفر

غرته (١ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

حضر جماعة مجاريح .

فى ٢ منه (٢ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

حضر المرسال الذى توجه بالرسالة ، وصحبته سليمان كاشف من جماعة القبليين ، والبشلى وآخر من طرف اسماعيل باشا الأرنؤودى ، وأخبروا أن الجماعة لم يرضوا بارسال رهائن . ثم أرسلوا لهم على كاشف الجيزة وصحبته رضوان كتخدا باب التفكجية ، وتلطفوا معهم على أن يرسلوا عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك .. فامتنعوا من ذلك ، وقالوا من جملة كلامهم :

« لعلكم تظنون أن طلبنا فى الصلح عجز ، أو أننا محصورون ، وتقولون بينكم فى مصر : انهم يريدون بطلب الصلح التحيل على التعدية الى البر الغربى ، حتى يملكوا الاتساع . واذا قصدنا ذلك أى شيء يمنعنـا فى أى وقت شئنا ؟ . وحيث كان الأمر كذلك ، فنحن لانرضى الا من حد أسيوط ، ولا نرسل رهائن ، ولا نتجاوز محلنا » .

فى ٧ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

فلما رجع الجواب بذلك ، أرسل الباشا فرمانا الى

اسماعيل باشا بمحاربتهم ، فبرز اليهم بعساكره ، وجميع العسكر التى بالمراكب ، وحملوا عليهم حملة واحدة .

٨ منه (٨ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

أخلوا لهم ، وملكوا منهم متراسين ، فخرج عليهم كمين بعد أن أظهروا الهزيمه . فقتل من العساكر جملة كبيرة .

٩ منه (٩ نوفمبر ١٧٨٨ م) .

ثم وقع الحرب بينهم ، واستمرت المدافع تضرب بينهم من الجهتين ، والحرب قائمة بينهم سجالا ، وكل من الفريقين يعمل الحيل وينصب الشباك على الآخر ، ويكمن ليلا فيجد الرصد ، ولم تنفصل بينهم الحرب على شيء .

منتصفه (١٥ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

شرع اسماعيل بيك فى عمل تفريدة على البلاد ، فقرروا الأعلى عشرين ألف فضة ، والأوسط خمسة عشر ، والأدنى خمسة آلاف . وذلك خلاف حق الطرق وما يتبعها من الكلف ، وعمل ديوان ذلك فى بيت على بيك الدفتردار بحضرة الوجاقلية ، وكتبت دفاترها وأوراقها فى مدة ثلاثة أيام .

ربيع الأول

مستهله (٣٠ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

الحال على ما هو عليه . وحضر رسول من القبليين بطلب الصلح ، ويطلبون من حد أسيوط الى فوق شرقا وغربا ، ولا يرسلون رهائن . ووصل ساع من ثغر الاسكندرية بالبشارة لاسماعيل كتخدا حسن باشا بولاية مصر ، وأن البيرق والداقم وصل ، والقبنجي والكتخدا ، وأرباب المناصب وصلوا الى الثغر ، فردهم الريح عندما قربوا من المرساة الى جهة قبرص ، فشرع عابدى باشا فى نقل متاعه من القلعة .

ولما حضر الرسول بطلب الصلح رضى المصرلية بذلك ، وأعادوه بالجواب .

٤ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر أحمد أغا ، أغات الجمالية المعروف بشويكار ، لتقرير ذلك . فعمل عابدى باشا ديوانا اجتمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية ، وتكلم أحمد أغا ، وقال :

« نأخذ من أسيوط الى قبلى شرقا وغربا بشرط أن ندفع ميرى البلاد من المال والغلال ، ونطلق سراح المراكب والمسافرين بالغلال والأسباب ... وكذلك أنتم لاتمنعون عنا الواردين بالاحتياجات الا ما كان من آلة الحرب ... فلكم منعه .

« وبعد أن يتقرر بيننا وبينكم الصلح ، نكتب عرض محضر منا ومنكم الى الدولة ، وننظر مايكون الجواب . فان حضر الجواب بالعفو لنا ، أو تعيين أماكن لنا .. لانخالف ذلك ، ولا نتعدى الأوامر السلطانية ، بشرط أن ترسلوا لنا الفرمان الذى يأتى بعينه نطلع عليه » .

فأجيبوا الى ذلك كله ، ورجع أحمد أغا بالجواب صبيحة ذلك اليوم ، صحبة عبد الله جاويش ، وشهر حوالة والشيخ بدوى من طرف المشايخ .

وحصر فى أثر ذلك مراكب غلال ، وانحلت الأسعار ، وتواجدت الغلال بالرقع ، وكثرت بعد انقشاعها .

ثم وصلت الأخبار بأن القبليين شرعوا فى عمل جسر على البحر ، من مراكب مرصوصة ممتدة من البر الشرقى الى البر الغربى ، وثبتوه وسمروه بمسامير ورباطات ، وثقلوه بمراس وأحجار مركوزة بقرار البحر ، وأظهروا أن ذلك لأجل التعدية . ورجعت المراكب ،

وصحبتها العسكر المحاربون ، واسماعيل باشا الأرنؤودي ، وعثمان بيك الحسني ، والقليونجية وغيرهم ، وأشيع تقرير الصلح وصحته .

١٠ منه (٩ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

أخبر بعض الناس قاضي العسكر ، أن بمدفن السلطان الغوري ، بداخل خزانة في القبة ، آثارا للنبي صلى الله عليه وسلم : وهي قطعة من قميصه ، وقطعة عصا ، وميل . فأحضر مباشر الوقف ، وطلب منه احضار تلك الآثار ، وعمل لها صندوقا ووضعها في داخل بقجة ، وضمخها بالطيب ، ووضعها على كرسي ، ورفعها على رأس بعض الأتباع ، وركب القاضي ، والنائب ، وصحبته بعض المتعممين مشاة بين يديه ، يجهرون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى وصلوا بها الى المدفن ووضعوها في داخل الصندوق ، ورفعوها في مكانها بالخزانة .

١٧ منه (١٦ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر شهر حوالة ، وعبد الله جاويش ، وأخبروا بانهم لما وصلوا الى الجماعة ، تركوهم ستة أيام حتى ، تمموا شغل الجسر ، وعدوا عليه الى البر الغربي ، ثم طلبوهم ... فعدوا اليهم ، وتكلموا معهم ، وقالوا لهم :

« ان عابدي باشا قرر معنا الصلح على هذه الصورة ، وتكفل لنا بكامل الأمور . ولكن بلغنا في هذه الأيام أنه معزول من الولاية ... وكيف يكون معزولا ونعقد معه صلحا ؟ ... هذا لايكون الا اذا حضر اليه مقرر ، أو تولى غيره يكون الكلام معه » .

وكتبوا اليه جوابات بذلك ، ورجع بها الجماعة المرسلون ، وأشيع عدم التمام ... فاضطربت الأمور ، وارتفعت الغلال ثانيا ، وغلا سعرها ، وشح الخبز من الأسواق .

١٩ منه (١٨ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا جمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية والقاضي ، فتكلم الباشا ، وقال : « انظروا ياناس ! هؤلاء الجماعة ماعرفنا لهم حالا ، ولا دينا ، ولا قاعدة ، ولا عهدا ، ولا عقدا .... انا رأينا النصارى اذا تعاقدوا على شيء لا ينقضونه ، ولا يختلون عنه بدقيقة . وهؤلاء الجماعة كل يوم لهم صلح ونقض وتلاعب ، وأننا أجبناهم الى ما طلبوا ، وأعطيناهم هذه المملكة العظيمة ، وهي من ابتداء أسيوط الى منتهى النيل شرقا وغربا . ثم انهم نكثوا ذلك ، وأرسلوا يحتجون بحجة باردة . واذا كنت أنا معزولا ، فان الذي يتولى بعدي لا ينقض فعلي ، ولا يبطله . ويقولون في جوابهم : نحن عصاة وقطاع طريق ... وحيث أقروا على أنفسهم بذلك ، وجب قتالهم أم لا ؟ » .

فقال القاضي والمشايخ : « يجب قتالهم بمجرد عصيانهم وخروجهم عن طاعة السلطان » .

فقال : « اذا كان الأمر كذلك ، فاني أكتب لهم مكاتبه ، وأقول لهم : اما أن ترجعوا وتستقروا على ما وقع عليه الصلح ، واما أن أجهز لكم عساكر ، وأنفق عليهم من أموالكم ، ولا أحد يعارضني فيما أفعله ... والا تركت لكم بلدتكم وسافرت منها ، ولو من غير أمر الدولة ! » .

فقالوا جميعا : « نحن لا نخالف الأمر » .

فقال : « أضع القبض على نسائهم وأولادهم ودورهم ! وأسكن نساءهم وحريمهم في الوكائل ، وابيع تعلقاتهم وبلادهم وما تملكه نساؤهم ، وأجمع ذلك جميعه ، وأنفقه على العسكر . وان لم يكف ذلك ... تممته من مالي » .

فقالوا : « سمعنا وأطعنا » .

وكتبوا مكاتبة خطابا لهم بذلك ، وختم عليها الباشا والأمراء وأرسلوها .

٢٣ منه (٢٢ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

نزل الأغا ونادى فى الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة للأمراء القبليين يردها لأربابها ، فان ظهر بعد ثلاثة أيام عند أحد شيء استحق العقوبة . وكل ذلك تدبير اسماعيل بيك .

٢٥ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر هجان وباش سراجين ابراهيم بيك ، وأخبر أن الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر ... فعمل الباشا ديوانا فى صبحها ، وذكروا المراسلة ... وضمن الباشا غائلتهم ، وضمن المشايخ غائلة اسماعيل بيك وكتبوا محضرا بذلك وختموا عليه ، وأرسلوه صحبة مصطفى كتخدا باش اختيار عزبان ... وتحقق رفع الجسر ، وورود بعض المراكب ، وانحلت الأسعار قليلا .

ربيع الآخر

فى مستهله (٣٠ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر شيخ السادات الى بيته الذى عمره بجوار المشهد الحسينى ، وشرع فى عمل المولد ، واعتنى بذلك . ونادوا على الناس بفتح الحوانيت بالليل ، ووقود القناديل من باب زويلة الى بين القصرين . وأحدثوا سيارات وأشاير ومواكب ، وأحمال قناديل ومشاعل وطبولا وزمورا ... واستمر ذلك خمسة عشر يوما وليلة .

٤ منه (٢ يناير ١٧٨٩ م) :

حضر عابدى باشا باستدعاء الشيخ له ، فتغدى ببيت الشيخ ، وصلى الجمعة بالمسجد ، وخلع على الشيخ وعلى الخطيب . ثم ركب الى قصر العينى .

وفيه : وصل ططرى من الديار الرومية وعلى يده مرسومات ، فعملوا فى صبحها ديوانا بقصر العينى ، وقرئت المرسومات ، فكان مضمون أحدها : تقريرا لعابدى باشا على ولاية مصر ، والثانى : الأمر والحث على حرب الأمراء القبليين ، وابعادهم من القطر المصرى . والثالث : بطلب الافرنجى المرهون الى الديار الرومية .

فلما قرىء ذلك ، عمل عابدى باشا شنكا ومدافع من القصر والمراكب والقلعة ، وانكسف بال اسماعيل كتخدا ، بعد أن حضر اليه المبشر بالمنصب ، وأظهر البشر والعظمة ، وأنفذ المبشرين ليلا الى الأعيان ، ولم يصبر الى طلوع النهار ، حتى أنه أرسل الى محمد أفندى البكرى المبشر فى خامس ساعة من الليل ، وأعطاه مائة دينار ، وحضر اليه الأمراء والعلماء فى صبحها للتهنئة . وثبت ذلك عند الخاص والعام . ونقل عابدى باشا عزاله وحريمه الى القلعة .

١٢ منه (١٠ يناير ١٧٨٩ م) :

رجع مصطفى كتخدا من ناحية قبلى ، وبيده جوابات ، وأخبر أن ابراهيم بيك الكبير ترفع الى قبلى ، وصحبته ابراهيم بيك الوالى ، وسليمان بيك الأغا ، وأيوب بيك . وملخص الجوابات : أنهم طالبون من حد المنيا .

١٤ منه (١٢ يناير ١٧٨٩ م) :

عمل الباشا ديوانا حضرة المشايخ والأمراء ، فلم يحصل سوى سفر الأفرنجى .

فى اواخره (اواخر يناير ١٧٨٩ م) :

حضر سراج باشا ابراهيم بيك ، وبيده جوابات ، يطلبون من حد منفلوط فأجيبوا الى ذلك ، وكتبت لهم جوابات بذلك ، وسافر السراج المذكور .

جمادى الأولى

غرته (٢٨ يناير ١٧٨٩ م) :

قلدوا غيطاس بيك امارة الحج .

فى ٣ منه (٣٠ يناير ١٧٨٩ م) :

وصل ططريون من البر على طريق دمياط بمكاتبات ، مضمونها : ولاية اسماعيل كتخدا حسن باشا على مصر ، وأخبروا أن حسن باشا دخل الى اسلامبول فى ربيع الأول ، ونقض ما أبرمه وكيل عابدى باشا ، وألبس قابجى كتخدا اسماعيل المذكور بحكم نيابته عنه قفطان المنصب ثالث ربيع الآخر .

وتعين قابجى الولاية ، وخرج من اسلامبول بعد خروج الططر بيومين . وحضر الططر فى مدة ثلاثة وعشرين يوما فلما وصل الططر ، سر اسماعيل كتخدا سرورا عظيما ، وأنفذ المبشرين الى بيوت الأعيان .

وفيه : ورد الخبر بانتقال الأمراء القبليين الى المنيا ، وسافر رضوان بيك الى المنوفية ، وقاسم بيك الى الشرقية ، وعلى بيك الحسنى الى الغربية .

٢٠ منه (١٦ فبراير ١٧٨٩ م) :

جمع اسماعيل بيك الأمراء والوجاقلية ، وقال لهم : يا اخواننا ، ان حسن باشا أرسل يطلب منى باقى الحلوان فمن كان عنده بقية فليحضر بها ويدفعها فأحضروا حسن افندى شقبون ، افندى الديوان ، وحسبوا الذى طرف اسماعيل بيك وجماعته ، فبلغ ثلثمائة وخمسين كيسا . وطلع على طرف حسن بيك وأتباعه نحو أربعمائة كيس ، وعلى طرف على الدفتردار مائة وستين كيسا .

وكانوا أرسلوا الى على بيك ، فلم يأت . فقال لهم حسن بيك : « أى شىء هذا العجب ؟ ! والأغراض بلاد على بيك فارسكور ، وبرميال وسرس الليانة حلوانهم قليل ! » .

وزاد اللغط والكلام ، فقام من بينهم اسماعيل بيك ونزل وركب الى جزيرة الذهب .. وكذلك حسن بيك خرج الى قبة العزب ، وعلى بيك ذهب الى قصر الجلفى بالشيخ قمر .. وأصبح على بيك فركب الى الباشا ، ثم رجع الى بيته .

ثم ان على بيك قال : لابد من تحرير حسابى ، وما تعاطيته وما صرفته من أيام حسن باشا الى وقتنا ، وما صرفته على أمير الحج تلك السنة .

وادعى أمير الحج — الذى هو محمد بيك المبدولى — ببواق ، ووقع على الجداوى . فاجتمعوا ببيت رضوان كتخدا — تابع المجنون — وحضر حسن ، كتخدا على بيك ، وكيلا عن مخدومه ، ومصطفى أغا الوكيل وكيلا عن اسماعيل بيك . وحرروا الحساب .. فطلع على طرف على بيك ثلاثة وعشرون كيسا ، وطلع له بواق فى البلاد نيف وأربعون كيسا .

جمادى الآخرة

فى مستهله (٢٧ فبراير ١٧٨٩ م) :

حضر فرمان من الدولة بنفى أربعة أغوات ، وهم : عريف أغا ، وعلى أغا ، وادريس أغا ، واسماعيل أغا ... فحنق لذلك جوهر — أغا دار السعادة — وشرع فى كتابة مرافعة .

١٠ منه (٨ مارس ١٧٨٩ م) :

وصل فرمان لاسماعيل كتخدا وخوطب فيه بلفظ الوزارة ..

١١ منه (٩ مارس ١٧٨٩ م) :

عمل اسماعيل باشا المذكور ديوانا فى بيته بالأزبكية . وحضر الأمراء والمشايخ ، وقرأوا المكاتبة . وفيها الأمر بحساب عابدى باشا .

وبعد انفضاض الديوان ، أمر الروزنامجى والأفندية بالذهاب الى عابدى باشا ، وتحرير حساب الستة أشهر ، من أول توت الى برمهات ،

لأنها مدة اسماعيل باشا ، وما أخـذوه زيادة عن عوائده . وأخذ منـه الضربخانة ، وسـلمها الى خازنداره ، وقطعوا راتبه من المذبح .

وفي عصريتها : أرسل الى الوجاقلية والاختيارية. فلمـا حضروا قال لهم اسماعيل باشا : بلغنى أنكم جمعتم ثمانمائة كيس ، فما صنعتم بها ؟ فقـالوا : دفعناها الى عابدى باشا ، وصرفها على العسكر . فقال : لأى شيء ؟ قالوا : لقتل العدو . قال : والعدو قتل ؟ قالوا : لا . قال : حينئذ اذا احتاج الحال ، ورجع العدو ، أطلب منكم كذلك قدرها ! قالوا : ومن أين لنا ذلك ؟ قال : اذن اطلبوها منه ، واحفظوها عندكم فى باب مستحفظان لوقت الاحتياج !

وفيه : تواترت الأخبار باستقرار ابراهيم بيك بمنفلوط ، وبنى له بها دارا ، وصحبته أيوب بيك . وأما مراد بيك وبقيـة الصـناجق ، فانهم ترفعوا الى فوق .

١٢ منه (١٠ مارس ١٧٨٩ م) :

حضر حسن كتخدا الجربان من الروم . وكان اسماعيل بيك أرسل يتشفع فى حضوره بسعاية محمـد أغا البارودى ، وعلى أنه لم يكن من هذه القبيلة ، لأنه مملوك حسن بيك أبى كرش ، وحسن بيك مملوك سليمان أغا كتخدا الجاويشية . ولما حضر أخبر أن الأمراء الرهائن أرسلوهم الى شـنق قلعة منفيين بسبب مكاتبات وردت من الأمراء القبالى الى بعض متكلمى الدولة — مثـل القزلار ، وخـلافه — بالسعى لهم فى طلب العفو .

فلما حضر حسن باشا ، وبلغه ذلك ، نفـاهم وأسقط رواتبهم . وكانوا فى منزلة واعزاز ، ولهم رواتب وجمكية : لكل شخص خمسـمائة قرش فى الشهر .

فى ٢٠ منه (١٨ مارس ١٧٨٩ م) :

تحرر حسـاب عابدى باشا ، فطلع لاسماعيل باشا نحو ستمائة كيس ، فتجاوز له عن نصفها ، ودفع له ثلاثمائة كيس ، وطلع عليه لطرف الميرى نحوها ، أخذوا بها عليه وثيقة ، وسامحه الأمراء من حسابهم معه ، وهادوه وأكرموه ، وقدموا له تقادم ، وأخذ فى أسباب الارتحال والسفر ، وبرز خيامه الى بركة الحج .

فى أواخره (أواخر مارس ١٧٨٩ م) :

ورد الخبر مع السعاة بوصول الأطواخ لاسماعيل باشا ، والبرق والداقم الى ثغر الاسكندرية .

رجب

الاثنين ٣ منه (٣٠ مارس ١٧٨٩ م) :

سافر عابدى باشا من البر على طريق الشـام الى ديار بكر ، ليجمع العساكر الى قتال الموسقو ، وذهب من مصر بأموال عظيمة ، وسـافر صحبته اسماعيل باشا الأرنؤودى ، وأبقى اسماعيل باشا من عسكر القليونجية والأرنؤودية من اختـارهم لخدمته ، وأضافهم اليه .

الاثنين ١٠ منه (٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

وصلت الأطواخ والداقم الى الباشا ، فابتهج لذلك ، وأمر بعمل شنك وحراقة ببركة الأزبكية . وحضر الأمراء الى هنـاك ، ونصـبوا صـوارى وتعاليق ، وعملوا حراقة ووقدة ليلتين .

الجمعة ١٤ منه (١٠ ابريل ١٧٨٩ م) :

وركب الباشا وذهب الى مقابر الامام الشافعى .. فزاره ، ورجع الى قبة العزب خارج باب النصر . ونودى فى ليلتها على الموكب .

السبت ١٥ منه (١١ ابريل ١٧٨٩ م) :

فى صبحه خرج الأمراء والوجاقليـة والعساكر

الرومية والمصرلية، واجتمع الناس للفرجة . وانتظم الموكب أمامه ، وركب بالشعار القديم ، وعلى رأسه الطلخان والقفطان الأطلس، وأمامه السعاة والجاويشية والملازمون وخلفه النوبة التركية . وركب أمامه جميع الأمراء بالشعار والبيلشانات بزينتهم ونظامهم القديم المعتاد ؛ وشق القاهرة فى موكب عظيم .

ولما طلع الى القلعة ضرب له المدافع من الأبراج .
وكان ذلك اليوم متراكم الغيوم ، وسح المطر من وقت ركوبه الى وقت جلوسه بالقاعة ... حتى ابتلت ملابسه وملابس الأمراء والعسكر وحوائجهم، وهم مستبشرون بذلك .

وكان ذلك اليوم خامس برمودة القبطى .

الثلاثاء ١٨ منه (١٤ ابريل ١٧٨٩ م) :

عمل الديوان . وطلع الأمراء والمشايخ ، وطلع الجم الكثير من الفقهاء ، ظانين وطامعين فى الخلع . فلما قرىء التقرير فى الديوان الداخل ، خلع على الشيخ العروسى والشيخ البكرى والشيخ الحريرى والشيخ الأمير ، والأمراء الكبار فقط .

ثم ان اسماعيل بيك التفت الى المشايخ الحاضرين وقال : « تفضلوا يا أسيادنا ، حصلت البركة » ، فقاموا وخرجوا .

الخميس ٢٠ منه (١٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

أمر الباشا المحتسب بعمل تسعيرة ، وتنقيص الأسعار ، فنقصوا سعر اللحم نصف فضة ؛ وجعلوا الضانى : بستة أنصاف ، والجاموسى بخمسة ، فشح وجوده بالأسواق ، وصاروا يبيعونه خفية بالزيادة ، ونزل سعر الغلة الى ثلاثة ريال ونصف الأردب ، بعد تسعة ونصف .

الخميس ٢٧ منه (٢٣ ابريل ١٧٨٩ م) :

ورد مرسوم من الدولة ، فعمل الباشا الديوان فى ذلك اليوم ، وقرأوه . وفيه :

الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، والدعاء بالنصر للسلطان على الموسقو ، فانهم تغلبوا ، واستولوا على قلاع ، ومدن عظيمة من مدن المسلمين ، وكذلك يدعون له بعد الأذان فى كل وقت . وأمر الباشا بتقرير عشرة من المشايخ من المذاهب الثلاثة يقرأون البخارى فى كل يوم ، ورتب لهم فى كل يوم مائتين نصف فضة ، لكل مدرس عشرون نصفا من الضربخانة ، ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان .

وفيه : شرع الباشا فى تبييض حيطان الجامع الأزهر بالنورة والمغرة .

الأحد ٣٠ منه (٢٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

حضر الشيخ العروسى والمشايخ ، وجلسوا فى القبلة القديمة جلوسا عاما ، وقرأوا أجزاء من البخارى ، واستداموا على ذلك بقية الجمعة .

وقرر اسماعيل بيك أيضا عشرة من الفقهاء كذلك يقرأون أيضا البخارى نظير العشرة الأولى . وحضر الصناع وشرعوا فى البياض والدهان وجلاء الأعمدة ، وبطل ذلك الترتيب .

شعبان

فى ٢ منه (٢٨ ابريل ١٧٨٩ م) :

نودى بابطال التعامل بالزيوف المغشوشة ، والذهب الناقص ، وان الصيارفة يتخذون لهم مقصات يقطعون بها الدراهم الفضة المنحسة وكذلك الذهب المغشوش الخارج . واذا كان الدينار ينقص ثلاثة قراريط ، يكون بطالا ، ولا يتعامل به ، وانما يباع لليهود الموردين بسعر

المصاغ الى دار الضرب ، ليعاد جديدا ، فلم يمتثل الناس لهذا الأمر ، ولم يوافقوا عليه ، واستمروا على التعامل بذلك فى المبيعات وغيرها ، لأن غالب الذهب على هذا النقص وأكثر ، واذا بيع على سعر المصاغ ، خسروا فيه قريبا من النصف ، فلم يسهل بهم ذلك ، ومشوا على ما هم عليه مصطلحون فيما بينهم

وفى أوائله أيضا : تواترت الأخبار بموت السلطان عبد الحميد فى الحادى عشر من رجب ، وجلوس ابن أخيه السلطان مصطفى مكانه ، وهو السلطان سليم خان ، وعمره نحو الثلاثين سنة .

وورد فى اثر الاشاعة ، صحبة التجار والمسافرين، دراهم وعليها اسمه وطرته ، ودعى له فى الخطبة أول جمعة فى شعبان المذكور .

الثلاثاء ٩ منه (٥ مايو ١٧٨٩ م) :

حضر على بيك الدفتردار من ناحية دجوة . وسبب ذهابه اليها أن أولاد حبيب قتلوا عبدا لعلى بيك بمنية عفيف ، بسبب حادثة هناك . وكان ذلك العبد موصوفا بالشجاعة والفروسية ، فعز ذلك على على بيك فأخذ فرمانا من الباشا بركوبه على أولاد حبيب ، وتخريب بلدهم ، ونزل اليهم وصحبته باكير بيك ، ومحمد بيك المبدول . وعندما علم الحبايبة بذلك ، وزعوا متاعهم ، وارتحلوا من البلد ، وذهبوا الى الجزيرة .

فلما وصل على بيك ومن معه الى دجوة ، لم يجدوا أحدا ، ووجدوا دورهم خالية ، فأمروا بهدمها ، فهدموا مجالسهم ، ومقاعدهم ، وأوقدوا فيها النار ، وعملوا فردة على أهل البلد ، وما حولها من البلاد ، وطلبوا منهم كلفا وحق طرق ، وتفحصوا على ودائعهم ، وأماناتهم ، وغلالهم فى جيرة البلاد ، مثل : طحلة وغيرها ، فأخذوها ، وأحاطوا بزرعهم ، وما وجدوه بالنواحى من بهائمهم ومواشيهم ثم تداركوا أمرهم ، وصالحوه بسعى الوسايط بدراهم ، ودفعوها ، ورجعوا الى وطنهم ، ولكن بعد خرابها ، وهدمها .

وفيه : أرسل الباشا سلحداره بخطاب للأمراء القبالى يطلب منه الغلال والمال الميرى حكم الاتفاق.

رمضان

فى ٤ منه (٢٩ مايو ١٧٨٩ م) :

وصل الى مصر أغا معين باجراء السكة والخطبة باسم السلطان سليم شاه ، فعمل الباشا ديوانا ، وقرأ المرسوم الوارد بذلك ، بحضرة الجمع . والسبب فى تأخيره لهذا الوقت : الاهتمام بأمر السفر ، واشتغاله رجال الدولة بالعزل ، والتولية .

وورد الخبر أيضا بعزل حسن باشا من رياسة البحر الى رياسة البر ، وتقلد الصدارة ، وتولى عوضه قبطان باشا حسين الجردلى ، وأخبروا أيضا بقتل بستجى باشا .

وفى أوائله : فتحوا ميرى سنة خمسة (أى سنة ١٢٠٥ هـ) مقدم معجلة .

أواخره (النصف الثانى من يونية ١٧٨٩ م) :

حضر عثمان كتخدا عزبان من الديار الرومية ، وبيده أوامر ، وفيها : الحث على محاربة الأمراء القبالى ، والخطاب للوجاقلية ، وباقى الأمراء بأن يكونوا مع اسماعيل بيك بالمساعدة ، والاذن لهم بصرف ما يلزم صرفه من الخزينة ، مع تشهيل الخزينة للدولة .

شوال

١٠ منه (٤ يوليو ١٧٨٩ م) :

وصل ططرى ، وعلى يده أوامر منها : حسن عيار المعاملة من الذهب ، والفضة ، وأن يكون

عيار الذهب المصرى تسعة عشر قيراطا ، ويصرف بمائة وعشرين نصفا ، بنقص أربعة أنصاف عن الواقع فى الصرف بين الناس . والاسلامبولى بمائة وأربعين ، وبنقص عشرة . والفندقلى بمائتين ، بنقص خمسة . والريال الفرانسة بمائة ، بنقص خمسة أيضا . والمغربى بخمسة وتسعين ، بنقص خمسة أيضا ، وهو المعروف بأبى مدفع . والبندقى بمائتين وعشرة ، بنقص خمسة عشر .

فنزل الأغا والوالى ، ونادى بذلك ، فخسر الناس حصة من أموالهم .

فى غايته (٢٣ يوليه ١٧٨٩ م) :

خرج أمير الحج غيطاس بيك بالمحمل وركب الحجاج .

ذو القعدة

منتصفه (٧ اغسطس ١٧٨٩ م) :

أوفى النيل المبارك أذرع الوفاء ، ونزل الباشا الى فم الخليج . وكسر السد بحضرته على العادة .

* * *

وانقضى هذا العام بحوادثه .

وحصل فى هذه السنة الازدلاف ، وتداخل العام الهلالى فى الخراجى .. ففتحوا طلب المال الخراجى القابل قبل أوانه ، لضرورة الاحتياج ، وضيق الوارد بتعطيل الجهة القبلية ، واستيلاء الأمراء الخارجين عليها .

ووجه اسماعيل بيك الطلب من أول السنة بباقى الحلوان الذى قرره حسن باشا ، ثم المال الشتوى ، ثم الصيفى . وفى أثناء ذلك ، المطالبة بالفرد المتوالية المقررة على البلاد من الملتزمين . ووجه على الناس قباح الرسل ، والمعينين من السراجين والدلاة ، وعسكر القليونجية ... فيدهمون الانسان ، ويدخلون عليه فى بيته — مثل التجريدة — الخمسة والعشرة بأيديهم البنادق والأسلحة ، بوجوه عابسة ... فيشاغلهم ويلاطفهم ، ويلين خواطرهم بالاكرام ، فلا يزدادون الا قسوة وفظاظة . فيعدهم على وقت آخر ، فيسمعونه قبيح القول ، ويشتطون فى أجرة طريقهم .

وربما لم يجدوا صاحب الدار أو يكون مسافرا : فيدخلون الدار — وليس فيها الا النساء — ويحصل منهم ما لا خير فيه من الهجوم عليهن . وربما نططن من الحيطان ، أو هربن الى بيوت الجيران !

وسافر رضوان بيك — قرابة على بيك الكبير — الى المنوفية ، وأنزل بها كل بلية ، وعسف بالقرى عسفا عنيفا قبيحا ... بأخذ البلص والتساويف ، وطلب الكلف الخارجة عن المعقول ... الى أن وصل الى رشيد . ثم رجع الى مولد السيد البدوى بطندتا ، ثم عاد . وفى كل مرة من مروره يستأنف العسف والجور .

وكذلك قاسم بيك بالشرقية ، وعلى بيك الحسنى بالغربية .

وقلد اسماعيل بيك مصطفى كاشف ، المرابط بقلعة طرا . فعسف بالمسافرين الذاهبين والآيبين الى جهة قبلى : فلا تمر عليه سفينة ، صاعدة أومنحدرة الا طلبها اليه ، وأمر باخراج ما فيها ، وتفتيشها بحجة أخذهم الاحتياجات للأمراء القبليين من الثياب وغيرها ، أو ارسالهم أشياء أو دراهم لبيوتهم . فان وجد فى السفينة شيئا من ذلك ، نهب ما فيها من مال المسافرين والمتسببين ، وأخذه عن آخره ، وقبض عليهم وعلى الريس ، وحبسهم ، ونكل بهم ، ولا يطلقهم الا بمصلحة ! وان لم يجد شيئا فيه شبهة ، أخذ من السفينة ما اختاره ، وحجزهم فلا يطلقهم الا بمال يأخذه منهم !

وتحقق الناس فعله ، فصانعوه ابتداء .. تقية لشره ، وحفظا لمالهم ومتاعهم . فكان الذى يريد

المنفر الى قبلى ، بتجارة أو متاع ، يذهب اليه ببعض الوسايط ، ويصالحه بما يطيب به خاطره ، ويمر بسلام ، فلا يتعرض له .

وكذلك الواصلون من قبلى : يأتون طائعين الى تحت القلعة ، ويطلع اليه الريس والمسافرون ، فيصالحونه .

وعلم الناس هذه القاعدة ، واتبعوها ، وارتاحوا عليها فى الجملة ، واستعوضوا الخسارة من غلو الأثمان . وكذلك فعل نساء سائر الأمراء القبليين ، وهادينه ، وأرشوه عن ارسالهن الى أزواجهن من الملابس والأمتعة سرا ... حتى كن فى الآخر يرسلن اليه ما يرمن ارساله ، وهو يرسله بمعرفته ! وتأتى أجوبتهم على يده الى بيوتهن خفية . واتخذ له يدا وجميلا ، وطوقهم منته بذلك .

وشاع فى بلاد الأرنؤود وجبال الروملى ، رغبة اسماعيل بيك فى العساكر .. فوفدوا عليه بأشكالهم المختلفة ، وطباعهم المنحرفة ، وعدم أديانهم ، وانعكاس أوضاعهم . فأسكن منهم طائفة بالجيزة ، وطائفة ببولاق ، وطائفة بمصر القديمة . وأجرى عليهم النفقات والعلوفات . وجلب له الياسرجية المماليك ، فاشترى منهم عدة وافرة — وأكثرهم عزق ومشنبون ، وأجناس غير معهودة — واستعملهم من أول وهلة فى الفروسية ، ولم يدربهم فى آداب ولا معرفة دين ولا كتاب ... كل ذلك حرصا على مقاومة الأعداء ، وتكثير الجيش . وتابع ارسال الهدايا والأموال والتحف الى الدولة ، وأحضر السروجية والصواغ والعقادين ، فصنعو ستة سروج للسلطان وأولاده — وذلك قبل موت السلطان عبد الحميد — على طريقة وضع سروج المصريين بعبايات مزركشة . وهى مع السرج والقصعة والقربوس مرصعة بالجواهر والبروق والذهب ! والركابات ، واللجامات ، والبلامات . والشماريخ ، والسلاسل . كلها من الذهب البندقى الكسر ! والرأس والرشمات كلها من الحرير المصنوع بالمخيش ، وسلوك الذهب وشماريخ المرجان والزمرد ، وجميع الشراريب من القصب المخيش ! وبها تعاليق المرجان والمعادن ... صناعة بديعة ، وكلفة ثمينة ... أقاموا فى صناعة ذلك عدة أيام ببيت محمد أغا البارودى !

واشترى كثيرا من الأوانى والقدور الصينى الأسكى معدن ، وملأها بأنواع الشربات المصنوع من السكر المكرر : كشراب البنفسج ، والورد ، والحماض ، والصندل المطيب بالمسك ، والعنبر وماء الورد ، والمربيات الهندية : مثل مربى القرنفل ، وجوز بوا ، والبسباسة ، والزنجبيل والكابلى . وأرسل ذلك مع الخزينة بالبحر ، صحبة عثمان كتخدا عزبان ، ومعها عدة خيول من الجياد ، وأقمشة هندية ، وعود وعنبر ، وطرائف ، وأرز وبن ، وأفاويه ، وماء الورد المكرر ، وغير ذلك !

ولم يتفق لأحد ، فيما تقدم من أمراء مصر ، أن أرسل مثل ذلك ، ولم نسمع به ، ولم نره فى تاريخ .. فان نهاية ما رأينا أن الأشربة يضعونها فى ظروف من الفخار التى قيمة الظرف منها خمسة أنصاف أو عشرة ... حتى الذى يصنعه شربتلى باشا ، الذى يأتى من اسلامبول لخصوص السلطان . وأما هذه فأقل ما فيها يساوى مائة دينار ... وأكثر من ذلك !

* * *

ومات فى هذه السنة العلامة الماهر الحيسوب ، الفلكى أبو الاتقان ، الشيخ مصطفى ... الخياط صناعة .

أدرك الطبقة الأولى من أرباب الفن — مثل رضوان أفندى ، ويوسف الكلارجى ، والشيخ محمد النشيلى ، والكرتلى ، والشيخ رمضان الخوانكى ، والشيخ محمد الغمرى ، والشيخ الوالد حسن الجبرتى — وأخذ عنهم ، وتلقى منهم ، ومهر فى

الحساب والتقويم وحل الأزياج والتحاويل، والحل والتركيب، وتحاويل السنين، وتداخل التواريخ الخمسة، واستخراج بعضها من بعض، وتواقيعها وكبائسها وبسائطها ومواسمها، ودلائل الأحكام والمناظرات، ومظنات الكسوف والخسوف، واستخراج أوقاتها وساعاتها ودقائقها ... مع الضبط والتحرير، وصحة الحدس وعدم الخطأ.

وأقر له أشياخه ومعاصروه بالاتقان والمعرفة، وانفرد بعد أشياخه، ووفد عليه طلاب الفن وتلقوا عنه وأنجبوا — وأجلهم عصرينا وشبحنا العلامة المتقن الشيخ عثمان بن سالم الوردانى، أطال الله بقاءه ونفع به.

ولازم المترجم المرحوم الوالد مدة مديدة، وتلقى عنه، وحج معه فى سنة ١١٥٣، وسمعته يقول عنه: « الشيخ مصطفى فريد عصره فى الحسابيات، والشيخ محمد النشيلى فى الرسميات، وحسن أفندى قطة مسكين فى دلائل الأحكام ».

وكان فى كل عام يستخرج دستور السنة من مقومات السيارة، ومواقع التواريخ، وتوافيع القبط، والمواسم والأهلة، ويعرب السنة الشمسية لنفع العامة، وينقل منها نسخا كثيرة يتناولها الخاص والعام يعلمون منها الأهلة وأوائل الشهور العربية والقبطية والرومية والعبرانية، والتواقيع والمواسم، وتحاويل البروج، وغير ذلك.

والتمس منه الأستاذ سيدى أبو الأمداد أحمد ابن وفا تحريك الكواكب الثابتة لغاية سنة ١١٨٠ فأجابه الى ذلك، واشتغل به أشهرا حتى أتم حساب أطوالها وعروضها وجهاتها، ودرجات ممرها، ومطالع غروبها وشروقها وتوسطها، وأبعادها ومواضعها بأفق عرض مصر ... بغاية التحقيق والتدقيق، على أصول الرصد الجديد السمرقندى.

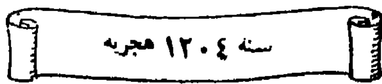
وقام له الأستاذ بأوده ومصرفه ولوازم عياله مدة اشتغاله بذلك، وأجازه على ذلك اجازة سنية ... أخبرنى من لفظه أنه أقام يصرف من فضل ذلك أشهرا بعد تمام المطلوب.

وله مؤلفات وتحريرات نافعة فى هذا الفن، منها « جداول حل عقود مقومات القمر بطريق الدر اليتيم » لابن المجدى — وهو عبارة عن تسهيل ماصنفه العلامة رضوان أفندى فى كتابه « آسنى المواهب » فى عشرة كراريس — جمع فيه تعديل الخاصة المعدلة بالمركز للوسط، فيجمع مع الوسط فى سطر، وفى الأصل يجمع فى سطرين. ولا يخفى مافيه من سهولة العمل ... يعلم ذلك من له دربة بالفن.

ولم يزل مشتغلا بالنفع والحساب والافادة — مع اشتغاله بصناعة الخياطة وتفصيل الثياب — وهو جالس فى زاوية المكان يكتب ويمارس مع الطلبة ... والصناع بوسط المكان يفصلون الثياب ويخيطونها، ويباشرهم أيضا فيما يلزم مباشرته، الى أن توفى فى هذه السنة فى بيته جهة الرميلة وقد جاوز التسعين (١).

* * *

ومات سلطان الزمان، السلطان عبد الحميد بن أحمد خان. وتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم ابن مصطفى، وفقه الله تعالى آمين



المحرم

فيه: وصلت الأخبار بأن الموسقو أغاروا على عدة قلاع وممالك اسلامية منها جهات الأوزى،

(١) ان شعبا يجد فيه « خياط » من الدوافع ما يدفعه الى الجمع بين مهنته والاشتغال بالعلم — فى غياهب هذا الفساد المستشرى — لهو شعب حى لن يموت ...

وكانت تغل على اسلامبول كالصعيد على مصر ، وأن اسلامبول واقع بها غلاء عظيم .

اواخره (النصف الثانى من اكتوبر ١٧٨٩ م) :

حضر واحد أغا ، وبيده مرسومات بسبب الأمراء القبليين ، بأنهم ان كانوا تعدوا الجهات التى صالحوا عليها حسن باشا ، ولم يدفعوا المال ، ولا الغلال ، فلازم من محاربتهم ، ومقاتلتهم . وان لم يمتثلوا ، يخرجوا اليهم ويقاتلوهم ، فان السلطان أقسم بالله أنه يزيل الفريقين ، ولا يقبل عذرهم فى التأخير .

فقرأوا تلك المرسومات فى الديوان ، ثم أرسلوها مع مكاتبات صحبة واحد مصرلى ، وآخر من طرف الأغا القادم بها ، وآخر من طرف الباشا .

ربيع الآخر

فى أوائله (حوالى منتصف نوفمبر ١٧٨٩ م) :

رجع الرسل بجوابات من الأمراء القبليين ، ملخصها : أنهم لم يتعدوا ما حددوه مع حسن باشا ، الا بأوامر من عابدى باشا ، فانه حدد لنا من منفلوط . ثم ان اسماعيل بيك بنى حاجزا ، وقلاعا ، وأسوارا بطرا ، وذلك دليل وقرينة على أن ماوراء ذلك يكون لنا ، وأنه اختص بالأقاليم البحرية ، وترك لنا الأقاليم القبلية ، ولا مزية للأمراء الكائنين بمصر علينا ، فانه يجمعنا واياهم أصل واحد ، وجنس واحد ، وان كنا ظلمة فهم أظلم منا !

وأما الغلال والمال ، فاننا أرسلنا لهم جانب غلال ، فلم ترجع المراكب التى أرسلناها ثانيا . فيرسلوا لنا مراكب ، ونحن نعبيها ونرسلها . وذكروا أيضا أنهم أرسلوا صالح أغا كتخدا الجاويشية سابقا الى اسلامبول ، ونحن فى انتظار رجوعه بالجواب ، فعند رجوعه يكون العمل بمقتضى ما يأتى به من المرسومات ، ولا نخالف أمر السلطان .

جمادى الأولى

فى هذا الشهر : وردت أخبار بعزل وزير الدولة ، وشيخ الاسلام ، وأغات الينكجرية ونفيهم ، وأن حسن باشا تولى الصدارة وهو بالسفر ، وأنه محصور بمكان يقال له اسماعيل ، لأن الموسقو أغاروا على ماوراء اسماعيل ، وأخذوا مابعده من البلاد ، ثم انه هادن الموسقو ، وصالحهم على خمسة أشهر الى خروج الشتاء . وأن السلطان أحضر الأمراء المصرلية الرهائن المنفيين بقلعة « ليميا » ، وهم : عبد الرحمن بيك الابراهيمى ، وعثمان بيك المرادى ، وسليمان كاشف . وأما حسين بيك فانه مات بليميا .

ولما حضروا أنزلوهم فى قناقات ، وعين لهم رواتب ، ويحضرهم السلطان فى بعض الأحيان الى الميدان ، ويعملوا رماحة بالخيول ، وهو ينظر اليهم ، ويعجبه ذلك ، ويعطيهم انعاما !

وورد الخبر أيضا ، أن صالح أغا وصل الى اسلامبول ، فصالح على الأمراء القبالى ، وتم الأمر بواسطة نعمان أفندى منجم باشا ، ومحمود بيك ، وأرسلوا بالأوراق الى حسن باشا ، فحنق لذلك ، ولم يمضه ، وانحرف على نعمان أفندى ، ومحمود بيك ، وأمر بعزلهما من مناصبهما ، ونفيهما واخراجهما من دار السلطنة ، فنفى نعمان أفندى الى أماسيه ، ومحمود بيك الى جهة قريبة من اسلامبول ، وشاط طبيخهم ، وسافر صالح أغا من اسلامبول .

شعبان

فيه : ورد الخبر بموت حسن باشا . وكان موته فى منتصف رجب وكأنه مات مقهورا من الموسقو .

رمضـــان

١٢ منه (٢٦ مايو ١٧٩٠ م) :

حصلت زلزلة لطيفة فى سادس ساعة من الليل .

وفيه أيضـا : وصل ثلاثة أشخاص من الديار الرومية ، فأخذوا ودائع كانت لحسن باشا بمصر ، فتسلموها ممن كانت تحت أيديهم ، ورجعوا .

شـــوال

الجمعة ١٢ منه (٢٦ يونيه ١٧٩٠ م) :

قبل الفجر احترق بيت اسماعيل بيك عن آخره .

٢٥ منه (٨ يوليو ١٧٩٠ م) :

عزل حسن كتخدا المحتسب من الحسـبة ، وقلدوها رضوان أغا محرم من وجاق الجاويشية ، فأنهى حسن أغا أنه كان متكفلا بجراية الجـامع الأزهر ، فان كان المتولى تتكفل بها مثله ، استمر فيهـا ، والا ردوا له المنصب ، وهو يقوم بهـا للمجاورين كمـا كان . فلما قالوا لرضوان أغا ذلك ، لم يسعه الا القيام بذلك ... وهى دسيسة شيطانية ، لا أصل لها . فان أخباز الجامع الأزهر لها جهات بعضها معطل ، والناظر عليه على بيك الدفتردار ، وحسن أغا كتحداه يصل ويقطع من أى جهة أراد من الميرى أو من خلافه . فدس هذه الدسيسـة يريد بهـا تعجيز المتولى ليرجع اليه المنصـب . ومعلوم أن المتولى لم يتقلد ذلك الا برشوة دفعها ، ويلزم من نزوله عنها ضياع غرامته ، وجرسته بين أقرانه . فما وسعه الا القيام بذلك ، وفردها على مظالم الحسبة التى يأخذها من السوقة ، وبدفعهـا للخباز يصنع بها خبزا للمجاورين ، والمنقطعين فى طلب العلم ليكون قوتهم وطعامهم من الظلم ، والسحت المكرر ، وذلك نحو خمسة آلاف نصف فضة فى كل يوم . واشتهر ذلك وعلمه العلمـاء والمجاورون وغيرهم . وربنا طالبـوه بالمنكسر ، أو اعتذروا بقولهم « الضرورات تبيح المحظورات ! » .

ذو الحجـة

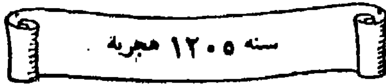
السبت ٣ منه (١٤ اغسطس ١٧٩٠ م) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد بحضرة الباشا والأمراء على العـادة ، وجرى الماء فى الخليج .

وفيه : وقعت واقعة بين عسـكر القليونجيـة والأرنؤودية بسوق السلاح ، وقتل بينهم جماعة من الفريقين ، ثم تحزبوا أحزابا ، فكان كل من واجه حزبا من الطائفة الأخرى ، أو انفرد ببعض منها .. قتلوه ، ووقع بينهم ما لا خير فيه . وداخل الناس الخوف من ذلك ، فيكون الانسـان مارا بالطريق ، فلا يشـعر الا وكرشة وطائفة مقبلة وبأيديهم البنادق والرصاص ، وهم قاصدون طائفة من أخصامهم بلغهم أنهم فى طـريق من الطـرق . واستمر هـذا الأمر بينهم نحو خمسـة أيام ، ثم أدرك القضية اسماعيل بيك وصالحهم .

فى اواخره (اوائل سبتمبر ١٧٩٠ م) :

حضر جماعة من الأرنؤود الى بيت محمد آغا البارودى ، وقبضوا منه مبلغ دراهم من علوفتهم ، ونزلوا من عنـد الخليج المرخم ، وازدحموا فى المركب ، فانقلبت بهم ، وغرق منهم نحو سـتة أنفار ، وقيل تسعة ، وطلع من طلع فى أسوأ حال .



المحـرم

١١ منه (٢٠ سبتمبر ١٧٩٠ م) :

ورد أغا وعلى يده تقرير لاسماعيل باشا على السـنة الجديدة ، فعملوا له موكبا ، وطلع الى

القلعة ، وقرىء المقرر بحضرة الجمع ، وضربوا له مدافع .

وفيه : قبض اسماعيل بيك على المعلم يوسف كساب معلم الدواوين ، وأمر بتغريقه فى بحر النيل .

وفيه : نفوا صالح أغا ، أغات الأرنؤود . قيل ان السبب فى ذلك أنه تواطأ مع الأمراء القبالى بواسطة المعلم يوسف المذكور ، على أنه يملكهم المراكب الروميــة ، والقلاع التى بناحية طرا ، والجيزة ، وعملوا له مبلغا من المـال التزم به الذمى يوسف ، وكتب على نفسه تمسكا بذلك .

وفيه : كثر تعدى أحمد أغا الوالى على أهل الحسينية ، وتكرر قبضــه وايذاؤه لأناس منهم بالحبس والضرب . وأخذ المـال ، بل ونهب بعض البيوت .

الجمعة ٢٢ منه (١ اكتوبر ١٧٩٠ م) :

أرسل أحمد أغا الوالى أعوانه بطلب أحمدسالم الجزار شيخ طائفة البيومية ، وله كلمة وصولة بتلك الدائرة ، وأرادوا القبض عليه . فثارت طوائفه على أتباع الوالى ، ومنعوه منهم ، وتحركت حميتهم عند ذلك ، وتجمعوا وانضم اليهم جمع كثـير من أهل تلك النواحى وغيرها ، وأغلقوا الأســواق ، والدكاكين ، وحضروا الى الجامع الأزهر ، ومعهم طبول ، وقفلوا أبواب الجامع ، وصـعدوا على المنارات ، وهم يصرخون ، ويصيحون ، ويضربون على الطبول ، وأبطلوا الدروس فقال لهم الشيخ العروسى :

« أنا أذهب الى اسماعيل بيك فى هذا الوقت ، وأكلمه فى عزل الوالى » . وتخلص منهم بذلك ، وذهب الى اسماعيل بيك ، فاعتذر بأن الوالى ليس من جمـاعته ، بل هو من جمـاعة حسن بيـك الجـداوى ، وأمر بعض أتبـاعه بالذهاب اليه ، واخباره بجمع النـاس والمشايخ وطلبهم عـزل الوالى ، فلم يرض بذلك . وقال :

« ان كان أنا أعـزل الوالى تابعى ، يعزل هو الآخر الأغا تابعه ، ويعزل رضوان كتخدا المجنون من المقاطعة ، ويرفع مصطفى كاشـف من طرا ، ويطرد عسكر القليونجية ، والأرنؤود ! »
وترددت بينهم الرسل بذلك .

ثم ركب حسن بيك وخرج الى ناحية العـادلية مثل المغضب ، وصـار أحمـد أغا الوالى يركب بجماعة كثيرة ، ويشق من المدينة ليغيظ العامة ، وكذلك تجمع من العامة خلائق كثيرة ، ووقع بينه وبينهم بعض مناوشات فى مروره ، وانجرح بينهم جماعة ، وقتل شخصان . ثم ركب المشايخ وذهبوا الى بيت محمد أفندى البـكرى ، وحضر هناك اسماعيل بيك ، وطيب خاطرهم ، والتزم لهم بعزل الوالى . ومر الوالى فى ذلك الوقت على بيت الشيخ البكرى ، وكثير من العامة مجتمع هناك ، ففزع فيهم بالسيف ، وفرق جمعهم ، وسـار من بينهم ، وذهب فى طريقه ، ثم زاد الحال ، وكثرت غوغاء النـاس ، ومشـوا طوائف يأمرون بغلق الدكاكين .

صـفر

الثلاثاء ٣ منه (١٢ اكتوبر ١٧٩٠ م) :

اجتمع بالأزهر الكثير منهم واستمرت القضية ، ثم طلع اسماعيل بيك ، والأمراء الى القلعة ، واصطلحوا على عزل الوالى والأغا ، وجعلوهما صـنجقين ، وقلدوا خلافهمـا الأغا من طرف اسماعيل بيك ، والوالى من طرف حسن بيك .

ونزل الوالى الجديد من الديوان الى الأزهر ، وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم ، ثم ركب

الى بيته ، وانفض الجمع . وكأنها طلعت بأيديهم .. والذى كان راكب حمار ، ركب فرسا !

٥ منه (١٤ اكتوبر سنة ١٧٩٠ م):

غيمت السماء غيما مطبقا ، وسحت أمطار غزيرة كأفواه القرب ، مع رعد شديد الصوت ، وبرق متتابع متصل قوى اللمعان يخطف بالأبصار ، مستديم الاشتعال .. كل ذلك والأمطار نازلة حتى سقطت الدور القديمة على الناس ، ونزلت السيول من الجبل ، حتى ملأت الصحراء ، وخارج باب النصر ، وهدمت الترب ، وخسفت القبور . وصادف ذلك اليوم دخول الحجاج الى المدينة ، فحصل لهم غاية المشقة ، وأخذ السيل صيوان أمير الحج بما فيه ، وانحدر به من الحصوة الى بركة الحج ، وكذلك خيام الأمراء وغيرهم . وسالت السيول من باب النصر ، ودخلت البلد ، وامتلأت الوكائل بالمياه ، وكذلك جامع الحاكم ، وقتلت أناس فى حواصل الخانات ، وصار خارج باب النصر بركة عظمة متلاطمة الأمواج ، وانهدم من دور الحسينية أكثر من النصف . وكان أمرا مهولا جدا ...

وفيه : حصل أيضا كائنة عبد الوهاب افندى بشناق الواعظ . وذلك انه مات رجل من البشانقة من أهل بلده — وكان قد جعله وصيا على تركته — فاستولى عليها ، واستأصلها . وكان للرجل المتوفى تركة بناحية الاسكندرية . فسافر المذكور الى الاسكندرية وحاز باقى التركة أيضا ، ورجع الى مصر . وحضر الوارث وطالبه بتركة مورثه ، فأظهر له شيئا نزرا ، فذهب الوارث الى القاضى ، فدعاه القاضى وكلمه فى ذلك .

فقال له : « أنا وصى مختار ، وأنا مصدق ، وليس عندى خلاف ماسلمته له » .

فقال له القاضى : « انه يدعى عليه بكذا وكذا ، وعنده اثبات ذلك » .

وطال بينهما الكلام ، وتطاول على القاضى ، واستجهله فطلع القاضى الى الباشا وشكا له ، فأمر باحضاره ... فحضر فى جمع الديوان ، وناقشوه فلم يتزلزل عن عناده الى أن نسب الكل الى الانحراف عن الحق .

فحنق الباشا منه ، وأمر برفعه من المجلس . فقبضوا عليه ، وجروه وضربوه ، ورموا بتاجه الى الأرض ، وحبسوه فى مكان .

وصادف أيضا ورود مكتوب من ناحية المدينة من مفتيها كان أرسله المذكور اليه لسبب من الأسباب ، وذكر فيه الباشا بقوله « التعيس الحربى » ، وكذلك الأمراء بنحو ذلك ، فأرسله المفتى ، وأعاده على يد بعض الناس الى اسماعيل بيك ، حقدا منه عليه لكراهة خفية بينهما سابقة ، وأوصله اسماعيل بيك أيضا الى الباشا ... فازداد غيظا ، وأرعد وأبرق ، وأحضر بشناق افندى من محبسه وقت القائلة ، وأراه ذلك المكتوب ... فسقط فى يده واعتذر . فلطمه على وجهه وتنف لحيته ، وأراد أن يضربه بخنجره فشفع فيه أكابر أتباعه ، ثم أخذوه وسجنوه . وأمر بمحاسبته على ما أخذه من التركة — فحوسب وطولب ، وبقى بالحبس حتى وفى ما طلع عليه . وشفع فيه على بيك الدفتردار وخلصه من الترسيم .

اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٩٠ م):

قلدوا أحمد بيك الوالى كشوفية الدقهلية ، وعثمان بيك الحسنى الغربية وشاهين بيك شرقية بلبيس ، وعلى بيك جركس المنوفية ، وصار جماعة أحمد بيك وأتباعه عند سفرهم يخطفون دواب الناس من الأسواق ، وخيول الطواحين . ولما

مرحوا فى البلاد حصل منهم ما لا خير فيه من ظلم الفلاحين ، مما هو معلوم من أفعالهم .. !

ربيع الأول

نوفمبر ١٧٩٠ م

فيه : كمل بناء بيت اسماعيل بيك وبياضه ، وأتمه على هيئة متقنة وترتيب فى الوضع ، ونقل اليه قطع الأعمدة العظام التى كانت ملقاة فى مكان الجامع الناصرى الذى عند فم الخليج ، وجعلها فى جدرانه ، وبنى به مقعدا عظيما متسعا ، ليس له مثيل فى مقاعد بيوت الأمراء فى ضخامته ، وعظمه ، وهو فى جهة البركة ، وغرس بجانبه بستانا عظيما ، وظن ان الوقت قد صفا له ..

جمادى الأولى

يناير ١٧٩١ م

ابتدأ أمر الطاعون ، وداخل الناس منه وهم عظيم .

وفيه : قلدوا عبد الرحمن بيك عثمان ، وجعلوه صنجق الخزينة ، وشرعوا فى تشهيله . واجتهد اسماعيل بيك فى سفر الخزينة على الهيئة القديمة ، ولبس المناصب والسدادرة وأرباب الخدم . وقد بطل هذا الترتيب والنظام من نيف وثلاثين سنة ، فأراد اسماعيل بيك اعادته ليكون له بذلك منقبة ووجاهة عند دولة بنى عثمان ، فلم يرد الله بذلك وعاجله الرجز .

وفى أواخره ، أشيع فى الناس أن فى ليلة السابع والعشرين نصف الليل تحصل زلزلة عظيمة ، وتستمر سبع ساعات . ونسبوا هذا القول الى أخبار بعض الفلكيين من غير أصل ، واعتقده الخاصة فضلا عن العامة ، وصمموا على حصوله من غير دليل لهم على ذلك .

فلما كانت تلك الليلة خرج غالب الناس الى الصحراء والى الأماكن المتسعة : مثل بركة الأزبكية والفيل وخلافهما ، ونزلوا فى المراكب ، ولم يبق فى بيته الا من ثبته الله ، وباتوا ينتظرون ذلك الى الصباح ، فلم يحصل شىء ، وأصبحوا يتضاحكون على بعضهم !

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

رجب

مارس ١٧٩١ م

فيه : زاد أمر الطاعون ، وقوى عمله بطول شهرى رجب وشعبان ، وخرج عن حد الكثرة ، ومات به ما لا يحصى من الأطفال ، والشبان ، والجوارى ، والعبيد ، والمماليك ، والأجناد ، والكشاف ، والأمراء ، ومن أمراء الألوف الصناجق نحو اثنى عشر صنجقا ، ومنهم : اسماعيل بيك الكبير المشار اليه ، وعسكر القليونجية ، والأرنؤود الكائنون ببولاق ، ومصر القديمة ، والجيزة ... حتى كانوا يحفرون حفرا لمن بالجيزة بالقرب من مسجد أبى هريرة ، ويلقونهم فيها ، وكان يخرج من بيت الأمير فى المشهد الواحد الخمسة ، والستة ، والعشرة وازدحموا على الحوانيت فى طلب العدد ، والمغسلين ، والحمالين ، ويقف فى انتظار المغسل أو المغسلة الخمسة والعشرة ، يتضاربون على ذلك ، ولم يبق للناس شغل الا الموت وأسبابه ، فلا تجد الا مريضا أو ميتا ، أو عائدا ، أو معزيا ، أو مشيعا ، أو راجعا من صلاة جنازة ، أو دفن ، أو مشغولا فى تجهيز ميت ، أو باكيا على نفسه موهوما . ولا تبطل صلاة الجنائز من المساجد ، والمصليات ، ولا يصلى الا على أربعة أو خمسة ، أو ثلاثة ، وندر جدا من يشتكى ولا يموت . وندر أيضا ظهور الطعن .

ولم يكن بحمى، بل يكون الانسان جالسا ، فيرتعش من البرد ، فيدثر ، فلا يفيق الا مخلطا ، أو يموت من نهاره ، أو ثانى يوم ، وربما زاد ، أو نقص ، أو كان بخلاف ذلك .. !! واستمر الطاعون الى أوائل رمضان ، ثم ارتفع ولم يقع بعد ذلك الا قليلا نادرا ، ومات الأغا ، والوالى فى أثناء ذلك ، هولوا خلافهما ، فماتا بعد ثلاثة أيام ، فولوا خلافهما ، فماتا أيضا ! واتفق أن الميراث انتقل ثلاث مرات فى جمعة واحدة !

ولما مات اسماعيل بيك تنازع الرياسة حسن بيك الجداوى ، وعلى بيك الدفتردار ، ثم اتفقوا على تأمير عثمان بيك طبل تابع اسماعيل بيك على مشيخة البلد ، وسكن ببيت سيده ، وقلدوا حسن بيك قصبة رضوان أمير حج . ثم انهم أظهروا الخوف ، والتوبة ، والاقلاع ، وابطال الحوادث والمظالم ، وزيادات المكوس ، ونادوا بذلك ، وقلدوا أمراء عوضا عن المقبورين من مماليكهم .

رمضان

غرته (٤ مايو ١٧٩١ م) :

حضر ططرى وعلى يده مرسوم بعزل اسماعيل باشا ، وأن يتوجه الى المورة ، وأن باشة المورة ، محمد باشا الذى كان بجدة فى العام الماضى ، المعروف بعزت هو والى مصر . فعملوا الديوان ، وقرئت المرسومات ، فقال الأمراء :

« لانرضى بذهابك من بلدنا ، وأنت أحسن لنا من الغريب الذى لانعرفه » . فقال :

« وكيف يكون العمل ، ولا يمكن المخالفة » ، فقالوا :

« نكتب عرضحال الى الدولة ، ونرجو تمام ذلك » . فقال :

« لايتم ذلك ، فان المتولى ، كأنكم به وصل الى الاسكندرية » . وعزم على النزول صبح تاريخه .

ثم انهم اتفقوا على كتابة عرضحال بسبب تركة اسماعيل بيك ، خوفا من حضور معين بسبب ذلك ، وعين للسفرية الشيخ محمد الأمير .

١٥ منه (١٨ مايو ١٧٩١ م) :

نزل الباشا من القلعة الى بولاق ، وقصد السفر على الفور ، وطلب المراكب ، وأنزل بها متاعه وبرقه . فلما رأوا منه العجلة ، وعدم التأنى ، وقصدهم تأخيره الى حضور الباشا الجديد ، ويحاسب على مادخل فى جهته ، فاجتمعوا عليه صحبة الاختيارية ، وكلموه فى التأنى ، فعارضهم ، وعاندهم وصمم على السفر من الغد . فأغلظوا عليه فى القول ، وقالوا له :

« هذا غير مناسب ، يقال ان الباشا أخذ مال مصر وهرب » ، فقال :

« وأى شيء أخذته منكم . » . قالوا له :

« لابد من عمل حساب ، فان الحساب لا كلام فيه ، ولا بد من التأنى ، حتى نعمل الحساب » ، فقال :

« أنا أبقى عندكم الكتخدا ، فحاسبوه نيابة عنى . والذى يطلع لكم فى طرفى خذوه منه » . فلم يرضوا بذلك . فقال :

« أنا لابد من سفرى ، اما اليوم ، أو غدا » ، فقاموا من عنده على غير رضا ، وأرسلوا الوالى ، والأغا يناديان على ساحل البحر ، على المراكب ، بأن كل من سافر بشيء من متاع الباشا أو بأحد من أتباعه ، يستاهل الذى يجرى عليه ، وطردوا النواتية من المراكب ، ولم يتركوا فى كل مركب الا شخصا واحد نوتيا فقط ، وتركوا عند بيت الباشا جماعة حراس .

وفيه : حضر خازندار الباشا الجديد وأخبر بوصول مخدومه الى ثغر الاسكندرية ، ومعه خلعة القائمقامية لعثمان بيك طبل ، ومكاتبة الى الأمراء بعدم سفر الملاقاة ، وأرباب الخدم على العادة ، وأخبر أنه واصل الى رشيد فى البحر بالنقاير ، فنزل لملاقاته أغات المتفرقة فقط .

وفيه : رفعوا مصطفى كاشف من طرا ، وعملوه كتخدا عثمان بيك ، شيخ البلد .

وفيه : أشيع بأن عبد الرحمن بيك الابراهيمى حضر من طريق الشام ، ومر من خلف الجبل ، وذهب الى سيده بالصعيد .

شـوال

الجمعة غرته (٣ يونية ١٧٩١ م) :

حضر الباشا الجديد الى ساحل بولاق ، فعملوا له سقالة ، وركب الأمراء ، وعدوا الى بر انبابة ، وسلموا عليه ، وعدى صحبتهم ، وركب الى قصر العينى .

الاثنين ٤ منه (٦ يونية ١٧٩١ م) :

فيه : أوكب (الباشا الجديد) — فى موكب أقل من العادة بكثير — الى القلعة من ناحية الصليبة ، وضربوا له مدافع من القلعة .

وفيه : سافر الشيخ محمد الأمير بالعرضحال ، وكانوا أخروا سفره الى أن وصل الباشا الجديد ، وغيروه بعد أن عرضوا عليه الأمر ، ثم انهم عملوا حساب الباشا المعزول ، فطلع عليه للباشا المتولى مائتا كيس ، من ابتداء منصبه وهو ١٧ رجب ، وللأمراء مبلغ أيضا ، فسدد ذلك : بعضه أوراق وبعضه نقد ، وبعضه أمتعة ، وأذنوا له بالسفر ، فشرع فى نزول متاعه بالمراكب بطول يومى الخميس والجمعة ، وأراد أن يسافر يوم السبت . ففى تلك الليلة ، وصل بشلى من الروم ، وبيده مرسوم ، فعمل الباشا فى صبحها ديوانا حضر فيه المشايخ ، والأمراء ، وأبرز الباشا المرسوم ، فكان مضمونه محاسبة الباشا المعزول من ابتداء شهر توت واستخلاص ما تأداه من ابتداء المدة .

١٦ منه (١٨ يونية ١٧٩١ م) :

فيه : أرسلوا ثانيا وحجروا على الباشا المعزول ونكتوا عزاله من المراكب وحبسوا النواتية ونادوا عليه ثانى مرة .

وفيه : تواردت الأخبار بأن الأمراء القبالى تحركوا الى الحضور الى مصر ، فانه لما حصل ماحصل ، من موت اسماعيل بيك والأمراء ، حضر مراد بيك من أسيوط الى المنيا ، وانتشر باقى الأمراء فى المقدمة ، وعدى بعضهم الى الشرق ، ووصلت أوائلهم الى كفر العياط . وأما ابراهيم بيك فانه لم يزل مقيما بمنفلوط ، ومنتظرا ا، تحال الحجاج ، ثم يسير الى جهة مصر ، فأرسلوا على بيك الجديد الى طرا عوضا عن مصطفى كاشف ، وأرسلوا صالح بيك الى الجيزة ، وأخذوا فى الاهتمام .

وفيه : حفر خندق من البحر الى المتاريس ، وفردوا فلاحين على البلاد للحفر ، مع اشتغالهم بأمور الحج ، ودعواهم نقص مال الصرة ، وتعطيل الجامكية المضافة لدفتر الحرمين ، وتوجيه المعينين من القليونجية على الملتزمين .

الأحد ٢٤ منه (٢٦ يونية ١٧٩١ م) :

حضر السيد عمر أفندى مكرم الأسيوطى بمكاتبة من الأمراء القبليين خطابا الى شيخ البلد والمشايخ وللباشا سرا .

وفيه : سافر اسماعيل باشا المنفصل من بولاق بعد أن أدى ما عليه .

الاثنين ٢٥ منه (٢٧ يونية ١٧٩١ م) :

خرج المحمل صحبة أمير الحج حسن بيك قصبة رضوان .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢٨ يونية ١٧٩١ م) :

اجتمعوا بالديوان عند الباشا ، وقرئت المكاتبات الواصلة من الأمراء القبليين ، فكان حاصلها :

« اننا فى السابق طلبنا الصلح مع اخواننا ، والصفح عن الأمور السالفة ، فأبى المرحوم اسماعيل بيك ، ولم يطمئن لطرفنا ، وكل شىء نصيب ، والأمور مرهونة بأوقاتها . والآن اشتقنا الى عيالنا ، وأوطاننا ، وقد طالت علينا الغربة ، وعزمنا على الحضور الى مصر على وجه الصلح ، وبيدنا أيضا مرسوم من مولانا السلطان ، وصل الينا صحبة عبد الرحمن بيك بالعفو والرضا ، والماضى لايعاد ، ونحن أولاد اليوم ، وأن أسيادنا المشايخ يضمنون غائلتنا » !

فلما قرئت تلك المكاتبة ، التفت الباشا الى المشايخ ، وقال :

« ماتقولون ؟ » . فقال الشيخ العروسى :

« ان كان التفاقم بينهم وبين أمرائنا المصرية الموجودين الآن ، فاننا نترجى عندهم . وان كان ذلك بينهم وبين السلطان ، فالأمر لنائب مولانا السلطان » .

ثم اتفق الرأى على كتابة جواب حاصله :

« ان الذى يطلب الصلح ، يقدم الرسالة بذلك قبل قدومه ، وهو بمكانه . وذكرتم أنكم تائبون ، وقد تقدم منكم هذا القول مرارا ، ولم نر له أثرا ، فان شرط التوبة رد المظالم ، وأنتم لم تفعلوا ذلك ، ولم ترسلوا ماعليكم من الميرى فى هذه المدة . فان كان الأمر كذلك ، فترجعوا الى أماكنكم ، وترسلوا المال والغلال ، ونرسل عرضحال الى الدولة بالاذن لكم ، فان الأمراء الذين بمصر لم يدخلوها بسيفهم ، ولا بقوتهم ، وانما السلطان هو الذى أخرجكم ، وأدخلهم . واذا حصل الرضا فلا مانع لكم من ذلك ، فاننا الجميع تحت الأمر » .

وعلم على ذلك الجواب الباشا ، والمشايخ ، وسلموه الى السيد عمر ، وسافر به فى يوم الثلاثاء المذكور .

ثم اشتغلوا بمهمات الحج ، وادعوا نقص مال الصرة ستين كيسا ، ففردوها على التجار ودكاكين الغورية ، وارتحل الحج من الحصوة ، وصحبته الركب الفاسى .

وذلك فى يوم السبت غايته . وبات بالبركة . وارتحل فى غرة ذى القعدة .

ذو القعدة

غرته (٢ يولية ١٧٩١ م) :

عملوا الديوان بالقلعة ، ورسموا بنفى من كان مقيما بمصر من جماعة القبليين ، فنفوا : أيوب بيك الكبير ، وحسن كتخدا الجربان الى طندتا ، وكتبوا فرمانا بخروج الغريب ، وفرمانا آخر بالأمن والأمان ، وأخذهما الوالى والآغا ، ونادوا بذلك فى صبحها فى شوارع البلد ، ونبهوا على تعمير الدروب ، وقفل أبواب الأطراف ، وأجلسوا عند كل مركز حراسا .

٥ منه (٦ يولية ١٧٩١ م) :

نزل الأغا ، وأمامه المناداة بفرمان على الأجناد والطوائف والمماليك بالخروج الى الخلاء .

وفيه : وصل قاصد من الديار الرومية ، وهو آغا معين بطلب تركة اسماعيل بيك ، وباقى الأمراء الهالكين بالطاعون ، فأنزلوه ببيت الزعفرانى .

وكرروا المناداة بالخروج الى ناحية طرا ، وكل من تأخر بعد الظهر يستحق العقوبة .

وفى تلك الليلة — وقت المغرب — طلع الأمراء الى الباشا ، وأشاروا عليه بالنزول والتوجه الى ناحية طرا ، فنزل فى صبحها وخرج الى ناحية طرا كما أشاروا عليه .

وكذلك خرج الأمـراء ، وطاف الأغا والوالى بالشوارع وهما يناديان على الألضاشات المتسبين الى الوجاقات بالصعود الى القلعة ، والباقى بالخروج الى متاريس الجيزة .

وطلع الأوده باشـا والاختيارية ، وجلسوا فى الأبواب .

٧ منه (٨ يولية ١٧٩١ م) :

أشيع أن الأمراء القبليين يريدون التخريم من وراء الجبل الى جهة العادلية ، فخرج أحمد بيك ، وصالح بيك تابع رضوان بيك الى جهة العادلية ، وأقاموا هناك للمحافظة بتلك الجهة ، وأرسـلوا أيضا الى عرب العائد فحضروا أيضا هناك .

وفيه : وصل القبليون الى حلوان ، ونصـبوا وطاقهم هناك ، وأخذ المصريون حذرهم من خلف متاريس طرا .

٩ منه (١٠ يولية ١٧٩١ م) :

توجه المشـايخ الى ناحية طرا ، وسلموا على الباشا ، والأمراء ، ورجعوا ، وذلك باشارة الأمراء ليشاع عند الأخصام أن الرعية والمشايخ معهم ا.

وبقى الأمر على ذلك الى يوم الثلاثاء التالى .

١٧ منه (١٨ يولية ١٧٩١ م) :

نزل الأغا والوالى ، وأمامهم المناداة على الرعية ، والعامة الكافة بالخروج فى صبح الخميس صحبة المشايخ ولا يتأخر أحد . وحضر الشيخ العروسى الى بيت الشيخ البكرى ، وعملوا هناك جمعية ، وخرج الأغا من هناك ينـادى فى الناس ، ووقـع الهرج والمرج !

١٨ منه (١٩ يولية ١٧٩١ م) :

أصبح الصباح ، فلم يخرج أحد من النـاس ، وأشـيع أن الأمراء القبليين ، نزلوا أثقـالهم فى المراكب ، وتمنعوا الى قبلى ، ويقولون ان قصدهم الرجوع . وبقى الأمر على السكوت بطول النهار ، والناس فى بهتـة ، والأمراء متخيلون من بعضهم البعض ، وكل من على بيـك الدفتردار ، وحسن بيك الجـداوى يسىء الظن بالآخـر . ولم يخطر بالبال مخامرة عثمان بيك طبل ، ولا الباشا ، فان عثمان بيك تابع اسماعيل بيك الخصم الكبير ، وقد تعين عوضه فى امارة مصر ، ومشيختها ... والباشا لم يكن من الفريقين .

فلما كان الليل تحول الباشا والأمراء ، وخرجوا الى ناحية العادلية ، وأخرجوا شركفلك صحبتهم ، وجملة مدافع ، وعملوا متاريس ، فمـا فرغوا من عمل ذلك الا ضحوة النهار من يوم الجمعة ، وهم واقفون على الخيول ، فلم يشـعروا الا والأمراء القبالى ، نازلون من الجبل بخيولهم ، ورجالهم ، لكنهم فى غاية من الجهد والمشـقة . فلما نزلوا وجدوا الجماعة ، والمتاريس أمامهم ، فتشـاور المصريون مع بعضهم فى الهجوم عليهم ، فلم يوافق عثمـان بيك على ذلك ، وثبطهم عن الاقـدام ، ورجعـوا جميـع الحملة الى مصر ، ووقفوا على جرائد الخيل ، فتمنع القبليون وتبـاعدوا عنهم ، ونزلوا عند سبيل علام يأخذون لهم راحـة حتى يتكاملوا .

فلما تكاملوا ، ونصبوا خيامهم ، واسـتراحوا الى العصر ، ركب مصطفى كاشف — صهر حسن كتخدا على بيك ، وهو من مماليك محمـد بيك الألفى — وصحبته نحو خمسة مماليك ، وذهب الى سيده ، ثم ركب محمـد بيك المبدول أيضـا بأتباعه وذهب الى ابراهيم بيـك ، ثم ركب قاسم بيك بأتباعه وذهب الى مراد بيك ، لأنه فى الأصل

من اتباعه ، ثم ركب مصطفى كاشف الغزاوى — وهو اخو عثمان بيك طبل شيخ البلد — وذهب أيضا اليهم ، واستوثق لأخيه . فكتب له ابراهيم بيك بالحضور ، فلم يتمكن من الحضور الا بعد العشاء الأخيرة ، حتى انفرد عن حسن بيك ، وعلى بيك

فلما فعل ذلك وفارقهما سقط فى أيديهما ، وغشى على على بيك ، ثم أفاق . وركب مع حسن بيك وصناجقه وهم : عثمان بيك ، وشاهين بيك ، وسليم بيك المعروف بالدمرجى الذى تأمر عوضا عن على بيك الحبشى ، ومحمد بيك كشكش ، وصالح بيك الذى تأمر عوضا عن رضوان بيك العلوى ، وعلى بيك الذى تأمر عوضا عن سليم بيك الاسماعيلى — وذهب الجميع من خلف القلعة على طريق طرا ، وذهبوا الى قبلى ، حيث كانت أخصامهم — فسبحان مقلب الأحوال !!

ولما حضر عثمان بيك ، وقابل ابراهيم بيك ، أرسله مع ولده مرزوق بيك الى مراد بيك ، فقابله أيضا ، ثم حضرت اليهم الوجاقلية والاختيارية ، وقابلوهم ، وسلموا عليهم .

٢١ منه (٢٢ يولية ١٧٩١ م) :

شرع أتباعهم فى دخول مصر بطول الليل .

ولما طلع النهار ، دخلت أتباعهم بالحملات ، والجمال شىء كثيرا جدا ، ثم دخل ابراهيم بيك ، وشق المدينة ، ومعه صناجقه ومماليكه — وأكثرهم لابسون الدروع — ثم دخل بعده سليمان بيك ، والأغا ، وأخوه ابراهيم بيك الوالى ، ثم عثمان بيك الشرقاوى ، وأحمد بيك الكلارجى ، وأيوب بيك الدفتردار ، ومصطفى بيك الكبير ، وعلى أغا ، وسليم أغا ، وقائد أغا ، وعثمان بيك الأشقر الابراهيمى ، وعبد الرحمن بيك الذى كان باسلامبول ، وقاسم بيك الموسقو ، وكشافهم ، وأغواتهم .

وأما مراد بيك فانه دخل من على طريق الصحراء ، ونزل على الرميله ، وصحبته عثمان بيك الاسماعيلى شيخ البلد ، وأمراؤه ، وهم : محمد بيك الألفى ، وعثمان بيك الطنبرجى — الذى كان باسلامبول أيضا — وكشافهم ، وأغواتهم .

واستمر انجرارهم الى بعد الظهر خلاف من كان متأخرا ، أو منقطعا ، فلم يتم دخولهم الا فى ثانى يوم .

وأما مصطفى أغا الوكيل ، فانه التجأ الى الباشا ، وكذلك مصطفى كاشف طرا ... فأخذهما الباشا صحبته ، وطلعا الى القلعة ، ودخل الأمراء الى بيوتهم ، وباتوا بها ، ونسوا الذى جرى .

وأكثر البيوت كان بها الأمراء الهالكون بالطاعون ، وبقى بها نساؤهم ، ومات غالب نساء الغائبين ، فلما رجعوا وجدوها عامرة بالحريم ، والجوارى ، والخدم ، فتزوجوهن ، وجددوا فراشهم ، وعملوا أعراسهم . ومن لم يكن له بيت ، دخل ما أحب من البيوت ، وأخذه بما فيه من غير مانع ، وجلس فى مجالس الرجال ، وانتظر تمام العدة ان كان بقى منها شىء ... وأورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم وأزواجهم !

وفيه : ركب سليم أغا ونادى على طائفة القلونجية والأرنؤود والشوام بالسفر ، ولا يتأخر منهم أحد وكل من يوجد بعد ثلاثة أيام استحق ما ينزل به

ثم ان المماليك صاروا كل من صادفوه منهم ، أو رأوه أهانوه ، وأخذوا سلاحه .. فاجتمع منهم طائفة وذهبوا الى الباشا فأرسل معهم شخصا من الدلاة أنزلهم الى بولاق فى المراكب . وصار أولاد البلد والصغار يسخرون بهم ، ويصفرون عليهم بطول الطريق .

وسكن مراد بيك ببيت اسماعيل بيك ــ وكأنه كان يبنيه من أجله !

٢٢ منه (٢٣ يولية ١٧٩١ م) :

طاف الأغاوهوينادىعلى القليونجية والأرنؤود .

٢٦ منه (٢٧ يولية ١٧٩١ م) :

صعد الأمراء الى القلعة ، وقابلوا الباشا — وكانوا لم يروه ولم يرهم قبل ذلكاليوم — فخلع عليهم الحلع ، ونزلوا من عنده ، وشرعوا فى تجهيز تجريدة الى الهاربين ، لأنهم حجزوا ماوجدوه من مراكبهم ، وأمتعتهم ، وكتب الباشا عرضحال فى ليلة دخولهم ، وأرسله صحبة واحد ططرى الى الدولة بحقيقة الحال ، وعينوا للتجريدة ابراهيم بيك الوالى ، وعثمان بيك المرادى متقلدا امارة الصعيد ، وعثمان بيك الأشقر . وأحضر مراد بيك حسن كتخدا على بيك بأمان ؛ وقابله ؛ وقيده بتشهيل التجريدة ، وعمل البقسماط ، ومصروف البيت من اللحم والخبز والسمن وغيرذلك، ووجه عليه المطالبحتى صرف ما جمعه وخواه ، وباعمتاعه وأملاكه ورهنها ، واستدان . ولم يزل حتى مات بقهره ، وقلدوا على أغا مستحفظان سابقا ، وجعلوه كتخدا الجاويشية .

ذوالحجــة

٢١منه(٢١ اغسطس١٧٩١م : ١٧ مسرى ١٥٠٧ ق) :

أوفىالنيلأذرعه،ونزلالباشا الى قصرالسد،وحضر القاضى والأمراء ، وكسر السد بحضرتهم ، وعملوا الشنك المعتاد ،وجرى المـاء فى الخليج ، ثم توقفت الزيادة ، ولم يزد بعد الوفاء الا شـيئا قليلا ، ثم نقص واستمر يزيد قليلا ، وينقص الى الصليب ، فضجت الناس ، وتشحطت الغلال ، وزاد سعرها ، وانكبوا على الشراء ، ولاحت لوائح الغلاء .

وفيه : شرع الأمراء فى التعدى على أخذ البلاد من أربابها من الوجاقلية وغيرهم ، وأخـذوا بلاد أمير الحج .

وفيه : صالح الباشا الأمراء على مصطفى أغا الوكيل ، وأخلوا له داره ، وقد كان سكن بهـا عثمان بيك الأشقر ، فأخـلاها له ابراهيم بيك ، ونزل من القلعـة اليهـا ، ولازم ابراهيم بيـك ملازمة كلية

وكذلك مصطفى كاشف الذى كان بطرا لازم مراد بيك واختص به ، وصار جليسه ونديمه .

* * *

ومات فى هذه السنة شـيخنا ، علم الأعلام ، والساحر اللاعب بالأفهام ، الذى جاب فى اللغـة والحـديث كل فج ، وخاض من العلم كل لج .. الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد ابن عبـد الرازق ؛ الشهير بمرتضى الحسـينى الزبيدى الحنفى .

ولد سنة ١١٤٥ (١٧٣٢ م) ، ونشأ ببـلاده ، وارتحل فى طلب العلم ، وحج مرارا . واجتمع بكثير من الشيوخ والعلماء .. وقرأ على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ، ولازمه ملازمة كلية ، وألبسه الحرقة ، وأجازه بمروياته ومسموعاته .

قال : وهو الذى شوقنى الى دخول مصر : بما وصفه لى من علمائها وأمرائها وأدبائها وما فيهـا من المشـاهد الكرام .. فاشتاقت نفسى لرؤياها ، وحضرت مع الركب ، وكان الذى كان ..

ورد الى مصر فى تاسع صفر سنة ١١٦٧ (١٧٥٣م) وسـكن بخان الصـاغة ، وحضر على كثير من مشايخها ، وتلقى عنهم ، وأجازوه ، وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه .

واعتنى بشأنه اسماعيل كتخدا عزبان ، ووالاه ببره حتى راج أمره ، وترونق حاله ، واشتهر ذكره عند الخاص والعام ، ولبس الملابس الفـاخرة ،

وركب الخيول المسومة . وسافر الى الصعيد ثلاث مرات ، واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه .

وكذلك ارتحل الى الجهات البحرية — مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقي البنادر العظيمة — مرارا ، حين كانت مزينة بأهلها ، عامرة بأكابرها .

وأكرمه الجميع . واجتمع بأكابر النواحي وأرباب العلم والسلوك ، وتلقى عنهم ، وأجازوه وأجازهم . وصنف عدة رحلات في انتقالاته في البلاد القبلية والبحرية تحتوى على لطائف ومحاورات ومدائح — نظما ونثرا — لو جمعت لكانت مجلدا ضخما .

وشرع في شرح القاموس [1] حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلدا ، وسماه « تاج العروس » .

ولما أكمله أولم وليمة حافلة ، جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت ، بغيط المعدية ، وذلك في سنة ١١٨١ (١٧٦٧ م) ، وأطلعهم عليه ، واغتبطوا به ، وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريظهم نثرا ونظما .

وكتب للمرحوم الوالد — يسأله الاجازة والتقريظ — بقوله :

أمولاى ، بحر العلم ، يامن سناؤه
بفوق ضياء الشمس فى الشرق والغرب
ويا وراث النعمان فقهـا وحكمـة
وزهدا له قد شاع في البعد والقرب
عبيدكم الظمآن قد جاء يرتجى
« ملاحظة » منها يفوز قضا الأرب
ويسأل في هذا الكتاب اجازة
بتقريظه ، حتى يفوق على الكتب
حباكم اله العرش منه كرامة
وعيشا هنيئا في أمان بلا كرب

(١) هو معجم « القاموس المحيط » للفيروزآبادى . وهو من اهم مراجع اللغة العربية . و « تاج العروس في شرح القاموس » للزبيدى ... له اكبر نصيب من اسمه .

ولما أنشأ محمد بيك أبو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر ، وعمل فيه خزانة للكتب ، واشترى جملة من الكتب ووضعها بها .. أنهوا اليه « شرح القاموس » هذا ، وعرفوه أنه اذا وضع بالخزانة كمل نظامها ، وانفردت بذلك دون غيرها .

ورغبوه في ذلك فطلبه . وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ، ووضعه فيها .

وقد رغب الناس في معاشرته لكونه غريبا ، وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ، ويعرف باللغة التركية والفارسية — بل وبعض لسان الكرج — فانجذبت قلوبهم اليه ، وتناقلوا خبره وحديثه ..

.. ودعاه كثير من الأعيان الى بيوتهم ، وعملوا من أجله ولائم فاخرة . فيذهب اليهم — مع خواص الطلبة والمقرىء والمستملى وكاتب الأسماء — فيقرأ لهم شيئا من الأجزاء الحديثية .. بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده — وبناته ونساؤه من خلف الستائر — وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، على النسق المعتاد .

ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين — حتى النساء والصبيان والبنات — واليوم والتاريخ ، ويكتب الشيخ تحت ذلك : « صحيح ذلك » .

وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق .

يقول الحقير (يعنى الجبرتى نفسه) : انى كنت مشاهدا وحاضرا في غالب هذه المجالس والدروس ، ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة ، وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق ، وأماكن أخر كنا نذهب اليها للنزاهة — مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك — فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها ، وهو كثير ، بثبوت

المسموعات على النسخ ، وفى أوراق كثيرة موجودة الى الآن .

ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده ، وأصعده اليه ، وخلع عليه فروة سمور ، ورتب له تعيينا من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز ، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة ، وغلالا من الأنبار .

وأنهى الى الدولة شأنه ، فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة ، وقدره مائة وخمسون نصفا فضة فى كل يوم .. فعظم أمره ، وانتشر صيته .. وطار ذكره فى الآفاق ، وكاتبه ملوك النواحى من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة .

وكثرت عليه الوفود من كل ناحية ، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة !

وأرسلوا اليه من أغنام فزان — وهى عجيبة الخلقة ، عظيمة الجثة ، يشبه رأسها رأس العجل — وأرسلها الى أولاد السلطان عبد الحميد ، فوقع لهم موقعا !

وكذلك أرسلوا له من طيور الببغاء والجوارى والعبيد والطواشية .. فكان يرسل من طرائف الناحية ، الى الناحية المستغرب ذلك عندها .. ويأتيه فى مقابلها أضعافها !

وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة ، وماء الكادى والمربيات والعود والعنبر والعطرشاه بالأرطال !

وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ، ومنزلة كبيرة ، واعتقاد زائد .. وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى .. حتى ان أحدهم اذا ورد الى مصر حاجا ولم يزره ولم يصله بشىء .. لا يكون حجه كاملا !

فاذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده ، وحفظ ذلك أو كتبه . ويستخبر من هذا عن ذاك — بلطف ورقة — فاذا وردعليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده فيقول له فلان من بلدة كذا .. فلا يخلو اما أن يكون عرفه من غيره سابقا ، أو عرف جاره أو قريبه ، فيقول له : « فلان طيب ؟ » . فيقول : « نعم سيدى » . ثم يسأله عن أخيه فلان ، وولده فلان ، وزوجته ، وابنته ، ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها .. فيقوم ذلك المغربى ويقعد ، ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ، ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح !

فتراهم ، فى أيام طلوع الحج ونزوله ، مزدحمين على بابه من الصباح الى الغروب . وكل من دخل منهم قدم بين يدى نجواه شيئا : اما موزونات فضة أو تمرا أو شمعا .. على قدر فقره وغناه !

وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ، ويلتمسون منه الأجوبة : فمن ظفر منهم بقطعة ورقة — ولو بمقدار الأنملة — فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة ، ويرى أنه قد قبل حجه .. والا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته الى يوم ميعاده ! .. وقس على ذلك مما لم يقل ..

ولما حضر حسن باشا الى مصر ، لم يذهب اليه .. بل حضر هو لزيارته ، وخلع عليه فروة تليق بمقامه . وقدم له حصانا مرختا بسرج وعباءة ، قيمته الف دينار ، أعده وهيأه قبل ذلك .

وكانت شفاعته عنده لا ترد . وان أرسل اليه ارسالية فى شىء تلقاها بالقبول والاجلال ، وقبل الورقة — قبل أن يقرأها — ووضعها على رأسه ، ونفذ ما فيها فى الحال !

ونظمه كثير ، ونثره بحر غزير ، وفضله شهير ، وذكره مستطير .

وكنت كثيرا ما أجتلى وجه وداده ، وأوقد نار الفكرة بقدح وارى زناده ، وأستظل بدوحه المريع، وأستمد من بحره السريع ، وأسامره بما يذكرنا عهود الرقمتين ، وأتنزه من صفات فضله وذاته فى الربيعين ..

وكانت بالعراق لنا ليال سرقناهن من ريب الزمان

جعلناهن تاريخ الليالى وعنوان المسرة والأمانى

وبالجملة فانه كان فى جمع المعارف صدرا لكل ناد ، حتى قوض الدهر منه رفيع العماد ، وآذنت شمسه بالزوال ، وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال ...

وزهرة الدنيا وان أينعت فانها تسقى بماء الزوال

وكانت صفته : ربعة نحيف البدن ، ذهبى اللون متناسب الأعضاء ، معتدل اللحية قد وخطه الشيب فى أكثرها ، مترفها فى ملبسه ، ويعتم — مثل أهل مكة — عمامة منحرفة بشاش أبيض ، ولها عذبة مرخية على قفاه ، ولها حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر ، وطرفها الآخر داخل فى العمامة وبعض أطرافه ظاهر .

وكان لطيف الذات ، حسن الصفات ، بشوشا بسوما ، وقورا محتشما ، مستحضرا للنوادر والمناسبات ، ذكيا لوذعيا ، فطنا ألمعيا ، روض فضله نضير ، وما له فى سعة الحفظ نظير .

جعل الله مثواه قصور الجنان ، وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران .

* * *

ومات فى هذه السنة الأمير المبجل ، والنبيه المفضل ، على بن عبد الله ، الرومى الأصل ، مولى الأمير أحمد كتخدا صالح . اشتراه سيده صغيرا ، فتربى فى الحريم . .

وأقرأه القرآن وبعض متون الفقه ، وتعلم الفروسية ورمى السهام ؛ وترقى حتى عمل خازندارا عنده .

وكان بيته موردا للأفاضل .. فكان يكرمهم ويحترمهم ويتعلم منهم العلم ، ثم أعتقه وأنزله حاكما فى بعض ضياعه ، ثم رقاه الى أن عمله رئيسا فى باب المتفرقة ، وتوجه أميرا على طائفته صحبة الخزانة الى الأبواب السلطانية .. مع شهامة وصرامة ، ثم عاد الى مصر .

وكان ممن يعتقد فى شيخنا السيد على المقدسى ، ويجتمع به كثيرا ، وكان له حافظة جيدة فى استخراج الفروع . وأتقن فن رمى النشاب الى أن صار أستاذا فيه .

وانفرد فى وقته فى صنعة القسى والسهام والدهانات .. فلم يلحقه أهل عصره .

وأضر بعينيه ، وعالجهما كثيرا فلم يفده .. فصبر واحتسب . ومع ذلك فيرد عليه أهل فنه ويسألونه فيه ، ويعتمدون على قوله .

ولقد أتاه — وهو فى هذه الضرارة — رجل من أهل الروم اسمه حسن ، فأنزله فى بيته وعلمه هذه الصنعة حتى فاق ، فى زمن قليل ، أقرانه ، وسلم له أهل عصره .. وحينئذ طلب منه أن يأذن له فيها ..

واجتمع أهل الصنعة فى منزله لحضور هذا المجلس ، فأرسل الى شيخنا السيد محمد مرتضى وطلب منه شيئا يناسب المجلس ، فكتب — عن لسانه :

« الحمد لله الذى علم الانسان مالم يعلم ، وهدى بفيض فضله الى الطريق الأقوم .

« والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد

النبي الأكرم ، الناصر لدين الحق بالسيف والسنان المقوم ، وعلى آله وصحبه ما رمى مجاهد في سبيل الله سهما والى الجنة تقدم .

« أما بعد .. فيقول الفقير الى الله تعالى علي ابن عبد الله — مولى المرحوم أحمد كتخدا صالح — غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، ورحم من مضى من سلفه ، وجعل البركة في عقبه وخلفه :

« اعلموا — اخواني في الله ورسوله — أن كل صنعة لها شيخ وأستاذ . وقد قالوا : « صنعة بلا أستاذ ، يدركها النفاد » . وأن صنعة القوس والنشاب ، بين الأقران والأصحاب ، على ممر الأحقاب .. شريفة ، وطريقة بين السلف والخلف مقبولة منيفة ، اذ بها تسير باب الجهاد ، وتفتح قلاع أهل الكفر والعناد ..

« وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الكتاب ، باعداد القوة ، وفسر ذلك برمي النشاب (١) .. حيث قال جل ذكره : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

(ثم دليل السيد مرتضى في صيغة هذه الاجازة وسبب ، الى أن تقول :)

« فلما رأيت هذا الاتقان في صنعته ، والاذعان بحسن معرفته ، والأحكام — مع التفقه في سائر الأوقات — لأصول صناعته ، صدرت مني هذه الاجازة الخاصة له بشهادة الاخوان في هذه الصنعة الشريفة البيان ، كما أجازني به الشيخ الصالح الكامل الماهر البارع المرحوم عبد الله أفندى ابن محمد البسنوي ، بحق أخذه لذلك عن شيخه المرحوم الحاج علي الألباني ، عن شيخه محمد الاسطنبولي ، باسناده المتصل الى عبد الرحمن الفزاري ، والامام صاحب الاختيار مؤلف « الايضاح » المعروف بالطبري ، بحق أخذهما عن أئمة هذا الفن المشهورين : طاهر البلخي ، واسحق الرفاء ، وأبي هاشم الباوردي .. بأسانيدهم المتصلة عن شيخ الى شيخ الى أن ينتهي ذلك الى سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام .. وحسبك من علو سند ينتهي الى هذا الامام !

« وأوصيه — كما أوصي أخواني ونفسي — المخالطة بالأدب الجميل ، وتواضع النفس ، وحملها على مكارم الأخلاق ، وألا يرفع نفسه على أحد ، وألا يحقر أحدا من خلق الله ، وأن يجعل دأبه لزوم الصمت ، والقناعة بالقليل ، مع المداومة على ذكر الله .. بالسكينة والوقار ، وأن يسمى الله في أول مسكه في صنعته ، ويستمد من الله القوة والحول ، ولايضجر ، ولاييأس من روح الله ، ولايسب نفسه ولا قوسه ولا سهامه ، ولا يحدث نفسه بالعجز .. فانه يصل الى ما وصل اليه غيره ، فان الرجال بالهمم .. ففي الحديث : « المؤمن القوي أحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » . وأن يديم النظر الى معرفة العيوب العارضة للقسي والسهام ، وعقد الأوتار ، ويتشاهد لذلك ، وكيفية ازالة العيب ان حدث ، ويعرفه من أى حدث ، وألا يبيع

---

(١) حض الله تعالى في كتابه الحكيم على القتال في سبيله ، ودعا رسوله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد اعلاء لكلمة الحق .

ولكن الخطر ، كل الخطر ، هو أن يفسر « السيد محمد مرتضى » هذه الآية الكريمة بأن « اعداد القوة » يقتصر على الرمي بالنشاب ...

فاذا كان الرمي بالنشاب آخر ما انتهت اليه العقول من مظاهر القوة في رأيه ، فعلى العدوة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط كان قوم يكيدون للشرق كيدا ، ويدبرون له تدبيرا .

وأبناء الشرق يشقون بقادة فكر ؟ يقدمون بين أيديهم موزونات الفضة ، ويلتمسون منهم الأجوبة ... فمن ظفر منهم بقطعة ورقة — ولو بتافه الأسئلة — فكأنما ظفر بحسن الخاتمة ، وحفظها معه كالتميمة ! ؟ .

ثم لايتورع هؤلاء « الرسماء » أنفسهم من تفسير آيات الله في القتال وأحاديث رسوله في الجهاد ... بان ادائهما هي الرمي بالنشاب ، والقرن التاسع عشر — قرن البخار والكهرباء — على الأبواب ، ولم يبق على حملة نابليون على مصر الا بضعة أعوام !

سلاح الجهاد لكافر ، ويفتش دين من يشترى ان كان رجلا ، أو صبيا فيحتاج ذلك الى اذن والده .. فاذا علم اسلامه ووثق فيأخذ عليه العهد ألا يرمى به مسلما ، ولا معاهدا ولا كلبا ولا شيئا من ذوات الأرواح .. الا أن يكون صيدا أو ما يجب قتله .

« وألا يعلم صنعته الا لأهله الذى يثق بدينه . فقد روى أنه لايحل منع العلم عن مستحقه ، ويجب اعطاؤه بحقه .. سيما ان كان عارفا بقدر العلم ، راغبا فيه ، طالبا لوجه الله تعالى .. لا للمباهاة والمفاخرة .

« ويجب عليه أن يروض تلامذته ويؤلف بينهم، ويحرضهم على العمل ، ولا يعاتبهم الا فى خلوة .. وهو — مع ذلك — لازم الهيبة ، كثير السكوت ، متأن فى الأمور ، غير عجول للجواب .

« والتقوى أصل كل شىء ، وهى رأس مال الانسان .

« ونختم الكلام بالحمد والثناء للرب المالك المنان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه الأعيان »

وكان عند المترجم كتب نفيسة فى كل فن . رحمه الله .

* * *

ومات فى هذه السنة الأمير محمد أغا البارودى — وهو مملوك أحمد أغا ، مملوك ابراهيم كتخدا القازدغلى — رباه سيده وجعله خازنداره ، وعقد له على ابنته . فلما توفى سيده ، طلقها وتزوج بزوجة سيده — هانم بنت ابراهيم كتخدا من الست البارودية — وهى أم أولاده .

وتقيد بخدمة اسماعيل بيك ، وتداخل معه ، حتى نصبه فى كتخدائية ، وأحبه ، واحتوى على عقله ، فسلم له قياده فى جميع أشغاله ، وارتاح اليه ، وجعله أمين الشون والضربخانة وغيرهما ، فعظم شأنه ، وارتفع قدره ، وطار صيته بالأقاليم المصرية .

وصار الايراداليه ، والمصرف من يده ، فيصرف جماكى العسكر ولوازم الدولة وهداياها ، ومصاريف العمائر والتجاريد ، واحتياجات أمير الحج من اللوازم ، من الجمال والأرحال والقرب والخيش والعليق والذخيرة التى تسافر فى البحر والبر ، وعوائد العرب وكساويهم ، والهجن والبغال ، وأرباب الصيت وغير ذلك . واذا كان وقت خروج المحمل ، فلا يرى أمير الحج الا جميع احتياجاته ولوازمه حاضرةمهيأة على أتم ما يكون .

وزوج ابنة سيده لخازنداره على أغا ، وعمل لهما مهما عظيما عدة أيام . وحضر اسماعيل بيك والأمراء والأعيان ، وأرسلوا اليه الهدايا العظيمة ، وكذلك جميع التجار والنصارى والكتاب القبط ومشايخ البلدان .

وبعد تمام أيام العرس ولياليه بالسماعات والآلات والملاعيب والنقوط ، عملوا للعروس زفة بهيئة لم يسبق نظيرها ، ومشى جميع أرباب الحرف وأرباب الصنائع ، مع كل طائفة عربة ، وفيها هيئة صناعتهم ومن يشتغل فيها مثل : القهوجى بآلته وكانونه ، والحلوانى والفطاطرى والحباك والقزاز بنوله .. حتى مبيض النحاس والحيطان والمعاجينى ، وبياعين البز وأرباب الملاهى والنساء المغانى وغيرهم — كل طائفة فى عربة — وكان مجموعها نيفا وسبعين حرفة ، وذلك خلاف الملاعيب والبهالوين والرقاصين والجنك . ثم الموكب وبعده الأغوات والحريم ، والملازمون والسعاة والجاويشية . وبعدها عربة العروس من صناعة الافرنج ، بديعة الشكل ، وبعدها مماليك الخزنة والملبسون الزروخ ، وبعدهم النوبة التركية والنفيرات .

كانت زفة غريبة الوضع ، لم يتفق مثلها بعدها .

ومات فى غرة رمضان ، وبموته ارتفع الطاعون !

وقيل :

واذا كان منتهى العمر موتا
فسـواء طويله والقصير

* * *

ومات الصنو الوجيه ، والفريد النبيه ، محمد أفندى ابن سليمان أفندى ابن عبد الرحمن أفندى ابن مصطفى أفندى ككليويان (ويقال لها فى اللغة العامية جمليان) .

نشأ فى عفة وصلاح وخير وطلب العلم ، وعانى الجزئيات والرياضيات ، ولازم الشيخ المرحـوم الوالد (1) ، وقرأ عليـه كثـيرا من الحسـابيات والفلكيات ، والهيئة والتقويم ، ومهـر فى ذلك ، وانتظم فى عداد أرباب المعارف ، واشترى كتبـا كثيرة فى الفن ، واستكتب وكتب بخطه الحسن ، واقتنى الآلات والمسـتظرفات ، وحسـب وقوم الدسـاتير السنوية — عشرة أعوام مستقبلة — بأهلتها وتواريخها وتواقيعها .

ورسم كثيرا من الآلات الغريبة والمنحرفات ، وكان شغله وحسابه فى غاية الضـبط والصحة والحسن .

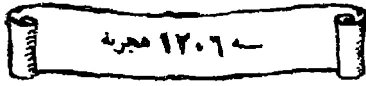
وكان لطيف الذات ، مهذب الأخلاق ، قليـل الادعاء ، جميل الصحبة وقورا .

مات أيضا بالطاعون فى شعبان ، وتبددت كتبه وآلاته .

* * *

ومات أيضا ، النبيه اللطيف ، والمفرد العفيف ، أحمد أفندى الوزان بالضربخانة . وكان انسـانا حسنا ، جميل الأوضاع ، مترهف الطباع ، محتشما وقورا ، ودودا محبوبا لجميع الناس .

(1) والد الشيخ عبد الرحمن الجبرتى .



المحـرم

الأربعاء مستهله (٣١ اغسطس ١٧٩١ م) :

عينوا صالح آغا ، كتخدا الجاويشية ، الى السفر الى الديار الرومية ، وصحبته هدية ، وشربات ، وأشياء وصالح أغا هـذا هو الـذى بعثوه قبل ذلك لاجراء الصلح على يد نعمان أفندى ، ومحمود بيك ، وكاد أن يتم ذلك ، وأفسد ذلك حسن باشا ، ونفى نعمان افندى بذلك السبب وذلك قبل موت حسن باشا بأربعة أيام فلما رجعوا الى مصر فى هذه المرة عينوه أيضا للارسالية السابقة ومعرفته بالأوضاع وكان صالح آغا هذا عندما حضروا الى مصر ، سكن ببيت البارودى ، وتزوج بزوجته .

٥ منه (٤ سبتمبر ١٧٩١ م) :

ركب الأمراء لوداع صالح أغا ، ونزل من مصر القديمة .

وفيه : هبط النيل ، ونزل مرة واحدة ، وذلك فى أيام الصليب ، ووقف جريان الخليج والترع وشرقت الأراضى ، فلم يرو منها الا القليل جدا ، فارتفعت الغلال من السواحل ، والرقع ، وضجت الناس ، وأيقنوا بالقحط ، ويئسوا من رحمة الله . وغلا سعر الغلة من ريالين الى ستة ، وضجت الفقراء وعيطوا على الحكام ، فصار الأغا يركب الى الرقع والسواحل ، ويضرب المتسببين فى الغلة ، ويسمرهم فى آذانهم ثم صار ابراهيم بيك يركب الى بولاق ، ويقف بالساحل ، وسعر الغلة بأربعة ريال الأردب ، ومنعهم من الزيادة على ذلك ، فلم ينجع .

وكذلك مراد بيـك كرر الركوب ، والتحريج على عدم الزيادة ، فيظهرون الامتثال وقت مرورهم ، فاذا التفتوا عنهم ، باعوا بمرادهم ، وذلك مع كثرة ورود الغلال ، ودخول المراكب ، وغالبها للأمراء ، وينقلونها الى المخازن والبيوت .

صفر

اوائله (اوائل اكتوبر ١٧٩١ م) :

وصل قاصد وعلى يده مرسوم بالعفو والرضا عن الأمراء ، فعملوا الديوان عند الباشا ، وقرأوا المرسوم ، وصورة ما بنى عليه ذلك : أنه لما حضر السيد عمر أفندى بمكاتبتهم السابقة الى الباشا ، ويترجون وساطته فى اجراء الصلح ، فأرسل مكاتبة فى خصوص ذلك من عنده ، وذكر فيها أن من بمصر من الأمراء لاطاقة لهم بهم، ولا يقدرون على منعهم ، ودفعهم ؛ أنهم واصـلون ، وداخلون على كل حال . فكان هذا المرسوم جوابا عن ذلك ، وقبول شفاعة الباشا ، والاذن لهم بالدخول بشرط التوبة والصلح بينهم ، وبين اخوانهم . فلما فرغوا من قراءة ذلك ضربوا شنكا ومدافع .

الثلاثاء ١٢ منه (١١ اكتوبر ١٧٩١ م) :

حضر الشيخ الأمير الى مصر من الديار الرومية، ومعه مرسومات خطابا للباشا ، والأمراء . فركب المشايخ ولاقوه من بولاق ، وتوجه الى بيته ، ولم يأت للسلام عليه أحد من الأمراء ، وأنعمت عليه الدولة بألف قرش ، ومرتب بالضربخانة قرش فى كل يوم ، وقرأ هناك البخارى عند الآثار الشريفة بقصد النصرة !!

ربيع الأول

(نوفمبر ١٧٩١ م)

فيه : عمل المولد النبوى بالأزبكية ، وحضر مراد بيك الى هناك ، واصطلح مع محمد أفندى البكرى ، وكان منحرفا عنه بسبب وديعتـه التى كان أودعها عنده ، وأخذها حسن باشا .

فلما حضر الى مصر ، وضع يده على قرية كان اشـتراها الأفندى من حسن جلبى بن على بيك الغزاوى ، وطلب من حسن جلبى ثمن القرية الذى قبضه من الشيخ ، ليستوفى بذلك بعض حقه . وطال النزاع بينهما بسبب ذلك ، ثم اصطلحا على قدر قبضه مراد بيك منهما . وحضر مراد بيك الى الشيخ فى المولد ، وعمل له وليمة ، واستمر عنده حصة من الليل ، وخلع على الشيخ فروة سمور .

وفيه : عملوا ديوانا عند الباشـا ، وكتبـوا عرضحال بتعطيل الميرى بسبب شراقى البلاد .

وفيه : سافر محمد بيك الألفى الى جهة شرقية بلبيس .

وفيه : حضر ابراهيم بيك الى مسجد أسـتاذه للكشف عليه ، وعلى الخزانة ، وعلى مافيها من الكتب ، ولازم الحضور اليه ثلاثة أيام ، وأخـذ مفتاح الخزانة من محمـد أفندى حافظ ، وسلمه لنديمه محمد الجراحى ، وأعاد لهـا بعض وقفها المرصد عليها بعد أن كانت آلت الى الخراب ، ولم يبق بها غير البواب أمام الباب .

ربيع الآخر

(ديسمبر ١٧٩١ م)

قرروا تفريدة على تجار الغـورية ، وطيلون ، وخان الخليلى ، وقبضوا على أنفار أنزلوهم الى التكية ببولاق ليلا فى المشاعل ، ثم ردوهم . ووزع كبار التجار ما تقرر عليهم على فقرائهم بقـوائم ، وتاكد بعضهم بعضا ، وهرب كثير منهم ، فسمروا دورهم وحوانيتهم ، وكذلك فعلوا بكثير من مساتير الناس ، والوجاقلية ، وضج الخلائق من ذلك .

جمـادى الأولى

مستهله (٢٧ ديسمبر ١٧٩١ م) :

كتبوا فرمانا بقبض مال الشراقى ، ونودى به فى النواحى . وانقضى شهر كيهك القبطى ، ولم ينزل من السماء قطرة ماء ، فحرثوا المزروع ببعض الأراضى التى طشها المـاء ، وتولدت فيها الدودة ،

وكثرت الفيران جدا ، حتى أكلت الثمار من أعلى الأشجار ، والذى سلم من الدودة من الزرع ، أكله الفار .. ولم يحصل فى هذه السنة ربيع للبهائم [1] الا فى النادر جدا ، ورضى الناس بالعليق [2] ، فلم يجدوا التبن ، وبلغ حمل الحمار من قصل التبن الأصفر الشبيه بالكناسة — الذى يساوى خمسة أنصاف قبل ذلك — مائة نصف . ثم انقطع مرور الفلاحين بالكلية بسبب خطف السواس ، وأتباع الأجناد ، فصار يباع عند العلافين من خلف الضبة ، كل حفان بنصفين ... الى غير ذلك !!

وفيه : حضر صالح أغا من الديار الرومية .

شوال

(مايو — يونية ١٧٩٢ م)

فيه : سافر صالح آغا بهدية ، ومكاتبات الى الدولة ورجالها .

ذو القعدة

(يونية — يوليه ١٧٩٢ م)

فيه : وردت الأخبار بعزل الصدر الأعظم يوسف باشا ، وتولية محمد باشا ملكا . وكان صالح أغا قد وصل الى الاسكندرية ، فغيروا المكاتبات وأرسلوها اليه .

وفيه : حضر أغا بتقرير لوالى مصر على السنة الجديدة ، وطلع الموكب الى القلعة وعملوا له شنكا .

ذو الحجة

فى اواخره (حوالى منتصف اغسطس ١٧٩٢ م) :

شرع ابراهيم بيك فى زواج ابنته عديلة هانم للأمير ابراهيم بيك المعروف بالوالى — أمير الحج سابقا — وعمر لها بيتا مخصوصا ، بجوار بيت الشيخ السادات ، وتغالوا فى عمل الجهاز ، والحلى ، والجواهر وغير ذلك من الأوانى ، والفضيات ، والذهبيات . وشرعوا فى عمل الفرح ببركة الفيل ، ونصبوا صوارى أمام البيوت الكبار ، وعلقوا فيها القناديل ، ونصبوا الملاعيب والملاهى ، وأرباب الملاعيب . وفردت التفاريد على البلاد ، وحضرت الهدايا والتقادم من الأمراء والأكابر ، والتجار . ودعا ابراهيم بيك الباشا ، فنزل من القلعة ، وحضر صحبته خلع وفراو ، ومصاغ للعروس من جوهر ، وقدم له ابراهيم بيك تسعة عشر من الخيل منها عشرة معددة ، وسبحة لؤلؤ ، وأقمشة هندية ، وشبقات دخان مجوهرة ، وعملوا الزفة فى رابع المحرم . وخرجت من بيت أبيها فى عربة غريبة الشكل صناعة الافرنج ، فى هيئة كمال من غير ملاعيب ولا خزعبلات ، والأمراء والكشاف وأعيان التجار مشاة أمامها .

وفيه : حضر عثمان بيك الشرقاوى ، وصحبته رهائن حسن بيك الجداوى — وشاهين بيك وآخرون — وسكن فى مكان صغير .

وفيه : وصلت الأخبار بأن على بيك انفصل من حسن بيك ومن معه ، وسافر على جهة القصير ، وذهب الى جدة .

* * *

ومات فى هذه السنة السيد السند الامام الفهامة المعتمد ، فريد عصره ، ووحيد شامه ومصره ، الوارد من زلال المعارف على معينها ، المؤيد بأحكام شريعة جده .. حتى أبان صبح يقينها ، السيد العلامة أبو المودة محمد خليل ابن السيد العارف ، الذى ينتهى نسبه الى السيد محمد مراد بن على الحسينى الحنفى الدمشقى .

لم نره ، لكن سمعنا خبره ، ووردت علينا منه

(١) اى زراعة البرسيم .

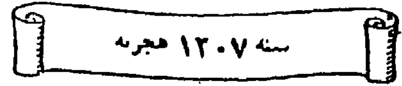
(٢) بعض الفول او الشعير او الذرة توضع للماشية على التبن .

مكاتبات ، ووشى طروسه المحبرات ، وتناقل الينا أوصافه الجميلة ، ومكارم أخلاقه الجليـلة . كان شامة الشام ، وغرة الليالى والأيام أورق عوده بالشام وأثمر ، ونشأ بها فى حجر والده والدهـر أبيض أزهر ، وقرأ القرآن ، وطالـع فى العـلوم والأدبيات واللغة التركية ، والانشاء والتوقيع .

وكان رحمه الله مغرما بصيد الشوارد ، وقيـد الأوابد ، واستعلام الأخبار ، وجمع الآثار ، وتراجم العصريين ، على طريق المؤرخين .

وراسل فضلاء البلدان البعيدة ، والتمس من كل جمع تراجم أهل بلاده ، وأخبار أعيان أهل القرن الثانى عشر . وكان هو السبب الأعظم الداعى لجمع هذا التاريخ على هذا النسق (١) .

وفى حلب الشهباء ، عصفت رياح المنية بروضه الخصيب ، وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب ، فاحتضر بأمر الملك المقتدر ، وذلك فى أواخر صفر من هذه السنة ، وهو مقتبل الشبيبة ، ولم يخلف بعده فى الفضائل والمكارم مثله رحمه الله .



المحرم

(اغسطس ــ سبتمبر ١٧٩٢ م)

استهل والأمر فى شـــدة من الغلاء ، وتتابع المظالم ، وخراب البلاد . وشتات أهلها ، وانتشارهم بالمدينة ، حتى مـلأوا الأسواق والأزقة ، رجالا ونساء وأطفالا ، يبكون ويصيحون ليـلا ونهارا من الجوع ، ويموت من الناس فى كل يوم جملة كثيرة من الجوع !!

وفيه أيضا : هبط النيل قبل الصليب بعشرة أيام ، وكان ناقصا عن ميعاد الرى نحو ذراعين ، فارتجت الأحوال ، وانقطعت الآمال . وكان الناس ينتظرون الفرج بزيادة النيل ، فلما نقص انقطع أملهم ، واشتد كربهم ، وارتفعت الغـلال من السواحل والعرصات ، وغلت أسعارها عما كانت .

وبلغ الأردب ثمانية عشر ريالا ، والشـعير بخمسة عشر ريالا ، والفـول بثلاثة عشر ريالا ، وكذلك باقى الحبوب ، وصارت الأوقية من الخبز بنصف فضة . ثم اشتد الحال حتى بيع ربع الويبة بريال . وآل الأمر الى أن صـار الناس يفتشون على الغلة ، فلا يجدونها . ولم يبق للناس شغل ، ولا حكاية ، ولا سمر بالليل والنهار فى مجـالس الأعيان وغيرهم الا مذاكرة القمح والفول والأكل ونحو ذلك .

وشحت النفوس ، واحتجب المسـاتير ، وكثر الصياح والعويل ليلا ونهارا ، فلاتكاد تقع الأرجل الا على خلائق مطروحين بالأزقة واذا وقع حمار أو فرس ، تزاحموا عليه ، وأكلوه نيئا ، ولو كان منتنا .. حتى صاروا يأكلون الأطفال !!

ولما انكشف الماء ، وزرع الناس البرسيم ، ونبت .. أكلته الدودة ، وكذلك الغلة فقلب أصحاب المقدرة الأرض ، وحرثوها ، وسقوها بالمـاء من السواقى ، والنطالات ، والشواديف ، واشـتروا لها التقاوى بأقصى القيم ، وزرعوها فأكله الدود أيضا . ولم ينزل من السمـاء قطرة ، ولا أندية ، ولا صـقيع ، بل كان فى أوائل كيهك شرودات ، وأهوية حارة ثقيلة . ولم يبق بالأرياف الا القليل من الفلاحين ، وعمهم الموت والجلاء !

(١) يذكر المؤلف الشيخ عبد الرحمن الجبرتى عن « المترجم » انه كان يجمع تراجم كبار العلماء والاعاظم ، وكانت تتم المراسلة عن طريق المرحوم الشيخ السيد محمد مرتضى .

ولما مات « المترجم » ظفر الشيخ عبد الرحمن الجبرتى بالاوراق التى كان جمعها ، وهى نحو عشر كراريس ، ذكر فيهـا شيوخه ومن اخذ عنه او ساجله ، أو جالسـه من رفيق وصاحب ، وسماه « المعجم المختص » .

ويقول المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى : « ورد علينـا نعى « المترجم » ففترت الهمة ، وطرحت تلك الاوراق فى زوايا الاهمال مدة طويلة ، حتى كادت تتناثر وتضيع ، الى ان حصـل عندى باعث فى نفسى على جمعها ــ مع ضم الوقائع والحوادث المتجددات ــ على هذا النسـق » .

ربيع الأول

فى أواخره (١٥ نوفمبر ١٧٩٢ م) :

حضر صالح أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسومات بالعفو ، وثلاث خلع : احداها للباشا ، والأخريان لابراهيم بيك ومراد بيك . فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسومات ، وضربوا مدافع . وأحضر صحبته صالح أغا وكالة دار السعادة ، وانتزعها من مصطفى أغا ، واستولى على ملايلها .

وفيه : وصلت غلال رومية ، وكثرت بالساحل ، فحصل للناس اطمئنان وسكون . ووافق ذلك حصاد الذرة ، فنزل السعر الى أربعة عشر ريالا .. الأردب . وأما التبن فلا يكاد يوجد ، واذا وجد منه شيء ، فلا يقدر من يشتريه على ايصاله لداره أو دابته ، بل يبادر لخطفه السواس ، وأتباع الأجناد فى الطريق . واذا سمعوا واستشعروا بشيء منه فى مكان ، كبسوا عليه وأخذوه قهرا فكان غالب مئونة الدواب قصب الذرة الناشف . ويسرح الكثير من الفقراء والشحاذين فى نواحى الجسور ، فيجمعون مايمكنهم جمعه من الحشيش اليابس ، والنجيل الناشف ، ويأتون به ، ويطوفون به الأسواق ، ويبيعونه بأغلى الأثمان . ويتضارب على شرائه الناس ، وان صادفهم السواس ، والقواسة خطفوه من على رؤوسهم وأخذوه قهرا !

وفيه : وصلت الأخبار بأن على بيك الدفتردار لما سافر من القصير ، طلع على المويلح ، وركب من هناك مع العرب الى غزة ، وأرسل سرا الى مصر ، وطلب رجلا نصرانيا من أتباعه .. فذهب اليه صحبة الهجان ، بمطلوبات وبعض احتياجات .

ولما وصل الى جهة غزة أرسل الى أحمد باشا الجزار يعلمه بوصوله . فأرسل لملاقاته خيلا ورجالا ، فذهب اليه ، وصحبته نحو الثلاثين نفرا لاغير . فلما وصل الى قرب عكا خرج اليه أحمد باشا ، ولاقاه ، ووجهه الى حيفا ، ورتب لهم بها رواتب .

وأما مراد بيك فانه خرج الى بر الجيزة من أول السنة ، وجلس فى قصر اسماعيل بيك الذى عمره هناك ، واشتغل بعمل جبخانة وآلات حرب وبارود وجلل وقنابر ، وطلب الصناع والحدادين ، وشرع فى انشاء مراكب وغلايين رومية ، وزاد فى بناء القصر ووسعه ، وأنشأ به بستانا عظيما وغير ذلك .

وسافر عثمان بيك الشرقاوى الى ثغر الاسكندرية ، وجبى الأموال فى طريقه من البلاد .

ربيع الآخر

الاربعاء ٢٧ منه (١٢ ديسمبر ١٧٩٢ م — ٥ كيهك ١٥٠٩ ق) :

أمطرت السماء مطرا متوسطا ، وفرح به الناس .

جمادى الأولى

السبت اوله (١٥ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

عدى مراد بيك من بر الجيزة ، فدخل الى بيته وأخبروا عن عثمان بيك الشرقاوى أنه رجع الى رشيد .

الثلاثاء ٤ منه (١٨ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

حضر الذكور الى مصر .

الخميس ٦ منه (٢٠ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

خرج مراد بيك وابراهيم بيك وباقى أمرائهم الى جهة العادلية ، فأقاموا أياما قليلة ، ثم ذهب مراد بيك الى ناحية أبى زعبل . وكذلك ابراهيم بيك الوالى ، وصحبته جماعة من الأمراء الى ناحية الجزيرة . وفى وقت خروجهم نهب أتباعهم ماصادفوه من الدواب ، وصاروا يكبسون الوكائل

التى بباب الشعرية ، ويأخذون ما يجدونه من جمال الفلاحين السفارة وحميرهم نهبا .

فأما مراد بيك فانه لما وصل الى أبى زعبل ، وجد هناك طائفة من عرب الصوالحة فى خيشهم ، لا جنية لهم — فنهبهم وأخذ أموالهم ومواشيهم ، وقتل منهم نحو خمسة وعشرين شخصا ، مابين غلمان وشيوخ ! وأقام هنالك يوما ، وقبض على مشايخ البلد « أبو زعبل » ، وحبسهم ، وقرر عليهم غرامة أحد عشر ألف ريال . ولم يقبل فيهم شفاعة أستاذهم ، وشتمه ، وضربه بالعصا . وأما عرب الجزيرة ، فانهم ارتحلوا من أماكنهم .

شعبان

(مارس — ابريل ١٧٩٣ م)

وقع الاهتمام بسد خليج الفرعونية بسبب احتراق البحر الشرقى ، ونضوب مائه ، وظهرت بالنيل كيمان رمل هائلة من حد المقياس الى البحر المالح ، وسار البحر الغربى سلسول جدول تخوضه الأولاد الصغار ، ولا يمر به الا صغار القوارب . وانقطع الجالب من جميع النواحى الا ما تحمله المراكب الصغار بأضعاف الأجرة ، وتعطلت دواوين المكوس فأرسلوا الى سد الترعة رجلا مسلمانى ، وصحبته جماعة من الأفرنج ، وأحضروا الأخشاب العظيمة ، ورتبوا عمل السد قريبا من كفر الخضرة ، وركبوا آلات فى المراكب ، ودقوا ثلاثة صفوف خوابير من أخشاب طوال . فلما أتموا ذلك كانت الصناع فرغت من تطبيق ألواح فى غاية الثخن شبه البوابات العظام وهى مسمرة بمسامير عظيمة ملحومة بالرصاص ، وصفائح الحديد مثقوبة بثقوب مقامة على مايوازيها من نجوش منجوشة بالخوابير المركوزة فى الماء ، فاذا نزلوا ببوابة ألحموها بتلك الخوابير ، وتبعتهم الرجال بالجوابى المملوءة بالحصا والرمل من أمام ، ومن خلف . وتبع ذلك الرجال الكثيرة يلقون الأتربة والطين ، ففعلوا ذلك حتى قارب التمام ، ولم يبق الا اليسير ، ثم حصل الفتور فى العمل بسبب أن المباشر على ذلك أرسل لمراد بيك بالحضور ليكون اتمامها بحضرته ، ويخلع عليه ، ويعطيه ما وعده به من الانعام ، فلم يحضر مراد بيك ، وغلبهم الماء ، وتلف جانب من العمل . وكان أيوب بيك الصغير حاضرا ، وفى نفسه أن لايتم ذلك لأجل بلاده ، فأصبح مرتحلا ، وتركوا العمل ، وانفض الجمع !

وقد أقام العمل فى ذلك من أوائل شعبان الى أواسط شوال . ثم نزل اليها جماعة آخرون ، وطلبوا جملة مراكب موسوقة بالأحجار ، وشرعوا فى عمل سد المكان القديم عن فم الترعة ، ودقوا أيضا خوابير كثيرة ، وألقوا أحجارا عظيمة . وفرغت الأحجار ، فأرسلوا بطلب غيرها ، فلم يسعفهم القطاعون ، فشرعوا فى هدم الأبنية القديمة ، والجوامع التى بساحل النيل ، وقلعوا أحجار الطواحين التى بالبلاد القريبة من العمل . واستمروا على ذلك حتى قويت الزيادة ، ولم يتم العمل ، ورجعوا كالأول ، وذهب فى ذلك من الأموال والغرامات والسخرات ، وتلف من المراكب والأخشاب والحديد ، ما لا يحد ، ولا يعد !!

شوال

أوائله (حوالى منتصف مايو ١٧٩٣ م) :

ورد الخبر بأن على بيك سافر من عند أحمد باشا الى اسلامبول ، صحبة قابجى معين . فلما قرب من اسلامبول ، أرسلوا من وجهه الى برصا ليقيم بها ، ورتبوا له كفايته .. فى كل شهر خمسمائة قرش رومى .

* * *

ومات فى هذه السنة الأجل الصالح ، الناسك

المسلك العارف ، الشيخ محمد بن عبد الحافظ آفندى أبو ذاكر الخلوتى الحنفى .

اخذ الطريق عن السيد مصطفى البكرى والشيخ الحفنى ، وحضر الفقه على العلامة الشيخ محمد الدلجى والشيخ أحمد الحماقى ، وأدرك الأسقاطى والمنصورى . ولم يتزوج قط ، وكف بصره ، وانقطع فى بيته احدى وعشرين سنة بمفرده ، وليس عنده قريب ولا غريب ، ولاجارية ولا عبد ، ولا من يخدمه فى شىء مطلقا ..!

وبيته متسع — جهة التبانة — وبابه مفتوح دائما وعنده الأغنام والدجاج والأوز والبط ، والجميع مطلوقون فى الحوش وهو يباشر علفهم واطعامهم وسقيهم الماء بنفسه ، ويطبخ طعامه بنفسه .. وكذلك يغسل ثيابه .

واشتهر فى الناس بأن الجن تخدمه — وليس ببعيد ! — لأنه كان من آهل المعارف والأسرار ، ويأتى اليه الكثير من الطلبة للاخذ عنه ، والتلقى منه .

وكان له يد طولى فى كل شىء ، ومشاركة جيدة فى العلوم والمعارف والأسماء والروحانيات والأوفاق ، واستحضار تام فى كل ما يسأل عنه . وعنده عدة كثيرة من السنانير (القطط) ويعرفها بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانها ويقول : « هذه تحفة بنت بستانة ، وهذه كمونة بنت ياسمين ، وهذه فلانة أخت فلانة !! »

توفى — رحمة الله — فى شهر شوال من هذه السنة .

* * *

ومات أيضا المجذوب المعتقد ، السيد على البكرى (١) . لقام سنين متحردا ، ويمشى فى الأسواق عريانا ، ويخلط فى كلامه ، وبيده نبوت طويل يصحبه معه فى غالب أوقاته — وقد تقدم ذكره وذكر المرأة التى تبعته المعروفة بالشيخة أمونة .

وكان يحلق لحيته وللناس فيه اعتقاد عظيم .

فينصتون الى تخليطاته ، ويوجهون الفاظه ويؤولونها على حسب أغراضهم ، ومقتضيات أحوالهم .. ووقائعهم !.

وكان له أخ من مساتير الناس ، فحجر عليه ، ومنعه من الخروج ، وألبسه ثيابا ، ورغب الناس فى زيارته ، وذكر مكاشفاته وخوارق كراماته !

فأقبل عليه الناس من كل ناحية ، وترددوا لزيارته من كل جهة ، وأتوا اليه بالهدايا والنذور .. وجروا على عوائدهم فى التقليد ..

وازدحم عليه الخلائق — وخصوصا النساء — فراج بذلك أمر أخيه واتسعت دنياه ، ونصبه شبكة لصده ، ومنعه من حلق لحيته فنبتت وعظمت ، وسمن بدنه وعظم جسمه .. من كثرة الأكل والراحة !

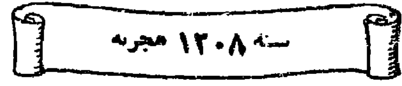
وقد كان قبل ذلك عريانا شقبانا ، يبيت غالب لياليه بالجوع طاويا من غير أكل ، بالأزقة فى الشتاء والصيف وقيد به من يخدمه ويراعيه فى منامه ويقظته ، وقضاء حاجته ، ولا يزال يحدث نفسه ، ويخلط فى ألفاظه وكلامه ، وتارة يضحك وتارة يشتم .. ولابد من مصادفة بعض الألفاظ لما فى نفس بعض الزائرين وذوى الحاجات .. فيعدون ذلك كشفا واطلاعا على ما فى نفوسهم وخطوات قلوبهم ويحتمل أن يكون كذلك ! ! فانه كان من البله المجاذيب المستغرقين فى شهود حالهم .

ولم يزل هذا حاله .. حتى توفى فى هذه السنة ، واجتمع الناس لمشهده من كل ناحية ، ودفنوه بمسجد الشرايبى — بالقرب من جامع الرويعى — فى قطعة من المسجد ، وعملوا على قبره مقصورة ومقاما للزيارة ، واجتمعوا عند مدفنه فى ليال

(١) سبب نسبتهم هذه .. انهم كانوا يسكنون بسويقة البكرى .. وليس لانهم من البكرية .

وميعادات ، وقراء ومنشدين ، وتزدحم عنده أصناف الخلائق .. ويختلط النساء بالرجال .

ومات أخوه أيضا بعده بنحو سنتين .



سنه ١٢٠٨ هجريه

المحرم

١٦ منه (٢٤ اغسطس ١٧٩٣ - ١٨ مسرى ١٥٠٩ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وانحلت الأسعار ، وبورك فى رمى الغلال ، حتى أن الفدان الواحد زكا بقدر خمسة أفدنة !

وبلغ النيل الى الزيادة المتوسطة وثبت الىأول بابة ، وشمل الماء غالب الأرض بسبب التفات الناس لسد المجارى ، وحفر الترع ، واصلاح الجسور .

صفر

اوائله (اوائل سبتمبر ١٧٩٣ م) :

وصل قابجى من الديار الرومية بطلب مال المصالحة والحلوان ، فأنزلوه فى دار ، وهادوه ، ورتبوا له مصروفا .

ومن الحوادث أن الناس انتظروا جاويش الحج ، وتشوفوا لحضوره .

ولم يذهب اليهم فى هذه السنة ملاقاة بالوش ولا بالألزم .

وأرسل ابراهيم بيك هجانا يستخبر عن الحجاج ، فذهب .

ليلة ٢٣ منه (٣٠ سبتمبر ١٧٩٣ م) .

رجع الهجان وأخبر أن العرب تجمعوا على الحج من سائر النواحى ، عند مغاير شعيب ، ونهبوا الحجاج ، وكسروا المحمل ، وأحرقوه ، وقتلوا غالب الحجاج والمغاربة معهم ، وأخذوا أحمالهم ، ودوابهم ، ونهبوا أثقالهم ، وانجرح أمير الحج ، وأصابه ثلاث رصاصات ، وغاب خبره ثلاثة أيام ، ثم أحضره العرب ، وهو عريان فى أسوأ حال ، وأخذوا النساء بأحمالهن ، والذى تبقى منهم أدخلوه الى قلعة العقبة ، وتركهم الهجان بها من غير ماء ، ولا زاد ، فنزل بالناس من الغم والحزن تلك الليلة مالا مزيد عليه !

٢٧ منه (٤ اكتوبر ١٧٩٣ م) :

عينوا محمد بيك الألفى وعثمان بيك الأشقر ، ليسافرا بسبب ذلك ، فخرجا ، وخطف أتباعهم فى ذلك اليوم ماصادفوه من الجمال والبغال والحمير وقرب السقائين التى تنقل الماء من الخليج ، ولهبوا الخبز من الطوابين والمخابز ، والكعك والعيش من الباعة !

وفى يوم خروجهم وصل جماعة من الحجاج ، ودخلوا فى أسوأ حال من العرى والجوع والتعب . فلما وصلوا الى نخل تلاقوا مع باقى الحجاج على مثل ذلك ، ووجدوا أمير الحج ذهب الى غزة ، وصحبته جماعة من الحجاج ، وأرسل يطلب الأمان . ولم يزوروا المدينة فى هذه السنة . وأرسل من صرة المدينة اثنين وثلاثين ألف ريال مع عرب حرب .

وضاع فى هذه الحادثة من الأموال والمحزوم شىء كثير جدا ، وأخبروا أن موسم هذا العام كان من أعظم المواسم ، لم يتفق مثله من مدة مديدة .

ربيع الأول

الاثنين اوله (٧ اكتوبر ١٧٩٣ م) :

دخل باقى الحجاج على مثل حالة من وصل منهم قبل ذلك .

الثلاثاء ٢ منه (٨ اكتوبر ١٧٩٣ م) :

عملوا الديوان بالقلعة ، واجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، وقرىء المرسوم الذى

حضر بصحبة الأغا ، فكان مضمونه طلب الحلوان والخزينـة ، وقدر ذلك تسعة آلاف وأربعمـائة كيس ، وعشرة آلاف وخمسـة وأربعون نصفا فضة تسلم ليد الأغا المعين من غير تأخير .

وفيه : عملوا على زوجات أمير الحج ثلاثين ألف ريال ، وأرسلوا الى بيت حسن كاشف المعمار ، فأخذوا ما فيه من الغلال وغيرها ، لأنه قتل في معركة العرب مع الحجاج ، وألبسوا زوجته الخاتم قهرا عنها ، ليزوجوها لمملوك من مماليك مراد بيك ، وهي بنت على أغا المعمار ، ووجدت على زوجها وجدا عظيما ، وأرسلت جماعة لاحضار رمته من قبره الذى دفن فيه فى صندوق على هيئة تابوت .

وفيه : شرع الأمراء في عمل تفريدة على البلاد بسبب الأموال المطلوبة ، وقرروها : عال ، وهو أربعمائة ريال .. ووسط ، وهو ثلثمائة .. والدون ، مائة وخمسون ، وكتبوا أوراقها عـلى الملتزمين ليحصلوها منهم .

الخميس ٤ منه (١٠ اكتوبر ١٧٩٣ م) :

سافر حسن ، كتخدا ايوب بيك ، بأمان لعثمان بيك ليحضره من غزة . ووصل المتسفرون بجثـة حسن كاشف المعمار .

جمـــادى الأولى

٢٠ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٩٣ م) :

وصل عثمان بيك طبل الاسماعلى أمير الحج الى مصر مكسوف البال ، ودخل الى بيته .

وفيه : حضر الصدر الأعظم يوسف باشـا الى الاسكندرية ليتوجه الى الحجاز ، فاعتنى الأمراء بشأنه ، وأرسلوا له ملاقاة ، وتقادم ، وهـدايا ، وفرشوا له قصر العينى ، ووصل الى مصر ، وطلع من المراكب الى قصر العينى ، وأرسلوا له تقادم وضـيافات ، ثم حضروا للسـلام عليه فى زحمة وكبكبة ، فخلع على ابراهيم بيك ومراد بيك خلعا ثمينة ، وقدم لهما حصانين بسرجين مرختين ، ثم نزل له الباشا المتولى بعد يومين ، وسلم عليه ، ورجع الى القلعة ، وأقاموا لخفارته عبد الرحمن بيـك الابراهيمى ، جلس بالقصر المواجه لقصر العينى .

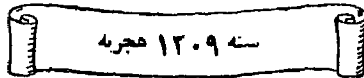
وقد تخيلوا من حضوره ، وظنوا ظنونا ...

جمـــادى الآخرة

٣ منه (٦ يناير ١٧٩٤ م) :

طلع يوسف باشا الى القلعة باستدعاء من الباشا المتولى ، فجلس عنده الى بعـد الظهر ، ونزل فى موكب حافل الى محله بقصر العينى وأرسل له ابراهيم بيك ومراد بك مع كتخدائهم هـدية ، وهى خمسـمائة أردب قمح ، ومائة أردب أرز ، وتعبيات أقمشة هندية وغير ذلك .

وأقام بالقصر أياما ، وقضوا أشغاله ، وهيأوا له اللوازم والمراكب بالسويس . وركب فى أواسط جمادى الآخرة وذهب الى السويس ليسـافر الى جدة من القلزم



سنه ١٢٠٩ هجريه

لم يقع بها شيء من الحوادث الخارجية سوى جور الأمراء وتتـابع مظالمهم واتخذ مراد بيك الجيزة سكنا ، وزاد فى عمـارته ، واستولى على غالب بلاد الجيزة : بعضها بالثمن القليل ، وبعضها غصبا ، وبعضها معاوضة واتخذ صالح أغا أيضا له دارا بجانبه ، وعمرها وسكنها بحريمه ليكون قريبا من مراد بيك .

المحرم

٢٧ منه (٢٤ اغسطس ١٧٩٤ م — ٢٠ مسرى ١٥١٠ ق) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد بحضرة الباشا والأمراء ، وجرى الماء فى الخليج .

صفر

(سبتمبر ١٧٩٤ م)

ورد الخبر بوصول صالح باشا والى مصر ، الى اسكندرية ، وأخذ محمد باشا فى أهبة السفر ، ونزل وسافر الى جهة اسكندرية .

ربيع الأول

٢٠ منه (١٥ اكتوبر ١٧٩٤ م) :

وصل صالح باشا الى مصر وطلع الى القلعة .

(أواخر اكتوبر وأوائل نوفمبر ١٧٩٤ م) :

ورد الخبر بوصول تقليد الصدارة الى محمد باشا عزت — المنفصل عن مصر — وورد عليه التقليد وهو باسكندرية . وكان صالح أغا الوكيل ذهب صحبته ليشيعه الى اسكندرية ، فأنعم عليه بفرمان مرتب على الضربخانة باسم حريمه ألف نصف فضة فى كل يوم .

ربيع الآخر

١٥ منه (٩ نوفمبر ١٧٩٤ م — ٢ هاتور ١٥١١ ق) :

أمطرت السماء مطرا غزيرا قبل الفجر . وكان ذلك بعيد بابة القبطى .

ذو الحجة

(يونية — يولية ١٧٩٥ م)

وقع به من الحوادث أن الشيخ الشرقاوى له حصة فى قرية بشرقية بلبيس ، حضر اليه أهلها ، وشكوا من محمد بيك الألفى ، وذكروا أن أتباعه حضروا اليهم وظلموهم ، وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه ، واستغاثوا بالشيخ . فاغتاظ ، وحضر الى الأزهر ، وجمع المشايخ ، وقفلوا أبواب الجامع ، وذلك بعدما خاطب مراد بيك ، وابراهيم بيك ، فلم يبديا شيئا .. ففعل ذلك فى ثانى يوم ، وقفلوا الجامع ، وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت .

ثم ركبوا فى ثانى يوم ، واجتمع عليهم خلق كثير من العامة ، وتبعوهم ، وذهبوا الى بيت الشيخ السادات ، وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة ، بحيث يراهم ابراهيم بيك . وقد بلغه اجتماعهم ، فبعث من قبله أيوب بيك الدفتردار فحضر اليهم ، وسلم عليهم ، ووقف بين يديهم ، وسألهم عن مرادهم . فقالوا له :

« نريد العدل ، ورفع الظلم والجور ، واقامة الشرع ، وابطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها » .

فقال : « لا يمكن الاجابة الى هذا كله ، فاننا ان فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات » .

فقيل له : « هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء المماليك ، والأمير يكون أميرا بالاعطاء ، لا بالأخذ ! » فقال : « حتى أبلغ » .

وانصرف ، ولم يعد لهم بجواب ، وانفض المجلس ، وركب المشايخ الى الجامع الأزهر . واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية ، وباتوا بالمسجد ، وأرسل ابراهيم بيك الى المشايخ يعضدهم ، ويقول لهم : « أنا معكم ، وهذه الأمور على غير خاطرى ، ومرادى » . وأرسل الى مراد بيك يخيفه عاقبة ذلك . فبعث مراد بيك يقول :

« أجيبكم الى جميع ماذكرتموه الا شيئين : ديوان بولاق ، وطلبكم المنكسر من الجامكية وتبطل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم ، وندفع لكم جامكية سنة تاريخه أثلاثا » .

ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم ، فذهبوا اليه بالجيزة ، فلاطفهم ، والتمس منهم السعي في الصلح على ماذكر . ورجعوا من عنده ، وباتوا على ذلك تلك الليلة .

وفي اليوم الثالث حضر الباشا الى منزل ابراهيم بيك ، واجتمع الأمراء هناك . وأرسلوا الى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات ، والسيد النقيب ، والشيخ الشرقاوي ، والشيخ البكري ، والشيخ الأمير . وكان المرسل اليهم رضوان ، كتخدا ابراهيم بيك ، فذهبوا معه ، ومنعوا العامة من السعي خلفهم . ودار الكلام بينهم ، وطال الحديث ، وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا ، والتزموا بما شرطه العلماء عليهم ، وانعقد الصلح على أن يدفعوا سبعمائة وخمسين كيسا موزعة ، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ، ويصرفوا غلال الشون ، وأموال الرزق ، ويبطلوا رفع المظالم المحدثة ، والكشوفيات والتفاريد والمكوس ، ما عدا ديوان بولاق ، وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس ويرسلوا صرة الحرمين . والعوائد المقررة من قديم الزمان ، ويسيروا في الناس سيرة حسنة .

وكان القاضي حاضرا بالمجلس ، فكتب حجة عليهم بذلك ، وفرمن عليها الباشا ، وختم عليها ابراهيم بيك ، وأرسلها الى مراد بيك فختم عليها أيضا ، وانجلت الفتنة ورجع المشايخ ، وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة . وهم ينادون : « حسب مارسم ساداتنا العلماء : بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية » !

وفرح الناس ، وظنوا صحته ، وفتحت الأسواق ، وسكن الحال على ذلك نحو شهر ، ثم عاد كل ما كان مما ذكر ... وزيادة !

ونزل عقيب ذلك مراد بيك الى دمياط ، وضرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك .

ومات في هذه السنة ، الذمي المعلم ابراهيم الجوهري ، رئيس الكتبة الأقباط بمصر . وأدرك من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة — مع طول المدة بمصر — ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه فيما نعلم .

وأول ظهوره من أيام المعلم رزق — كاتب علي بيك الكبير ولما مات علي بيك والمعلم رزق ، ظهر أمره ونما ذكره ، في أيام محمد بيك فلما انقضت أيام محمد بيك وتراس ابراهيم بيك ، قلده جميع الأمور ، فكان هو المشار اليه في الكليات والجزئيات .. حتى دفاتر الروزنامة والميري وجميع الايراد والمنصرف ، وجميع الكتبة والصيارفة من تحت يده واشارته .

وكان من دهاقين العالم ودهاتهم ، لايعزب عن ذهنه شيء من دقائق الأمور ، ويداري كل انسان بما يليق به من المداراة ، ويحابي ويهادي ويواسي ويفعل مايوجب انجذاب القلوب والمحبة ، ويهادي ويبعث الهدايا العظيمة والشموع الى بيوت الأمراء . وعند دخول رمضان يرسل الى غالب أرباب المظاهر ، ومن دونهم ، الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوي .

وعمرت في أيامه الكنائس وديور النصارى ، وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان ، ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والغلال .

وحزن ابراهيم بيك لموته ، وخرج في ذلك اليوم الى قصر العيني حتى يشاهد جنازته ، وهم ذاهبون به الى المقبرة ، وتأسف على فقده تأسفا زائدا وكان ذلك في شهر ذي القعدة من السنة .



سنة ١٢١٠ هجرية

(١٧٩٥ — ١٧٩٦ م)

لم يقع بها شيء من الحوادث التي يعتنى

بتقييدها ، سوى مثل ما تقدم من جور الأمراء والمظالم ..

* * *

ومات فى هذه السنة ، العمدة العلامة ، والرحلة الفهامة ، الفقيه الفاضل ، ومن ليس له فى الفضل مناضل ، الشيخ حسن بن سالم الهوارى المالكى ، أحد طلبة شيخنا الشيخ الصعيدى . وبعد وفاة شيخه ولى مشيخة رواق الصعايدة .

وكان فيه صلابة زائدة ، وقوة جنان وشدة تجارى . واشترى خرابة بسوق القشاشين — بالقرب من الأزهر — وعمرها دارا لسكنه ، وتعدى حدوده وجاف على أماكن جيرانه ، وهدم مكتب المدرسة السنانية ، وكان مكتبا عظيما ذا واجهتين وعمودين وأربع بوائك وزاوية ، جداره من الحجر النحيت ، عجيبة الصنعة فى البروز والاتقان . فهدمه وأدخله فى بنائه من غير تحاش أو خشية لوم مخلوق ، أو خوف خالق .

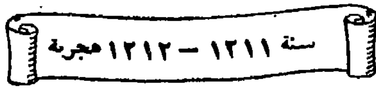
وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة وطلب العلم ، يسخرون من يمر بهم من حمير الترابين ، وجمال الأعيان المارين عليهم ، فيستعملونها فى نقل تراب الشيخ .. لأجل التبرك : اما قهرا أو محاباة .

وكذلك المؤن ، حتى تممها على هذه الصورة ، وسكن فيها ، وأحدق به الجلاوزة من الطلبة يغدون ويروحون فى الخصومات والدعاوى ، ويأخذون الجعالات والرشوات ،من المحق والمبطل ، ومن خالف عليهم ضربوه وأهانوه .. ولو عظيما ، من غير مبالاة ولا حياء !

ومن عزلهم أو لامهم كفروه ، ونسبوه الى الظلم والتعدى والاستهزاء بأهل العلم والشريعة . وزاد الحال ، وصار كل من رؤساء الجماعة شيخا على انفراده ، يجلس فى ناحية ببعض الحوانيت ، يقضى ويأمر وينهى .

وفحش الأمر الى أن نادى عليهم حاكم الشرطة .. فانكفوا .

ومرض شيخهم بالتشنج شهورا وتوفى ، رحمه الله .



(١٧٩٦ – ١٧٩٨ م)

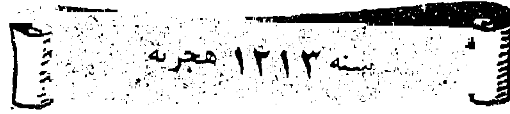
لم يقع فيهما من الحوادث التى تتشوف لها النفوس ، أو تشتاق اليها الخواطر ، فتتقيد فى بطون الطروس .. سوى ماتقدمت اليه الاشارة ، من أسباب نزول النوازل ، وموجبات ترادف البلاء المتراسل ، ووقوع الانذارات الفلكية ، والآيات المخوفة السماوية .. وكلها أسباب عادية وعلامات ، من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات .

فبالنظر فى ملكوت السموات والأرض يستدلون ، وبالنجم هم يهتدون ... فمن أعظم ذلك ، حصول الخسوف الكلى فى منتصف شهر الحجة (٣١ مايو ١٧٩٨ م) ختام سنة اثنتى عشرة بطالع مشرق الجوزاء ... المنسوب اليه اقليم مصر .

وحضر طائفة الفرنسيس اثر ذلك فى أوائل السنة التالية .. كما سيأتى خبر ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى .

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون

« صدق الله العظيم »



وهي أولى سنى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة ، والنوازل الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور ، وتوالى المحن ، واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع ، وانقلاب الموضوع ، وتتابع الأهوال ، واختلاف الأحوال ، وفساد التـــدبير ، وحصول التدمير ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب . وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .

المحـــرم

٨ منه (٢٢ يونية ١٧٩٨ م) :

حضر الى الثـغر عشرة مراكب من مراكب الانكليز ، ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر. وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبا أيضا ، فانتظر أهل الثغر مايريدون ، واذا بقايق صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار ، فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد — والرئيس اذ ذاك فيها والمشار اليه بالابرام والنقض السيد محمد كريم (١) — فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم ، فأخبروا أنهم انـكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيس لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ، ولا ندرى أين قصدهم . فربما دهموكم فلا تقدرون على دفعهم ولا تتمكنون من منعهم . فلم يقبل السيد محمـــد كريم منهم هذا القول ، وظن أنها مكيدة وجاوبوهم بكلام خشن . فقالت رسل الانكليز « نحن نقف بمراكبنا فى البحر محافظين على الثغر لانحتاج منكم الا الامداد بالماء والزاد بثمنه » . فلم يجيبوهم لذلك وقالوا : « هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا لغيرهم عليها سبيل .. فاذهبوا عنا » . فعندها عادت رسل الانكليز ، وأقلعوا فى البحر ليمتاروا من غير الاسكندرية ... وليقضى الله أمـرا كان مفعولا .

ثم ان أهل الثغر أرسلوا الى كاشف البحيرة ليجمع العربان ويأتى معهم للمحافظة بالثغر .

١٠ منه (٢٤ يونية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات عـلى يـد السعاة من ثغـر الاسكندرية (تفيد ما تقدم) .

فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللغط الكثير من الناس ، وتحدثوا بذلك فيمـا بينهم ، وكثرت المقالات والأراجيف .

فى ١٣ منه (٢٧ يونية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات مضمونها أن المراكب التى وردت الثغر عادت راجعة ، فاطمأن الناس ، وسكن القيل والقال . وأما الأمراء فلم يهتموا بشىء من ذلك ، ولم يكترثوا به اعتمادا عـلى قوتهم وزعمهم أنه اذا جاءت جميع الافرنج لايقفون فى مقـابلتهم ، وأنهم يدوسونهم بخيولهم !

٢٠ منه (٤ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات من الثغر ومن رشيد ودمنهور بأن فى يوم ثامن عشره (٢ يوليـــه ١٧٩٨ م)

---

(١) الغالب عـلى الظن انه مغربى الأصل استوطنت اسرته الاسكندرية . وكان فى اول أمره قبانيا يزن البضائع اشتهر ذكره حتى احبه الناس . قلده مراد بيك أمر الديوان والجمارك والثغر .

وردت مراكب وعمارات للفرنسيس كثيرة ، فأرسوا فى البحر ، وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل (١) وبعض أهل البلد . فلما نزلوا اليهم عوقوهم عندهم . فلما دخل الليل تحولت منهم مراكب الى جهة العجمى (٢) ، وطلعوا الى البر ، ومعهم آلات الحرب والعساكر ، فلم يشعر أهل الثغر وقت الصباح الا وهم كالجراد المنتشر حول البلد ، فعندها خرج أهل الثغر وما انضم اليهم من العربان المجتمعة وكاشف البحيرة ،فلم يستطيعوا مدافعتهم، ولا أمكنهم ممانعتهم ولم يثبتوا لحربهم ، وانهزم الكاشف ومن معه من العربان ، ورجع أهل الثغر الى التترس فى البيوت والحيطان ، ودخلت الافرنج البلد ، وانبث فيها الكثير من ذلك العدد (٣) .

كل ذلك وأهل البلد لهم بالرمى يدافعون ، وعن أنفسهم وأهليهم يقاتلون ويمانعون ... فلما أعياهم الحال ، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال ، وليس ثم عندهم للقتال استعداد ، لخلو الأبراج من آلات الحرب والبارود وكثرة العدو وغلبته ... طلب أهل الثغر الأمان ، فأمنوهم ، ورفعوا عنهم القتال ومن حصونهم أنزلوهم ، ونادى الفرنسيس بالأمان فى البلد ، ورفع بنديراته عليها ، وطلب أعيان الثغر فحضروا بين يديه ، فألزمهم بجمع السلاح واحضاره اليه ، وأن يضعوا الجوكار فى صدورهم فوق ملبوسهم .

(١) كان القنصل فى هذا الوقت ابن اخى «ماجاللون» القنصل السابق لفرنسا فى مصر .

(حافظ عوض — فتح مصر الحديث ص ٨٠)

(٢) قرية لصيد السمك صغيرة تبعد حوالى الاربعة الاميال غربى الاسكندرية . وكانت خطة بونابرت توزيع قواته لانزالها الى البر فى جملة مواقع والاستيلاء فى وقت واحد على الاسكندرية ودمياط ثم التوغل من هذين المركزين فى الدلتا والوصول الى القاهرة بسرعة

(دكتور محمد فؤاد شكرى — الحملة الفرنسية وظهور محمد على ص ١٣٤) .

(٣) لم يخسر الفرنسيون فى فتح الاسكندرية اكثر من نحو أربعين قتيلا ، مع ثمانين الى مائة من الجرحى .

(حافظ عوض — فتح مصر الحديث ص ١٠٤)

والجوكار ثلاث قطع من جوخ أو حرير أو غير ذلك ، مستديرة فى قدر الريال سوداء وحمراء وبيضاء ، توضع بعضها فوق بعض بحيث تكون كل دائرة أقل من التى تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدوائر المحيط بعضها ببعض .

ولما وردت هذه الأخبار مصر ، حصل للناس انزعاج ، وعول أكثرهم على الفرار والهجاج .

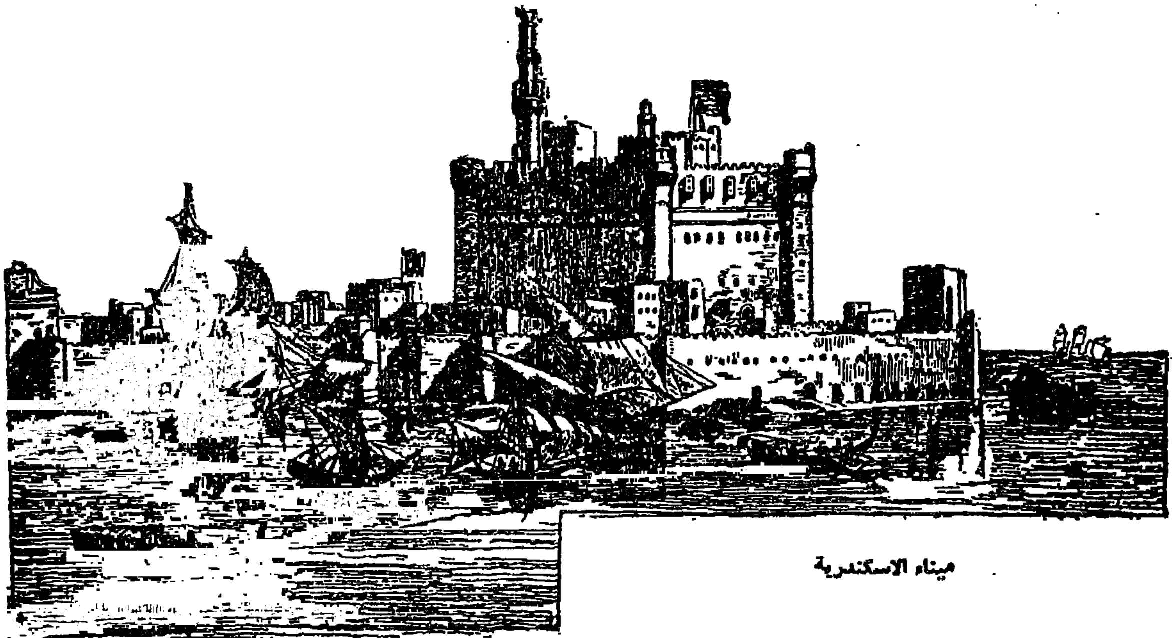
وأما ماكان من حال الأمراء بمصر ، فان ابراهيم بيك ركب الى قصر العينى وحضر عنده مراد بيك من الجيزة لأنه كان مقيما بها ، واجتمع باقى الأمراء والعلماء والقاضى ، وتكلموا فى شأن هذا الأمر الحادث ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مكاتبة بخبر هذا الحادث الى اسلامبول ، وأن مراد بيك يجهز العساكر ويخرج لملاقاتهم وحربهم . وانفض المجلس على ذلك ، وكتبوا المكاتبة ، وأرسلها بكر باشا مع رسوله على طريق البر (١) ، ليأتيه بالترياق من العراق ! (٢) وأخذوا فى الاستعداد للثغر وقضاء اللوازم والمهمات فى مدة خمسة أيام ، فصاروا يصادرون الناس ويأخذون أغلب مايحتاجون اليه بدون ثمن .

ثم ارتحل مراد بيك بعد صلاة الجمعة . وبرز خيامه ووطاقه الى الجسر الأسود ، فمكث به يومين حتى تكامل العسكر وصناجقه وعلى باشا الطرابلسى وناصف باشا — فانهم كانوا من أخصائه ومقيمين معه بالجيزة — وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود ، وسار من البر مع العساكر الخيالة . وأما الرجالة — وهم الالداشات القليونجية والأروام والمغاربة — فانهم ساروا فى البحر مع الغلايين الصغار التى أنشأها الأمير المذكور .

ولما ارتحل من الجسر الأسود أرسل الى

(١) بطريق البر .

(٢) هو مثل شعبى قديم ، نصه : « على مايجى الترياق من العراق ، يكون العليل مات ! »



ميناء الاسكندرية

مصر بأمر بعمل سلسلة من الحديد فى غاية الثخن والمتانة ، طولها مائة ذراع وثلاثون ذراعا ، لتنصب على البغاز عند برج مغيزل من البر الى البر لتمنع مراكب الفرنسيس من العبور لبحر النيل — وذلك باشارة على باشا — وأن يعمل عندها جسر من المراكب وينصب عليها متاريس ومدافع ، ظنا منهم أن الأفرنج لايقدرون على محاربتهم فى البر ، وانهم يعبرون فى المراكب ويقاتلونهم وهم فى المراكب ، وانهم يصابرونهم ويطاولونهم فى القتال حتى تأتيهم النجدة .

وكان الأمر بخلاف ذلك ... فان الفرنسيس عندما ملكوا الاسكندرية ، ساروا على طريق البر الغربى من غير ممانع . وفى أثناء خروج مراد بيك والحركة ... بدت الوحشة فى الأسواق ، وكثر الهرج بين الناس والارجاف ، وانقطعت الطرق ، وأخذت الحرامية فى كل ليلة تطرق أطراف البلد ، وانقطع مشى الناس من المرور فى الطرق والأسواق من المغرب ، فنادى الأغا والوالى بفتح الأسواق والقهاوى ليلا ، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين ، وذلك لأمرين : الأول — ذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستئناس . والثانى — الخوف من الدخيل فى البلد .

وفى يوم الاثنين وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا الى دمنهور ورشيد ، وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم ، فذهبوا الى فوة ونواحيها ، والبعض طلب الأمان وأقام ببلده وهم العقلاء .

وقد كانت الفرنسيس — حين حلولهم بالاسكندرية — كتبوا مرسوما وطبعوه وأرسلوا منه نسخا الى البلاد التى يقدمون عليها .. تطمينا لهم . ووصل هذا المكتوب مع جملة من الأسارى الذين وجدوهم بمالطة ، وحضروا صحبتهم ، وحضر منهم جملة الى بولاق — وذلك قبل وصول الفرنسيس بيوم أو يومين — ومعهم منه عدة نسخ ومنهم مغاربة وفيهم جواسيس ، وهم على شكلهم من كفار مالطة ، ويعرفون باللغات .

وصورة ذلك المكتوب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه .

« من طرف الفرنساوية المبنى على أساس

العربية والتسوية السرعسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرته يعرف أهالى مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ، ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء والتعدى . فحضر الآن ساعة عقوبتهم ، وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون فى الاقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها .

« فأما رب العالمين القادر على كل شىء ، فانه قد حكم على انقضاء دولتهم .

« ياأيها المصريون ...

« قد قيل لكم اننى ماتزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم ، فذلك كذب صريح ... فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين اننى ماقدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، واننى — أكثر من المماليك — أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه والقرآن العظيم .

« وقولوا أيضا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله ، وأن الشىء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط ، وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب ... فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ، ويختصوا بكل شىء أحسن فيها : من الجوارى الحسان ، والخيل العتاق ، والمساكن المفرحة .

« فان كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك ، فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم ! ولكن رب العالمين رءوف وعادل وحليم .

« ولكن بعونه تعالى ، من الآن فصاعدا ، لاييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيديرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها .

« وسابقا كان فى الأراضى المصرية المدن العظـ والخلجان الواسعة ، والمتجر المتكاثر ... وما ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك .

« أيها المشايخ والقضاة ، والأئمة والجربجـ وأعيان البلد ...

« قولوا لأمتكم ان الفرنساوية هـ ايضا مسلمون مخلصون ، واثبات أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى ، وخربوا فـ كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى محاربة الاسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطر منها الكواللرية (١) الذين كانوا يزعمون أن تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين .

«ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأو صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثما وأعداء أعدائه . أدام الله ملكه .. ومع ذلك المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان ، غير ممت لأمره ، فما أطاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم .

« طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفـ معنا بلا تأخير ! فيصلح حالهم ، وتعلى مراتبهم .

« طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين ، فاذا عر بالأكثر تسارعوا الينا بكل قلب !

« لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون المماليك فى محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريق الخلاص ولا يبقى منهم أثر !

« المادة الأولى : جميع القرى الواقعة فى قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر

(١) أو « الكفاليرية » ، مأخوذة من الكلمة الافرنجية التى « فارس » . وهم طائفة — من مخلفات الحروب الصليـ استقرت فى مالطة ...

عسكر الفرنساوية ، فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذى هو أبيض وكحلى وأحمر .

« المادة الثانية : كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار .

« المادة الثالثة : كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى أيضا تنصب صنجاق السلطان العثمانى .. محبنا دام بقاؤه .

« المادة الرابعة : المشايخ فى كل بلد يختمون حالا جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التى تتبع المماليك ، وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شىء منها .

« المادة الخامسة : الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم . وعلى كل أحد من أهالى البلدان أن يبقى فى مسكنه مطمئنا ، وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة .

« والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عالى : أدام الله اجلال السلطان العثمانى ! أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى ! لعن الله المماليك ! وأصلح حال الأمة المصرية .

« تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ١٣ شهر سيدور من اقامة الجمهور الفرنساوى » .

يعنى فى آخر شهر المحرم سنة ١٢١٣ هجرية .

٢٢ منه (٦ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا الى نواحى فوة ثم الى الرحمانية .

صفر

الأحد غرته (١٥ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة ٢٩ من المحرم (١٣ يولية ١٧٩٨ م) ، التقى العسكر المصرى مع الفرنسيس ، فلم تكن الا ساعة وانهزم مراد بيك ومن معه . ولم يقع قتال صحيح ، وانما هى مناوشة من طلائع العسكرين بحيث لم يقتل الا القليل من الفريقين ، واحترقت مراكب مراد بيك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية ، واحترق بها رئيس الطبجية خليل الكردلى ... وكان قد قاتل فى البحر قتالا عجيبا . فقدر الله أن علقت نار بالقلع وسقط منها نار الى البارود فاشتعلت جميعها بالنار . واحترق المركب بما فيه من المحاربين وكبيرهم وتطايروا فى الهواء . فلما عاين ذلك مراد بيك داخله الرعب ، وولى منهزما ، وترك الأثقال والمدافع ، وتبعته عساكره . ونزلت المشاة فى المراكب ورجعوا طالبين مصر .

ووصلت الأخبار بذلك الى مصر ، فاشتد انزعاج الناس ، وركب ابراهيم بيك الى ساحل بولاق ، وحضر الباشا والعلماء ورءوس الناس ، وأعملوا رأيهم فى هذا الحادث العظيم . فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق الى شبرا ، ويتولى الاقامة ببولاق ابراهيم بيك وكشافه ومماليكه وقد كانت العلماء عند توجه مراد بيك تجتمع بالأزهر كل يوم ، ويقراون البخارى وغيره من الدعوات ، وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية والبراهمة والقادرية والسعدية ، وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير ، ويعملون لهم مجالس بالأزهر .. وكذلك أطفال المكاتب ويذكرون الاسم اللطيف وغيره من الأسماء .

الاثنين ٢ منه (١٦ يولية ١٧٩٨ م) :

حضر مراد بيك الى بر انبابة ، وشرع فى عمل

متاريس هناك ممتدة الى بشتيل (١) . وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه وجماعة من خشداشينه ، واحتفل فى ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه هو وعلى باشا الطرابلسى ونصوح باشا . وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التى أنشأها بالجيزة ، وأوقفها على ساحل انبابة ، وشحنها بالعساكر والمدافع فصار البر الغربى والشرقى مملوءين بالمدافع والعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة .

ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك ، فانهم من حين وصول الخبر لهم من الاسكندرية ، شرعوا فى نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة الى البيوت الصغار التى لايعرفها أحد ، واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم ، وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف ، وأخذوا أيضا فى تشهيل الأحمال واستحضار دواب للشيل وأدوات الارتحال . فلما رأى أهل البلدة منهم ذلك ، داخلهم الخوف الكثير والفزع ، واستعد الأغنياء وأولو المقدرة للهروب . ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك وزجروهم ، وهددوا من أراد النقلة ، لما بقى بمصر منهم أحد .

وفى يوم الثلاثاء ٣ منه (١٧ يولية ١٧٩٨ م) :

نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس ، وكرروا المناداة بذلك كل يوم . فأغلق الناس الدكاكين والأسواق ، وخرج الجميع لبر بولاق .. فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات ، يجمعون الدراهم من بعضهم ، وينصبون لهم خياما أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ، ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم . وبعض الناس يتطوع بالانفاق على البعض الآخر ، ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم ، وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم ، وسمحت نفوسهم بانفاق أموالهم ، فلم يشح فى ذلك الوقت أحد بشىء يملكه ، ولكن لم يسعفهم الدهر .

وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والزمور والأعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة . وصعد السيد عمر أفندى نقيب الأشراف الى القلعة ، فأنزل منها بيرقا كبيرا أسمته العامة البيرق النبوى : فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق ، وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ، ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك .

وأما مصر ، فانها باقية خالية الطرق ، لاتجد بها أحدا سوى النساء فى البيوت والصغار وضعفاء الرجال الذين لايقدرون على الحركة ، فانهم مستترون مع النساء فى بيوتهم . والأسواق مصفرة ، والطرق مجفرة من عدم الكنس والرش . وغلا سعر البارود والرصاص بحيث بيع الرطل من البارود بستين نصفا ، والرصاص بتسعين ، وغلا جنس أنواع السلاح ، وقل وجوده .. وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصى والمساوق ، وجلس مشايخ العلماء بزاوية عـلى بيك ببولاق يدعون ويبتهلون الى الله بالنصر ، وأقام غيرهم من الرعايا البعض بالبيوت ، والبعض بالزوايا ، والبعض فى الخيام .

ومحصل الأمر أن جميع من بمصر من الرجال تحول الى بولاق ، وأقام بها من حين نصب ابراهيم بيك العرضى هناك ، الى وقت الهزيمة ، سوى القليل من الناس الذين لايجدون لهم مكانا ولا

(١) كانت قوات مراد بيك تمتد منتشرة من بشتيل وانبابة الى الاهرامات وكان جيشه يتألف من نحو الخمسين ألفا من المماليك وممن انضم اليهم من الانكشارية وغيرهم وهذا عدا العربان الذين تألفت منهم الى حد كبير ميسرة الجيش الممتدة الى الاهرامات .
(دكتور محمد فؤاد شكرى ـ الحملة الفرنسية وظهور محمد على ص ١٣٨)



مأوى ، فيرجعون الى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون الى بولاق . وأرسل ابراهيم بيك العربان المجاورة لمصر ، ورسم لهم أن يكونوا فى المقدمة بنواحى شبرا وما والاها . وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرية والقيعان وأولاد على والهنادى وغيرهم وفى كل يوم يتزايد الجمع ، ويعظم الهول ، ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون أقواتهم يوما فيوما لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم فى صعيد واحد . وانقطعت الطرق ، وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم .

واما بلاد الأرياف فانها قامت على ساق بقتل بعضهم بعضا ، ونهب بعضهم بعضا وكذلك العرب غارت على الأطراف والنواحى وصار قطر مصر من أوله الى آخره فى قتل ونهب واخافة طريق وقيام شر واغارة على الأموال وافساد المزارع ، وغير ذلك من أنواع الفساد الذى لا يحصى .

وطلب أمراء مصر .. التجار من الافرنج بمصر : فحبسوا بعضهم بالقلعة وبعضهم بأماكن الأمراء ، وصاروا يفتشون فى محال الأفرنج على الأسلحة وغيرها . وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنائس والأديرة على الأسلحة . والعامة لا ترضى الا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت الفتنة .

ثم فى كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيس الى مصر ، ويختلف الناس فى الجهة التى يقصدون المجىء منها ، فمنهم من يقول : « انهم واصلون من البر الغربى » ، ومنهم من يقول : « بل يأتون من الشرقى » ، ومنهم من يقول : « بل يأتون من الجهتين » . هذا وليس لأحد من أمراء العساكر همة أن يبعث جاسوسا أو طليعة تناوشهم القتال قبل دخولهم وقربهم ووصولهم الى فناء المصر . بل كل من ابراهيم بيك ومراد بيك جمع عسكره ، ومكث مكانه لا ينتقل عنه ، ينتظر ما نفعل بهم . وليس ثمة قلعة ولا حصن ولا معقل وهذا من سوء التدبير واهمال أمر العدو .

الجمعة ٦ منه (٢٠ يولية ١٧٩٨ م) :

وصل الفرنسيس الى الجسر الأسود .

السبت ٧ منه (٢١ يولية ١٧٩٨ م) (١) :

وصلوا الى آم دينار (٢) فعندها اجتمع العالم

---

(١) فى هذا اليوم عين كليبر السيد محمد الفريانى فى وظيفة محافظ (حاكم) الاسكندرية بعد القبض على حاكمها السيد محمد كريم .
(عبد الرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية جـ ١ ص ١٩١)

(٢) مع ذلك كان امراء المماليك يركبون الجهل والغرور ، وكانوا ايضا يمثلون الحرص على النجاة والتخاذل فى اشد الاوقات حرجا ؛ فبينما كان الجيش الفرنسى زاحفا على العاصمة لم يكن مراد بيك وابراهيم بيك على وفاق بل كان بياعد بينهما التنافس القديم على السلطة . ولم يخف هذا التنافس على الفرنسيين فقد علم به نابليون وهو فى ام دينار يرسم الخطط ويستطلع اخبار القوة التى سيواجهها . فهناك وصلته اخبار الجفاء الذى بين مراد بيك وابراهيم بيك .
(عبد الرحمن الرافعى - الحركة القومية جـ ١ ص ٢١٢)

العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر . ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم ، منحلة عزائمهم ، مختلفة آراؤهم ، حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم ، مختالون فى ريشهم ، مغترون بجمعهم ، محتقرون شأن عدوهم ، مرتبكون فى رويتهم ، مغمورون فى غفلتهم . وهذا كله من أسباب ماوقع من خذلانهم وهزيمتهم . وقد كان الظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين ، بل أشيع فى عرضى ابراهيم بيك ، أنهم قادمون من الجهتين ، فلم يأتوا الا من البر الغربى .

ولما كان وقت القائلة ، ركب جماعة من العساكر التى بالبر الغربى ، وتقدموا الى ناحية بشتيل — بلد مجاورة لانبابة — فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس ، فكروا عليهم بالخيول . فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمى ، وأبلى الفريقان ، وقتل أيوب بيك الدفتردار (١) وعبد الله كاشف الجرف (٢) وعدة كثيرة من كشاف محمد بيك الألفى ومماليكهم ، وتبعهم طابور من الأفرنج فى نحو الستة آلاف ، وكبيره ديزيه الذى ولى على الصعيد بعد تملكهم .

وأما بونابرته الكبير فانه لم يشاهد الواقعة بل حضر بعد الهزيمة ، وكان بعيدا عن هؤلاء بكثير (٣) . ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ترامى الفريقان بالمدافع ، وكذلك العساكر المحاربون البحرية ، وحضر عدة وافرة من عساكر الأرناءود من دمياط ، وطلعوا الى انبابة وانضموا الى المشاة وقاتلوا معهم فى المتاريس .

فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال ، ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم : «يارب ويالطيف ويارجال الله» ونحو ذلك ، وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم ! فكان العقلاء من الناس يصرخون عليهم ويأمرونهم بترك ذلك ، ويقولون لهم «أن الرسول والصحابة والمجاهدين ، انما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لابرفع الأصوات والصراخ والنباح» فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ، ومن يقرأ ومن يسمع ! وركب طائفة كبيرة من الأمراء والأجناد من العرضى الشرقى (٢) — ومنهم ابراهيم بيك الوالى (٣) — وشرعوا فى التعدية الى البر الغربى فى المراكب ، فتزاحموا على المعادى لتكون التعدية من محل واحد — والمراكب قليلة جدا — فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة به على المحاربين . هذا والريح النكباء اشتد هبوبها ، وأمواج البحر فى قوة اضطرابها ، والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح فى وجوه المصريين ، فلايقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو ، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه .

ثم ان الطابور الذى تقدم لقتال مراد بيك انقسم على كيفية معلومة عندهم فى الحرب ، وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطا بالعسكر من خلفه وأمامه ، ودق طبوله ، وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع . واشتد هبوب الريح ، وانعقد الغبار ، وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الرياح ،

---

(١) مدبر الشئون المالية .

(٢) من البكوات المماليك .

(٣) يقول الاستاذ الرافعى (تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢١٦) « هذا مارواه الجبرتى عن هذا الدور من المعركة ، ولا يمكننا ان نمر على قوله أن بونابرته الكبير لم يشاهد الواقعة دون أن نبدى شيئا من الدهشة لانه كيف تصور الجبرتى ان بونابرته لم يشاهد الواقعة مع انه قائدها وراسم خططها ومدبر الامر فيها ؟ ولا ندرى من اين جاء الجبرتى انه لم يحضر الا بعد الهزيمة وكان بعيدا عن هؤلاء بكثير .. مع ان بونابرت كان فى القلب يرقب حركات القتال ويتتبع كل صغيرة وكبيرة فيه ... على اى وجه قلبنا الرواية لا نجد ليتا لها وكل ما نقوله فيها انها خطا » .

(٢) يعنى جيش ابراهيم بيك الذى كان مرابطا بالبر الشرقى للنيل .

(٣) صهر ابراهيم بيك رئيس المماليك .


مراد بيك


نابليون بونابرت

وصمت الأسماع من توالى الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزلت ، والسماء عليها سقطت .

واستمر الحرب والقتال نحو ثلاثة أرباع ساعة . ثم كانت هذه الهزيمة على العسكر الغربى (١) ، فغرق الكثير من الخيالة فى البحر لاحاطة العدو بهم وظلام الدنيا ، والبعض وقع أسيرا فى أيدى الفرنسيس وملكوا المتاريس . وفر مراد بيك ومن معه الى


احد المماليك يهرب

الجيزة ، فصعد الى قصره ، وقضى بعض أشغاله فى نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب الى الجهة القبلية .. وبقيت القتلى و الثياب والأمتعة والأسلحة والفرش ملقاة على الأرض ببر انبابة تحت الأرجل .

(١) يعنى جيش مراد بيك لانه بالبر الغربى .

وكان من جملة من ألقى نفسه فى البحر سليمان بيك ، المعروف بالأغا، وأخوه ابراهيم بيك الوالى ، فأما سليمان بيك فنجا وغرق ابراهيم بيك الصغير وهو صهر ابراهيم بيك الكبير .

ولما انهزم العسكر الغربى حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقى وضربوها . وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة ، وركب فى الحال ابراهيم بيك والباشا والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيئا .

فأما ابراهيم بيك والباشا والأمراء فساروا الى جهة العادلية . وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين الى جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا ، وهم جميعا فى غاية الخوف والفزع وترقب الهلاك ، وهم يضجون بالعويل والنحيب ويبتهلون الى الله من شر هذا اليوم العصيب ، والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب .

فلما استقر ابراهيم بيك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه ، وكذلك من كان معه من الأمراء فأركبوا النساء : بعضهن على الخيول ، وبعضهن على البغال ، والبعض على الحمير والجمال ، والبعض ماش كالجوارى والخدم . واستمر معظم الناس طول

الليل خارجين من مصر .. البعض بحريمه ، والبعض نجو بنفسه ، ولا يسأل أحد عن أحد ، بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر .. البعض لبلاد الصعيد ، والبعض لجهة الشرق — وهم الأكثر — وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة . ممتثلا للقضاء متوقعا للمكروه ، وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم فى الغربة ... فاستسلم للمقدور ، ولله عاقبة الأمور .

والذى أزعج قلوب الناس بالأكثر أن فى عشاء تلك الليلة ، شاع فى الناس أن الأفرنج عدوا الى بولاق وأحرقوها ، وكذلك الجيزة ، وأن أولهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء .

وكان السبب فى هذه الاشاعة أن بعض القلينجية ، من عسكر مراد بيك الذى كان فى الغليون بمرسى انبابة ، لما تحقق الكسرة ، أضرم النار فى الغليون الذى هو فيه . وكذلك مراد بيك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير



زوجة احد البكوات

من قبالة قصره ليصحبه معه الى جهة قبلى ، فمشوا به قليلا ووقف ، لقلة الماء ، فى الطين . وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة فأمر بحرقه أيضا ، فصعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق .. فظنوا بل أيقنوا أنهم أحرقوا البلدين فماجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع والروع والجزع ، وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين .

فلما عاين العامة والرعية ذلك ، اشتد ضجرهم وخوفهم ، وتحركت عزائمهم للهروب واللحاق بهم .

والحال أن الجميع لايدرون أى جهة يسلكون ، وأى طريق يذهبون ، وأى محل يستقرون .. فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون ، وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه ، وخرج أكثرهم ماشيا أو حاملا متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ، ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه .

وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل ، واستمروا على ذلك طول ليلة الأحد وصبحها ، وأخذ كل انسان ما قدر على حمله من مال ومتاع .

فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة ، تلقتهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته أو يسد جوعته . فكان ما أخذته العرب شيئا كثيرا يفوق الحصر بحيث أن الأموال والذخائر التى خرجت من مصر فى تلك الليلة أضعاف مابقى فيها بلا شك ، لأن معظم الأموال عند الأمراء والأعيان وحريمهم ، وقد أخذوه صحبتهم .

وغالب مساتير الناس وأصحاب المقدرة أخرجوا أيضا ماعندهم . والذى أقعده العجز ، وكان عنده



هجوم البدو على المهاجرين

مايعز عليه من مال أو مصاغ ، أعطاه لجاره أو صديقه الراحل . ومثل ذلك أمانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه . وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه ، وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن ، وفيهن الخوندات والأعيان .. فمنهم من رجع من قريب — وهم الذين تأخروا فى الخروج وبلغهم ماحصل للسابقين — ومنهم من جازف متكلا على كثرته وعزوته وخفارته ، فسلم أو عطب . وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله فى مصر ، ولا سمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين . فما راء كمن سمع !

ولما أصبح يوم الأحد المذكور ، والمقيمون لايدرون مايفعل بهم ، ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين وهم فى أسوأ حال من العرى والفزع .. تبين أن الأفرنج لم يعدوا الى البر الشرقى ، وأن الحريق كان فى المراكب . فاجتمع فى الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة الى الأفرنج وينتظروا مايكون من جوابهم ... ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم .. وآخر صحبته (١) ، فغابا وعادا فأخبرا أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة ، فقرأها عليه ترجمانه ، ومضمونها الاستفهام عن قصدهم . فقال على لسان الترجمان : « وأين عظماؤكم ومشايخكم ؟ لم تأخروا عن الحضور الينا لنرتب لهم مايكون فيه الراحة ؟ » وطمنهم وبش فى وجوههم . فقالوا : « نريد أمانا منكم » . فقال : « أرسلنا لكم سابقا » يعنون الكتاب المذكور . فقالوا : « وأيضا لأجل اطمئنان الناس » . فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها :

« من معسكر الجيزة لأهل مصر ...

« اننا أرسلنا لكم فى السابق كتابا فيه الكفاية ، وذكرنا لكم أننا ما حضرنا الا بقصد ازالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، وأخذ مال التجار ومال السلطان .

« ولما حضرنا الى البر الغربى ، خرجوا الينا ، فقابلناهم بما يستحقونه ، وقتلنا بعضهم ، وأسرنا بعضهم . ونحن فى طلبهم حتى لم يبق أحد منهم بالقطر المصرى .

---

(١) فى كتب الفرنسيين ان الذين فكروا فى فتح باب المخابرة هم جماعة من تجار الافرنج فى القاهرة ، وذكروا انهم اجتمعوا بكخيا الوالى – نائبه – واقنعوه بضرورة ذلك.
(حافظ عوض – فتح مصر الحديث ص ١٤٧)

« وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين ، وفى مساكنهم مرتاحين » ...

الى آخر ما ذكرته .

ثم قال لهم : « لا بد أن المشايخ والشوربجية يأتون الينا لنرتب له ديوانا لتنخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور » .

ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس ، وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى وآخرون الى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم . وقال : « أنتم المشايخ الكبار » فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا . فقال : « لأى شيء يهربون ؟ اكتبوا لهم بالحضور ، ونعمل لكم ديوانا لأجل راحتكم وراحة الرعية وأجراء الشريعة » . فكتبوا منه عدة مكاتبات بالحضور والأمان . ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا الى مصر ، واطمأن برجوعهم الناس ، وكانوا فى وجل وخوف على غيابهم .

وأصبحوا فأرسلوا الأمان الى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والمشايخ ، ومن انضم اليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية . وأما عمر أفندى نقيب الأشراف فانه لم يطمئن ولم يحضر ، وكذلك الروزنامجى والأفندية .

وفى ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية وأوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم بيك ومراد بيك اللذين بخطة قوصون وأحرقوهما ، ونهبوا أيضا عدة بيوت من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الأثمان .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٤ يولية ١٧٩٨ م) :

عدت الفرنساوية الى بر مصر[١] وسكن بونابرته ببيت محمد بيك الألفى بالازبكية ، بخط الساكت ، الذى أنشأه الأمير المذكور فى السنة الماضية ، وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة ، وفرشه بالفرش الفاخرة . وعند تمامه وسكناه فيه ، حصلت هذه الحادثة فأخلوه وتركوه بما فيه . فكأنه انما كان يبنيه لأمير الفرنسيس . وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية .

ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية ، استمر غالبهم بالبر الآخر ، ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ، ومشوا فى الأسواق من غير سلاح ولا تعد ، بل صاروا يضاحكون الناس ويشترون مايحتاجون اليه بأغلى ثمن .. فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريال فرانسة ، ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم [١] .

فلما رأى العامة منهم ذلك ، أنسوا بهم ، واطمأنوا لهم ، وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك .. مثل السكر والصابون والدخان والبن ، وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار ، وفتح غالب السوقة الحوانيت والقهاوى [٢]

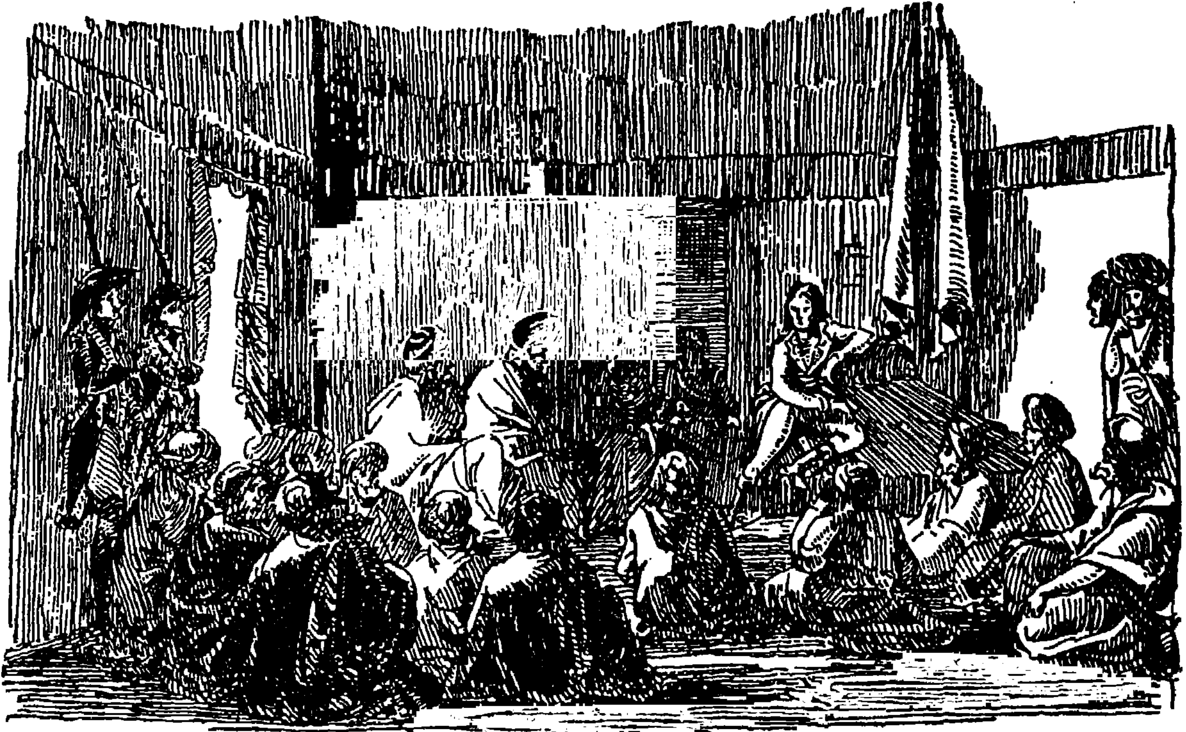
الخميس ١٢ منه (٢٦ يولية ١٧٩٨ م) :

أرسلوا بطلب المشايخ والوجاقلية عند قائمقام صارى عسكر ، فلما استقر بهم الجلوس خاطبوهم وتشاوروا معهم فى تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات . فوقع الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى

(١) يذكر حافظ عوض ان دخول نابليون القاهرة كان يوم الاربعاء ١١ صفر (٢٥ يوليو) .

(١) للاستفاضة راجع ما كتبه كاتب فرنسى فى وصف الايام الاولى التى اعقبت دخول نابليون مدينة القاهرة فى كتاب فتح مصر الحديث لاحمد حافظ عوض (ص ١٥٢)

(٢) يذكر حافظ عوض ان هؤلاء الجنود قد امتلأت جيوبهم من ذهب المماليك ولفتهم وان الاموال التى يبتاعون بها البضائع ليست اموالهم !



بونابرت يرأس اجتماع شيوخ القاهرة

والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى والشيخ مصطفى الدمنهورى والشيخ أحمد العريشى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى (١) .

وحضر ذلك المجلس أيضا مصطفى كتخدا بكر باشا والقاضى ، وقلدوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان ، وعلى أغا الشعراوى والى الشرطة ، وحسن أغا محرم أمين احتساب . وذلك باشارة أرباب الديوان ، فانهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك ، فعرفوهم أن سوقة مصر لا يخافون الا من الأتراك ، ولا يحكمهم سواهم ! وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لايتجاسرون على الظلم كغيرهم . وقلدوا ذا الفقار — كتخدا محمد بيك — كتخدا بونابرته ، ومن أرباب المشورة الخواجه موسى ... كانوا وكلاء الفرنساوى ووكيل الديوان حنا بينو .

وفيه : اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه . فذكر لهم ماوقع من نهب البيوت فقالوا له : « هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس » . فقال : « لأى شيء يفعلون ذلك ؟ وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها » . فقالوا : « هذا أمر لاقدرة لنا على منعه ، وانما ذلك من وظيفة الحكام » . فأمروا الأغا والوالى أن ينادوا بالأمان وفتح الدكاكين والأسواق والمنع من النهب ، فلم يسمعوا ولم ينتهوا . واستمر غالب الدكاكين والأسواق معطلة ، والناس غير مطمئنين . وفتح الفرنسيس بعض

(١) يذكر الدكتور محمد فؤاد شكرى فى كتاب « عبد الله جاك مينو » ان بونابرت اصدر امره بتاسيس الديوان فى ٢٥ يوليو ١٧٩٨ م . وان المجلس تالف من عشرة من المصريين هم : الشيخ الشرقاوى رئيسا والشيخ البكرى والشيخ الصاوى نائبين للرئيس والشيخ المهدى سكرتيرا والشيخ الفيومى والشيخ السرسى والشيخ الدمنهورى والشيخ العريشى والشيخ الشبرخيتى والشيخ الدواخلى اعضاء . كما ضم الديوان اليه ممثلين من جالية الافرنج فى هذه البلاد ثلاثة من الاوربيين ، هم كاف ، وولمار ، ومودوف . وعين مونج قومسيرا فرنسيا وكلف بالاشراف على اعمال الديوان . فلم يكن اعضاؤه من المصريين وحدهم .

البيوت المغلوقة التي للأمراء ودخلوها وأخذوا منها أشياء وخرجوا وتركوها مفتوحة .. فعندما يخرجون منها يدخلها طائفة الجميدية ويستأصلون ما فيها . واستمروا على ذلك عدة أيام .

ثم انهم تتبعوا بيوت الأمراء وأتباعهم وختموا على بعضها وسكنوا بعضها . فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية أو من أهل البلد ، يعلق له بنديرة على باب داره ، أو يأخذ له ورقة من الفرنسيس بخطهم يلصقها على داره .

وفيه : قلدوا برطلمين النصرانى الرومى — وهو الذى تسميه العامة « فرط الرمان » — كتخدا مستحفظان .

وركب بموكب من بيت صارى عسكر ، وأمامه عدة من طوائف الاجناد والبطالين مشاة بين يديه ، وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون • وهو لابس فروة بز عادة ، وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة .

ورتب له بيوك باشى وقلقات عينوا لهم مراكز بأخطاط البلد يجلسون بها

وسكن المذكور ببيت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين ، أخذه بما فيه من فرش ومتاع وجوار وغير ذلك .

والمذكور من أسافل نصارى الأروام العسكرية القاطنين بمصر ، وكان من الطبجية عند محمد بيك الألفى ، وله حانوت بخط الموسكى يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة

وقلدوا أيضا شخصا أفرنجيا وجعلوه أمين البحرين ، وآخر جعلوه أغات الرسالة . وجعلوا الديوان ببيت قائد أغا بالأزبكية قرب الرويعى ، وسكن به رئيس الديوان ، وسكن روتوى — قائمقام مصر — ببيت ابراهيم بيك الوالى المطل على بركة الفيل ، وسكن شيخ البلد ببيت ابراهيم بيك الكبير ، وسكن مجلون (1) ببيت مراد بيك على رصيف الخشاب ، وسكن بوسليك مدبر الحدود ببيت الشيخ البكرى القديم .

ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم ، وطلبوا الدفاتر من الكتبة

ثم ان عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئا فشيئا حتى امتلأت منها الطرقات ، وسكنوا فى البيوت ... ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ... ففجر السوقة ، وصغروا أقراص الخبز ، وطحنوه بترابه .

وفتح الناس عدة دكاكين بجوار مساكنهم يبيعون فيها أصناف المأكولات : مثل الفطير والكعك والسمك المقلى واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك .

وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة ، وخمامير وقهاوى .

وفتح بعض الافرنج البلديين بيوتا يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم فى بلادهم . فيشترى الأغنام والدجاج والخضارات والأسماك والعسل والسكر وجميع اللوازم ... ويطبخه الطباخون ، ويصنعون أنواع الأطعمة والحلاوات .

ويعمل على بابه علامة لذلك يعرفونها بينهم . فاذا مرت طائفة بذلك المكان تريد الاكل دخلوا الى ذلك المكان ، وهو يشتمل على عدة مجالس — دون وأعلى — وعلى كل مجلس علامته ومقدار الدراهم التى يدفعها الداخل فيه . فيدخلون الى مايريدون من المجالس ، وفى وسطه دكة من الخشب — وهى الخوان التى يوضع عليها الطعام ، وحولها كراسى — فيجلسون عليها ، ويأتيهم

(1) مجالون الذى قام بأعمال القنصلية الفرنسية نائبا من معه ، وقابل بونابرت فى عرض البحر قبل النزول الى الشواطىء المصرية .

(دكتور محمد فؤاد شكرى — عبد الله جاك مينو ص ١٠٢)

الفراشون بالطعام على قوانينهم ، فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه .

وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم — من غير نقص ولا زيادة — ويذهبون لحالهم .

وفيه : تشفع أرباب الديوان فى أسرى المماليك ، فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم ، فدخل الكثير منهم الى الجامع الأزهر ، وهم فى أسوأ حال ، وعليهم الثياب الزرق المقطعة ، فمكثوا به يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين به ، ويتكففون المارين . وفى ذلك عبرة للمعتبرين !

السبت ١٤ منه (٢٨ يولية ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان وطلبوا دراهم سلفة — وهى مقدار خمسمائة ألف ريال — من التجار المسلمين والنصارى والقبط والشوام وتجار الأفرنج أيضا . فسألوا التخفيف. فلم يجابوا ، فأخذوا فى تحصيلها.

وفيه : نادوا من أخذ شيئا من نهب البيوت يحضر به الى بيت قائمقام ، وان لم يفعل وظهر بعد ذلك ، حصل له مزيد الضرر . ونادوا أيضا على نساء الأمراء بالأمان ، وأنهن يسكن بيوتهن ، وان كان عندهن شىء من متاع أزواجهن يظهرنه ، فان لم يكن عندهن شىء من متاع أزواجهن يصالحن على أنفسهن ويأمن فى دورهن . فظهرت الست نفيسة زوجة مراد بيك وصالحت عن نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف بمبلغ قدره مائة وعشرون ألف ريال فرنسا ، وأخذت فى تحصيل ذلك من نفسها وغيرها . ووجهوا عليها الطلب ، وكذلك بقية النساء ، بالوسايط المتداخلين فى ذلك كنصارى الشوام والأفرنج البلديين وغيرهم ، فصاروا يعملون عليهن ارهاصات وتخويفات ، وكذلك مصالحات على الغز والأجناد المختفين والغائبين والفارين ... فجمعوا بذلك أموالا كثيرة ، وكتبوا للغائبين أوراقا بالأمان بعد المصالحة . ويختم على تلك الأوراق المتقيدون بالديوان .

الأحد ١٥ منه (٢٩ يولية ١٧٩٨ م) :

طلبوا خيول والجمال والسلاح .. فكان شيئا كثيرا ، وكذلك الأبقار والأثوار ، فحصل فيها أيضا مصالحات ، وأشاعوا التفتيش على ذلك ، وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره ، وأخذوا ما وجدوه فيها من الأسلحة .. هذا وفى كل يوم ينقلون على الجمال والحمير من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك مما لا يحصى ، ويستخرجون الخبايا والودائع ، ويطلبون البنائين والمهندسين والخدام الذين يعرفون بيوت أسيادهم ، بل يذهبون بأنفسهم ويدلونهم على أماكن الخبايا ومواضع الدفائن ، ليصير لهم بذلك قربة ووجاهة ، ووسيلة ينالون بها أغراضهم .

وفيه : قبضوا على شيخ الجميدية ، ومعه آخر ، وبندقوا عليهما بالرصاص ببركة الأزبكية ، ثم على آخرين أيضا بالرميلة . وأحضر النهابون أشياء كثيرة من الأمتعة التى نهبوها عند ما داخلهم الخوف ، ودل بعضهم على بعض .

الثلاثاء ١٧ منه (٣١ يولية ١٧٩٨ م) :

طلبوا أهل الحرف من التجار بالأسواق ، وقرروا عليهم دراهم — على سبيل القرض والسلفة — مبلغا يعجزون عنه ، وأجلوا لها أجلا مقداره ستون يوما. فضجوا واستغاثوا وذهبوا الى الجامع الأزهر والمشهد الحسينى ، وتشفعوا بالمشايخ .. فتكلموا لهم ولطفوها الى نصف المطلوب ، ووسعوا لهم فى أيام المهلة .

وفيه : شرعوا فى تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة . وخرج عدة من عساكرهم يخلعون ويقلعون أبواب الدروب والعطف والحارات ، واستمروا على ذلك عدة أيام . وداخل الناس من ذلك وهم وخوف شديد ، وظنوا ظنونا ، وحصل عندهم فساد مخيلة ووسوسة ، تجسمت فى نفوسهم بألفاظ نطقوا بها وتصوروا حقيقتها وتناقلوها فيما بينهم كقولهم :

« ان عساكر الفرنسيس عازمون على قتل المسلمين وهم فى صـلاة الجمعـة » . ومنهم من يقول غير ذلك .. وذلك بعد أن كان قد حصل عندهم بعض اطمئنان ، وفتحوا بعض الدكاكين . فلما حصلت هاتان النكتتان ، انكمش الناس ثانيا ، وارتجفت قلوبهم .

٢٠ منه (٣ اغسطس ١٧٩٨ م) :

حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة ، فذهب أرباب الديوان الى باش العسكر وأعلموه بذلك ، وطلبوا منه أمانا لأمير الحج، فامتنع وقال : لاأعطيه ذلك الا بشرط أن يأتى فى قلة ، ولا يدخل معـه مماليك كثيرة ولا عسكر .

فقالوا له : ومن يوصل الحجاج ؟ فقال لهم : أنا أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم الى مصر .

فكتبوا لأمير الحج مكاتبة بالملاطفة ، وأنه يحضر بالحجاج الى الدار الحمراء .. وبعد ذلك يحصل الخـير .. فلم تصـل اليهم الجوابات حتى كاتبهم ابراهيم بيك يطلبهم للحضـور الى جهة بلبيس .. فتوجهوا على بلبيس ، وأقاموا هناك أياما .

وكان ابراهيم بيك ومن معه ارتحل من بلبيس الى المنصورة ، وأرسلوا الحريم الى القرين .

٢٣ منه (٦ اغسطس ١٧٩٨ م) :

خرجت طائفة من العسكر الفرنساوى الىجهة العادلية ، وصار فى كل يوم تذهب طائفة بعدأخرى ويذهبون الى جهة الشرق .

الأربعاء ٢٥ منه (٨ اغسطس ١٧٩٨ م) :

فى هذه الليلة خرج كبيرهم بونابرته — وكانت أوائلهم وصلت الى الخانكة وأبىزعبل — وطلبوا كلفـة من أبى زعبـل ... فامتنعـوا . فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبـوا البلدة وأحرقـوها وارتحلوا الى بلبيس .

وأما الحجـاج فانهم نزلوا ببلبيس ، واكترت حجاج الفلاحين مع العرب ، فأوصلوهم الىبلادهم بالغربية والمنوفية والقليوبية وغيرها . وكذلك فعل الكثير من الحجاج ، فتفرقوا فى البلاد بحريمهم ، ومنهم من أقام ببلبيس . وأما أمير الحج صالح بيك فانه لحق بابراهيم بيك وصحبته جماعة من التجار وغيرهم .

٢٨ منه (١١ اغسطس ١٧٩٨ م) :

ملك الفرنساوية مدينة بلبيس من غير قتال ، وبها من بقى من الحجاج ، فلم يشـوشوا عليهم وأرسـلوهم الى مصر ، وصحبتهـم طائفـة من عساكرهم ، ومعهم طبل .

الاحد غايته (١٢ اغسطس ١٧٩٨ م) :

جاءالرائد ليلا الىالأمراء بالمنصورة ، وأخبرهم بوصـول الافرنج وقربهم منهـم . فركبوا نصف الليل وترفعوا الى جهة القرين ، وتركوا التجـار وأصحاب الأثقال ... فلما طلع النهار حضر اليهم جماعة منالعربان، واتفقوا معهمعلىأنهم يحملونهم الى القرين ، وحلفوا لهم ، وعاهدوهم على أنهم لايخونونهم .

فلما توسطوا بهم الطريق ، نقضوا عهـدهم ، وخانوهم ، ونهبوا حمولهم ، وتقـاسموا متاعهم وعروهم من ثيابهم — وفيهم كبير التجـار السيد أحمد المحروقى ، وكان ما يخصـه نحو ثلاثمائة ألف ريال فرانسه نقودا ومتجرا من جميع الأصناف الحجازية — وصنعتالعرب معهم ما لا خير فيه

ولحقهم عسكر الفرنساوية .. فذهب السيد أحمد المحروقى الى سارى عسكر وواجهه — وصحبته جماعة من العرب المنافقين — فشـكا له ماحل به وباخوانه .. فلامهم علىتقلقهم وركونهمالى المماليك والعرب . ثم قبض على أبى خشـبة شـيخ بلد القرين ، وقال له : « عرفنى عن مكان المنهوبات » . فقال : « أرسل معى جماعة الى القرين » . فأرسل

معه جماعة دلهم على بعض الأحمال ، فأخذها الافرنج ورفعوها ، ثم تبعوه الى محل آخر ، فأوهمهم أنه يدخل ويخرج اليهم أحمالا كذلك .. فدخل وخرج من مكان آخر وذهب هاربا !

فرجع أولئك العسكر بجمل ونصف جمل لاغير ،



معركة ابى قير البحرية

وقالوا : « هذا الذى وجدناه ، والرجل فر من أيدينا » . فقال سارى عسكر : « لابد من تحصيل ذلك » . فطلبوا منه الاذن فى التوجه الى مصر ، فأصحب معهم عدة من عسكره أوصلوهم الى مصر ، وأمامهم طبل ، وهم فى أسوأ حال ... وصحبتهم أيضا جماعة من النساء اللاتى كن خرجن ليلة الحادثة ، وهن أيضا فى أسوأ حالة ... تسكب عند مشاهدتهن العبرات !

ربيع الأول

الثلاثاء ٢ منه (١٤ اغسطس ١٧٩٨ م) :

وصل الفرنساوية الى نوحى القرين . وكان ابراهيم بيك ومن معه وصلوا الى الصالحية وأودعوا مالهم وحريمهم هناك ، وضمنوا عليها العربان وبعض الجند . فأخبر بعض العرب الفرنساوية بمكان الحملة . فركب سارى عسكر وأخذ معه الخيالة ، وقصد الاغارة على الحملة . وعلم ابراهيم بيك بذلك أيضا ، فركب هو وصالح بيك وعدة من الأمراء والمماليك وتحاربوا معهم ساعة أشرف فيها الفرنسيس على الهزيمة لكونهم على الخيول ، واذا بالخبر وصل الى ابراهيم بيك بأن العرب مالوا على الحملة يقصدون نهبها ... فعند ذلك فر بمن معه على أثره ، وتركوا قتال الفرنسيس ، ولحقوا بالعرب وجلوهم عن متاعهم وقتلوا منهم عدة ، وارتحلوا الى قطيا ، ورجع سارى عسكر الى مصر .

الخميس ٤ منه (١٦ اغسطس ١٧٩٨ م) :

دخل سارى عسكر مصر ليلا بعد أن ترك عدة من عساكره متفرقين فى البلاد .

الجمعة ٥ منه (١٧ اغسطس ١٧٩٨ م) :

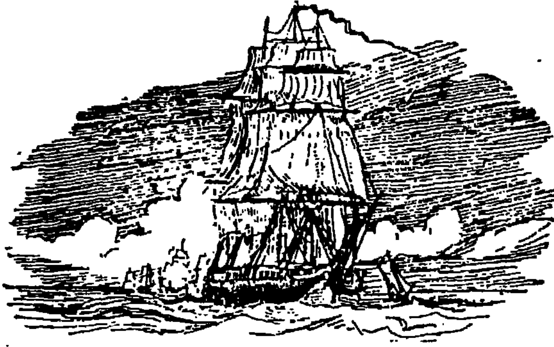
كان وفاء النيل المبارك ، فأمر سارى عسكر بالاستعداد وتزيين العقبة كالعادة ، وكذلك زينوا عدة مراكب وغلايين ، ونادوا على الناس بالخروج الى النزهة فى النيل والمقياس والروضة على عادتهم .

وأرسل صارى عسكر أوراقا لكتخدا الباشا والقاضى وأرباب الديوان وأصحاب المشورة والمتولين للمناصب وغيرهم بالحضور فى صبحها . وركب صحبتهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره الى قصر قنطرة السد ، وكسروا الجسر بحضرتهم ، وعملوا شنك مدافع وتفوطا حتى جرى الماء فى الخليج ، وركب — وهم صحبته — حتى رجع الى داره . وأما أهل البلد فلم يخرج منهم أحد تلك الليلة للتنزه فى المراكب على العادة سوى النصارى الشوام والقبط والأروام والافرنج البلديين ونسائهم (١) ، وقليل من الناس البطالين حضروا فى صبحها .

وفيه : تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الانكليز الى ثغر الاسكندرية ، وأنهم حاربوا مراكب الفرنساوية الراسية بالميناء . وكانت أشيعت هذه الأخبار قبل ، وتحدث الناس بها .. فصعب ذلك على الفرنساوية .

واتفق أن بعض النصارى الشوام نقل عن رجل شريف ، يسمى السيد أحمد الزرو من أعيان التجار بوكالة الصابون ، أنه تحدث بذلك ، فأمروا باحضاره وذكروا له ذلك ، فقال : « أنا حكيت ماسمعته من فلان النصرانى » . فأحضروه أيضا وأمروا بقطع لسانيهما أو يدفع كل واحد منهما مائة ريال فرانسه نكالا لهما وزجرا عن الفضول فيما لايعنيهما. فتشفع المشايخ.. فلم يقبلوا. فقال بعضهم: أطلقوهما ونحن نأتيكم بالدراهم ... فلم يرضوا . فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى وأحضر مائتى ريال ودفعها فى الحضرة . فلما قبضها الوكيل ردها ثانيا اليه ، وقال : فرقها على الفقراء . فأظهر أنه فرقها كما أشار ، وردها الى صاحبها ... فانكف الناس عن التكلم فى شأن ذلك .

والواقع أن الانكليز حضروا فى اثرهم الى الثغر ، وحاربوا مراكبهم فنالوا منهم ، وأحرقوا القايق الكبير المسمى بنصف الدنيا (١) ، وكان به



السفينة « الشرق »

أموالهم وذخائرهم وكان مصفحا بالنحاس الأصفر . واستمر الانكليز بمراكبهم بميناء الأسكندرية يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيس (٢) .

وفى ذلك اليوم سافر عدة من عساكرهم الى بحرى والى الشرقية . ولما جرى الماء فى الخليج منعوا دخول الماء الى بركة الأزبكية ، وسدوا قنطرة الدكة بسبب وطاقهم ومدافعهم وآلتهم التى فيها .

وفيه : سأل صارى عسكر عن المولد النبوى ولماذا لم يعملوه كعادتهم . فاعتذر الشيخ البكرى بتعطيل الأمور وتوقف الأحوال . فلم يقبل وقال : « لا بد

---

(١) أراد نابليون الاحتفال بوفاء النيل لاخفاء مظاهر الحزن التى كانت تختلج فى قلوب الفرنسيين لضياع أسطولهم فى معركة ابى قير البحرية - وكانت قد اذيعت فى ذلك اليوم نفسه - وتهدد الفرنسيون من اذاعوها باشد انواع العقاب .

(عبد الرحمن الرافعى تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٦٨)

(١) يريد البارجة أوريان (الشرق) ، ولعلها سميت فى مصر (نصف الدنيا) اشارة الى عظمها او اشارة الى ان اسمها (الشرق) ومن الشرق والغرب تتكون الدنيا .

(الرافعى - تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٢٥)

(٢) كانت تتقدم أسطول الاميرال نلسن عند اقترابه من خليج ابى قير سفينة مصرية . والمرجح ان هذه السفينة كانت تقل جماعة من البحارة المصريين تقدموا ليرشدوا الاسطول الانجليزى الى مسالك البحر فى تلك الجهة ، يساعدونه بذلك على الاسطول الفرنسى .

(الرافعى - تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٢٠)

من ذلك » . وأعطى له ثلثمائة ريال فرانسه معاونة . وأمر بتعليق تعاليق وأحبال وقناديل .

واجتمع الفرنساوية يوم المولد ولعبوا ميادينهم ، وضربوا طبولهم ودبادبهم ، وأرسل الطبلخانة الكبيرة الى بيت الشيخ البكرى ، واستمروا يضربونها بطول النهار والليل بالبركة تحت داره — وهى عبارة عن طبلات كبار مثل طبلات النوبة التركية ، وعدة آلات ومزامير مختلفة الأصوات مطربة — وعملوا فى الليل حراقة نفوط مختلفة وسواريخ تصعد فى الهواء .

وفيه : ألبس الشيخ البكرى فروة ، وتقلد نقابة الأشراف ، ونودى فى المدينة بأن كل من كان له دعوى على شريف فليرفعها الى النقيب .

وفيه : ورد الخبر بأن ابراهيم بيك والأمراء المصرية ... استقروا بغزة .

الاثنين ١٥ منه (٢٧ أغسطس ١٧٩٨ م) :

سافر عدة كبيرة من عسكر الفرنساوية الى جهة الصعيد وكبيرهم ديزيه ، وصحبتهم يعقوب القبطى ، ليعرفهم الأمور ويطلعهم على المخبآت .

وفيه : حضر القاصد الذى كان أرسله كبير الفرنساوية بمكاتبات وهدية الى أحمد باشا الجزار بعكا — وذلك عند استقرارهم بمصر — وصحبته أنفار من النصارى الشوام فى صفة تجار ومعهم جانب أرز ، ونزلوا من ثغر دمياط فى سفينة من سفائن أحمد باشا . فلما وصلوا الى عكا وعلم بهم أحمد باشا ، أمر بذلك الفرنساوى فنقلوه الى بعض النقاير ، ولم يواجهه ولم يأخذ منه شيئا ، وأمره بالرجوع من حيث أتى ، وعوق عنده نصارى الشوام الذين كانوا بصحبته .

وفيه : حضر جماعة من عسكر الفرنساوية الى بيت رضوان كاشف بباب الشعرية وصحبتهم ترجمان ومهندس ... فانزعجت زوجته . وكانت قبل ذلك بأيام صالحت على نفسها وبيتها بألف ريال وثلاثمائة ريال ، وأخذت منهم ورقة ألصقتها على باب دارها ، وردت ماكانت وزعته من المال والمتاع عند معارفها .. واطمأنت .

فلما حضر اليها الجماعة المذكورون قالوا لها : « بلغ صارى عسكر أن عندك أسلحة وملابس للمماليك » . فأنكرت ذلك ، فقالوا : « لازم من التفتيش » . فقالت : « دونكم » . فطلعوا الى مكان وفتحوا مخبأة فوجدوا بها أربعة وعشرين شروالا وبلكات وأمتعة وغير ذلك . ووجدوا فى أسفلها مخبأة أخرى بها عدة كثيرة من الأسلحة والبنادق والطبنجات وصناديق بارود وغير ذلك ... فاستخرجوا جميع ذلك ، ثم نزلوا الى تحت السلالم ، وفجروا الأرض وأخرجوا منها دراهم كثيرة وحجاب ذهب فى داخله دنانير . ثم أنزلوا صاحبة



ميناء دمياط



مملوك مدجج بالسلاح

الدار ، ومعهــا جارية بيضاء ، وأخــذوهما مــع الجوارى السود وذهبوا بهن ... فأقمن عنــدهم ثلاثة أيام ، ونهبوا ما وجـــدوه بالدار من فرش وأمتعة . ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى ، قامت بدفعها ... وأطلقوها . فرجعت الى دارها . وبسبب هذه الحادثة شددوا فى طلب الأسلحة ، ونادوا بذلك ، وأنهم بعــد ثلاثة أيام يفتشــون البيوت .. وقال الناس : ان هــذه حيلة على نهب البيوت . ثم بطل ذلك .

السبت ٢٠ منه (اول سبتمبر ١٧٩٨ م):

قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على امارة الحج ، فحضروا الى المحكمة عند القاضى ، ولبس هنــاك الخلعــة بحضرة مشايخ الديوان ، والتزم بونابرته بتشهيل مهمات الحج وعلل محلا جديدا .

وفيه : سأل أصحاب الحصص الالتزام فى التصرف فى حصصهم ، فطلبوا منهم حلوانا ... فلم يرتضوا بذلك . فواعدهم لتمام التحرير والاملاء ، وقالوا : « كل من كان له التزام وتقسيط ناطق باســمه ، يحضره ويمليه » . ففعلوا ذلك فى عدة أيام .

وفيــه : قدروا فرضــة من المال على القرى والبلاد . ونشروا بذلك أوراقا ، وذكروا فيها أنها تحسب من المال . وقيدوا بذلك الصــيارف من القبط ، ونزلوا فى البــلاد — مثل الحــكام — يحبسون ويضربون ويشددون فى الطلب .

وفيه : طلب صارى عسكر بونابارته المشايخ . فلما استقروا عنــده ، نهض بونابارته من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان ، كل طيلسان ثلاثة عروض : أبيض وأحمــر وكحلى . فوضع منها واحــدا على كتف الشيخ الشرقاوى فرمى به الى الأرض واستعفى ، وتغير مزاجــه وانتقع لونه ، واحتد طبعه .

فقال الترجمان : يامشــايخ أنتم صرتم أحبابا لصارى عسكر ، وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلاماته ، فان تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس ، وصار لكم منزلة فى قلوبهم فقالوا له : لكن قدرنا يضيع عند الله وعند اخواننا من المسلمين . فاغتاظ لذلك ، وتكلم بلســانه ، وبلغ عنه بعض المترجمين أنه قال عن الشيخ الشرقاوى : انه لا يصلح للرياسة ، ونحو ذلك . فلاطفــه بقيــة الجماعة ، واستعفوه من ذلك . فقال : ان لم يكن ذلك فلازم من وضعكم الجوكار فى صدوركم — وهى العلامة التى يقال لهــا الوردة — فقالوا : أمهلونا حتى نتروى فى ذلك ... واتفقوا على اثنى عشر يوما .

وفى ذلك الوقت حضر الشــيخ الســادات باستدعاء ، فصادفهم منصرفين . فلما اســتقر به

الجلوس ، بش له وضاحكه صارى عسكر ، ولاطفه فى القول الذى يعربه الترجمان ، وأهدى له خاتم ألماس ، وكلفه الحضور فى الغد عنده ، وأحضر له جوكار أوثقه بفراجته ... فسكت وسايره ، وقام وانصرف . فلما خرج من عنده رفعه ... على أن ذلك لايخل بالدين !

وفى ذلك اليوم . نادى جماعة القلقات على الناس بوضع العلامات المذكورة المعروفة بالوردة — وهى اشارة الطاعة والمحبة — فأنف غالب الناس من وضعها ، وبعضهم رأى أن ذلك لايخل بالدين اذ هو مكره ، وربما ترتب على عدم الامتثال الضرر .. فوضعها !

ثم فى عصر ذلك اليوم نادوا بابطالها من العامة ، وألزموا بعض الأعيان ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها ، فكانوا يضعونها اذا حضروا عندهم ، ويرفعونها اذا انفصلوا عنهم ، وذلك أيام قليلة ، وحصل مايأتى ذكره ، فتركت .

وفى أواخره كان انتقال الشمس لبرج الميزان ، وهو الاعتدال الخريفى ، فشرع الفرنساوية فى عمل عيدهم ببركة الأزبكية . وذلك اليوم كان ابتداء قيام الجمهور ببلادهم ، فجعلوا ذلك اليوم عيدا وتاريخا .. فنقلوا أخشابا ، وحفروا حفرا ، وأقاموا بوسط بركة الأزبكية صاريا عظيما بآلة وبناء ، وردموا حوله ترابا كثيرا عاليًا بمقدار قامه ، وعملوا فى أعلاه قالبا من الخشب محدد الأعلى ، مربع الأركان ، ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشا ثخينا طلوه بالحمرة الجزعة ، وعملوا أسفله قاعدة نقشوا عليها تصاوير سواد فى بياض ، ووضعوا قبالة باب الهواء بالبركة شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مقفص ، وكسوها بالقماش المدهون مثل لون الصارى .

وفى أعلى القوصرة طلاء أبيض ، وبه تصاوير بالأسود ، مصور فيه مثل حرب المماليك المصريه معهم ، وهم فى شبه المنهزمين ... بعضهم واقع على بعض ، وبعضهم ملتفت الى خلف .

وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى بناحية قنطرة الدكة التى يدخل منها الماء الى البركة ، مثال بوابة أخرى على غير شكلها لأجل حراقة البارود ، وأقاموا أخشابا كثيرة منتصبة مصطفة منها الى البوابة الأخرى ، شبه الدائرة ، متسعة محيطة بمعظم فضاء البركة بحيث صار عمود الصارى الكبير المنتصف المذكور فى المركز ، وربطوا بين تلك الأخشاب حبالا ممتدة ، وعلقوا بها صفين من القناديل ، وبين ذلك تماثيل لحراقة البارود أيضا ... وأقاموا فى عمل ذلك عدة أيام

ربيع الآخر

الأربعاء أوله (١٢ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن مراد بيك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم ، رجعوا الى جهة الفيوم . وأن عثمان بيك الأشقر عدى الى البر الشرقى وذهب من خلف الجبل الى أستاذه ابراهيم بيك بغزة . وخرج جماعة من الفرنساوية الى جهة الشرق ، ومعهم عدة جمال وأجمال ، فخرج عليهم الغز والعرب الذين يصحبونهم ، فأخذوا منهم عدة جمال بأحمالها ولم يلحقوهم .

الجمعة ٣ منه (١٤ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

حضرت مكاتبة من ابراهيم بيك خطابا للمشايخ وغيرهم مضمونها : أنكم تكونون مطمئنين ومحافظين على أنفسكم والرعية ، وأن حضرة مولانا السلطان وجه لنا عساكر وان شاء الله تعالى عن قريب نحضر عندكم .

فلما وردت تلك المكاتبة — وقد كان سأل عنها بونابرته — فأرسلوها له ، وقرئت عليه فقال : المماليك كذابون .

ووافق أيضا أنه حضر أغا رومى — وكان معوقا بالاسكندرية — فمر بالشارع ، ودهب لزيارة المشهد الحسينى، فشاهده الناس فاستغربوا هيئته، وفرحوا برؤيته ، وقالوا : هذا رسول الجى حضر من عند السلطان بجواب الى الفرنسيس يأمرهم بالخروج من مصر .

واختلفت رواياتهم وآراؤهم وأخبارهم ، وتجمعوا بالمشهد الحسينى ، وتبع بعضهم بعضا . وصادف ذلك أن بونابرته فى ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس ، أنه ورد مكتوب الى المشايخ أيضا وأخفوه . فركب من فوره ، وحضر الى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسينى — وكان الوقت بعد الظهر — فدخل على حين غفلة — ولم يكن تقدم له مجيء — وهو فى كبكبة وخيول كثيرة وعساكر... فانزعج الشيخ — وكان منحرف المزاج — ونزل اليه ، وهو لايعرف السبب فى مجيئه فى مثل هذا الوقت على هذه الصورة ... فعندما شاهده سأله عن ذلك المكتوب ، فقال : لاعلم لى بذلك . ولم يكن بلغه الخبر . ثم جلس مقدار ساعة ، وركب ومر بعسكره وطوافيه من باب المشهد ... والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع والخطة ، وهم يلغطون ويخلطون . فلما نظروه ، وشاهد هو جمعيتهم ، داخله أمر من ذلك ، فصاحوا بأجمعهم ، وقالوا بصوت عال : « الفاتحة » !

فشخص اليهم وصار يسأل من معه عن ازدحامهم ، فلطفوا له القول ، وقالوا له : انهم يدعون لك وذهب الى داره ...

وكانت نكتة غريبة ، وساعة اتفاقية عجيبة كاد ينشأ منها فتنة !

وفيه : شرعوا فى خلع البوابات والدروب الغير النافذة أيضا . ونقلوا الجميع الى بركة الأزبكيه ، عند رصيف الخشاب ، والبوابة الكبيرة يقطعونها نصفين ، ويرفعونها بالعتالين إلى هناك . فاجتمع من ذلك شيء كثير جدا ، وامتلأ من رصيف الخشاب الى قريب وسط البركة .

السبت ١١ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

كان يوم عيدهم الموعود به ، فضربوا فى صبيحته مدافع كثيرة ، ووضعوا على كل قائم من الخشب نديرة من بنديراتهم الملونة ، وضربوا طبولهم . واجتمعت عساكرهم بالبركة ، الخيالة والرجالة ، واصطفوا صفوفا على طرائقهم المعروفة بينهم ، ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبط والشوام ... فاجتمعوا ببيت صارى عسكر بونابرته ، وجلسوا حصة من النهار ، ولبسوا فى ذلك اليوم ملابس الافتخار ، ولبس المعلم جرجس الجوهرى فركة ، بطرز قصب على أكتافها الى أكمامها ، وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار ، وكذلك فلتيوس .. وتعمموا بالعمائم الكشميرى ، وركبوا البغال الفارهة ، وأظهروا البشر والسرور فى ذلك اليوم الى الغاية .

ثم نزل عظماؤهم — وصحبتهم المشايخ والقاضى ، وكتخدا الباشا — فركبوا وذهبوا عند الصارى الكبير الموضوع بوسط البركة .. وقد كانوا فرشوا فى أسفله بسطا كثيرة

ثم ان العساكر لعبوا ميداناتهم ، وعملوا هيئة حربهم ، وضربوا البنادق والمدافع .. فلما انقضى ذلك اصطفت العساكر صفوفا حول ذلك الصارى ، وقرأ عليهم كبير قسوسهم ورقة بلغتهم لا يدرى معناها الا هم ، وكأنها كالوصية أو النصيحة أو الوعظ . ثم قاموا وانفض الجمع .

ورجع صارى عسكر الى داره فمد سماطا عظيما للحاضرين .

فلما كان عند الغروب ، أوقدوا جميع القناديل التى على الحبال والتماثيل والأحمال التى على

البيوت . وعندالعشاء عملوا حراقةبارودوسواريخ ونفوط وشبه سواقى ودواليب من قار ، ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل ، واستمرت القناديل موقدة حتى طلع النهار . ثم فكوا الحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة ، وبقيت البوابة المقابلة لباب الهواء ، والصارى الكبير وتحته جماعة ملازمون الاقامة عنده ليلا ونهارا من عساكرهم ، لأنه شعارهم ، واشارة الى قيام دولتهم فى زعمهم .

وفى ثانى ليلة : ركب كبيرهم الى بر الجيزة وسفر عساكر الى الجهة التى مر بها مراد بيك . وكذلك الى جهة الشرقية ومعهم مدافع على عجل .

وفيه : أرسل دبوى قائمقام الى الست نفيسة ، وطلب منها احضار زوجة عثمان بيك الطنبرجى . فأرسلت الى المشايخ تستغيث بهم . فحضر اليها الشيخ محمد المهدى والشيخ موسى السرسى ، وقصدوا منعها .. فلم يمكنهم ، فذهبوا صحبتها ، ونظروا فى قصتها .

والسبب فى طلبها أنهم وجدوا رجلا فراشا معه جانب دخان وبعض ثياب ، فقبضوا عليه وقرروه ، فأخبر أنه تابعها وأنها أعطته ذلك ووعدته بالرجوع اليها لتسلمه شبكى دخان وفروه وخمسمائة محبوب ليوصل ذلك الى سيده ... فهذا هو السبب فى طلبها .

فقالوا : وأين الفراش ؟ فبعثوا لاحضاره ، وسألوها ، فأنكرت ذلك بالمرة .. فانتظروا حضور الفراش الى بعد الغروب ... فلم يحضر . فقال لهم المشايخ : دعوها تذهب الى بيتها ، وفى غد نأتى ونحقق هذه القضية . فقال دبوى : « نو نو » ، ومعناه بلغتهم النفى ، أى لا تذهب . فقالوا له : دعها تذهب هى ونحن نبيت عوضا عنها .. فلم يرض أيضا ، وعالجوا فى ذلك بقدر طاقتهم . فلما أيسوا تركوها ومضوا .. فباتت عندهم فى ناحية من البيت ، وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الافرنجيات .

فلما أصبح النهار ركب المشايخ الى كتخدا الباشا والقاضى ، فركبا معا وذهبا الى بيت صارى عسكر الكبير .. فأحضرها وسلمها الى القاضى .. ولم يثبت عليها شىء من هذه الدعوى . وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسه ، وذهبت الى بيت لها مجاور لبيت القاضى وأقامت فيه لتكون فى حمايته .



بيت القاضى

الخميس ١٦ منه (٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م) .

نادوا فى الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يذهب بها الى بيت قائمقام ببركة الفيل ويأخذ ثمنها ، واذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ، ويدفع ثلثمائة ريال فرانسه ، وان أحضرها باختياره يأخذ فى ثمنها خمسين ريالا ، قلت قيمتها أو كثرت ، فغنم صاحب الخسيس ، وخسر صاحب النفيس . ثم ترك ذلك .

وفيه : نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق ، وأن يكون على كل دار قنديل ، وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل ، وأن يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات .

وفيه : نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين البطالين ليسافروا الى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستاهل الذى يجرى عليه . وكرروا المناداة بذلك ، وأجلوهم بعدها أربعا وعشرين ساعة . فذهبت جماعة من المغاربة الى

صارى عسكر وقالوا له : أرنا طريقا للذهاب ، فان طريق البر غير مسلوكة ، والانجليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ، ولا تقدر على المقام فى الاسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها ... فتركهم .

وفيه : جعلوا ابراهيم أغات المتفرقة المعمار قبطان السويس . وسافرمعه أنفار ببيرق فرنساوى ، فخرج عليهم العربان فى الطريق فنهبوهم وقتلوا ابراهيم أغا المذكور ومن بصحبته ولم يسلم منهم الا القليل .

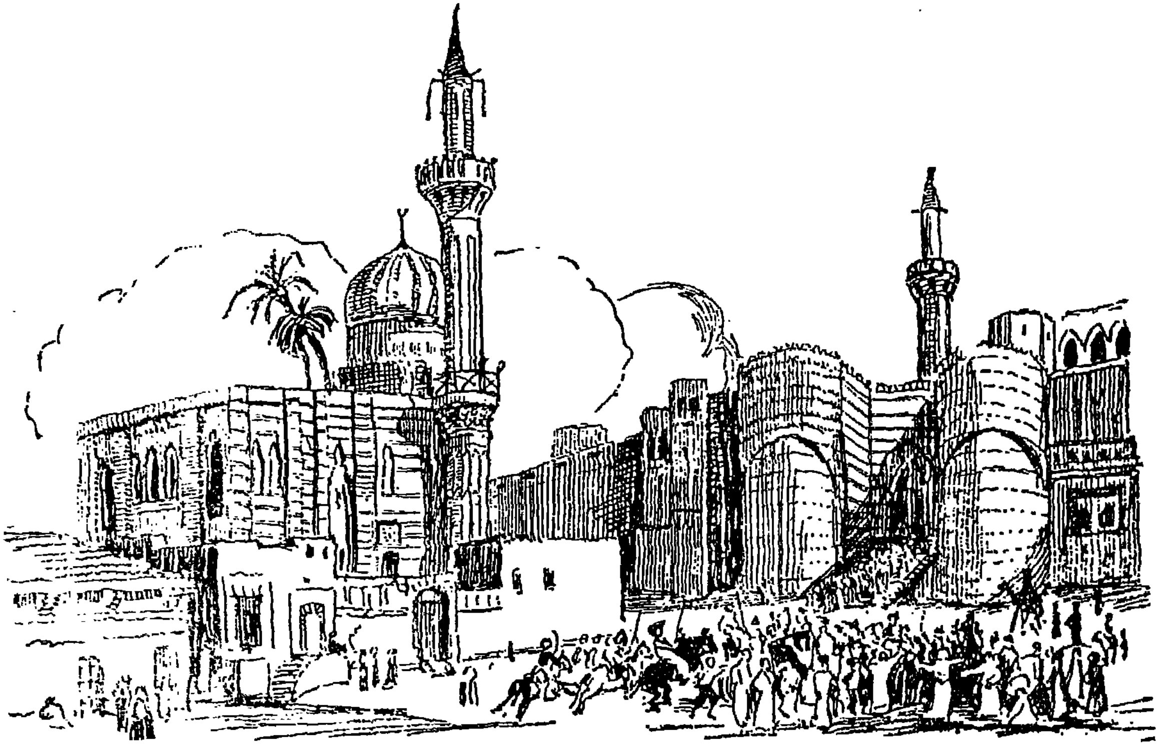
وفيه : أهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ ببيت قائد أغا . فاستمروا أياما يذهبون ، فلم يأتهم أحد ، فتركوا الذهاب .. فلم يطلبوا .

وفيه : شرعوا فى ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضايا ، وكتبوا فى شأن ذلك طومارا وشرطوا فيه شروطا ، ورتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط وستة أنفار من تجار المسلمين ، وجعلوا قاضيه الكبير ملطى القبطى الذى كان كاتبا عند أيوب بيك الدفتردار ، وفوضوا اليهم القضايا فى أمور التجار والعامة والمواريث والدعاوى . وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركانا من البدع السيئة ، وكتبوا نسخا من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها الى الأعيان ، وألصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورؤوس العطف وأبواب المساجد ، وشرطوا فى ضمنه شروطا ، وفى ضمن تلك الشروط شروطا أخرى ... بتعبيرات سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير ، لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ...

ومحصله التحيل على أخذ الأموال . كقولهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحججهم وتمسكاتهم الشاهدة لهم بالتمليك . فاذا أحضروها ، وبينوا وجه تملكهم لها اما بالبيع أو الانتقال لهم بالارث .. لايكتفى بذلك ، بل يؤمر بالكشف عليها فى السجلات ، ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عينوه فى ذلك الطومار . فان وجد تمسكه مقيدا بالسجل .. طلب منه بعد ذلك الثبوت . ويدفع على ذلك الاشهاد ، بعد ثبوته وقبوله ، قدرا آخر ، ويأخذ بذلك تصحيحا ، ويكتب له بعد ذلك تمكين . وينظر بعد ذلك فى قيمته ، ويدفع على كل مائة اثنين . فان لم يكن له حجة ، أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل ، أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد .. فانها تضبط لديوان الجمهور وتصير من حقوقهم ! !

وهذا شىء متعذر . وذلك أن الناس انما وضعوا أيديهم على أملاكهم اما بالشراء ، واما بأيلولتها لهم من مورثهم ، أو نحو ذلك بحجة قريبة أوبعيدة العهد ، أو بحجج أسلافهم ومورثيهم . فاذا طولبوا باثبات مضمونها ، تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار ، أو ربما حضرت الشهود .. فلم تقبل . فان قبلت .. فعل به ما ذكر .

ومن جملة الشروط مقررات على المواريث والموتى ، ومقاديرها متنوعة فى القلة والكثرة .. كقولهم : اذا مات الميت .. يشاورون عليه ، ويدفعون معلوما لذلك ، ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة . فاذا بقيت أكثر من ذلك ... ضبطت للديوان أيضا ، ولا حق للورثة فيها . وان فتحت على الرسم باذن الديوان ... يدفع على ذلك الاذن مقررا . وكذلك على ثبوت الورثة ، ثم عليهم - بعد قبض مايخصهم - مقرر . وكذلك من يدعى دينا على الميت .. يثبته بديوان الحشريات . ويدفع على اثباته مقررا ، ويأخذ له ورقة يتسلم بها دينه . فاذا تسلمه .. دفع مقررا أيضا . ومثل ذلك فى الرزق والأطيان بشروط وأنواع ، وكيفية أخرى غير ذلك . والهبات والمبايعات والدعاوى ، والمنازعات والمشاجرات والاشهادات - الجزئيات والكليات - والمسافر كذلك لايسافر الا بورقة ، ويدفع عليها قدرا . وكذلك المولود اذا ولد ... ويقال له « اثبات الحياة » . وكذلك المؤاجرات ، وقبض أجر الأملاك ... وغير ذلك .



ميدان الرميلة وجامع المحمودية وباب العزب

وفيه : نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام فى أمور الدولة . فاذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحين أو مهزمين ، لا يسخرون بهم ، ولا يصفقون عليهم كما هى عادتهم !

وفيه : نهبوا أمتعة عسكر القلينجية الذين كانوا عسكرا عند الأمراء ، فأخذوا مكانا بوكالةعلى بيك بساحل بولاق وبالجمالية . وأخذوا متاعهم ومتاع شركائهم محتجين بأنهم قاتلوا مع المماليك وهربوا معهم .

وفيه : أحضروا محمد كتخدا أبا سيف الذى كان سردارا بدمياط من طرف الأمراء المصريين . وكان سابقا كتخدا حسن بيك الجداوى . فلما حضر حبسوه فى القلعة وحبسوا معه فراشا لابراهيم بيك .

وفيه : أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول الى المدينة ليسكنوا بها . فنزلوا وأصعدوا الى القلعة مدافع ركزوها بعده مواصع وهدموا بها أبنية كثيرة ، وشرعوا فى بناء حيطان وكرانك وأسوار ، وهدموا أبنية عالية ، وأعلوا مواضع منخفضة ، وبنوا على بدنات باب العزب بالرميلة وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحوا ماكان بها من معالم السلاطين وآثار الحكماء والعظماء وما كان فى الأبواب العظام من الأسلحة والدرق والبلط والخوذات والحراب الهندية وأكر الفداوية ، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك والسلاطين ، ذوات الأركان الشاهقة والأعمدة الباسقة .

وفيه : عينت عساكر الى مراد بيك ، وذهبوا اليه ببحر يوسف جهة الفيوم .

وفيه : نودى بأن كل من تشاجر مع نصرانى أو يهودى أو تشاجر معه نصرانى أو يهودى يشهد

أحد الخصمين على الآخر ويطلبه لبيت ساري عسكر .

وفيه : قتلوا شخصين وطافوا برءوسهما وهم ينادون عليهما ويقولون : « هـذا جزاء من يأتى بمكاتيب من عند المماليك أو يذهب اليهم بمكاتيب » .

وفيه : نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن كتربة الأزبكية والرويعى ، ولا يدفنون الموتى الا فى القرافات البعيدة ، والذى ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته فى ترب المماليك . واذا دفنوا يبالغون فى تسفيل الحفر .

ونادوا أيضا بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام ، وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة ... كل ذلك للخوف من حصول الطاعون وعدواه . ويقولون : ان العفونة تنحبس بأغوار الأرض . فاذا دخل الشتاء ، وبردت الأغوار بسريان النيل والأمطار والرطوبات ... خرج ماكان منحبسا فى الأرض من الأبخرة الفاسدة ، فيتعفن الهواء ، فيحصل الوباء والطاعون .

ومن قولهم أيضا : ان مرض مريض لابد من الاخبار عنه ، فيرسلون من جهتهم حكيما للكشف عليه ان كان مرضه بالطاعون أو بغيره ، ثم يرون رأيهم فيه .

السبت ١٨ منه (٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

ذهبت جماعة من القواسة الذين يخدمون الفرنساوية وشرعوا فى هدم التراكيب المبنية على المقابر بتربة الأزبكية وتمهيدها بالأرض .

فشاع الخبر بذلك ، وتسامع أصحاب الترب بتلك البقعة ، فحرجوا من كل حدب ينسلون — وأكثرهم النساء الساكنات بحارات المدابغ وباب اللوق وكوم الشيخ سلامة والفوالة والمناصرة وقنطرة الأمير حسين وقلعة الكلاب ... الى أن صاروا كالجراد المنتشر ، ولهم صياح وضجيج .

واجتمعوا بالأزبكية ووقفوا تحت بيت سارى عسكر . فنزل لهم المترجمون ، واعتذروا بأن سارى عسكر لا علم له بذلك الهدم ، ولم يأمر به ، وانما أمر بمنع الدفن فقط ... فرجعوا الى أماكنهم ، ورفع الهدم عنهم .

وفيه : كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه الى السلطان وآخر الى شريف مكة . ثم انهم بصموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق .. وصورته — ملخصا بعد الصدور — ذكر ورودهم وقتالهم مع المماليك وهروبهم . وأن جماعة من العلماء ذهبت اليهم بالبر الغربى فأمنوهم . وكذلك الرعية دون المماليك . وذكروا فيه أنهم من أخصاء السلطان العثمانى وأعداء أعدائه ، وأن السكة والخطبة باسمه ، وشعائر الاسلام مقامة على ماهى عليه . وباقيه بمعنى الكلام السابق ... من قولهم انهم مسلمون وانهم يحترمون القرآن والنبى وأنهم أوصلوا الحجاج المتشتتين وأكرموهم ، وأركبوا الماشى ، وأطعموا الجيعان ، وسقوا العطشان ، واعتنوا بيوم الزينة : يوم جبر البحر ، وعملوا له شأنا ورونقا استجلابا لسرور المؤمنين ، وأنفقوا أموالا برسم الصدقة على الفقراء . وكذلك اعتنوا بالمولد النبوى ، وأنفقوا أموالا فى شأن انتظامه . واتفق رأينا ورأيهم على لبس حضرة الجناب المحترم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا ، والى مصر حالا . فاستحسنا ذلك لبقاء علفة الدولة العلية . وهم أيضا مجتهدون فى اتمام مهمات الحرمين ، وأمرونا أن نعلمكم بذلك والسلام .

وفيه : وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات : وهى أن رجلا صيرفيا بجوار حارة الجوانية وقع من لفظه أنه قال : « السيد أحمد البدوى بالشرق والسيد ابراهيم الدسوقى بالغرب يقتلان كل من

بر عليهما من النصارى » وكان هذا الكلام بحضر من النصارى الشوام فجاوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول ووقع بينهما التشاجر . فقام النصرانى وذهب الى دبوى وأخبره بالقصة . فأرسل وقبض على ذلك الصيرفى وحبسه وسمر حانوته ، وختم على داره . وتشفع فيه المشايخ عدة مراو . فأطلقوه بعد يومين ، وأرسلوه الى بيت الشيخ البكرى ليؤدب هناك بالضرب أو يدفع خمسمائة ريال فرانسه . فضرب مائة سوط ، وأطلق الى سبيله . وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين .

الاثنين ٢٠ منه (اول اكتوبر ١٧٩٨ م) :

طاف أصحاب الدرك على الأخطاط والوكائل فكتبوا أسماءها وأسماء البوابين وأمروهم الا يسكنوا أحدا من الأغراب ولا يطلقوا أحدا يسافر بلا اذن من أغات مستحفظان .

الثلاثاء ٢١ منه (٢ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

عمل المولد الحسينى وكان من العزم تركه فى هذا العام ، فدس بعض المنافقين دسيسة عند الفرنسيس .

وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل المولد الحسينى بعد مولد النبى فقال بونابرته : « ولم لم نعمله ؟ »

فقال ذلك المنافق : « غرض الشيخ السادات عدم عمله ، الا اذا حضر المسلمون » فبلغ الشيخ السادات ذلك فشرع فى عمله على سبيل الاختصار ، وحضر صارى عسكر ، وشاهد الوقدة ، ورجع الى داره بعد العشاء .

وفيه : حضر علماء الأسكندرية وأعيانها كذلك رشيد ودمياط وبقية البنادر باستدعاء سارى عسكر ليحضروا الديوان الشارعين فيه ترتيب النظام الذى سبقت الاشارة اليه .



صراف بالقاهرة

وفيه : سافر أيضا جماعة من الفرنسيس الى جهة مراد بيك ومن معه والتقوا معهم وتراموا ساعة ثم انهزموا عنهم وأطمعوهم فى أنفسهم فتتبعوهم الى أسفل جبل اللاهون ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا ، وتراموا معهم وأكمنوا لهم وثبتوا معهم ، وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنساوية مقتلة كبيرة .

وفيه : سقطت البوابة المصنوعة ببركة الأزبكية المقابلة لباب الهواء التى كانوا وضعوها فى يوم عيدهم وقد تقدم شرحها ووصفها

وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة ، وسدوا القنطرة — كما تقدم — علا الماء فى أرض البركة ، وتخلخلت الأرض فسقطت تلك البوابة .

الجمعة ٢٤ منه (٥ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

نبهوا على المشايخ والأعيان والتجار ومن حضر من الأقطار بالحضور الى الديوان العام

ومحكمة النظام بكرة تاريخه وذلك ببيت مرزوق بيك بحارة عابدين .

السبت ٢٥ منه (٦ اكتوبر ١٧٩٨ م) :-

فى صبحه أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قائد أغا بالأزبكية .

فتوجه المشايخ المصرية ، والذين حضروا من الثغور والبلاد . وحضر الوجاقات ، وأعيان التجار ، ونصارى القبط والشوام ، ومدبرو الديوان من الفرنسيس ، وغيرهم جمعا موفورا .

فلما استقر بهم الجلوس ، شرع مالطى القبطى ، الذى عملوه قاضيا ، فى قراءة فرمان الشروط وفى المناقشة — فابتدر كبير المدبرين فى اخراج طومار آخر ، وناوله للترجمان .. فنشره وقرأه .

وملخصه ومضمونه : الاخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد ، وأنه أخصب البلاد . وكان يجلب اليه المتاجر من البلاد البعيدة ، وأن العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التى يعرفها الناس فى الدنيا — أخذت عن أجداد أهل مصر الأول . ولكون قطر مصر بهذه الصفات ، طمعت الأمم فى تملكه : فملكه أهل بابل ، وملكه اليونانيون ، والعرب ، والترك الآن . الا أن دولة الترك شددت فى خرابه ، لأنها اذا حصلت الثمرة ، قطعت عروقها .. فلذلك لم يبقوا بأيدى الناس الا القدر اليسير ، وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر ، وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم .

ثم ان طائفة الفرنساوية — بعدما تمهد أمرهم ، وبعد صيتهم بقيامهم بأمور الحروب — اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر مما هى فيه ، واراحة أهلها من تغلب هذه الدولة ، المفعمة جهلا وغباوة ! فقدموا وحصل لهم النصرة . ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد من الناس ، ولم يعاملوا الناس بقسوة ، وأن غرضهم تنظيم أمور مصر ، واجراء خلجانها التى دثرت ، ويصير لها طريقان : طريق الى البحر الأسود وطريق الى البحر الأحمر .. فيزداد خصبها وريعها ، ومنع القوى من ظلم الضعيف ، وغير ذلك .. استجلابا لخواطر أهلها ، وابقاء للذكر الحسن .

فالمناسب من أهلها ترك الشغب واخلاص المودة ، وأن هذه الطوائف المحضرة من الأقاليم يترتب على حضورها أمور جليلة ، لأنهم أهل خبرة وعقل .. فيسألون عن أمور ضرورية ، ويجيبون عنها فينتج لصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه ..

الى آخر ما سطروه من الكلام .

قلت : ولم يعجبنى فى هذا التركيب الا قوله : « المفعمة جهلا وغباوة » بعد قوله : « اشتاقت أنفسهم » . ومنها قوله بعد ذلك : « ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد » .. الى آخر العبارة .

ثم قال الترجمان : « نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا عليكم ، ممتثلين أمره واشارته » . فقال بعض الحاضرين : « الشيخ الشرقاوى » . فقال : « نو ، نو ! وانما ذلك يكون بالقرعة » . فعملوا قرعة بأوراق ، فطلع الأكثر على الشيخ الشرقاوى .. فقال : « حينئذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس » . فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس ، فأذنوا لهم فى الذهاب ، وألزموهم بالحضور فى كل يوم .

وفيه : وقعت كائنة الحاج محمد بن قيمو المغربى ، التاجر الطرابلسى .. وهى أنه كان بينه وبين بعض نصارى الشوام المترجمين منافسة ، فأنهى الى عظماء الفرنسيس : أنه ذو مال ، وأنه شريك عبد الله المغربى تابع مراد بيك . فأرسلوا بطلبه ، فذهب الى بيت الشيخ عبد الله الشرقاوى — لنسابة بينهما — فقال الشيخ للقواسة المرسلين ، بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له ، فقالوا : « لدعوة ليست شرعية » . فقال لهم : « فى غد أحضروا خصمه ، ويتداعى معه .. فان توجه الحق عليه

ألزمناه بدفعه » . فرجعت الرسل ، وتغيب الرجل لخوفه . فبعد مضى مقدار نحو ساعة ، حضر نحو الخمسين عسكريا من الفرنسيس الى بيت الشيخ وطالبوه به .. فأخبرهم أنه هرب . فلم يقبلوا غذره ، وألحوا فى طلبهم ، ووقفوا ببنادقهم ، وأرهبوا ..

فركب المهدى والدواخلى الى صارى عسكر ، وأخبروه بالقضية وبهروب الرجل . فقال : « ولأى شىء يهرب ؟ » فقالوا : « من خوفه » . فقال : « لولا أن جرمه كبير لما هرب . وأنتم غيبتموه » . وأظهر الحنق والغيظ .. فلاطفاه ، واستعطفا خاطر الترجمان .. فكلمه ، فسكن غيظه . ثم سأل عن منزله ومخزنه .. فأخبروه عنهما . فقال : « يذهب معكما من يختم عليهما ، حتى يظهر فى غد » . فاطمأنوا لذلك ، ورجعوا عند الغروب ، وختموا على مخزنه ومنزله .

فلما أصبح النهار ، فلم يظهر الرجل ، أخذوا ما وجدوه فيهما من البضائع والأمانات .

الأحد ٢٦ منه (٧ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

ذهبوا الى الديوان ، وعملوا مثل عملهم الأول ، حتى تمموا أسماء المنتخبين بديوان مصر من الثغور والمشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتجار المسلمين . وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق .

الاثنين ٢٧ منه (٨ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان ، ونادى المنادى فى ذلك اليوم بالأسواق على الناس باحضارهم حجج أملاكهم الى الديوان والمهلة ثلاثون يوما ، فان تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر . ومهلة البلاد ستون يوما .

ولما تكامل الجميع ، شرع مالطى فى قراءة المنشور وتعداد ما به من الشروط مستور . وذكر من ذلك أشياء : منها أمر المحاكم والقضايا الشرعيه، وحجج العقارات ، وأمر المواريث . وتناقشوا فى ذلك حصة من الزمن ، وكتبوا هذه الأربعة أشياء .. أرباب ديوان الخاصة ، يدبرون رأيهم فى ذلك ، وينظرون المناسب والأحسن ، وما فيه الراحة لهم وللرعية . ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس ، وما بين ذلك له مهلة . وانفض المجلس .

جمادى الأولى

الخميس مستهله (١١ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان ومعهم ما لخصوه واستأصلوه فى الجملة . فأما أمر المحاكم والقضايا فالأولى ابقاؤها على ترتيبها ونظامها . وعرفوهم عن كيفية ذلك ، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد . فاستحسنوا ذلك الا أنهم قالوا : يحتاج الى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لايتعداه القضاة ولا نوابهم . فقرروا ذلك : وهو أنه اذا كان عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون نصفا ، واذا كان المبلغ مائة يكون على الألف خمسة عشر ، فان زاد على ذلك فعشرة . واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك .

وأما حجج العقارات فانه أمر شاق طويل الذيل . فالمناسب فيه والأولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادىء الرأى ليسهل تحصيلها ، ويحسن عليها السكوت . ويكون المحصول أعلى وأدنى وأوسط ، وبينوا القدر المناسب بتفصيل الأماكن . وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه . وانفض الديوان .

وفيه : نودى فى الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوما ، وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش ، فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك .

فتصعد المرأة الى أعلى الدار ، وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ، ثم يذهبون بعد التأكد على أهل المنزل ، والتحذير من ترك الفعل .. وكل ذلك لذهاب العفونة الموجبة للطاعون . وكتبوا بذلك أوراقا ألصقوها بحيطان الأسواق ، على عادتهم في ذلك .

وفيه : حضر الى بيت البكرى جم غفير من أولاد الكتاتيب والفقهاء والعميان والمؤذنين وأرباب الوظائف والمستحقين من الزمنى والمرضى بالمارستان المنصورى وأوقاف عبد الرحمن كتخدا ، وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم ، لأن الأوقاف تعطل لمرادها ، واستولى على نظارتها النصارى القبط والشوام وجعلوا ذلك مغنما لهم . فواعدهم على حضورهم الديوان ، وينهوا شكواهم ، ويتشفع لهم .. فذهبوا راجعين .

وفيه : قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر مجروحون .

وفيه : وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضا ، فأكثر الناس من اللغط ، ولم يعلموا سبب ذلك .

الأحد ٤ منه (١٤ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان وأخذوا فيما هم فيه فذكروا أمر المواريث .

فقال مالطى : « يا مشايخ أخبرونا عما تصنعونه فى قسمة المواريث » ، فأخبروه بفروض المواريث الشرعية .

فقال : « ومن أين لكم ذلك » . فقالوا : « من القرآن » . وتلوا عليهم بعض آيات المواريث .

فقال الافرنج : « نحن عندنا لا نورث الولد ونورث البنت ، ونفعل كذا وكذا .. » بحسب تحسين عقولهم ، لأن الولد أقدر على التكسب من البنت .

فقال ميخائيل كحيل الشامى — وهو من أهل الديوان أيضا — « نحن والقبط يقسم لنا مواريثنا المسلمون » . ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها .. فسايروهم ، ووعدوهم بذلك ، وانفضوا .

وفيه : عزلوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان وجعلوه كتخدا أمير الحج ، واستقروا بمصطفى أغا — تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان سابقا — عوضا عنه ، ونودى بذلك .

الاثنين ٥ منه (١٥ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

عملوا لهم ديوانا وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث وفروض القسمة الشرعية وحصص الورثة ، والآيات المتعلقة بذلك . فاستحسنوا ذلك .

السبت ١٠ منه (٢٠ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

عملوا الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار : فجعلوا على الأعلى ثمانية فرانسة ، والأوسط ستة ، والأدنى ثلاثة . وما كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معافى . وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع . وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم وألصقوها بالمفارق والطرق ، وأرسلوا منها نسخا للأعيان ، وعينوا المهندسين ، ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى . وشرعوا فى الضبط والاحصاء [1] ، وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم ، وضبط أسماء أربابها .

ولما أشيع ذلك فى الناس ، كثر لغطهم واستعظموا ذلك ، والبعض استسلم للقضاء . فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا فى ذلك . ووافقهم على ذلك

---

(١) انفض الديوان دون أن يستطيع تخفيف فداحة الضرائب التى استحدثها الفرنسيون : لذلك لم يكد ينفض حتى نشبت نار الثورة فى القاهرة .
(عبد الرحمن الرافعى — الحركة القومية جـ ١ ص ١١٧)

بعض المتعممين (١) ، الذى لم ينظر فى عواقب الأمور ، ولم يتفكر أنه فى القبضة مأسور فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم !

الأحد ١١ منه (٢١ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

أصبحوا متحزبين ، وعلى الجهاد عازمين ، وابرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح .وحضر السيد بدر ، وصحبته حشرات الحسينية ، وزعر الحارات البرانية . ولهم صياح عظيم وهول جسيم ويقولون بصياح فى الكلام : نصر الله دين الاسلام . فذهبوا الى بيت قاضى العسكر وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر . فخاف القاضى العاقبة وأغلق أبوابه وأوقف حجابه ، فرجموه بالحجارة والطوب وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب . وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر .

وفى ذلك الوقت حضر دبوى بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه ، فمر بشارع الغورية ، وعطف على خط الصنادقية وذهب الى بيت القاضى ، فوجد ذلك الزحام فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة ، وتلك الأخطاط بالخلائق مزحومة ، فبادروا اليه وضربوه وأثخنوا جراحاته وقتل الكثير من فرسانه وأبطاله وشجعانه . فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم ، وخرجوا يهرعون ومن كل حدب ينسلون ، ومسكوا الأطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة : كباب الفتوح وباب النصر والبرقية الى باب زويلة وباب الشعرية وجهة البندقانيين



معركة فى شوارع القاهرة

وما حاذاها ، ولم يتعدوا جهة سواها ، وهدموا مساطب الحوانيت ، وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة ، لتعوق هجوم العدو فى وقت المعركة . ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس . وأما الجهات البرانية والنواحى الفوقانية فلم يفزع منها فازع ، ولم يتحرك منها أحد ولم يسارع ، وكذلك شذ عن الوفاق مصر العتيقة وبولاق ، وعذرهم الأكبر قربهم من مساكن العسكر .

ولم تزل طائفة المحاربين فى الأزقة متترسين . فوصل جماعة من الفرنساوية ، وظهروا من ناحية المناخلية وبندقوا على متراس الشوائين ، وبه جماعة من مغاربة الفحامين ، فقاتلوهم حتى أجلوهم ، وعن المناخلية أزالوهم .

وعند ذلك زاد الحال ، وكثر الرجف والزلزال ، وخرجت العامة عن الحد ، وبالغوا فى القضية بالعكس والطرد ، وامتدت أيديهم الى النهب والخطف والسلب ... فهجموا على حارة الجوانية ،

(١) كان من هؤلاء المتعممين بعض مشايخ الازهر الذين اغضبهم عدم اشراك بونابرت اياهم فى منظمات الحكومة «الوطنية» الجديدة ومؤسساتها . وفضلا من ذلك فقد أصدر السلطان فرمانا يحرض المسلمين على القيام ضد الكفرة الفرنسيين . كما ان زعيمى المماليك « مراد وابراهيم » ظلا يبعثان بالرسل الى الازهر لتحريك الفتنة .

(دكتور فؤاد شكرى ـ عبد الله جاك مينو ص ١١٢)

ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام ، وأخذوا الودائع والأمانات ، وسبوا النساء والبنات ، وكذلك نهبوا خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات . وأكثروا من المعايب ، ولم يفكروا فى العواقب .. وباتوا تلك الليلة سهرانين ، وعلى هذا الحال مستمرين .

وأما الأفرنج فانهم أصبحوا مستعدين (١) وعلى تلال البرقية والقلعة واقفين ، وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقنابر والبنبات ، ووقفوا مستحضرين ولأمر كبيرهم منتظرين .

وكان كبير الفرنسيس أرسل الى المشايخ مراسلة فلم يجيبوه عنها ، ومل من المطاولة . هذا والرمى متتابع من الجهتين ، وتضاعف الحال ضعفين ... حتى مضي وقت العصر ، وزاد القهر والحصر . فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات على البيوت والحارات ، وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر ، وجرروا عليه المدافع والقنبر ، وكذلك ما جاوره من أماكن المحاربين : كسوق الغورية ، والفحامين . فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ، ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه ، نادوا : « ياسلام من هذه الآلام ، ياخفى الألطاف نجنا مما نخاف ! » . وهربوا من كل سوق ، ودخلوا فى الشقوق . وتتابع الرمى من القلعة والكيمان .. حتى تزعزعت الأركان ، وهدمت فى مرورها حيطان الدور ، وسقطت فى بعض القصور ، ونزلت فى البيوت والوكائل ، وأصمت الآذان بصوتها الهائل .

فلما عظم هذا الخطب ، وزاد الحال والكرب ... ركب المشايخ الى كبير الفرنسيس ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره من الرمى المتراسل ، ويكفهم — كما انكف المسلمون — عن القتال . والحرب خدعة وسجال !

فلما ذهبوا اليه ، واجتمعوا عليه — عاتبهم فى التأخير ، واتهمهم بالتقصير . فاعتذروا اليه ، فقبل عذرهم ، وأمر برفع الرمى عنهم . وقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان فى المسالك .

وتسامع الناس بذلك ، فردت فيهم الحرارة ، وتسابقوا لبعضهم بالبشارة ، واطمأنت منهم القلوب — وكان الوقت قبل الغروب — وانقضى النهار ، وأقبل الليل ، فغلب على الظن أن القضية لها ذيل .

وأما أهل الحسينية والعطوف البرالية ، فلم يزالوا مستمرين ، وعلى الرمى والقتال ملازمين . ولكن خانهم المقصود ، وفرغ منهم البارود . والأفرنج أثخنوهم بالرمى المتتابع .. بالقنابر والمدافع . الى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات ، وفرغت من عندهم الأدوات ، فعجزوا عن ذلك ، وانصرفوا . وكف عنهم القوم وانحرفوا .

وبعد هجمة من الليل ، دخل الأفرنج المدينة كالسيل ، ومروا فى الأزقة والشوارع ، لا يوجد لهم ممانع ... كأنهم الشياطين أو جند ابليس ، وهدموا ماوجدوه من المتاريس . ودخل طائفة من باب البرقية ، ومشوا الى الغورية ، وكروا ، ورجعوا ، وترددوا ، وما هجموا . وعلموا باليقين أن لادافع لهم ولا كمين . وتراسلوا أرسالا — ركبانا ورجالا — ثم دخلوا الى الجامع الأزهر ، وهم راكبون الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول . وتفوقوا بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ماوجدوه من المتاع والأوانى والقصاع والودائع

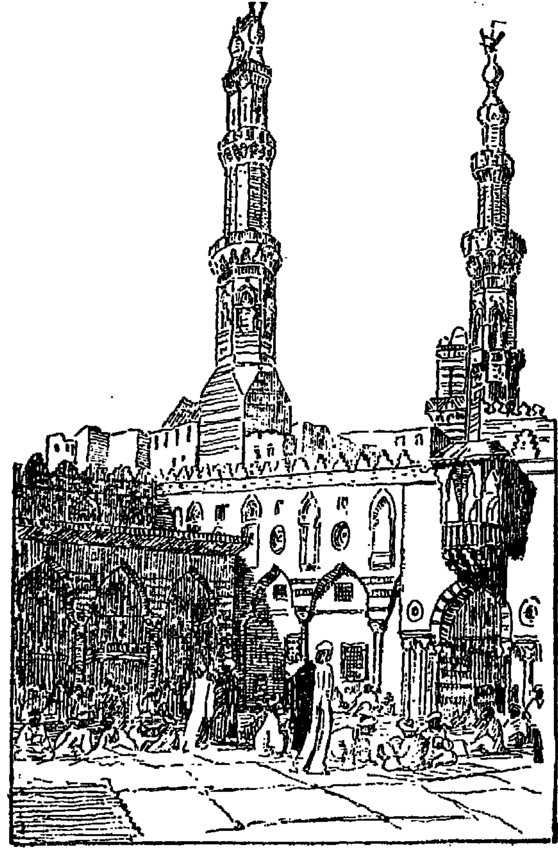
(١) صدرت التعليمات الى الجنرال « بون » لمهاجمة حى الأزهر واطلاق مدافعه على الجامع الأزهر اذا اقتضى الأمر ذلك . كما عهد الى الجنرال دومارتان بمحاصرة الجامع وقطع السبل المؤدية اليه .

(دكتور فؤاد شكرى — عبد الله جاك مينو ص ١١٢)

تلك الجهة يهرعون ، وللنجاة بأنفســهم طالبون . وانتهكوا حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ، ويرغب الناس فى سكناها ويودعون عنـد أهلها مايخافون عليه الضياع . والفرنساوية لايمرون بها الا فى النادر ، ويحترمونها عن غيرها فى الباطن والظاهر . فانقلب بهذه الحركة منهـا الموضوع ، وانخفض — على غـير القياس — المرفوع . ثم ترددوا فى الأسواق ، ووقفوا صفوفا مئينا وألوفا . فان مر بهم أحد فتشوه ، وأخذوا مامعه ، وربما قتـلوه . ورفعوا القتلى والمطروحين من الافرنج والمسلمين ، ووقف جماعة من الفرنسيس ، ونظفوا مراكز المتاريس ، وأزالوا مابها من الأتربة والأحجار المتراكمة ، ووضعوها فى ناحية ، لتصير طرق المرور خالية .

وتحزبت نصارى الشوام ، وجماعة أيضا من الأروام الذين انتهبت دورهم بالحارة الجوانية ، ليشـكوا لكبير الفرنسيس مالحقهم من الرزية . واغتنموا الفرصـة فى المسلمين ، وأظهروا ماهو بقلوبهم كمين ، وضربوا فيهم المضارب ، وكأنهم شاركوا الافرنج فى النوائب ! وما قصدهم المسلمون ونهبوا مالديهم الا لكونهم منسوبين اليهم ... مع أن المسلمين الذين جاوروهم ، نهبهم الزعر أيضـا وسلبوهم . وكذلك خان الملايات المعلوم ، الذى عند باب حارة الروم ، وفيه بضـائع المسـلمين ، وودائع الغائبين .. فسكت المصاب على غصـته ، واستعوض الله فى قضيته ، لأنه ان تكلم لاتسمع دعواه ، ولا يلتفت الى شكواه !

وانتدب برطلمين للعسس على من حمل السلاح أو اختلس ، وبث أعوانه فى الجهات ، يتجسسون فى الطرقات ، فيقبضـون على النـاس بحسـب أغراضـهم ، وما ينهيه النصـارى من أبغاضهم ، فيحكم فيهم بمراده ، ويعمـل برأيه واجتهـاده ،



الجامع الأزهر

والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالهم داسوها . وأحدثوا فيه وتغوطوا ، وبالوا وتمخطوا ، وشربوا الشراب وكسروا أوانيـه ، وألقوها بصحنه ونواحيه ، وكل من صـادفوه به عروه ، ومن ثيابه أخرجوه !

الثلاثاء ١٣ منه (٢٣ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

فى الصباح اصطف منهم حزب بباب الجامع ... فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعا ويسارع . وتفرقت طوائفهم بتلك النواحى أفواجا ، واتخذوا السعى والطواف بها منهاجا ، وأحاطوا بها احاطة السوار ، ونهبوا بعض الديار بحجة التفتيش على النهب وآلة السلاح والضرب . وخرج سـكان

ويأخذ منهم الكثير ، ويركب فى موكبه ويسير ... وهم موثقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال ، فيودعونهم السجونات ، ويطالبونهم بالمنهوبات ، ويقررونهم بالعقاب والضرب ، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب . ويدل بعضهم على بعض ، فيضعون على المدلول عليهم أيضاً القبض .

وكذلك فعل مثل ما فعله ... اللعين الأغا ، وتجبر فى أفعاله وطغا . وكثير من الناس ذبحوهم ، وفى بحر النيل قذفوهم .

ومات فى هذين اليومين ، وما بعدهما ، أمم كثيرة لايحصى عددها الا الله . وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم ، ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم .

الأربعاء ١٤ منه (٢٤ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

فى الصباح ركب المشايخ أجمع ، وذهبوا لبيت صارى عسكر وقابلوه ، وخاطبوه فى العفو ولاطفوه . والتمسوا منه أماناً كافيا ، وعفوا ينادون به باللغتين شافيا ، لتطمئن بذلك قلوب الرعية ، ويسكن روعهم من هذه الرزية . فوعدهم وعدا مشوبا بالتسويف ، وطالبهم بالتبيين والتعريف عمن تسبب من المتعممين فى اثارة العوام ، وحرضهم على الخلاف والقيام فغالطوه عن تلك المقاصد . فقال على لسان الترجمان : نحن نعرفهم بالواحد . فترجوا عنده فى اخراج العسكر من الجامع الأزهر ، فأجابهم لذلك السؤال ، وأمر باخراجهم فى الحال .



ترجمان بالملابس الرسمية

وأبقوا منهم السبعين ، أسكنوهم فى الخطة كالضابطين ، ليكونوا للأمور كالراصدين ، وبالأحكام متقيدين .

ثم انهم فحصوا على المتهمين فى اثارة الفتنة . فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقى — شيخ طائفة العميان — والشيخ أحمد الشرقاوى ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى ، والشيخ يوسف المصيلحى ، والشيخ اسماعيل البراوى ، وحبسوهم ببيت البكرى . وأما السيد بدر المقدسى ، فانه تغيب وسافر الى جهة الشام ، وفحصوا عليه فلم يجدوه . وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقين ... فغولطوا .

واتهم أيضا ابراهيم أفندى كاتب البهار ، بأنه جمع له جمعا من الشطار ، وأعطاهم الأسلحة والمساوق — وكان عنده عدة من المماليك المخفيين ، والرجال المعدودين — فقبضوا عليه ، وحبسوه ببيت الأغا .

الأحد ١٨ منه (٢٨ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

توجه شيخ السادات وباقى المشايخ الى بيت صارى عسكر الفرنسيس ، وتشفعوا عنده فى الجماعة المسجونين ببيت الأغا وقائمقام والقلعة . فقيل لهم : « وسعوا بالكم ولا تستعجلوا » . فقاموا وانصرفوا .

وفيه : نادوا فى الأسواق بالأمان ، ولا أحد يشوش على أحد .. مع استمرار القبض على الناس ، وكبس البيوت بأدنى شبهة . ورد بعضهم الأمتعة التى نهبت للنصارى .

وفيه : توسط عمر القلقجى لمغاربة الفحامين ، وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافرة ، وعرضهم على صارى عسكر . فاختار منهم الشباب وأولى القوة ، وأعطاهم سلاحا وآلات حرب ، ورتبهم عسكرا — ورئيسهم عمر المذكور — وخرجوا وأمامهم الطبل الشامى على عادة عسكر المغاربة ، وسافروا

الى جهة بحرى ... بسبب أن بعض البلاد قام على عسكر الفرنساوية وقت الفتنة .. وقاتلوهم ، وضربوا أيضا مركبين بهما عدة من عساكرهم فحاربوهم وقاتلوهم .

فلما ذهب أولئك المغاربة سكنوا الفتنة وضربوا عشما (1) وقتلوا كبيرها — المسمى بابن شعير — ونهبوا داره ومتاعه وماله وبهائمه — وكان شيئا كثيرا جدا — وأحضروا اخوته وأولاده وقتلوهم ، ولم يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخا عوضا عن أبيهم .

وسكن العسكر المغربى بدار عند باب سعادة ، ورتبوا لهم من الفرنسيس جماعة يأتون اليهم فى كل يوم ، ويدربونهم على كيفية حربهم وقانونهم ، ومعنى اشاراتهم فى مصافاتهم . فيقف المعلم — والمتعلمون مقابلون له صفا وبأيديهم بنادقهم — فيشير اليهم بألفاظ بلغتهم ، كأن يقول : « مردبوش » ، فيرفعونها قابضين بأكفهم على أسافلها ، ثم يقول : «مرش» ، فيمشون صفوفا ... الى غير ذلك .

وفيه : سافر برطلمين الى ناحية سرياقوس ، ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين الى جهة الشرق .. فلم يدركهم ، وأخذ من فى البلاد ، وعسف فى تحصيلها ، ورجع بعد أيام .

الأربعاء ٢١ منه (٣١ اكتوبر ١٧٩٨ م) :

خاطب الشيخ محمد المهدى صارى عسكر فى أمر ابراهيم أفندى كاتب البهار ، وتلطف به بمعونة بوسليك المعروف بمدير الحدود — وهو عبارة عن الروزنامجى — ونقله من بيت الأغا الى داره وطلبوا منه قائمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار .

(1) هى الآن تابعة لمركز الشهداء منوفية .

الخميس ٢٢ منه (اول نوفمبر ١٧٩٨ م) :

سافر عدة من المراكب نحو الأربعين بها عسكر الفرنسيس الى جهة بحرى .

السبت ٢٤ منه (٣ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

فى هذه الليلة حضر هجان من ناحية الشام ، وعلى يده مكاتبات : وهى صورة فرمان وعليه طرة ، ومكتوب من أحمد باشا الجزار ، وآخر من بكر باشا الى كتخدائه مصطفى بيك ، ومكتوب من ابراهيم بيك خطابا للمشايخ .. وذلك كله بالعربى . ومضمون ذلك — بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث ، والآثار المتعلقة بالجهاد ، ولعن طائفة الأفرنج ، والحط عليهم ، وذكر عقيدتهم الفاسدة ، وكذبهم وتحيلهم .. وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك — فأخذها مصطفى بيك كتخدا ، وذهب بها الى صارى عسكر .

فلما اطلع عليها ، قال : « هذا تزوير من ابراهيم بيك ، ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة . وأما أحمد باشا فهو رجل فضولى لم يكن واليا بالشام ولا مصر ... لأن والى الشام ابراهيم باشا ، وأما والي مصر فهو عبد الله باشا ابن العظم ، الذى هو الآن والى الشام . فأنا أعلم بذلك ، وسيأتى بعد أيام والى ويقيم معه ، كما كانت المماليك مع الولاة » .

وورد خبر أيضا بانفصال محمد باشا عزت عن الصدارة . وعزل كذلك أنفار من رجال الدولة .

وفى مدة هذه الأيام ... بطل الاجتماع بالديوان المعتاد ، وأخذوا فى الاهتمام بتحصين النواحى والجهات ، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد ، ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر ، وهدموا أماكن بالجيزة ، وحصنوها تحصينا زائدا ، وكذلك مصر العتيقة ونواحى شبرا . وهدموا عدة مساجد : منها المساجد المجاورة لقنطرة انبابة الرمة ، ومسجد

المقس — المعروف الآن بأولاد عنان — على الخليج الناصرى بباب البحر . .وقطعوا نخيلا كثيرا وأشجارا ، لعمل الحصون والمتاريس ، وهدموا جامع الكازرونى بالروضة ، وأشجار الجيزة التى عند أبى هريرة ... قطعوها ، وحفروا هناك خنادق كثيرة ... وغير ذلك . وقطعوا نخيل جهة الحلى وبولاق ، وخربوا دورا كثيرة ، وكسروا شبابيكها وأبوابها ، وأخذوا أخشابها لاحتياج العمل ، والوقود ، وغير ذلك

الاحد ٢٥ منه (٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر جماعة من عسكر الفرنسيس الى بيت البكرى نصف الليل ، وطلبوا المشايخ المحبوسين عند صارى عسكر ليتحدث معهم . فلما صاروا خارج الدار وجدوا عدة كبيرة فى انتظارهم فقبضوا عليهم وذهبوا بهم الى بيت قائمقام بدرب الجماميز — وهو الذى كان به دبوى قائمقام المقتول ، وسكنه بعده الذى تولى مكانه — فلما وصلوا بهم هناك عروهم من ثيابهم وصعدوا بهم الى القلعة .. فسجنوهم الى الصباح ، فأخرجوهم وقتلوهم بالبنادق ، وألقوهم من السور خلف القلعة وتغيب حالهم عن أكثر الناس أياما .

وفى ذلك اليوم : ركب بعض المشايخ الى مصطفى بيك ، كتخدا الباشا ، وكلموه فى أن يذهب معهم الى صارى عسكر ، ويشفع معهم فى الجماعة المذكورين ... ظنا منهم أنهم فى قيد الحياة . فركب معهم اليه ، وكلموه فى ذلك ، فقال لهم الترجمان : « اصبروا ماهذا وقته » ! وتركهم ، وقام ليذهب فى بعض أشغاله . فنهض الجماعة أيضا وركبوا الى دورهم .

الثلاثاء ٢٧ منه (٦ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر عدة من عسكر الفرنسيس ووقفوا بحارة الأزهر فتخيل الناس منهم المكروه ، ووقعت فيهم كرشة ، وأغلقوا الدكاكين ، وتسابقوا الى الهروب وذهبوا الى البيوت والمساجد . واختلفت آراؤهم ، ورأوا فى ذلك أقضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد مخيلهم . فذهب بعض المشايخ الى صارى عسكر وأخبروه بذلك ، وتخوف الناس . فأرسل اليهم وأمرهم بالذهاب .. فذهبوا وتراجع الناس ، وفتحوا الدكاكين ، ومر الأغا والوالى وبرطلمين ينادون بالأمان . وسكن الحال وقيل ان بعض كبرائهم حضر عند القلق الساكن بالمشهد ، وجلس عنده حصة وهؤلاء كانوا أتباعه ووقفوا ينتظرونه ولعل ذلك قصدا للتخويف والارهاب خشية من قيام فتنة لما أشيع قتل المشايخ المذكورين . وهو الأرجح .

وفيه : كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق تتضمن العفو والتحذير من اثارة الفتنة ، وأن من قتل من المسلمين فى نظير من قتل من الفرنسيس .

وفيه : شرعوا فى احصاء الأملاك والمطالبة بالمقرر . فلم يعارض فى ذلك معارض ، ولم يتفوه بكلمة . والذى لم يرض بالتوت يرضى بحطبه !

وفيه أيضا : قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة غير النافذة ، وهى التى كانت تركت وسومح أصحابها ، وبرطلوا عليها ، وصالحوا عليها قبل الحادثة ، وبرطلوا القلقات والوسايط على ابقائها ، وكذلك دروب الحسينية . فلما انقضت هذه الحادثة ، ارتجعوا عليها وقلعوها ونقلوها .. الى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية . ثم كسروا جميعها وفصلوا أخشابها ، ورفعوا بعضها على العربات الى حيث أعمالهم بالنواحى والجهات . وباعوا بعضها حطبا للوقود ، وكذلك ما بها من الحديد وغيره .

الخميس ٢٩ منه (٨ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

هجم المنسر على بوابة سوق طولون وكسروها ، وعبروا منها الى السوق فكسروا القناديل وفتحوا ثلاثة حوانيت وأخذوا مابها من متاع المغاربة التجار ، وقتلوا القلق الذى هناك ، وخرجوا بدون مدافع ولا منازع !

وفيه : ذهب المشايخ الى صارى عسكر وتشفعوا فى ابن الجوسقى شيخ العميان الذى قتل أبوه — وكان معوقا ببيت البكرى — فشفعهم فيه وأطلقوه .

جمادى الآخرة

السبت مستهله (١٠ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد وألصقوا منها نسخا بالأسواق والشوارع (١) . وصورتها :

« نصيحة من كافة علماء الاسلام بمصر المحروسة : نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ونبرأ الى الله من الساعين فى الأرض بالفساد .. نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس .. حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية ، بعد ما كانوا أصحابا وأحبابا بالسوية . وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ، ونهبت بعض البيوت . ولكن حصلت ألطاف الله الخفية ، وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابرته . وارتفعت هذه البلية .. لأنه رجل كامل العقل ، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة الى الفقراء والمساكين ! ولولاه لكانت العساكر أحرقت جميع المدينة ، ونهبت جميع الأموال ، وقتلوا كامل أهل مصر .

« فعليكم ألا تحركوا الفتن ، ولا تطيعوا أمر المفسدين ، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تتبعوا الأشرار ، ولا تكونوا من الخاسرين .. سفهاء العقول الذين لا يقرأون العواقب .. لأجل أن تحفظوا أوطانكم ، وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم فان الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ، ويحكم ما يريد !

« ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة .. قتلوا عن آخرهم ! وأراح الله منهم العباد والبلاد .

« ونصيحتنا لكم : ألا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، واشتغلوا بأسباب معايشكم وأمور دينكم ، وادفعوا الخراج الذى عليكم .. والدين النصيحة ، والسلام ! »

وفيه : أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتهم المتباعدين منهم ليكون الكل فى حومة واحدة . وذلك لما داخلهم من المسلمين .. حتى أن الشخص منهم صار لايمشى بدون سلاح ، بعد أن كانوا من حين دخولهم البلد لا يمشون به أصلا الا لغرض . والذى لم يكن معه سلاح يأخذ فى يده عصا أو سوطا أو نحو ذلك .

وتنافرت قلوبهم من المسلمين ، وتحذروا منهم . وانكف المسلمون عن الخروج والمرور بالأسواق من الغروب الى طلوع النهار .

ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر الى الأزبكية : كَفَرِلى المسمى بأبى خشبة ، وهو يمشى بها بدون معين ، ويصعد الدرج ، ويهبط منها أسرع من الصحيح ، ويركب الفرس ويرمحه ، وهو على هذه الحالة ، وكان من جملة المشار اليهم فيهم ، والمدبر لأمور القلاع وصفوف الحروب ، ولهم به عناية عظيمة واهتمام زائد .

كان يسكن ببيت مصطفى كاشف طرا . وفى وقت

---

(١) عبارة « على لسان المشايخ » لايفهم منها ان المشايخ قد كتبوها حقا ، او أقروها ... فاذا كانوا قد كتبوها ، فلا بارك الله فيهم ولا فى أمثالهم !

الحادثة هجمت على الدار .. العامة ، ونهبوها وقتلوا منها بعض الفرنساوية وفر الباقون . فأخبروا من بالقلعة الكبيرة . فنزل منهم عدة وافرة ، وقف بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا المزدحمين ببابها



كفرلي

وضربوهم بالبندق ، ودخل الباقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين ، وكانوا جملة كثيرة .

وكان بتلك الدار شيء كثير من آلات الصنائع والنظارات الغريبة ، والآلات الفلكية والهندسية ، والعلوم الرياضية ، وغيرذلك مما هو معدوم النظير .. كل آلة لايعرف قيمتها الا من يعرف صنعتها ومنفعتها . فبدد ذلك كله العامة ، وكسروه قطعا ، وصعب ذلك على الفرنسيس جدا . وقاموا مدة طويلة يفحصون عن تلك الآلات ، ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات .

وممن قتل فى وقعة هذه الدار ، الشيخ محمد الزهار .

الاربعاء ٥ منه (١٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

أفرجوا عن ابراهيم أفندى كاتب البهار وتوجه الى بيته .

السبت ٨ منه (١٧ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

قتلوا أربعة أنفار من القبط منهم اثنان من النجارين قيل انهم سكروا فى الحمارة ومروا فى سكرهم وفتحوا بعض الدكاكين وسرقوا منها أشياء وقد تكرر منهم ذلك عدة مرات ، فاغتاظ بذلك القبطة ..

وفيه : كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخا للبلاد وألصقوا منها بالأخطاط والأسواق وذلك على لسان المشايخ أيضا ولكن تزيد صورتها عن الأولى .

وصورتها :

« نصيحة من علماء الاسلام بمصر المحروسة : نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين ، وياسكان الأرياف والعربان والفلاحين ، أن ابراهيم بيك ومراد بيك ، وبقية دولة المماليك ، أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات ، وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان . وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واغتاظوا غيظا شديدا من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم ، ويتركوا عيالهم وأوطانهم . فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية .. لأجل خراب البلاد ، وهلاك كامل الرعية .. وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحزمانهم من مملكة مصر المحمية .

« ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهارا مع أغوات معينين .

« ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية — بالخصوص عن بقية الطوائف الأفرنجية — دائما يحبون المسلمين وملتهم ! ويبغضون المشركين وطبيعتهم .. أحباب لمولانا السلطان ، قائمين بنصرته ، وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته : يحبون من والاه ويبغضون من عاداه . ولذلك بين الفرنساوية والمسكوف غاية العداوة الشديدة ، من أجل عداوة المسكوف القبيحة الرديئة !

« والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة السلطان على أخذ بلادهم ان شاء الله تعالى ، ولا يبقون منهم بقية .

« فننصحكم أيها الأقاليم المصرية أنكم لاتحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ، ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك ، ولا تسمعوا كلام المفسدين ، ولا تطيعوا أمر المسرفين .. الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا بأوطانكم سالمين ، وعلى أموالكم وعيالكم آمنين مطمئنين .. لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش .. بونابرته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويختصر على أخذ الخراج ، ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم .

« فلا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد ، وارجعوا الى مولاكم مالك الملك ، وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الأكرم · الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم ! عليه أفضل الصلاة والسلام (١) .

الخميس ١٣ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

قتلوا شخصين عند باب زويلة أحدهما يهودى ولم يتحقق السبب فى قتلهما .

وفيه : أخرجوا من بيت نسيب ابراهيم كتخدا صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأوالى ذهب وفضة وأمتعة وملابس كثيرة .

السبت ١٥ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر جماعة من الفرساويه بباب زويلة وفتحوا بعض دكاكين السكرية وأخذوا منها سكرا وضاع على أصحابه .

(١) وعلى كاتبيها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، الى يوم يبعثون !

وفيه : دلوا على انسان عنده صندوقان وديعة لأيوب بيك الدفتردار فطلبوه وأمروه باحضارهما فأحضرهما بعد الانكار والجحد عدة مرار ، فوجدوا ضمنهما أسلحة جواهر وسبح لؤلؤ وخناجر مجوهرة وغير ذلك .

الخميس ٢٠ منه (٢٩ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالأسواق مضمونها انه فى يوم ٢١ منه قصدنا أن نطير مركبا ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة فرنساوية ، فكثر لغط الناس فى هذا كعادتهم .

فلما كان ذلك اليوم قبل العصر ، تجمع الناس والكثير من الافرنج ليروا تلك العجيبة — وكنت بجملتهم — فرأيت قماشا على هيئة الأوية على عمود قائم ، وهو ملون أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة الغربال ، وفى وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان . وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها الى الدائرة ، وهى مشدودة ببكر وأحبال ، واطراف الأحبال بأيدى أناس قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها .

فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة فصعد دخانها الى ذلك القماش وملأه ، فانتفخ وصار مثل الكرة ، وطلب الدخان الصعود الى مركزه فلم يجد منفذا فجذبها معه الى العلو ، فجذبوها بتلك الأحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الأرض ، فقطعوا تلك الحبال فصعدت الى الجو مع الهواء ، ومشت هنيهة لطيفة ثم سقطت طارتها بالفتيلة ، وسقط أيضا ذلك القماش ، وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة .

فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها ، ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسير فى الهواء بحكمة مصنوعة ، ويجلس فيها أنفار من الناس ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة لكشف الأخبار وارسال المراسلات ، بل ظهر

أنها مثل الطائرة التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح .

وفى تلك الليلة : طاف منهم أنفار بالأسواق ومعهم مقاطف بها لحوم مسمومة فأطعموها للكلاب فمات منها جملة كثيرة . فلما طلع النهار وجد الناس الكلاب مرمية وطرحى بالأسواق وهى موتى ، فاستأجروا لها من أخرجها الى الكيمان . وسبب ذلك أنهم لما كانوا يمرون بالأسواق فى الليل ، وهم سكوت ، كانت الكلاب تنبحهم وتعدوخلفهم . ففعلوا بها ذلك ، وارتاحوا هم والناس منها .

الأربعاء ٢٦ منه (٥ ديسمبر ١٧٩٨ م) :

سافر عدة عساكر الى جهة مراد بيك ، وكذلك الى جهة كرداسة [١] بسبب العربان ، وكذلك الى السويس والصالحية . وأخذوا جمال السقائين بروایاها وحميرهم ، ولكن يعطونهم أجرتهم . فشح الماء وغلا ، وبلغت القربة عشرة أنصاف فضة .

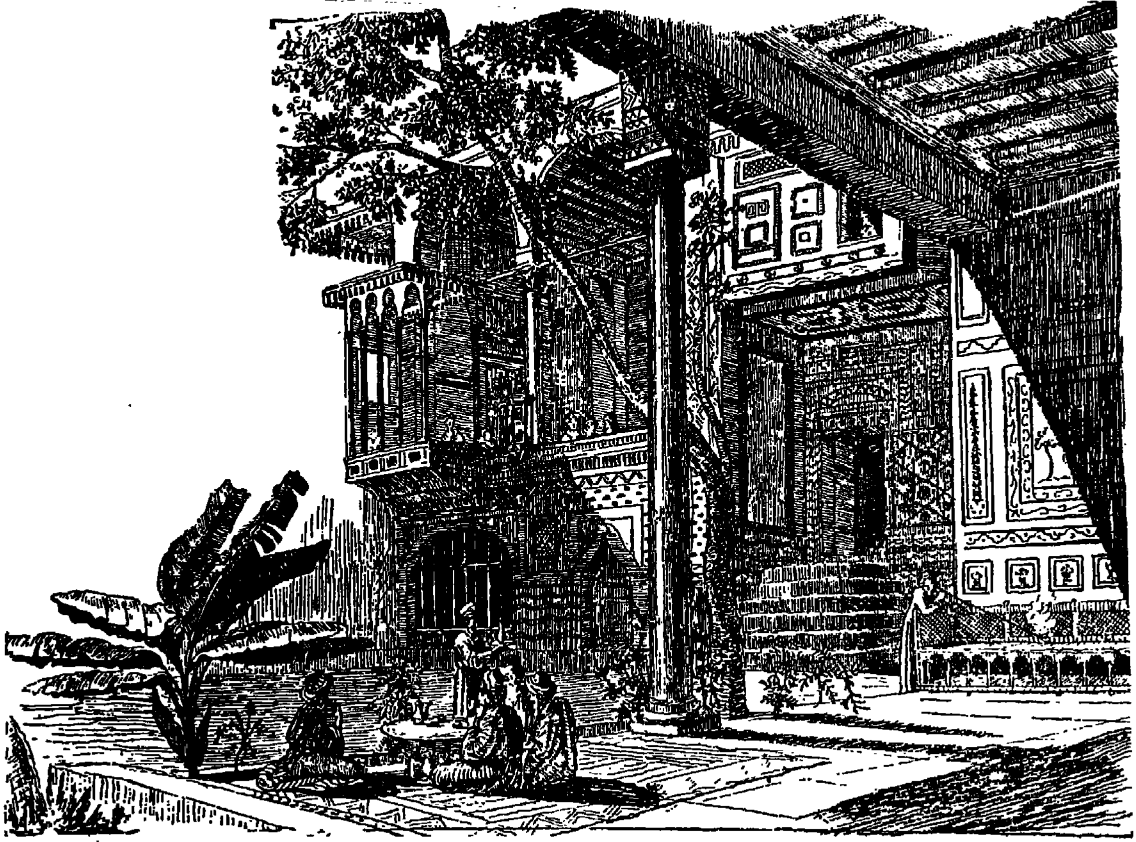
وفيه : ظفروا بعدة ودائع وخبايا بأماكن متعددة بها صناديق وأمتعة وأسلحة وأوانى صينى وأوانى نحاس ... قناطير ، وغير ذلك .

وانقضى هذا الشهر وماحصل به من الحوادث الكلية والجزئية التى لايمكن ضبطها لكثرتها ، منها : أنهم أحدثوا بغيط النوبى المجاور للأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة متنزهة يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة فى أوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل اليه قدرا مخصوصا يدفعه ، أو يكون مأذونا وبيده ورقة . ومنها أنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة ، وهدموا أماكن بالجيزة ، ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون ، وجعلوا فى أعلاه طاحونا تدور فى الهواء عجيبة ، وتطحن الأرادب من البر ، وهى بأربعة أحجار . وطاحونا أخرى بالروضة تجاه مساطب النشاب .

(١) مركز الجيزة .

وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة ، وشرعوا فى ردم جهات حوالى بركة الأزبكية ، وهدموا الأماكن المقابلة لبيت صارى عسكر .. حتى جعلوها رحبة متسعة . وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الأخرى والجنائن التى خلف ذلك ، وقطعوا أشجارها ، وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل من الجهتين .. مبتدئا من حد بيت صارى عسكر ، الى قنطرة المغربى . وجددوا القنطرة المذكورة — وكانت آلت الى السقوط — وفعلوا بعدها كذلك على الوضع والنسق ، بحيث صار جسرا عظيما ممتدا ممهدا ، مستويا على خط مستقيم من الأزبكية الى بولاق ، وينقسم بقرب بولاق قسمين : قسما الى طريق أبى العلا ، وقسما يذهب الى جهة التبانة وساحل النيل ، وبطريقه .. الطريق المسلوكة الواصلة من طريق أبى العلا وجامع الخطيرى الى ناحية المدابغ .

وحفروا فى جانبى ذلك الجسر ، من مبدأه الى منتهاه ، خندقين ، وغرسوا بجانبه أشجارا وسيسبانا ، وأحدثوا طريقا أخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى ، عند المكان المعروف بالشيخ شعيب ، حيث معمل الفواخير ، وردموا جسرا ممتدا ممهدا مستطيلا ، يبتدىء من الحد المذكور ، وينتهى الى جهة المذبح خارج الحسينية . وأزالوا ما يتخلل بين ذلك من الأبنية والغيطان والأشجار والتلول ، وقطعوا جانبا كبيرا من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب ، وردموا فى طريقهم قطعة من خليج بركة الرطلى ، وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار ، المقابل لجسر بركة الرطلى ، وأشجار الجسر أيضا ، والأبنية التى بين باب الحديد والرحبة التى بظاهر جامع المقس . وساروا على المنخفض بحيث صارت طريقا ممتدة من الأزبكية الى جهة قبة النصر ، المعروفة بقبه العزب ، جهة العادلية على



بيت قاسم بيك

خط مستقيم من الجهتين ، وقيدوا بذلك أنفارا منهم يتعهدون تلك الطرق ويصلحون ما يخرج منها عن قالب الاعتدال بكثرة الدوس وحوافر الخيول والبغال والحمير ..

وفعلوا هذا الشغل الكبير ، والفعل العظيم فى أقرب زمن . ولم يسخروا أحدا فى العمل ، بل كانوا يعطون الرجال زيادة عن أجرتهم المعتادة : ويصرفونهم من بعد الظهيرة ، ويستعينون فى الأشغال وسرعة العمل بالآلات القريبة المأخذ : السهلة التناول ، المساعدة فى العمل وقلة الكلفة . كانوا يجعلون بدل الغلقان والقصاع عربات صغيرة ويداها ممتدتان من خلف ، يملأها الفاعل ترابا أو طينا أو أحجارا من مقدمها بسهولة ، بحيث تسع مقدار خمسة غلقان ، ثم يقبض بيديه على خشبتيها المذكورتين ، ويدفعها أمامه ، فتجرى على عجلتها بأدنى مساعدة ، الى محل العمل ، فيميلها باحدى يديه ، ويفرغ ما فيها من غير تعب ولا مشقة . وكذلك لهم فؤوس وقزم محكمة الصنعة ، متقنة الوضع وغالب الصناع من جنسهم ، ولا يقطعون الأحجار والأخشاب الا بالطرق الهندسية ، على الزوايا القائمة والخطوط المستقيمة .

وجعلوا جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية قلعة ، ومنارته برجا . ووضعوا على أسواره مدافع وأسكنوا به جماعة من العسكر ، وبنوا فى داخله عدة مساكن تسكنها العسكر المقيمة به .

وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة طويلة ، وباع نظاره منه انقاضا وعمدا كثيرة .

ومنها أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل

العقارب بالناصرية ، أبنية وكرانك وأبراجا ؛ ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر المرابطين فيه ، وهدموا عدة دور من دور الأمراء ، وأخذوا أنقاضها ورخامها لابنيتهم .

وأفردوا للمدبرين والفلكيين ، وأهل المعرفة والعلوم الرياضية : كالهندسة ، والهيئة ، والنقوشات ، والرسومات ، والمصورين ، والكتبة ، والحساب ، والمنشئين .. حارة الناصرية ، حيث الدرب الجديد وما به من البيوت ، مثل بيت قاسم بيك ، وأمير الحج المعروف بأبى يوسف ، وبيت حسن كاشف جركس القديم ، والجديد الذى أنشأه وشيده وزخرفه ، وصرف عليه أموالا عظيمة من مظالم العباد .. وعند تمام بياضه وفرشه حدثت هذه الحادثة ، ففر مع الفارين ، وتركه — فيه جملة كبيرة من كتبهم ، وعليها خزّان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ومن يريد المراجعة ، فيراجعون فيها مرادهم .

فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ، ويجلسون فى فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسى منصوبة موازية لتختات عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها ، فيحضرها له الخازن .. فيتصفحون ، ويراجعون ، ويكتبون ، حتى أسافلهم من العساكر . واذا حضر اليهم بعض المسلمين ، ممن يريد الفرجة ، لا يمنعونه الدخول الى أعز أماكنهم ، ويتلقونه بالبشاشة والضحك واظهار السرور بمجيئه اليهم ، وخصوصا اذا رأوا فيه قابلية أو معرفة أو تطلعا للنظر فى المعارف ، بذلوا له مودتهم ومحبتهم ، ويحضرون له أنواع الكتب المطبوع بها أنواع التصاوير وكرات البلاد ، والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات ، وتواريخ القدماء ، وسير الأمم ، وقصص الأنبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث أممهم ، مما يحير الأفكار .

ولقد ذهبت اليهم مرارا ، وأطلعونى على ذلك ... فمن جملة ما رأيته ، كتاب كبير يشتمل على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومصورون به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم ، وهو قائم على قدميه ، ناظر الى السماء كالمرهب للخليقة ، وبيده اليمنى السيف ، وفى اليسرى الكتاب ، وحوله الصحابة رضى الله عنهم بأيديهم السيوف . وفى صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين ، وفى الأخرى صورة المعراج والبراق ، وهو — صلى الله عليه وسلم — راكب عليه من صخرة بيت المقدس ، وصورة بيت المقدس ، والحرم المكى والمدنى ... وكذلك صورة الأئمة المجتهدين ، وبقية الخلفاء والسلاطين ..

ومثال اسلامبول وما بها من المساجد العظام : كأيا صوفية ، وجامع السلطان محمد ، وهيئة المولد النبوى ، وجمعية أصناف الناس لذلك . وكذلك السلطان سليمان ، وهيئة صلاة الجمعة فيه ، وأبى أيوب الأنصارى ، وهيئة صلاة الجنازة فيه . وصور البلدان والسواحل والبحار والأهرام ، وبرابى الصعيد ، والصور والأشكال ، والأقلام المرسومة بها .

وما يختص بكل بلد من أجناس الحيوان والطيور والنبات والأعشاب ، وعلوم الطب والتشريح والهندسيات ، وجر الأثقال .

وكثير من الكتب الاسلامية مترجم بلغتهم .

ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضى عياض ، ويعبرون عنه بقولهم « شفاء شريف » . والبردة للبوصيرى . ويحفظون جملة من أبياتها ، وترجموها بلغتهم .

ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن . ولهم تطلع زائد للعلوم ، وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات ، واجتهاد كبير فى معرفة اللغة والمنطق.. ويدأبون فى ذلك الليل والنهار .

وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات ، وتصاريفها واشتقاقاتها . بحيث يسهل عليهم نقل مايريدون من أى لغة كانت . الى لغتهم فى أقرب وقت .

وعند « توت » الفلكى وتلامذته ، فى مكانهم المختص بهم ، الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة ، وآلات الارتفاعات البديعة ، العجيبة التركيب ، الغالية الثمن ، المصنوعة من الصفر المموه ، وهى تركب ببراريم مصنوعة محكمة : كل آلة منها عدة قطع تركب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة ، بحيث إذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت قدرا من الفراغ ، وبها نظارات وثقوب ينفذ النظر منها الى المرئى . واذا انحل تركيبها وضعت فى ظرف صغير ... وكذلك نظارات للنظر فى الكواكب وأرصادها ، ومعرفة مقاديرها وأجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها ، وأنواع المنكابات والساعات التى تسير بثوانى الدقائق الغريبة الشكل ، الغالية الثمن .. وغير ذلك .

وأفردوا لجماعة منهم بيت ابراهيم كتخدا السنارى ، وهم المصورون لكل شيء : ومنهم « أريجو » المصور ، وهو يصور صور الآدميين تصويرا يظن من يراه أنه بارز فى الفراغ ، مجسم يكاد ينطق . حتى انه صور صورة المشايخ ، كل واحد على حدته ، فى دائرة ، وكذلك غيرهم من الأعيان وعلقوا ذلك فى بعض مجالس سارى عسكر وآخر فى مكان آخر يصور الحيوانات والحشرات ، وآخر يصور الأسماك والحيتان بأنواعها وأسمائها .

ويأخذون الحيوان أو الحوت الغريب ، الذى لايوجد ببلادهم ، فيضعون جسمه بذاته فى ماء مصنوع حافظ للجسم ، فيبقى على حالته وهيئته : لاتتغير ولا يبلى ولو بقى زمنا طويلا .

وكذلك أفردوا أماكن للمهندسين ، وصناع الدقائق . وسكن الحكيم « رويا » ببيت ذى الفقار كتخدا بجوار ذلك ، ووضع آلاته ومساحقه وأهوانه فى ناحية ، وركب له تنانير وكوانين لتقطير المياه والأدهان ، واستخراج الأملاح ، وقدورا عظيمة ، وبرامات ، وجعل له مكانا أسفل وأعلى ، وبهما رفوف عليها القدور المملوءة بالتراكيب والمعاجين ، والزجاجات المتنوعة . وبها كذلك عدة من الأطباء والجرايحية .

وأفردوا مكانا فى بيت حسن كاشف جركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوى ، وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع ، وآلات تصاعيد الأرواح ، وتقاطير المياه وخلاصات المفردات ، وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب والنباتات ، واستخراج المياه الجلاءة والحلالة . وحول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلورى المختلف الأشكال والهيئات ، على الرفوف والسدلات . وبداخلها أنواع المستخرجات .

ومن أغرب ما رأيته فى ذلك المكان ، أن بعض المتقيدين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة ، فصب منها شيئا فى كأس ، ثم صب عليها شيئا من زجاجة أخرى ، فعلا الماءان ، وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما فى الكأس ، وصار حجرا أصفر ، فقلبه على البرجات حجرا يابسا ، أخذناه بأيدنا ونظرناه . ثم فعل كذلك بمياه أخرى فجمد حجرا أزرق ، وبأخرى فجمد حجرا أحمر ياقوتيا . وأخذ مرة شيئا قليلا جدا من غبار أبيض ، ووضعه على السندال وضربه بالمطرقة بلطف ، فخرج له صوت هائل كصوت القرابانة انزعجنا منه ، فضحكوا منا . وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة فى مقدار الشبر ، ضيقة الفم ، فغمسها فى ماء قراح موضوع فى صندوق من الخشب ، مصفح الداخل بالرصاص ،

وأدخل معها أخرى على غير هيئتها ، وأنزلهما فى الماء ، وأصعدهما بحركة انحبس بهـا الهواء فى احداهما ، وأتى آخر بفتيلة مشتعلة ، وأبرز ذلك فم الزجاجة من الماء ، وقرب الآخر الشـعلة اليها فى الحـال ، فخرج مافيهـا من الهواء المحبوس وفرقع بصوت هائل أيضا ... وغـير ذلك أمور كثيرة ، وبراهين حكمية تتولد من اجتماع العناصر وملاقاة الطبائع .

ومثـل الفلكة المستديرة التى يديرون بهـا الزجاجـة ، فيتولد من حركتها شرر يطير بملاقاة أدنى شىء كثيف ، ويظهر له صـوت وطقطقة . واذا مسك علاقتها شخص — ولو خيطا لطيفـا متصلا بها — ولمس آخر الزجاجة الدائرة ، أو ماقرب منها بيده الأخرى ... ارتج بدنه ، وارتعد جسمه ، وطقطقت عظام أكتافه وسواعده فى الحال برجة سريعة . ومن لمس هـذا اللامس ، أو شيئا من ثيابه ، أو شيئا متصلا به .. حصل له ذلك ، ولو كانوا ألفا أو أكثر . ولهم فيه أمور وأحـوال وتراكيب غريبة ، ينتج منها نتائج لاتسعها عقول أمثـالنا !

وأفردوا أيضا مكانا للنجارين وصناع الآلات والأخشـاب وطواحين الهواء والعربات واللوازم لهم فى أشغالهم وهندساتهم وأرباب صنائعهم .

ومكان آخر للحدادين ، وبنوا فيه كوانين عظاما ، وعليها منافيخ كبار يخرج منها الهواء متصلا كثيرا ، بحيث يجذبه النـافخ من أعلى بحركة لطيفـة . وصنعوا السندانات والمطارق العظام ، لصناعات الآلات من الحديد والمخارط ، وركبوا مخـارط عظيمة لخرط الفلوزات الحديد العظيمـة . ولهم فلكات مثقلة يديرها الرجال للمعلم الخراط للحديد بالأقلام المتينة الجافية ، وعليها حق صـغير معلق مثقوب ، وفيه ماء يقطر على محل الخرط لتبريد النـارية الحادثة من الاصطكاك . وبأعـلى هذه الأمكنة صناع الأمور الدقيقة ، مثل : البركارات ، وآلات السـاعات ، والآلات الهنـدسية المتقنة ... وغير ذلك .

رجب

٣ منه (١١ ديسمبر ١٧٩٨ م)

قتلوا شخصـا من الأجناد يقال له مصـطفى كاشف من جماعة حسين بيك المعروف بشفت .

وكان قد فر مع الفارين ، ثم رجـع من غير استئذان وأقام أياما مستترا ببيت الشيخ سليمان الفيومى ، فسلمه لمصطفى أغا مستحفظان ليـأخذ له أمانا ، فأخبر الفرنسيس بشأنه ، وأغراهم عليه . فأمروه بقتله ... فقطع رأسه ، وطافوا بها ينادون عليها بقولهم : هذا جزاء من يدخل الى مصر بغير اذن الفرنسيس .

٥ منه (١٣ ديسمبر ١٧٩٨ م)

حضر كبير الفرنسيس الذى بناحية قليـوب وصحبته سليمان الشواربى شيخ الناحية وكبيرها . فلما حضر حبسوه بالقلعة . قيل انهم عثروا له على مكتوب أرسله وقت الفتنة السابقة الى سرياقوس لينهض أهل تلك النـواحى فى القيـام ويامـرهم بالحضور وقت أن يرى الغلبـة على الفرنسيس . ولما حبسوه حبسوا معه أربعة من الأجناد أيضا .

وفيه : أحدثوا مزمارا يضربونه فى كل وقت ، وقت الزوال ، لأن ذلك الوقت عنـدهم ابتـداء اليوم .

١٠ منه (١٨ ديسمبر ١٧٩٨ م)

نادوا فى الأسواق بأن من أراد أن يشـترى فرسا أو حمارا فليحضر يوم الجمعة ١٣ منه (٢١ ديسمبر ١٧٩٨ م) ببولاق ويشترى من الفرنساوية ما أحب من ذلك . وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها

بالأسواق والأزقة ، وهي مطبوعة وعليها الصورة . ونصها :

« فليكن معلوما عند كافة الرعايا المصرية، أن في يوم الجمعة ١٣ من شهر رجب الساعة ٢ يباع في بولاق جملة خيل من المشيخة الفرنساوية .فلأجل هذا المشترى ، كل من أراد أن يقتني خيلا منحنا له الاجازة أنه يقتنى كما يريد ويشاء » .

١٦ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٩٨ م) :

سافر صارى عسكر بونابرته الى السويس وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقي وابراهيم أفندى كاتب البهار وأخذ معه أيضا بعض المدبرين والمهندسين والمصورين وجرجس الجوهرى والطون أبو طاقية ، وغيرهم وعدة كثيرة من عساكر الخيالة والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختروان وعدة جمال لحمل الذخيرة والماء والقومانية .

وفيه : شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم آخر ، وعينوا له ستين نفرا : منهم أربعة عشر يقال لهم خصوص — وهم الذين يحضرون دائما — ويقال لهم « الديوان الخصوصى والديوان الديمومى » ، والباقى بحسب الاقتضاء . والأربعة عشر هم ... من المشايخ : الشرقاوى ، والمهدى ، والصاوى ، والبكرى ، والفيومى . ومن التجار : المحروقى ، وأحمد محرم . ومن النصارى القبطة : لطف الله المصرى . ومن الشوام : يوسف فرحات ، وميخائيل كحيل ، ورواحه الانكليزى ، وبدنى ، وموسى كافر الفرنساوى . ومعهم وكلاء ومباشرون من الفرنسيس ، ومترجمون . وأما العمومى ، فأكثره مشايخ حرف .

وكتبوا بذلك طومارا كبيرا ، بصموا منه نسخا كثيرة ، وأرسلوا منه نسخا كثيرة للأعيان ، وألصقوا منها بالأسواق على العادة . وأرسلوا للذين عينوا بالديوان أوراقا بأسمائهم شبه التقارير ، وصورة صدر ذلك الطومار المكتتب فى شأن ذلك .

وقد أوردت ذلك — وان كان فيه بعض طول — للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول ، والتسلق على دعوى الخواص من البشر .. بفاسد التخيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل ، فضلا عن النظر وهى مقولة على لسان بونابرته كبير الفرنسيس . ونصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ..

« من أمير الجيوش الفرنساوية ، خطابا الى كافة أهل مصر ، الخاص والعام :

« نعلمكم أن بعض الناس الضالين العقول ، الخالين من المعرفة وادراك العواقب ، سابقا أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر ، فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة . والبارى ، سبحانه وتعالى ، أمرنى بالشفقة والرحمة على العباد ! فامتثلت أمره ، وصرت رحيما بكم ، شفوقا عليكم ولكن كان حصل عندى غيظ وغم شديد بحسب تحريك هذه الفتنة بينكم ... ولأجل ذلك عطلت الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد ، وصلاح أموالكم من مدة شهرين . والآن توجه خاطرنا الى ترتيب الديوان كما كان . لأن حسن أحوالكم ومعاملتكم فى المدة المذكورة أنسانا ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التى وقعت سابقا .

« أيها العلماء والأشراف ، أعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم ، بأن الذى يعادينى ويخاصمنى انما خصامه من ضلال عقله ، وفساد فكره ، فلا يجد ملجأ ولا مخلصا ينجيه منى فى هذا العالم ، ولا ينجو من بين يدى الله ! لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى . والعاقل يعرف أن ما فعلناه ... بتقدير الله تعالى ، وارادته وقضائه ! ومن يشك فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة .

« وأعلموا أيضا أمتكم أن الله قدر فى الأزل

هلاك أعداء الاسلام وتكسير الصلبان على يدى .
وقدر فى الأزل أنى أجىء من المغرب الى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها ، واجراء الأمر الذى أمرت به . ولا يشك العاقل أن هـذا كله بتقدير الله وارادته وقضائه !

« واعلموا أيضا أمتكم أن القرآن العظيم صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل ! وأشار فى آيات أخرى الى أمور تقع فى المستقبل . وكلام الله فى كتابه صدق وحق ، لا يتخلف . اذا تقرر هـذا ، وثبتت هذه المقالات فى أذهانكم ... فلترجع أمتكم جميعا الى صفاء النية ، واخلاص الطوية ... فان منهم من يمتنع عن الغى واظهار عداوته ، خوفا من سلاحى وشدة سطوتى . ولم يعلموا أن الله مطلع على السرائر ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . والذى يفعل ذلك يكون معارضا لأحكام الله ، ومنافقا ، وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب !

« واعلموا أيضا أنى أقدر على اظهار ما فى نفس كل أحد منكم ! لأننى أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه ، بمجرد ما أراه ، وان كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذى عنده ! ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة أن كل ما فعلته وحكمت به ... فهو حكم الهى لا يرد ! وان اجتهاد الانسان غاية جهده ، ما يمنعه عن قضاء الله الذى قدره وأجراه على يدى !

« فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم وهمتهم ، مع صفاء النية واخلاص السريرة .. والسلام ! » .

وفيه : رتبوا لأرباب الديوان الديمومى شهرية تدفع اليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة والدعاوى ، وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين .

١٨ منه (٢٦ ديسمبر ١٧٩٨ م) .

طافوا على الطواحين واختاروا من كل طاحون فرسا أخذوها .

٢٤ منه (اول يناير ١٧٩٩ م) :

حضر السيد المحروقى وكاتب البهار من السويس ، وكان صارى عسكر ذهب الى ناحية بلبيس ، فاستأذنوه فى ذهابهم الى مصر ، فأذن لهم ، وأرسل معهم خمسين عسكريا ليوصلوهم الى مصر .

فلما حضروا حكوا أن أهل السويس ، لما بلغهم مجىء الفرنساوية ، هربوا وأخلوا البلدة ، فذهبوا الى الطور ، وذهب البعض الى العرب بالبادية . فنهب الفرنسيس ماوجدوه بالبندر من البن والمتاجر والأمتعة وغير ذلك ، وهدموا الدور ، وكسروا الأخشاب وخوابى الماء . فلما حضر كبيرهم — وكان متأخرا عنهم — كلمه التجار الذاهبون معه ، وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح . فاسترد من العسكر بعض الذى أخذوه ، ووعدهم باسترجاع الباقى ، أو دفع ثمنه بمصر ، وأن يكتبوا قائمة بالمنهوبات . ثم أنه وجد مركبين حضرا الى قريب من السويس بهما بن ومتاجر ، فغرقت احداهما ، فنزلت طائفة من الفرنسيس فى مراكب صغار ، وذهبوا اليها فى الغاطس ، وأخرجوها بآلات ركبوها واصطنعوها من علم جر الأثقال .

وفى مدة اقامته بالسويس ، صار يركب ويتأمل فى النواحى وجهات ساحل البحر والبر ليلا ونهارا وكان معه من الأدم فى هذه السفرة ثلاثة طيور دجاج محمرة ملفوفة فى ورق ، وليس معه طباخ ولا فراش ، ولا فرش ولا خيمة . وكل شخص من عسكره معه رغيف كبير مرشوق فى طرف حربته ، يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق فى عنقه .

٢٨ منه (٥ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر عدة من العسكر الفرنساوية من ناحية بلبيس ، ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفرا موثقين بالحبال ، وأسروا أيضا عدة من أولادهم ، ذكورا واناثا ، ودخلوا بهم الى مصر يزفونهم بالطبول أمامهم ، ومعهم أيضا ثلاثة حمول من حمول التجار ، وبعض جمال مما كان نهب منهم عند رجوعهم من الحج .

غايته (٧ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر صارى عسكر من ناحية بلبيس الى مصر ليلا ، وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباظة أخا سليمان أباظة شيخ العبايدة وخلافه .. رهائن ، وضربوا « أبا زعبل » و « المنير » وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم الى القاهرة ، وخلفهم أصحابهم رجالا ونساء وصغارا .

وفى ذلك اليوم قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربى ، شيخ قليوب ، ومعه أيضا ثلاثة رجال يقال لهم عرب الشرقية ، وأنزلوهم من القلعة الى الرميلة على يد الأغا ، وقطعوا رءوسهم ، وحملوا جثة الشواربى مع رأسه فى تابوت ، وأخذه أتباعه فى بلده قليوب ليدفن هناك عند أسلافه

وانقضى هذا الشهر وحوادثه الجزئية والكلية .. منها : أن فى ليلة السابع والعشرين منه أتت جماعة الى دار الشيخ محمد بن الجوهرى ، الكائن بالأزبكية بالقرب من باب الهواء ، فجلعوا الشباك المطل على البركة ، ودخلوا منه وصعدوا الى أعلى الدار — وكان بها ثلاث من النساء الخدامات وابنة خدامة أيضا وبواب الدار ، ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم ، بل كانوا قد انتقلوا الى دار أخرى لما سكن معظم العسكر بالأزبكية — فاستيقظ النساء وصرخن ، فضربوهن ، وقتلوا منهن امرأة ، واختفت البنت فى جهة . وعاثوا فى الدار ، وأخذوا متاعا ومصاغا ونزلوا ، واستيقظ البواب فاختفى خوفا منهم .

فلما طلع النهار وشاع الخبر — وكان صارى عسكر غائبا — فلم يقع كلام فى شأن ذلك . فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان وأخبروه . فاغتم لذلك ، وأظهر الغيظ ، وذم فاعل ذلك لما فيه من العار الذى يلحقه ، واهتم فى الفحص عمن فعل ذلك وقتله

ومنها . كثرة تعدى القلقات ، وتشديدهم على وقود القناديل بالأزقة . وهم من أهل البلد . واذا مروا بالليل ووجدوا قنديلا أطفأه الهواء ، أو فرغ زيته ، سمروا الحانوت أو الدار التى هو عليها ولا يقلعون المسمار حتى يصالحهم صاحبها على ما أحبوه من الدراهم وربما تعمدوا كسر القناديل لأجل ذلك

واتفق أن المطر أطفأ عدة قناديل بسوق أمير الجيوش ، بسبب كونها فى ظروف من الورق والجريد ، فابتل الورق ، وسال الماء فأطفأ القناديل ، فسمروا حوانيت السوق ، وأصبح أهلها فصالحوا عليها ، ووقع مثل ذلك فى طرق عديدة ، فجمعوا فى ذلك اليوم جملة من الدراهم ، وأمثال ذلك حتى فى الأزقة والعطف غير النافذة ... حتى كان الناس ليس لهم شغل الا القناديل وتفقد حالها وخصوصا فى ليل الشتاء الطويل .

شعبان

فى مستهله الثلاثاء (٨ يناير ١٧٩٩ م) :

قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس وبندقوا عليهم بالرصاص بالميدان تحت القلعة قيل انهم من المتسلقين على الدور .

وفيه : أخبر السفار بأن مراد بيك ومن معه ترفعوا الى قبلى ووصلوا الى عقبة الهواء . وكلما قرب منهم عسكر الفرنساوية انتقلوا وقبلوا . ولقد

داخلهم من الفرنساوية خوف شديد ولم يقع بينهم ملاقاة ولا قتال .

وفيه : قدمت رباعة تحمل البن الذى حضر من السويس بالمركب الداو بصحبة جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق .

الاحد ٦ منه (١٣ يناير ١٧٩٩ م) :

نادى القبطان الفرنساوى الساكن بالمشهد الحسينى على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين ، وشدد فى ذلك ، وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسة مكافأة له على ذلك .

وكان السبب فى ذلك ، والأصل فيه ، أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوى بن فتيح مباشر وقف المشهد .. فكان قد اعتراه مرض الحب الأفرنجى ، فنذر على نفسه هذا المولد ان شفاه الله تعالى ! فحصلت له بعض افاقة ، فابتدأ به ، وأوقد فى المسجد والقبة قناديل وبعض شموع ، ورتب فقهاء يقرأون القرآن بالنهار مدارسة ، واخرين بالمسجد يقرأون بالليل دلائل الخيرات للجزولى . ثم زاد الحال ، وانضم اليهم كثير من أهل البدع ، كجماعة العفيفى ، والسمان ، والعربى ، والعيسوية : فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها ، وينشد له المنشدون القصائد والموالات . ومنهم من يقول أبياتا من بردة المديح للبوصيرى ، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وأما العيسوية فهم جماعة من المغاربة ومن دخل فيهم من أهل الأهواء ، ينسبون الى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى . وطريقتهم : أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ، ويقولون كلاما معوجا بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها ، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ، ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم . وتقف جماعه أخرى ، قبالة الذين يضربون الدفوف ، فيضعون أكتافهم فى أكتاف بعض ، لا يخرج واحد عن الآخر ، ويلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم ... كل ذلك مع الحركة العنيفة ، والقوة الزائدة ، بحيث لا يقوم هذا المقام الا كل من عرف بالقوة ! وهذه الحركات والايقاعات على نمط الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد دوى عظيم ، وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعة الفقراء ... كل أحد له طريقة وكيفية تباين الأخرى !

هذا مع ما ينضم الى ذلك من جمع العوام ، وتحلقهم بالمسجد للحديث والهذيان ، وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك ، والتلفت الى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج ، والسعى خلفهم والافتتان بهم ، ورمى قشور اللب والمكسرات والمأكولات فى المسجد ، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه ، وسقاة الماء ، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ، ملتحقا بالأسواق المتهنة !

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ثم زاد الحال على ذلك بقدوم جماعة الأشاير من الحارات البعيدة والقريبة ، وبين أيديهم مناور القناديل والجوامع العظيمة التى تحملها الرجال ، والشموع ، والطبول ، والزمور . ويتكلمون بكلام محرف ، يظنون أنه ذكر وتوسلات يثابون عليها ، وينسبون من يلومهم أو يعترضهم الى الاعتزال والخروج والزندقة ! وغالبهم السوقة وأهل الحرف السافلة ، ومن لايملك قوت ليلته ... فتجد أحدهم يجتهد بقوة سعيه ، ويبيع متاعه ، أو يستدين الجميلة من الدراهم ، ويصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة ! وكل يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش ، ثم يقطع ليلته تلك

سهران ، ويصبح دائخا كسلان ، ويظن أنه بات يتعبد ، ويذكر ويتجهد !

واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين ، ولم يزدد الناذر لذلك الا مرضا ومقتا . واستجلب خدمة الضريح مالاح لهم من خساف العقول ، مثل الشمع والدراهم ، واتخذوا ذلك حبالة لأكل أموال الناس بالباطل !

فلما حصلت هذه الحادثة بمصر ، ترك هذا المولد في جملة المتروكات . ثم حصلت الفتنة التي حصلت ، وسكن هذا الفرنساوى في خط المشهد الحسينى ، لضبط تلك الجهة — وفيه منسايرة ومداهنة — فصار يظهر المحبة للمسلمين ويلاطفهم ، ويدخل بيوت الجيران ، ويقبل شفاعة المتشفعين ، ويجل الفقهاء ، ويعظمهم ويكرمهم . وأبطل وقوف عسكره بالسلاح كعادتهم في غير هذه الجهة . وكذلك منع مايفعله القلقات من أنواع التشديد على الناس في مثل القناديل .

فاطمأن به أهل الخطة ، وتراجعوا للبكور الى الصلاة في المساجد بعد تخوفهم من العسكر الذى رتب معهم وتركهم التبكير . فلما أنسوا به ، وعرفوا أخلاقه ، رجعوا الى عادتهم ، ومشوا بالليل أيضا بدون فزع وخوف .

وترجمانه على مثل طريقته . وهو رجل شريف من أهل حلب ، كان آسيرا بمالطة ، فاستخلصه الفرنسيس في جملة من استخلصوهم من آسرى مالطة ، وقدم معهم مصر . فلما أجلس هذا لضبط الخط ، كان ترجمانه يهوديا ، فاحتال بعض أعيان الجهة ، ورتب هذا الشريف المذكور ، ليكون فيه راحة للناس . ففتح له قهوة بالخط بالقرب من دار مخدومه ، وجمع الناس للجلوس فيها ، والسهر حصة من الليل ، وأمرهم بعدم غلق الحوانيت مقدارا من الليل كعادتهم القديمة .. فاستأنسوا بالاجتماعات والتسلى والخلاعات . وعم ذلك جهات تلك الخطة ، ووافق ذلك هوى العامة لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة ... وتلك هى طبيعة الفرنساوية ! فصاروا يجتمعون عنده للسمر والحديث ، واللعب والممازحة . ويحضر معهم ذلك الضابط ، ومعه زوجته ، وهى من أولاد البلد المخلوعين أيضا !

فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشهرى ، وما يقع في لياليه من الجمعيات والمهرجان ، وحسنوا له اعادته . فوافقهم على ذلك ، وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ، ووقود القناديل ، وشدد في ذلك .

الأربعاء ٩ منه (١٧ يناير ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا بتطيير طيارة ببركة الأزبكية ، مثل التى سبق ذكرها ... وفسدت ، فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر . وطيروها فصعدت الى الأعلى ، ومرت الى أن وصلت تلال البرقية ، وسقطت . ولو ساعدها الريح ، وغابت عن الأعين ... لتمت الحيلة ، وقالوا انها سافرت الى البلاد البعيدة بزعمهم .

وفيه : سافر الخواجه مجلون الى الصعيد واليا على جرجا لتحرير البلاد وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحى .. للغز .

وفيه : سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ، ومواش ، ونساء أفرنجيات ، وصناديق قيل انهم أرسلوها الى الطور ، وصحبتهم عدة من العسكر .

الخميس ١٠ منه (١٧ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر طائفة من العسكر الفرنساوى الى وكالة ذى الفقار بالجمالية ، وفتحوا طبقة كانت لكتخدا على باشا الطرابلسى ، وأخذوا ماوجدوه بها من الأمتعة ، وختموا عدة حواصل وطباق بذلك الخان وبالوكالة الجديدة وغيرها ، للمسافرين والهاربين والقليونجية ، وضبطوا ما بها ، وقبضوا على جماعة من الأتراك والقليونجية التجار ، وسجنوهم

بالقلعة . وصاروا يفتشون على من بقى منهم بالقاهرة وبولاق — خصوصا الكرتلية الذين كانوا عسكرا لمراد بيك — وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والقليونجية الذين كانوا مع مراد بيك — وبعضهم كان بمصر — فأدخلوهم فى عسكرهم ، وزيوهم بزيهم ، وأعطوهم أسلحة ، وانتظموا فى سلكهم .

وفيه : تواترت الأخبار بأن على باشا ونصوح باشا فارقا مراد بيك وذهبا من خلف الجبل على الهجن الى جهة الشام وصحبتهم جماعة ابراهيم بيك . وكان ذهابهم فى أواخر رجب .

وفيه : نادوا بإبطال القناديل التى توقد فى الليل على البيوت والدكاكين ، وأن يوقدوا عوضها فى وسط السوق مجامع فى كل مجمع أربعة قناديل ، بين كل مجمع ثلاثون ذراعا . ويقوم بذلك الأغنياء دون الفقراء . ولا علاقة للقلقات فى ذلك . ففرح بذلك فقراء الناس ، وانفرجت عنهم هذه الكربة .

وفيه : نادوا أيضا أن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة فليذهب الى العلماء والقاضى .

وفيه : ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب السكوامل ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والأوز والحمير وغير ذلك .

وفيه : حضر رجل من ناحية غزة يطلب أمانا للست فاطمة زوجة مراد بيك ولابنة المرحوم محمد أفندى البكرى وزوجها الأمير ذى الفقار وخشداشينه . والخطاب للشيخ خليل البكرى . فعرض ذلك على سارى عسكر ، وترجى عنده ، فكتب لهم أمانا بحضورهم ، وأرسل لهم نفقة . وكان ذلك حيلة منهم لتأتيهم النفقة وبعض الاحتياجات .

وأخبر ذلك الرسول أن عبد الله باشا ابن العظم بغزة ، وابراهيم بيك ومن معه خارج البلد ، وهم فى ضيق وحصر ، وحيز عنهم داخل البلد .

وفيه : ذهب عدة من العسكر الفرنساوية الى قطيا ، وشرعوا فى بناء أبنية هناك . وأشيع سفر سارى عسكر الى جهة الشام والاغارة عليها .

الأحد ١٣ منه (٢٠ يناير ١٧٩٩ م) :

كان انتقال الشمس لبرج الدلو — وهو أول شهر من شهورهم — وعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسواريخ ، كما هى عادتهم عند كل انتقال الشمس من برج الى برج .

الاثنين ١٤ منه (٢١ يناير ١٧٩٩ م) .

نادى المحتسب على اللحم الضانى بسبعة أنصاف الرطل وكان بثمانية ، واللحم الجاموسى بخمسة وكان بستة .

وفيه : ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب العيايدة نواحى الخانكة ، وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ، ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنساوية وأسلحتهم .... جملة ، فأخذوا ذلك مع ما أخذوه . وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم بالقلعة .

وفيه : ذهب عدة من العسكر الى سنافير وأجهور الورد وقرنفيل وكفر منصور وبلاد أخرى للتفتيش على العرب ، فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهائم وغيرها . والذى عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضا ، ونهبوا جمالا وبهائم ممن لم يعص أيضا ، ودخلوا بذلك المدينة . فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة ، والنعجة وابنها بريال ... فاشترى غالب ذلك نصارى القبط .

السبت ١٩ منه (٢٦ يناير ١٧٩٩ م) :

قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفرا ، وغالبهم من المماليك الذين وجدوهم هاربين فى البلاد والذين عس عليهم الخبيث الأغا وبرطلمين والقلقات ووجدوهم مختفين فى البيوت .

وفيه : قبضوا على خمسة أنفار من اليهود وامرأتين فألقوا الجميع فى بحر النيل .

وفيه : نادوا بأن كل من اشترى شيئا من منهوبات العرب التى نهبتها العسكر يحضره لبيت صارى عسكر .

وفيه : كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيس الى جهة الشام . وطلبوا وهيأوا جملة من الهجن ، وأحضروا جمال عرب الترابين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط . ثم رسموا على الأهالى عدة كبيرة من الحمير ، وكذلك عدة من البغال . فطلب شيخ الحمارة ، وأمر بجمع ذلك ... وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال . فاختفى غالب أصحاب الحمير ، وخاف الناس على حميرهم ، فامتنع خروج السقائين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير ، وسقائين الجمال ، والبراسمية . فحصل للناس ضيق بسبب ذلك .

الاثنين ٢١ منه (٢٨ يناير ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا ، ولصقوها بالأسواق على العادة ، ونصها :

« الحمد لله وحده .. هذا خطاب الى جميع أهل مصر — من خاص وعام — من محفل الديوان الخصوصى ... من عقلاء الأنام علماء الاسلام ، والوجاقات ، والتجار الفخام . . نعلمكم معاشر أهل مصر ، أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابرته ، أمير الجيوش الفرساوية ، صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ، وعفا عفوا شاملا ، وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قائد أغا بالأزبكية ، ورتبه من أربعة عشر شخصا ، أصحاب معرفة واتقان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان ، وذلك لاجل قضايا حوائج الرعايا ، وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام ، وتنظيمها على أكمل نظام واحكام ... كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ، ومزيد حبه لمصر ! وشفقته على سكانها ، من صغير القوم قبل كبيرهم . ورتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم . وقد اقتص من عسكره الذين أساءوا بمنزل الشيخ محمد الجوهرى ، وقتل منهم اثنين بقراميدان ، وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالى الى أدنى مقام . لأن الخيانة ليست من عادة الفرنسيس ! خصوصا مع النساء الأرامل ... فان ذلك قبيح عندهم ، لا يفعله الا كل خسيس . ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكاس لأنه بلغه أنه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة على الناس . وفعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلم . ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ، ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل الى بحر السويس لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الأفخم ، وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق ، وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق .

« فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم ، واتركوا الفتنة والشرور ، ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم . وعليكم بالرضا بقضاء الله ! وحسن الاستقامة ، لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة . رزقنا الله واياكم التوفيق والتسليم ! » .

« ومن كانت له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم .. الا من كان له دعوى شرعية ، فليتوجه الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية ... بخط السكرية .

« والسلام على أفضل الرسل على الدوام »

وفيه : أرسلوا للوالى لينبه على السقائين بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم

الاربعاء ٢٣ منه (٣٠ يناير ١٧٩٩ م) :

خرج ليلا عدة كبيرة من العسكر وطلب كبير الفرنساوية بونابارته أن يأخذ معه مصطفى بيك كتخدا الباشا المتولى أمير الحج ويأخذ أيضا قاضى العسكر بجمقشى زاده وأربعة أنفار من المتعممين ، وهم الفيومى والصاوى والعريشى والدواخلى ، وجماعة أيضا من التجار والوجاقلية ونصارى القبط والشوام .

السبت ٢٦ منه (٢ فبراير ١٧٩٩ م) :

نادوا للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلا فى رمضان ، حكم المعتاد .

وفيه : انتقل قائمقام من بيته المطل على بركة الفيل — وهو بيت ابراهيم بيك الوالى — وسكن بيت أيوب بيك الكبير المطل على بركة الأزبكية . وانتقلوا جميعهم الى بركة الأزبكية .

وفيه : عرض حسن أغا محرم المحتسب لسارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لاثبات هلال رمضان فرسم له بذلك ، على العادة القديمة ، فاحتفل لذلك المحتسب احتفالا زائدا وعمل وليمة عظيمة فى بيته أربعة أيام ، أولها السبت وآخرها الثلاثاء .. دعا فى أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ والوجاقلية وغيرهم ، وفى ثانى يوم التجار والأعيان ، وكذلك ثالث يوم ورابع يوم دعا أيضا أكابر الفرنساوية وأصاغرهم .

وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة ، وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم ، وشق القاهرة على الرسم المعتاد ، ومر على قائمقام وأمير الحج وصارى عسكر بونابرته . ثم رجع بعد الغروب الى بيت القاضى بين القصرين ، فأثبتوا هلال رمضان ليلة الاربعاء ثم ركب من هناك بالموكب ، وأمامه المشاعل الكثيرة ، والطبول والزمور والنقاقير ، والمناداة بالصوم .. وخلفه عدة خيالة عارية رؤوسهم وشعورهم مرخية على أقفيتهم بشكل بشع مهول .

وانقضى شهر شعبان وحوادثه ..

فمنها : أن أهل مصر جروا على عادتهم فى بدعهم التى كانوا عليها وانكمشوا عن بعضها ، واحتشموها خوفا من الفرنسيس . فلما تدرجوا فيها ، وأطلق لهم الفرنساوية القيد ، ورخصوا لهم ، وسايروهم ... رجعوا اليها ، وانهمكوا فى عمل مواليد الأضرحة التى يرون فرضيتها ، وأنها قربة تنجيهم — بزعمهم — من المهالك ، وتقربهم الى الله زلفى فى المسالك ... فرمحوا فى غفلاتهم مع ما هم فيه من الأسر ، وكساد غالب البضائع ، وغلوها ، وانقطاع الأخبار ، ومنع الجالب ، ووقوف الانكليز فى البحر ، وشدة حجزهم على الصادر والوارد ... حتى غلت أسعار جميع الأصناف المجلوبة من البحر الرومى ، وانقطع أثر كثير من أرباب الصنائع التى كسدت لعدم طلابها . واحتاجوا الى التكسب بالحرف الدنيئة : كبيع الفطير ، وقلى السمك ، وطبخ الأطعمة والمأكولات ! والأكل فى الدكاكين ، واحداث عدة قهاوى .

وأما أرباب الحرف الدنيئة الكاسدة ، فأكثرهم عمل حمارا مكاريا .. حتى صارت الأزقة — خصوصا جهات العسكر — مزدحمة بالحمير التى تكرى للتردد فى شوارع مصر فان للفرنسيس بذلك عناية عظيمة ، ومغالاة فى الأجرة ... بحيث أن الكثير منهم نظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى أن يجرى به مسرعا فى الشارع !

كذلك تجتمع الجماعة منهم ، ويركبون الحمير ، ويجهدونها فى المشى والاسراع ، وهم يغنون ويضحكون ، ويصيحون ويتمسخرون . ويشاركهم المكارية فى ذلك .

كما أن لهم العناية وبذل الأموال والتردد الى



القوات الفرنسية فى الصعيد

حانات الراح ، والتغالى فى شراء الفواكه والبواطى والأقداح . كما قال فى ذلك صاحبنا الشيخ حسن العطار

ان الفرنسيس قد ضاعت دراهمهم
فى مصرنا بين حمار وخمار
وعن قريب لهم فى الشام مهلكة
يضيع لهم فيها آجال وأعمار

ومن طبعهم فى الشرب ، أنهم يتعاطون لحد النشوة وترويح النفس . فان زادوا عن ذلك الحد ، لايخرجون من منازلهم . ومن سكر وخرج الى السوق ووقع منه أمر مخل ، عاقبوه وعزروه .

ومنها : ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود ، وركوبهم الخيول ، وتقلدهم بالسيوف ... بسبب خدمتهم للفرنسيس ! ومشيهم الخيلاء ، وتجاهرهم بفاحش القول ، واستذلالهم المسلمين ... كل ذلك بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد !

والحال ... الحال ! والمركوز فى الطبع مازال ، والبعض استهوته الشياطين ، ومرق — والعياذ بالله — من الدين . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ومنها : تواتر الأخبار من ابتداء شهر رجب بأن رجلا مغربيا — يقال له الشيخ الكيلانى — كان مجاورا بمكة والمدينة والطائف . ولما وردت أخبار الفرنسيس الى الحجاز ، وأنهم ملكوا الديار المصرية — انزعج أهل الحجاز لذلك ، وضجوا بالحرم ، وجردوا الكعبة . وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ، ويدعوهم الى الجهاد ، ويحرضهم على نصرة الحق والدين . وقرأ بالحرم كتابا مؤلفا فى معنى ذلك .. فاتعظ جملة من الناس ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم ، واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين ، وركبوا البحر الى القصير .. مع من انضم اليهم من أهل ينبع وخلافه . فورد الخبر فى أواخره أنه انضم اليهم جملة من أهل الصعيد ، وبعض أتراك ومغاربة .. ممن كان خرج معهم مع غز مصر عند وقعة امبابة . وركب الغز معهم أيضا ، وحاربوا الفرنسيس ، فلم تثبت الغز كعادتهم ، وانهزموا ، وتبعهم هوارة الصعيد ، والمتجمعة من القرى . وثبت الحجازيون ، ثم انكفوا لقلتهم ، وذلك بناحية جرجا . وهرب الغز والمماليك الى ناحية اسنا ، وصحبتهم حسن بيك الجداوى ، وعثمان بيك حسن تابعه .

ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع . وينفصل الفريقان بدون طائل .

ومنها : أن الفرنسيس عملوا كرنتيلة بجزيرة بولاق : وبنوا هناك بناء فيحجزون بها القادمين من السفار أياما معدودة ... كل جهة من الجهات القبلية والبحرية بحسبها . والله أعلم .

رمضان

الأربعاء أوله (٦ فبراير ١٧٩٩ م) :

أخذ بونابرته فى الاهتمام بالسفر الى جهة الشام ، وجهزوا طلبا كثيرا ، وصاروا فى كل يوم تخرج منهم طائفة بعد طائفة .

السبت ٤ منه (٩ فبراير ١٧٩٩ م) :

عمل صارى عسكر ديوانا ، وأحضر المشايخ والوجاقات وتكلم معهم فى أمر خروجه للسفر ، وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد وأجلوا باقيهم الى أقصى الصعيد ، وأنهم متوجهون الى الفرقة الأخرى بناحية غزة ، فيقطعونهم ويمهدون البلاد الشامية لأجل سلوك الطريق ، ومشى القوافل والتجارات برا وبحرا ، لعمار القطر وصلاح الأحوال ، وأننا نغيب عنكم شهرا ثم نعود . وعند عودنا نرتب النظام فى البلد والشرائع وغير ذلك ... فعليكم ضبط البلد والرعية فى مدة غيابنا ، ونبهوا مشايخ الأخطاط والحارات ... كل كبير يضبط طائفته ، خوفا من الفتن ، مع العسكر المقيمين بمصر .

فالتزموا له بذلك ، وكتبوا له أوراقا مطبوعة على العادة فى معنى ذلك ، وألصقوها بالطرق .

وفيه : خرج القاضى ومصطفى ، كتخدا الباشا ، والمشايخ المعنون للسفر الى جهة العادلية . وخرج أيضا عدة كبيرة من عسكرهم ، ومعهم أحمال كثيرة .. حتى الأسرة والفرش والحصر ، وعدة مواهى ومحفات للنساء والجوارى البيض والسود والحبوش اللاتى أخذوهن من بيوت الأمراء ، وتزيا أكثرهن بزى نسائهم الأفرنجيات .. وغير ذلك .

الأحد ٥ منه (١٠ فبراير ١٧٩٩ م) :

ركب صارى عسكر الفرنسيس وخرج أيضا الى العادلية ، وذلك فى الساعة الرابعه بطالع الحمل وفيه القمر فى تربيع زحل وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التى بنوها على التلول وقائمقام وبوسليك وصارى عسكر ديزيه بجملة من العسكر فى الصعيد ، وكذلك صوارى عسكر الأقاليم ، كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات . وأخذ معه المدبرين وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع معهم كالحدادين والنجارين ومهندسى الحروب وكبيرهم أبو خشبة ، وأبقى أيضا بعض أكابرهم بمصر . ثم تراسل المتخلفون فى الخروج .. كل يوم تخرج منهم جماعة .

الثلاثاء ٧ منه (١٢ فبراير ١٧٩٩ م) :

انتدب للنميمة ثلاثة من النصارى الشوام وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس ٩ منه (١٤ فبراير ١٧٩٩ م) فأرسل قائمقام خلف المهدى والأغا فأحضرهما وذكر لهما ذلك فقالا له : « هذا كذب لا أصل له ، وانما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين » . ففحص عمن اختلق ذلك فوجدهم ثلاثة من النصارى الشوام فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة ، حتى مضى يوم الخميس فلم يظهر صحة ما نقلوه . فأبقاهم فى الاعتقال .

ثم ان نصارى الشوام رجعوا الى عادتهم القديمة فى لبس العمائم السود والزرق ، وتركوا لبس العمائم البيض والشيلان الكشمير الملونة والمشجرات ، وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك .

ونبهوا أيضا بالمناداة فى أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولا ، ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ، ولا يشربون الدخان ولا شىء من ذلك بمرأى منهم كل ذلك استجلابا لخواطر الرعية . حتى

ان بعض الرعية من الفقهاء مر على بعض النصارى ، وهو يشرب الدخان ، فانتهره .. فرد عليه ردا شنيعا . فنزل ذلك المتعمم ، وضرب النصرانى . واجتمع عليه الناس ، وحضر حاكم الخطة فرفعها الى القائمقام . فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك ، فأخبروه أن من عادتهم القديمة أنه اذا استهل شهر رمضان لا يأكلون ولا يشربون فى الأسواق ، ولا بمرأى من المسلمين أبدا . فضرب النصرانى ، وترك المتعمم لسبيله .

الاحد ١٩ منه (٢٤ فبراير ١٧٩٩ م) :

أحضروا مراد أغا — تابع سليمان بيك الأغا ومعه آخر من الأجناد — من ناحية قبلى فأصعدوهما القلعة قبل قتلهما .

السبت ٢٥ منه (٢ مارس ١٧٩٩ م) :

ورد الخبر بأن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك . وفى غد يعملون شنكا ويضربون مدافع فاذا سمعتم ذلك ، فلا تفزعوا .

الاحد ٢٦ منه (٣ مارس ١٧٩٩ م) :

حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكا وأربعة من الكشاف . وهم راكبون الحمير ، متقلدون بأسلحتهم ، ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس ، وأمامهم طبلهم . وخرج بعض الناس .. فشاهدهم

ولما وصلوا الى خارج القاهرة — حيث الجامع الظاهرى — خرج الأغا وبرطلمين بطوافيهما ينتظرانهم ، ومعهم طبول وبيارق وطوائف ، ومشوا معهم الى الأزبكية من الطريق التى أحدثوها ، ودخلوا بهم الى بيت قائمقام . فأخذوا سلاحهم ، وأطلقوهم .. فذهبوا الى بيوتهم . وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بيك الأشقر وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار ، وكاشفان آخران ، وهما يوسف كاشف الرومى واسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور .

وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وارناؤود فحضر لهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان فأحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه . ثم حضر اليهم سارى عسكر بجموعه بعد أيام وألحوا فى حصارهم فأرسل من بالعريش الى غزة فطلب نجدة، فأرسلوا لهم نحو السبعمائة وعليهم قاسم بيك أمين البحرين ، فلم يتمكنوا من الوصول الى القلعة لتحلق الفرنساوية بها واحاطتهم حولها ، فنزلوا قريبا من القلعة فكبستهم عسكر الفرنسيس بالليل



الأتراك يهاجمون قلعة العريش

فاستشهد قاسم بيك وغيره ، وانهزم الباقون .

ولم يزل أهل القلعة يحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان ... فأمنوهم ، ومن القلعة أنزلوهم ، وذلك بعد أربعة عشر يوما . فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم الى مصر مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم فحضروا الى مصر فأخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم وصاروا يترددون عليهم ، ويعظمونهم ويلاطفونهم ويفرجونهم على صنائعهم وأحوالهم .

وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش

العظيم الشأن ... ذلك المصحف الأكمل ، والكتاب المفضل ، يشتمل على مبادىء الحكمة السنية ، والحموق اليقينية .

« وهـذه المبادىء المذكورة لايصح بناؤها المتين ، على الحكم والحق اليقين ، الا اذا عرضت على أحسن الآداب ، وتعليم العلوم بغير ارتياب . وبهذين تنتج أعظم الفوائد ، وذلك بمساعى أناس متحدين معا برياضات الحظ والسعد .

« وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن الشريف يفصح الا على ماهو من باب النظام ، لأنه — من دون ذلك — فكل ماهو فى هذا العالم الفانى ليس الا معابر وخراب .

« ولا يسهى عنا أن كل ماهو من الموجودات الكائنات ، كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام ، من قبل من جعلها للمسير سبحانه مبدع الأنام ، كالنجوم السائرة فى الأعالى ، وبها يهتدى للسير الحالى . ثم على الخصوص تلك الفصول الأربع المتوالى انتقالها باستمرار جولانها ، ثم اتصال الليل بالنهار ، والنهار بالليل .. على حد واحد من المقدار ، ثم وجود المتباينات ، وتمييز النور من الظلمات ، وان ذاك وما أدراك !

« فماذا عسى كان يحل بنا وبحال العالم بأسره أيضا ، لو عدم هذا النظام ... ولو برهة ؟

« فالآن نرجو جناب حضرة المشايخ والعلماء يفيدون كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى ، لو يمتنع عن جريانه كعادته نهره هذا المبارك المشتهر — لا يسمح الله سبحانه بذلك — فبلا شك أن البلاد قاطبة لايمكن أن تسكن حين ذاك الا ببحر سنة واحدة فقط . وذلك من عدم الماء ، ورى الأرض .. أراضى هذه المملكة التى أنتم قاطنون بها . وفى ذلك الحين كانت تصعد الرمال على الأطيان والمزارع والحيضان ، والناس تهلك جوعا ، وتعدم السكان ، فتنشحن الأرض من الأموات ، فنعوذ بالله الحفيظ لسائر المخلوقات .

« واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة . وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا وما فيها ترتيب معجز غريب . فقد عرف أنها بدون ذلك تعدم سريعا ، وحالها يغدو مريعا .

« فالآن ... انما نكون من أشر المذنبين اذا سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غير منخضعين . ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا على السلوك فى ديننا ودنيانا .. وهذا القدر كفانا .

« فيا أيها المشايخ المكرمون ، والعلماءالمحققون ومن هم بالعلم موصوفون ... لايخفاكم أن أجمل مافى النظام ، فى تدبير هذه الدنيا بأسرها حسن تام ، هو الاحتفال والميل الى النظام ، الذى هو صادر ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام . ثم ان البلاد وتلك النواحى ، التى يطلق عليها كونها فى حال النجاح ، والحظ والفلاح — لاتعتد هكذا الا اذا كان سكانها يهتدون الى قواعدالشريعة ، والفرائض الصادرة عن أصحاب الفطنة والادراك ، ويستعدون للسلوك بالعدلوالانصاف .. خلافا لغيرهامن البلاد التعسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على الدوام لمافيهم من العجرفة والاعتداء ، ولاينعطفون الا الى أهواء أنفسهم المنحرفة .

« فجناب حضرة بونابارته الشهير النبيل ، الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن يحرر دفتر ، يكتب فيه أسماء كامل الميتين . والآن حضرتكم قد طلبتم منى دفترا آخر خلافه ، فيه يتحرر أسماء المولودين أيضا .

« ومن حيث ذلك ، فلا بد أن أعتنى منذ الآن ، مع جزيل الاهتمام ، بهذين الأمرين . وهكذا أيضا بتحرير دفتر الزواج ، اذ كان ذلك أشد المهمات والحوادث الواجبات . ثم يتبع ذلك بتجديد نظام

غير قابل التغيير فى ضبط الأملاك ، والتمييز الكامل عمن ولد ومات من السكان ، وهذا يعرف من أهالى كل بيت . فعلى هذا الحال ، يتيسر للحاكم الشرعى الحكم بالعدل والانصاف ، وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ، وتقرر الولادة ، ومعرفة السلالة التى هى الشىء الأجل والأوفر استحقاقا فى الارث . وهكذا ، ان شاء الله ، لابد من الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق ، وبذل الهمة للحصول لأقرب نوال الى ما يلزم لاكمال ما قصدناه .

« ثم ان أراد الله لابد أن أعتنى بالمطالبة ، على وجه تام ، كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشياء تستفيد بها هذه المملكة التى قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقن ونتحقق كوننا امتثلنا لأوامر دولة جمهور الفرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونابرته .

« فياحضرة المشايخ والعلماء الكرام ، أننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك مينو . فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، واسألوه كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ، أن يجود به على زمانا مديدا ، وأن يكون للعدل محبا ، وللاستقامة والحق مكرما ، وموفى وعده صادقا ، وألا يكون من أهل الطمع فهذا هو أوفر الغنى الذى أرغبه لولدى . لأن الرجل ... الذى لايهتدى الا بالخير ، فلا يصرف اعتناءه الا فى خير الأدب ، لا فى قنية الفضة والذهب .

« فنسأله تعالى أن يطيل بقاءكم والسلام » (1) .

الخميس غايته (١٥ يناير ١٨٠١ م) :

سقطت منارة جامع قوصون .. سقط نصفها الأعلى فهدم جانبا من بوائك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات ، وبقى مسندا كذلك قطعة واحدة الى يومنا هذا . وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيس بالبارود .

رمضان

ثبت هلاله ليلة الجمعة (١٦ يناير ١٨٠١ م) :

عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك ، نظير عوائده التى كان يصرفها فى لوازم الركبة .

الثلاثاء ٥ منه (٢٠ يناير ١٨٠١ م) :

وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة ، التى كانت صنعت على يد مصطفى أغا — كتخدا الباشا — وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل ، الأريب الأديب ، الناظم الناثر : السيد اسماعيل الشهير بالخشاب . ووضعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسينى ، وأهمل أمرها الى حد تاريخه ، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخرير السقف من المطر . فقال الوكيل : « ان سارى عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة الى المسجد الحسينى ، ويكشف عنها . فان وجد بها خللا أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع فى ارسالها الى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية ! » . فقالوا له : « شأنكم وما تريدون » وقرىء بالمجلس فرمان بمضمون ذلك .

---

(١) فى هذا الشهر رزق عبد الله جاك مينو من زوجته السيدة زبيدة ولدا أسماه « سليمان مراد جاك مينو » .

« عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية جـ ٢ ص ٢١٤ »

وكان اختيار مينو اسم « سليمان » ، لان سليمان الحلبى قاتل كليبر ، وذلك لكراهية مينو لكليبر . وكان أيضا لا يبدو منه اى احترام لذكراه .

مولاكم الذى خلقكم وسواكم .. والسلام ختام ! » .

وانقضى شهر رمضان ، ووقع فيه — قبل ورود هذه الأخبار — من السكون والطمأنينة وخلو الطرقات من العسكر ، وعدم مرور المتخلفين منهم الا فى النادر ، واختفائهم بالليل جملة كافية ، وانفتاح الأسواق والدكاكين ، والذهاب والمجىء ، وزيارة الاخوان ليلا ، والمشى على العادة بالفوانيس ودونها ، واجتماع الناس للسهر فى الدور والقهاوى ، ووقود المساجد ، وصلاة التراويح ، وطواف المسحرين ، والتسلى بالرواية والنقول ، وترجى المأمول ، وانحلال الأسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار .

ومنها : أن الفرنساوية صاروا يدعون أعيان الناس والمشايخ والتجار للافطار والسحور ، ويعملون لهم الولائم ، ويقدمون لهم الموائد على نظام المسلمين وعادتهم . ويتولى أمر ذلك الطباخون والفراشون من المسلمين ، تطمينا لخواطرهم ، ويذهبون هم أيضا ، ويحضرون عندهم الموائد ، ويأكلون معهم فى وقت الافطار ، ويشاهدون ترتيبهم ونظامهم ، ويحذون حذوهم . ووقع منهم من المسايرة للناس وخفض الجانب ، ما يتعجب منه ! والله أعلم .

شوال

الجمعة مستهله (٨ مارس ١٧٩٩ م) :

فى صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشنك العيد ، واجتمع الناس لصلاة العيد فى المساجد والأزهر . واتفق أن امام الجامع الأزهر نسى قراءة الفاتحة فى الركعة الثانية فلما سلم أعاد الصلاة بعد ما شنع عليه الجماعة .

وخرج الرجال والنساء لزيارة القبور . فانتبذ بعض الحرافيش نواحى تربة باب النصر ، وأسرع فى مشيه وهو يقول : « نزلت عليكم العرب يا ناس » . فهاجت الناس ، وانزعجت النساء ، ورمحت الجعيدية والحرافيش ، وخطفوا ثياب النساء وأزرهن ، وما صادفوه من عمائم الرجال وغير ذلك ، واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب الوزير والقرافة ، حتى أن بعض النساء مات تحت الأرجل . ولم يكن لهذا الكلام صحة ، وانما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم من الخطف بذلك .

وفيه : ركب أكابر الفرنسيس وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد وجاملهم الناس لمداراة أيضا ..

وفيه : وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية القبليين تفرقوا من بعضهم : فذهب مراد بيك وآخرون الى نواحى ابراهيم بيك ، ومنهم من ذهب الى ناحية أسوان والألفى عدى بجماعته الى البر الشرقى .

الثلاثاء ٥ منه (١٢ مارس ١٧٩٩ م) :

قدم الشيخ محمد الداوخلى من ناحية القرين متمرضا ، وكان بصحبته الصاوى والفيومى متخلفين بالقرين . وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيس لما ارتحل من الصالحية ، أرسل الى كتخدا الباشا والقاضى والجماعة الذين بصحبتهم ، يأمرهم بالحضور الى الصالحية ، لأنهم كانوا يباعدون عنه مرحلة ، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب بالطريق...فخافوا من المرور،فذهبوا الى العرين[1]، فأقاموا هناك ، واتخذ عسكر الفرنسيس جمالهم فأقاموا بمكانهم . فتقلق هؤلاء الثلاثة ، وخافوا سوء العاقبة .. ففارقوهم وذهبوا للقرين ، وتخلف عنهم الفيومى فأقام مع كتخدا الباشا والقاضى ، فحصل للدواخلى توعك ، فحضر الى مصر وبقى رفيقاه فى حيرة .

(١) بالعين ، وهى غير القرين بالقاف .

وفزع عليه ليضربه . فلما خرج من عنده قام وذهب الى كبيرهم واخبره بفعل دلوى معه ، فأمر باحضاره وحبسه بالقلعة .

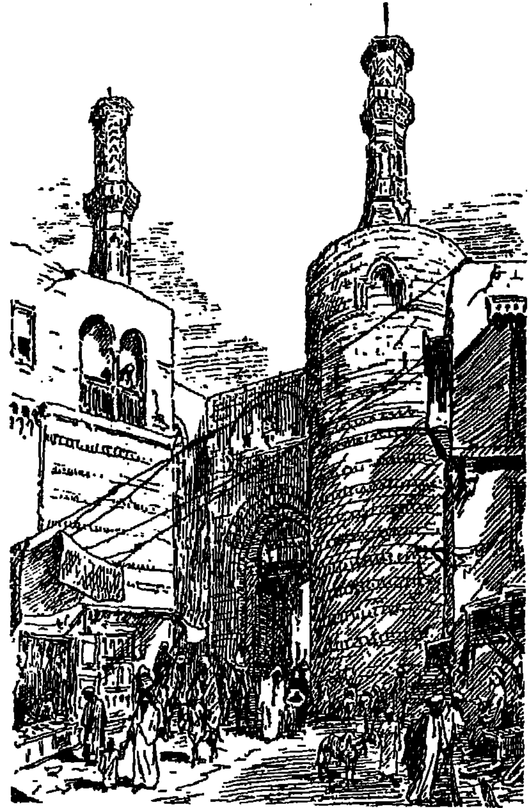
ثم أخبر بعض الناس شيخ البلد أن التعرض الذى وقع من دلوى لباعة الغلة انما هو باغراء خادمه ، وعرفه أن خادمه المذكور مولع بامرأة رقاصة من الرميلة تأتيه بأشكالها ومن على طريقتها ويجتمع هو وأضرابه وترقص لهم تلك المرأة فى القهوة التى بحطهم ليلا ونهارا وتبيت معهم فى البيت ويصبحون على حالهم . فلما حبس أميرهم اختفوا فدلوا على الرجل والمرأة فقبضوا عليهما وفعلوا بهما ما ذكر . ولا بأس بما حصل .

الجمعة ٨ منه (١٥ مارس ١٧٩٩ م) :

نودىَ فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قرا ميدان والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الأشاير وخلافهم على العادة فى عمل الموكب .

السبت ٩ منه (١٦ مارس ١٧٩٩ م) :

اجتمع الناس فى الأسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة فمروا بذلك وأمامها الوالى والمحتسب وعليهم القفاطين والبينشات وجميع الأشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ، ثم برطلمين كتخدا مستحفظان وأمامه نفر من الينكرجية المسلمين نحو المائتين أو أكثر ، وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع ، وهو لابس فروة عظيمة . ثم مواكب القلقات ، ثم موكب ناظر الكسوة — وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا — وخلفه النوبة التركية . فكانت هذه الركبة من أغرب المواكب وأعجب العجائب لما اشتملت عليه من اختلاف الأشكال وتنوع الأمثال واجتماع الملل ، وارتفاع السفل ، وكثرة الحشرات ، وعجائب المخلوقات ، واجتماع الأضداد ، ومخالفة الوضع المعتاد . وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا



باب زويلة

الخميس ٧ منه (١٤ مارس ١٧٩٩ م) :

أحضر الأغا رجلا ورمى عنقه عند باب زويلة وشنق امرأة على شباك السبيل تجاه الباب . والسبب فى ذلك أن الفرنساوى حاكم خط الخليفة وجهة الركبية — ويسمى دلوى (١) — أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ومنعهم من دفع معتاد الوالى ، فاجتمعوا وذهبوا الى كبير الفرنسيس الذى يقال له شيخ البلد وشكوا اليه . وكان الأمير ذوالفقار حاضرا — وهو يسكن تلك الجهة — فعضدهم وعرف شيخ البلد عن شكواهم ، فأرسل شيخ البلد ألى دلوى فانتهره وأمره برد ما أخذه ، فأخبره أتباعه أن ذا الفقار هو الذى عضدهم وأنهى شكواهم الى كبيرهم . فقام دلوى المذكور ودخل على ذى الفقار فى بيته وسبه وشتمه بلغته

(١) « ديوى » فى بعض النسخ . ولعلها « ديبوى » .

المذكور وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة .

الأربعاء ١٣ منه (٢٠ مارس ١٧٩٩ م) :

حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر وأخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا ، وبيدهم مكاتبة من صارى عسكرهم بالاخبار عما وقع .

الخميس ١٤ منه (٢١ مارس ١٧٩٩ م) :

اجتمع أرباب الديوان ، فقرأ عليهم تلك المراسلة — بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية — وهي عن لسان رؤساء الديوان الى الكافة . وذلك بالزامهم وأمرهم بذلك . وصورتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه مايريد . سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذى البطش الشديد !

هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية :

« نعرف أهل مصر وأقاليمها من سائر البرية أن العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة فى ٢٣ رمضان . ووصلوا الى الرملة فى ٢٥ منه فى أمن واطمئنان ، فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزار هاربين بسرعة قائلين : الفرار ! الفرار !

« ثم ان الفرنساوية وجدوا فى الرملة ومدينة « لد » مقدارا كبيرا من مخازن البقسماط والشعير ، ورأوا فيها ألفا وخمسمائة قربة مجهزة ... جهزها الجزار يسير بها الى اقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ! ومراده أن يتوجه اليها بأشرار العربان من سطح الجبل . ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل ! قاصدا سفك دماء الناس مثل عوائده الشامية — وتجبره وظلمه مشهور — لأنه تربية المماليك الظلمة المصرية . ولم يعلم من خسافة عقله وسوء تدبيره أن الأمر لله . كل شيء بقضائه وتدبيره .

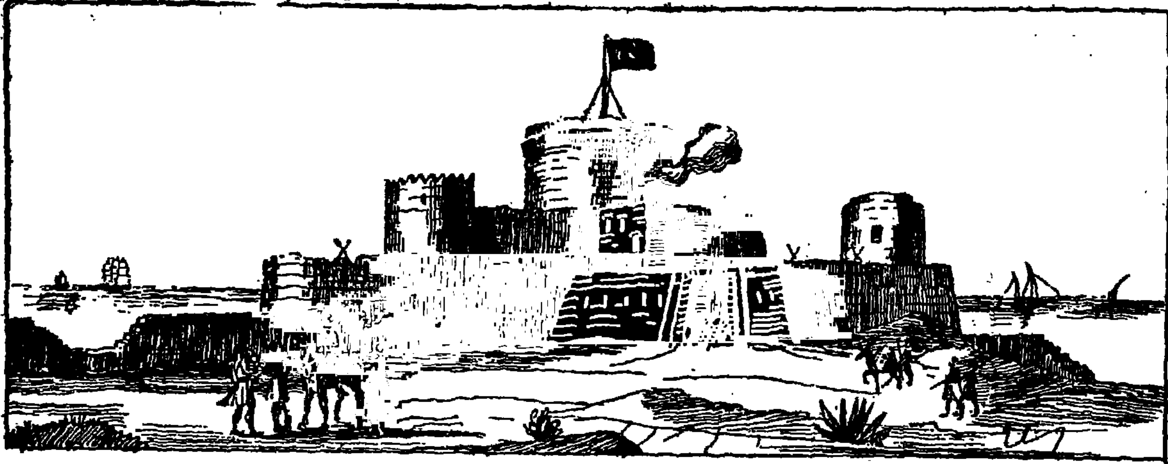
« وفى سادس عشر من شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية الى بندر يافا من الأراضى الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية ، وأرسلوا الى حاكمها . وتحيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل به وبعسكره الدمار .

« فمن خسافة رأيه وسوء تدبيره ، سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب .

« وفى أواخر ذلك اليوم — السادس والعشرين — تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا ، وصاروا كلهم مجتمعين . وانقسموا على ثلاثة طوابير : الطابور الأول توجه على طريق عكا بعيدا عن يافا بأربع ساعات . وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور ، أمر حضرة صارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لأجل أن يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة ، لأنه وجد سور يافا ملآن بالمدافع الكثيرة ، ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة .

« وفى تاسع عشرين الشهر ، لما قرب حفر الخندق الى السور مقدار مائة وخمسين خطوة ، أمر حضرة سارى عسكر المشار اليه أن تنصب المدافع على المتاريس ، وأن يضعوا أهوان القنبر باحكام وتأسيس . وأمر بنصب مدافع أخرى بجانب البحر لمنع الخارجين اليهم من مراكب المينا ، لأنه وجد فى المينا بعض مراكب أعدها عسكر الجزار للهروب . ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب !

« ولما رأت عساكر الجزار الكائنون بالقلعة ، المحاصرون ، أن عسكر الفرنساوية قلائل فى رأى العين للناظرين لمداراة الفرنساوية فى الخنادق خلف المتاريس ، غرهم الطمع ، فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين ، وظنوا أنهم يغلبون الفرنساوية .. فهجم عليهم الفرنسيس ، وقتلوا



استحكامات يافا

منهم جملة كثيرة فى تلك الواقعة ، وألجأوهم للدخول ثانيا فى القلعة .

« وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان ، حصل عند صارى عسكر شفقة قلبية ، وخاف على أهل يافا من عسكره اذا دخلوا بالقهر والاكراه ! فأرسل اليهم مكتوبا مع رسول مضمونه :

« لا اله الا الله وحده لاشريك له .. بسم الله الرحمن الرحيم : من حضرة صارى عسكر اسكندر برتية كتخدا العسكر الفرنساوى .. الى حضرة حاكم يافا ...

« نخبركم أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابرته أمرنا أن نعرفك فى هذا الكتاب أن سبب حضوره الى هذا الطرف اخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلدة ، لأنه تعدىٰ بارسال عسكره الى العريش ، ومرابطته فيها . والحال أنها من اقليم مصر ، التى أنعم الله بها علينا ! فلا يناسبه الاقامة بالعريش ، لأنها ليست من أرضه . فقد تعدى على ملك غيره .

« ونعرفكم ، يا أهل يافا ، أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته ، وربطناه بأنواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقنابر وفى مقدار ساعتين ينقلب سوركم ، وتبطل آلاتكم وحروبكم

ونخبركم أن حضرة صارى عسكر المشار اليه .. لمزيد رحمته وشفقته — خصوصا بالضعفاء من الرعية ! — خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين ، اذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم أجمعين . فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب ... أمانا كافيا لأهل البلد والأغراب . ولأجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة . وانى لكم لمن الناصحين ! » .

« وهذا آخر جواب الكتاب ... فجعلوا جوابنا حبس الرسول ، مخالفين للقوانين الحربية ، والشريعة المطهرة المحمدية ! وحالا — فى الوقت والساعة — هيج صارى عسكر ، واشتد غضبه على الجماعة ، وأمر بابتداء ضرب المدافع والقنابر الموجب للتدمير . وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزار فى وبال وتنكيس .

« وفى وقت الظهر من هذا اليوم ، انخرق سور يافا ، وارتج له القوم ، ونقب من الجهة التى ضربت فيها المدافع من شدة النار . ولا راد لقضاء الله ولا مدافع ! وفى الحال أمر حضرة صارى عسكر بالهجوم عليهم . وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج ، ودار السيف فى المحاربين ،

واشتد بحر الحرب وهاج ، وحصـل النهب فيها تلك الليلة

« وفى يوم الجمعة غرة شوال ... وقـع الصفح الجميل من حضرة صارى عسـكر الكبير ، ورق قلبه على أهل مصر ، من غنى وفقير ، الذين كانوا فى يافا ، وأعطاهم الأمان ، وأمرهم برجوعهم الى بلدهم مكرمين !

« وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم الى أوطانهم سالمين ، لأجل أن يعرفوا مقـدار شفقته ، ومزيد رأفته ورحمته ا بعفو عند المقدرة ، ويصفح وقت المعـذرة ... مـع تمكينـه ، ومزيد اتقانه وتحصينه !

« وفى هذه الواقعة قتل أكثر من أربعـة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق ، لما وقع منهم من الانحراف . وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم الا القليل . والمجروحون منهم ليسوا بكثير . وسبب ذلك سلوكهم الى القلعة من طريق أمينة خافية عن العيون . وأخـذوا ذخائر كثيرة وأموالا غزيرة وأخذوا المراكب التى فى المينا ، واكتسبوا أمتعـة غالية ثمينة ، ووجدوا فى القلعة أكثر من ثمانين مدفعا ولم يعلموا — مع مقادير الله — أن آلات الحرب لاتنفع !

« فاستقيموا عبـاد الله ، وارضـوا بقضـاء الله ، ولا تعترضـوا عـلى أحـكام الله . وعليكم بتقوى الله . واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشاء ! والسلام عليكم ورحمة الله » .

فلما تحقق الناس هذا الخبر ... تعجبوا . وكانوا يظنون — بل يتيقنـون — اسـتحالة ذلك ... خصوصا فى المـدة القليلة . ولكن المقضى كائن !

الجمعة ١٥ منه (٢٢ مارس ١٧٩٩ م) :

شق جماعة من أتبـاع الشرطة فى الأسـواق والحمامات والقهاوى ، ونبهوا على النـاس بترك الفضـول والكلام واللغط فى حق الفرنسيس . ويقولون لهم. «من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر .. فليتنه ، ويترك الكلام فى ذلك . فان ذلك مما يهيج العداوة » وعرفوهم أنه ان بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم فى ذلك ، عوقب أو قتـل ... فلم ينتهوا . وربمـا قبض على البعض ، وعاقبوه بالضرب والتغريم !

وفيه : كان التحويل الربيعى وانتقال الشمس لبرج الحمل — وهو أول شهر من شهورهم — فعملوا ليـلة السبت شنكا وحراقة وصواريخ وتجمعوا بدار الخلاعة ، نساء ورجالا ، وتراقصوا ، وتسابقوا ، وأوقدوا سراجا وشموعا ، وغير ذلك . وأظهر الأقباط والشوام مزيد الفرح والسرور !

السبت ١٦ منه (٢٣ مارس ١٧٩٩ م) :

أرسلوا الأعلام والبيارق التى أحضروها من قلعة يافا — وعدتها ثلاثة عشر ، وفيها من له طلائع فضة كـبار — الى الجامع الأزهر وكانوا أنزلوا أعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات ، وأرسلوا بدلها أعلام يافا ، وعملوا لها موكبا بطائفة من العسكر يقدمهم طبلهم ، وخلفهم الأغا بجماعته وطائفته والمحتسب ومدبرو الديوان ، وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بازعاج شـديد وخلف ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنـادق على أكتافهم كالطائفة الأولى . وبعـدهم عـدة من العسكر على رؤوسهم عمائم بيض ، يحملون تلك الأعلام الكبار والبيارق المذكورة . وخلفهم جماعة خيـالة من كبار العسكر ، وآخرون راكبون على حمير المكارية

فلما وصلوا الى باب الجامع الأزهر ، رتبوا تلك الأعلام ، ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق المكتب منشورة ، وبعضها على البـاب الآخر من الجهة الاخرى عند حارة كتـامة — المعروفة الآن

بالعينية — ولم يصعدوا منها على المنارات ، كما صنعوا فى أعلام العريش .

الاحد ١٧ منه (٢٤ مارس ١٧٩٩ م) :

رتبوا أوامر ، وكتبوها فى أوراق مبصومة وألصقوها بالأسواق : احداها بسبب مرض الطاعون ، وأخرى بسبب الضيوف الأغراب .

ومضمون الأولى بتقاسيمه ومقالاته :

« خطابا لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها : أنكم تمتثلون هذه الأوامر ، وتحافظون عليها، ولا تخالفوها . وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام ، والعقاب الأليم ، والقصاص العظيم ... وهى المحافظة من تشويش الكبة . وكل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك — فى محل من المحلات ، أو بيت أو وكالة أو ربع — يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرتيلة . ويجب قفل ذلك المكان ، ويلزم شيخ الحارة أو السوق الذى فيه ذلك ، أن يخبر حالا قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط ، والقلق يخبر شيخ البلدقائمقام مصر وأقاليمها ، ويكون ذلك فورا .

« وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها . والأطباء اذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض ، يتوجه كل طبيب الى قائمقام ويخبره ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش . وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ، ولم يخبر بهذا المرض ... يعاقب بما يراه قائمقام . ويجازى مشايخ الحارات بمائة كرباج جزاء المتقصير .

« وملزوم أيضا من أصابه هذا التشويش ، أو حصل فى بيته لغيره من عائلته أو عشيرته ، وانتقل من بيته الى آخر ، أن يكون قصاصة الموت . وهو الجانى على نفسه بسبب انتقاله .

« وكل رئيس ملة فى خط ... اذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى خطه ، أو بمن مات بها أيضا حالا فوريا .. كان عقاب ذلك الرئيس ، وقصاصه الموت .

« والمغسل — ان كان رجلا أو امرأة — اذا رأى الميت أنه مات بالكبة ، أو شك فى موته ، ولم يخبر قبل مضى أربع وعشرين ساعة ... كان جزاؤه وقصاصه الموت .

« وهذه الأوامر الضرورية بلزوم أغات الينكجرية ، وحكام البلد الفرنساوية والاسلامية، تنبيه الرعية ، واستيقاظهم لها . فانها أمور مخفية وكل من خالف حصل لهمزيد الانتقام منقائمقام .

« وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية .. لأجلالصيانة والحفظ لأهل البلد . والحذر من المخالفة ، والسلام » .

ومضمون الثانية :

« الخطاب السابق من صارى عسكر دوجا ... الوكيل ، وحاكم البلد دسنى قائمقام ... يلزم المديرين بالديوان أنهم يشهرونالأوامر ، وينتبهون لها . وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام . وهو أنه تحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت — الذى يدخل فى محله ضيف ، أو مسافر ، أو قادم من بلدة أو اقليم — أن يعرف عنه حالا حاكم البلد ، ولا يتأخر عن الأخبار الا مدة أربع وعشرين ساعة : يعرفه عن مكانه الذى قدم منه ، وعن سبب قدومه ، وعن مدة سفره ، ومن أى طائفة ، أو ضيفا ، أو تاجرا ، أو زائرا ، أو غريبا مخاصما — لابد لصاحب المكان من ايضاح البيان .

« والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة واذا لم يقع تعريف عن كامل ماذكر فىشأن القادم ، بعد الأربع والعشرين ساعة ، باظهار اسمه وبلده ،

وسبب قدومه .. يكون صاحب المكان متعديا ومذنبا وخائنا وموالسا مع المماليك .

« ونخبركم معاشر الرعايا ، وأرباب الخمامير والوكائل ، أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالا فرانسة فى المرة الأولى ، وأما فى المرة الثانية فان الغرامة تضاعف ثلاث مرات

« ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكائل والسلام »

وفيه : جتمعوا بالديوان وتفاوضوا فى شأن مصطفى بيك كتخدا الباشا المولى أمير الحج . وهو أنه لما ارتحل مع صارى عسكر — وصحبته القاضى والمشايخ الذين عينوا للسفر والوجاقلية والتجار — وافترق منهم عند بلبيس ، وتقدم هو الى الصالحية ، ثم انهم انتقلوا الى العرين ، فحضر جماعة من العساكر المسافرين فاحتاجوا الى الجمال فأخذوا جمالهم . فلما وصل صارى عسكر الى وطنه أرسل يستدعيهم الى الحضور فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم ، وبلغهم أن الطريق مخيفة من العرب ، فلم يمكنهم اللحاق به ... فأقاموا بالعرين عدة أيام ، وأهمل أمرهم صارى عسكر .

ثم ان الشيخ الصاوى والعريشى والدواخلى وآخرين .. خافوا عاقبة الأمر ، ففارقوهم ، وذهبوا الى القرين . وحصل للدواخلى توعك وتشويش ، وحضر الى مصر — كما تقدم ذكر ذلك — وانتقل مصطفى بيك المذكور والقاضى ، وصحبتهم الشيخ الفيومى وآخرون من التجار والوجاقلية ، الى كفور نجم ، وأقاموا هناك أياما .

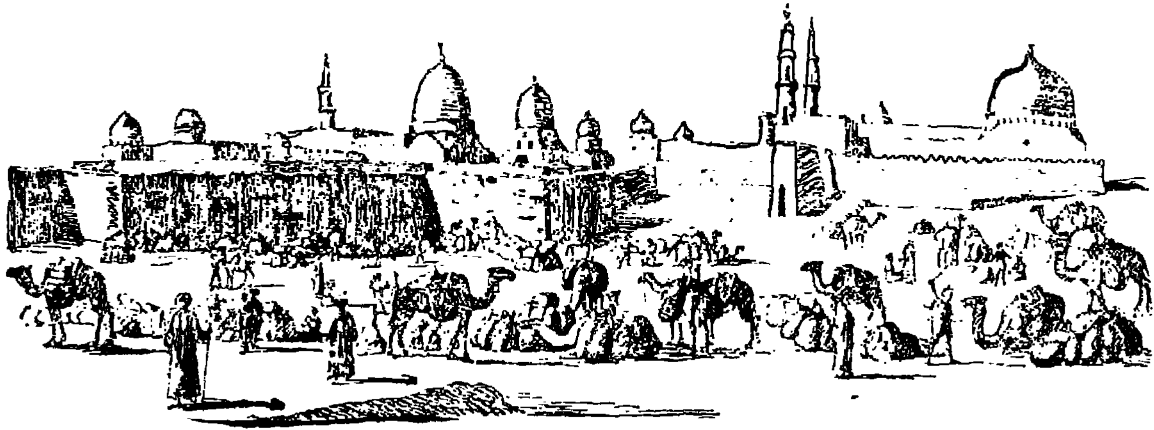
واتفق أن الصاوى أرسل الى داره مكتوبا ، وذكر فى ضمنه أن سبب افتراقهم من الجماعة أنهم رأوا من كتخدا الباشا أمورا غير لائقة . فلما حضر ذلك المكتوب ، طلبه الفرنساوية المقيمون بمصر ، وقرأوه وبحثوا عن الأمور غير اللائقة . فأولها بعض المشايخ أنه قصر فى حقهم والاعتناء بشأنهم ...

فسكتوا ، وأخذوا فى التفحص .. فظهر لهم خياناته ومخامرته عليهم ، واجتمع عليه الجبالى وبعض العرب العصاة ، وأكرمهم وخلع عليهم ، وانتقل بصحبتهم الى منية غمر ودقدوس وبلاد الوقف ، وجعل يقبض منهم الأموال . وحين كانوا على البحر ، مر بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق الى الفرنسيس بدمياط ، فقاطعوا عليهم ، وأخذوا منهم مامعهم قهرا . وأحضروا المراكبية بالديوان فحكوا على ماوقع لهم معه ... فأثبتوا خيانة مصطفى بيك المذكور وعصيانه ، وأرسلوا هجانا بأعلام صارى عسكرهم بذلك . فرجع اليهم بالجواب يأمرهم فيه بأن يرسلوا له عسكرا ، ويرسلوا الى داره جماعه يقبضون عليه ، ويختمون على داره ، ويحبسون جماعته .

الاحد ٢٤ منه (٣١ مارس ١٧٩٩ م) :

عينوا عليه عسكرا ، وأرسلوا الى داره جماعة ومعهم وكلاء ، فقبضوا على كتخدائه الذى كان ناظرا على الكسوة ، وعلى ابن أخيه ومن معهم ، وأودعوهم السجن بالجيزة . وضبطوا موجوداته وما تركه مخدومه بكر باشا بقائمة ، وأودعوا ذلك بمكان بالقلعة . فوجدوا غالب أمتعة الباشا وبرقه وملابسه ، وعبى الخيل والسروج ، وغيرها شيئا كثيرا . ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضا . فانقبضت خواطر الناس لذلك .. فانهم كانوا مستأنسين بوجوده ووجود القاضى ، ويتوسلون بشفاعتهما عند الفرنسيس . وكلمتهما عندهم مقبولة ، وأوامرهما مسموعة .

ثم انهم أرسلوا أمانا للمشايخ والوجاقلية والتجار .. بالحضور الى مصر مكرمين ولا بأس عليهم .



سفر قافلة الطور

وفيه : ورد الخبر بأن السيد عمر افندى نقيب الأشراف حضر الى دمياط ، وصحبته جماعة من أفندية الروزنامة الفارين : مثل عثمان أفندى العباسى وحسن أفندى كاتب الشهر ، ومحمد أفندى ثانى قلفة ، وباش جاجرت ، والشيخ قاسم المصلى وغيرهم . وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا . فلما حاصرها الفرنساوية وملكوا القلعة والبلد ، لم يتعرضوا للمصريين ، وطلبهم اليه ، وعاتبهم على نقلهم وخروجهم من مصر ، وألبسهم ملابس وأنزلهم فى مركب ، وأرسلهم الى دمياط من البحر .

الأثنين ٢٥ منه (اول ابريل ١٧٩٩ م) :

نادوا فى الأسواق على المماليك والغز والأجناد الأغراب بأنهم يحضرون الى بيت الوكيل يأخذون لهم أوراقا بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم. ومن وجد من غير وثيقة فى يده بعد ذلك ستأهل الذى يجرى عليه . وسبب ذلك اشاعة دخول الكثيرمنهم الى مصر خفية بصفة الفلاحين .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢ ابريل ١٧٩٩ م) :

نادوا فى الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فليحج فى البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة . وذلك بعد أن عملوا مشورة فى ذلك .

وفيه : حضر امام كتخدا الباشا ، ومعه مكتوب فيه الثناء على الفرنساوية وشكر صنيعهم واعتنائهم بعملهم موكب الكسوة والدعاء لهم ، وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ويطلب منهم الاجازة بالحضور الى مصر ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج ... فان الوقت ضاق ، ودخل أوان السفر للحج . وفى آخر المكتوب : « وان بلغكم من المنافقين عنا شىء فهو كذب ونميمة ، فلا تصدقوه » .

فقرىء كتابه بالديوان . فلما فهمه الفرنسيس ... كذبوه ، ولم يصغوا اليه وقالوا ان خيانته ثبتت عندنا ، فلا ينفعه هذا الاعتذار . ثم كتبوا له جوابا وأرسلوه صحبة امامه مضمونه : ان كان صادقا فى مقالته فليذهب الى جهة صارى عسكر بالشام . وأمهلوه ست ساعات بعد وصول الجواب اليه ، وان تأخر زيادة عليها كان كاذبا فى مقالته . وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه .

وفيه : كتبوا أوراقا ونادوا بها فى الشوارع . وهى : « يا أهل مصر نخبركم أن أمير الحج رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه ، وأن أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ولم ينسب لهم شىء . فالحمد لله الذى برأ أهل مصر من هذه الفتنة وهم حاضرون سالمون غانمون ماعليهم

سوء . ومن كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة فى البحر . والمراكب حاضرة ، والمعينون المحافظون من أهل مصر ، صحبة الحاج ، حاضرون . يكون فى علمكم أن تكونوا مطمئنين واتركوا كلام الحشاشين » .

غايته (٥ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضر المشايخ والوجاقات والتجار ماخلا القاضى فانه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا .

وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث التى منها أن الفرنساوية عملوا جسرا من مراكب مصطفة، وعليها أخشاب مسمرة من بر مصربالقرب. من قصر العينى الى الروضة قريبا من موضع طاحون الهواء يسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم الى البر الآخر ، وعملوا كذلك جسرا عظيما من الروضة الى الجيزة .

ومنها : أن توت الفلكى رسم فى فسحة دارهم العليا ، ببيت حسن كاشف جركس ، خطوط البسيطة لمعرفة فضل الدائر لنصف النهار على البلاط المفروش بطول الفسحة ، ووضع لها بدل الشاخص دائرة مثقوبة بثقب عديدة فى أعلى الرفوف ، مقابلة لعرض الشمس .. ينزل الشعاع من تلك الثقب ، ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة ، ويعرف منه الباقى للزوال ، ومدارات البروج شهرا شهرا . وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس .

ورسم أيضا مزولة بالحائط الأعلى ، على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين ، بشاخص — على طريق وضع المنحرفات والمزاول — ولكن للساعات قبل الزوال وبعده ،خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر ، وفضل دائر الغروب ،وقوس الشفق والفجر ، وسمت القبلة ، وتقسيم الدرج وأمثال ذلك ، لأجل تحقيق أوقات العبادة ... وهم لا يحتاجون الى ذلك فلم يعانوه .

ورسم أيضا بسيطة على مربعة من نحاس أصفر ، منزلة بخطوط عديدة فى قاعدة عمود قصير ، طوله أقل من قامة قائم ، بوسط الجنينة ، وشاخصها مثلث من حديد ، يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة . وهى متقنة الرسم والصناعة ، وحولها معاريفها ، واسم واضعها بالخط السلس العربى المجود حفرا فى النحاس . وفيها تنازيل الفضة على طريقة أوضاع العجم ، وغير ذلك .

ومنها : أنهم لما سخطوا على كتخدا الباشا ، وقبصوا على أتباعه ، وسجنوهم — وفيهم كتخداه الذى كان ناظرا على الكسوة — فقيدوا فى النظر علىمباشرة اتمامهاصاحبنا السيد اسماعيل الوهبى ، المعروف بالخشاب ، أحد العدول بالمحكمة . فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتمموها هناك . وأظهروا أيضا الاهتمام بتحصيل مال السرة ، وشرعوا فى تحرير دفتر الارسالية خاصة .

ذوالقعدة

٦ منه (١١ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضرت هجانة من الفرنسيس ، ومعهم مكاتبة مضمونها : أنهم أخذوا حيفا ، وبعدها ركبوا على عكا وضربوا عليها وهدموا جانبا من سورها . وأنهم بعد أربع وعشرين ساعة يملكونها ، وانهم استعجلوا فى ارسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لأصحابهم القلق . فكونوا مطمئنين . وبعدسبعة أيامنحضر عندكم . والسلام .

وفيه : حضرت مغاربة حجاج الى بر الجيزة . فتحدث الناس وكثر لغطهم وتقولوا بأنهم عشرون ألفا حضروا لينقذوا مصر من الفرنسيس . فأرسل الفرنسيس للكشف عليهم فوجدوهم طائفة من

خلايا وقرى فاس مثل الفلاحين ، فأذنوا لهم فى تعدية بعض أنفار منهم لقضاء أشغالهم . فحضر شخص منهم الى الفرنسيس ووشى اليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم ، وأنهم اشتروا خيلا وسلاحا وقصدهم اثارة فتنة . فأرسل الفرنسيس اليهم جماعة ينظرون فى أمرهم فذهبوا اليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذى نقل عنهم . فقالوا : « انما جئنا بقصد الحج لا لغيره » ، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة . فعملوا الديوان فى صبحها وأحضروه وكذلك أحضروا الرجل الذى وشى عليهم فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه فقال : « انا لم نأت الا بقصد الحج » فقيل له : « ولأى شىء تشترون الأسلحة والخيول ؟ » فقال : « نعم ، لازم لنا ذلك ضرورة » . فقيل له : « انه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنساوية ، وتقولون الجهاد أفضل من الحج » فقال : « هذا كلام لا أصل له » فقيل له : « ان الناقل لذلك رجل منكم » فقال : « ان هذا رجل حرامى أمسكناه بالسرقة وضربناه فحمله الحقد على ذلك ، وأن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها، ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة وليس معنا الا نصف قنطار بارود » .

ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدى جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح . فأجابهم الى ذلك فشكروه وأهدوا له هدية .

٧ منه (١٢ ابريل ١٧٩٩ م) :

خرجت عدة من العسكر الى بولاق ، ومعهم مدفعان ، ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر ويمشوا معهم الى العادلية . فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا فى المدينة وبولاق ورمحوا كعادتهم فى كرشاتهم وصياحهم ، وأشاعوا أن الفرنسيس خرجت لقتال المغاربة . وأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم فلم يعد المغاربة ذلك اليوم . وعدوا فى ثانى يوم ومشى معهم عسكر الفرنسيس الى العادلية وهم يضربون الطبول وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر .

١٠ منه (١٥ ابريل ١٧٩٩ م) :

سافر عدة من عسكر الفرنسيس الى عرب الجزيرة ، فان مصطفى بيك كتخدا الباشا ذهب اليهم والتجأ لهم فعينوا عليهم تلك العساكر .

١٢ منه (١٧ ابريل ١٧٩٩ م) :

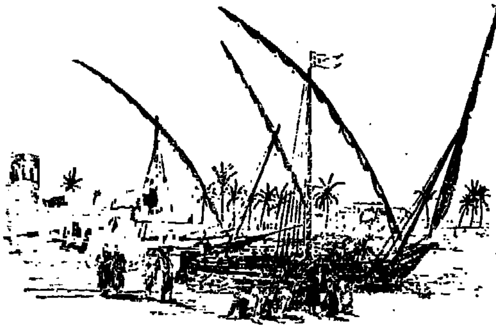
أفرجوا عن جماعة من القليونجية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة ، وفيهم المعلم نقولا النصرانى الأرمنى الذى كان رئيس مراكب مراد بيك الحربية التى أنشأها بالجيزة ، وأسكنوه ببيت حسن كتخدا بباب الشعرية .

وفيه : حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات بأمان — وكان عاصيا — فأعطوه الأمان ،وخلعوا عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسماط للعسكر بالشام .

٢١ منه (٢٦ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضر مجلون من الناحية القبلية وصحبته أموال البلاد والغنائم من بهائم وخلافها .

وفيه : عملوا كرنتيلة عند العادلية لمن يأتى من



بعض القوارب الفرنسية فى الميناء

بر الشام من العسكر الى ناحية شرق أطفيح بسبب محمد بيك الألفى .

وفيــه : حضر الذين كانوا ذهبــوا الى عرب الجزيرة فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل . وأما مصطفى بيك فلم تعلم عنه حقيقة حال . قيل انه ذهب الى الشام .

٢٥ منه (٣٠ ابريل ١٧٩٩ م) :

وصلت مراسلة من المذكور ... خطابا للمشايخ مضمونها : أنهم يعرفون أكابر الفرنسيس أنه متوجه الى سارى عسكرهم بالشام ، ويرجون الافراج عن قريبه وكتخدائه ، ويتحفظون على الأمتعة التى أخذوها ، فانها من متعلقات الدولة . فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة قالوا « لايمكن الافراج عن المذكورين حتى تتحقق أنه ذهب الى سارى عسكر ويأتينا منه خطاب فى شأنه ، فانه من الجائز أنه يكذب فى قوله » .



العرب فى الصحراء

وفيه : ثبت أن محمد بيك الألفى مر من خلف الجبل وذهب الى عرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المائة وقيل أكثر ، والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك النواحى ، وقدم له العربان التقادم والكلف ، فأرسل له الفرنسيس عدة من العسكر .

٢٧ منه (٢ مايو ١٧٩٩ م) :

لخص الفرنساوية طومارا قرىء بالديوان وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة . وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلانى والأشراف الذين معه وغير ذلك .

وصورتها :

« من محفل الديوان الكبير بمصر : بسم الله الرحمن الرحيم . ولا عدوان الا على الظالمين ..

« نخبر أهل مصر أجمعين أنه حضر جواب من عكا ، من حضرة سارى عسكر الكبير ، خطابا منه الى حضرة سارى عسكر الوكيل بثغر دمياط ، تاريخه ٩ ذى القعدة (١٤ ابريل ١٧٩٩) يخبر فيه أننا أرسلنا لكم تقيرتين لدمياط : الأولى أرسلناها فى ٢٥ شوال ، والثانية فى ٢٨ منه .. أخبرناكم فيهما عن مطلوبنا ارسال جانب جلل وذخائر الى عساكرنا المحافظين فى غزة ويافا لأجل زيادة المحافظة والصيانة . وأما من قبل العرضى فان الجلل عندنا كثيرة والذخائر والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة ، حتى انها زادت عندنا الجلل بكثرة جمعناها مما رمته الأعداء ، فكأن أعداءنا أعانونا .

« ونخبركم أننا عملنا لغما مقدار عمقه ثلاثون قدما ، وسرنا به حتى قربناه الى السور الجوانى بمسافة نحو ثمانى عشرة قدما .

« وقد قربت عساكرنا من الجهة التى تحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمان وأربعون قدما ... بمشيئة الله تعالى عند وصول كتابنا اليكم وقبل اتمام قراءته عليكم ، نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين . فاننا تهيأنا الى دخولها ... يأتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب »

« وأما بقية اقليم الشام ، وما يلى عكا من البلاد ، فانهم لنا طائعون ، وبالاعتناء ومزيد المحبة راغبون .. يأتوننا بكل خير عظيم ، ويحضرون لنا أفواجا أفواجا بالهدايا الكثيرة والحب

الجسيم من القلب السليم . وهذا من فضل الله علينا ، ومن شدة بغضهم لجزار باشا !

« ونخبركم أيضا ان الجنرال يونود انتصر على أربعة آلاف مقاتل .. حضروا من الشام خيالة ومشاة ، فقابلهم بثلثمائة عسكرى مشاة من عسكرنا ، فكسروا التجريدة المذكورة ، وأوقع منهم نحو سنمائة نفس مابين مقتول ومجروح ، وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره فى الحروب أن ثلثمائة نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس ! فعلمنا أن النصرة من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة !

« هذا آخر كتاب سارى عسكر الكبير الى وكيله بدمياط . وأرسل الينا بالديوان حضرة الوكيل سارى عسكر دوجا ، الوكيل بمصر المحروسة ، يخبرنا بصورة هذا المكتوب ، ويأمرنا أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف ، أن يلزموا الأدب والانصاف ، ويتركوا الكذب والحراف ... فان كلام الحشاشين يوقع الضرر للناس المعتبرين .

« فان حضرة صارى عسكر دوجا الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف . والحال ان الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم .. جاءت أخبارهم من حضرة سارى عسكر الصعيد يخبر الوكيل دوجا بأن الأشراف المذكورين ، الذين صحبة الكيلانى ، قد مزقوا كل ممزق ، وانهزموا وتفرقوا . فلم يكن الآن فى بلاد الصعيد شىء يخالف المراد ، وسلم من الفتن والعناد .

« فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف ، وامسكوا أدبكم قبل أن يحل بكم الدمار ، ويلحقكم الندم والعار ! والأولى للعاقل انشغاله بأمر دينه ودنياه ، وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضاه ! فان العاقل يقرأ العواقب ، وعلى نفسه يحاسب .. هذا شأن أهل الكمال : يتركون القيل والقال ، ويشتغلون باصلاح الأحوال ، ويرجعون الى الكبير المتعال .. والسلام » .

وفى هذا الشهر كتبوا أوراقا بأوامر . ونصها :

« من محفل الديوان العمومى ، الى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة : اننا قد تأملنا وميزنا أن الواسطة الأقرب والأمين لتلطيف أو لمنع الخطر الضرورى ، وهو تشويش الطاعون ، عدم المخالطة مع النساء المشهورات ، لأنهن الواسطة الأولى للتشويش المذكور . فلأجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا الى مدة ثلاثين يوما من تاريخه أعلاه ... لجميع الناس ، ان كان فرنساويا أومسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من أى ملة كان ، كل من أدخل الى مصر أو بولاق أو مصر القديمة ، من النساء المشهورات — ان كان فى بيوت العسكر ، أو كل من كان داخل المدينة — فيكون قصاصه بالموت . كذلك من قبل النساء والبنات المشهورات بالعسكر ، ان دخلن من أنفسهن أيضا — نقاصصن الموت .

ومن حوادث هذا الشهر : أنه حضر الى القلزم ، مركبان انكليزيان وقيل أربعة ووقفوا قبالة السويس وضربوا مدافع ففر أناس من سكان السويس الى مصر وأخبروا بذلك ، وأنهم صادفوا بعض داوات تحمل البن والتجارة فحجزوها ومنعوها من الدخول الى السويس .

ومنها : أن طائفة من عرب البحيرة يقال لهم عرب الغز جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيس وعاثوا فى نواحى تلك البلاد حتى وصلوا الى الرحمانية ورشيد وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيس وغيرهم وينهبون البلاد والمزروعات .

ومنها : أن الكيلانى المذكور آنفا توفى الى رحمة

الله تعالى وتفرقت طائفته في البلاد حتى أنه حضر منهم جملة الى مصر وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاونتهم وعند الحروب يتخلون عنهم وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيس فيقبضون عليهم .

ومنها : أنه حضر الى مصر الأكثر من عسكر الفرنسيس الذين كانوا بالجهة القبلية وضربوا فى حال رجوعهم بنى عدى بلدة من بلاد الصعيد مشهورة وكان أهلها ممتنعين عليهم فى دفع المال والكلف ويرون فى أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة فخرجوا عليهم وقاتلوهم فملك عليهم الفرنسيس بلا عاليا وضربوا عليهم بالمدافع فأتلفوهم وأحرقوا جرونهم ثم كبسوا عليهم وأسرفوا فى قتلهم ونهبهم وأخذوا شيئا كثيرا وأموالا عظيمة وودائع جسيمة للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية لظن منعتهم وكذلك فعلوا بالميمون .

ذو الحجة

١ منه (٧ مايو ١٧٩٩ م) :

خرج نحو الألف من عسكر الفرنسيس للمحافظة على البلاد الشرقية لتجمع العرب والمماليك على الألفى، وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيس وذهبوا الى جهة دمنهور وفعلوا بها مافعلوا فى بنى عدى من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربى يدعى المهدوية ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد وصحبته نحو الثمانين نفرا فكان يكاتب أهل البلاد ويدعوهم الى الجهاد. فاجتمع عليه أهل البحيره وغيرهم وحضروا الى دمنهور وقاتلوا من بها من الفرنساوية واستمر أياما كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحى وتفترق . والمغربى المذكور تارة يغرب وتارة يشرق .

وفيه : أشيع أن الألفى حضر الى بلاد الشرقية وقاتل من بها من الفرنسيس ثم ارتحل الى الجزيرة.

٧ منه (١٢ مايو ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة من فرنسيس الشام الى الكرنتيلة بالعادلية وفيهم مجاريح وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمد باشا بعكا وأن مهندس حروبهم المعروف بأبى خشبة عند العامة واسمه « كفرللى » مات وحزنوا لموته لأنه كان من دهاتهم وشياطينهم وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال واقدام عند المصاف مع ماينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها .

٩ منه (١٤ مايو ١٧٩٩ م) :

كان عيد النحر ، وكان حقه يوم الخميس . وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة اعلاما بالعيد وكذلك عند الشروق ولم يقع فى ذلك العيد أضحية على العادة لعدم المواشى ولكونها محجوزة فى الكرنتيلة والناس فى شغل عن ذلك .

ومن الحوادث فى ذلك اليوم : أن رجلا روميا من باعة الرقيق عنده غلام مملوك ساكن فى طبقة بوكالة ذى الفقار بالجمالية خرج لصلاة العيد ورجع الى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلدا بسلاح ومتزييا بمثل ملابس القليونجية . فقال له « من أين لك هذا اللباس » فقال : « من عند جارنا فلان العسكرى » فأمره بنزع ذلك فلم يستمع له ولم ينزعها فشتمه ولطمه على وجهه فخرج من الطبقة وحدثته نفسه بقتل سيده ورجع يريد ذلك فوجد عند سيده ضيفا فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينيه الغدر . فلما قام ذلك الضيف قام معه وخرج وأغلق الباب على الغلام فصعد الغلام على السطح وتسلق الى سطح آخر ، ثم تدلى بحبل الى أسفل الخان وخرج الى السوق وسيفه مسلول بيده ويقول : « الجهاد يامسلمين ! اذبحوا الفرنسيس ! »

ونحو ذلك من الكلام . ومر الى جهة الغورية فصادف ثلاثة أشخاص من الفرنسيس ، فقتل منهم شخصا وهرب الاثنان ورجع على أثره والناس يعدون خلفه من بعد الى أن وصل الى درب بالجمالية غير نافذ فدخله وعبر الى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها . والفرنسيس تجمع منهم طائفة وظنوا ظنونا أخر وبادروا الى القلاع وحضرت منهم طائفة من القلق يسألون عن ذلك المملوك .

وهاجت العامة ورمحت الصغار وأغلق بعض الناس حوانيتهم ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن ذلك المملوك والناس يقولون لهم ذهب من هنا حتى وصلوا الى ذلك الدرب فدخلوه . فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلى ببئر فى تلك الدار ، فدخلوا الدار وأخرجوه من البئر وأخذوه وسكنت الفتنة. فسألوه عن أمره وما السبب فى فعله ذلك ؟ فقال : « انه يوم الأضحية فأحببت أن أضحى على الفرنسيس » . وسألوه عن السلاح فقال : « انه سلاحى » . فحبسوه لينظروا فى أمره ، وطلبوا سيده . فوجدوه عند الشيخ المهدى . وأخذوا بعض جماعة من أهل الخان ثم أطلقوهم بدون ضرر وأخذوا سيده من عند المهدى . وحبسوه وحضر الأغا وبرطلمين الى الخان بعد العشاء وطلبوا البواب والخانجى والجيران وصعدوا الى الطباق وفتشوا على السلاح حتى قلعوا البلاط فلم يجدوا شيئا . وأرادوا فتح الحواصل فمنعهم السيد أحمد بن محمود محرم فخرجوا وأخذوا معهم الخانجى وجيران الطبقة وجملة أنفار وحبسوهم أيضا وقتلوا المملوك فى ثانى يوم . واستمر الجماعة فى الحبس الى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة .

وفيه أيضا : مر نصرانى من الشوام على المشهد الحسينى وهو راكب على حمار فرآه



ترجمان ضابط الخطة ويسمى السيد عبد الله فأمره بالنزول اجلالا للمشهد على العادة . فامتنع فانتهره وضربه وألقاه على الأرض ، فذهب ذلك النصرانى الى الفرنسيس وشكا اليهم السيد عبد الله المذكور فأحضروه وحبسوه فشفع فيه مخدومه فلم يطلقوه وادعى النصرانى أنه كان بعيدا عن المشهد وأحضر من شهد له بذلك وأن السيد عبدالله متهور فى فعله وادعى أنه ضاع له وقت ضربه دراهم كانت فى جيبه . واستمر الترجمان محبوسا عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم وهى ستة آلاف درهم .

وفيه : أرسل فرنسيس مصر الى رئيس الشام ميرة على جمال العرب نحو الثمانمائة جمل وذهب صحبتها برطلمين وطائفة من العسكر فأوصلوها الى بلبيس ورجعوا بعد يومين .

وفيه : حضر الى السويس تسعة داوات بها بن

وبهار وبضائع تجارية ، وفيها لشريف مكة نحو خمسمائة فرق بن . وكانت الانكليز منعتهم الحضور فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أياما مسافة التثقيل والشحنة ، وأخذوا منهم عشورا وسامح الفرنسيس ابن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب الى السويس بنحو عشرين يوما وطبعوا صورتها فى أوراق وألصقوها بالأسواق وهى خطاب لبوسايلك ، وصورته :

« من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة ، الى عين أعيانه ، وعمدة اخوانه بوسليك مدبر أمور جمهور الفرنساوية ، ممهد بنيان السياسة بسداد همته الوفية . وبعد :

« فانه وصل الينا كتابك ، وفهمنا كامل ما حواه خطابك مما ذكرت من وصول قنجتنا ، وأنك أرسلت هجانا برفع العشور على البن ، وبذلت الهمة فى شأن التصرف فى نفاد بيعه . وتأملنا فى كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد ، عن تموه غياهب الشك فى كل المراد . ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة ، وشهلنا الآن ، الى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بدرنا جدة المعمورة فى هذا الأوان . ولا أمكن لنا خروج هذا المقدار الا بمشقة علاج مع سلب اطمئنان التجار ، لأن كثرة اكاذيب الأخبار أوجبت لهم مزيد الارتياب والاعذار بحيث ما بيننا وبينكم الا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الأزمان .

وأما نحن فقد جاءتنا منكم ، قبل هذا ، المكاتيب التى أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والأكاذيب ... فخاطرنا مستقر بالطمأنينة من قبلكم ، لما ثبت عندنا من ألفاظ كتبكم .

والمطلوب فى حال وصول كتابنا اليكم ارسال عسكر من لديكم الى بندر السويس لأجل حفظ أموال الناس ، ويصلوا بالأبنان الى مصر ، ويبيع التجار ، ويزول وقف الأسباب والباس . وتهتم فى رجوعهم كذلك قبل بأوان ، ليكون ذلك سببا فى كثرة وفود الأبنان ، وعند رجوعهم بعد المبيع من مصر الى السويس . كذلك تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوبيق ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق لأن هذه المرة ما أرسل اليكم هذا المقدار الا تجربة واستخبارا من أعيان التجار . وعند مشاهدة الاكرام ، والاحتفال بهم فى كل حال ، يرسلون اليكم نفائس أموالهم ، ويهرعون بالجلب لطرفكم ، ويزول الريب عن قلوبهم . ونرجو الله بهمتنا تسليك الطرقات ، وتنجيح المطالب ، وتحصيل الميراث بأحسن مما كانت من الأمان ، وأعظم مما سبق فى غابر الأزمان ويكثر بحول الله الوارد اليكم من الأسباب الحجازية ، وكذلك لنا بن فى المراكب فمأمولنا منكم القاء النظر على خدامنا ، وبذل الهمة على ماهو من طرفنا . وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الاكرام فى كل مرام .

« ولا يخفاكم أنه ورد علينا قبل بأيام كتب من طرف أمير العسكر الفرنساوية .. محبنا بونابرته ! فما كان لنا منها فتأملناه ، وصار اليه الجواب توصله اليه . وما كان منها معولا فى ارساله علينا الى نواحى الهند وابن حيدر وامام مسكت ووكيلكم الذى فى المخا ... فجميعا أصدرناها من طرفنا مع من نعتمده الى أربابها . وان شاء الله عن قريب يأتيكم الجواب والسلام » ..

(تحريرا فى ١٨ شهر ذى القعدة سنة ١٢١٣ وبآخره قد وصل هذا الكتاب لمصر فى ١٦ يوما خلت من شهر ذى الحجة . فتكون مدة وصوله من مكة المشرفة الى مصر ٢٨ يوما)

وانقضى هذا الشهر ولم يأت خبر صحيح عن



ميناء وقلعة السويس

فرنسيس الشـام وما جرى لهم أو عليهم ... الا روايات لايوثق بها ، ولا يصح بالتواتر منهـا الا تكرار هجوم الفرنسيس على حصـون عكا ، ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئا الا فعلوه ، ولم ينالوا غرضا منها .

وانقضت هذه السنة وما حصل بها من الحوادث التى لم يتفق مثلها . ومن أعظمها انقطاع سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة . وهذا لم يقع نظـيره فى هـذه القرون ولا فى دولة بنى عثمان . والأمر لله وحده !

* * *

ومات فى هـذه السنة العمدة الشهير الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان — بزاويتهم المعروفة بالشنوانى .

تولى شيخا على العميان المذكورين بعد وفاة الشيخ الشبراوى ، وسـار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت ، وجمع بجاههم أموالا عظيمة وعقارات . فكان يشترى غلال المستحقين المعطلة بالأبعاد بدون الطفيف ، ويخرج كشـوفاتها وتحاويلهـا على الملتزمين ، ويطالبهم بها كيلا وعينا ، ومن عصى عليه أرسل اليه الجيوش الكثيرة من العميان ، فلا يجد بدا من الدفع . وان كانت غلاله معطلة ، صالحه بما أحب من الثمن .

وله أعوان يرسلهم الى الملتزمين بالجهة القبلية يأتون اليه بالسفن المشحونة بالغلال والمعرضات من السمن والعسل والسكر والزيت وغير ذلك . ويبيعها فى سنى الغلوات بالسواحل والرقع بأقصى القيمة ، ويطحن منها على طواحينه دقيقا ، ويبيع خلاصته فى البطط بحارة اليهود ، ويعجن نخالته خبزا لفقراء العميان يتقوتون به مع ما يجمعونه من الشـحاذة فى طوافهم آناء الليـل وأطراف النهار بالأسواق والأزقة ، وتغنيهم بالمدائح والخرافات ، وقراءة القرآن فى البيوت ومساطب الشوارع وغير ذلك .

ومن مات منهم ورثه الشيخ المذكور ، ولا يجد له معارضا فى ذلك .

واتفق أن الشيخ الحفنى نقم عليـه فى شىء ، فأرسـل اليه من أحضره موثوقا مكشوف الرأس مضروبا بالنعالات على دماغه وقفاه ، من بيته الى بيت الشيخ بالموسكى بين ملأ العالم !

ولما انقضت تلك السنون وأهلها ، صار المترجم بين أعيان الصـدور المشار اليهم فى المجالس ، تخشى سطوته وتسمع كلمته ، ويقال قال الشيخ كذا وأمر الشيخ بكذا !! .. وصار يلبس الملابس والفراوى ، ويركب البغال وأتباعه محدقة به

وتزوج الكثير من النساء الغنيات الجميلات ،

واشترى السرارى البيض والحبش والسود ، وكان نقرض الأكابر المقادير الكثيرة من المال ، ليكون له عليهم الفضل والمنة .

ولم يزل حتى حمله التفاخر — فى زمن الفرنسيس — على اثارة الفتنة التى أصابته وغيره . وقتل فيمن قتل بالقلعة ، ولم يعلم له قبر

* * *

ومات — فى هذه السنة أيضا — الوجيه الأجلّ الأمثل ، السيد محمد كُرَيِّم السكندرى (وكُرَيِّم بضم الكاف ، وفتح الراء ، وتشديد الياء مكسورة ، وسكون الميم) مقتولا بيد الفرنسيس .

وخبره أنه كان فى أول أمره قبانيا يزن البضائع فى حانوت بالثغر ، وعنده خفة فى الحركة وتودد فى المعاشرة فلم يزل يتقرب الى الناس بحسن التودد ، ويستجلب خواطر حواشى الدولة وغيرهم من تجار المسلمين والنصارى ومن له وجاهة وشهرة فى أبناء جنسه ، حتى أحبه الناس ، واشتهر ذكره فى ثغر الاسكندرية ورشيد ومصر .

واتصل بصالح بيك حتى كان وكلا بدار السعادة ، وله الكلمة النافذة فى ثغر رشيد وتملكها وضواحيها ، واسترق أهلها ، وقلد أمرها لعثمان خجا ، فاتحد به وبمخدومه السيد محمد المذكور .

واتصل بمراد بيك — بعد صالح أغا — فتقرب اليه ، ووافق منه العرض ، ورفع شأنه على أقرانه ، وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر ونفذت كلمته وأحكامه ، وتصدر لغالب الأمور ، وزاد فى المكوسات والجمارك ومصادرات التجار ، خصوصا من الافرنج .

ووقع بينه وبين السيد شهبة الحادثة التى أوجبت له الاختفاء بالصهريج ، وموته فيه .

فلما حضر الفرنسيس ونزلوا الاسكندرية ، قبضوا على السيد محمد المذكور ، وطالبوه بالمال ، وضيقوا عليه وحبسوه فى مركب .

ولما حضروا الى مصر ، وطلعوا الى قصر مراد بيك ، وفيها مطالعته بأخبارهم ، وبالحث والاجتهاد على حربهم ، وتهوين أمرهم ، وتنقيصهم .. اشتد غيظهم عليه . فأرسلوا وأحضروه الى مصر وحبسوه ، فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرات ، فلم يمكن .

الى أن كانت ليلة الخميس ، فحضر اليه « مجلون » وقال له : « المطلوب منك كذا وكذا من المال » . وذكر له قدرا يعجز عنه ، وأجله اثنتى عشرة ساعة . وان لم يحضر ذلك القدر .. قتل بعد مضيها .

فلما أصبح أرسل الى المشايخ ، والى السيد أحمد المحروقى ، فحضر اليه بعضهم : فترجاهم ، وتداخل عليهم . واستغاث وصار يقول لهم : «اشترونى يامسلمون» . وليس بيدهم ما يفدونه به ، وكل انسان مشغول بنفسه ، ومتوقع لشىء يصيبه . وذلك فى مبادى أمرهم .

فلما كان قريب الظهر ، وقد انقضى الأجل ، أركبوه حمارا ، واحتاط به عدة من العسكر . وبأيديهم السيوف المسلولة ، وبقدمهم طبل يضربون عليه ، وشقوا به الصليبة الى أن ذهبوا الى الرميلة ، وكتفوه وربطوه مشبوحا ، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه ، ثم قطعوا رأسه ورفعوه على نبوت ، وطافوا به بجهات الرميلة ، والمنادى يقول : « هذا جزاء من يخالف الفرنسيس » .

ثم ان أتباعه أخذوا رأسه ، ودفنوه مع جثته ، وانقضى أمره ، وذلك يوم الخميس خامس عشرى ربيع الأول .

* * *

ومات أيضا أيوب بيك الدفتردار وهو من مماليك محمد بيك . تولى الامارة والصنجقية بعد موت أستاذه . وقد تقدم ذكره غير مرة

وكان ذا دهاء ومكر ، ويتظاهر بالانتصار للحق وحب الأشراف والعلماء ، ويشترى المصاحف والكتب ، ويحب المسامرة والمذاكرة وسير المتقدمين ، ويواظب على الصلاة فى الجماعة ، ويقضى حوائج السائلين والقاصدين بشهامة وصرامة وصدع للمعاند ، خصوصا اذا كان الحق بيده .

وسمعت — من لفظه — رؤيا رآها قبل ورود الفرنسيس بنحو شهرين تدل على ذلك ، وعلى موته فى حربهم .

ولما حصل ذلك وحضروا الى بر انبابة ، عدى المترجم قبل بيومين ، وصار يقول :

« أنا بعت نفسى فى سبيل الله » .

فلما التقى الجمعان لبس سلاحه — بعدما توضأ وصلى ركعتين — وركب فى مماليكه وقال : « اللهم انى نويت الجهاد فى سبيلك »
واقتحم مصاف الفرنساوية ، وألقى بنفسه فى نارهم ، واستشهد فى ذلك اليوم .

وهى منقبة اختص بها دون أقرانه ، بل ودون غيرهم من جميع أهل مصر . كما قال فيه الشيخ خليل المنير من قصيدة حكى فيها أمرهم وما حصل للمترجم :

لم يبر منهم سوى أيوب من ألم
مجانس داء خصم قادم حنق

بانت له من حسان الحور قائلة
اركض برجلك للخيرات واستبق

واترك مرادا الى الدنيا ولم تنا
أنا الحياة فمل الروح واعتنق

أم الجهاد شهير السيف مجتهدا
فى كلمة الحق اعلاء على الغرق

الله أكبر ، والتوحيد يصحبها
نداؤه فى عجاج مظلم غسق

لقد تولى على عرض الصفوف الى
أن ضمه القلب ، فاستولى على حلق

ومازال ينقض حتى انقض كوكبه
وطار منه بهاء النور للافق

مضى شهيدا وحيدا طاهرا سمحا
مغسلا بدم الهيجاء لا غرق

تميز الجوهر المكنون من صدف
ثم انجلى فى الحلى يزهى بمؤتلق

كان الجلاء له عين الجلاء لهم
فأدبروا بائمين الخلد بالخلق

الى آخر ما قال . وقوله « بدم الهيجاء لا غرق » يشير بذلك الى ابراهيم بيك الوالى حين ولى مدبرا وغرق فى البحر ..

المحرم

الأربعاء أوله (٥ يونيه ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة من الفرنسيس الى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدومهم .

الخميس ٢ منه (٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

عملوا الديوان وأبرزوا مكتوبا مترجما ونسخته صورة جواب من العرضى قدام عكا :

فى سابع عشرين فريبال ، الموافق لحادى عشر شهر الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف من بونابرته سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية الى محفل ديوان مصر . نخبركم عن سفره من بر الشام الى مصر فانى بغاية العجلة بحضورى لطرفكم نسافر بعد ثلاثة أيام تمضى من تاريخه ونصل عندكم بعد خمسة عشر يوما وجائب معى جملة محابيس بكثرة وبيارق ، ومحقت سراية الجزار وسورعكا ، وبالقنبر هدمت البلد ما أبقيت فيها حجرا على حجر وجميع سكانها انهزموا من البلد الى طريق البحر . والجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر وجرحه يبلغ لخطر الموت . ومن جملة ثلاثين مركبا موسوقة عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ثلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا . وأخذنا منها أربعة موقرة مدافع ، والذى أخذ هذه الأربعة فرقاطة من بتوعنا والباقى تلف وتبهدل والغالب منهم عدم . وانى بغاية الشوق الى مشاهدتكم لأنى بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم .. لكن جملة قلاتية دائرون بالفتنة لأجل مايحركون الشر فى وقت دخولى . كل هذا يزول مثل مايزول الغيم عند شروق الشمس . ومنتورة مات من تشويش هذا الرجل صعب علينا جدا ، والسلام » .

(ومنتورة هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا ويعرف باللغات التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى) .

ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا ، وعزموا على الرجوع الى مصر ، أرسل بونابرته مكاتبة الى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها : « ان الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سببا :

١ — الاقامة تجاه البلدة وعدد الحرب ستة أيام الى أن جاءت الانكليز وحصنوا عكا باصطلاح الأفرنج .
٢ — الستة مراكب التى توجهت من الاسكندرية فيها المدافع الكبار أخذها الانكليز قدام يافا .
٣ — الطاعون الذى وقع فى العسكر ويموت كل يوم خمسون وستون عسكريا .
٤ — عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا .
٥ — وقعة مراد بيك مع الفرنساوية فى الصعيد ، مات فيها مقدار ثلثمائة فرنساوى .
٦ — بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الجيلانى لناحية الصعيد .
٧ — المغربى محمد الذى صار له جيش كبير وادعى أنه من سلاطين المغرب .
٨ — ورود الانكليز تجاه الاسكندرية ودمياط .
٩ — ورود عمارة الموسقو قدام رودس .

١٠ — ورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنيمساء (كذا) .

١١ — ورود جواب مكتوب منا لتيبو أحد ملوك الهند كنا أرسلناه قبل توجهنا لعكا .

(وتيبو هذا هو الذى كان حضر الى اسلامبول بالهدية التى من جملتها طائران يتكلمان بالهندية ، والسرير والمنبر من خشب العود . وطلب منه الامداد والمعاونة على الانكليز المحاربين له فى بلاده . فوعدوه ومنوه ، وكتبوا له أوراقا وأوامر وحضر الى مصر . وذلك فى سنة ١٢٠٢ هـ أيام السلطان عبد الحميد — وقد سبقت الاشارة اليه فى حوادث تلك السنة — وهو رجل كان مقعدا يحمله أتباعه فى تخت لطيف بديع الصنعة على أعناقهم . ثم انه توجه الى بلاد فرانسة ، واجتمع بسلطانها ، وذلك قبل حضوره الى مصر ، واتفق معه على أمر بالسر لم يطلع عليه أحد غيرهما . ورجع الى بلاده على طريق القلزم . فلما قدم الفرنساوية لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر ، لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان . ثم ان تيبو المذكور بقى فى حرب الانكليز الى أن ظفروا به فى هذه السنة وقتلوه وثلاثة من أولاده .. فهذا هو ملخص معنى السبب ..) .

١٢ — موت كفرللى الذى عملت المتاريس بمقتضى رأيه . واذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر . وكفرللى هذا هو المعروف بأبى خشبة المهندس .

١٣ — سماع أن رجلا يقال له مصطفى باشا أخذه الانكليز من اسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر .

١٤ — أن الجزار أنزل ثقله بمراكب الانجليز وعزم على أنه عندما تملك البلد ينزل فى مراكبهم ويهرب معهم .

١٥ — لزوم محاصرة عكا ثلاثة شهور أو أربعة وهو مضر لكل ما ذكرناه من الأسباب » .

الثلاثاء ٧ منه (١١ يونيه ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة أيضا من العسكر بأثقالهم وحضرت مكاتبة من كبير الفرنساوية أنه وصل الى الصالحية وأرسل دوجا الوكيل ونبه على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك .

الجمعة ١٠ منه (١٤ يونيه ١٧٩٩ م) :

فى هذه الليلة أرسلوا الى المشايخ والوجاقات وغيرهم فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ودقت الطبول وحضر الحكام والقلقات بمواكب وطهور وزمور ونوبات تركية وطبول شامية ، وملازمون وجاويشية وغير ذلك ، وحضر الوكيل وقائمقام وأكابر عساكرهم وركبوا جميعا بالترتيب من الأزبكية الى أن خرجوا الى العادلية فقابلوا سارى عسكر بونابرته هناك وسلموا عليه ودخل معهم الى مصر من باب النصر بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وخيولهم وغربائهم ونسائهم وأطفالهم فى نحو خمس ساعات من النهار الى أن وصل الى داره بالأزبكية وانفض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة .

وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين ، واصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيما ليلا ونهارا ، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنا ، وشهد له الخصم .

وفيه : قبضوا على اسماعيل القلق الخربطلى وهو المتولى كتخدا العزب وكان ساكنا بخط الجمالية وأخذوا سلاحه وأصعدوه الى القلعة

وحبسوه . والسبب فى ذلك أنه عمل فى تلك الليلة وليمـة ودعا أحبابه وأصدقاءه وأحضر لهم آلات اللهو والطرب وبات سهرانا بطول الليل . فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا الى ضحوة النهار وتأخر عن الملاقاة . فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر فنقموا عليه بذلك وفعلوا معه ما ذكر .

ولما وصل صارى عسكر الفرنساوية الى داره بالأزبكية ، تجمع هناك أرباب الملاهى والبهالوين وطوائف الملاعبين والحـواة والقرادين والنسـاء الراقصات والخلابيص ، ونصبوا أراجيح مثل أيام الأعياد والمواسم واستمروا على ذلك ثلاثة أيام ! وفى كل يوم من تلك الأيام يعملون شنكا وحراقات ومدافع وسواريخ . ثم انفض الجمع بعدما أعطاهم صارى عسكر دراهم وبقاشيش !

الأحد ١٢ منه (١٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

عزلوا دستان قائمقام وتولى عوضه دوجا الذى كان وكيلا عن صارى عسكر وتهيأ المعزول للسفر الى جهة بحرى وأصبح مسافرا وصحبته نحو الألف من العسـكر وسافر أيضا منهم طائفة الى جهـة البحيرة .

وفيه : طلبوا من طوائف النصارى دراهم سلفة مقدار مائة وعشرين ألف ريال .

الأربعاء ١٥ منه (١٩ يونيه ١٧٩٩ م) :

أرسـلوا الى زوجات حسن بيـك الجداوى وختموا على دورهن ومتاعهن وطالبوهن بالمال . وذلك لسبب أن حسن بيـك التف على مراد بيك وصار يقاتل الفرنسيس معه . وقد كانت الفرنسيس كاتبت حسن بيك وأمنته وأقرته على مابيـده من البلاد ، وألا يخالف ويقاتل مع الأخصام.... فلم يقبل منهم ذلك . فلما وقع لنسـائه ذلك ذهبن الى الشيخ محمد المهدى ، ووقعن عليه ، فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف فرانسة .

الأحد ١٩ منه (٢٣ يونيه ١٧٩٩ م) :

مات ميخائيل كحيل النصرانى الشامى — وهو من رجال الديوان الخصوصى — فجـأة ، وذلك لقهره وغمه . وسبب ذلك أنهم قرروا عليه فى السلفة ستة آلاف ، ريال فرانسة ، وأخذ فى تحصيلها . ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام واستصفى ما وجده عنده من المال ، فورد عليـه الخبر ، وهو جالس يتحدث مع اخوانه حصة من الليل ، فخرجت روحه فى الحال !

وفيـه : كتبوا أوراقا وطبعـوها وألصـقوها بالأسـواق ، وذلك بعـد أن رجعوا من الشـام واستقروا . وهى من ترصـيف وتنميـق بعض الفصحاء . وصورتها :

« من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر ... خطابا لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة :

« النصيحة من الايمان . قال تعـالى فى محكم القرآن : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » . وقال تعالى—وهو أصدق القائلين—فى الكتاب المكنون: « ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » . فعلى العاقل أن يتدبر فى الأمور قبل أن يقع فى المحظور .

« نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكذابين فتصبحوا على مافعلتم نادمين .

« وقد حضر الى محروسة مصر المحميـة أمير الجيوش الفرنساوية حضرة بونابرته ، محب الملة المحمدية ! ونزل بعسـكره فى العادلية ، سليما من العطب والأسقام ، ودخل الى مصر من باب النصر يوم الجمعة فى موكب عظيم وشنك جليل فخيم ،

وصحبته العلماء والوجاقات السلطانية ، وأرباب الأقلام الديوانية ، وأعيان التجار المصرية . وكان يوما عظيما مشهودا . وخرجت أهل مصر لملاقاته فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته ، وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه — شرح الله صدره للاسلام ! — والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة . ومرادهم بهذه الاشاعة هلاك الرعية ، وتدمير أهل الملة الاسلامية ، وتعطيل الأمور الديوانية ... لايحبون راحة العبيد ، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم . ان بطش ربك لشديد !

« وقد بلغنا أن الألفى توجه للشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى والعيايدة الفجرة المفسدين : يسعون فى الأرض بالفساد ، وينهبون أموال المسلمين .. ان ربك لبالمرصاد ! ويزورون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ، ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة . والحال أنها ليست بحاضرة ، فلا أصل لهذا الخبر ، ولا صحة لهذا الأثر . وانما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك والضرر ، مثل ما كان يفعل ابراهيم بيك فى غزة حيث كان ، ويرسل فرمانات بالكذب والبهتان ، ويدعى أنها من طرف السلطان ، ويصدقه أهل الأرياف ، خسفاء العقول ! ولا نقرأون العواقب فيقعون فى المصائب ، وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم ، فان المجرم يؤخذ مع الجيران ، وقد غضب الله على الظلمة . ونعوذ بالله من غضب الديان ! فكان أهل الصعيد أحسن عقلا من أهل بحرى بسبب هذا الرأى السديد .

« ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ، ولا يفرق بين الأخيار والأشرار . وقد جمع الطموش الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة . وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها . وأحبوا اجتماعهم عليه لأجل أخذ أموالها وهتك حريمها . ولكن لم تساعده الأقدار والله يفعل ما يشاء ويختار !

« وقد كان أرسل بعض هذه العساكر الى قلعة العريش ، ومراده أن يصل الى قطيا ، فتوجه حضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية وكسر عسكر الجزار الذين كانوا فى العريش ، ونادوا : الفرار ! الفرار ! بعد ما حصل بعسكرهم القتل والدمار — وكانوا نحو ثلاثة آلاف — وملك قلعة العريش ، وأخذ غزة ، وهرب من كان فيها ، وفروا . ولما دخل غزة نادى فى رعيتها بالأمان ، وأمر باقامة الشعائر الاسلامية واكرام العلماء والتجار والأعيان . ثم انتقل الى الرملة وأخذ مافيها من بقسماط وأرز وشعير ، وقرب — أكثر من ألفين قربة كبار — كان قد جهزها الجزار لذهابه الى مصر . ثم توجه الى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ، ثم أخذها وأخذ مافيها من ذخائر الجزار بالتمام . ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه ، ولم يدخلوا تحت طاعته واحسانه ، فدور فيهم السيف من شدة غيظه وقوة بأسه وسلطانه ، وقتل منهم نحو أربعة آلاف أو يزيدون ، بعدما هدم سورها . وأكرم من كان بها من أهل مصر وأطعمهم وكساهم ، وجهزهم فى المراكب الى مصر ، وغفرهم بعسكره خوفا عليهم من العربان ، وأجزل عطاياهم ، وكان فى يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعا ، وبعضهم ما نجاه الا الفرار .

« ثم توجه من يافا الى جبل نابلس ، فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم ، وحرق خمسة بلاد من بلادهم — وما قدر كان ! — ثم أخرب سور عكا ، وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة ... لم يبق فيها حجر على حجر ، حتى انه يقال كان هناك مدينة . وقد كان بنى حصارها وشيد بنيانها فى نحو عشرين من السنين ، وظلم فى بنيانها عباد الله ... وهكذا عاقبة بنيان الظالمين !

ولما توجه اليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية ، كبيرهم كسرة شنيعة ، فهل ترى لهم من باقية ؟ ! نزل عليهم كصاعقة من السماء ، ثم توجه راجعا الى مصر المحروسة لأجل شيئين :

الأول : أنه وعدنا برجوعه الينا بعد أربعة أشهر . والوعد عند الحر دين !

والثانى : أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان . فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الأشرار والفجرة من الرعية .

« وحبه لمصر واقليمها شىء عجيب ، ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها بفكره وتدبيره المصيب . ويرغب فى أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة .

« ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الأسارى من خاص وعام ، وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الأعداء والأخصام . فالويل كل الويل لمن عاداه ، والخير كل الخير لمن والاه !

« فسلموا يا عباد الله ، وارضوا بتقدير الله ، وامتثلوا لأحكام الله ، ولا تسعوا فى سفك دمائكم وهتك عيالكم ، ولا تتسببوا فى نهب أموالكم ، ولا تسمعوا كلام الغز العربانين الكاذبين . ولا تقولوا ان فى الفتنة اعلاء كلمة الدين — حاشا الله ! — لم يكن فيها الا الخذلان وقتل الأنفس ، وذل أمة النبى عليه الصلاة والسلام .

« والغز والعربان يطمعونكم ويغرونكم لأجل أن يضروكم وينهبوكم . واذا كانوا فى بلد ، وقدمت عليهم الفرنسيس ، فروا هاربين منهم كأنهم جند ابليس .

« ولما حضر سارى عسكر الى مصر أخبر أهل الديوان ، من خاص وعام ، أنه يحب دين الاسلام ، ويعظم النبى عليه الصلاة والسلام ، ويحترم القرآن ، ويقرأ منه كل يوم باتقان ! وأمر باقامة شعائر المساجد الاسلامية واجراء خيرات الأوقاف السلطانية ، وأعطى عوائد الوجاقلية ، وسعى فى حصول أقوات الرعية . فانظروا هذه الألطاف والمزية ببركة نبينا أشرف البرية ! وعرفنا أن مراده أن يبنى لنا مسجدا عظيما بمصر لا نظير له فى الأقطار ، وأنه يدخل فى دين النبى المختار ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ! » .

وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من الشام ، أن سارى عسكر بونابرته مات بحرب عكا ، وتناقله الناس ، وأنهم ولوا خلافه ... فهذا هو السبب فى قولهم فى ذلك الطومار . « وقد حضر سليما من العطب ... فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته » الى آخر السياق المتقدم .

الأربعاء ٢٢ منه (٢٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

أرسل سارى عسكر جماعة من العسكر وقبضوا على ملا زاده ابن قاضى العسكر ، ونهبوا بعضا من ثيابه وكتبه وطلعوا به الى القلعة . فانزعج عليه عياله وحريمه ووالدته انزعاجا شديدا .

وفى صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان ، وحضر اليهم ورقة من كبير الفرنسيس قرئت عليهم ، مضمونها ... أن سارى عسكر قبض على ابن القاضى وعزله ، وأنه وجه اليكم أن تقترعوا وتختاروا شيخا من العلماء يكون من أهل مصر ومولودا بها ، يتولى القضاء ، ويقضى بالأحكام الشرعية ، كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأى العلماء — للعلماء .

فلما سمعوا ذلك أجاب الحاضرون بقولهم : اننا جميعا نتشفع ونترجى عنده فى العفو عن ابن القاضى ، فانه انسان غريب ، ومن أولاد الناس الصدور ، وان كان والده وافق كتخدا الباشا فى فعله ... فولده مقيم تحت أمانكم ، والمرجو انطلاقه وعوده الى مكانه ، فان والدته وجدته وسيئته ...

فى وجد وحزن عظيم عليه . وصارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة .

وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك ، وزاد فى القول بأن قال : وأيضا الكم تقولون دائما ، ان الفرنساوية أحباب العثمانية ، وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلى فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم ، وخصوصا عند العامة .

فأجاب الوكيل — بعد ماترجم له الترجمان — بقوله : لا بأس بالشفاعة ، ولكن بعد تنفيذ أمر صارى عسكر فى اختيار قاض خلافه ، وألا تكونوا مخالفين ، ويلحقكم الضرر بالمخالفة ... فامتثلوا وعملوا القرعه ، وطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى الحنفى . ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة .. وكتب عليه الحاضرون . وذهب به الوكيل الى سارى عسكر ، وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات ... فتعير خاطره عليه . وأمر باحضاره آخر النهار فلما حضر لامه وعاتبه . فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدى ووكيل الديوان الفرنساوى ... بالديوان ، حتى سكن غيظه ، وأمره بالانصراف الى منزله ، بعد أن عوقه حصة من الليل .

فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية فى منزل دوجا قائمقام ، وركبوا — صحبته — الى بيت سارى عسكر ، ومعهم الشيخ أحمد العريشى فألبسه فروة مثمنة ، وركبوا جميعا الى المحكمة الكبيرة بين القصرين ، ووعدهم بالافراج عن ابن القاضى بعد أربع وعشرين ساعة .

وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم الى دار السيد أحمد المحروقى ، وجلسوا عنده . ولما كان فى ثانى يوم أفرجوا عنه ، ونزل الى عياله ، وصحبته أرباب الديوان والأغا ، ومشوا معه فى وسط المدينة ليراه الناس ، ويبطل القيل والقال .

وفيه : كتبوا أوراقا ، وطبعوا منها نسخا ، وألصقوها بالأسواق .. وصورتها :

« جواب الى محفل الديوان .. من حضرة سارى عسكر الكبير بونابرته ، أمير الجيوش الفرنساوية محب أهل الملة المحمدية ! ! خطابا الى السادات العلماء ... أنه وصل لنا مكتوبكم من شأن القاضى ... نخبركم أن القاضى لم أعزله ، وانما هو هرب من اقليم مصر ، وترك أهله وأولاده وخان صحبتنا من المعروف والاحسان الذى فعلناه معه وكنت استحسنت أن ابنه يكون عوضا عنه فى محل الحكم فى مدة غيبته ، ويحكم بدله . ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام ، لأنه صغير السن ، ليس هو أهلا للقضاء . فعلمتم أن محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعى يحكم بالشريعة . واعلموا أنى لا أحب مصر خالية من حاكم شرعى يحكم بين المؤمنين ، فاستحسنت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقلائهم ... لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين ، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعا ، أن يكون لابسا من عندى وجالسا فى المحكمة ... وهكذا كان فعل الخلفاء فى العصر الأول باختيار جميع المؤمنين !

« وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضى بالمحبة والاكرام لما حضر لى وقابلنى ، ولم أزل لهذا الوقت أكرمه ، ولم أحب أن يضره أحد ... حكم أماننا له . ولما رفعناه الى القلعة لم نرد ضرره ، بل رفعناه مكرما ، مثلما يكون فى بيته ، بالراحة والاكرام . وسبب ما رفعناه الى القلعة .. سكون الفتن والاصلاح بين الناس . وبعد لبس القاضى الجديد ، وجلوسه فى محل الحكم مرادى أن أطلق ابن القاضى ، وأنزله من القلعة ، وأرد له كامل تعلقاته ، وأطلق سبيله هو وعياله يتوجهون حيث

أرادوا باختيارهم ، لأنه فى أمانى وتحت حمايتى . وأعـرف أن أباه ما كان يكرهنى ، ولـكنه ذهب عقله ، وفسد رأيه . وأنتم يا أهل الديوان تهدون الناس الى الصواب والنـور من جنابكم لأهـل العقول . وعرفوا أهـل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثملى من أقاليم مصر ، وبطلت أحكامهـا منها . وأخبروهم أن حكم العثملى أشـد تعبا من حكم الملوك وأكثر ظلما . والعاقل يعرف أن علماء مصر لهـم عقل وتدبير وكفـاية وأهلية للاحكام الشرعية ، يصلحون للقضـاء أكثر من غـيرهم فى سائر الأقاليم .

وأنتم يا أهل الديوان عرفونى عن المنـافقين المخالفين ، أخرج من حقهم ، لأن الله تعالى أعطانى القـوة العظيمة ! لأجل ما أعاقبهم .. فان سيفنـا طويل ، ليس فيه ضعف . ومرادى أن تعرفوا أهل مصر أن قصدى بكل قلبى حصول الخير والسعادة لهم ، مثل ماهو بحر النيل أفضل الأنهار وأسعدها .. كذلك أهل مصر يكونون أسعد الخلائق أجمعين باذن رب العالمين ... والسلام ! ! » .

وفى تلك الليلة : قتلوا شخصين أحـدهما على جاويش رئيس الريالة الذى كان بالأسكندرية عند حضـور الفرنسيس . والثانى قبطـان آخر ، فلم يزالا بمصرَ يحبسـونهما أياما ثم يطلقونهمـا فحبسوهما آخرا فلم يطلقوهما حتى قتلوهما .

وفى صبيحة هذا اليوم : قتلوا شخصين أيضا من الأتراك بالرميلة .

وفيه : أفرجوا عن زوجات حسن بيك الجداوى .

الثلاثاء ٢٨ منه (٢ يوليه ١٧٩٩ م) :

جمعوا الوجاقلية وكتبوا أسماءهم .

الأربعاء ٢٩ منه (٣ يوليه ١٧٩٩ م) :

قبضوا على ثلاثة أنفار : أحدهم يسمى حسن كاشف من أتباع أيوب بيك الكبير ، وآخر يسمى أبو كلس ، والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلى يسمى حسين مملوك الدالى ابراهيم ، فسجنوهم بالقلعة فتشفع الشيخ السـادات فى حسين التاجر المذكور ، فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسة .

صـفر

الجمعة مستهله (٥ يوليه ١٧٩٩ م) :

أفرجوا عن بعض قرابة كتخـدا الباشا ، وكان محبوسا بالجيزة ثم نقل الى القلعة مع كتخدا قريبه فأطلق وبقى الآخر .

الأحد ٣ منه (٧ يوليه ١٧٩٩ م) :

حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقا من دمياط الى مصر — وكان مقيما هناك من بعد واقعة يافا — ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا الى البحر : وفيهم عثمان افندى العباسى ، وحسن افندى كاتب الشهر ، وأخوه قاسم أفندى ، وأحمد أفندى عرفه والسيد يوسف العباسى ، والحاج قاسم المصلى ، وغيرهم . فمنهم من عوق بالكرنتيلة ، ومنهم من حضر من البر خفية . فحضر بعض الأعيان لملاقاة السيد عمر وركبوا معه بعد أن مكث هنيهة بزاوية على بيك التى بساحل بولاق حتى وصـل الى داره . وتوجه فى ثانى يوم مع المهدى وقابل سارى عسكر فبش له ووعده بخير ورد اليه بعض تعلقاته واستمر مقيما بداره والناس تغدو وتروح اليه على العادة .

الاثنين ٤ منه (٨ يوليه ١٧٩٩ م) :

حضر أيضا حسن كتخدا الجربان بأمان ، وكان صحبته عثمان بيك الشرقاوى .

وفيـه : أشيع أن مراد بيك ذهب الى ناحية البحيرة فرارا من الفرنسيس الذين بالصعيد .

الثلاثاء ٥ منه (٩ يوليه ١٧٩٩ م) :

قتلوا عبد الله أغا أمير يافا ، وكان أخذ أسيرا وحبس ثم قتل .

وفيـه : قتل أيضـا يوسف جربجى أبو كلس ورفيقه حسن كاشف .

الأربعاء ٦ منه (١٠ يوليه ١٧٩٩ م) :

عمل الشيخ محمد المهدى وليمة عرس لزواج أحد أولاده ودعا سارى عسكر وأعيان الفرنساوية فتعشوا عنده وذهبوا .

وفيـه : أحضروا أربعـة عشر مملوكا أسرى وأصعدوهم الى القلعة . قيل انهم كانوا لاحقين بمراد بيك بالبحيرة فآووا الى قبة يستظلون بها وتركوا خيولهم مع السواس ، فنزل عليهم طائفة من العرب فأخذوا الخيول ، فمروا مشاة ، فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم . وقيل انهم آووا الى بلدة وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم فلم يرضوا بذلك بدون ما طلبوا فوعدوهم بالدفع من الغد ، وكانوا أكثر من ذلك — وفيهم كاشف من جماعة عثمان بيـك الطنبرجى — فذهب الفلاحون الى الفرنسيس وأعلموهم بمكانهم فحضروا اليهم ليلا ، وفر من فر منهم ، وقتل من قتل ، وأسر الباقى . وأما الكاشف — ويسمى عثمان كاشف — فالتجأ الى كبير الفرنسيس فحمـاه وأخذه عنده ، وأحضروا الأسرى الى مصر وعليهم ثياب زرق وزعابيط وعلى رءوسهم عراقى من لباد وغيره ، وأصعدوهم الى القلعة وقتلوا منهم فى ثانى ليلة أشخاصا .

السبت ٩ منه (١٣ يوليه ١٧٩٩ م) :

أحضروا أيضـا سـتة أشخاص من المماليك وأصعدوهم الى القلعة . وفى ذلك اليوم قتلوا أيضا نحو العشرة من الأسرى المحابيس .

الأحد ١٠ منه (١٤ يوليه ١٧٩٩ م) :

ركب فى عصريته سارى عسكر وعدى الى بر الجيزة وتبعته العساكر ولم يعلم سبب ذلك . ولمـا صـاروا بالجيزة ضربوا نجع البطران ودهشـور بسبب نزول مراد بيك عندهم . وفى هذا اليـوم ظهر أن مراد بيك رجع ثانيا الى الصعيد . وشاع الخبر أيضا أن عثمان بيك الشرقاوى ، وسـليمان أغا الوالى وآخرين ... مروا من خلف الجبل وذهبوا الى ناحية الشرق ، فخرج عليهم جماعة من العسكر — وفيهم برطلمين ينى الرومى رئيس عسكر الأروام ومعهم عدة وافرة من أخلاط العسكر أروام وقبط والمماليك المنضـمة اليهم ، وبعض فرنسـاوية — فأدركوهم بالقرب من بلبيس وأتوهم من خـلاف الطريق المسلوكة فدهموهم على حين غفلة — وكان عثمان بيك يغتسل — فلما أحسوا بهم بادروا للفرار وركبوا وركب عثمان بيك بقميص واحد على جسده وطاقية فوق رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملتهم وقدور الطعام على النار ، ولم يمت منهم



الاحتفال بالزواج فى مصر

الامملوكان ،وأسروا منهم اثنين ووجدوا على فراش عثمان بيك مكاتبة من ابراهيم بيك يستدعيهم الى الحضور اليه بالشام (١) .

الاثنين ١١ منه (١٥ يوليه ١٧٩٩ م) :

وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الاسكندرية وأبى قير ، وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عسكر عثمانية الى أبى قير . فتبين أن حركة الفرنساوية وتعديتهم الى البر الغربى بسبب ذلك ، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهرى .

وفى ضحوة اليوم الثانى عدى الكثير من العسكر أيضا . واهتم حنا بينو ، المتولى على بحر بولاق ، بجمع المراكب وشحنها بالقومانية والذخيرة . وداخل الفرنساوية من ذلك وهم كبير . ولما عدى كبيرهم الى بر الجيزة أقام يوم الاثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر .

الثلاثاء ١٢ منه (١٦ يوليه ١٧٩٩ م) :

بعث بالمقدمة وركب هو وأرسل مكتوبا الى أرباب الديوان بالسلام عليهم والوصية بالمحافظة وضبط البلد والرعية كما فعلوا فى غيبته السابقة .

السبت ١٦ منه (٢٠ يوليه ١٧٩٩ م) :

ورد الخبر بأن عثمان خجا وصل الى قلعة أبى قير ، صحبة السيد مصطفى باشا ، فضربوا على القلعة وقاتلوا من بها من الفرنساوية وملكوها وأسروا من بقى بها . وعثمان خجا هذا هو الذى كان متولى امارة رشيد من طرف صالح بيك وحج معه ورجع صحبته الى الشام . فلما توفى صالح بيك سافر الى الديار الرومية وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور .

فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط فى الناس وأظهروا البشر وتجاهروا بلعن النصارى . واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة مع بعض نصارى الشوام فقال المسلم للنصرانى « ان شاء الله تعالى بعد أربعة أيام نشتفى منكم » وكلام من هذا المعنى . فذهب ذلك النصرانى الى الفرنسيس مع عصبة من جنسه وأخبروهم بالقصة ، وزادوا وحرفوا ، وعرفوهم أن قصد المسلمين اثارة فتنة . فأرسل قائمقام الى الشيخ المهدى وتكلم معه فى شأن ذلك وحاججه . وأصبحوا فاجتمعوا فى الديوان فقام المهدى خطيبا وتكلم كثيرا ، ونفى الريبة ، وكذب أقوال الأخصام ، وشدد فى تبرئة المسلمين عما نسب اليهم وبالغ فى الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى ... وهذا المقام من مقاماته المحمودة .

ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم (١) .

وفيه : حضرت مكاتبة من الفرنسيس المتوجهين للمحاربة مع العسكر الوارد لجهة أبى قير .

وصورتها :

« لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... نخبركم ، محفل الديوان بمصر ، المنتخب من أحسن الناس ، وأكملهم بالعقل والتدبير ... عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته ... بعد مزيد السلام عليكم ، وكثرة الأشواق الزائدة اليكم . نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب أننا وضعنا جماعات من عسكرنا

---

(١) الحقيقة أن عثمان بيك ومن معه استدعوا لانتظار ابراهيم بيك ومماليكه وجيش الجزار بناء على التعليمات الواردة من رسل الانجليز . فأما ابراهيم بيك — وهو دائما شديد الحرص — فكان يسير من غزة على مهل لكيلا يدخل مصر قبل قدوم الجيش العثمانى من رودس وذلك خوفا من الوقوع فى أيدى الفرنساويين فلما بلغه خبر تلك الهزيمة لعثمان بيك والالفى بيك عاد ادراجه الى سوريا . وأما الجزار الخبيث فاكتفى بعودة الفرنساويين من سوريا واستخلاصه هو عكا ، وامتداد نفوذه فى الولايات السورية ثم قلب للدولة العثمانية وللانكليز ظهر المجن .

(حافظ عوض — فتح مصر الحديث ص ٣٧٠)

(١) تمثل لنا هذه الحادثة صورة مجسمة للشعور العومى فى هذا الوقت . والدليل على تخوف الفرنسيين انهم زادوا فى الحيطة فجمعوا مشايخ الاخطاط والحارات وحبسوهم

بجبل الطرانة . وبعد ذلك سرنا الى اقليم البحيرة لأجل مانرد راحــة الرعايا المســاكين ، ونقاصص أعداءنا المحــاربين . وقد وصــلنا بالســلامة الى الرحمانيــة ، وعفونا عفوا عموميا عن كامل أهل البحيرة حتى صار أهل الاقليم فى راحة تامة ، ونعمة عامة .

« وفى هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركبا صغارا وكبارا ، حتى ظهروا بثغر اسكندرية ، وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنب وجلل المدافع النازلة عليهم . فرحلوا عنهــا وتوجهوا يرسون بناحية أبى قير ، وابتدأوا ينزلون فى البر . وأنا الآن تاركهم ، وقصدى أن يتكامل الجميــع فى البر ، وأنزل عليهم أقتل من لايطيع ، وأخلى بالحياة الطائعين ، وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر . والسبب فى مجىء هــذه العمارة الى هــذا الطرف العشم بالاجتماع على المماليك والعربان ، لأجــل نهب البــلاد ، وخراب القطر المصرى . وفى هذه العمارة خلق كثير من الموسقو الافرنج ، الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان يوحد الله ، وعداوتهم واضحة لمن كان يعبد الله ويؤمن برسول الله ... يكرهون الاسلام ، ولا يحترمون القرآن . وهم — نظرا لكفرهم فى معتقدهم — يجعلون الآلهة ثلاثة ، وأن الله ثالث تلك الثلاثة . تعالى الله عن الشركاء ! ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لاتعطى القوة ، وأن كثرة الآلهة لاتنفع .. بل انه باطل ، لأن الله تعالى هــو الواحد ، الذى يعطى النصرة لمن يوحــده ، هو الرحمن الرحيم ، المساعد المعين ، المقوى للعادلين الموحدين ، الماحق رأى الفاسد المشركين وقد سبق فى علمه القديم ، وقضائه العظيم ، أنه أعطانى هذا الاقليم ! وقدر وحكم بحضورى عندكم الى مصر ، لأجل تغييرى الأمور الفاســدة وأنواع الظلم ، وتبــديل ذلك بالعدل والراحة .. مع صلاح الحكم !

«وبرهان قدرته العظيمة ، ووحدانيته المستقيمة ، أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة ... قوة مثل قوتنا ، لأنهم ماقدروا أن يعملوا الذى عملناه ، ونحن المعتقدون وحدانية الاله ، ونعرف أنه العزيز القادر ، القوى القاهر ، المدبر للكائنات ، والمحيط علمه بالأرضين والسماوات ، القائم بأمر المخلوقات !. هــذا مافى الآيات والــكتب المنزلات . ونخبركم بالمسلمين ... ان كانــوا بصحبتهم ، يكونوا من المغضوب عليهم لمخالفتهم وصية النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ، بسبب اتفاقهم مع الكافرين الفجرة اللئام ! لأن أعداء الاسلام لاينصرون الاســلام . وياويل من كانت نصرته بأعداء الله ! وحاشا لله أن يكون المستنصر بالكفار مؤيدا ، أو يكون مسلما !

« ساقتهم المقادير للهلاك والتدمير ، مع السفالة والرذالة . وكيف لمســلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب ، ويســمع فى حق الواحد الأحد ، الفرد الصــمد .. من الكفــار كل يوم تخريفــا واحتقارا ؟ ! ولا شك أن هذا المسلم — فى هــذا الحال — أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال .

« نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار ، لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الأقاليم والبــلاد .. لأن البلد الذى يحصــل فيه الشر ، يحصل لهم مزيد الضرر والقصــاص . انصحوهم يحفظوا أنفســهم من الهلاك خوفا عليهم أن نفعل فيهم مثل مافعلنا فى أهل دمنهور ، وغيرها من بلاد الشرور ، بسبب سلوكهم المســالك القبيحة ... قاصصناهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

(تحريرا فى الرحمانيــة يوم الأحد ١٥ صــفر سنة ١٢١٤) .

وطبعوا من ذلك نسخا ، وألصقوها بالأسواق ، وفرقوا منها على الأعيان .

الاثنين ١٨ منه (٢٢ يوليه ١٧٩٩ م) :

وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار ، وكلها على نسق واحد تزيد على المائة مضمونها : بأن المسلمين وعسكر العثمانيين ومن معهم ملكوا الاسكندرية فى ثالث ساعة من يوم



أبى قير

السبت سادس عشر صفر (٢٠ يوليه ١٧٩٩ م) . فصار الناس يحكى بعضهم لبعض .

ويقول البعض : « أنا قرأت المكتوب الواصل الى فلان التاجر » . ويقول الآخر مثل ذلك .. ولم يكن لذلك أصل ولا صحة ، ولم يعلم من فعل هذه الفعلة ، واختلق هذه النكتة . ولعلها من فعل بعض النصارى البلديين ليوقعوا بها فتنة فى الناس ينشأ منها القتل فيهم ، والأذية لهم . وسبحان الله علام الغيوب .

الأربعاء ٢٠ منه (٢٤ يوليه ١٧٩٩ م) :

أشيع ليلا أن الفرنساوية تحاربوا مع العساكر الواردين على أبى قير[1] وظهروا عليهم وقتلوا الكثير منهم ونهبوهم وملكوا منهم قلعة أبى قير ، وأخذوا مصطفى باشا أسيرا وكذلك عثمان خجا وغيرهما . وأخبر الفرنسيس أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم .

فلما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وباقى القلاع المحيطة بصحن الأزبكية ، وعملوا فى ليلتها — أعنى ليلة الأربعاء — حراقة بالأزبكية من نفوط وبارود وسواريخ تصعد فى الهواء .

الخميس ٢٨ منه (اول اغسطس ١٧٩٩ م) :

وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرحى .

الجمعة ٢٩ منه (٢ اغسطس ١٧٩٩ م) :

حضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحالة التى وقعت ... لم أقف على صورتها .

ربيع الأول

الأحد ٢ منه (٤ اغسطس ١٧٩٩ م) :

وصلت مراكب من بحرى وفيها جرحى من الفرنساوية

وفيه : قبضوا على الحاج مصطفى البشتيلى

---

(١) كان هؤلاء الجنود هم الجيش العثمانى المؤلف من خيرة الجنود الانكشارية بسالة واقداما .
(حافظ عوض — فتح مصر الحديثة ص ٣٨٢)

الزيات من أعيان أهالى بولاق وحبسوه ببيت قائمقام . والسبب فى ذلك أن جماعة من جيرانه وشوا عنه بأن بداخل بعض حواصله الذى فى وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود ، فكبسوا على الحواصل فوجدوا بها ذلك كما أخبر الواشى ، فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ، ثم نقلوه الى القلعة .

الخميس ٦ منه (٨ اغسطس ١٧٩٩ م) :

حضر أيضا جملة من العسكر وكثر لغط الناس على عادتهم فى رواية الأخبار .

وفيه : حضرت حجاج المغاربة ووصلوا صحبة الحاج الشامى ، وأخبروا أنهم حجوا صحبته . وأمير الحاج الشامى عبد الله باشا ابن العظم .

الأحد ٩ منه (١١ اغسطس ١٧٩٩ م) :

حضر ليلا سارى عسكر الفرنساوية بونابارته ودخل الى داره بالأزبكية وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين . وشاع الخبر بحضوره فذهب كثير من الناس الى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته . فشاهدوا الأسرى وهم وقوف فى وسط البركة ليراهم الناس . ثم أنهم صرفوهم بعد حصة من النهار . فأرسلوا بعضهم الى جامع الظاهر خارج الحسينية ، وأصعدوا باقيهم الى القلعة .

وأما مصطفى باشا سارى عسكر فانهم لم يقدموا به لمصر بل أرسلوه الى الجيزة مكرما وأبقوا عثمان خجا بالاسكندرية .

ولما استقر سارى عسكر بونابارته فى منزله ، ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان ، وسلموا عليه . فلما استقر بهم المجلس ، قال لهم على لسان الترجمان : « ان سارى عسكر يقول لكم : انه لما سافر الى الشام كانت حالتكم طيبة فى غيابه . وأما فى هذه المرة فليس كذلك لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لا يرجعون بل يموتون عن آخرهم ،



مصطفى باشا بعد معركة ابو قير

فكنتم فرحانين ومستبشرين ، وكنتم تعارضون الأغا فى أحكامه وأن المهدى والصاوى ماهم «بونو» أى ليسوا بطيبين » . ونحو ذلك .

وسبب كلامه هذا .. الحكاية المتقدمة التى حبسوا بسببها مشايخ الحارات . فان الأغا الخبيث كان يريد أن يقتل فى كل يوم أناسا بأدنى سبب . فكان المهدى والصاوى يعارضانه ويتكلمان معه فى الديوان ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة ، وهو يرسل الى سارى عسكر فيطالعه الأخبار ، ويشكو منهما . فلما حضرعاتبهم فى شأن ذلك فلاطفوه حتى انجلى خاطره ، وأخذ يحدثهم على ما وقع له من القادمين الى أبى قير والنصر عليهم ، وغير ذلك .



الشيخ المهدى

الثلاثاء ١١ منه (١٣ أغسطس ١٧٩٩ م) :

عمل المولد النبوى بالأزبكية ، ودعا الشيخ خليل البكرى سارى عسكر الكبير مع جماعة من أعيانهم ، وتعشوا عنده ، وضربوا ببركة الأزبكية مدافع ، وعملوا حراقة وصواريخ ، ونادوا فى ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلا ، واسراج قناديل ، واصطناع مهرجان .

وفيه . ورد الخبر بأن الفرنسيس أحضروا عثمان خجا ونقلوه من الاسكندرية الى رشيد فدخلوا به البلد ، وهو مكشوف الرأس حافى القدمين ، وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به الى داره فقطعوا رأسه تحتها ، ثم رفعوا رأسه وعلقوه من شباك داره ليراه من يمر بالسوق .

الخميس ١٣ منه (١٥ اغسطس ١٧٩٩ م) :

أشيع أن كبير الفرنسيس سافر الى جهة بحرى ولم يعلم أحد أى جهة يريد ، وسئل بعض أكابرهم فأخبر أن سارى عسكر المنوفية دعاه لضيافته بمنوف حين كان متوجها الى ناحية أبى قير ووعده بالعودة اليه بعد وصوله الى مصر . وراج ذلك على الناس ، وظنوا صحته .

الاثنين ١٧ منه (١٩ اغسطس ١٧٩٩ م) :

خرج كبير الفرنسيس مسافرا من آخر الليل وخفى أمره على الناس .

الاثنين ٢٤ منه (٢٦ اغسطس ١٧٩٩ م ــ ٩ مسرى):

كان وفاء النيل المبارك . فنودى بوفائه على العادة . وخرج النصارى البلدية من القبطة والشوام والأروام ، وتأهبوا للخلاعة والقصف ، والتفرج واللهو والطرب ، وذهبوا تلك الليلة الى بولاق ومصر العتيقة والروضة ، واكتروا المراكب ، ونزلوا فيها — وصحبتهم الآلات والمغانى — وخرجوا فى تلك الليلة عن طورهم ، ورفضوا الحشمة ، وسلكوا مسلك الأمراء سابقا .. من النزول فى المراكب الكثيرة المقاذيف ، وصحبتهم نساؤهم وشرابهم ، وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ، ومحاكاة المسلمين . وبعضهم تزيا بزى أمراء مصر ، ولبس سلاحا وتشبه بهم ، وحاكى ألفاظهم على سبيل الاستهزاء والسخرية وغير ذلك .

وأجرى الفرنساوية المراكب المزينة ، وعليها البيارق ، وفيها أنواع الطبول والمزامير.... فى البحر .

ووقع فى تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش ، والتجاهر بالمعاصى والفسوق ... ما لا يكيف ولا يوصف ! وسلك بعض غوغاء العامة ، وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ورذالة الرقاعة بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم ، بل كل انسان يفعل ماتشتهيه

نفسه ، وما يخطر بباله ... وان لم يكن من أمثاله .

اذا كان رب الدار بالدف ضاربا
فشيمة أهل الدار كلهم الرقص

وأكثر الفرنسيس فى تلك الليلة ، وصباحها ، من رمى المدافع والصواريخ من المراكب والسواحل ، وباتوا يضربون أنواع الطبول والمزامير .

وفى الصباح ركب دوجا قائمقام وصحبته أكابر الفرنسيس وأكابر أهل مصر ، وحضروا الى قصر السد ، وجلسوا به ، واصطفت العساكر ببر الروضة وبر مصر القديمة بأسلحتهم وطبولهم ، وبعضهم فى المراكب لضرب المدافع المتتالية الى أن انكسر السد وجرى الماء فى الخليج ، فانصرفوا .

الثلاثاء ٢٥ منه (٢٧ أغسطس ١٧٩٩ م) :

طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرسا .

الاربعاء ٢٦ منه (٢٨ اغسطس ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق مضمونها : أن الناس يذهبون الى بولاق يوم التاسع والعشرين



مصر القديمة



مراكب فى النيل

(٣١ أغسطس ١٧٩٩ م) ليحضروا سوق الخيل ويشتروا ما أحبوا من الخيل .

وفيه : ألصقوا أوراقا أيضا مضمونها أن من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ، ومن لم يغلق ماعليه بعد مضى عشرين يوما عوقب بما يليق به . ونادوا بموجب دلك بالأسواق .

الخميس ٢٧ منه (٢٩ أغسطس ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا مضمونها : انقضاء سنة مؤاجرات أقلام المكوس . ومن أراد استئجار شيء من ذلك فليحضر الى الديوان ويأخذ مايريده بالمزاد .

وفيه : أفرج عن الأنفار التى قدم بها الفرنساوية من غزة وحبست بالقلعة على مصلحة خمسة وسبعين كيسا دفعوا بعضها وضمنهم أهل وكالة الصابون فى البعض الباقى ، فأنزلوهم من القلعة على هـذا الاتفاق بشرط أن لا يسافر منهم أحد الا بعد غلاق ما عليه .

الجمعة ٢٨ منه (٣٠ أغسطس ١٧٩٩ م) :

تشفع أرباب الديوان فى أهل يافا المسجونين بالقلعة أيضا فوقع التوافق معهم على الافراج عنهم بمصلحة مائة كيس . فاجتمع الرؤساء والتجار وترووا واشتوروا فى مجلس خاص بينهم . فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها فى كل عشرين يوما خمسة وعشرون كيسا . فدفع التجار خمسة وعشرين كيسا ، وأفرج عنهم من القلعة ، وأجلوا الباقى على الشرح المذكور .

وفيه : ورد من « بونابارته » ، سارى عسكر الفرنساوية كتاب من الاسكندرية خطابا لأهل مصر وسكانها فأحضر قائمقام دوجا الرؤساء المصرية وقرأ عليهم الكتاب مضمونه : أنه سافر يوم الجمعة حادى عشرين (٢٣ أغسطس ١٧٩٩ م) الشهر المذكور الى بلاد الفرنساوية لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر فيغيب نحو ثلاثة أشهر ويقدم مع عساكره . فانه بلغه خروج عمارتهم ليصفو له ملك مصر ، ويقطع دابر المفسدين . وأن المولى على أهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعا «كليبر» سارى عسكر دمياط فتحير الناس وتعجبوا فى كيفية سفره ونزوله البحر ، مع وجود مراكب الانجليز ، ووقوفهم بالثغر ، ورصدهم الفرنساوية من وقت قدومهم الديار المصرية ، صيفا وشتاء ... ولكيفية خلوصه وذهابه أنباء وحيل لم أقف على حقيقتها .



كليبر



بونابرت يعود الى فرنسا بحرا

السبت ٢٩ منه (٣١ اغسطس ١٧٩٩ م) :

قدم سارى عسكر كليبر ، فضربوا لقدومه المدافع من جميع القلاع . وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم ، وذهب الى بيت بونابارته الذى كان ساكنا به — وهو بيت الألفى بالأزبكية — وسكن مكانه .

وفى ذلك اليوم قدمت طائفة من العسكر من جهة الشرقية ، وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلد عصت عليهم ، فضربوها ونهبوها ومعهم نحو السبعين من الرجال والصغار وبعض النساء وهم موثقون بالحبال فسجنوهم بالقلعة .

وفيه : ذهب أكابر البلد من المشايخ والأعيان لمقابلة سارى عسكر الجديد للسلام عليه ، فلم يجتمعوا به فى ذلك اليوم ، ووعدوا الى الغد ، فانصرفوا . وحضروا فى ثانى يوم فقابلوه ، فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته ، فانه كان بشوشا ويباسط الجلساء ويضحك معهم .

ربيع الآخر

اوله (٢ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ابتدأوا فى عمل مولد المشهد الحسينى ، وقهروا الناس ، وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة ثانى عشر (١٣ سبتمبر ١٧٩٩ م)

وفيه : طلب سارى عسكر من نصارى القبط مائة وخمسين ألف ريال فرانسة فى مقابلة بواقى سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٥ م) وشرعوا فى تحصيلها .

٦ منه (٧ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ركب سارى عسكر الجديد من الأزبكية ، ومشى فى وسط المدينة فى موكب حافل حتى صعد الى القلعة . وكان أمامه نحو الخمسمائة قواس وبأيديهم النبابيت وهم يأمرون الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروره . وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الأفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة والوالى والأغا وبرطلمين بمواكبهم . وكذلك القلقات والوجاقلية وكل من كان مولى من جهتهم ومنضما اليهم ماعدا رؤساء الديوان من الفقهاء ، فلم يطلبوهم للحضور ولا للمشى فى ذلك الموكب . ولما صعد الى القلعة ضربوا له عدة مدافع وتفرج على القلعة ثم نزل بذلك الموكب الى داره .

٧ منه (٨ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ركب أغات الينكجرية فى أبهة عظيمة وجبروت وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس ، وأمامه المنادى يقول : « حكم مارسم سارى عسكر خطابا للأغا أن جميع الدعاوى والقضايا العامية لاتعمل الا ببيت الأغا . وكل من تعدى من الرعايا أو وقع منه قلة أدب يستأهل مايجرى عليه » .

وفيه : ركب سارى عسكر الكبير فى موكب دون الأول ووصل الى بيت رئيس الديوان الشيخ عبد الله الشرقاوى ثم رجع الى داره .

٨ منه (٩ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

عمل سارى عسكر وليمة فى بيته ، ودعا الأعيان والتجار والمشايخ فتعشوا عنده ، ثم انصرفوا الى دورهم .

١٠ منه (١١ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

كان آخر المولد الحسينى . وحضر سارى عسكر الفرنساوية مع أعيانهم الى بيت شيخ السادات بعد العصر فى موكب عظيم ، وأمامه الأغا والوالى والمحتسب وعدة كبيرة من عسكرهم وبيدهم السيوف المسلولة ، فتعشوا هناك وركبوا بعد المغرب وشاهدوا وقود القناديل .

١٦ منه (١٧ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

نودى بنشر الحوائج ، وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بالأسواق وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ، ومع كل منهم عسكرى من طرف الفرنساوية وامرأة أيضا للكشف على أماكن النساء . فكان الناس يأنفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه ، وتحدثهم أوهامهم بأمور يتخيلونها .. كقولهم : انما يريدون بذلك الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم .. مع أنه لم يكن شئ سوى التخوف من العفونة والوباء .

٢٠ منه (٢١ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

نودى بعمل مولد السيد على البكرى ، المدفون بجامع السرايبى بالأزبكية بالقرب من الرويعى ، وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة فى تلك الجهات وأذنوا لهم بالذهاب والمجئ ليلا ونهارا من غير حرج .

وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد على ، وأنه كان رجلا من البله ، وكان يمشى بالأسواق عريانا مكشوف الرأس والسوأتين غالبا ، وله أخ صاحب دهاء ومكر لايلتئم به . واستمر على ذلك مدة سنين . ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى من ميل الناس لأخيه واعتقادهم فيه — كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله — فحجر عليه ، ومنعه من الخروج من البيت ، وألبسه ثيابا ، وأظهر للناس أنه أذن له بذلك وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك !

فأقبلت الرجال والنساء على زيارته والتبرك به وسماع ألفاظه ، والانصات الى تخليطاته وتأويلها بما فى نفوسهم ، وطفق أخوه المذكور يرغبهم ويبث لهم فى كراماته ، وأنه يطلع على خطرات القلوب والمغيبات ، وينطق بما فى النفوس . فانهمكوا على التردداد اليه ، وقلد بعضهم بعضا ، وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والامدادات الواسعة من كل شئ — وخصوصا من نساء الأمراء والأكابر !

وراج حال أخيه ، واتسعت أمواله ، ونفقت سلعته ، وصادت شبكته ، وسمن الشيخ من كثرة الأكل والدسومة والفراغ والراحة ، حتى صار مثل البو العظيم ! فلم يزل على ذلك الى أن مات فى سنة سبع بعد المائتين كما تقدم . فدفنوه بمعرفة أخيه فى قطعة حجر عليها من هذا المسجد من غير مبالاة ولا مانع ، وعمل عليه مقصورة ومقاما ، وواظب عنده بالمقرئين والمداحين وأرباب الأشاير والمنشدين بذكر كراماته وأوصافه فى قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك . ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه ، ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به ويضعونه فى أعبابهم وجيوبهم !

وهرعت لزيارة قبره النساء والرجال بالنذور

وبالشموع وأنواع المأكولات . وصار ذلك المسجد مجمعا وموعدا . فلما حضر الفرنساوية الى مصر ، تشاغل عنه الناس ، وأهمل شأنه فى جملة المهملات ، وترك مع المتروكات . فلما فتح أمر الموالد والجمعيات ، ورخص الفرنساوية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات ، والتلاهى وفعل المحرمات ... أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد (1)

جمادى الأولى

اوله (أول اكتوبر ١٧٩٩ م) :

اهتم الفرنسيس بعمل عيدهم المعتاد وهو عند الاعتدال الخريفى وانتقال الشمس لبرج الميزان فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ووقود القناديل شددوا فى ذلك وعملوا عزائم وولائم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين . ولم يعملوه على هيئة العام الماضى من الاجتماع بالأزبكية عند الصارى العظيم المنتصب والكيفية المذكورة لأن ذلك الصارى سقط وامتلأت البركة بالماء .

فلما كان يوم الأحد نبهوا على الأمراء والأعيان بالبكور الى بيت صارى عسكر .

فاجتمع الجميع فى صبح يوم الاثنين فركب صارى عسكر معهم فى موكب كبير ، وذهبوا الى قصر العينى ، فمكثوا هناك حصة ، وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف أنواعها من خيالة ورجالة ، وهم بأسلحتهم وزينتهم ، ولعبوا لعبهم فى ميدان الحرب .

وفيه : خلع سارى عسكر على الشيخ الشرقاوى والقاضى وأغاة الينكجرية خلع سمور ثم رجعوا الى منازلهم .

(1) اعرفتم الان لمَ يشرنا الغرب بطوفان « الافلام » المنحلة ، و « الروك أند رول » و « الهيلا هوب » ؟.

ثم نودى فى جميع الأسواق بوقود أربعة قناديل على كل دكان فى تلك الليلة ومن لم يفعل ذلك عوقب ثم عملوا بالأزبكية حراقة نفوط ومدافع وسواريخ ولعبوا فى المراكب طول ليلهم .

٧ منه (٧ اكتوبر ١٧٩٩ م) :

بعد عيد الصليب نقص ماء النيل وكان من أول زيادته قاصرا عن العادة وزيادته شحيحة فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة وازدحموا فى الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة فى السعر ، فجمع الفرنساوية كل من كان له مدخل فى تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم : هذه الغلة الموجودة الآن انما هى زراعة العام الماضى وأما هذا العام فلا تخرج زراعته الا فى العام المستقبل فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر . وقد كاد يقع الغلاء العظيم لولا ألطاف الله حفت ، ونعمه العميمة الشاملة حصلت .

وفيه : أرسلوا جملة عساكر من الفرنساوية الى مراد بيك بناحية الفيوم وعليهم كبير فوقع بينهم وبينه أمور ، لم أتحقق تفصيلها ، وترددت بينه وبين سارى عسكر الرسل والمراسلات ، ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة ، واصطلح معهم على شروط منها . تقليده امارة الصعيد تحت حكمهم .

وفى هذا الشهر كثرت الاشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام فكثر اهتمام الفرنساوية باخراج الجبخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس .

رجب

الجمعة اوله (٢٩ نوفمبر ١٧٩٩ م) :

فيه كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم يوسف باشا الى الديار الشامية

وصحبته نصوح باشا وعثمان أغا كتخدا الدولة وحسين أغا نزلة أمين ، ومصطفى افندى الدفتردار وباقى رجال الدولة وعسفوا فى البلاد الشامية وضربوا عليهم الضرائب العظيمة وجبوا الأموال وفعلوا ما لا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال .

منتصفه (١٣ ديسمبر ١٧٩٩ م) :

وردت أخبار بوصولهم الى غزة والعريش وأنهم حاصروا قلعة العريش وقاتلوا من بها من عسكر الفرنساوية حتى ملكوها .

الثلاثاء ١٩ منه (١٧ ديسمبر ١٧٩٩ م) :

ملكوا قلعة العريش ، واحتووا على ماكان فيها من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب . وصعد مصطفى باشا الذى باشر أخذ القلعة مع جملة من العسكر وبعض الأجناد المصرية وضربت النوبة وحصل لهم الفرح العظيم .

واتفق أنه وقعت نار على مكان الجبخانة والبارود المخزون بالقلعة — وكان شيئا كثيرا — فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور ومن معه ومحمد أغا أرنؤود الجلفى وغيره من المصرلية . ومات كثير ممن كان خارجا عنها وبقربها مما نزل عليهم من النار والأحجار المتطايرة فى أسرع وقت .

ولما تحقق الفرنساوية أخذ العريش ، وأن عساكر العثمانيين زاحفة الى جهة الصالحية تهيأ سارى عسكر الفرنساوية ، واستعد للخروج والسفر فى أسرع وقت . وخرج بعساكره وجنوده الى الصالحية ، وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسل الفرنساوية الى « سينت » كبير الانكليز مراسلات ليتوسط بينهم وبين العثمانيين ، ثم ورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله الجهة العريش خطابا الى جمهور الفرنساوية باستدعاء رجلين من رؤسائهن وعقلائهم ليتشاور ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين على ماسيشترطونه بينهم فوجهوا اليه من طرفهم بوسليك رئيس الكتاب



ديزيه



بوسليج

وديزيه سارى عسكر الصعيد فنزلوا فى البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم وبعث كليبر سارى عسكر رسلا من طرفه لاستفسار الأخبار .

شعبان

٢٢ منه (١٩ يناير ١٨٠٠ م) :

ورد الخبر بقدومهما الى الصالحية ، فأرسلوا اليهما الخيول وما يحتاجان اليه . وحضرا الى مصر وشاع أمر الصلح ، وحضر من طرف العثمانيين رئيس الكتاب والدفتردار لتقرير الصلح وجنح كل من الفريقين الى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء . وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطا رسمت وطبعت فى طومار كبير . وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا . وأرسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبة بصورة الحال الى دوجا قائمقام . فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك . ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط ، وعربوه وطبعوا منه نسخا كثيرة فرقوا منها على الأعيان وألصقوا منها بالأسواق والشوارع .



الجنرال دوجا

وصورته — بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد — ما عدا ترجمة الأسطر التى باللغة الفرنساوية ...

وهذه صورة الشروط الواقعة لخلو مصر : مابين حضرة الجنرال ديزيه متفرقة وحضرة بسليغ مدبر الحدود العام ، نواب سرى العسكر العام كليبر المفوضين بكامل السلطان ... وجناب سامى المقام مصطفى رشيد افندى دفتردار ، ومصطفى راسيسه افندى رئيس كتاب الوكلاء ، المفوضين بكامل السلطان عن جناب حضرة الوزير سامى المقام :

« أن الجيش الفرنساوى بمصر عندما قصد أن يوضح ما فى نفسه من وفور الشوق لحقن الدماء ، ويرى نهاية الخصام المضر الذى قد حصل مابين المشيخة الفرنساوية والباب العالى — فقد ارتضى أن يسلم بخلو الاقليم المصرى بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها ... نأمل أن بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك الى الصلح العام فى بلاد المغرب قاطبة :

الشرط الأول : أن الجيش الفرنساوى يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال بالأمتعة الى الأسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أن يتوجه وينتقل بالمراكب الى فرانسا ، ان كان ذلك فى مراكبهم الخاص بهم أم فى تلك التى يقتضى للباب العالى أن يقدمها لهم بقدر الكفاية . ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال ، فقد وقع الاتفاق ، من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط ، يتوجه الى قلعة اسكندرية نائب من قبل الباب العالى وصحبته خمسون نفرا .

الشرط الثانى : فلابد عن المهلة وتوقيف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالاقليم المصرى ، وذلك من عهد امضاء شروط الاتفاق هذه . واذا صادف الأمر أن هذه المهلة تمضى قبل أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر جاهزة ، فالمهلة المذكورة يقتضى مطاولتها الى أن ينجز الرحيل على التمام والكمال . ومن الواضح أنه لابد عن اصراف الوسايط الممكنة من قبل الفريقين لكى لا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس ، ان كان ذلك من الجيش أم من أهل البلاد ، اذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم .

الشرط الثالث : فرحيل الجيش الفرنساوى يقتضى تدبيره بيد الوكلاء القادمين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى وسرى العسكر كليبر . واذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل فى هذا الصدد ، فلينتخب من قبل حضرة «سيدنى سميث» رجل لينهى المخاصمات المذكورة



وليام سيدنى سميث

بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الانجليز .

الشرط الرابع : قطية والصالحية لابد عن خلوهما عن الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم ، وأعظم

ما يكون فى عاشر يوم ، من امضاء شروط الاتفاق هذه . ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يوما . وأما دمياط وبلبيس فمن بعد عشرين يوما . وأما السويس فيكون خلوه ستة أيام قبل مدينة مصر . وأما المحلات الكائنة فى الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها فى اليوم العاشر . والدلطا ، أى الأقاليم البحرية ، يكون خلوها خمسة عشر يوما من بعد خلو مصر . والجهة الغربية وما يتعلق بها تستمر بيد الفرنسيس الى حدخلو مدينة مصر . ولكن من حيث أنها لابد أن تستمر بيد الفرنساوية الى أن يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد ، فجهة الغربية وتعلقاتها — كما ذكر — فممكن أنه لايتيسر خلوها الا من بعد انقضاء وقت المهلة المعين اذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد . والمحلات التى تترك من الجيش فتسلم الى الباب الأعلى كما هى فى حالها الآن .

الشرط الخامس : ثم انمدينة مصر — ان أمكن ذلك — يكون خلوها بعد أربعين يوما ، وأكثر ما يكون بمدة خمسة وأربعين يوما من وقت امضاء الشروط المذكورة .

الشرط السادس : انه لقد وقع الاتفاق صريحا على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناء فى أن الجيش الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل ، عندما نقصد التنحى بكامل ماله من السلاح والعزال لنحو معسكرهم ، لاتصير عليه مشقة ولا أحد يشوش عليه ... ان كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم أو بأمتعته أو بكرامته . وذلك إما من أهالى البلاد . وأما من جهة العسكر السلطانى العثملى .

الشرط السابع : وحفظا لاتمام الشرط المذكور أعلاه ، وملاحظة لمنع مايمكن وقوعه من الخصام والمعاداة ، فلا بد عن استعمال الوسايط فى أن عسكر الاسلام يكون دائما متباعدا عن العسكر الفرنساوى .

الشرط الثامن : فمن تقرير وامضاء هذه الشروط .. فكل من كان من الاسلام ، أم من باقى الطوائف من رعايا الباب الأعلى ، بدون تمييز الأشخاص — أولئك الواقع عليها الضبط أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرنسا أو تحت أمر الفرنساوية بمصر — يعطى لهم الاطلاق والتعلق . ويمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى كامل البلدان ، والأساكل من مملكة العثملى ، وكذلك كامل الأشخاص من أيما طائفة كانت — أولئك الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية — لابد من انعتاقهم .

الشرط التاسع : فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين ، أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها — فيكون الشروع به حالا من بعد خلو مصر . والتدبير فى ذلك يكون بيد الوكلاء فى اسلامبول المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا المقصد .

الشرط العاشر : فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الأقليم المصرى من أى ملة كانت ، وذلك لافى أشخاصهم ولا فى أموالهم ، نظرا الى مايمكن أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية من اقامتهم بأرض مصر .

الشرط الحادى عشر : ولابد أن يعطى للجيش الفرنساوى — ان كان من قبل الباب الأعلى ومن قبل المملكتين المرتبطتين معه ، أعنى بهما مملكة انكليزة ومملكة الموسكوب — فرمانات الاذن وأوراق المحافظة بالطريق ، ويمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان الى بلاد فرنسا .

الشرط الثانى عشر : وعند نزول الجيش الفرنساوية المذكور ، الكائن بمصر الآن ، فالباب الأعلى وباقى الممالك المتحدة معه يعاهدون بأجمعهم أنهم : من وقت ينزلون بالمراكب الى حين وصولهم الى أراضى فرانسا .. لايحصل عليهم شىء قط مما يكدرهم وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام يعاهد من قبله — وصحبته الجيش الفرنساوى الكائن بمصر — بأنه لايصدرمنهم مما يؤول الى المعاداة على الاطلاق ما دامت المـــدة المذكورة ؛ وذلك لا ضد العمارة ولا ضد بلدة من بلدان البـــاب الأعلى وباقى الممالك المرتبطة معه . وكذلك أن السفن التى يسافر بها الجيش المشار اليه ليس لها أن ترى فى حد من الحدود الا بتلك التى تختص بأراضى فرانســـا ما لم يكن ذلك فى حادث ما ضرورى .

الشرط الثالث عشر : ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الامهال المشترط أعلاه بما يلاحظ خلو الاقليم المصرى ... فالجهات الواقع بينهم هــذا الاشتراط قد اتفقوا على أنه اذا حضر فى حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرنسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة ، ودخل بميناء اسكندرية ... فلازم عن سفره حالا ، وذلك من بعد أن يكونقد تحوج بالماء والزاد اللازم ، ويرجع الى فرنساوذلك بسـندات أوراق الاذن من قبل الممالك المتحدة . واذا صادف الأمر أن مركبا من هذه المراكب يحتاج الى الترقيع ، فهذه لاغير يباح لها الاقامة الى أن ينتهى اصلاحها المذكور ، وفى الحال من ثم تتوجه الى بلاد فرنسا ، نظير التى قد تقدم القول عنها ، عند أول ريح يوافقها .

الشرط الرابع عشر : وقـــد يســـتطيع حضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام أن يرسل خبرا الى أرباب الأحكام الفرنســـاوية فى الحال ، ومن يصحب هذا الخبر لابد أن تعطى له أوراق الاذن بالاطلاق كمـــا يقتضى ، ليستبل بهـــذه الواسطة وصول الخبر الى أصحاب الحكم فى فرنسا .

الشرط الخامس عشر : واذا قد اتضـــح أن الجيش الفرنساوى يحتاج الى المعاش اليـــومى مادامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الاقليم المصرى ، وكذلك لمعاش الثلاثة الأشهر الأخرى التى يكون مبتداها من يوم نزولهم بالمراكب ... فقدوقع الاتفاق على أنه يقدم له مقدار ما يلزمه من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن ، وذلك بموجب القائمة التى تقدمت الآن من وكلاء الجمهور الفرنساوى ، ان كان ذلك مما يخص اقامتهم أو مايلاحظ سفرهم والذى يكون قد أخذه الجيش المذكور مقـــدار ما كان من شئونه . وذلك من بعد امضاء هذه الشروط ؛ فينخصم مما قد لزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى .

الشرط السادس عشر : ثم ان الجيش الفرنساوى ، منذ ابتدأ وقوع امضاء هذه الشروط المذكورة ، ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفرائد قطعا بالاقليم المصرى ... لا ، بل وبالعكس فانه يخلى للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره ممايمكن توجيه قبضه ، وذلك الى حين سفرهم . ومثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم ، ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المال ، وأخيرا مخازن الخرج .. فهذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيرها من أناس وكلاء موجهين من قبـــل البـــاب الأعلى لهذه الغـــاية ومن أمين البحر الانكليزى وبرفقة الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كلهبر سرى العسكر . وهذه الأمتعة لابد عن قبولهـــا من وكلاء البـــاب الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ماوقع عليه السعر الى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التى تقتضى للجيش الفرنساوى المذكور لسهولة انتقاله عاجلا ونزوله بالمراكب . واذا كانت الأســـعار فى هذه الأمتعة

المذكورة لاتوازى المبلغ المرقوم أعلاه ، فالخسيس والنقص فى ذلك لابد عن دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى على جهة السلفة ... تلك التى يلزم بوفائها أرباب الأحكام الفرنساوية بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كلهبر سرى العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور .

الشرط السابع عشر : ثم انه اذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مصر ، فلا بد أن تقبض — وذلك من بعد تقرير تمسك الشروط المذكورة — القدر المحدد أعلاه بالوجه الآتى ذكره. أعنى : فمن بعد مضى خمسة عشر يوما خمسمائة كيس ، وفى غلاق الثلاثين يوما خمسمائة كيس أخرى ، وبتمام الأربعين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وعند تمام الخمسين يوما ثلثمائة كيس شرحه ، وعند غلاق الستين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وفى السبعين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وعند تمام الثمانين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وعند غلاق التسعين يوما خمسمائة كيس أخرى . وكل هذه الأكياس المذكورة هى عن كل كيس خمسمائة غرش عثملى . ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلاء المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى . ولكى يسهل اجراء العمل بما وقع الاعتماد عليه ، فالباب الأعلى — من بعد وضع الامضاء على النسختين من الفريقين — يوجه حالا الوكلاء الى مدينة مصر والى بقية البلاد المستمر بها الجيش .

الشرط الثامن عشر : ثم ان فرد المال الذى يكون قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة ، وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق فى الجهات المختلفة بالاقليم المصرى ، فقد تخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها .

الشرط التاسع عشر : ثم أنه لكى يسهل خلو المحلات سريعا فالنزول فى المراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة والموجودة فى المين بالاقليم المصرى ، مباح به ما دامت مدة الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة ، وذلك من دمياط ورشيد حتى الى الاسكندرية ، ومن اسكندرية حتى الى رشيد ودمياط .

الشرط العشرون : فمن حيث أنه للطمان الكلى فى جهات البلاد الغربية يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوباء الطاعونى عن أنه يتصل هناك .. فلا يباح ولا لشخص من المرضى ، أو من أولئك الذين مشكوك بهم برائحة من هذا الداء الطاعونى ، أن ينزل بالمراكب . بل ان المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى أينما كانت — تلك التى بسببها لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الاقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق — يستمرون فى بيمارستان المرضى حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير الأعظم عالى الشأن ، ويعالجونهم الأطباء من الفرنساوية .. أولئك الذين يجاورونهم بالقرب منهم .. الى أن يتم شفاهم يسمح لهم بالرحيل ... الشىء الذى لابد عن اقتضاء الاستعجال به بأسرع مايمكن . ويحصل لهم ويبدو نحوهم ما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من هذا الاتفاق نظير مايجرى على باقى الجيش .

ثم ان أمير الجيش الفرنساوى يبذل جهده فى ابراز الأوامر الأشد صرامة لرؤساء العساكر النازلة بالمراكب بألا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف المين التى تتعين لهم من رؤساء الأطباء .. تلك المين التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارتنينة بأوفر السهولة من حيث أنها من مجرى العادة ولا بد عنها .

الشرط الحادى والعشرون : فكل مايمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ، ولم يمكن الاطلاع عليها فى هذه الشروط ،

فلا بد عن نجازها بوجه الاستجباب مابين الوكلاء المعينين لهذا القصد من قبل الجناب الوزير الأعظم عالى الشأن ، وحضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ... بوجه يسهل ويحصل الاسراع بالخلو .

الشرط الثانى والعشرون : وهـذه الشروط لاتعد صحيحة الا من بعد اقرار الفريقين وتبديل النسخ ، وذلك بمدة ثمانية أيام . ومن بعد حصول هذا الاقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما .

صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر حيث وقعت المداولة بحد العريش فى شهو بلويوز سنة ثمان من اقامة المشيخة الفرنساوية . وفى رابع عشرين شهر كانون الثانى عربى من سنة ألف وثمانمائة — الواقع فى ثامن عشرين شهر شعبان هلالية سنة أربعة عشر ومائتين وألف هجرية .

المضيين : الجنرال متفرقة دزه البلدى . وبوسيهلغ : المفوضين بكامل سلطانه الجنرال كلهبر . وجناب سامى مقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ، ومصطفى راسيسه أفندى رئيس الكتاب : المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم عالى الشأن . منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوية الى الوكلاء العثملى بدلا من التى قد وجهوها باللغة التركية .. ممضى دزه وبوسيهلغ .

تقرير الجنرال سرى العسكر العام ، محرر فى آخر السنة التركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم :

التى أنا الواضع اسمى أدناه الجنرال سرى العسكر العام أمير الجيش الفرنساوى بالاقليم المصرى ... أثبت وأقرر شروط الاتفاق المذكور أعلاه للحصول على اجرائه بالعمل بالنوع والصورة ، ان كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين شرطا المشروحة الى الآن ، هى موافقة على التدقيق باللغة الفرنساوية الممضى عليها من الوكلاء أصحاب ولاية الوزير الأعظم ، والمقررة من جناب عالى الشأن .. الترجمة التى لابد عن الاعتماد باجرائها كل مرة ان كان لسبب أم لآخر يمكن حصول بعض الاختلافات ، ومن ثم فتقلد بعض المشاكل . صح وجرى بمحل العسكر العام بالصالحية فى ثامن شهر بلويوز سنة ثمان من المشيخة .. ممضى كلهبر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة رأس صاحب ختام فى الجيش الفرنساوى . ممضى داماس .

انتهى بحروفه . وما فيه من خطأ أو تحريف ، فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية . ولم أغير منه سوى ما فى تواريخ الأشهر والسنين بالأرقام الهندية . والله أعلم .

رمضان

ـ٢ منه (٢٨ يناير ١٨٠٠ م) :

حضر سارى عسكر الفرنساوية كليبر الى ناحية العادلية ، وصحبته أغا من رجال الدولة العثمانية يسمى محمد أغا ، فأرسل سارى عسكر الى حسن أغا بخاتى المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله فى بيته ويكرمه اكراما زائدا . فلما كان بعد العشاء دخل ذلك الأغا الى مصر فى موكب ، فحصل للناس ضجة عظيمة ، وازدحموا على مشاهدتهم له والفرجة عليه ، وارتفعت أصواتهم ، وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقائف ، وانطلقت النساء بالزغاريد من الطيقان ، واختلفت آراؤهم فى ذلك القادم ، ولم يعلموا من هو . فدخل من باب النصر وشق القاهرة ولم يزل سائرا حتى وصل الى بيت حسن أغا بسويقة اللالا فنزل هناك . فلما استقر به الجلوس ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمشاعل والفوانيس .

فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانا وجمع

العلماء والوجاقلية وأعيان الناس وكبار النصارى من الاقباط والشوام . فلما تكاملوا أبرز لهم فرمانا من الوزير فقرىء عليهم بالمجلس فدل مضمونه على أنه أغات الحمارك أى المكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة . وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف الأقوات فيشتريها بالثمن الذى يسعره هو بمعرفة المحتسب ويودعه فى المخازن . وأبرز فرمانا آخر قرىء بالمجلس مضمونه : أن الوزير أقام مصطفى باشا ، الذى كان أسر بأبى قير ، وكيلا عنه وقائمقام بمصر الى حين حضوره ، وان السيد أحمد المحروقى كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية . وانفض المجلس على ذلك . وأخذ السيد أحمد المحروقى فى تحصيل ذلك القدر من الناس ، وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف ، وشرعوا فى تحكير الأقوات .. فغلت أسعارها وضاقت مؤن الناس . ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين . وكان أول قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات ، وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتغريمهم ! واجتهد السيد أحمد المحروقى فى توزيع ذلك وجمعه فى أيام قليلة .

فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد فى تحصيله ، وأخرجه عن طيب قلب وانشراح خاطر ، وبادر بالدفع من غير تأخير لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنساوية ، ويقول : سنة مباركة . ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة ! كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم وهم يحقدون ذلك عليهم .

وحضر مصطفى باشا من الجيزة وسكن ببيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين وأرسل الوزير فرمانات الى البلاد وعين المعينين والمباشرين بطلب المال والغلال والكلف من الأقاليم وأرسل الى البنادر وجعل فى كل بندر أميرا ووكيلا لجمع



بيت عبد الرحمن كتخدا

الغلال والمطلوبات من الذخيرة وجمعها بالحواصل . ولا يخفى ما يحصل فى ضمن ذلك من الجزئيات التى سيتضح بعضها فيما بعد .

وأما الرعايا وهمج الناس من أهل مصر فانهم استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيس بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخريه . ولم يفكروا فى عواقب الأمور ، ولم يتركوا معهم للصلح مكانا حتى أن فقهاء المكاتب كانوا يجمعون الأطفال ، ويمشون بهم فرقا وطوائف حسبة ، وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى بأعلى أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وأفراد رؤسائهم ! كقولهم « الله ينصر

السلطان ويهلك فرط الرمان » ونحو ذلك . وظنوا فروغ القضية ولم يملكوا لأنفسهم صبرا حتى تنقضى الأيام المشروطة . على أن ذلك لم يثمر الا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس، وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس . كقول القائل :

أمور تضحك السفهاء منها
ويبكى عندها الحبر اللبيب

وأيضا :

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

وقد قيل : « قاتل بجد والا فدع » .

وقال الشعبى من جملة كلام : « وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء » .

وأخذ الفرنساوية فى أهبة الرحيل ، وشرعوا فى مبيع أمتعتهم وما فضل عن سلاحهم ودوابهم ، وسلموا غالب الثغور والقلاع ، كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس

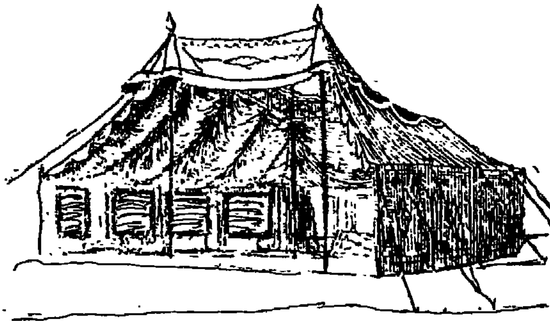
ثم أن العثمانيين تدرجوا فى دخول مصر وصار فى كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة . وأخذوا يشاركون الناس فى صناعاتهم وحرفهم مثل القهوجية والحمامية والخياطين والمزينين وغيرهم ، فاجتمع العامة وأصحاب الحرف الى مصطفى باشا قائمقام وشكوا اليه فلم يلتفت لشكواهم لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة .

وورد الخبر بوصول حضرة الوزير الى بلبيس وصحبته الأمراء المصرية وأرسلوا الى مراد بيك ومن معه بالحضور الى العرضى فأجاب بالاعتذار عن الحضور لأنه فى الصعيد فلم يقبلوا عذره ، فأكدوا عليه بالحضور ، فاستأذن الفرنساوية سرا، فأذنوا له فى المقابلة وكان سفيره فى ذلك عثمان بيك البرديسى . ثم انه حضر وقابل الوزير بصحبة ابراهيم بيك وخلع عليهما ورجع مراد بيك فخيم جهة العادلية وحضر حسن أغا نزلة أمين ودخل مصر .

وأخلى الفرنساوية قلعة الجبل وباقى القلاع التى أحدثوها ونزلوا منها فلم يطلع اليها أحد من العثمانيين ولم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر والجبخانة وأعرضوا عن المحاذرة ، وركبهم الغرور لأجل نفاذ المقدور !

وحضر أيضا غالب المصريين الفارين من مصر وقت مجيء الفرنساوية اليها من الأغوات والوجاقلية والأفندية والكتبة مثل ابراهيم أفندى الروزنامجى وثانى قلفة وغيرهما بنسائهم وأولادهم ، يظنون فروغ القضية . والذى خافوا منه وقعوا فيه كما ستراه .

وأرسل ابراهيم بيك الى السيد أحمد المحروقى يطلب كساوى وثيابا وطرابيش وسراويل للمماليك ولخاصة نفسه . فأرسل اليه مطلوبه وأخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام . وهيأت نساء الأمراء والأجناد احتياجاتهم وترتيباتهم وجروا على عادتهم فى التغالى ، ولازمت الخدم والفراشون الغدو والرواح الى خيم ساداتهم وهم راكبون البغال والرهوانات والحمير الفارهة وفى حجورهم تعابى الثياب والبقج المزركشة بالذهب والفضة . وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالى الأطبخة



خيمة احد البكوات

والأطعمة وعليها الأغطية الحرير والوشي الملون وهم يتغنون برفع أصواتهم ، ويتجاوبون بكلام ومسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس بمرأى منهم ومسمع الى غير ذلك مما يحرك الحفائظ ويوغر الصدور .

ولما استقر الوزير بمدينة بلبيس وذلك فى الثانى والعشرين من رمضان (١٧ فبراير) استأذن العلماء والتجار والأعيان المصرية مصطفى باشا فى التوجه للسلام فاستأذن ثم أذن لهم . فذهبوا أيضا الى سارى عسكر كليبر واستأذنوه فأذن لهم أيضا . فذهبوا عند ذلك للسلام عليه فوصلوا الى نصوح باشا والى مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه ، فلما وصلوا اليه ، واستقر بهم الجلوس ، سأل عن أسمائهم وكذلك عن التجار وأكابر النصارى . ثم خلع عليهم خلعا وانصرفوا من عنده فطافوا على أكابر الدولة بالعرضى وكذلك على الأمراء المصرية . ورجعوا الى مصر ، ودخلوها وعليهم تلك الخلع وصحبتهم قاضى العسكر وهو لابس قبوطا أسود .

ووصل نصوح باشا والأمراء الى جهة الخانكاه ثم الى المطرية .

وفيه : حضر درويش باشا والى الصعيد الى خارج القاهرة جهة الشيخ قمر فمكث أياما ثم توجه الى قبلى وصحبته نحو المائة نفر . وكذلك ذهبت طائفة الى السويس والى دمياط والمنصورة وانبثوا فى البلاد ودخلوا مصر شيئا فشيئا .

شوال

الثلاثاء ٧ منه (٤ مارس ١٨٠٠ م) :

وقعت حادثة بين عسكر الفرنساوية والعثمانية وهى أول الحوادث التى حصلت بينهم . وهى أن جماعة من عسكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنساوية فقتل بينهم شخص فرنساوى ووقعت فى الناس زعجة وكرشة وأغلقوا الحوانيت وعمل العثمانية متاريس وتترسوا بها بناحية الجمالية وما والاها واجتمعوا هناك ووقع بينهم مناوشة قتل فيها أشخاص قليلة من الفريقين وكادت تكون فتنة وباتوا ليلتهم عازمين على الحرب فتوسطت بينهم كبراء العسكر فى تمهيد ذلك وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان . وبحث مصطفى باشا عمن أثار الفتنة وهم ستة أنفار فقتلهم وأرسلهم الى سارى عسكر الفرنساوية فلم يطب خاطره بذلك وقال : « لابد من خروج عسكرهم الى عرضيهم حتى تنقضى الأيام المشروطة . واذا دخل منهم أحد الى المدينة ، لا يدخلون الا بطريقة وبدون سلاح » .

فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ، ولا يبقى منهم أحد . ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر ، فاذا أراد أحد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخول الى المدينة ، فعند وصوله اليهم ينزل عندهم ، وينزع ماعليه من السلاح ويدخل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى يقضى شغله ويرجع فاذا وصل الى الفرنساوية الملازمين خارج البلد أعطوه سلاحه فيلبسه ويمضى الى أصحابه فكان هذا شأنهم .

الثلاثاء منتصفه (١٢ مارس ١٨٠٠ م) :

توجه جماعة من أعيان الفرنساوية الى الاسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قائمقام وديزيه سارى عسكر الصعيد وبوسليك رئيس الكتاب ومدبر الحدود . ونزل جماعة منهم الى البحر يريدون السفر الى بلادهم ، فتعرض لهم الانكليز يريدون معاكستهم ، فأرسلوا الى سارى عسكر بمصر وعرفوه الحال فأرسل بذلك الى الوزير فأجابه بجواب لم يرتضه وأصبح زاحفا الى سطح

الخانكا ، وكان ذلك آخر أيام المهلة المتفق عليهـا في دخول الوزير الى مصر وخروج الفرنساوية منها . فلما رأوا ذلك طلبوا ثمانية أيام أجلة زيادة على أيام المهلة فأجيبوا الى ذلك . ووصل الأمراء المصرية وعرضى نصوح باشا وجملة من العساكر العثمانيـة الى ناحية المطرية ونصبوا خيـامهم ووطاقهم هناك . ثم ان الفرنساوية جعلوا الثمانية أيام المذكورة ظرفا لجمع عساكرهم وطوائفهم من البلاد القبلية والبحرية . ونصبوا وطاقهم بسـاحل البحر متصلا بأطراف مصر ممتدا من مصر القديمة الى شبرا . وترددوا الى نواحى القلاع وهى لم يكن بهـا أحـد وشرعوا واجتهـدوا فى رد الجبخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والجلل والمدافع والبنب على العربات ليلا ونهارا والناس يتعجبون من ذلك . ومصطفى باشا قائمقام ومن معه يشاهدون ذلك ولا يقولون شيئا . والبعض يقول ان الوزير أرسل اليهم وأمرهم برد ذلك كما كان ، ونحو ذلك من الخرافات التى لا تروج على الفطن .

ويقـال ان الفرنسـاوية أرسـل اليهم بعض أصـدقائهم من الانـكليز وعرفوهم أن الوزيـر اتفق مـع الانـكليز عـلى الاحاطة بالفرنساوية اذا صـاروا بظاهر البحـر . فلمـا حصـل منهم معهـم ماسـبقت الاشـارة اليه ، تحققوا ذلك وأرسلوا ليوسف باشا بذلك فلم يجبهم بجواب شاف ، وعجل بالرحيل والقدوم الى ناحية مصر . وقد كان الفرنساوية عندما تراسلوا وترددوا جهة العرضى تفرسوا فى عرضى العثمانيين وعسـاكرهم وأوضـاعهم وتحققوا حالهم وعلموا ضـعفهم عن مقاومتهم ، فلما حصـل ماذكر تأهبوا للمقاومـة والمحاربة وردوا آلاتهم الى القلاع . فلما تمموا أمر ذلك وحصـنوا الجهـات وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم واستوثقوا من ذلك ، خرجوا بأجمعهم الى ظاهر المدينة جهة قبـة النصر وانتشروا فى تلك النواحى ولم يبق بداخل المدينة منهم الا من كان بداخل القلاع وأشخاص ببيت الألفى بالأزبكية وبعض بيوت الأزبكية وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل

الاثنين ٢٠ منه (١٧ مارس ١٨٠٠ م) :

طلبوا مصـطفى باشا وحسن آغا نزلة أمين . فلما حضرا اليهم أرسلوهما للجيزة .

الخميس ٢٣ منه (٢٠ مارس ١٨٠٠ م) :

ركب سارى عسكر كليبر قبـل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير ، فمنهم من توجه الى عرضى الوزير ، ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم . فلم يسـعهم الا الجلاء والفرار وتركوا خيـامهم ووطاقهم وركب نصوح باشـا ومن كان معـه وطلبوا جهة مصر فتركهم الفرنسـاوية ، ولحقوا بالذاهبين من اخوانهم الى جهة العرضى بالخانكاه بعد أن نهبوا ما فى عرضى ناصف باشـا من المتاع والأغنام . وسمروا أفواه المدافع وتركوها وساروا الى جهة العرضى ، فلما قاربوه أرسلوا الى الوزير يأمرونه بالرحيل بعد أربع ساعات فلم يسـعه الا الارتحال ، والفرنساوية فى أثره ، وغالب عساكره مفرقون ومنتشرون فى البـلاد والقرى والنواحى لجمع المال ومقررات الفرض وظلم الفقراء .

وأما أهل مصر فانهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال ولم يدركوا حقيقة الحال . فهاجوا ورمحوا الى أطارف البـلد وقتلوا أشخاصا من الفرنساوية صـادفوهم خارجين من البلد ليذهبوا الى أصحابهم ، وذهبت شرذمة من عامة أهل مصر فانتهبت الخشب وبعض ماوجدوه من نحاس وغيره حيث كان عرضى الفرنساوية .

وخرج السـيد عمر أفنـدى نقيب الأشراف والسيد أحمد المحروقى وانضم اليهما أتراك خان

الخليلى والمغاربة الذين بمصر وكذلك حسين أغا شنن أخو أيوب بيك الصغير وتبعهم كثير من عامة أهل البلد وتجمعوا على التلول خارج باب النصر وبأيدى الكثير منهم النبابيت والعصى والنليل معه السلاح ، وكذلك تحزب كثير من طوائف العامة والأوباش والحشرات ، وجعلوا يطوفون بالأزقة



فريق من الثوار باحد شوارع القاهرة

وأطارف البلد ولهم صياح وضجيج ، وتجاوب بكلمات يقفّونها من اختراعاتهم وخرافاتهم ، وقاموا على ساق وخرج الكثير منهم الى خارج البلدة على تلك الصورة .

فلما تضحى النهار حضر بعض الأجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجاريح وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم بشىء لجهلهم أيضا حقيقة الحال ثم لم يزل الحال كذلك الى أن دخل وقت العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلدة ولهم صياح وجلبة وخلفهم ابراهيم بيك ، ثم أخرى وخلفهم سليم أغا ، ثم أخرى كذلك وخلفهم عثمان كتخدا الدولة ، ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من عساكرهم وصحبتهم السيد عمر النقيب والسيد أحمد المحروقى وحسن بيك الجداوى وعثمان بيك المرادي وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك الشرقاوى وعثمان أغا الخازندار ، وابراهيم كتخدا مراد بيك المعروف بالسنارى : وصحبتهم مماليكهم وأتباعهم فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية حتى وصلوا الى وكالة ذى الفقار ، فقال نصوح باشا عندذلك للعامة · اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم . فعند ما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا ورفعوا أصواتهم ، ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من النصارى القبط والشوام وغيرهم فذهبت طائفة الى حارات النصارى وبيوتهم التى بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسكى فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان وينهبون ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم ، فتحزبت النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ماقدر عليه من العسكر الفرساوى والأروام — وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر — فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى تقاتل وترمى بالبندق والقرابين من طبقات الدور على المجتمعين بالأزقة من العامة والعسكر ويحامون عن أنفسهم . والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون الدور ويتسورون عليها . وبات نصوح باشا وكتخدا الدولة وابراهيم بيك وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع وطوائف من العساكر بخط الجمالية بوكالة ذى الفقار .

فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطرية

وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة الفانية فعالجوها حتى فتحوها وقام ناصف باشا وشمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبته الأمراء المصرية على أقدامهم وجروا أمامهم الثلاثة مدافع وسحبوها الى الأزبكية وضربوا منها على بيت الألفى وكان به أشخاص مرابطون من عساكر الفرنساوية فضربوهم أيضا بالمدافع والبنادق . واستمر الحرب بين الفريقين الى آخر النهار . فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهر .

وفى هذا اليوم وضع أهل مصر والعسكر متاريس بالأطراف كلها وبجهة الأزبكية ، وشرعوا فى بناء بعض جهات السور ، واجتهدوا فى تحصين البلد بقدر الطاقة . وبات الناس فى هذه الليلة خلف المتاريس .

فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع وووالوا الضرب بالخصوص على خط الجمالية لكون المعظم مجتمعا بها . فلما عاين ذلك الجميع أجمع رأى الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد فى تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الأقوات .. والقلاع بيد الفرنساوية ، ومصر لا يمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها وربما طال الحال فلا يجدون الأقوات لأن غالب قوت أهلها يجلب من قراها فى كل يوم وربما امتنع وصول ذلك اذا تجسمت الفتنة .

فاتفقوا على الخروج بالليل وتسامع الناس بذلك ، فتجهز المعظم للخروج وغصت خطة الجمالية وما والاها من الأخطاط بازدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة وركب بعضهم بعضا وازدحمت تلك النواحى بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال المحملة بالأثقال وباتوا على تلك الصورة ووقع للناس فى هذه الليلة من الكرب والمشقة والانزعاج والخوف ما لا يوصف .

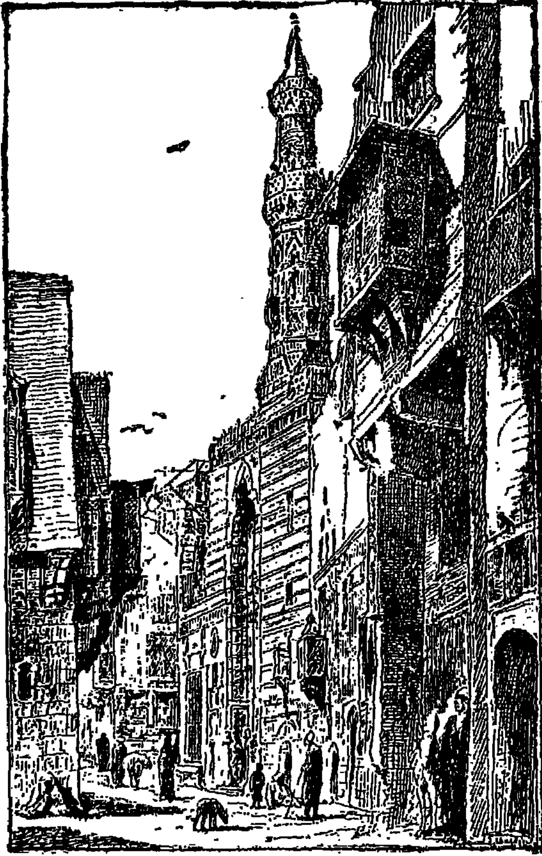
وتسامع أهل خان الخليلى من الألداشات وبعض مغاربة الفحامين والغورية ذلك ، فجاءوا للجمالية ، وشنعوا على من يريد الخروج ، وعضدهم طائفة عساكر الينكجرية ، وعمدوا الى خيول الأمراء فحبسوها ببيت القاضى والوكائل ، وأغلقوا باب النصر . وبات فى تلك الليلة معظم الناس على مصاطب الحوانيت ، وبعض الأعيان فى بيوت أصحابهم بالجمالية وفى أزقة الحارات أيضا . وكل متهيىء للخروج .

السبت ٢٥ منه (٢٢ مارس ١٨٠٠ م) :

فى الصباح تهيأ كبراء العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ، ماعدا الضعيف الذى لاقوة له للحرب ، وذهب المعظم الى جهة الأزبكية ، وسكن الكثير فى البيوت الخالية ، والبعض خلف المتاريس ، وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وجدت مدفونة فى بعض بيوت الأمراء ، وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التى يزنون بها البضائع ، من حديد وأحجار ، واستعملوها عوضا عن الجلل للمدافع ، وصاروا يضربون بها بيت سارى عسكر بالأزبكية . واستمر عثمان كتخدا بوكالة ذى الفقار بالجمالية . وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو فرنساوى ، أخذه وذهب به الى الجمالية حيث عثمان كتخدا ويأخذ عليه البقشيش فيحبس البعض حتى يظهر أمره ، ويقتل البعض ظلما . وربما قتل العامة من قتلوه ، وأتوا برأسه لأجل البقشيش ، كذلك كل من قطع رأسا من رءوس الفرنساوية يذهب بها اما لنصوح باشا بالأزبكية ، واما لعثمان كتخدا بالجمالية ويأخذ فى مقابلة ذلك الدراهم .

وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقية وباقى الأبواب التى فى أطراف البلد ، وزاد الناس فى اصطناع المتاريس وفى الاحتراس . وجلس

عثمان بيك الأشقر عند متاريس باب اللوق وناحية المدابغ ، وعثمان بيك طبـل عند متاريس المحجر ، ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريحان ، ومحمد كاشف أيوب وجماعة أيوب بيك الكبير والصغير عندالناصرية ، ومصطفى بيك الكبير بقناطر السباع، وسليمان كاشف المحمودى عند سوق السلاح . وأولاد القرافة والعامة ، وزعر الحسينية والعطوف عنـد باب النصر مع طائفة من الينكجرية وباب الحديد وباب القرافة ، وجماعة خان الخليلى والجمالية عند باب البرقية المعروف بالغريب..وبالجملة كل من كان فى حارة من أطراف البلد انضم الى العسكر الذى بجهته بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتـاريس والأسوار وبعض عساكر من العثمانية وما انضم اليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمـالية اذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمدوه بطائفة من هؤلاء : وصار جميع أهل مصر اما بالأزقة ليلا ونهارا وهو من لايمكنه القتال ، واما بالأطراف وراء المتاريس وهو من عنـده اقدام وتمكن من الحرب ،ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف . وناصف باشا وابراهيم بيك وجماعتهم وعسكر من الينكجرية والأرنؤود والدلاة وغيرهم جهة الأزبكية ناحية باب الهواء والرحبة الواسعة التى عند جامع أزبك والعتبة الزرقاء . وأنشـأ عثمان كتخدا معملا للبارود ببيت قائد أغا بخط الخرنفش ، وأحضر الفندقجية والعربجية والحدادين والسباكين لانشاء مدافع وبنبات واصلاح المدافع التى وجـدوها فى بعض البيوت وعمـل العجل والعربات والجلل وغيرذلك من المهمات، وأحضروا لهم مايحتاجون اليه من الأخشاب وفروع الأشـجار والحديد وجمعوا الى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وأرباب الصنائع الذين يعرفون ذلك فصار هذا كله يصنع ببيت القاضى والخان الذى



جامع ازبك

بجانبه والرحبة التى عند بيت القاضى من جهـة المشهد الحسينى واهتم لذلك اهتماما زائدا وأنفق أموالا جمة ، وأرسلوا فأحضروا باقى المدافع الكائنة بالمطرية فكانوا كلما أدخلوا مدفعا أدخلوه بجمع عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفـال ، ولهم صياح ونباح وتجاوب بكلمات ، مثل قولهم : الله ينصر السلطان ، ويهلك فرط الرمان ، وغير ذلك .

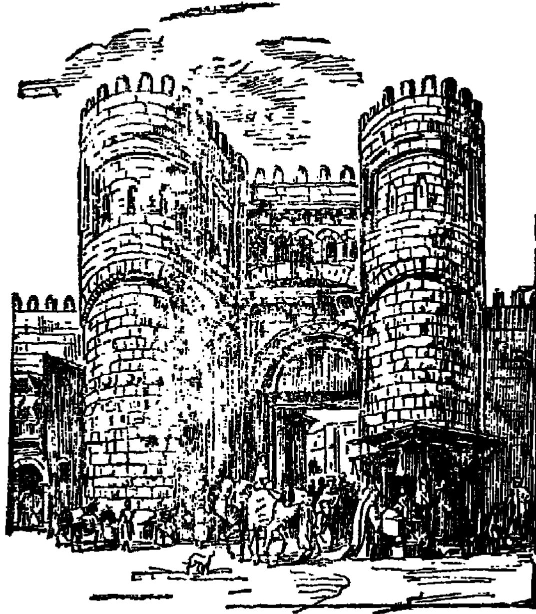
وحضر محمد بيك الألفى فى ثانى يوم وتترس بناحية السويقة التى عنـد درب عبد الحق وعطفة البيدق وصحبته طوائفه ومماليكه وأشخاص من العثمانية ، وبذل الهمة ، وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة وكذلك كشافه، وخصوصا اسماعيل كاشف المعروف بأبى قطية — فانه لم يزل يحارب ويزحف

حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بيك الذى أصله بيت حسن بيك الأزبكاوى وبيت أحمد أغا شويكار — وتترس فيهما، وحسن بيك الجداوى تترس بناحية الرويعى ، وربما فارق متراسه فى بعض الليالى لنصرة جهة أخرى . وحضر أيضا رجل مغربى يقال انه الذى كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقا . والتف عليه طائفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كان قدم صحبة الجيلانى . وفعل ذلك الرجل المغربى أمورا تنكر عليه لأن غالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله ، يكون صدوره عنه . فكان تتجسس على البيوت التى بها الفرنسيس والنصارى فيكبس عليهم ومعه جمع من العوام والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسحبون النساء ، ويسلبون ما عليهن من الحلى والثياب، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعا فيما على رأسها وشعرها من الذهب . وتتبع الناس عورات بعضهم البعض ، وما دعتهم اليه حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم .

واتهم الشيخ خليل البكرى بأنه يوالى الفرنسيس وارسل اليهم الأطعمة ، فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ، ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه الى الجمالية وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوفة ، وحصلت له اهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما فلما مثلوه بين يدى عثمان كتخدا هاله ذلك واغتم غما شديدا ووعده بخير وطيب خاطره ، وأخذه سيدى أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه الى داره وأكرمهم وكساهم ، وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة . وباشر السيد أحمد المحروقى وباقى التجار ومساتير الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب ، وكذلك جمع أهل مصر كل انسان سمح بنفسه وبجميع مايملكه وأعان بعضهم بعضا وفعلوا ما فى وسعهم وطاقتهم من المعونة .

وأما الفرنساوية فانهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الألفى وما والاه من البيوت الخاصه بهم ، وبيوت القبطة المجاورين لهم .

واستمر الناس بعد دخول الباشا والأمراء ومن معهم من العسكر الى مصر أياما قليلة وهم يدخلون ويخرجون من باب الفتوح وباب العدوى ، وأهل



باب الفتوح

الأرياف القريبة تأتى بالميرة والاحتياجات من السمن والجبن واللبن والغلة والتبن والغنم فيبيعونه على أهل مصر ثم يرجعون الى بلادهم .

كل ذلك ولم يعلم أحد حقيقة حال الفرنساوية المتوجهين مع كبيرهم للحرب ، واختلفت الروايات والأخبار . وأما الوزير فانه لما ارتحل بالعرضى تخلف عنه ببلبيس جملة من العسكر . وأما عثمان بيك حسن وسليم بيك أبو دياب ومن معهما فانهما تقاتلا مع الفرنساوية ثم رجعا الى بلبيس فحاصروا من بها . وكان عثمان بيك وسليم بيك وعلى باشا الطرابلسى وبعض وجاقلية خرجوا منها وذهبوا الى ناحية العرضى فحارب الفرنساوية من بلبيس من

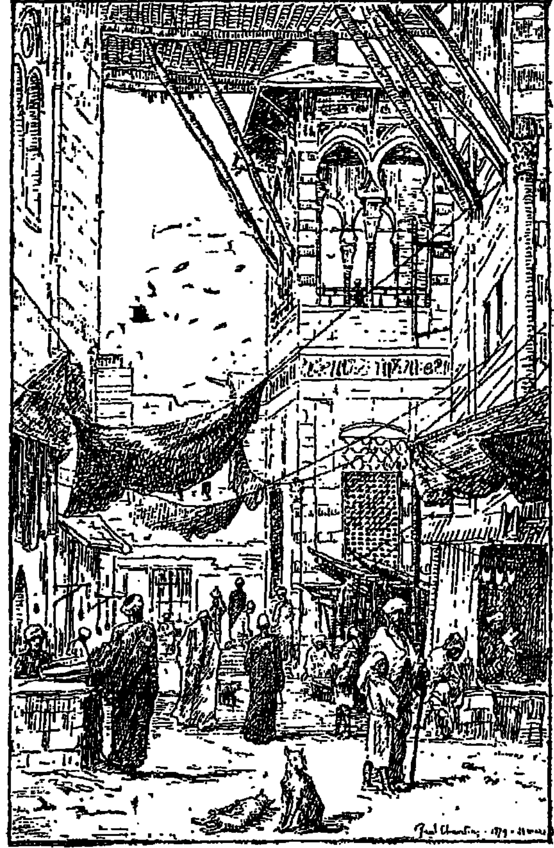
العسكر ، ولم يكن لهم بهم طاقة ، فطلبوا الأمان فأمنوهم وأخذوا سلاحهم وأخرجوهم حيث شاءوا ، فذهبوا أشتاتا فى الأرياف يتكففون الناس ويأوون الى المساجد الخربة ، ومات أكثرهم من العرى والجوع . ثم لما لحق عثمان بيك ومن معه بالعرضى ناحية الصالحية تكلموا مع الوزير وأوجعوه بالكلام فاعتذر اليهم بأعذار منها : عدم الاستعداد للحرب وتركه معظم الجبخانة والمدافع الكبار بالعريش اتكالا على أمر الصلح الواقع بين الفريقين وظنه غفلة الفرنساوية عما دبر عليهم مع الانكليز . فقال له عثمان بيك : « أرسل معنا العساكر وانتظرنا هنا » .

فخاطب العسكر وبذل لهم الرغائب ، فامتنعوا ولم يمتثل منهم الا المطيع والمتطوع ، وهم نحو الألف ، وعادوا على أثرهم وجمعوا منهم من كان مشتتا ومنتشرا فى البلاد ورجعوا يريدون محاربة الفرنساوية ، فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين لكونهم نظروه فى قلة من عسكره وعلمهم بقرب من ذكر منهم. فضاربوهم بالنبابيت والحجارة ، وأصيب سرج سارى عسكر بنبوت فانكسر وسقط ترجمانه الى الأرض ، وتسامع المسلمون فركبوا لنجدتهم واستصرخ الفرنساوية عساكرهم فلحقوا بهم . ووقع الحرب بين الفريقين حتى حال بينهما الليل فانكف الفريقان وانحاز كل فريق ناحية . فلما دخل الليل واشتد الظلام ، أحاط العسكر الفرنساوى بعساكر المسلمين . فأصبح المسلمون ، وقد رأوا احاطة العسكر بهم من كل جانب ، فركبت الخيالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدائرة وسلم منهم من سلم وعطب من عطب ورجعوا على أثرهم الى الصالحية . فعند ذلك ارتحل الوزير ورجع الى الشام .

وأما مراد بيك فانه بمجرد ما عاين هجوم الفرنسيس على الباشا والأمراء بالمطرية — وكان هو بناحية الجبل — ركب من ساعته هو ومن معه ومروا من سفح الجبل وذهب الى ناحية دير الطين ينتظر ما يحصل من الأمور ، وأقام مطمئنا على نفسه ، واعتزل الفريقين ، واستمر على صلحه مع الفرنساوية . هذا حاصل خبر الشرقيين .

ولما تحقق الباشا والأمراء الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوه بينهم وأشاعوا خلافه لئلا تنحل عزائم الناس عن القتال وتضعف نفوسهم . واستمر الباشا يظهر كتابة المراسلات وارسال السعاة فى طلب النجدة والمعونة . وربما افتعلوا أجوبة فزوروها على الناس فتروج عليهم وتسرى فى غفلتهم . ويقولون للناس فى كل وقت : ان حضرة الصدر الأعظم مجتهد فى محاربة الفرنسيس . وفى غد أو بعد غد يقوم بالعساكر والجنود بعد قطع العدو . وعند حضوره ووصوله يحصل تمام الفتح ، وتهدم العساكر القلاع ، وتقلبها على من يبقى من الفرنساوية . وبعد ذلك ينظم البلاد ويريح العباد . واجتهدوا فيما أنتم فيه . وتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسان العربى والتركى بالتحريض والاجتهاد والحرص على الصبر والقتال وملاقاة العدو ونحو ذلك .

ووصل طائفة من عسكر الفرنساوية ، ورجعوا من عرضيهم نجدة لأصحابهم الذين بمصر .. فقويت بهم نفوس الكائنين بمصر ، ووقفت منهم طائفة خارج باب النصر وخارج باب الحسينية ، ونهبوا زاوية الدمرداش وما حولها كقبة الغورى والمنيل . وحضر نحو خمسمائة من عسكر الأرنؤود — وهم الذين كان الوزير وجههم الى القرى لقبض الكلف والفرض — فلما قربوا من مصر عارضهم عسكر الفرنساوية الواقفة على التلول الخارجة ، فحاموا ودافعوا عن أنفسهم ، وخلصوا منهم ودخلوا الى مصر . وفرح الناس



مسجد السلطان الغورى

لقدومهم وضجت العامة بحضورهم ، واشتدت قواهم ، ولفقوا أن يقولوا للناس ، اذا سئلوا ، أنهم حاضرون مددا وسيأتى فى أثرهم عشرون ألفا وعليهم كبير ، ونحو ذلك .

وأما بولاق فانها قامت على ساق واحدة وتحزم الحاج مصطفى البشتيلى وأمثاله وهيجوا العامة ، وهيئوا عصيهم وأسلحتهم ورمحوا وصفحوا . وأول ما بدأوا به أنهم ذهبوا الى وطاق الفرنسيس الذى تركوه بساحل البحر ، وعنده حرسية منهم ، فقتلوا من أدركوه منهم ونهبوا جميع مافيه من خيام ومتاع وغيره ، ورجعوا الى البلد ، وفتحوا مخازن الغلال والودائع التى للفرنساوية وأخذوا ما أحبوا منها ، وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس .

واستعدوا للحرب والجهاد ، وقوى فى رأسهم العناد ، واستطالوا على من كان ساكنا ببولاق من نصارى القبط والشوام ، فأوقعوا بهم بعض النهب ، وربما قتل منهم أشخاص ..

هذا ماكان من أمرهؤلاء . وأما ما كان من أمر سارى عسكر الفرنساوية ومن معه .. فانه لما استوثق بهزيمة الوزير ، وعدم عوده ونجاته بنفسه .. لم يزل خلفه حتى بعد عن الصالحية ؛ فأبقى بها بعضا من عسكر الفرنسيس محافظين ، وكذلك بالقرين وبلبيس ، ورجع الى مصر . وقد بلغت الأخبار بما حصل من دخول ناصف باشا والأمراء وقيام الرعية ، فلم يزل حتى وصل الى داره بالأزبكية ، وأحاطت العساكر الفرنساوية بالمدينة وبولاق من خارج ، ومنعوا الداخل من الدخول والخارج من الخروج .. وذلك بعد ثمانية أيام من ابتداء الحركة ، وقطعوا الجالب عن البلدين ، وأحاطوا بهما احاطة السوار بالمعصم . فكانت جماعة من المفوضين لهم ، المحصورين داخل المدينة — كبعض القبطة ونصارى الشوام وغيرهم — يهربون اليهم ، ويتسلقون من الأسوار والحيطان بحريمهم وأولادهم .

فعند ذلك اشتد الحرب ، وعظم الكرب . وأكثروا من الرمى المتتابع بالمكاحل والمدافع ، وأكثروا وأوصلوا وقع القنابر والبنبات ، من أعالى التلول والقلعات ، خصوصا البنبات الكبار ، على الدوام والاستمرار ، آناء الليل وأطراف النهار .. فى الغدو والبكور والأسحار .

وعدمت الأقوات ، وغلت أسعار المبيعات ، وعزت المأكولات ، وفقدت الحبوب والغلات ، وارتفع وجود الخبز من الأسواق ، وامتنع الطوافون به على الأطباق . وصارت العساكر الذين مع الناس فى البلد يخطفون ما يجدونه بأيدى الناس من المآكل والمشارب . وغلا سعر



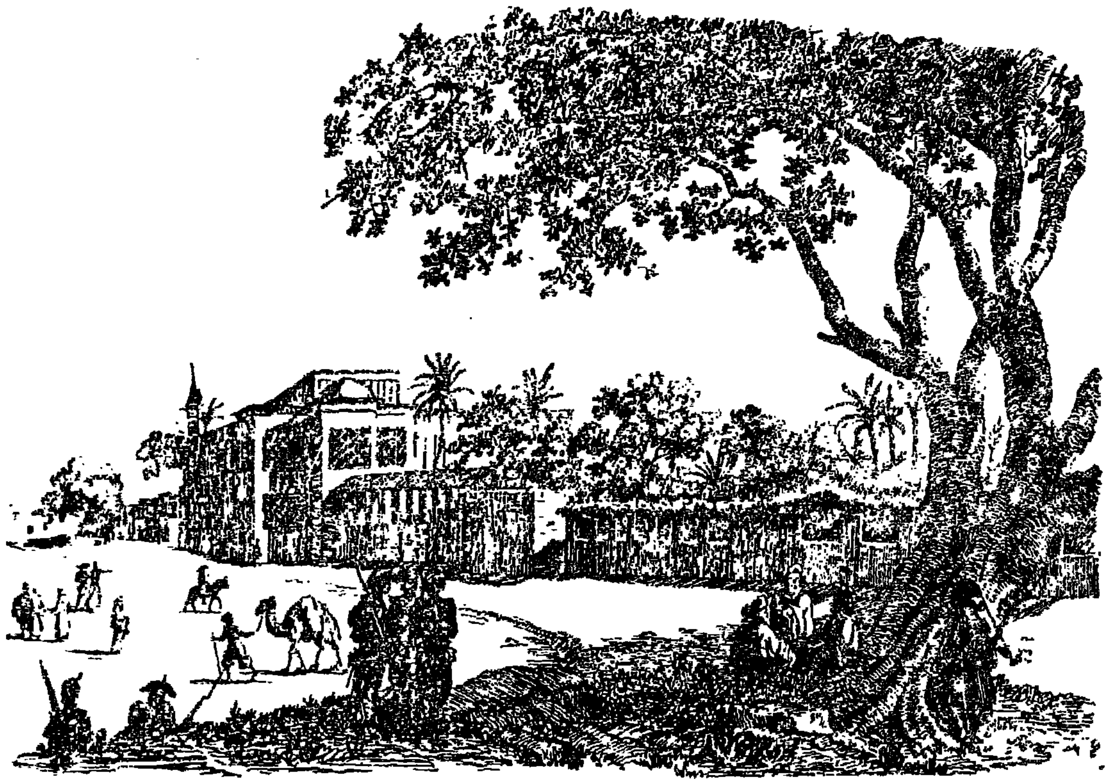
ثورة القاهرة

الماء المأخوذ من الآبار أو الأسبلة .. حتى بلغ سعر القربة نيفا وستين نصفا . وأما البحر فلا يكاد يصل اليه أحد .

وتكفل التجار ، ومساتير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمين بالمتاريس المجاورة لهم . فألزموا الشيخ السادات بكلفة الذى عند قناطر السباع ، وهم مصطفى بيك ومن معه من العساكر . وأما أكابر القبط — مثل جرجس الجوهرى وفلتيوس ومالطى — فانهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين .. لكونهم انحصروا فى دورهم ، وهم فى وسطهم ، وخافوا على نهب دورهم اذا خرجوا فارين . فأرسلوا اليهم الأمان . فحضروا وقابلوا الباشا والكتخدا والأمراء ، وأعانوهم بالمال واللوازم . وأما يعقوب فانه كرنك فى داره بالدرب الواسع جهة الرويعى ، واستعد استعدادا كبيرا بالسلاح والعسكر المحاربين ، وتحصن بقلعته التى كان شيدها بعد الواقعة الأولى فكان معظم حرب حسن بيك الجداوى معه .

هذا والمناداة فى كل وقت بالعربى والتركى على الناس بالجهاد والمحافظة على المتاريس .

واتهم مصطفى أغا مستحفظان بموالاته الفرنساوية وأنه عنده فى بيته جماعة من الفرنسيس فهجمت العساكر على داره بدرب الحجر . فوجدوا أنفارا قليلة من الفرنسيس ، فقاتلوا وحاموا عن أنفسهم وقتل منهم البعض ، وهرب البعض على حمية ، حتى خلصوا الى الناصرية . وأما الأغا فانهم قبضوا عليه ، وأحضروه بين يدى عثمان كتخدا ، ثم تسلمه الانكشارية وخنقوه ليلا بالوكالة التى عند باب النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد . واستقر عوضه شاهين كاشف الساكن بالخرنفش ، فاجتهد وشدد على الناس ، وكرر المناداة ، ومنعهم من دخول الدور . وكل من وجده داخل داره مقته وضربه . فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق ، حتى الأمراء والأعيان ! وهلكت البهائم من الجوع لعدم وجود العلف من التبن والفول والشعير والدريس ... بحيث صار ينادى



سراى الازبكية

على الحمار أو البغل ، المعدد الذى قيمتـــه ثلاثون ريالا وأكثر ، بمائة نصف فضة ، أو ريال واحد أو أقل ، ولا يوجد من يشتريه . وفى كل يوم يتضاعف الحال ، وتعظم الأهوال .

وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب ، وترامى الفريقـان بالمدافع والنـيران حتى احترق ما بينهم من الدور . وكان اسماعيل كاشف الألفى تحصن ببيت أحمد أغا شويكار الذى كان ببيته ، وقد كان الفرنساوية جعلوا به لغما بالبارود المدفون ، فاشـتعل ذلك اللغم ، ورفع ما فوقه من الأبنيـة والناس ، وطاروا فى الهواء ، واحترقوا عن آخرهم ، وفيهم اسماعيل كاشف المذكور . وانهـدم جميع ما هناك من الدور والمبانى العظيمة والقصور المطلة على البركة ، واحترق جميع البيوت التى من عند بين المفارق بقرب جامع عثمان كتخدا ، الى رصيف الخشاب والخطة المعروفة بالساكت بأجمعها ، الى الرحبة المقابلة لبيت الألفى ، سكن سارى عسكر الفرنساوية ، وكذلك خطة الفوالة بأسرها ، وكذلك خطة الزويعى بالسباطين العظيمين ، وما فى ضمن ذلك من البيوت الى حد حارة النصارى . وصارت كلها تلالا وخرائب .. كأنها لم تكن مغنى صبابات ، ولا مواطن أنس ونزاهات !

وفيها يقول صديقنا العلامة ، والنحرير الفهامة ، الشيخ حسن العطار حفظه الله :

وأما بركة الأزبكية فهى مسكن الأمراء ، وموطن الرؤساء . قد أحدقت بها البساتين الوارفة الظلال ، العديمة المثال . فترى الخضرة فى خلال تلك القصور المبيضة ، كثياب سندس خضر على أتواب من فضة . يوقد بها كثير من السرج والشموع ، فالأنس بها غير مقطوع ولا ممنوع . وجمالها يدخل على القلب

السرور ، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور . ولطالما مضت لى بالمسرة فيها أيام وليال ، هن فى سمط الأيام من يتيم اللآلى . وأنا أنظر الى انطباع صورة البدر فى وجناتها ، وفيضان لجين نوره على حافاتها وساحاتها . والنسيم بأذيال ثوب مائها الفضى لعاب ، وقد سل على حافاتها من تلاعب لأمواج كل قرضاب . وقام على منابر أرواحها فى ساحة أفراحها مغردات الطيور ، وجاليات السرور .. فلذيذ العيش بها موصول ، وفيها أقول :

بالأزبكيــة طــابت لى مسرات
ولذ لى من بديع الأنس أوقات

حيث الميــــاه بها والفلك سابحة
كأنهــا الزهر تحويهــا السموات

وقد أديــر بهــا دور مشـــيدة
كأنهــا لبـــدور الحسن هالات

مدت عليها الروابى خضر سندسها
وغردت فى نواحيهــا الحمامات

والمــاء حين سرى رطب النسيم به
وحل فيــه من الأدواح زهــرات

كســابغات دروع فوقهــا نقط
من فضة .. واحمرار الورد طعنات

مراتع لظبـــاء الترك ســـاحتها
وللأســود بهــا فيهن غيضـــات

وللنــديم بهــا عيش تجـــدده
أيدى الزمان ، ولا تخشى جنــايات

يروح منهــا صريع العقل حين يرى
عــلى محاســـنها دارت زجاجات

وللرفاق بهـــا جمــــع ومفترق
لــبـا غدت وهى للنــدمان حانات

قلت : وقد جنت عليها أيدى الزمان ، وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، وأقفرت مساكنها . وهكذا عقبى سوء ما عملوا ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ..

وأرسلوا الى مراد بيك يطلبونه للحضور أو يرسل الأمراء والأجنـاد التى عنـده . فأرسل يعتذر عن الحضور ، ويقول : « انه محافظ على الجهة التى هو فيها » . فأرسلوا اليـه بالارســال والاستكشاف عن أمر الوزير ، فأرسل يخبر أنه أرسل هجانا الى الشرق من نحو عشرة أيام ، والى الآن لم يحضر ، وأن الفرنســـاوية اذا ظفــروا بالعثمانية لا يقتلونهم ولا يضربونهم ، وأنتم كذلك معهم فاقبلوا نصحى ، واطلبوا الصـــلح معهم ، واخرجوا سالمين . فلما بلغهم تلك الرسالة ، حنق حسن بيك الجداوى وعثمان بيك الأشقر وغيرهم ، وسفهوا رأيه ، وقالوا : كيف يصح هــذا الأمر ، وقد دخلنا الى البلد وملكناها ، فكيف نخرج منها طائعين ؟! ونحو ذلك . هــذا مما لا يكون أبدا . فأشار ابراهيم بيك برجوع البرديسى ، وصحبته عثمان بيك الأشــقر ، ليقول الأشقر لــراد بيك ما نقوله . فلما اجتمع به ورجع .. لم يرجع عــلى ما كان عليه حال ذهابه ، وفترت همتــه ، وجنح لرأى مراد بيك .

واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال نيران الحرب ، وشدة البلاء والكرب ، ووقــوع البنيان على الدور والمساكن من القلاع ، والهـدم والحرق ، وصراخ النســاء من البيوت والصغار من الخوف والجزع والهلع ... مع القحط وفقـد المآكل والمشـارب ، وغلق الحوانيت والطوابين والمخابز ، ووقوف حال الناس من البيع والشراء وتفليس الناس ، وعدم وجدان ما ينفقونه ، ان وجدوا شيئا !

واستمر ضرب المدافع والقنابر والبنادق والنيران ليلا ونهارا ، حتى كان الناس لا يهنأ لهم نوم ولا راحة ، ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن . ومقامهم دائما أبدا بالأزقة والأسواق ، وكأنما على رؤوس الجميع الطير ! وأما النساء والصبيان فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية .. الى غير ذلك !

وفى أثناء ذلك فرضوا على الناس ، من أهل الأسواق وغيرهم ، مائة كيس ... فردوها على بعض الناس ، كالسادات والصاوى . وصارمؤنة غالب الناس الأرز ويطبخونه بالعسل وباللبن ، ويبيعون ذلك فى طشوت وأوان بالأسواق .

وفى كل ساعة تهجم العساكر الفرنساوية على جهة من الجهات ويحاربون الذين بها ويملكون منهم بعض المتاريس ، فيصيحون على بعضهم بالمناداة ويتسامع الناس ويصرخون على بعضهم البعض ويقولون : عليكم بالجهة الفلانية . الحقوا اخوانكم المسلمين ! فيرمحون الى تلك الخطة والمتاريس حتى يجلوهم عنها ، وينتقلون الى غيرها فيفعلون كذلك .

وكان المتحمل لغالب هذه المدافعات حسن بيك الجداوى . فانه كان عندما يبلغه زحف الفرنساوية على جهة من الجهات ، يبادر هو ومن معه للذهاب لنصرة تلك الجهة . ورأى الناس من اقدامه وشجاعته وصبره على مجالدة العدو ، ليلا ونهارا ، ماينبىء عن فضيلة نفس ، وقوة قلب ، وسمو همة . وقل أن وقع حرب فى جهة من الجهات الا وهو مدير رحاها ورئيس كماتها .

هذا والأغا والوالى يكررون المناداة ، وكذلك المشايخ والفقهاء والسيد أحمد المحروقى والسيد عمر النقيب .. يمرون كل وقت ، ويأمرون الناس بالقتال ، ويحرضونهم على الجهاد . وكذلك بعض العثمانية يطوفون مع أتباع الشرطة ، وينادون باللغة التركية مثل ذلك .

وجرى على الناس ما لا يسطر فى كتاب ، ولم يكن لأحد فى حساب ، ولا يمكن الوقوف على كلياته فضلا عن جزئياته ... منها : عدم النوم ليلا ونهارا ، وعدم الطمأنينة ، وغلو الأقوات ، وفقد الكثير منها — خصوصا الأدهان — وتوقع الهلاك كل لحظة ، والتكليف بما لايطاق ، ومغالبة الجهلاء على العقلاء ، وتطاول السفهاء على الرؤساء ، وتهور العامة ، ولغط الحرافيش وغير ذلك مما لايمكن حصره . ولم يزل الحال على هذا المنوال الى نحو عشرة أيام .

كل هذا والرسل من قبل الفرنساوية ، وهم عثمان بيك البرديسى تارة ، ومصطفى كاشف ورستم تارة أخرى — والاثنان من أتباع مراد بيك — يترددون فى شأن الصلح وخروج العساكر العثمانية من مصر ، والتهديد بحرقها وهدمها اذا لم يتم هذا الغرض . واستمروا على هذا العناد . ثم نصب الفرنساوية فى وسط البركة فسطاطا لطيفا وأقاموا عليه علما وأبطلوا الرمى تلك الليلة ، وأرسلوا رسولا من قبلهم الى الباشا والكتخدا والأمراء يطلبون المشايخ يتكلمون معهم فى شأن هذا الأمر . فأرسلوا الشرقاوى والمهدى والسرسى والفيومى وغيرهم فلما وصلوا الى سارى عسكر وجلسوا ، خاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله : أن سارى عسكر قد أمن أهل مصر أمانا شافيا ، وأن الباشا والكتخدا ومن معهما من العساكر العثمانية يخرجون من مصر ويلحقون بالعرضى . وعلى الفرنساوية القيام بما يحتاجون اليه من المئونة والذخيرة حتى يصلوا الى معسكرهم . وأما الأجناد المصرية الداخلة معهم فمن أراد منهم المقام بمصر من المماليك والغز الداخلين معهم ، فليقم وله الاكرام . ومن أراد

الخروج فليخرج . والجرحى من العثمانلى يجردون من سلاحهم ، وان كان يأخذه الكتخدا فليأخذه ، وعلينا أن نداويهم حتى يبرأوا . ومن أقام بعد البرء منهم فعلينا مئونته . ومن أراد الخروج بعد برئه فليخرج ، وعلى أهل مصر الأمان فانهم رعيتنا . وتوافقوا على ذلك وتراضوا عليه .

ولما كان الغد وشاع أمر الموادعة واستفيض أمر الصلح على هذا ، قالوا لهم : « لأى شيء تفعلون هذا الفعل وهذه المحاربات ، والوزير بتاعكم ولى مهزوما ورجع هاربا ولا يمكن عوده فى هذا الحين الا أن يكون بعد ستة أشهر ؟ » . فاعتذروا له بأن هذا من فعل ناصف باشا وكتخدا الدولة وابراهيم بيك ومن معهم ، فانهم هم الذين أثاروا الفتنة وهيجوا الرعايا ، ومنوا الناس الأمانى الكاذبة والعامة لا عقول لهم ! فقالوا لهم بعد كلام طويل : « قولوا لهم يتركون القتال ويخرجون فيلحقون بوزيرهم ، فانهم لاطاقة لهم على حربنا ، ويكونون سببا لهلاك الرعية وحرق البلدين مصر وبولاق » . فقالوا له : « نخشى أنهم اذا امتثلوا وجنحوا للموادعة وخرجوا وذهبوا الى سارى عسكرهم ، تنقمون منا ومن الرعايا بعد ذلك » . فقالوا : « لا نفعل ذلك . فانهم اذا رضوا ومنعوا الحرب ، اجتمعنا معكم واياهم ، وعقدنا صلحا ولا نطالبكم بشيء . والذى قتل منا فى نظير الذى قتل منكم ، وزودناهم وأعطيناهم مايحتاجون من خيل وجمال وأصحبنا معهم من يوصلهم الى مأمنهم من عسكرنا ، ولا نضر أحداً بعد ذلك » .

فلما رجع المشايخ بهذا الكلام ، وسمعه الانكشارية والناس .. قاموا عليهم ، وسبوهم وشتموهم ، وضربوا الشرقاوى والسرسى ، ورموا عمائمهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون : « هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس » . وتكلم السفلة والغوغاء من أمثال هذا الفضول .

وتشدد فى ذلك الرجل المغربى الملتف عليه أخلاط العالم ، ونادى من عند نفسه « الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر عنه ضرب عنقه ! » .

وكان السادات ببيت الصاوى فتحير ، واحتال بأن خرج وأمامه شخص ينادى بقوله : « الزموا المتاريس » ليقى بذلك نفسه من العامة .

ووافق ذلك أغراض العامة لعدم ادراكهم لعواقب الأمور فالتفوا عليه ، وتعضد كل بالآخر ، وان غرضه هو فى دوام الفتنة ، فان بها يتوصل لما يريده من النهب والسلب ، والتصور بصورة الامارة باجتماع الأوغاد عليه ، وتكفل الناس له بالمأكل والمشرب هو ومن انضم اليه ، واشتطاط فى المآكل مع فقد الناس لأدون ما يؤكل.. حتى أنه كان اذا نزل جهة من جهات المدينة لاظهار أنه يريد المعونة أو الحرس ، فيقدمون له بالطعام فيقول : « لا آكل الا الفراخ ! » ويظهر أنه صائم . فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته ، فى هذه الشدة ، بطلب أفحش المأكولات وما هو مفقود . ثم هو مع ذلك لا يغنى شيئا ، بل اذا دهم العدو تلك الجهة التى هو فيها . فارقها وانتقل لغيرها وهكذا كان ديدنه وسبحه . ثم هو ليس ممن له فى مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك . بل كما قيل « لا ناقتى فيها ولاجملى » . فاذا قدر ما قدر تخلص مع حزبه الى بعض الجهات والتحق بالريف أو غيره ، وحينئذ يكون كآحاد الناس ، ويرجع لحالته الأولى ، وتبطل الهيئة الاجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فخا منصوبا ، ومحرق بها على سخاف العقول وأخفاء الأحلام !

وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجلة . ولو أن

ليته ممحضه لخصوص الجهاد لكانت شـواهد علانيته أظهر من نار على علم ، أو اقتحم — كغيره ممن سمعنا عنهم من المخلصين فى الجهاد وفى بيـع أنفسهم فى مرضاة رب العباد — لظى الهيجاء ، ولم يتعنت على الفقـراء ، ولم يجعل همتـه فى السلب مصروفة ، وحال سلوكه عند الناس ليست معروفة .

ومهمـا تكن عنـد امرىء من خليقة

ـــ وان خالها تخفى على الناس ـــ تعلم

وبالجملة ... فكان هذا الرجل سببا فى تهدم أغلب المنازل بالأزبكية ، ومن جملة مارميت به مصر من البلاء . وكان ممن ينادى به عليه حين أشيع أمر الصلح وتكلم به الأشـياخ : « الصلح منقوض . وعليكم بالجهاد ، ومن تأخر ضرب عنقه ! » . وهذا منـه افتيات وفضول ودخول فيما لا يعنى . حيث كان فى البلد مثل الباشا والكتخدا والأمراء المصرية . فما قـدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحا أو يبرمه ؟ ! وأى شىء يكون هـو حتى ينـادى أو ينصب نفسه بدون أن ينصبه أحد لذلك ؟! لكنها الفتن يستنسر بها البغاث ، سيما عند هيجان العامة وثوران الرعاع والغوغاء ، اذ كان ذلك مما يوافق أغراضهم .

وذنب جـره سـفهاء قـــوم

وحل بغير جانيـــه العــذاب

على أن المشايخ لم يأمروا بشىء ولم يذكروا صلحا ولا غيره ، انما بلغوا صورة المجلس الذى طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا . فبمجرد ذلك قامت عليهم العامة هذا المقام ، وسبوهم وشـتموهم بل وضربوهم ، وبعضهم رمـوا بعمامته الى الأرض وأسـمعوهم قبيح الكلام ، وفعلوا معهم ما فعلوا وصاروا يقولون : « لولا أن الكفرة الملاعين تبين لهم الغلب والعجز ماطلبوا المصالحة والموادعة وأن بارودهم وذخيرتهم فرغت » ... ونحـو ذلك من الظنون الفاسدة .

ولم يردوا عليهم جوابا ، بل ضربوا بالمدافـع والبنادق . فأرسلوا أيضا رسلا يسألونهم عن الجواب الذى توجه به المشايخ . فأرسـل اليهم الباشـا والكتخدا يقولان لهم : « ان العساكر لم يرضوا بذلك ويقولون : لا نرجع عن حربهم حتى نظفر بهم أو نموت عن آخرنا . وليس فى قدرتنا قهرهم على الصلح » .

فأرسل الفرنساوية جواب ذلك فى ورقة يقولون فى ضمنها : « قد عجبنا من قولكم إن العســاكر لم ترض بالصلح ! وكيف يكون الأمير أميرا على جيش ولا ينفذ أمره فيهم ؟ » ونحو ذلك . وأرسلوا أيضا رسولا الى أهل بولاق يطلبونهم للصـلح وترك الحرب ويحذرونهم عاقبة ذلك . فلم يرضوا وصمموا على العناد . فكرروا عليهم المراسلة وهم لايزدادون الا مخالفة وشغبا . فأرسلوا فى خامس مرة فرنساويا يقول : « أمان ، أمان — سوا ، سوا » وبيـده ورقة من سـارى عسكر . فأنزلوه من على فرسه وقتلوه .

وظن كامل أهـل مصر أنهـم انما يطلبـون صلحهم عن عجز وضعف وأشـعلوا نيران القتال ، وجدوا فى الحرب من غير انفصال . والفرنساوية لم يقصروا كذلك وراسلوا رمى المدافع والقنابر والبندق المتكاثر . وحضر الألفى الى عثمان كتخدا



بعض الثوار بأحد الشوارع

برأى ابتدعه ظن أن فيه الصواب وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلاما نهارا ، ويوقدون عليها القناديل ليلا ، ليرى ذلك العسكر القادم فيهتدى ويعلمون أن البلد بيد المسلمين وأنهم منصورون . وكذلك صنع معهم أهل بولاق وذلك لغلبة ظن الناس أن هناك عسكرا قادمين لنجدتهم . وظن أهل بولاق أن الباعث على ذلك نصرتهم . فصمموا على ذلك للحرب ، واستمر هذا الحال بين الفريقين .

ذو القعدة

الخميس ٢٢ منه (١٧ ابريل ١٨٠٠ م) : الموافق ١٠ برمودة القبطى وسادس نيسان الرومى :

غيمت السماء غيما كثيفا ، وأرعدت رعدا مزعجا عنيفا ، وأمطرت مطرا غزيرا ، وسيلت سيلا كثيرا . فسالت المياه فى الجهات ، وتوحلت جميع السكك والطرقات . فاشتغل الناس بتجفيف المياه والأوحال ونطخت الأمراء والعساكر بسراويلهم ومراكيبهم بالطين . والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحيـة ولم يبالوا بالأمطـار لأنهم فى خارج الأقنية وهى لاتتأثر بالمياه كداخل الأبنية ، وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة فى ملابسهم وما على رؤوسهم . وكذلك أسـلحتهم وعددهم وصنائعهم بخلاف المسلمين . فلما حصل ذلك إغتنموا الفرصة وهجموا على البلدين من كل ناحية وعملوا فتائل مغمسة بالزيت والقطـران وكعكات غليظة ملوية على أعناقهم معمولة بالنفط والمياه المصنوعة المقطرة التى تشـتعل ويقوى لهبها بالمـاء وكان معظم كبستهم من ناحية باب الحديد وكوم أبى الريش وجهة بركة الرطلى وقنطرة الحاجب وجهة الحسينية والرميلة ، فكانوا يرمون المدافع والبنبات من قلعة جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون ، ويهجمون أيضا وأمامهم المدافع ، وطائفة خلفهم بواردية ، يقال لهم «السلطات» يرمون بالبندق المتتابع ، وطائفة بأيديهم الفتائل والكعكات المشتعلة بالنيران يلهبون بهـا السـقائف وضرف الحوانيت وشـبابيك الدور ويزحفون على هذه الصورة شيئا فشيئا . والمسلمون أيضا بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة همتهم وعزمهم . وتحول الأغا وأكثر الناس الى تلك الجهة وزلزلوا فى ذلك اليوم والليلة زلزالا شديدا وهاجت العامة ، وصرخت النساء والصبيان ، ونطوا من الحيطان والنيران تأخذ المتوسطين بين الفئتين من كل جهة هذا والأمطار تسح حصة من النهار وكذلك بالليل من ليـلة الجمعة ، وكذلك الرعد والبرق .وعثمان بيك الأشـقر الابراهيمى وعثمان بيك البرديسى المرادى ومصطفى كاشف رستم يذهبون ويجيئوز من الفرنسيس الى المسـلمين ، ومن الفرنسـيس اليهم . ويسعون فى الصلح بين الفريقين .

ثم انهم هجموا على بولاق من ناحيـة البحر ومن ناحية بوابة أبى العلا ، بالطـريقة المـذكور بعضها ، وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم فى النيران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحصروهم من كل جهـة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب . وملكوا بولاق وفعلوا بأهلهـا مايشيب من هوله النواصى وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة ، واحترقت الأبنيـة والدور والقصور .. وخصوصا البيوت والرباع المطلة على البحر وكذلك الأطارف . وهـرب كثير من الناس عنـدما أيقنوا بالغلبة فنجوا بأنفسهم الى الجهـة القبلية . ثم أحاطوا بالبلد ومنعوا من يخرج منها ، واسـتولوا على الخانات والوكائل والحواصـل والودائع والبضائع وملـكوا الدور وما بهـا من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصـبيان والبنات ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير والأرز والأدهان والأصـناف العطرية ، وما لاتسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور . والذى وجدوه منعكفا فى داره أوطبقته ولم يقاتل

ولم يجدوا عنده سلاحا نهبوا متاعه وعروه من ثيابه ومضوا وتركوه حيا وأصبح من بقى من ضعفاء أهل بولاق وأهلها وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقراء لايملكون مايستر عوراتهم .

الجمعة ٢٣ منه (١٨ ابريل ١٨٠٠ م) :

كان محمد الطويل كاتب الفرنساوية أخذ منهم أمانا لنفسه وأوهم أصحابه أنه يحارب معهم . وفى وقت هجوم العساكر انفصل اليهم واختفى البشتيلى فدلوا عليه وقبضوا على وكيله وعلى الرؤساء فحبسوا البشتيلى بالقلعة والباقى ببيت سارى عسكر ، وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول . وفى اليوم الثالث أطلقوهم وجمعوا عصبة البشتيلى من العامة وسلموهم البشتيلى وأمروهم أن يقتلوه بأيديهم لدعواهم أنه هو الذى كان يحرك الفتنة ويمنعهم الصلح وأنه كاتب عثمان كتخدا بمكتوب قال فيه : « ان الكلب دعانا للصلح فأبينا منه » وأرسله مع رجل ليوصله الى الكتخدا فوقع فى يد سارى عسكر كليبر فحركه ذلك على أخذ بولاق وفعله فيها الذى فعله ، وقوبل على ذلك بأن أسلم الى عصبته وأمروا أن يطوفوا به البلد ثم يقتلوه . ففعلوا ذلك وقتلوه بالنبابيت . وألزم أهل بولاق بأن يرتبوا ديوانا لفصل الأحكام وقيدوا فيه تسعة من رؤسائهم ، ثم بعد مضى يومين ألزموا بغرامة مائتى ألف ريال . وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم من الحرب والكرب والنهب والسلب .

الاثنين ٢٦ منه (٢١ ابريل ١٨٠٠ م) :

ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهر وعدم الراحة لحظة من الليل والنهار مع ما هم فيه من عدم القوت ، حتى هلكت الناس وخصوصا الفقراء والدواب ، وايذاء عسكر العثمانلى للرعية وخطفهم ما يجدونه معهم ، حتى تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيس على حالتهم التى كانوا عليها .

والحال كل وقت فى الزيادة ، وأمر المسلمين فى ضعف لعدم الميرة والمدد . والفرنساوية بالعكس وفى كل يوم يزحفون الى قدام والمسلمون الى وراء فدخلوا من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبى الريش وقنطرة الحاجب وتلك النواحى وهم يحرقون بالفتائل والنيران الموقدة ، ويملكون المتاريس الى أن وصلوا من ناحية قنطرة الخروبى وناحية باب الحديد الى قرب باب الشعرية . وكان شاهين أغا هناك عند المتاريس فأصابته جراحة فقام من مكانه ورجع القهقرى فعند رُجوعه وقعت الهزيمة ، ورجع الناس يدوسون بعضهم البعض ، وملك الفرنساوية كوم أبى الريش ، وصاروا يحاربون من كوم أبى الريش وهم فى العلو والمسلمون أسفل منهم . وكان المحروقى زور كتابا على لسان الوزير وجاء به رجل يقول : انه رسول الوزير ،وانه اختفى فى طريق خفية ونط من السور ، وأن الوزير يقدم بعد يومين أو ثلاثة ، وأنه تركه بالصالحية . وأن ذلك كذب لا أصل له وأن يكتب جوابا عن فرمان كتبوه على لسان المشايخ والتجار وأرسلوه الى الوزير فى أثناء الواقعة .

هذا والبرديسى ومصطفى كاشف والأشقر يسعون فى أمر الصلح الى أن تمموه على كف الحرب ، وأن الفرنساوية يمهلون العثمانية والأمراء ثلاثة أيام حتى يقضوا أشغالهم ويذهبوا حيث أتوا ، وجعلوا الخليج حدا بين الفريقين لايتعدى أحد من الفريقين بر الخليج الآخر وأبطلوا الحرب وأخمدوا النيران وتركوا القتال ، وأخذ العثمانية والأمراء والعسكر فى أهبة الرحيل وقضاء أشغالهم وزودهم الفرنساوية وأعطوهم دراهم وجمالا وغير ذلك ،

وكسبوا بعقد الصلح فرماناً مضمونه : « أنهم يعوقون عندهم عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك الأشقر ويرسلون ثلاثة أنفار من أعيانهم يكونون بصحبة عثمان كتخدا حتى يصل الى الصالحية وأن يوصلهم سارى عسكر داماس بثلثمائة من العسكر خوفاً عليهم من العرب ، وأن من جاء منهم من جهة يرجع اليها ، ومن أراد الخروج من أهل مصر معكم فليخرج ، ما عدا عثمان بيك الأشقر ، فانه اذا رجع الثلاثة مع الفرنساوية يذهب مع البرديسي الى مراد بيك بالصعيد » . وأرسلوا الثلاثة المذكورين الى وكالة ذى الفقار بالجمالية ، وأجلسوهم بمسجد الجمالى صحبة نصوح باشا .

فهاجت العامة ، وراموا قتلهم ، وهموا بقتل عثمان كتخدا ، فأغلق دونهم باب الخان ومنع نصوح باشا العامة من الهجوم على المسجد، وركب المغربى فتوجه الى الحسينية وطلب محاربة الفرنسيس فحضر أهل الحسينية الى عثمان كتخدا يستأذنونه فى موافقة ذلك المغربى أو منعه ، فأمر بمنعه وكفهم عن القتال . وركب المحروقى عند ذلك ومر بسوق الخشب وقدامه المناداة بأن لاصلح ولزوم المتاريس فمنعه نزلة أمين ، ثم فتح باب الوكالة وخرج منها عسكر بالعصى فهاجوا فى العامة ، ففروا وسكن الحال .

وقد كان لما حصل ما تقدم من نقض الصلح ، ودخول العثمانية وعساكرهم الى المدينة ، ووقع ما تقدم وكلفوا الناس الأمور الغير اللائقة .. حضر السيد أحمد المحروقى الى الشيخ أبى الأنوار السادات بجواب عن لسان عثمان كتخدا الدولة فكتب له الشيخ تذكرة صورتها :

« حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، وما هى من الظالمين ببعيد .

ظننت أنك عدتى أسطو بها
ويدى اذا اشتد الزمان وساعدى
فرميت منك بغير ما أملته
والمرء يشرق بالزلال البارد

أما بعد ، فقد نقضت عهدى ، وتركت مودة آل بيت جدى ، وأطعت الظلمة السفلة ، وامتثلت أمر المارقين الثفلة،فأعنتهم على البغى والجور، وسارعت فى تنجيز مرامهم الفاسد على الفور من الزامكم الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، اطعام عسكركم الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ، وبلغ فى النهب والفساد غاية الغايات ، فكان جهادهم فى أماكن الموبقات والملاهى حتى نزل بالمسلمين أعظم المصائب والدواهى ، فاستحكم الدمار والخراب ، ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب . فبذلك كان عسكركم مخذولا ، وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولا .. كيف لا ! وأكابركم أضمرت السوء للمرتزقة فى تضييق معايشهم وأخذ مرتباتهم واتلاف ما بأيديهم من أرزاقهم وتعلقاتهم ، وقد أخفتم أهل البلد بعد أمنها وأشعلتم نار الفتنة بعد طفئها ، ثم فررتم فرار الفيران من السنور ، وتركتم الضعفاء متوقعين أشنع الأمور .. فواغوثاه ! واغوثاه ! أغثنا ياغياث المستغيثين ، واحكم بعدلك ياأحكم الحاكمين ، وانصرنا وانتصر لنا فاننا عبيدك الضعفاء المظلومون يا أرحم الراحمين ! » .

ذو الحجـــة

غرته (٢٦ ابريل ١٨٠٠ م) :

فيه خرج العثمانية وعساكرهم ، وابراهيم بيك وأمراؤه ومماليكه والألفى وأجناده ومعهم السيد عمر مكرم النقيب ، والسـيد أحمـد المحروقى الشاهبندر . وكثيرون من أهل مصر ركبانا ومشاة الى الصالحيـة ، وكذلك حسن بيك الجـداوى وأجناده . وأما عثمان بيك حسن ومن معه فرجعوا صحبة الوزير ، فلم يسع ابراهيم بيك وحسن بيك ترك جماعتهما خلفهما وذهابهم بأنفسهم الى قبلى ، بل رجعا بجماعتهما على أثرهما وذاقوا وبال أمرهم. وانكشف الغبار عن تعسة المسلمين وخيبة أمـل الذاهبين والمتخلفين وما استفاد الناس من هـذه العمارة ، وما جرى من الغارة ، الا الخراب والسخام والهباب فكانت مدة الحرب والحصر بما فيهـا من الثلاثة أيام الهدنة ، سبعة وثلاثين يوما .. وقع بها من الحروب والكروب والانزعاج والشـتات والهياج ، وخراب الدور ، وعظائم الأمور ، وقتل الرجال ونهب الأموال ، وتسلط الأشرار ، وهتك الأحرار ، وخصوصا ما أوقع الفرساوية بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه . وخرب فى هذه الواقعة عدة جهات من أخطاط مصر الجليلة ، مثل جهة الأزبكية الشرقية من حد جامع عثمان والفوالة وحارة كتخدا ورصيف الخشاب وخطة الساكت .. الى بيت سارى عسكر بالقرب من قنطرة الدكة . وكذلك جهة باب الهواء الى حارة النصارى من الجهة القبلية . وأما بركة الرطلى وما حولهـا من الدور والمتنزهات والبساتين فانها صارت كلها تلالا وخرائب وكيمان أتربة ، وقد كانت هذه البركة من أجل متنزهات مصر قديما وحديثا ، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك والبربخ والجسر ، وكانت تعرف ببركة الطوابين ، ثم عرفت ببركة الحاجب منسوبة للأمير بكتمر الحاجب ، من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون لأنه هو الذى احتفرها وأجرى اليهـا الماء من الخليج الناصرى ، وبنى القنطرة المنسوبة اليه ، وعمر عليها الدور والمناظر ، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دورا بهية . وكان هذا الجسر من أجل المتنزهات ، وقد خربت منازله فى القرن العاشر فى واقعة السلطان سليم خان مع الغورى ، وصار محله بستانا عظيما قطع أشجاره وغالب نخيله الفرنساوية .

وكان للقاضى ابن الجيعان عليهـا دور جليلة : ومسجده — المعروف به الى الآن — بشاطئهـا . ومسجد الحريثى . وعرفت ببركة الرطلى لأنه كان فى شرقها زاوية بها نخل كثير ، وفيهـا شـخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة ، يقال له الشيخ على الرطلى ، فنسبت اليه . وفيها يقول بعضـهم :

فى أرض طبالتنـــا بركـة
مدهشـة للعـين والعقـــل

ترجـح فى ميزان عقـلى على
كل بحـار الأرض بالرطـل

وقوله : « فى أرض طبالتنـا بركة » يعنى أن هذه البركة من جملة أرض الطبالة .

والطبالة امرأة مغنيــة مشهورة فى آخر دولة الاخشيد . فلما حضر المغربى معدّ الفاطمى الى مصر — وكان يدعى الامامة والخلافة دون بنى العباس — فخرجت اليه بجوقتها ومشت أمامه تزفه بالدفوف وتقول :

يا بنى العباس ردوا ملك الأمر معــدّ
ملككم ملك معــار والعــوارى تسترد

فأعجبه ذلك ، وأراد أن ينعم عليهــا ، فتمنت عليه أن يقطعها هــذه الأرض .. فأقطعهــا اياها ، فعرفت بها .

ومما تخرب أيضا حارة المقس من قبل ســوق الخشب الى باب الحديد . وجميع ما فى ضمن ذلك من الحارات والدور صارت كلها خرائب متهدمة محترقة تسكب عند مشاهدتها العبرات . ويتذكر بها ما يتلى فى حق الظالمين من الآيات « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون » .

ودخل الفرنســاوية الى المدينة يسعون ، والى الناس بعين الحقد ينظرون ، واستولوا على ما كان اصــطنعه وأعــده العثمانية من المدافع والقنابر والبــارود وآلات الحرب جميعها . وقيــل انهم حاسبوهم على كلفته ومصاريفه ، وقبضوا ذلك من الفرنساوية .

وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم وذهبوا الى كبير الفرنسيس ، فلما وصلوا الى داره ودخلوا عليه وجلسوا ساعة ، أبرز اليهم ورقة مكتوبا فيها « النصرة لله الذى يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس » . وبناء على ذلك سارى عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر وعلى أهل بر مصر ، ولو كانوا يخــالطون العثملى فى الحروب ، وانهم يشتغلون بمعايشهم وصــنائعهم . ثم نبــه عليهم بحضورهم الى قبة النصر بكرة تاريخه . ثم قاموا من عنده وشــقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعية بالاطمئنان والأمان .

فلمــا أصــبح ذلك اليوم ، ركبت المشــايخ والوجاقلية وذهبوا الى خارج باب النصر . وخرج أيضا القلقات والنصارى القبط والشوام وغيرهم . فلما تكامل حضور الجميع رتبوا موكبا وســاروا ودخلوا من باب النصر وقدامهم جماعة من القواسة يأمرون الناس بالقيام وبعض فرنساوية راكبين خيلا وبأيديهم سيوف مسلولة ينهرون الناس ويأمرونهم بالوقوف على أقدامهم ، ومن تباطأ فى القيام أهانوه . فاستمرت الناس وقوفا من ابتداء سير الموكب الى انتهائه . ثم تلا الطائفة الآمرة للناس بالوقوف جمع كثير من الخيالة الفرنساوية بأيديهم سيوف مسلولة، وكلهم لابسون جوخا أحمر وعلى رءوسهم طراطير من الفراوى على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم . ثم تتالى بعــد هؤلاء طوائف العساكر ببوقاتهم وطبــولهم وزمورهم واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم من خيالة ورجالة ، ثم الأعيان والمشايخ والوجاقلية وأتباعهم .. الى أن قدم سارى عسكر الفرنساوية وخلف ظهره عثمان بيك البرديسى وعثمان بيــك الأشقر وخلفهم طوائف من خيالة الفرنسيس . ولما انقضى أمر الموكب نادوا بالزينة فزينت البلد ثلاثة أيام آخرها يوم الثلاثاء مع السهر ووقود القناديل ليلا ، ثم دعاهم فى يوم الأربعاء وعمل لهم سماطا عظيما على طريقة المصرلية . وبعد انقضاء الوليمة والطعام خاطبهم على لسان الترجمان يقول لهم : « ان سارى عســكر يقول لكم انكم تأتون اليه بعد غد يوم الجمعة ، ويعمل معكم تدبيرا ويرتب الديوان لأجل تنظيم البلد وصلاح حالكم وحال الرعية » . وقلدوا فى ذلك اليوم محمد أغا الطنانى أغات مستحفظان وركب ونادى بالأمان . وأعطوا البكرى بيت عثمان كاشف كتخدا الحج — وهو بيت البارودى الثانى — فســكن به وشرع فى

تنظيمه وفرشه ، ولبسوه فى ذلك اليوم فروة سمور ، فقاموا من عنده فرحين مطمئنين مستبشرين .

٧ منه (٢ مايو ١٨٠٠ م) :

ذهب الى مراد بيك بجزيرة الذهب باستدعاء فمد لهم أسمطة عظيمة ، وانبسط معهم ، وافتخر افتخارا زائدا ، وأهدى الى بعضهم هدايا جليلة وتقادم عظيمة ، وأعطاه ماكان أرسله درويش باشا معونة للباشا والأمراء من الأغنام وغيرها ، وكانت نحو الأربعة آلاف رأس ، وولوه امارة الصعيد من جرجا الى اسنا ورجع عائدا الى داره بالأزبكية .

٨ منه (٣ مايو ١٨٠٠ م) :

فى صبحها بكروا بالذهاب الى بيت صارى عسكر ولبسوا أفخر ثيابهم وأحسن هيئاتهم ، وطمع كل واحد منهم ، وظن أن سارى عسكر تقلده فى هذا اليوم أجل المناصب أو ربما حصل التغيير والتبديل فى أهل الديوان فيكون فى الديوان الخصوصى .

فلما استقر بهم الجلوس فى الديوان الخارج أهملوا حصة طويلة لم يؤذن لهم ولم يخاطبهم أحد . ثم فتح باب المجلس الداخل وطلبوا الى الدخول فيه ، فدخلوا وجلسوا حصة مثل الأولى ، ثم خرج اليهم سارى عسكر ، وصحبته الترجمان وجماعة من أعيانهم . فوضع له كرسى فى وسط المجلس ، وجلس عليه ، ووقف الترجمان وأصحابه حواليه ، واصطف الوجاقلية والحكام من ناحية ، وأعيان النصارى والتجار من ناحيه . وعثمان بيك الأشقر والبرديسى أيضا حاضران .

وكلم سارى عسكر الترجمان كلاما طويلا بلغتهم حتى فرغ ، فالتفت الترجمان الى الجماعة وشرع نفسر لهم مقالة صارى عسكر ، ويترجم عنها بالعربى . والجماعة يسمعون . فكان ملخص ذلك القول : أن صارى عسكر يقول لكم يطلب منكم عشرة آلاف ألف .. الى آخر العبارة الآتية . وأما هذه العبارة فانه قالها المهدى فقط : « اننا لما حضرنا الى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس والناس بهم يقتدون ولأمرهم يمتثلون . ثم انكم أظهرتم لنا المحبة والمودة . وصدقنا ظاهر حالكم فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير الأمور وصلاح الجمهور . فرتبنا لكم الديوان وغمرناكم بالاحسان ، وخفضنا لكم جناح الطاعة ، وجعلناكم مسموعى القول مقبولى الشفاعة . وأوهمتمونا أن الرعية لكم ينقادون ولأمركم ونهيكم يرجعون . فلما حضر العثملى فرحتم لقدومهم ، وقمتم لنصرتهم ، وثبت عند ذلك نفاقكم لنا ! » .

فقالوا له : « نحن ما قمنا مع العثملى الا عن أمركم ، لأنكم عرفتمونا أننا صرنا فى حكم العثملى من ثانى شهر رمضان ، وأن البلاد والأموال صارت له ، وخصوصا وهو سلطاننا القديم وسلطان المسلمين . وما شعرنا الا بحدوث هذا الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة ، ووجدنا أنفسنا فى وسطهم ، فلم يمكننا التخلف عنهم »

فرد عليهم الترجمان ذلك الجواب ، ثم أجابهم بقوله : « ولأى شىء لم تمنعوا الرعية عما فعلوه من قيامهم ومحاربتهم لنا ؟ » .

فقالوا : « لايمكننا ذلك ، خصوصا وقد تقووا علينا بغيرنا ، وسمعتم مافعلوه معنا من ضربنا وبهدلتنا عند ماأشرنا عليهم بالصلح وترك القتال» .

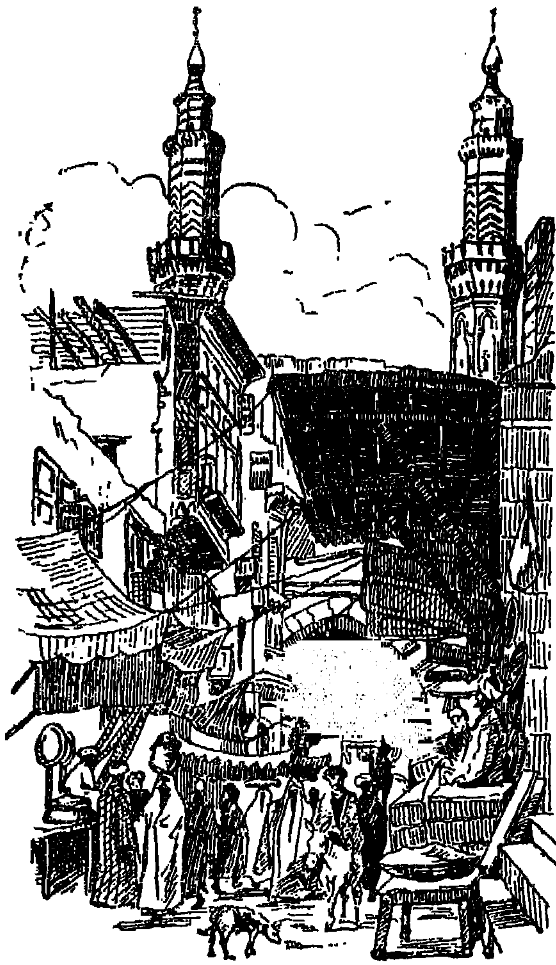
فقال لهم : « واذا كان الأمر كما ذكرتم ، ولا يحرج من يدكم تسكين الفتنة ولا غير ذلك ، فما فائدة رياستكم ؟ وايش يكون نفعكم ؟ وحينئذ لا يأتينا منكم الا الضرر ، لأنكم اذا حضر أخصامنا قمتم معهم وكنتم واياهم علينا ، واذا ذهبوا رجعتم الينا معتذرين ، فكان جزاؤكم أن نفعل معكم كما فعلنا مع أهل بولاق

من قتلكم عن آخركم وحرق بلدكم وسبى حريمكم وأولادكم ، ولكن حيث أننـا أعطيناكم الأمان فلا ننقض أماننا ولا نقتلكم وانما نأخذ منكم الأموال . فالمطلوب منكم عشرة آلاف ألف ألف فرنك ، عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها ألفـا ألف فرانسة عنها خمس عشرة خزنة رومى بثلاث عشرة خزنة مصرى، منها خمسمائة ألف فرانسة على مائتين . على الشيـخ الســادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلاثون ألفا ، والشيخ محمد بن الجوهرى خمسون ألفـا ، وأخيـه الشيخ فتوح خمسون ألفا ، والشيخ مصطفى الصاوى خمسون ألفا ، والشيخ العنانى مائتان وخمسون ألفا نقتطعها من ذلك نظير نهب دور الفارين مع العشلى ، مثل المحروقى والسيد عمر مكرم وحسين آغا شنن. وما بقى تدبرون رأيكم فيه وتوزعونه على أهل البلد وتتركون عندنا منكم خمسة عشر شخصا . انظروا من يكون فيكم رهينـة عندنا حتى تغلقـوا ذلك المبلغ ! » .

وقام من فوره ودخـــل مع أصـــحابه الى داخل ، وأغلق بينه وبينهم الباب . ووقفت الحرسية لى الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين . فبهت الجماعة وانتقعت وجوههم ، ونظـروا الى بعضهم البعض وتحيرت أفكارهم . ولم يخرج عن هذا الأمر الا البكرى والمهدى .. لكون البكرى حصل له ماحصل فى صحائفهم والمهدى حرق بيته برأى منهم . وكان قبل ذلك نقـل جميع ما فيـه بداره بالخرنفش ، ولم يترك به الا بعض الحصر ولم يكن به غير بعض الخـدم ، وكان يسـتعمل المداهنة وينافق الطرفين بصناعته وعادته .

ولم تزل الجماعة فى حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل منهم انه لم يكن شيئا مذكورا ، ولم يزالوا على ذلك الحـال الى قـريب العصر حتى بال أكثرهم على ثيابه ، وبعضهم شرشر ببوله من شـباك المكان ! وصاروا يدخلون على نصارى القبط ، ويقعون فى عرضهم . فالذى انحشر فيهم ، ولم يكن معدودا من الرؤساء ، أخرجوه بحجة أو سبب ، وبعضهم ترك مداسه وخرج حافيا وما صدق بخلاص نفسه !

هـذا والنصـارى والمهدى يتشـاورون فى تقسيم ذلك وتوزيعه وتدبيره وترتيبه فى قوائم حتى وزعوها على الملتزمين وأصحاب الحرف ، حتى على الحواة والقردتية والمحبظين والتجار وأهل الغورية وخان الخليلى والصـاغة والنحـاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم . كل طائفة مبلغ له صورة مثل ثلاثين ألف فرانسة وأربعـين ألف .



شارع النحاسين

وكذلك بياعو التنباك والدخان والصابون ، والخردجية والعطارون والزياتون والشواءون والجزارون والمزينون وجميع الصنائع والحرف . وعملوا على أجرة الأملاك والعقار والدور أجرة سنة كاملة . ثم انهم استأذنوا للمشايخ : الخالص يتوجه حيث أراد ، والمشبوك يلزمون به جماعة من العسكر حتى يغلق المطلوب منه . فأما الصاوى وفتوح بن الجوهرى فحبسوهما ببيت قائمقام . والعنانى هرب فلم يجدوه وداره احترقت ، فأضافوا غرامته على غرامة الشيخ السادات كملت بها مائة وخمسين ألف فرانسة وانفض المجلس على ذلك .

وركب سارى عسكر من يومه ذلك وذهب الى الجيزة ، ووكل يعقوب القبطى يفعل فى المسلمين ما يشاء وقائمقام والخازندار لرد الجوابات وقبض ما يتحصل وتدبير الأمور والرهونات . ونزل الشيخ السادات وركب الى داره ، فذهب معه عشرة من العسكر وجلسوا على باب داره . فلما مضت حصة من الليل حضر اليه مقدار عشرة من العسكر أيضا فأركبوه وطلعوا به الى القلعة وحبسوه فى مكان . فأرسل الى عثمان بيك البرديسى وتداخل عليه فشفع فيه . فقالوا له : « أما القتل فلا نقتله لشفاعتك وأما المال فلابد من دفعه ، ولابد من حبسه وعقوبته حتى يدفعه » .

وقبضوا على فراشه ومقدمه وحبسوهما . ثم أنزلوه الى بيت قائمقام فمكث به يومين ، ثم أصعدوه الى القلعة ثانيا وحبسوه فى حاصل ينام على التراب ويتوسد بحجر وضربوه تلك الليلة ، فأقام كذلك يومين ثم طلب زين الفقار كتخدا فطلع اليه هوو برطلمان فقال لهما : « أنزلونى الى دارى حتى أسعى وأبيع متاعى وأشهل حالى » فاستأذنوا له وأنزلوه الى داره فأحضر ما وجده من الدراهم فكانت تسعة آلاف ريال معاملة عنها ستة آلاف ريال فرانسة . ثم قوموا ماوجدوه من المصاغ والفضيات والفراوى والملابس وغيرذلك بأبخس الثمن ، فبلغ ذلك خمسة عشر ألف فرانسة ، فبلغ المدفوع بالنقدية والمقومات أحدا وعشرين ألف فرانسة . والمحافظون عليه من العسكر ملازموه لا يتركونه يطلع الى حريمه ولا الى غيره . وكان وزع حريمه وابنه الى مكان آخر .

وبعد أن فرغوا من الموجودات ، جاسوا خلال الدار يفتشوذ ويحفرون الأرض على الخبايا حتى فتحوا الكنيفات ونزلوا فيها ، فلم يجدوا شيئا . ثم نقلوه الى بيت قائمقام ماشيا وصاروا يضربونه خمس عشرة عصا فى الصباح ومثلها فى الليل . وطلبوا زوجته وابنه فلم يجدوهما ، فأحضروا محمد السندوبى تابعه وقرروه حتى عاين الموت حتى عرفهم بمكانهما فأحضروهما . وأودعوا ابنه عند أغات الانكشارية وحبسوا زوجته معه فكانوا يضربونه بحضرتها وهى تبكى وتصيح وذلك زيادة فى الانكاء .

ثم ان المشايخ : وهم الشرقاوى والفيومى والمهدى والشيخ محمد الأمير وزين الفقار كتخدا تشفعوا فى نقلها من عنده ، فنقلوها الى بيت الفيومى وبقى الشيخ على حاله . وأخذوا مقدمه وفراشه وحبسوهما ، وتغيب أكثر أتباعه واختفوا .

ثم وقعت المراجعة والشفاعة فى غرامة الشيخ فتوح الجوهرى والصاوى فأضعفوها وجعلوها على كل واحد منهما خمسة عشر ألف فرانسة ورد الباقى على الفردة العامة . وأما الشيخ محمد بن الجوهرى فانه اختفى فلم يجدوه فنهبوا داره ودار لسيبه المعروف بالشويخ .

ثم انه توسل بالست نفيسة زوجة مراد بيك فأرسلت الى مراد بيك — وهو بالقرب من الفشن — فأرسل من عنده كاشفا وتشفع فيه فقبلوا شفاعته ورفعوها عنه وردوها أيضا على الفردة العامة .

ثم انهم وكلوا بالفردة العامة وجميع المال يعقوب القبطى وتكفل بذلك وعمل الديوان لذلك ببيت البارودى ، وألزموا الأغا بعدة طوائف كتبوها فى قائمـة بأسماء أربابها وأعطوه عسـكرا وأمروه بتحصيلهـا من أربابها . وكذلك عـلى أغا الوالى الشـعراوى وحسن أغا المحتسب وعلى كتخـدا سليمان بيك ... فنبهوا على الناس بذلك ، وبثوا الأعوان بطلب الناس وحبسهم وضربهم !

فدهى النـاس بهذه النـازلة التى لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها . ومضى عيد النحر ولم يلتفت اليه أحد ، بل ولم يشعروا به ونزل بهم من البلاء والذل ما لا يوصف .. فان أحد الناس : غنيا كان أو فقيرا ، لابد وأن يكون من ذوى الصنائع أو الحرف فيلزمه دفع ما وزع عليه فى حرفته أو فى حرفتيـه وأجرة داره أيضا سنة كاملة . فكان يأتى على الشخص غرامتان أو ثلاث ونحو ذلك ! وفرغت الدراهم من عند الناس واحتاج كل الى القرض ، فلم يجد طالب الدين من يدينه لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته . فلزمهم بيع المتاع فلم يوجـد من يشترى . واذا أعطوهم ذلك لايقبلونه فضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه .

ثم وقع الترجى فى قبول المصاغات والفضيات فأحضر الناس ماعندهم فيقوم بأبخس الأثمان . وأما أثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس، فلا يوجد من يأخذه . وأمروا بجمع البغال ومنعوا المسلمين من ركوبها مطلقا سوى خمسة أنفار من المسلمين ، وهم : الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وابن محرم .. والنصارى المترجمين وخلافهم لا حرج عليهم .

وفى كل وقت وحين يشتد الطلب وتنبث المعينون والعسكر فى طلب الناس .. وهجم الدور وجرجرة الناس حتى النساء من أكابر وأصـاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم . والذى لم يجدوه — لكونه فر وهرب — يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون داره . فان لم يجدوا شيئا ردوا غرامته على أبنـاء جنسه وأهل حرفته .



زوجة احد الاكابر

وتطاولت النصارى من القبط والنصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكانا . وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموجدين !

هذا والكتبة والمهندسون والبناءون يطوفون ويحـررون أجـر الأماكن والعقـارات والوكائل والحمامات ويكتبون أسماء أربابهـا وقيمتهـا . وخرجت الناس من المدينة وجلوا عنها وهربوا الى القرى والأرياف .

ثم ان أكثر الفارين رجع الى مصر لضيق القرى وعدم ما يتعيشون به فيها ، وانزعاج الريف بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار ، والقتل فيما بينهم ، وتعدى القوى على الضعيف .

واستمرت الطرق مجفرة ، والأسواق معفرة ، والحوانيت مقفولة ، والعقول مخبولة ، والخانات والوكائل مغلوقة ، والنفوس مطبوقة .. والغرامات نازلة ، والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصائب عميمة ، والعكوسات مقصودة، والشفاعات مردودة! واذا اراد الانسان ان يفر الى أبعد مكان ، وينجو

بنفسه ، ويرضى بغير أبناء جنسه .. لا يجد طريقا للذهاب ، وخصوصا من الملاعين الأعراب ، الذين هم أقبح الأجناس ، وأعظم بلاء محيط بالناس . وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة . ان أخذه أليم شديد » .

٢٠ منه (١٥ مايو ١٨٠٠ م) :

انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودى الى بيت القيسرلى بالميدان ، ووقع التشديد فى الطلب والانتقام بأدنى سبب .

* * *

وانقضى هذا العام وما جرى فيه من الحوادث العظام . باقليم مصر والشام ، والروم والبيت الحرام :

فمنها — وهو أعظمها — تعطيل الثغور ، ومنع المسافران برا وبحرا ، ووقوف الانكليز بثغر اسكندرية ودمياط ، يمنعون الصادر والوارد ، وتحطوا أيضا بمراكبهم الى بحر القلزم

ومنها : انقطاع الحج المصرى فى هذا العام أيضا ، حتى لم يرجع المحمل ، بل كان مودوعا بالقدس . فلما حضر العساكر الاسلامية ، أحضروه صحبتهم الى بلبيس فيقال ان السيد بدرا رجع به الى جبل الخليل

ومنها : وقوف العرب وقطاع الطريق ، بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والدقهلة ، وسائر النواحى فمنعوا السبيل — ولو بالخفارة ! — وقطعوا طريق السفار ، ونهبوا المارين من أبناء السبيل والتجار ، وتسلطوا على القرى والفلاحين ، وأهالى البلاد والحرف بالعرى والخطف للمتاع والمواشى من البقر والغنم والجمال والحمير ، وافساد المزارع ورعيها حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج ببهائمهم الى خارج القرية للرعى أو للسقى لترصد العرب لذلك .

ووثب أهل القرى على بعضهم بالعرب ، فداخلوهم ، وتطاولوا عليهم ، وضربوا عليهم الضرائب ، وتلبسوا بأنواع الشرور ، واستعان بعضهم على بعض ، وقوى القوى على الضعيف ، وطمعت العرب فى أهل البلاد ، وطالبوهم بالثارات والعوائد القديمة الكاذبة وآن وقت الحصاد فاضطروا لمسالمتهم لقلة الضم .

فلما انقضت حروب الفرنسيس نزلوا الى البلاد ، واحتجوا عليهم بمصادقتهم العرب .. فضربوهم ، ونهبوهم ، وسبوهم ، وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة ! فاذا انفضوا وانتقلوا عنهم .. رجعت العرب على اثرهم وهكذا كان حالهم ! « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

ومنها : أن النيل قصر مده فى هذه السنة ، فشرقت البلاد ، وارتحل أهل البحيرة الى المنوفية والغربية فاستحسن رحيل عربان البحيرة لأنه بقى لهم فى الحى نخيل .

ومنها أنه لما حضرت العثمانية ، وشاع أمر الصلح وخضوع الفرنساوية لهم .. نزل طائفة من الفرنسيس الى المنوفية ، وطلبوا من أهلها كلفة لرحليهم فلما مروا بالمحلة الكبيرة ، تعصب أهلها ، واجتمعوا الى قاضيها ، وخرجوا لحربهم .. فأكمن الفرنسيس لهم ، وضربوا عليهم طلقا بالمدافع والبنادق ، فقتلوا منهم نيفا وستمائة انسان — ومنهم القاضى وغيره — ولم ينج منهم الا من فر وكان طويل العمر . وكذلك اهل طنتداء ، عند حضورهم اليهم ، وصل اليهم رجل من الجزارين المنتسبين للعثمانية ، من جهة الشرق لزيارة سيدى أحمد البدوى ، وهو راكب على فرس ، وحوله نحو الخمسة أنفار . وكان بعض الفرنسيس بداخل البلدة يقضون بعض أشغالهم ، فصاحت السوقة

والبياعون — عند رؤية ذلك الرجل — بقولهم « نصر الله دين الاسلام » وهاجوا وماجوا ولقلقت النساء بألسنتهن ، وصاحت الصبيان ، وسخروا بالفرنسيس ، وتراموا بما على رؤوسهم ، وضربوهم وجرحوهم وطردوهم .. فتسحبوا من عندهم ، فغابوا ثلاثة أيام ، ورجعوا اليهم بجمع من عسكرهم ، ومعهم الآلات من المدافع .. فاحتاطوا بالبلدة ، وضربوا عليهم مدفعا ارتجوا له ، ثم هجموا عليهم ، ودخلوا اليهم ، وبأيديهم السيوف المسلولة ، ويقدمهم طبلهم ، وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم « أولاد الخادم » — وهم ملتزمو البلدة وأكابرها ، ومتهمون بكثرة الأموال من قديم الزمان .. وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم باغراء القبط ، وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة بحجة مسالمتهم للعرب ! فلما وصلوا الى دورهم طلبوهم ، فلم يمكنهم التغيب ، خوفا على نهب الدور ، وغير ذلك .. فظهروا لهم فأخذوهم الى خارج البلد ، وقيدوهم ، وأقاموا نحو خمسة أيام خارجها ، يأخذون فى كل يوم ستمائة ريال سوى الأغنام والكلف . ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم الى منوف ، وحبسوهم أياما ، ثم نقلوهم الى الجيزة أيام الحرابة بمصر . فلما انقضت تلك الأيام ، وسرحوا فى البلاد .. نزلت طائفة الى طنتداء ، وهم بصحبتهم ، وقرروا عليهم أحدا وخمسين ألف ريال فرانسة ، وعلى أهل البلدة كذلك ، بل أزيد ، وأقاموا حول البلد محافظين عليهم ، وأطلقوا بعضهم ، وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم لأنه صاحب الأكثر فى الوظيفة والالتزام ، وطالبوه بالمال . وفى كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب ، حتى على كفوف يديه ورجليه ، ويربطونه فى الشمس فى قوة الحر والوقت مصيف ، وهو رجل جسيم كبير الكرش ، فخرجت له نفاخات فى جسده .

ثم أخذوا خليفة المقام أيضا وذهبوا به الى منوف ، ثم ردوه وولوه رياسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد . فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك .

واستمروا على ذلك الى انقضاء العام ، حتى أخذوا عساكر المقام — وكانت من ذهب خالص زنتها نحو خمسة آلاف مثقال — وأما المحلة الكبرى فانهم رجعوا عليها ، وقرروا عليها نيفا ومائة ألف ريال فرانسة ، وأخذوا فى تحصيلها وتوزيعها ، وهجموا دورها ، وتتبع المياسير من أهلها .

كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة فى كل يوم منها ، ومن طنتداء . والتعنت عليهم وتسلط طوائف الكشوفية التابعين لهم ، الذين هم أقبح فى الظلم من الفرنسيس ، بل ومن العرب . فانهم معظم البلاء أيضا ، فانهم هم الذين يعرفون دسائس أهل البلاد ، ويشيعون أحوالهم ، ويتجسسون على عوراتهم ، ويغرون بهم .

واستمروا على ذلك أيضا . « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

ومنها : أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية ، أرسل الوزير فرمانات للثغور باطلاق الأسافيل وحضور المراكب والتجار بالبضائع وغيرها الى ثغر سكندرية ، وصحبتها ثلاثة غلايين سلطانية ، وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ولوازم العسكر العثمانى .

فلما قربوا من الثغر ، أقاموا البندبرات ، وضربوا مدافع للشنك ، فطمعهم الفرنساوية ، وأظهروا لهم المسالمة ، وأظهروا لهم بنديرة العثمانى . فدخلوا الى المينا ، ورموا مراسيهم ، ووقعوا فى



الكاشف ومساعدوه بالريف يجبون الضرائب

فخ الفرنسيس ، فاستولوا على الجميع ، وأخذوا مدافعهم وسلاحهم وحبسوا القباطين وأعيان التجار ، وأخذوا الملاحين والمتسببين من البحرية والنصارى الأروام ، وهم عدة وافرة أعطوهم سلاحا ، وزيوهم بزيهم ، وأضافوهم الى عسكرهم ، وأرسلوهم الى مصر . فكانوا أقبح مذكور فى تسلطهم على ايذاء المسلمين .

ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضائع وياميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم . وبقى الأمر على ذلك ، وكان ذلك فى أواسط شهر القعدة .

ومنها : أنه بعد نقض الصلح ، أرسل الفرنسيس عسكرا الى متسلم السويس الذى كان تولاها من طرف العثمانية ، فتعصب معه أهل البندر ، فحاربوهم ، فغلبهم الفرنسيس وقتلوهم عن آخرهم !

ونهبوا البندر وما فيه من البن والبهار بحواصل التجار وغير ذلك .

ومنها : ان مراد بيك عند توجهه للصعيد بعد انقضاء الصلح ، أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد ، من أغنام وخيول وميرة — وكان شيئا كثيرا — فتسلم الجميع منه ، وعدى درويش باشا الى الجهة الشرقية متوجها الى الشام . وأرسل مراد بيك جميع ذلك للفرنساوية بمصر .

ومنها أيضا : أنه بعد انقضاء المحاربة واستيلاء الفرنسيس على المخازن والغلال التى كان جمعها العثمانية من البلاد الشرقية ، وبعض البلاد الغربية والقليوبية ، وكذلك الشعير والأتبان .. طلب الفرنساوية مثل ذلك من البلاد ، وقرروا على النواحي غلالا وشعيرا وفولا وتبنا وزادا وخيلا وجمالا ، فوقع على كل اقليم زيادة عن ألف فرس وألف جمل ، سوى ما يدفع مصالحة على قبولها للوسايط وهو نحو ثمنها أو أزيد .

وكذلك التعنت فى نقض الغلال وغربلتها وغير ذلك . وكل ذلك بارشاد القبطة وطوائف البلاد ، لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة ، وتقاسموا الأقاليم ، والتزموا لهم بجمع الأموال . ونزل كل كبير منهم الى اقليم ، وأقام بسرة الاقليم مثل الأمير الكبير ، ومعه عدة من العساكر الفرنساوية ، وهو فى أبهة عظيمة ، وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم ، والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجاب . وتقاد بين يديه الجنائب والبغال والرهوانات والخيول المسومة والقواسة والمقدمون وبأيدهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة والجمال الحاملة .

ويرسل الى ولايات الاقليم من جهته المستوفين من القبط أيضا بمنزلة الكشاف ، ومعهم العسكر

طين الفرنساوية والطوائف والجاويشية والصرافين والمقدمين على الشرح المذكور . فينزلون على البلاد والقرى ، ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ، ويؤجلونهم بالساعات فان مضت ولم يوفوهم المطلوب ، حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب والسبى وخصوصا اذا فر مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم ، والا قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم ، وسحبوهم معهم فى الحبال ، وأذاقوهم أنواع النكال ، وخاف من بقى فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل والرشوات ، وانضم اليهم الأسافل من القبط ، والأراذل من المنافقين ، وتقربوا اليهم بما ستميلون قلوبهم به ، وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم وأجهدوا أنفسهم فى التشفى من بعضهم ، ومايوجب الحقد والتحاسد الكامن فى قلوبهم ، الى غير ذلك مما تتعذر ضبطه « وماكنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون » .

* * *

ومات فى هذه السنة ، السيد الأفضل ، والسند الأكمل ، المقرى ابن المقرى ، والفهامة الذى بكل فن على التحقيق يدرى ، بدر أضاء فى سماء العرفان ، وعارف وضح دقائق المشكلات باتقان ، فلله دره من فاضل أبرز درر اللطائف من كنوزها ، وكشف عن محدرات الفهوم لثامها ، فأظهر الأنفس من نفيسها والأعز من عزيزها ، فلا غرو ، فانه بذلك حقيق .. كيف لا وما ذكر من بعض صفاته التى به تليق — العلامة الشريف الحسن بن على البدرى العوضى .

ربى فى حجر أبيه ، وحفظ القرآن والمتون ، وأخذ عن أبيه علم القراءات ، وأتقن القراءات الأربع عشرة ، بعد أن أتقن العربية والفقه وباقى العلوم .

وحضر أشياخ الوقت ، وتمهر وأنجب وقرأ الدروس ، ونظم الشعر الجيد ، وشهد له الفضلاء

وله تآليف وتقييدات وتحقيقات ، ورسائل فى فنون شتى ، ورسالة بليغة فى قوله تعالى : « أستكبرت أم كنت من العالين » . وكان الباعث له على تأليفها ، مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ أحمد يونس الخليفى فى تفسير الآية بمجلس على بيك الدفتردار . فظهر بها على الشيخ المذكور ، وأجازه الأمير المذكور بأن رتب له تدريسا بالمشهد الحسينى ، ورتب له معلوما بوقفه .. وقدره كل يوم عشرة أنصاف فضة ، يستغلها من جانب الوقف فى كل شهر .

واستمر يقبضها حتى مات فى شعبان من هذه السنة رحمه الله . ولم يخلف بعده مثله فى الفضائل والمعارف .

المحرم

الخميس ٥ منه (٢٩ مايو ١٨٠٠ م) :

أصعدوا الشيخ السادات (١) الى القلعة ، وكان أرسل الى كبار القبط بأن سعوا فى قضيته ورهن حصصه ، ويغلق الذى عليه . فردوا عليه بأنه لابد من تشهيل قدر نصف الباقى أولا ، ولا يمكن غير ذلك . وأما الحصص فليست فى تصرفه .

ولما تكرر ارساله للنصارى وغيرهم نقلوه الى القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس ، وهى المرة الثالثة .

وفيه : أشيع حضور مراكب وغلايين من ناحية الروم الى ثغر سكندرية ، وسافر سارى عسكر كليبر وصحبته العساكر الفرنساوية فغاب أياما ثم عاد الى مصر ولم يظهر لهذا الخبر أثر .

وفيه : طلبوا عسكرا من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم بزيهم ، وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك . وأرسلوا الى الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم الى مصر وأضافوهم الى العسكر .

(١) جاء فى مذكرات نابليون خاصا باتهام الفرنسيين للسادات بالتحريض على ثورة القاهرة الاولى وما رآه نابليون من الابقاء عليه لما اعتقده من أن الحكم باعدامه يضر بمركز الفرنسيين اكثر مما ينفعهم . ويقول نابليون فى مذكراته أن الجنرال كليبر راجعه فى رايه هذا عقب اخماد الثورة الاولى (اكتوبر ١٧٩٨ م) وساله كيف لايقضى باعدامه وهو زعيم الثورة . فاجابه نابليون ان اعدام مثل هذا الشيخ الجليل لا يفيد الفرنسيين بل يؤدى الى عواقب وخيمة . ويقول نابليون أيضا « وقد وقعت بعد ذلك حوادث اثارت ذكرى هذه الحادثة فان الشيخ السادات هذا هو الذى امر الجنرال كليبر بتعذيبه وضربه وكان هذا من اهم الاسباب التى أدت الى مقتل كليبر » .

(عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية ح ٢ ص ١٨٦)

السبت ٢١ منه (١٤ يونيو ١٨٠٠ م) :

أعادوا الشيخ أحمد العريشى الى القضاء كما كان ، وعملوا له موكبا ، وركب معه أعيان الفرنسيس وسوارى عساكرهم بطبولهم وزمورهم ، والمشايخ والتجار والأعيان ، وبجانبه قائمقام عبد الله مينو الذى كان سارى عسكر برشيد . فلم يزالوا معه حتى أوصلوه الى المحكمة الكبرى بعد أن شقوا به المدينة .

وفيه : وقعت نادرة عجيبة ، وهى أن سارى عسكر كليبر (١) كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذى بداره بالأزبكية فدخل عليه شخص حلبى وقصده فأشار اليه بالرجوع وقال له : «مافيش» وكررها فلم يرجع . وأوهمه أن له حاجة وهو مضطر فى قضائها . فلما دنا منه مد اليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده ، فمد اليه الآخر يده فقبض عليه وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى أربع ضربات متوالية ، فشق بطنه وسقط الى الأرض صارخا ، فصاح رفيقه المهندس فذهب اليه وضربه أيضا ضربات وهرب . فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس ، فدخلوا مسرعين فوجدوا كليبر مطروحا وبه بعض الرمق ، ولم يجدوا القاتل . فانزعجوا وضربوا طبلهم وخرجوا مسرعين . وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل .

واجتمع رؤساؤهم ، وأرسلوا العساكر الى الحصون والقلاع ، وظنوا أنها من فعل

(١) كان كليبر يقيم فى ذلك الحين بالجيزة ريثما يتم اصلاح سراى الالفى بيك بالأزبكية .

(عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية ح ٢ ص ١٩٣)

أهل مصر . فاحتاطوا بالبلد ، وعمروا المدافع ، وحرروا القنابر وقالوا : « لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم » (١) .

ووقعت هوجة عظيمة فى الناس وكرشة وشدة انزعاج ، وأكثرهم لا يدرى حقيقة الحال .

ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا فى البستان المجاور لبيت سارى عسكر المعروف بغيط مصباح بجانب حائط متهدم ، فقبضوا عليه فوجدوه شاميا . فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده ، فوجدوه حلبيا واسمه سليمان . فسألوه عن محل مأواه ، فأخبرهم أنه يأوى ويبيت بالجامع الأزهر ، فسألوه عن معارفه ورفقائه ، وهل أخبر أحدا بفعله ؟ وهل شاركه أحد فى رأيه وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك ؟ وكم له بمصر من الأيام أو الشهور ، وعن صنعته وملته ؟ وعاقبوه حتى أخبرهم بحقيقة الحال . فعند ذلك علموا ببراءة أهل مصر من ذلك ، وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة أهل البلد . وقد كانوا أرسلوا أشخاصا من ثقاتهم تفرقوا فى الجهات والنواحى يتفرسون فى الناس ، فلم يجدوا فيهم قرائن دالة على علمهم بذلك ، ورأوهم يسألون من الفرنسيس عن الخبر ، فتحققوا من ذلك براءتهم من ذلك .

ثم انهم امروا باحضار الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ أحمد العريشى القاضى ، وأعلموهم بذلك وعوقوهم الى نصف الليل ، وألزموهم باحضار الجماعة الذين ذكرهم القاتل ، وأنه أخبرهم بفعله . فركبوا وصحبتهم الأغا وحضروا الى الجامع الأزهر . وطلبوا الجماعة فوجدوا ثلاثة منهم ولم يجدوا الرابع ، فأخذهم الأغا وحبسهم ببيت قائمقام بالأزبكية .

ثم انهم رتبوا صورة محاكمة (١) على طريقتهم فى دعاوى القصاص ، وحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين مع القاتل ، وأطلقوا مصطفى افندى البرصلى ، لكونه لم يخبره بعزمه وقصده ... فقتلوا الثلاثة المذكورين (٢) لكونه أخبرهم بأنه عازم على قصده صبح تاريخه ولم يخبروا عنه الفرنسيس ، فكأنهم شاركوه فى الفعل . وانقضت الحكومة على ذلك . وألفوا فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها ، وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث : الفرنساوية والتركية والعربية .

وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم فى اللغة ، ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ، ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين . وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسوبهم .. رجل آفاقى أهوج ، وغدره . وقبضوا عليه وقرروه ، ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم سارى عسكرهم وأميرهم ، بل رتبوا حكومة ومحاكمة ، وأحضروا

---

(١) اتجهت انظار الفرنسيين فى بادىء الأمر الى اتهام المشايخ الذين عرفوا بالتحريض على الثورة الاخيرة والحض على كراهية الحكم الفرنسي واخذ ولاة الامور يبحثون عنهم وتطوع جماعة من المماليك برآسة حسين كاشف مندوب مراد بيك للبحث من أولئك المشايخ ، واستصحبهم بعض ياوران القائد العام وفتشوا منازلهم ولكنهم لم يجدوا مايدينهم أو يبعث على الاشتباه فيهم .
(عبد الرحمن الرافعى ـ تاريخ الحركة القومية حـ ٢ ص ١٩٩)

(١) اصدر مينو فى اليوم نفسه امرا بتاليف محكمة عسكرية لمحاكمة قتلة كليبر ، وهذه المحكمة مؤلفة من تسعة اعضاء من كبار رجال الجيش وكانت رياسة المحكمة للجنرال رينيه .
(عبد الرحمن الرافعى ـ تاريخ الحركة القومية حـ ٢ ص ١٠٩)

(٢) اقر سليمان الحلبى بان المحرضين له هم : احمد الوالى اغا من ضباط الجيش العثمانى ومحمد افندى من الازهريين ، والمدرس التركى (مصطفى افندى البروسه) . وكان سير التحقيق متجها الى جمع البينات لاثبات علم الشيخ الشرقاوى بنية القاتل قبل ارتكابه الجناية . ولكن التحقيق لم يسفر من ادانة الشيخ الشرقاوى او غيره من كبار العلماء .
(عبد الرحمن الرافعى ـ تاريخ الحركة القومية حـ ٢ ص ٢٠١)

القاتل ، وكرروا عليه السؤال والاستفهام : مرة بالقول ، ومرة بالعقوبة . ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ، ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم . وأطلقوا مصطفى افندى البرصلى الخطاط ، حيث لم يلزمه حكم ، ولم يتوجه عليه قصاص .. كما يفهم جميع ذلك من فحوى المسطور ، بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الاسلام ، ويزعمون أنهم يجاهدون ، وقتلهم الأنفس ، وتجاريهم على هدم البنية الانسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية ، مما سيتلى عليك بعضه بعد .

* * *

وصورة ترجمة الأوراق المذكورة :

بيان شرح الاطلاع على جسم ساری عسکر العام كلهبر

« يوم الخامس والعشرين من شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ..

« نحن الواضعون اسماءنا وخطنا فيه باش حكيم والجرايحى من اول مرتبة ، الذى صار مرتبة باش جرايحى فى غيبته ... انتهينا ، حصة ساعتين بعد الظهر ، الى بيت سارى عسكر العام فى الازبكية بمدينة مصر . وكان سبب روحتنا هو اننا سمعنا دقة الطبل وغاغة الناس التى كانت تخبر ان سارى عسكر العام كلهبر انغدر وقتل . وصلنا له فرايناه فى آخر نفس . فحصنا عن جروحاته فتحقق لنا انه قد انضرب بسلاح مدبب وله حد . وجروحاته كانت اربعة : الاول منها تحت البز فى الشقة اليمنى الثانى اوطى من الاول جنب السوة . الثالث فى الدراع الشمال نافذ من شقه لشقه . والرابع فى الخد اليمين .. فهذا حررنا البيان بالشرح فى حضور الدفتردار سارتلون الذى وضع اسمه فيه كمثلنا لاجل ان يسلم البيان المذكور الى سارى عسكر مدبر الجيوش » .

(تحريرا فى سراية سارى عسكر العام فى النهار والسنة المذكورة فى الساعة الثالثة بعد الظهر بامضاء باش حكيم وخط الجرايحى من اول مرتبة كازابياتكا) .

والدفتردار سارتلون شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس نهار تاريخه خمسة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى فى الساعة الثالثة بعد الظهر .

« نحن الواضعون اسماءنا وخطنا فيه باش حكيم وجرايحى من اول مرتبة ، الذى صار مرتبة باش جرايحى فى غيبته : انطلبنا من الدفتردار سارتلون اننا نعمل بيان شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس ، وعضو من اعضاء مدرسة العلماء فى بر مصر ، الذى انغدر هو ايضا فى جنب سارى عسكر العام كلهبر مدبر الجيوش ، ومضروب ستة امرار بسلاح مدبب وله حد . وهذا بيان الجروحات :

« الاول فى جنب الصدغ . الثانى فى الكف فى عظمة الاصبع الخنصر . الثالث بين الضلوع الشمالية . الخامس (1) فى الشدق الشمالى . والسادس فى الصدر من الشقة الشمالية وشق نحو العرق .

« ثم الى تأييد ذلك وضعنا اسماءنا وخطنا فيه برفقة الدفتردار سارتلون » .

(تحريرا فى سراى سارى عسكر مدبر الجيوش فى اليوم والشهر والسنة والساعة المرقومة اعلاه بامضاء باش حكيم وخط الجرايحى من اول مرتبة كازابياتكا) .

* * *

والدفتردار سارلتون عن :

اول فحص سليمان الحلبى

نهار تاريخه خمسة وعشرين فى شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . فى بيت سارى عسكر داماس مدبر الجيوش ... واحد فسيال من ملازمين بيت سارى عسكر العام ، حضر وبيده ماسك راجل من اهل البلد ، مدعيا أن هذا هو الذى قتل سارى عسكر العام كلهبر ، المتهوم المذكور انعرف من الستوين بروتاين المهندس الذى كان مع سارى عسكر حين انغدر ، لأنه ايضا انضرب برفقته بالخنجر ذاته ، وانجرح بعض جروحات .

« ثانيا المتهوم المذكور ، كان انشاف بين جماعة سارى عسكر من حد الجيزة ، وانوجد مخبى فى الجنينة التى حصل فيها القتل ، وفى الجنينة نفسها انوجد الخنجر الذى به انجرح سارى عسكر ، وبعض حوائج ايضا بتوع المتهوم . فحالا بدىء الفحص بحضور سارىعسكر مينو الذى هو أقدم اقرانه فى العسكر ، وتبسلم فى مدينة مصر .

(1) سقط « الرابع » من عبارة الأصل .



سليمان الحلبى

« والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا براشويش كاتم سر وترجمان سارى عسكر العام ، ومحرر من يد الدفتردار سارتلون الذى احضره سارى عسكر مينو لاجل ذلك المتهوم المذكور .

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته ... فجاوب : انه يسمى سليمان ، ولادة بر الشام ، وعمره اربعة وعشرون سنة ، ثم صنعته كاتب عربى ، وكانت سكنته فى حلب .

سئل : كم زمان له فى مصر ؟ فجاوب : انه بقى له خمسة اشهر ، وانه حضر فى قافلة وشيخها يسمى سليمان بوريجى .

سئل عن ملته .. فجاوب : انه من ملة محمد وانه كان سابقا سكن ثلاث سنين فى مصر ، وثلاث سنين اخرى فى مكة والمدينة .

سئل : هل يعرف الوزير الأعظم ؟ وهل له مدة ماشافه ؟ فجاوب : انه ابن عرب ، ومثله ليس يعرف الوزير الأعظم !

سئل عن معارفه فى مدينة مصر .. فجاوب : انه لم يعرف احدا واكثر قعاده فى الجامع الازهر . وجملة ناس تعرفه ، واكثرهم يشهدون فى مشيه الطيب .

سئل : هل راح صباح تاريخه الجيزة ؟

فجاوب : نعم ، وانه كان قاصد ينشبك كاتب عند احد ، ولكن ما قسم له نصيب .

سئل : عن الناس الذين كتب لهم امس .

فجاوب : ان كلهم سافروا .

سئل : كيف يمكن انه لم يعرف احداً من الذين كتب لهم فى الأيام الماضية ؟ وكيف يكونون كلهم سافروا ؟ فجاوب : انه ليس يعرف الذين كان يكتب لهم ، وان غير ممكن ان يفتكر اسماهم .

سئل : من هو الآخر فى الذين كتب لهم ؟ فجاوب : انه يسمى محمد مغربى السويسى بياع عرق سوس ، وانه ما كتب لاحد فى الجيزة .

سئل ثانيا عن سبب روحته للجيزة دائما . فجاوب : انه كان قاصدا أن ينشبك كاتبا .

سئل : كيف مسكوه فى جنينة سارى عسكر ؟ فجاوب : انه ما انمسك فى الجنينة بل فى عارض الطريق .

فذاك الوقت انقال له : أنه ما ينجيك الا الصحيح ، لأن عسكر الملازمين مسكوه فى الجنينة ، وفى المحل ذاته انوجدت السكينة . وفى الوقت انعرضت عليه . فجاوب : صحيح انه كان فى الجنينة ولكن ما كان مستخبى بل قاعد ، لان الخيالة كانت ماسكة الطرق ، وما كان يقدر أن يروح للمدينة ، وانه ما كان عنده سكينة ، ولم يعرف ان كان هذا موجود فى الجنينة .

سئل : لاى سبب كان تابع سارى عسكر من الصبح ؟ فجاوب : انه كان مراده فقط يشوفه .

سئل : هل يعرف حتة قماش خضرة التى باينة مقطوعة من لبسه ؟ وكانت انوجدت فى المحل الذى اتغدر فيه سارى عسكر) . فجاوب : بان هذه ما هى تعلقه .

سئل : ان كان تحدث مع احد فى الجيزة ، وفى اى محل نام ؟ فجاوب : انه ما تكلم مع ناس الا لأجل مشترى بعض مصالح وانه نام فى الجيزة فى جامع .

فاشاروا له على جروحاته التى ظاهرة فى دماغه وقيل له : إن هذه الجروحات بينت انه هو الذى غدر سارى عسكر ، لأن ايضا الستوين بروتاين الذى كان معه عرفه وضربه كم عصايه الذين جرحوه . فجاوب : انه ما انجرح إلا ساعة ما مسكوه .

سئل : هل كان تحدث نهار تاريخه مع حسين كاشف او مع مماليكه . فجاوب : إنه ما شافهم ولا كلمهم .

فلما ان كان المتهوم لم يصدق فى جواباته ، امر صارى عسكر أنهم يضربونه ... حكم عوائد البلاد ! فحالا انضرب لحد انه طلب العفو ، ووعد انه يقر بالصحيح . فارتفع عنه الضرب ، وانفكت له سواعده ، وصار يحكى من أول وجديد كما هو مشروح .

سئل : كم يوم له فى مدينة مصر ؟ فجاوب : انه له واحد وثلاثين يوما ، وانه حضر من غزة فى ستة ايام على هجين .

وسئل : لأى سبب حضر من غزة ؟ فجاوب : لاجل ان يقتل صارى عسكر العام .

سئل : من الذى ارسله لاجل ان يفعل هذا الامر ؟ فجاوب : انه ارسل من طرف اغات الينكجرية ، وانه حين رجع عساكر العثملى من مصر الى بر الشام ، ارسلوا الى حلب بطلب شخص يكون قادراً على قتل صارى عسكر العام الفرنساوى . ووعدوا لكل من يقدر على هذه المادة أن يقدموه فى الوجاقات ويعطوه دراهم . ولاجل ذلك هو تقدم وعرض روحه لهذا .

سئل : من هم الناس الذين تصدروا له فى هذه المادة فى بر مصر ؟ وهل صار واحداً على نيته ؟ فجاوب : ان ما احد تصدر له ، وانه راح سكن فى الجامع الازهر . وهناك شاف السيد محمد الغزى ، والسيد احمد الوالى ، والشيخ عبد الله الغزى ، والسيد عبد القادر الغزى الذين ساكنون فى الجامع المذكور ، فبلغهم على مراده ، فهم اشاروا عليه انه يرجع عن ذلك لان غير ممكن ان يطلع من يده ويموت فرط ، وإن كان لازم يشخصوا واحدا غيره فى قضاء هذه المادة . ثم إنه كل يوم كان يتكلم معهم فى الشغل المذكور . وان امس تاريخه قال لهم : إنه رائح يقضى مقصوده ويقتل صارى عسكر . وانه توجه الى الجيزة حتى ينظر إن كان يطلع من يده ، وان هناك قابل البواتية بتوع قنجة صارى عسكر .. فاستخبر عليه منهم إن كان يخرج برا . فسألوه : إيش طالب منه ؟ فقال لهم : إن مقصوده يتحدث معه . فقالوا له : إنه كل ليلة ينزل فى جنينته .

ثم صباح تاريخه شاف صارى عسكر معديا للمقياس ، وبعده ماشى الى المدينة ، فتبعه لحين ما غدره » .

هذا الفحص صار من حضرة صارى عسكر مينو بحضور باقى صوارى العساكر الكبار وملازمين ببيت صارى عسكر العام ، ثم انختم بامضاء صارى مينو والدفتردار سارتلون فى اليوم والشهر والسنة



كليبر

المحررة اعلاه . ثم انقرا على المتهوم وهو ايضا خط يده واسمه بالعربى سليمان ...

إمضاء : سارى عسكر عبد الله مينو . إمضاء : صارى عسكر داماس . امضاء : الجنرال والتين . امضاء : الجنرال موراند . امضاء : الجنرال مارتينه . امضاء : دفتردار البحر لروا . امضاء : الدفتردار سارتلون . امضاء : الترجمان لوماكا . امضاء : الترجمان حنا روكه . امضاء : داميانوس براشويش كاتم السر وترجمان صارى عسكر العام .

* * *

فحص الثلاثة مشايخ المتهمين

نهار تاريخه خمسة وعشرين فى شهر بريريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى فى الساعة الثامنة بعد الظهر . . حضروا فى منزل صارى عسكر العام مينو أمير الجيوش الفرنساوية : السيد عبد الله الغزى ، ومحمد الغزى ، والسيد احمد الوالى — وهم الثلاثة متهومين فى قتل سارى عسكر العام كلهبر — فسارى عسكر مينو امر بفحصهم ، فبديء ذلك حالا فى حضور بعض صوارى العساكر المجتمعين لذلك ، وبواسطة

الستوين لوماكا الترجمان ، كمـا يذكر ادناه . . .
السيد عبد الله الغزى هو الذى سئل أولا لوحده .

سئل : عن اسمه وعن مسكنه وصنعتـه ..
فجاوب : انه يسمى السيد عبد الله الغزى ، ولادة غزة ، ومسكنه في مصر في الجامع الأزهر . وهنـاك كان كاره مقرىء القرآن ، وأنه لم يعرف كم عمره ، ولكن تخمينه يجيء ثلاثين سنة .

سئل : إن كانت سكنته في الجامع الأزهـر . هل يعرف جميع الغرباء الذين يدخلونه ؟ فجاوب : انه ساكن ليل ونهار ، ويعرف الغرباء الذين فيه .

سئل : هل يعرف رجلا حضر من بر الشام من مدة شهر ؟ فجاوب : ان من مدة خمسين يوم ماشاف احدا حضر من بر الشام. فقيل له : إن رجلا من طرف عرضى الوزير — حضر من مدة ثلاثين يوما — قال : إنه يعـرفك . والظاهر انك لم تتـكلم بالصـدق . فجاوب : انه ملهى دائما في وظيفته ، وانه ما شاف احدا من بر الشام ، بل سمع أن قافلة كانت وصلت من ناحية الشرق . فقيل له ايضا : إن ناسا حضروا من بر الشام ، يقولون انهم تكلموا معـه ويعرفونه . فجاوب : ان هذا غير ممكن ، وأنهم يقابلوه مع الذى فتن عليه .

سئل : هل يعرف واحدا اسمه سليمان ، كاتب عربى ، حضر من حلب من مدة ثلاثين يوما ؟ فجاوب : لا . فقيل له : إن هذا الرجل يحقق انه شافه ، وانه اخبره ببعض أشياء لازمة . فجاوب : انه ما شافه ، وان هذا الرجل كذاب ، وانه يريد ان يموت إن كان ما يحكى الصحيح .

.. فحالا صارى عسكر نده الى محمد الغزى — الذى هو ايضا متهوم في قتل صارى عسكر — وبدىء الفحص كما يذكر :

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتـه . فجاوب : انه يسمى الشيخ محمد الغزى ، وعمـره نحو ٢٥ سنة ، وولادة غزة ، وسكن بمصر في الجامع الأزهر ، ثم صنعته مقرىء القرآن من مـدة خمس سنين . وما يخـرج من الجامع إلا لـكى يشترى ما ياكل .

سئل : هل يعرف الغرباء الذين يجيئون يسكنون في الجامع ؟ فجاوب : أن في بعض الأوقات يحضر ناس غرباء . وأما البواب فهـو الذى يقارشـهم . ومن قبله ينـام بعض ليـالى في الجامع ، والبعض في بيت الشيخ الشرقاوى .

سئل : هل يعرف رجلا يسمى سليمان حضر من بر الشام من مدة ثلاثين يوما ؟ فجاوب : انه لم يعرفه ، وانه غير ممكن ان يشوف كل الناس ، لأن الجامع كبير قوى .

سئل انه يحكى على الذى تكلم به معه سليمان ، فان المذكور يحقق انه تكلم معه في الجامع . فجاوب : انه يعرفه من مدة ثلاث سنين ، وانه كان عنده خبر انه راح مكة . واما من بعده ما شافه ، ولم يعـرف إن كان رجع ام لا ؟

سئل : هل السيد عبد الله الغزى يعرفه ايضا ؟ فجاوب : نعم . فقيل له : محقق ان امس تاريخه سليمان المذكور تحدث معـه حصة طيبـة ، وان الشواهد موجودة . فجاوب : ان هذا صحيح .

سئل : لأى سبب كان بدا يقول إنه ما شافه ؟ فجاوب : ان تخمينه ما قال هذا ، وان الترجمـين غلطوا .

سئل : هل سليمان المذكور ما بلغـه عن شىء مذنب قوى ؟ وتحقيقا لذلك معلوم عنـدنا انه كان قصده يحوشه .. فجاوب : انه لم يعرف هـذا الأمر ، وان سليمان المذكور راح وجاء كام مرة الى مصر ، وبقى له هنا مقدار شهر . فقيـل له : إنه موجود شـواهد أن سليمان المذكور كان اخبره ان مراده أن يغدر صارى عسكر العام ، وانه أراد ان يمنعه . فجاوب : انه ما بلغه عن هذا الامر ، بل أمس تاريخه قال له : انه رائح ، ويمكن أن ما بقى يرجع .

فبعده احضرنا عبد الله الغزى لأجل يتفحص ثانيا كما يذكر ادناه .

سئل : لأى سبب قال إنه لم يعرف سـليمان الحلبى حين سألوه عنه . بحيث إن موجودة شواهد ان هذا له في مصر واحد وثلاثون يوما ؟ وانه تقـابل وإياه جملة مرار ، وتحدث معه اكثر الايام ؟ فجاوب . حقا انه لم يعرفه .

سئل : هل يعرف واحدا يسمى محمد الغزى ، الذى هو مثله مقرىء القـرآن في جامع الأزهر ؟ فجاوب : نعم .

سئل السيد عبد الله المذكور : لأى سبب انكر ذلك ؟ فجاوب : انهم لخبطوا عليه السؤال ، وان هذا الوقت بحيث إنهم سألوه عن سليمان الذى من حلب ، فيقر انه يعرفه . فقيل له : إنه معلوم عندنا انه شافه مرارا كثيرة ، وتحدث معه . فجاوب : انه بقى له ثلاثة ايام ما شافه .

سئل : هل إنه ما قصد يمنعه عن قتل سارى عسكر العام ؟ فجاوب : انه ما قال له ابدا على هذا الأمر ، وانه لو كان بلغه منه ذلك ، كان منعــه بكل قدرته .

سئل : لأى سبب ما يحكى الصحيح .. بحيث إنه موجودة عليه شواهد ؟ فجاوب : انه غير ممـكن يوجد عليه شواهد ، وانه ما شاف سليمان المذكور إلا لأجل أن يسلموا على بعض حين تقابلوا .

سـئل : هل سليمان ما اخبره ابدا عن سبب مجيئه إلى مصر ؟ فجاوب : حاشا .

فبعد ذلك اخروا الاثنين المذكورين ، واحضروا السيد احمد الوالى الذى هو متهوم ، وســئل كما يذكر .

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته ... فجاوب : انه يسمى السيد احمد الوالى ، ولادة غزة ، وصنعته مقرى القرآن فى الجامع الأزهر من مدة عشر سنين ، ولم يعرف كام عمره .

سئل : هل يعرف الغـــرباء الذين يدخلون فى الجامع ؟ فجاوب : ان وظيفته يقرا ولا يتنبـه الى الغرباء . فقيل له : إن بعض الغرباء الذين حضروا هناك عن قريب يقولون إنهـم شافوه فى الجامــع ، فجاوب : انه ما شاف احدا .

سئل هل شاف رجلا حضر من بر الشام من طرف الوزير ، وهذا الرجل قال إنه يعـرفه ؟ . . فجاوب : لا ، وإن كان يقدروا يحضروا هذا الرجل حتى يقابله .

سئل هل يعرف سليمان الحلبى ؟ فجاوب : إنه يعرف واحداً يسمى سليمان الذى كان يروح يقرأ عند واحد أفندى ، وكان طالب انه يستقيم فى الجامع ، وان هذا الرجل قال : إنه من حلب ، ومن مدة عشرين يوما كان شافه وبعدها ما قابله . ثم كان قال له : إن الوزير فى يافا وان عساكره ما كان عندهم دراهم ، وكانوا يفوتوه .

سئل : هل هذا الرجل المذكور ماهو تحت حمايته ؟ فجاوب : انه لم يعرفه طيبا حتى يضمنه .

سئل : هل الاثنـان الآخران المتهومان معارفه ؟ وهل ان الثلاثة تحدثوا ســواء عن قريب ام أمس تاريخه مع سليمان المذكور ؟ فجاوب : لا ، بل انه يعرف ان سليمان المذكور كان حضر لزيارة الجامع ، وانه وضع فى الجامع جملة اوراق مضمونها : انه كان قوى متعبدا لخالقه .

سئل : هل المذكور امس أيضا ما وضع أوراقا فى الجامع ؟ فجاوب : ان ماعنده خبر بذلك .

سئل : هل ما منع سليمان عن فعل ذنب بليغ ؟ فجاوب : انه ابدا ماحدثه بهذا الشيء ، ولكن قال له : إن مراده يفعل شيء جنون ، وانه عمل كل جهده حتى يرجعه .

سئل : إيش هوه الجنان الذى قاصـد يعمـله وحدثه عليه ؟ فجاوب : إنه قال له انه كان مـراده يغازى فى سبيل الله ، وان هذه المغازاة هى قتل واحد نصرانى ، ولكن ما أخبره باسمه ، وانه قصد يمنعه بقوله : إن ربنا اعطى القوة للفرنساوية ما احد يقدر يمنعهم حكم البلاد !

فبعد هذا المتهوم المذكور انشال لمحله . وهـذا الفحص تحتم بحضور صوارى العساكر المجموعين بامضاء صارى عسكر مينو والدفتردار سارتلون الذى هو ذاته حرر هذا الفحص بأمر صارى عسكر مينو . ثم بعد قراءته على المتهومين . . . وضعوا أسماءهم وخطهم بالعربى .

تحريرا فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ..
ثلاثة امضاءات بالعربى . امضاء سارى عسكر مينو . امضاء الدفتردار سارتلون . امضاء الترجمان لوماكا .

* * *

سارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوية بمصر :

((تاسيس))

المادة الأولى ـــ ان ينشأ ديوان قضاة لأجل أن يشرعوا على الذين غدروا سارى عسكر العام كلهبر فى اليوم الخامس والعشرين من شهر بوريال .

المادة الثانية ـــ القضاة المذكورون يكونوا تسعة . وهم : صارى عسكر رينيه ، صارى عسكر فريانت ،



رينيـه

صارى عسكر روبين ، الجنرال موراند ، رئيس العمارة بريراند ، الوكيل رجنيه ، دفتردار البحر لرو ، والدفتردار سارتلون فى وظيفة مبلغ ، والوكيل لبهر فى وظيفة وكيل الجمهور .

المادة الثالثة — القضاة المذكورون ينظر لهم كاتم سر .

المادة الرابعة — القضاة المذكورون مفوضون الامر فى الكشف والتفتيش وحوش كل من يريدوا ، حتى إنهم يطلعوا على الذين لهم حصة فى الذنب المذكور ، او يكون عندهم خبره .

المادة الخامسة — القضاة المذكورون يتفقوا على العذاب اللائق الى موت القاتل ورفقائه .

المادة السادسة — القضاة المذكورون يجتمعوا من نهار تاريخه الذى هو السادس والعشرون من شهر برريال لحد خلاص الشريعة المذكورة .

إمضاء سارى عسكر مينو :

وهذه نسخة من الأصل . إمضاء : الجنرال رنة كتخدا مدبر الجيوش .

* * *

شرح اجتماع القضاة فى السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى

فى اليوم السادس والعشرين من شهر برريال — حكم امر صارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوى ، المحرر فى نهار تاريخه — اجتمعوا فى بيت صارى عسكر : رينيه المذكور ، وصارى عسكر روبين ، ودفتردار البحر لرو ، والجنرال مارتينه — عوضا عن صارى عسكر فرياند ، حكم امر صارى عسكر مينو — ثم الجنرال موراند ، ورئيس العسكر جرجه ، ورئيس العمارة بريراند ، ورئيس المدافع فاور ، والوكيل رجنيه ، والدفتردار سارتلون فى رتبة مبلغ ، والوكيل لبهر فى وظيفة وكيل الجمهور ... لاجل قضاء شريعة قتل صارى عسكر العام كلهبر ، الذى اتغدر امس تاريخه .

القضاة المذكورون اجتمعوا مع شيخهم صارى عسكر رينيه ، وعلى قرار امر صارى عسكر مينو المشروح اعلاه ، وحكم المادة الثالثة المحررة فيه ... استخصوا كاتم السر لهم الوكيل بينه الذى حلف كما هى العوائد ولزم وظيفته . ثم القضاة المذكورون وكلوا صارى عسكر رينيه والمبلغ الدفتردار سارتلون فى التفتيش والحبس لكل من اكتشفوا عليه حكم ما هو محرر فى المادة الرابعة المحرره اعلاه . وهكذا لكى يظهروا رفقاء القاتل ، ثم ان السكينة التى وجدت مع القاتل حين انمسك ، تبقى عند كاتم السر لاجل يظهرها فى الوقت الذى يلزم . ثم وعدوا المجلس لصباح تاريخه فى الساعة الرابعة « قبل ! » الظهر ، ثم حرروا خط يدهم مع كاتم السر .

امضاء الوكيل رجنيه . امضاء رئيس العمار بريراند . امضاء رئيس المدافع فاور . امضاء رئيس العسكر جرجه . امضاء الجنرال موراند . امضاء الجنرال مارتينه . امضاء دفتردار البحر لرو . امضاء صارى عسكر روبين . امضاء صارى عسكر رينيه . امضاء كاتم السر بينه .

إقرار الشهود

نهار تاريخه فى ستة وعشرين شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى .. نحن الواضعون اسماءنا فيه : الدفتردار سارتلون ، المسمى من حضرة صارى عسكر العام مينو امير الجيوش ، فى وظيفة مبلغ ... حكم الأمر الذى خرج من طرفه ، انتشار القضاة فى شرع القاتلين صارى العسكر العام كلهبر ، والسيتوين بينه المسمى من القضاة المذكورين فى مرتبة كاتم السر :
إنه حضر بين يدنا يوسف برين عسكرى خيال من الطبجية الملازمين بيت صارى عسكر العام ، وقال لنا هو ورفيقه خيال ايضا يسمى روبرت : مسكوا المسلم سليمان المتهوم فى غدر صارى عسكر العام ، وانهم وجدوه فى الجنينة التى معمول فيها الحمامان الفرنساويان الملتزقان بجنينة صارى عسكر ، وانهم راوه مخبا بين حيطان الجنينة المهدودة ، وان الحيطان المذكورة كانت ملغمطة بدم فى بعض نواحى ، وان سليمان المذكور كان ايضا ملغمطا بدم ، وانهم مسكوه فى هذه الحالة ، وان بعده التزموا يضربوه بالسيف لاجل يمشوه . ثم برين المذكور قال: إن بعد حوشة سليمان بساعة فى الموضع ذاته الذى كان مخبا فيه ، شاف سكينة بدمها ، وانه سلم السكينة فى بيت سارى عسكر العام . . . فقرينا إليه إقراره هذا ، وسالناه .. هل فيه شيء زائد ام ناقص ؟ فجاوب : ان هذا كل الذى فعله وعاينه . ثم حرر خط يده معنا ..

إمضاء : برين الخيال . إمضاء : سارتلون . إمضاء : كاتم السر بينه .

* * *

ثم حرر ايضا بين ايدينا الشاهد الثانى ، وهو السيتوين روبرت الخيال احد الطبجية الملازمين ، وقال : انه حين كان يفتش على الذى قتل صارى عسكر ... دخل فى الجنينة التى فيها الحمامان

الفرنساويان لزق جنينة صارى عسكر العام . وهناك شاف — برفقة برين المذكور — سليمان الحلبى مستخبى فى ركن حيطان مهدودة ، وكان ملغمط دم ، وفى راسه شرموطة زرقاء . وان فى هذه الحالة عرفت أن هذا هو القاتل ، وأن الحيطان التى كان فات عليها كانت أيضا ملغمطة دم ، وأن حين مسكوه بان منه وهم ، وأن بعد حوشته بساعة شاف — برفقة الستوين برين فى الموضع ذاته — سكينة بدمها ، وانهم سلموها فى بيت صارى عسكر العام . والسكينة المذكورة كانت مخبية تحت الأرض ... نقرانا عليه إقراره هذا ، ثم سألناه إن كان ما فيه زائد أم ناقص ؟ فجاوب : ان هذا هو الذى فعله وشافه . ثم حرر خط يده معنا .

(حرر بمدينة مصر فى النهار والشهر والساعة المحررة أعلاه . .

امضاء : روبرت الخيال . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

* * *

« أنا الدفتردار سارتلون المبلغ ، رحت الى بيت السيتوين بروتاين ، لأنه كان راقدا بسبب جروحاته ، ثم استلمت منه التبليغ الآتى أدناه :

« أنا حنا قسطنطين بروتاين ، المهندس وعضو من أعضاء مدرسة العلم فى بر مصر ... انني كنت أتمشور تحت التكعيبة الكبيرة التى فى جنينة صارى عسكر وتطل على بركة الأزبكية ، وكنت برفقة صارى عسكر العام ، فنظرت رجلا لابسا عثملى خارج من مبتدأ التكعيبة من جنب الساقية . فأنا كنت بعيد كام خطوة عن سارى عسكر أنادى على الغفراء ، فانتبهت لأجل أشوف السيرة ... رايت ان الرجل المذكور يضرب صارى عسكر بالسكينة ذاتها كام مرة ، فارتميت على الأرض .

« وفى الوقت سمعت صارى عسكر يصرخ ثانيا ؟ بهميت ورحت قريبا من صارى عسكر ، فرايت الرجل يضربه فهو ضربنى ثانيا كام سكينة التى رمتنى وغيبت صوابى وما عدت نظرت شيئا . غير انني أعرف طيب اننا قعدنا مقدار ستة دقائق قبل ما أحد يسعفنا » .

فبعده قريت هذا الاقرار على السيتوين بروتاين وسألته : هل فيه زائد أم ناقص ؟ فجاوب : ان هذا الذى فعله وعاينه . ثم حرر خط يده معنا .

امضاء : بروتاين . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

والسيتوين بروتاين ، بعدما ختم الورقة أعلاه ؟ قال : « إن مقصوده يضيف عليها أن بعد غدر سارى



مصرع كليبر

عسكر بزمان قليل ... حين شاف سليمان الحلبى الذى هو متهوم فى غدره وغدر صارى عسكر العام . . عرفه انه هو ذاته الذى كان ضرب صارى عسكر وبعده ضربه سليمان المذكور كام سكينة غيبت صوابه . فقرينا عليه أيضا هذه الاضافة ، فجاوب : أنها حاوية الحق وما فيها زائد ولا ناقص ، ثم ختمها معنا .

امضاء : بروتاين . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

* * *

نهار تاريخه ستة وعشرين فى شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . . أنا الواضع اسمى فيه مبلغ القضاة المأمور فى شرع قتلة صارى عسكر العام كلهبر : ذهبت الى مساعدين صارى عسكر المذكور لأجل أن أسمع إقرارهم ، ثم كان معى كاتم السر بينه ، وهم قالوا لنا كما يذكر أدناه :

السيتوين فورتونه دهوج ابن أربعة وعشرين سنة فسيال فى طابور الخيالة ، ومساعد عند صارى عسكر كلهبر . قال : « إنه فى اليوم الخامس والعشرين من شهر برزيال ، كان مع صارى عسكر العام حين حضر الى الازبكية يشوف بيته الذى كان داير فيه العمارة ، وانه شاف رجلا بعمة خضراء ودلق وحش ، وكان دائما تابع صارى عسكر حين كان دائر يتفرج على المحلات . وأنه هو وخلافه حسبوا هذا الرجل من جملة الفعلة ، فما أحد ساله . ولكن حين نزل صارى عسكر من بيته الى الجنينة لأجل ينفذ الى جنينة صارى عسكر داماس . . السيتوين دهوج

شاف الرجل المذكور مدسوس بين جماعة صارى عسكر ، فنهره وطرده برا . فبعد ساعتين — حين انقدر سارى عسكر — السيتوين دهوج المذكور عرف دلق الخائن ، لأنه كان رماه جنب سارى عسكر . وبعده ، حين انمسك الرجل ، فعرفه انه هو الذى قبل بشوية طرده من الحنينة . ثم قرىء هذا المضمون على السيتوين دهوج المذكور لأجل بيان : هل يوجد شىء خلافه يزيد ام ينقص ؟ فجاوب : ان هذا الحق حكم ما عاين وفعل . ثم حرر خط يده مع كاتم السر ..

تحريرا فى اليوم والشهر والسنة المحررة اعلاه ..

إمضاء : السيتوين دهوج . إمضاء : سارتلون .

إمضاء بينه كاتم السر .

* * *

ثانى فحص سليمان الحلبى

نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . نحن الواضعون اسماءنا فيه : الدفتردار سارتلون برتبة مبلغ ، والوكيل بينه فى رتبة كاتم سر القضاة المنقامين الى شرع كل من هو متهوم فى غدر صارى عسكر العام كلهبر :

احضرنا سليمان الحلبى لأجل نسأله من اول وجديد عن صورة غدر وقتل صارى عسكر . وهذا صار بواسطة السيتوين براشويش ، كاتم سر وترجمان صارى عسكر العام ، كما يذكر ادناه :

سئل المذكور عن قصة سارى عسكر . . فجاوب : انه حضر من غزة مع قافلة حاملة صابون ودخان ، وانه كان راكب هجين ، وبحيث ان القافلة كانت خائفة ان تنزل بمصر . . توجهت الى ريف يسمى الغيطة فى ناحية الالفية . وهناك استكرى حمارا من واحد فلاح ، وحضر لمصر . ولكن لم يعرف الفلاح صاحب الحمار . ثم إن احمد اغا ، وياسين اغا — من اغوات الينكجرية بحلب — وكلوه فى قتل صارى عسكر العام ، بسبب انه يعرف مصر طيب . . بحيث إنه سكن فيها سابق ثلاث سنوات ، وانهم كانوا وصوه انه يروح ويسكن فى الجامع الأزهر ، وان لا يعطى سره لأحد كليا ، بل يوعى لروحه ، ويكسب الفرصة فى قضاء شغله ، لأنها دعوة تحب السر والنباهة . ثم يعمل كل جهده حتى يقتل صارى عسكر . . لكن حين وصل الى مصر ، التزم يسارر الأربعة مشايخ الذين اخبر عنهم ، لأنه لو كان ما قال لهم ، فما كانوا يسكنونه فى الجامع ، وانه كان كل يوم يتحدث معهم فى هذا الأمر ، وأن المشايخ المذكورين قصدوا يغيروا عقله عن هذا الفعل بقولهم : إنه ما يقدر عليه ، وهو ما دعاهم لمساعدته ، لأنه كان يغرفهم بليدين ، وأن اليوم الذى قصد التوجه فيه ليقتل صارى عسكر ، قابل احدهم — الذى هو محمد الغزى — فعرفه ان مقصوده ان يتوجه الى الجيزة ليفعل هذا الغدر ، وأن تحمينه انه مثل المجنون من حين اراد ان يقضى هذا الأمر ، لأنه لو كان له عقل ما حضر من غزة لهذا الأمر . وان الأوراق التى وضعها هى بعض آيات من القرآن ، لأنه عوائد الكتبة اولاد العرب . . . وضعوا ذلك فى الجامع ، وانه ما اخذ دراهم من احد فى مصر ، لان الأغوات كانوا اعطوا له كفايته . وان الأفندى الذى كان يروح يقرا عنده يسمى مصطفى افندى . وكان يقرا عليه نهار الاثنين والخميس تبع العادة . . ولكن ما اخبره بسر ، خوفا أن ينشهر . واما من قبل الأربعة مشايخ المذكورين صحيح انه كان قال لهم كل شىء ، لانهم من اولاد بلاده . ثم حقق لهم انه ناوى أن يغازى فى سبيل الله .

سئل : اين كان هو حين رجع الوزير من بر مصر فى ابتداء شهر جرمنيال ، الموافق لشهر الاسلام ذى القعدة ؟ فجاوب : انه كان فى القدس حاجج من حين كان الوزير اخذ العريش .

سئل : اين شاف احمد اغا ، الذى يقول إنه عرض عليه مادة قتل صارى عسكر ، وفى اى يوم قال له ذلك ؟ فجاوب : انه حين انكسر الوزير رجع الى العريش وغزة فى اواخر شهر شوال او فى اوائل شهر ذى القعدة — الموافق لشهر جرمنيال الفرنساوى — وان احمد اغا المذكور هو من جملة اغوات الوزير ، ولكن كان رسم عليه فى غزة من حين اخذ العريش ، وحين رجع ارسله الى القدس فى بيت المتسلم . ثم إنه يوم وصوله توجه سلم عليه فى بيت المتسلم ، وشكا له من ابراهيم باشا متسلم حلب الذى كان يظلم اباه ، الذى يسمى الحاج محمد امين ، بياع سمن ، وحططوه غرامات زائدة . ومن الجملة واحدة قبل سفر الوزير من الشام . ثم وقع فى عرضه بشأن ذلك . . ثم إنه رجع عند احمد اغا ثانى يوم ، وان الاغا فى وقتها قال له : إنه محب ابراهيم باشا ، وإنه ما يقصر ويوصيه فى راحة ابيه ، ولكن بشرط انه يروح يقتل امير الجيوش الفرنساوية .

ثم فى ثالث ورابع يوم كرر عليه أيضا هذا السؤال ، وحالا ارسله إلى ياسين اغا فى غزة لأجل ان يعطى له مصروفه ، وانه من بعد هذا الكلام باربعة ايام سافر من القدس الى الخليل ، وهناك قعد كام

يوم ، وما وصله ولا مكتوب من احمد اغا . واما احمد اغا المذكور كان ارسل خداما الى غزة لأجل يخبر ياسين اغا بالذى اتفقوا عليه .

سئل : كام يوم قعد فى الخليل ؟ فجاوب : عشرين يوما .

سئل : لأى سبب قعد عشرين يوما فى الخليل ؟ وهل فى هذه المدة ما وصله مكاتيب من الاثنين الأغوات ؟ فجاوب : أن السكة كانت ملآنة عرب ، وانه خائف منهم ، فالتزم يستنظر سفر القافلة التى سافر برفقتها ، وانه كان فى غزة فى أواخر شهر ذى القعدة ، الموافق لغرة فلوريال الفرنساوى .

سئل : إيش عمل فى غزة ؟ وإيش قال له ياسين اغا ؟ فجاوب : أن ثانى يوم وصوله راح شاف الأغا ، والمذكور قال له : إنه يعرف الشغل الذى هو سبب مشواره هذا . وانه اسكنه فى الجامع الكبير . وهناك مرار عديدة كان يروح يشوفه ليلا ونهارا ، ويتحدث معه فى هذا الأمر ، ووعده انه يرفع الغرائم عن ابيه ، وانه دائما يجعل نظره عليه فى كل ما يلزمه . ثم بلغه عن كل الذى كان لازم يفعله ، كما شرح أعلاه . وهذا صار سرا بينهم . ثم اعطى له أربعين قرشا لمصروف السفر . وبعد عشرة أيام سافر من غزة راكب هجين ، ووصل هنا بعد ستة أيام ، كما عرف سابقا ، وان سفره من غزة كان فى أوائل شهر ذى الحجة ، الموافق إلى نصف شهر فلوريال الفرنساوى ، فبقى باين انه جين غدر صارى عسكر كان له واحد وثلاثون يوما فى مدينة مصر .

سئل : هل يعرف الخنجر المغمط دم ، الذى قتل به صارى عسكر ؟ فجاوب : نعم يعرفه .

سئل : من اين احضر هذا الخنجر ؟ وهل احد من الأغوات أعطاه له ، ام احد خلافهم ؟ فجاوب : انه ما احد اعطاه له ، وإنما بحيث إنه كان قاصد قتل صارى عسكر ، توجه الى سوق غزة واشترى أول سلاح شافه .

سئل : هل إن احمد اغا ، أو ياسين اغا ... ما حدثاه أصلا عن الوزير ، وعشموه بشيء من طرفه إن كان يقدر يقتل صارى عسكر ؟ فجاوب : لا ، بل إنهم ذاتهم وعدوه انهم يساعدوه فى كل ما يلزمه إن كان يخرج هذا الشيء من يده .

سئل : هل إن الوزير نادى فى تلك النواحي بقتل الفرنساوية ؟ فجاوب : انه لا يعلم ، بل يعرف ان الوزير كان ارسل طاهر باشا لأجل يعين الذين كانوا بمصر . وانه رجع حين شاف العثملى مقبلين لبر الشام من مصر .

سئل : هل هو فقط الذى توكل فى هذه الارسالية؟ فجاوب : ان تخمينه هكذا ، لأن هذا الكلام قد حصل سرا ما بينه وبين الأغوات .

سئل : كيف كان يعمل حتى إنه كان يعرف الأغوات بالذى فعله ؟ فجاوب : انه كان قصده يروح هو بنفسه يخبرهم ، أو يرسل لهم حالا ساعى .

فبعد خلاص الفحص المذكور ، انقرا على المتهوم ، وهو حرر خط يده مع المبلغ وكاتم السر والترجمان .

حرر بمصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه .

امضاء : سليمان الحلبى بالعربى . امضاء : كاتم السر بينه .

* * *

مقابلة المتهمين مع بعضهم

نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ...

أنا الواضع اسمى فيه ، مبلغ القضاة المنقامين لشرع كل من هو متهوم فى قتل صارى عسكر العام كلهبر :

احضرنا الشيخ محمد الغزى لأجل نجدد فحصه ، ونقابله مع سليمان الحلبى قاتل صارى عسكر . ولهذا كان موجود معنا السيتوين بينه كاتم سر القضاة المذكورين ، وصار كما يذكر ادناه :

سئل الشيخ محمد الغزى : هل يعرف سليمان الحلبى الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل سليمان الحلبى : هل يعرف الشيخ محمد الغزى الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل محمد الغزى : هل إن سليمان الحلبى ما قال له من قيمة واحد وثلاثين يوما إنه حضر من بر الشام من طرف احمد اغا وياسين اغا لاجل يقتل صارى عسكر العام ؟ وهل كل يوم ما حدثه فى هذا الشغل ، حتى إنه فى آخر يوم قال له إنه رائح الى الجيزة حتى يغدر صارى عسكر ؟ فجاوب : ان هذا ما له أصل .. لكن حين شافوا بعضا وقع بينهم سلام فقط . ومن قبل آخر يوم الذى نوى فيه سليمان على الرواح الى الجيزة .. جاب له ورق وحبر ، وقال له : إنه ما يرجع إلا غدا .. فقيل : إنه ما يخبر بالصحيح ، لأن سليمان يحقق انه اخبره بهذه السيرة كل يوم ، وأن عشية قبل غدر صارى

صدر كان قال له : إنه رائح لقضاء هذا الأمر .
فجاوب : ان هذا الرجل يكذب .

سئل : هل كان يروح مرارا عديدة يبيت عند الشيخ الشرقاوى ؟ وهل فى الأيام الأخيرة ما راح بات عنده ؟ فجاوب : أن من حين دخول الفرنساوية ما راح أبدا بات عنده . وأما قبل دخول الفرنساوية، كان يبيت عنده بعض مرار . فقيل له : إنه ما يحكى الصحيح ، لأن فى فحص امس قال : إنه كان يروح مرارا عديدة يبيت عند الشيخ الشرقاوى . فجاوب : أنه ما قال ذلك .

سئل سليمان الحلبى : هل يقدر يثبت على الشيخ محمد الحاضر بانه كل يوم كان يخبره على نيته فى قتل صارى عسكر ، وخصوصا عشية النهار الذى صباحه صار القتل ؟ فجاوب : نعم ، وانه ماقال إلا الصحيح ...

وان الشيخ محمد الغزى ما كان يقر بالحق ، امرنا بضربه ، كعادة البلد ! فحالا انضرب لحد انه طلب العفو ، ووعد انه يحكى على كل شيء ... فارتفع عنه الضرب .

سئل : هل سليمان اخبره على ضميره فى قتل صارى عسكر ؟ فجاوب : ان سليمان كان قال له إنه حضر من غزة لأجل أنه يغازى فى سبيل الله بقتل الكفرة الفرنساوية ، وانه منعه عن ذلك بقوله : إنه يحصل له من ذلك ضرر ، وما عرفه أنه مراده يغدر صارى عسكر إلا الليلة التى راح فيها إلى الجيزة . وصباحها قتله .

سئل : لأى سبب ما حضر اخبرنا على سليمان المذكور ؟ فجاوب : انه ابدا ما كان يصدق ان واحدا مثل هذا يقدر على قتل سارى عسكر ، الذى الوزير بذاته ما قدر عليه !

سئل : هل اخبر بالذى قال له عليه سليمان لاحد من المدينة ، وخصوصا إلى الشيخ الشرقاوى ؟ فجاوب : أنه ما أخبر احدا بذلك . وحتى إذا وضعوه تحت القتل ما يقول بذلك .

سئل : هل يعرف احدا خلاف سليمان حضر لأجل غدر الفرنساوية ؟ واين هم قاعدين ؟ فجاوب : إنه ما يعرف ، وأن سليمان ما قال له على احد .

سئل سليمان المذكور ، انه يشهر رفقاءه .
فجاوب : أنه لم يعرف احدا فى مصر ، وأن تخمينه ما فيه غيره الذى قاصد قتل الفرنساوية .

فبعد هذا صرفنا محمد الغزى المذكور لحبسه ، وابقينا سليمان لأجل تقابله مع السيد احمد الوالى الذى حالا احضرناه لأجل ذلك .

سئل : هل يعرف سليمان الحلبى الموجود ههنا ؟
فجاوب : نعم .

سئل ايضا سليمان : هل يعرف السيد أحمد الوالى الموجود ههنا ؟ فجاوب هو ايضا : نعم .

سئل السيد أحمد الوالى : هل إن سليمان ما اخبره على نيته فى قتل صارى عسكر ، وخصوصا فى العشية التى قصد بها التوجه لذلك ؟ فجاوب : إن سليمان ، حين وصل من مدة ثلاثين يوما ، كان قال له إنه حضر حتى يغازى فى الكفرة ، وانه نصحه عن ذلك بقوله : إن هذا شيء غير مناسب . وما اخبره على سيرة صارى عسكر .

سئل سليمان المذكور انه يبين هل حدثه أحمد الوالى فى قتل صارى عسكر . وكم يوم له ما حدثه ؛ فجاوب : ان فى اوائل وصوله قال له : إنه حضر بقصد الغزو فى الكفار ، وان السيد احمد ما رضى له بذلك . ثم بعد ستة ايام أخبره على نيته فى قتل صارى عسكر ، ومن بعد ماعاد حدثه بذلك . وقبل الغدر باربعة أيام ما كان قابله . فقيل للسيد احمد الوالى : إنه لم يصدق فى قوله لانه ينكر ان سليمان ما اخبره بانه كان ناوى بقتل صارى عسكر .
فجاوب : الآن ، لما فكره سليمان ، افتكر أنه أخبره .

سئل : لاى سبب ما اشهر سليمان المذكور
فجاوب : إنه ما اشهره لسببين : الأول انه كان يخمن انه يكذب . والثانى : ما كان مستعنيه فى فعل ماده مثل هذه .

سئل : هل سليمان ما عرفه برفقائه ؟ وهل هو ما تحدث مع احد بذلك ، وخصوصا مع شيخ الجامع الذى هو ملزوم يخبره بكل مايجرى ؟ فجاوب : ان سليمان ما قال له على رفقائه ، وهو ما اخبر بذلك احدا ، ولا ايضا شيخ الجامع .

سئل : هل يعرف الأمر الذى خرج من صارى عسكر العام بان كل من شاف عنملى فى البلد يخبر عنه ؟ فجاوب : انه ما درى بذلك .

سئل : هل سكن سليمان بالجامع لسبب انه قال له على مراده فى قتل صارى عسكر ؟ فجاوب : لا ... لان كل اهل الاسلام تقدر تسكن فى الجامع .

سئل سليمان : هل إنه ماقال بانهم ماكانوا يريدوا يسكنوه لولا انه قال لهم على سبب مجيئه لمصر ؟
فجاوب : إن كامل الغرباء لازم يخبروا عن سبب حضورهم . واما هو يقول الحق إن ما احد من المشايخ ارتضى على مقصوده .

فبعد هذا ارسلنا السيد احمد الوالي الى حبسه .
وبقى سليمان الحلبي لأجل مقابلة السيد عبد الله الغزى الذى احضرناه فى الحال .

سئل سليمان : هل يعرف السيد عبد الله الغزى الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل السيد عبد الله الغزى : هل يعرف سليمان الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل السيد عبد الله الغزى : هل ما بلغه نية سليمان فى قتل سارى عسكر ؟ فجاوب واقر : ان يوم حضور سليمان عرفه انه حضر يغازى فى الكفرة ، وانه مراده يقتل صارى عسكر ، وانه قصد يمنعه عن ذلك .

سئل : لاى سبب ما شكاه ؟ فجاوب : انه كان يظن ان سليمان المذكور يتوجه عند المشايخ الكبار ، وان المذكورين كانوا يمنعوه . ولكن من الآن صار يخبر بالذين يحضرون بهذه النية .

سئل : هل يعرف ان سليمان اخبر احدا خلافه فى مصر ؟ فجاوب : ان ما عنده علم بذلك .

سئل : هل يعرف أن موجود بمصر ناس خلاف سليمان متوكلين فى قتل الفرنساوية ؟ فجاوب : ان ما عنده خبر . وأن تخمينه لم يوجد احد .

فبعد ذلك انقرا هذا الفحص على الاربعة المتهومين ، وهم . سليمان الحلبى ، ومحمد الغزى ، والسيد احمد الوالى ، والسيد عبد الله الغزى . . . وسالوهم هل جواباتهم هذه صحيحة ، ولا فيها زائد ولا ناقص ؟ فاربعتهم جاوبوا : لا . ثم حرروا خط يدهم معنا بالعربى ، برفقة الاثنين المترجمين ، وكاتم السر .

حرر بمدينة مصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة اعلاه .

امضاء : المتهومين بالعربى . امضاء : الترجمان لوكاما . امضاء : دميا سومر براشويش ، كاتم السر ، وترجمان صارى عسكر العام . امضاء : المبلغ سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

بعد خلاص الفحص المشروح اعلاه . . . انا المبلغ سارتلون سألت الاربعة المتهومين المذكورين انهم يختاروا لهم واحد ليتكلم عنهم قدام القضاة ويحامى عنهم . والمذكورون قالوا : إن ماهم عارفون من يختاروا . فاورينا لهم الترجمان لوماكا ، لاجل يمشى لهم فى ذلك .

* * *

بيان فحص مصطفى افندى

نهار تاريخه ستة وعشرين شهر بريريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . انا المبلغ سارتلون ، وبينه كاتم سر القضاة . . المنتشرين لشرع كل من كان له جرة فى قتل سارى عسكر العام كلهبر . احضرنا مصطفى افندى لكى نفحص منه على الذى قد حصل .

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته . فجاوب : بانه يسمى مصطفى افندى ، ولادة برصة فى بر اناضول ، وعمره واحد وثمانون سنة ، وساكن فى مصر . ثم صنعته معلم كتاب .

سئل : هل من مدة شهر شاف سليمان الحلبى ؟ فجاوب : ان هذا الرجل مشدوده من مدة ثلاث سنين ، وانه من مدة عشرة أو عشرين يوما حضر عنده وبات ليلة . ومن حيث إنه رجل فقير قال له : يروح يفتش له على محل غيره .

سئل : هل سليمان المذكور ما اخبره انه حضر من بر الشام حتى يقتل صارى عسكر العام ؟ فجاوب : لا ، بل حضر عنده ليسلم عليه فقط لكونه معلمه من قديم .

سئل : هل سليمان ما عرفه عن سبب حضوره لهذا الطرف ؟ وهل هو نفسه ما استخبر عن ذلك ؟ فجاوب : ان كل اجتهاده كان فى انه يصرفه من عنده بحيث إنه رجل فقير ، بل ساله عن سبب حضوره ، فاخبره لاجل يتقن القراءة .

سئل : هل يعرف بان سليمان راح عند ناس من البلد ، وخصوصا عند احد من المشايخ الكبار ؟ فجاوب : انه لا يعرف شيئا لانه ما شافه إلا قليلا ، وانه لم يقدر يخرج كثيرا من بيته بسبب ضعفه وكبره .

سئل : هل إنه ما يعلم القرآن إلا مشاديده ؟ فجاوب : نعم .

سئل : هل إن القرآن يرضى بالمغازاة ويامر بقتل الكفرة ؟ فجاوب : انه ما يعرف إيش هى المغازاة التى القرآن ينبى عنها .

سئل : هل يعلم مشاديده هذه الأشياء ؟ فجاوب : واحد اختيار مثله ما له دعوة فى هذه الأشياء . بل إنه يعرف ان القرآن ينبى عن المغازاة ، وان كل من قتل كافرا يكسب أجرا .

سئل : هل علم هذا الغرض لسليمان ؟ فجاوب : انه ما علمه إلا الكتابة فقط .

سئل : هل عنده خبر ان امس تاريخه رجل مسلم قتل صارى عسكر الفرنساوية ، الذى ما هو من

ملته ؟ وهل بموجب تعليم القرآن .. هـذا الرجل فعل طيب ومقبول عند النبى محمد ؟ فجاوب : ان القاتل بقتل . واما هو يظن ان شرف الفرنساوية هو من شرف الاسلام ! وإذا كان القـرآن يقول غـيره شيئا ، هو ما له علاقة .

فحالا قدمنا سليمان المذكور ، وقابلناه بمصطفى افندى . ثم سألناه : هل شاف مصطفى أفنـدى مرارا كثيرة ؟ وهل بلغـه عن نيتـه ؟ فجاوب : انه ما شافه سوى مـرة واحدة لأجل انه يسلم عليه ، بحيث إنه معلمه القديم . وبما أنه رجـل اختيار ، وضعيف قوى ، ما راى مناسب يخبره عن ضميره .

سئل : هل هو من ملة المغازين ؟ وهل إن المشايخ سمحوا له فى قتل الكفار فى مصر ليكتب له اجر ، ويقبل عند النبى محمد ؟ فجاوب : انه ما فتح سيرة المغازاة إلا الى الأربعة مشايخ فقط الذين سماهم .

سئل : هل إنه ما تحدث مع الشيخ الشرقاوى ؟ فجاوب : انه ما شاف هذا الشيخ لانه ما هو من ملته بسبب أن الشيخ الشرقاوى شافعى وهو حنفى .

فبعد هذا قرينا على سليمان ومصطفى افندى إقرارهمهذا . فجاوبوا : أن هذا هوالحق وما عندهم ما يزيدوا ولا ينقصوا . ثم حرروا خط يدهم برفقة الترجمان ونحن .

حرر بمصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة اعلاه .

امضاء : الاثنين المتهومين بالعربى . امضاء : لوماكا الترجمان . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

* * *

هذه الرواية المنقولة فى اليوم السابع والعشرين من شهر بريريال السنة الثامنة من إقامة الجمهـور الفرنساوى ... عن الوكيل سارتلون بحضور مجمع القضاة المفوضين لمحاكمة قاتل صارى عسكر العام كلهبر ، وايضا لمحاكمة شركاء القاتل المذكور .

« يا ايها القضاة . إن المناحة العامة والحزن العظيم الذى نحن مشتملون بهما الآن ، يخبران بعظم الخسران الذى حصل الآن بعسكرنا ، لأن صارى عسكرنا فى وسط نصراته ومماجده ، ارتفع بغتة من بيننا بحد يد قاتل رذيل ، ومن يـد مستأجرة من كبـراء ذوى الخيانة والغيرة الخبيثة ... والآن انا معين ومامور لاستدعاء الانتقام للمقتول ، وذلك بموجب الشريعة ، من القاتل المسفور وشركائه كمثل أشنع المخلوقات . لكن دعونى ، ولو لحظة ، خالطا فيض دمـوع عينى وحسراتى بدموعكم ولوعاتكم ... التى بسببها هذا المفدى الأسيف والمكرم المنيف . فقلبى احتسب جدا احتياجه لتادية تلك الجـزية لمستحقها . فوظيفتى كانها ليست فى الرؤية إلا الما بتغريق المهيب بمـاء هذه المصنوعة الشنيعة التى بوقوعها ارتبكت .

« سمعتم الآن قراءة إعلام وفحص المتهمين وباقى المكتوبات عما جرى منهم . وقط ما ظهر سيئة اظهر من هذه السيئة التى انتم محاكمون فيها ، من صفة الغدارين ببيان الشهود ، وإقرار القاتل وشركائه .

« والحاصـل كل شىء متحد ، ورامى الضياء المهيب لمناورة ذا القتل الكريه .. إنى انا راوى لكم سرعة الأعمال ، جاهد نفسى ، إن ظفرت ، لمنع غضبى منهم .. منها . فلتعلم بلاد الروم والدنيا بكمالها ، ان الوزير الأعظم سلطنة العثمانية ورؤساء جنـود عسكرها . . رذلوا انفسهم حتى ارسلوا قتال معدوم العـرض إلى الجـرىء والأنجب كلهبر .. الذى لا استطاعوا تقهيره ، وكذلك ضموا الى عيوب مغلوبيتهم المجرم الظالم الذى لم تر اسوأ منه قبل ... السماء والأرض .

« تذكروا جملتكم تلك الدول العثمانية المحاربين من اسلامبول ومن أقاصى ارض الروم وأناضول ، واصلين منذ ثلاثة شهور بواسطة الوزير لتسـخير وضبط بر مصر ، وطالبين تخليتها بموجب الشروط الذى بمتفقيتهم بذاتهم مانعـوا إجراءها . والوزير اغرق بر مصر وبر الشام بمناداته ، مستدعى بها قتل عام الفرنساوية . وعلى الخصوص هو عطشان لانتقامه لقتل سر عـسكرهم . وفى لحظة الذين هم اهالى مصر محتفين باغويات الوزير ، كانـوا محرومين شفقات ومكارم نصـيرهم . وفى دقيقة الذين هم اسـارى ومجروحين العثملية هم مقبـولين ومرعيين فى دور ضيوفنا وضعفائنا ... تقيد الوزير بسكل وجـوه بتكميل سوء غفارته تلوه منذ زمان طويل ، واستخدم لذلك اغا مغضوبا منه ، ووعد له إعادة لطفه وحفظ راسه الذى كان بالخطر إن كان يرتضى بذا الصنع الشنيع .

« وهذا المغوى هو احمد اغا المحبوس بغزة منذ ما ضبط العريش وذهب للقدس بعد انهزام الوزير فى أوائل شـهر جرمينال المـاضى . والأغا المرقوم محبوس هناك بدار متسلم البلد . وفى ذلك الملجا فهو مفتكر باجراء السـوء الخبيث الذى يستثقل التقدير ، لا فهيم ولا معه تدبير ... سـيما هو عامل شىء لاجراء انتقام الوزير .

« وسليمان الحلبى شب مجنون ، وعمره أربعة وعشرون سنة ، وقد كان بلا ريب متدنس بالخطايا .

ظهر عند ذا الأغا يوم وصوله القدس ، ويترجى صيانته لحراسة أبيه ، تاجربحلب ، من اذيات ابراهيم باشا والى حلب ... يرجع له سليمان يوم غدره . فقد كان استفتش الأغا عن احتيال أصل وفصل ذا الشب المجنون ، وعلم انه مشتغل بجامع بين قراء القرآن ، وانه هو الآن بالقدس للزيارة ، وانه قد حج سابقا بالحرمين ، وأن العته النسكى هو منصوب فى اعلى راسه المضطرب من زيغانه وجهالاته بكمالة إسلامه ، وباعتماده أن المسمى منه جهاد وتهليك الغير المؤمنين ، فمما انهى وايقن أن هذا هو الايمان . ومن ذلك الآن ما بقى تردد احمد اغا فى بيان ما نوى منه ، فوعد له حمايته وإنعامه . وفى الحال ارسله الى ياسين اغا .. ضابط مقدار من جيوش الوزير بغزة ، وبعثه بعد أيام لعاملته ، واقبضه الدراهم اللازمة له . وسليمان قد امتلأ من خباثته ، وسلك بالطرق ، فمكث واحد وعشرين يوم فى بلد الخليل بجيزون منتظر فيه قبيلة لذهاب البادية .. وكل مستعجل .

« ووصل غزة فى أوائل شهر فلوريال الماضى ، وياسين أغا مسكنه بالجامع لاستحكام غيرته . والمجنون يواجهه مرارا وتكرارا بالنهار والليل مدة عشرة أيام مكثه بغزة ... يعلمه . وبعد ما أعطاه أربعين غرشا أسديا ركبه بعقبية الهجين الذى وصل مصر بعد ستة أيام ، وممتن بخنجر ..

« دخل بأواسط شهرنا فلوريال الى مصر ... التى قد سكنها سابقا ثلاث سنين . وسكن ، بموجب تربياته ، بالجامع الكبير ، ويتحضر فيه للسيئة التى هو مبعوث لها ، ويستدعى الرب تعالى بالمناداة وكتب المناجاة ، وتعليقها بالسور مكانه بالجامع المذكور أعلاه . وتأنس مع الأربعة مشايخ الذين قروا القرآن مثله ، وهم مثله مولودين ببر الشام . وسليمان اخبرهم بسبب مراسلته ، وكان كل ساعة معهم متوامرين به ، لكن ممنوعين بصعوبة ومخطرات الوحدة : محمد الغزى ، والسيد احمد الوالى ، وعبد الله الغزى ، وعبد القادر الغزى .. هم معتمدين سليمان بارتهان ما نواه ، ولا عاملو شىء لمانعته ، أو لبيانه. وعن مداومة سكونهم به صاروا مسامحين ومشتركين فى قبحة القاتل . هو منتظر واحد وثلاثين يوم معدودة بمصر ، فعقبه جزم توجهه الى الجيزة . وبذاك اليوم أعتمد سره الى الشركاء المذكورين أعلاه . وكان كل شىء صار سهل .. جزم القاتل بمصنوعته الشنيعة .

« وبيوم الغدوة طلع السر عسكر من الجيزة متوجها مصر ، وسليمان طوى الطرق ولحقه « هلقدر » حتى لزم أن يطردوه مرارا مختلفة ، لكن هو الكار عقيب غدر ... اتعداه .

« وفى يوم الخامس والعشرين من شهرنا الجارى ، وصل واختفى فى جنينة السرعسكر لتقبيل يده . فالسر عسكر لا أبى عن قيافة فقره . وفى حال ما السر عسكر ترك له يده ، ضربه سليمان بخنجره ثلاثة جروح . وقصد الستوين بروتاين ـ الذى هو رئيس المعمار ومصاحب العرفاء ـ وجاهد لحماية السر عسكر ، لكن ما نفع جسارته ، فهو بذاته وقع أيضا مجروح عن يد القاتل السفور بستة جروحات ، وبقى لا مستطيع شىء . وهكذا وقع بلا صيانة ، وهو الذى كان من الأماجد فى الحرب ، ومخاطرات الغزا . وهو أول الذين مضوا برياسة عسكر دولة الجمهور الفرنساوى المنصور الرهن الرهين . وهو فتح ثانيا بر مصر حينئذ بهجوم سحائب من العثمانية . . . فكيف اقتدروا ضم الوجع العميق الجملة الى دموع الأجناد ، الى لوعات الرؤساء وجميع الجنرالية أصحابه بالمجاهدة والماجدة ... بالمناحة وموالهة العسكر ... انتم جميعا تنعوه ، والمحاسنات تستاهله وتنبغى له .

« القاتل سليمان ماقدر يهرب من مغاشاة الجيوش غضوبين له : الدم ظاهر فى ثيابه ، وخنجره واضطرابه ووحشة وجهه وحاله... كشفوا جرمه. وهو بالذات مقر بذنبه بلسانه ، ومسمى شركاه . وهو كمادح نفسه للقتل الكريه صنع يديه ، وهو مستريح بجواباته للمسائل ، وينظر محاضر سياسات عذابه بعين رفيعة . والرفاهية هى الثمر المحصول من العصمة والتفاوه ، فكيف تظهر بوجوه الآثمين ومسامحينهم ؟

« شركاء سليمان الأثيم كانوا مرتهنين سره للقتل الذى حصل من غفلتهم وسكوتهم . قالوا باطلا إنهم ما صدقوا سليمان هو مستعدد بذا الاثم ، وقالوا باطلا أيضا إن لو كانوا صدقوا ذا المجنون كانوا فى الحال شايعين خيانته . لكن الأعمال شهود تزور وتنبىء انهم قابلوا القاتل وما غيروا له نية إلا خوف مهلكتهم ومصممين تهلكة غيرهم ، ولا هم مستعذرين وجها من الوجوه ... لا حكى لهم شىء من مصطفى أفندى : بما أن لا ظهر شىء عند ذاك الشيب يثبت معاقرته بشكل العذاب اللائق للمذنبين ، هو تحت اصطفاكم بموجب الامر من الذى انتم مأمورون بعقيبه لمحاكمة السيئين . واظن ان يليق ان تصنعوا لهم من العذابات العادية ببلاد مصر . ولكن عظمة الاثم

تستدعى ان يصير عذابه مهيب . فان سألتونى اجبت انه يستحق الخوزقة ، وان قبل كل شيء تحترق يد ذا الرجل الاثيم ، وانه هو يموت بأعذابه ويبقى جسده لماكول الطيور . وبجهة المسامحين له يستحقون الموت لكن بغير عقوبة ، كما قلت لكم ونبهت !

« فليعلم الوزير ، والمشملية الظالمين تحت امره ، حد جزاء الآثمين الذين ارتكبوا بقصد انتقامهم لعدم المروءة ، انهم عدموا من عسكرنا واحد مقدام سبب دائمى دموعنا ولوعتنا الأبدية ، فلا يحسبوا ولا يأملوا باقلال جزائنا .

« إنما خليفة السر عسكر المرحوم ، هو رجل قد شهر شجاعة ، ومضى قدماه بصفاء ضمير منير ، وهو مشار اليه بالبنان لمعرفته بتدبير الجنود والجمهور المنصور ، وهو يهدينا بالنصرة .

« واما اولئك المعدومين القلب والعرض ، فلا احمرت وجوههم بانتقامهم ، وانهزامهم باق ، ثم عدم اعتبارهم بالتواريخ لابد انهم باقيين بالرذالة ، لا نفع لهم قدام العالم إلا اكتساب خجالتهم ، ولعدم المبالاة حالا كشفتها لهم اثبت محاكمات ، كما يأتى بيانها :

اولا : ان سليمان الحلبى مثبت اسمه الكريه بقتل السر عسكر كلهبر . فلهذا هو يكون مدحوض بتحريق يده اليمنى وبتحريقه حتى يموت فوق خازوقه ، وجيفته باقية فيه لمأكولات الطيور .

ثانيا : ان الثلاثة مشايخ المسمين : محمد الغزى ، وعبد الله الغزى ، واحمد الغزى ، يكونوا متبينين منكم انهم شركاء لهذا القاتل ، فلذلك يكونوا مدحوضين بقطع رءوسهم .

ثالثا : ان الشيخ عبد القادر الغزى يكون مدحوضا بذلك العذاب .

رابعا : ان إجراء عذابهم يصير بعودة المجتمعين لدفن السر عسكر وأمام العسكر ... وناس البلد لذاك الفعل موجودين فيه .

خامسا : ان مصطفى افندى تبين غير مثبوت مسامحته ، وهو مطلوق الى ما نوى .

سادسا : ان ذا الأعلام وبيناته وما جرى يطبع فى خمسة نسخ ، ويؤول من لسان الفرنساوى بالعربى والتركى لتلزيقها بمحلات بلاد بر مصر بكمالها بموجب المأمور » .

حرر بمصر القاهرة فى اليوم السابع وعشرين من شهرنا برريال ، سنة ثمانية من إقامة الجمهور المنصور ... ممضى : سارتلون .

الفتوى الخارجة من طرف ديوان القضاة المنتشرين بامر صارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوية فى مصر ، لاجل شرعية كل من له جرة فى غدر وقتل سارى عسكر العام كلهبر

فى السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ، وفى اليوم السابع وعشرين من شهر برريال ... اجتمعوا فى بيت صارى عسكر رينيه المذكور ، وصارى عسكر روبين ، ودفتردار البحر لرو ، والجنرال مارتينه ، والجنرال مورانه ، ورئيس العسكر جرجه ، ورئيس المدافع فاور ، ورئيس المعمار برترنه ، والوكيل رجينه ، والدفتردار سارتلون فى رتبة مبلغ ، والوكيل لبهر فى رتبة وكيل الجمهور ، والوكيل بينه فى رتبة كاتم السر .

وهذا ما صار حكم امر سارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوية الذى صدر امس ، واقام القضاة المذكورين لكى يشرعوا على الذى قتل صارى عسكر العام كلهبر فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر ، ولكى يحكموا عليه بمعرفتهم . فحين اجتمعوا : القضاة المذكورين ، وصارى عسكر رينيه الذى هو شيخهم ، امر بقراءة الأمر المذكور اعلاه ، الخارج من يد صارى عسكر مينو . ثم بعده المبلغ قرا كامل الفحص والتفتيش ، الذى صدر منه فى حق المتهومين ، وهم : سليمان الحلبى ، والسيد عبد القادر الغزى ، ومحمد الغزى ، وعبد الله الغزى ، واحمد الوالى ، ومصطفى افندى . فبعد قراءة ذلك ، امر صارى عسكر رينيه بحضور المتهومين المذكورين قدام القضاة — وهو من غير قيد ولا رباط — بحضور وكيلهم .. والابواب مفتحة قدام كامل الموجودين .

فحين حضروا ... صارى عسكر رينيه وكامل القضاة ، سألوهم جملة سؤالات ، وهذا بواسطة الخواجا براشويش الترجمان ، فهم ما جاوبوا إلا بالذى كانوا قالوه حين انفحصوا . فصارى عسكر رينيه سألهم ايضا : إن كان مرادهم يقولوا شيء مناسب لتبرئتهم ؟ فما جاوبوه بشيء . فحالا صارى عسكر المذكور امر بردهم الى الحبس مع الغفراء عليهم .

ثم إن صارى عسكر رينيه التفت الى القضاة وسألهم : إيش رأيهم فى عدم حديث المتهومين ؟ وامر بخروج كامل الناس من الديوان ، وقفل المحل عليهم لاجل يستشاروا بعضهم من غير أن احدا يسمعهم .

ثم انوضع اول سؤال وقال : سليمان الحلبى ابن اربعة وعشرين سنة ، وساكن بحلب ، متهم بقتل

ساري عسكر العام وجرج السيتوين بروتاين المهندس .
وهذا صار في جنينة ساري عسكر العام في خمسة وعشرين من الشهر الجاري ... فهل هو مذنب ؟
فالقضاة المذكورين ردوا – كل واحد منهم لوحده – والجميع بقول واحد : إن سليمان الحلبي مذنب .

السؤال الثاني : السيد عبد القادر الغزي مقري قرآن في الجامع الأزهر ، ولادة غزة ، وساكن في مصر متهوم انه بلغه بالسر في غدر ساري عسكر العام ، وما بلغ ذلك ، وقصد الهروب ... فهل هو مذنب؟
فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

ثم وضع السؤال الثالث ، وقال : محمد الغزي ابن خمسة وعشرين سنة ، ولادة غزة ، وساكن في مصر ، مقري قرآن في الجامع الأزهر ، متهوم انه بلغه بالسر في غدر ساري عسكر ، وإنه – حين ذلك الغادر كان نوى الرواح لقضاء فعله – بلغه ايضا وهو ما عرف احدا بذلك ... فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

السؤال الرابع : عبد الله الغزي ابن ثلاثين سنة ، ولادة غزة ، ومقري قرآن في الجامع الأزهر ، متهوم انه كان يعرف في غدر ساري عسكر ، وانه ما بلغ احداً بذلك . . . فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

السؤال الخامس . احمد الوالي ، ولادة غزة ، مقري قرآن في جامع الأزهر ، متهوم ان عنده خبر في غدر ساري عسكر ، وانه ما بلغ احدا بذلك ... فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

السؤال السادس مصطفى افندي ، ولادة بورصة في بر اناضول ، عمره واحد وثمانون سنة ، ساكن في مصر ، معلم كتاب ، ما عنده خبر بغدر ساري عسكر . . . فهل هو مذنب ؟ فالقضاة تماما جاوبوا بانه غير مذنب ، وامروا باطلاقه .

فبعد ذلك ... القاضي وكيل الجمهور ، طلب انهم يفتوا بالموت على المذنبين المشروحين اعلاه .
فالقضاة تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس عذاب لائق لموت المذنبين اعلاه . ثم بدأوا بقراءة خامس مادة من الأمر الذي اخرجه أمس ساري عسكر مينو بسبب ذلك ، والذي بموجبه اقامهم قضاة في فحص وموت كل من كان له جرة في غدر وقتل ساري عسكر العام كلهبر . ثم اتفقوا جميعهم ان يعذبوا المذنبين ، ويكون لائق للذنب الذي صدر .
وافتوا ان سليمان الحلبي تحرق يده اليمين ، وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تأكل رمته الطيور . وهذا يكون فوق التل الذي برا قاسم بيك ، ويسمى تل العقارب ، وبعد دفن ساري عسكر العام كلهبر ، وقدام كامل العسكر وأهل البلد الموجودين في المشهد .

ثم افتوا بموت السيد عبد القادر الغزي مذنب ايضا ، كما ذكر أعلاه ، وكل ما تحكم يده عليه يكون حلال للجمهور الفرنساوي . ثم هذه الفتوى الشرعية تكتب وتوضع فوق البيت الذي مختص بوضع راسه .
وايضا افتوا على محمد الغزي وعبد الله الغزي واحمد الوالي أن تقطع رءوسهم ، وتوضع على نبابيت ، وجسمهم يحرق بالنار . وهذا يصير في المحل المعين اعلاه ، ويكون ذلك قدام سليمان الحلبي قبل ان يجري فيه شيء .

هذه الشريعة والفتوى لازم ينطبعوا باللغة التركية والعربية والفرنساوية .. من كل لغة قدر خمسمائة نسخة ، لكي يرسلوا ويتعلقوا في المحلات اللازمة ، والمبلغ يكون مشهل في هذه الفتوى .

تحريرا في مدينة مصر في اليوم والشهر والسنة المحررين اعلاه .

ثم إن القضاة حطوا خط يدهم باسمائهم برفقة كاتم السر ... ممضي في اصله .

. ثم هذه الشريعة والفتوى انقرت وتفسرت على المذنبين بواسطة السيتوين لوماكا الترجمان قبل قصاصهم . فهم جاوبوا ان ما عندهم شيء يزيدوا ولا ينقصوا على الذي اقروا به في الأول . فحالا قضوا أمرهم في ثمانية وعشرين من شهر بريريال ، حكم الاتفاق وقبل نصف النهار بساعة واحدة .

حرر بمصر في ثمانية وعشرين بريريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي .

ثم ختموا باصله : **الدفتردار سارتلون ، وكاتم السر بينه .**

وهذه نسخة من الأصل ... **امضاء . كاتم السر بينه**

وهذا آخر ما كتبوه في خصوص هذه القضية ، ورسموه وطبعوه ... بالحرف الواحد . ولم أغير شيئا مما رقم . اذ لست ممن يحرف الكلم . وما فيه من تحريف فهو كما في الأصل . والله أعلم واحكم .

٢٥ منه (١٨ يونيو ١٨٠٠ م) :

اشتغلوا بأمر ساري عسكرهم المقتول ، وذلك بعد موته بثلاثة أيام كما ذكر ، ونصبوا مكانه عبد الله جاك مينو ، ونادوا في المدينة بالكنس والرش في جهات حكام الشرطة . فلما أصبحوا اجتمع عساكرهم وأكابرهم وطائفة عينها القبط والشوام وخرجوا بموكب مشهده ركبانا ومشاة .



عبد الله جاك مينو

وقد وضعوه فى صندوق من رصاص مسنم الغطاء ، ووضعوا ذلك الصندوق على عربة ، وعليه برنيطته وسيفه والخنجر الذى قتل به ، وهو مغموس بدمه . وعملوا على العربة أربعة بيارق صغار فى أركانهـا معمولة بشعر أسود ، ويضربون بطبولهـم بغـير الطريقة المعتـادة . وعلى الطبول خرق سـود ، والعسكر بأيديهم البنادق وهى منكسة الى أسفل . وكل شـخص منهم معصب ذراعـه بخرقة حرير سوداء . ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السوداء وعليها قصب مخيش ، وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة ، وخرجوا من بيت الأزبكية على باب الخرق الى درب الجمـاميز الى جهـة النـاصرية .

فلما وصلوا الى تل العقارب ، حيث القلعة التى بنوها هناك ، ضربوا عدة مدافع . وكانوا أحضروا سليمان الحلبى والثلاثة المذكورين ، فأمضوا فيهم ماقدر عليهم . ثم ساروا بالجنازة الى أن وصلوا باب قصر العينى فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب بوسط تخشيبة صنعوها وأعدوها لذلك . وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء أبيض وزرعوا حوله أعواد سرو ، ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلا ونهارا يتناوبان الملازمة على الدوام .

وانقضى أمره . واستقر عوضه فى السرعسكرية قائمقام عبدالله جاك مينو — وهو الذى كان متولى على رشيد من قدومهم — وقد كان أظهر أنه أسلم وتسمى بعبـد الله وتزوج بامرأة مسلمة . وقلدوا عوضه فى قائمقامية «بليار» . فلما أصبح ثانى يوم حضر قائمقام والأغا الى الأزهر ، ودخلا اليه وشفا فى جهاته وأروقته وزواياه بحضرة المشايخ .

٢٧ منه (٢٠ يونيو ١٨٠٠ م) :

حضر سارى عسكر عبد الله جاك مينو وقائمقام والأغا وطافوا به أيضا ، وأرادوا حفر أماكن للتفتيش على السـلاح ونحو ذلك . . ثم ذهبـوا . فشرع المجاورون به فى نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم واخلاء الأروقة ، ونقلوا الكتب الموقوفة بهـا الى أماكن خارجة عن الجامع ، وكتبوا أسـماء المجاورين فى ورقة ، وأمروهم ألا يبيت عندهم غريب ، ولا يؤووا اليهم أفاقيا مطلقا ، وأخرجوا منـه المجاورين من طائفة الترك .

ثم ان الشـيخ الشرقاوى والمهـدى والصاوى توجهوا فى عصريتها عنـد كبير الفرنسيس مينو ، واستأذنوه فى قفل الجامع وتسميره . فقال بعض القبطة الحاضرين للأشـياخ : « هـذا لا يصح ، ولا يتفق » . فحنق عليه الشيخ الشرقاوى ، وقال : « اكفونا شر دسائسكم ياقبطة (١) » !

وقصد المشايخ من ذلك منع الريبة بالكلية . فان للأزهر سعة لا يمكن الاحاطة بمن يدخله ... فربما دس العدو من يبيت به ، واحتج بذلك على انجاز غرضه ونيل مراده من المسلمين والفقهاء ، ولا يمكن الاحتراس من ذلك . فأذن كبير الفرنسيس بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطنا . فلما أصبحوا قفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات .

(١) لا يجد المستعمر مرماه الخصيب الا فى هذا الجو المشحون بسوء الظن بين ابناء الوطن الواحد ... فلنحذر ...

الاثنين غايته (٢٣ يونيو ١٨٠٠ م) :

جمعوا الوجاقلية وأمروهم باحضـار ما عندهم من الأسلحة . فأحضروا ما أحضروه ... فشددوا عليهم فى ذلك . فقالوا : « لم يكن عندنا غير الذى أحضرناه » . فقالوا : « وأين الذى كنا نرى لمعانه عند متاريسكم ؟ » . فقالوا : « تلك أسلحةالعساكر العثمانية والأجناد المصرية وقد سافروا بها » .

صفر

الثلاثاء اوله (٢٤ يونيو ١٨٠٠ م) :

سافر بعض الأعيـان من المشايخ وغيرهم الى بلاد الأرياف بعيـالهم وحريمهم . وبعضهم بعث حريمه وأقام هو ... فسافر الشيخ محمد الحريرى ، وصحب معه حريم الشيخ السحيمى وصهره الشيخ المهدى . فلما رآهم الناس عزم الكثير منهم عـلى الرحلة . واكتروا المراكب والجمال وغير ذلك .

فلمـا أشيع ذلك ، كتب الفرنسيس أوراقاً ، ونادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ، ورجوع المسافرين ، ومن لم يرجع بعـد خمسة عشر يوماً نهبت داره . فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر الا من أخذ له ورقة بالاذن من مشاهير الناس ، أو احتج بعذر كأن يكون فى خدمة لهم ، أو قبض خراج ، أو مال أو غلال من التزامه .

وفيه : قرروا فردة أخرى وقدرها أربعة ملايين ، وقدر المليون مائة وستة وثمانون ألف فرانسة . وكان الناس ماصدقوا قرب تمـام الفردة الأولى بعد ما قاسوا من الشدائد ما لا يوصف ... ومات أكثرهم فى الحبوس وتحت العقوبة ، وهرب الكثير منهم ، وخرجوا على وجوههم الى البـلاد ، ثم دهوا بهـذه الداهية أيضا . فقرروا على العقـار والدور مائتى ألف فرانسـة ، وعـلى الملتزمين مائة وستين ألفا ، وعلى التجار مائتى ألف ، وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفا . وأسقطوا فى نظير المنهوبات مائة ألف . وقسموا البـلدة ثمانية أخطاط ، وجعلوا على كل خطة منها خمسة وعشرين ألف ريال . ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحـارات والأمير الساكن بتلك الخطة : مثل المحتسب بجهة الحنفى وعمر شـاه وسـويقة السـباعين ودرب الحجر ، ومثل ذى‌الفقار كتخدا جهة المشهد الحسينى وخان الخليلى والغورية والصنادقية والأشرفية ، وحسن كاشف جهة الصليبة والخليفة وما فى ضمن كل من الجهات والعطف والبيوت .

فشرعوا فى توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة ، وقسموها عال وأوسط ودون ، وجعلوا العال ستين ريالا والوسط أربعين والدون عشرين ، ويدفع المستأجر قدر مايدفع المالك . والدار التى يجدونها مغلقة وصاحبها غائب عنها يأخذون ماعليها من جيرانها ! !

السبت ٢٦ منه (١٩ يوليو ١٨٠٠ م) :

أفرجوا عن الشيخ السادات ، ونزل الى بيته بعد أن غلق الذى تقرر عليه ، واسـتولوا عـلى حصصه واقطاعه ، وقطعوا مرتباته ، وكذلك جهات حريمه ، والحصص الموقوفة على زاوية أسلافه . وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس ، وأن لا يركب بدون اذن منهم ويقتصد فى أموره ومعاشه ، ويقلل أتباعه .

ربيع الأول

(٢٣ يوليو ـ ٢١ اغسطس ١٨٠٠ م)

فيه : نادوا على الناس الخارجين من مصر ، من خوف الفردة وغيرها ، بأن من لم يحضر من بعـد اثنين وثلاثين يوما من وقت المناداة ... نهبت داره ، وأحيط بموجوده ، وكان من المذنبين .

واشتد الأمر بالناس ، وضاقت منافسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة . ولا شفيع تقبل شفاعته ، أو متكلم تسمع كلمته واحتجب سارى عسكر عن الناس وامتنع من مقابلة المسلمين ، وكذلك عظماء الجنرالات ، وانحرفت طباعهم عن المسلمين زيادة عن أول ، واستوحشوا منهم . ونزل بالرعية الذل والهوان ، وتطاولت عليهم الفرنساوية وأعوانهم وأنصارهم من نصارى البلد الأقباط والشوام والأروام .. بالاهانة ، حتى صاروا يأمرونهم بالقيام اليهم عند مرورهم !

ثم شددوا فى ذلك ... حتى كان اذا مر بعض عظمائهم بالشارع ، ولم تقم اليه بعض الناس على أقدامه ، رجعت اليه الأعوان ، وقبضوا عليه ، وأصعدوه الى الحبس بالقلعة ، وضربوه ، واستمر عدة أيام فى الاعتقال ، ثم يطلق بشفاعة بعض الأعيان !

وفيه : أنزلوا مصطفى باشا من الحبس ، وأهدوا اليه هدايا وأمتعة ، وأرسلوه الى دمياط ... فأقام بها أياما وتوفى الى رحمة الله تعالى .

ربيع الآخر

(٢٢ اغسطس — ١٩ سبتمبر ١٨٠٠م)

فيه : اشتد أمر المطالبة بالمال ، وعين لذلك رجل نصرانى قبطى يسمى شكر الله .. فنزل بالناس منه ما لا يوصف . فكان يدخل الى دار أى شخص كان لطلب المال ، وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة وبأيديهم القزم ، فيأمرهم بهدم الدار ان لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير ... وخصوصا مافعله فى بولاق : فانه كان يحبس الرجال مع النساء ويدخن عليهم بالقطن والمشاق ، وينوع عليهم العذاب ! ثم رجع الى مصر يفعل كذلك .

وفيه : أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة فى يوم واحد ، وختموا على جميعها . ثم كانوا نفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خانا بعد خان فاذا فتحوا حاصلا من الحواصل قوموا ما فيه بما أحبوا بأبخس الأثمان وحسبوا غرامته ، فان بقى لهم شىء أخذوه من حاصل جاره ! وان زاد له شىء أحالوه على جاره الآخر كذلك !وهكذا ... ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال ، وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم واذا فتحوا مخزنا دخله أمناؤهم ووكلاؤهم فيأخذون ما يجدونه من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لايقدر على التكلم ، بل ربما هرب ، أو كان غائبا .

وفيه : حرروا دفاتر العشور ، وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها أقلاما يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر ، وجعلوا جامع أزبك الذى بالأزبكية سوقا لمزاد ذلك بكيفية يطول شرحها . وأقاموا على ذلك أياما كثيرة يجتمعون لذلك فى كل يوم ، ويشترك الاثنان فأكثر فى القلم الواحد وفى الأقلام المتعددة .

وفيه : كثر الهدم فى الدور ، وخصوصا فى دور الأمراء ومن فر من الناس ... وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها وانشاء قلاع فى عدة جهات ، وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء وحواصل الجبخانات ... حتى ببلاد الصعيد القبلية .

جمادى الأولى

(٢٠ سبتمبر — ١٩ اكتوبر ١٨٠٠ م)

استهل هذا الشهر ... والأمور من أنواع ذلك تتضاعف ، والظلومات تتكاثف وشرعوا فى هدم أخطاط الحسينية ، وخارج باب الفتوح وباب النصر من الحارات والدور والبيوت ، والمساكن والمساجد ، والحمامات والحوانيت ، والأضرحة ! فكانوا اذا دهموا دارا وركبوها للهدم لايمكنون أهلها من

نقل متاعهم ، ولا أخـذ شيء من أنقاض دارهم ! فينهبونها ويهدمونها ، وينقلون الأنقـاض النافعة من الأخشاب والبلاط الى حيث عمارتهم وأبنيتهم ، وما بقى يبيعـون منه ما أحبوا بأبخس الأثمـان ولوقود النيران ، وما بقى من كسارات الخشب يحزمـه الفعلة حزما ويبيعونه على النـاس بأغلى الأثمان لعدم حطب الوقود .

ويباشر غالب هذه الأفاعيل النصارى البلدية . فيهدم للناس من الأملاك والعقار ما لا يقدر قدره .. وذلك مع مطالبتهم بما قرر على أملاكهم ودورهم من الفردة ، فيجتمع على الشخص الواحد النهب والهدم والمطالبة فى آن واحد !

وبعد أن يدفع ماعلى داره أو عقاره ، وما صدق أنه غلق ما عليـه ... الا وقـد دهموه بالهـدم . فيسـتغيث فلا يغاث ، فترى النـاس سـكارى وحيارى ، ثم بعـد ذلك كله يطالب بالمنكسر من الفردة !

وذلك أنهـم لما قسـموا الأخطاط — كمـا تقدم — وتولى ذلك أمير الخطة وشـيخ الحارة والكتبة والأعوان .. وزعوا ذلك برأيهم ومقتضى أغراضهم . فأول مايجتمعون بديوانهم يشرع الكتبة فى كتابة التنابيه ، وهى أوراق صـغار ، باسـم الشخص والقدر المقرر عليـه وعلى عقاره بحسب اجتهـادهم ورأيهم . وعلى هامشـها كراء طريق المعينين ، ويعطون لكل واحد من أولئك القواسة عدة من تلك الأوراق .. فقبل أن يفتح الانسـان عينيه ما يشعر الا والمعين واقف على بابه وبيـده ذلك التنبيه . فيوعدوه حتى ينظر فى حاله ، فلا يجد بدا من دفع حق الطريق . فمـا هو الا أن يفارقه حتى يأتيه المعين الثانى بتنبيه آخر ، فيفعل معـه كالأول ... وهكذا على عدد السـاعات ! فان لم يوجـد المطلوب .. وقف ذلك القواس على داره ورفع صوته ، وشتم حريمه أو خادمه . فيسـعى الشخص جهده حتى يغلق ماتقرر عليه .. بشفاعة ذى وجاهة ، أو نصرانى !

وما يظن أنه خلص الا والطلب لاحقـه أيضـا بمعين وتنبيه . فيقول : « ما هذا ؟ » فيقال له : « ان الفردة لم تكمل . وبقى منها كذا وكذا ، وجعلنا على العشرة خمسة أو ثلاثة » ، أو ماسـولت لهم أنفسهم . فيرى الشخص أن لابد من ذلك . فمـا هـو الا أن خلص أيضـا ... الا وكرة أخرى ، وهكذا ... أمرا مسـتمرا ! ومثل ذلك ماقرر على الملتزمين . فكانت هـذه الكسـورات من أعظم الدواهى المغلقة ، ونكسات الحمى المطبقة .

٥ منه (٢٤ سبتمبر ١٨٠٠ م) :

كان عيد الصليب ، وهو انتقال الشمس لبرج الميزان والاعتـدال الخريفى ، وهو أول سـنة الفرنسيس وهى السنة التاسعة من تاريخ قيامهم ، ويسمى عندهم هذا الشهر وندمير .. وذلك يوم عيدهم السنوى . فنادوا بالزينة بالنهار والوقدة بالليل ، وعملوا شنكات ومدافع وحراقات ووقدات بالأزبكية والقلاع ، وخرجوا صبح ذلك اليـوم بمواكبهم وعساكرهم ، وطبولهم وزمورهم ، الى خارج باب النصر ، وعملوا مصافهم .. فقرىء عليهم كلام بلغتهم ، على عادتهم ، وكأنه مواعظ حربية . ثم رجعوا بعد الظهر .

وفى هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد مثلها فيما رأينا ، حتى انقطعت الطرقات ، وغرقت البلدان ، وطف المـاء من بركة الفيل ، وسال الى درب الشمسى ، وكذلك خارة الناصرية ، وسقطت عدة دور من المطلة على الخليج . ومكث زائدا الى آخر توت .

جمـادى الآخرة

(٢٠ اكتوبر — ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م)

فيه : قرروا على مشايخ البلدان مقررات يقومون

بدفعها فى كل سنة : أعلى وأوسط وأدنى . فالأعلى — وهو ما كانت بلده ألف فدان فأكثر — خمسمائة ريال . والأوسط — وهى ما كانت خمسمائة فأزيد — ثلثمائة ريال . والأدنى : مائة وخمسون ريالا . وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلا فى ذلك ، فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له « بريزون » . فلما شاع ذلك ضجت مشايخ البلاد ، لأن منهم من لا يملك عشاءه ، فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأطيان ، وزادت فى الخراج ، واستملوا البلاد والكفور من القبطة فأملوها عليهم حتى الكفور التى خربت من مدة سنين ، بل سموا أسماء من غير مسميات !

وفيه : شرعوا فى ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار متعممين لاغير ، وليس فيهم قبطى ولا وجاقلى ولا شامى ولا غير ذلك ، وليس فيه خصوصى وعمومى ، على ماسبق شرحه ، بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء هم : الشيخ الشرقاوى رئيس الديوان ، والمهدى كاتب السر ، والشيخ الأمير ، والشيخ الصاوى وكاتبه ، والشيخ موسى السرسى ، والشيخ خليل البكرى ، والسيد على الرشيدى نسيب سارى عسكر ، والشيخ الفيومى ، والقاضى الشيخ اسماعيل الزرقانى ، وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسماعيل الخشاب ، والشيخ على كاتب عربى ، وقاسم أفندى كاتب رومى ، وترجمان كبير — القس رفائيل — وترجمان صغير — الياس فخر الشامى — والوكيل الكمثارى فوريه ، ويقال له مدبر سياسة الأحكام الشرعية ، ومقدم وخمسة قواسة . واختاروا لذلك بيت رشوان بيك الذى بحارة عابدين ، وكان يسكنه برطلمان ، فانتقل منه الى بيت الجلفى بالخرنفش وعمّر وبيض ، وفرشت قاعة الحريم بمجلس الديوان فرشا فاخرا ، وعينوا عشرة جلسات فى كل شهر . وانتقل اليها فوريه وسكنها بأتباعه ، وأعدوا للمترجمين والكتبة من الفرنساوية مكانا خاصا يجلسون به فى غير وقت الديوان على الدوام لترجمة أوراق الوقائع وغيرها ، وجعلوا لها خزائن للسجلات وفتحوا أيضا بجانبها دارا نفذوها اليها ، وشرعوا فى تعميرها وتأنيقها ، وسموها بمحكمة المتجر . وأخذوا يرتبون أنفارا من تجار المسلمين والنصارى يجلسون بها للنظر فى القضايا المتعلقة بقوانين التجار . والكبير على ذلك كله فوريه . ولم يتم ذلك المكان الثانى .

الاثنين ١٥ منه (٣ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

شرعوا فى جلسة الديوان وصورته : أنه اذا تكامل حضور المشايخ يخرج اليهم الوكيل فوريه وصحبته المترجمون فيقومون له فيجلس معهم ويقف الترجمان الكبير رفائيل . ويجتمع أرباب الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند آخر الديوان . وهو من خشب مقفص ، وله باب كذلك ، وعنده الجاويش يمنع الداخلين خلاف أرباب الحوائج ، ويدخلهم بالترتيب الأسبق فالأسبق ، فيحكى صاحب الدعوة قضيته فيترجمها له الترجمان . فان كانت من القضايا الشرعية فاما أن يتمها قاضى الديوان بما يراه العلماء أو يرسلوها الى القاضى الكبير بالمحكمة ان احتاج الحال فيها الى كتابة حجج أو كشف من السجل . وان كانت من غير جنس القضايا الشرعية ، كأمور الالتزام أو نحو ذلك ، يقول الوكيل : «ليس هذا من شغل الديوان » فاذا ألح أرباب الديوان فى ذلك يقول : « اكتبوا عرضا لسارى عسكر » . فيكتب الكاتب العربى والسيد اسماعيل يكتب عنده فى سجله كل ماقال المدعى والمدعى عليه ، وما وقع فى ذلك من المناقشة . وربما تكلم قاضى الديوان فى بعض مايتعلق بالأمور الشرعية . ومدة الجلسة من قبيل الظهر بنحو ثلاث ساعات الى الأذان أو بعده

بقليل بحسب الاقتضاء . ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة ، أربعة عشر ألف فضة فى كل شـهر ، عن كل يوم أربعمائة نصف فضـة . وللقاضى والمقيد والكاتب العربى والمترجمين وباقى الخـدم ، مقـادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهـم عن الارتشاء .

وفى أول جلسة من ذلك اليوم عملت المقارعة لرئيس الديوان وكاتب السر ، فطلعت للشرقاوى والمهدى على عادتهما وكذلك الجاويشية والترجمان. وكتبت تذكرة من أهـل الديوان خطابا لصـارى عسكر يخبرونه فيها بما حصل من تنظيم الديوان وترتيبه . وسر الناس بذلك لظنهم أنه انفتح لهم باب الفرج بهذا الديوان . ولمـا كانت الجلسـة الثانية ازدحم الديوان بكثرة الناس وأتوا اليه من كل فج يشكون .

الثلاثاء ٢٣ منه (١١ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

أمروا بجمـع الشحاذين — أى السـؤال — بمكان ، وينفق عليهم نظار الأوقاف .

وفيه أيضا : أمروا بضبط ايراد الأوقاف وجمعوا المبـاشرين لذلك ، وكـذلك الرزق الأحباسـية والأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا ، وأرسلوا بذلك الى حكام البلاد والأقاليم .

غايته (١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

حضر رجل الى الديوان مستغيث بأهله ، وأن قلق الفرنسيس قبض على ولده وحبسه عند قائمقام وهو رجل زيات . وسبب ذلك أن امرأة جاءت اليه لتشترى سمنا فقال لهـا : « لم يكن عندى سمن » فكررت عليه حتى حنق منها . فقالت له : «كأنك تدخره حتى تبيعه على العثملى» تريد بذلك السخرية . فقال لها : « نعم .. رغما عن أنفك وأنف الفرنسيس » . فنقل عنه مقالته غلام كان معهـا حتى أنهوه الى قائمقـام ... فأحضره وحبسـه . ويقول أبوه : « أخاف أن يقتلوه » فقال الوكيل : « لا ... لا يقتل بمجرد هذا القول ، وكن مطمئنا فان الفرنساوية لايظلمون كل هذا الظلم ! »

فلما كان فى اليوم الثانى ... قتل ذلك الرجـل ، ومعه أربعة لايدرى ذنبهم ، وذهبوا كيوم مضى !

رجب

الثلاثاء غرته (١٨ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

فيه : الطلب والنهب والهدم مستمر ومتزايد . وأبرزوا أوامر أيضا بتقرير مليون على الصـنائع والحرف — يقومون بدفعه فى كل سنة — قدره مائة ألف وسـتة وثمانون ألف ريال فرانسـة ، ويكون الدفع على ثلاث مرات : كل أربعة أشـهر يدفع من المقرر الثلث ، وهو اثنان وسـتون ألف فرانسـة . فدهى النـاس ، وتحـيرت أفكارهم ، واختلطت أذهانهم ، وزادت وساوسهم .

وأشيع أن يعقوب القبطى تكفل بقبض ذلك من المسلمين ، ويقلد فى ذلك شكر الله وأضرابه من شياطين أقباط النصارى .

واختلفت الروايات فقيل : ان قصده أن يجعلها على العقار والدور ، وقيل : بل قصده توزيعهـا بحسـب الفردة — وذلك عشرها — لأن الفردة كانت عشرة ملايين ، فالذى دفع عشرة يقوم بدفع واحد على الدوام والاستمرار . ثم قيدوا لذلك رجلا فرنساويا يقال له « دناويل » وسموه (مدبر الحرف) . فجمع الحرف وفرض عليهم كل عشرة : أربعة . فمن دفع عشرة فى الفردة ... يدفع أربعة الآن . فعورض فى ذلك بأن هذا غير المنقول .

فقال : « هـذا .. باعتبار من خرج من البلد ، ومن لم يدخل فى هذه الفردة كالمشايخ والفارين .. فان الذى جعل عليهم ، أضيف على من بقى » .

فاجتمع التجار وتشاوروا فيما بينهم فى شـأن

ذلك ، فرأوا أن هذا شيء لا طاقة للنـــاس به من وجوه :

الأول : وقف الحال ، وكساد البضائع ، وانقطاع الأسفار ، وقلة ذات اليد ، وذهاب البقية التي كانت فى أيدى الناس فى الفرد والدواهى المتتابعة .

الثانى : أن الموكلين بالفردة السابقة وزعوا على التجار والمتسببين . وكل من كان له اسم فى الدفتر من مدة ستين ، ثم ذهب ما فى يده ، وافتقر حاله ، وخلا حانوته وكيسه ... ألزموه بشقص (١) من ذلك ، وكلفوه به ، وكتب اسمه فى دفتر الدافعين ويلزمه ما يلزمهم ، وليس ذلك فى الامكان .

الثالث : أن الحرفة التي دفعت ، مثلا ، ثلاثين ألفا يلزمها ثلاثة آلاف فى السنة على الرأى الأول . وعلى الثانى ، اثنا عشر ألفا . وقــد قل عددهم ، وغلقت أكثـر حوانيتهم لفقـرهم وهجاجهم ... وخصوصا اذا ألزمـوا بذلك المليـون ، فيفـر الباقى ، ويبقى من لايمكنـه الفـرار ، ولا قدرة للبعض بما يلزم الكل .

وفيه : أمر الوكيل بتحرير قائمة تتضمن أسماء الذين تقلدوا قضاء البـلاد من طرف القاضى ، والذين لم يتقلدوا .

وأخبر أن السر فى ذلك أن منـاصب الأحكام الشرعيــة استقر النظر فيهـا له ، وأنه لابد من استئناف ولايات القضاة حتى قاضى مصر بالقرعة — من ابتداء سنة الفرنساوية — ويكتب لمن تطلع له القرعة تقليد من سارى عسكر الكبير . فكتبت له القائمة كما أشار .

الجمعة ٤ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

قتل جماعة بالرميلة وغيرها ونودى عليهم : « هذا جزاء من يتداخل فى الفرنسيس والمثملى » .

(١) الشقص : السهم والنصيب .

الأحد ٦ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

عملت القرعة عــلى شرطها ، بل زاد تـكرارها ثلاث مرات لقاضى مصر ، واستقرت للعريشى على ماهو عليه . وخرج له التقليد بعد مدة طويلة .

الثلاثاء ٨ منه (٢٥ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

قتل غلام وجارية بباب الشعرية ونودى عليهما : « هذا جزاء من خان وغش وسعى بالفساد » .

فيقال انهما كانا يخـدمان فرنساويا ، فدسا له سما وقتلاه .

الاربعاء ٩ منه (٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

حضر جماعة من الوجاقلية الى الديوان وهم : يوسف باشا جاويش ، ومحمد أغا سـليم كاتب الجاويشـية ، وعـلى أغـا يحيى باشـجاويش الجراكسة ، ومصطفى أغا أبطال ، ومصطفى كتخدا الرزاز . وذكروا أنهم كانوا تعهـدوا بباقى الفردة المطلوبة من الملتزمين ، وقدرها خمســة وعشرون ألف ريال ، وقد اسـتدانوا لذلك قدرا من البن بخمسة وثلاثين ألف ريال فرانسة ليوفوا ما عليهم من الديون ، وأنهم أرسلوا الى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج .. فامتنع الفلاحون من الدفع ، وأخبروا أن الفرنساوية خرجوا عليهم ومنعوهم من دفع المـال للملتزمين . فـكتب لهم عرضحال فى شأن ذلك وأرسل الى سارى عسكر ... ولم يرجع جوابه .

الاثنين ١٤ منه (أول ديسمبر ١٨٠٠ م) :

صنع الجنرال « بليـار » ، المعروف بقائمقام ، عزومة لمشـايخ الديوان والوجاقليــة وأعيـان التجار وأكابر نصارى القبط والشوام ، ومد لهم أسـمطة حافلة .. وتعشوا عنــده ، ثم ذهبوا الى بيوتهم .

الثلاثاء ٢٢ منه (٩ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

طيف بامرأتين فى شوارع مصر بين يدى الحاكم ينادى عليهما : « هـذا جزاء من يبيع الأحرار » وذلك أنهما باعتا امرأة لبعض نصـارى الأروام بتسعة ريالات !



بليـار

وفيـه : طلب الخواجه الفرنسيسى المعـروف بـ « موسى كافو » من الوجاقلية بقية الفردة المتقدم ذكرها . فأجابوا بأن سبب عجزهم عن غلاقها توقف الفلاحين عن دفع المال بأمر الفرنساوية ، وعـدم تحصيلهم المال من بلادهم . ثم أحيلوا بعـد كلام طويل على استيفاء الخازندار ، لأن ذلك من وظائفه لا من وظائف الديوان .

الجمعة ٢٥ منه (١٢ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

اتفق أن جمـاعة من أولاد البـلد خرجوا الى النزهة جهة الشيخ قمر ، ومعهم جماعة آلاتيـة يغنون ويضحكون . فنزل اليهم جماعة من العسكر الفرنسـاوية ، المقيمين بالقلعـة الظاهرية خارج الحسينية ، وقبضوا عليهم وحبسوهم ، وأرسلوا شخصا منهم الى شيخ البلد « بليار » ، وأخبروه بمكانهم ليستفسر عن شأنهم .. فلقيه ، ثم رده الى القلعة الظاهرية ثانيـا ، فبات عنـد أصحابه . ثم طلبهم فى ثانى يوم ، فذهبوا وصحبتهم جماعة من العسكر بالبنـدق تحرسهم فقابلوه ، ومن عليهم بالاطلاق ، وذهبوا الى منازلهم .

وفيـه : منعوا الأغا والـوالى والمحتسب من عوائدهم على الحرف والمتسببين . فانها اندرجت فى أقلام العشور ، ورتبوا لهم جامكية من صندوق الجمهور يقبضونها فى كل شهر .

الأحد ٢٧ منه (١٤ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

حضر الوجاقلية ، ومعهم بعض الأعيان وحريمات ملتزمات يستغيثون بأرباب الديـوان ويقولون : « انه بلغنا أن جمهور الفرنسـاوية يريدون وضع أيديهم على جميع الالتزام المفروج عنه الذى دفعوا حلوانه ومغـارمه ، ولا يرفع أيدى الملتزمين عن التصرف فى الالتزام جملة كافية » .

وقد كان قبـل ذلك أنهى الملتزمون الذين لم يفرجوا لهـم عن حصصهم : اما لفرارهم وعودهم بالأمان ، واما لقصر أيديهـم عن الحلوان ، واما لشراقى بلادهم ، واما لانتظارهم الفـرج وعـود العثمانيين .. فيتكرر عليهم الحلوان والمغارم . فلما طال المطال ، وضاق حال الناس ، عرضوا أمـرهم وطلبوا من مراحم الفرنساوية الافراج عن بعض ما كان بأيديهم ، ليتعيشوا به . ووقع فى ذلك بحث طويل ومناقشات يطول شرحهـا . ثم ماكفى حتى بلغهم أن القصد نزع المفروج عنـه أيضا ، ونزع أيدى المسلمين بالكلية ، وأنهم يستشفعون بأهـل الديوان عند سارى عسكر بأن يبقى عليهم التزامهم يتعيشون به ، ويقضـون ديونهم التى استدانوها فى الحلوان ومغارم الفردة .

فقال « فوريه » الوكيل : « هل بلغـكم ذلك من طريق صحيح ؟ » . فقالوا : « نعم .. بلغنا من بعض الفرنساوية » . وقال الشيخ خليل البكرى : « وأنا سمعته من الخـازندار » . وقال الشـيخ المهـدى مثل ذلك ، وأنهم يريدون تعويضهم من أطيان الجمهور . فقال الملتزمون : ان بيدنا الفرمانات والتمسكات من سلفكم بونابرته ، ومن السلاطين

السابقين ونوابهم ، وقائمون بدفع الخراج ، وأنهم ورثوا ذلك عن آبائهم وأسلافهم وأسيادهم . واذا أخذ منهم الالتزام اضطروا الى الخروج من البلد والهجاج وخراب دورهم ، ويصبحون صعاليك ولا يأتمنهم الناس .

وطال البحث فى ذلك ، والوكيل مع هذا كله ينكر وقوع ذلك مرة ، ويناقش أخرى ، الى أن انتهى الكلام بقوله : « ان الكلام فى هذا وأمثاله ليس من وظيفتى ، فانى حاكم سياسة الشريعة ، لا مدبر أمر البلاد .. نعم من وظيفتى المعاونة والنصح فقط » .

شعبان

الخميس مستهلة (١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

أجيب الملتزمون بابقاء التزامهم عليهم ، وأنكروا ما قيل فى رفع أيديهم ، وعوتب من صدق هذه الأكذوبة . وان كانت صدرت من الخازندار ، فانها كانت على سبيل الهزل ، أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل .

وفيه : حضر التجار الى الديوان ، وذكروا أمر المليون ، وأن قصدهم أن يجعلوه موزعا على الرؤوس ، ولا يمكن غير ذلك . وطال الكلام والبحث فى شأن ذلك . ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأى عقلاء المسلمين ، وأنهم يجتمعون ويدبرون ويعملون رأيهم فى ذلك ، بشرط لايتداخل معهم فىهذا الأمرنصرانى أوقبطى . وهم الضامنون لتحصيله بشرط عدم الظلم ، وألا يجعلوا على النساء ولا الصبيان ولا الفقهاء ولا الخدامين شيئا ، وكذلك الفقراء . ويراعى فى ذلك حال الناس وقدرتهم وصناعتهم ومكاسبهم . ثم قالوا : « نرجو أن تضيفوا الينا بولاق ومصر القديمة » . فلم يجابوا الى ذلك ، لكونهم جعلوهما مستقلين ، وقرروا عليهما قدرا آخر خلاف الذى قرروه على مصر .

وفيه : لخصوا عرضا ولطفوا فيه العبارة لسارى عسكر . فأجيبوا الى طلبهم ، ماعدا بولاق ومصر القديمة .

وأخرجوا من أرباب الحرف ، الصيارفة والكيالين والقبانية وجعلوا عليهم بمفردهم ستين ألف ريال ، خلاف ما يأتى عليهم من المليون أيضا ، يقومون بدفعها فى كل سنة ! والسر فى تخصيص الثلاث حرف المذكورة دون غيرها ، أن صناعتهم من غير رأس مال .

وفيه : أفردوا ديوانا لذلك ببيت داود كاشف — خلف جامع الغورية — وتقيد لذلك السيد أحمد الزرو ، وأحمد بن محمود محرم ، وابراهيم افندى كاتب البهار وطائفة من الكتبة . وشرعوا فى تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم ، وجعلوها طبقات . فيقولون : فلان من نمرة عشرة أو خمسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ، ومشوا على هذا الاصطلاح .

وفيه : أبطلوا عشور الحرير الذى يتوجه من دمياط الى المحلة الكبرى .

وفيه : أرسل سارى عسكر يسأل المشايخ عن الذين يدورون فى الأسواق ، ويكشفون عوراتهم ، ويصيحون ويصرخون ويدعون الولاية ، وتعتقدهم العامة ، ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يصومون هذا جائز عندكم فى دينكم ، أو هو محرم ؟

فأجابوه : « بأن ذلك حرام ومخالف لديننا وشرعنا وسنتنا » . فشكرهم على ذلك ، وأمر الحكام بمنعهم ، والقبض على من يرونه كذلك . فان كان مجنونا ربط بالمارستان ، أوغير مجنون .. فاما أن يرجع عن حالته أو يخرج من البلد .

وفيه : أرسل رئيس الأطباء الفرنساوى نسخا من رسالة ألفها فى علاج الجدرى لأرباب الديوان : لكل واحد نسخة على سبيل المحبة والهدية ، ليتناقلها الناس ، ويستعملوا ما أشار اليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال ... فقبلوا منه ذلك ، وأرسلوا له جوابا شكرا له على ذلك ، وهى رسالة لا بأس بها فى بابها .

الأحد ١١ منه (٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

وجدت امرأة مقتولة بغيط عمر كاشف — بالقرب من قناطر السباع — فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضى والأغا ، وأخذوا الغيطانية وحبسوهم ، وكان بصحبتهم أيضا القبطان الحاكم بالخط ، ولم يظهر القاتل . ثم أطلقوا الغيطانية بعد أيام .

وفيه : كمل المكان الذى أنشأوه بالأزبكية ، عند المكان المعروف بباب الهواء — وهو المسمى فى لغتهم بالكمرى — وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشرة ليال ، ليلة واحدة ، يتفرجون به على ملاعيب يلعبها جماعة منهم بقصد التسلى والملاهى ، مقدار أربع ساعات من الليل ، وذلك بلغتهم ، ولا يدخل أحد اليه الا بورقة معلومة ، وهيئة مخصوصة .

الجمعة ١٦ منه (٢ يناير ١٨٠١) :

ذكروا فى الديوان ، أن سارى عسكر أمر وكيل الديوان ، أنه يذكر لمشايخ الديوان ، أن قصده ضبط واحصاء من يموت ومن يولد من المسلمين . وأخبرهم أن سارى عسكر بونابارته كان فى عزمه ذلك ، وأن يقيد له من يتصدى لذلك ويرتبه ويدبره ، ويعمل له جامكية وافرة ... فلم يتم مرامه . والآن يريد تتميم ذلك ، ويطلب منهم التدبير فى ذلك ، وكيف يكون . وذكر لهم أن فى ذلك حكما وفوائد ، منها : ضبط الأنساب ومعرفة الأعمار فقال بعض الحاضرين : « وفيه معرفة انقضاء عدة الأزواج أيضا » !

ثم اتفق الرأى على أن يعلموا بذلك قلقات الحارات والأخطاط ، وهم يقيدون على مشايخ الحارات والأخطاط بالتفحص عن ذلك من خدمة الموتى والمغسلين والنساء القوابل ، وما فى معنى ذلك . ثم ذكر الوكيل أن سارى عسكر ولد له مولود ، فينبغى أن تكتبوا له تهنئة بذلك المولود الذى ولد له من المرأة المسلمة الرشيدية .

وجوابا عن هذا الرأى ... كتبوا ذلك فى ورقة كبيرة ، وأوصلها اليه الوكيل « فوريه » .

الأحد ٢٥ منه (١١ يناير ١٨٠١ م) :

أرسل سارى عسكر الى مشايخ الديوان كتابا ، وقرأه الترجمان الكبير « رفائيل » ، وصورته ونصه بالحرف الواحد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

« من عبد الله جاك منو سارى عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ...

« الى حضرة المشايخ والعلماء أهالى الديوان المنيف ، بمصر القاهرة حالا ... أدام الله تعالى فضائلهم ، وزينهم بلميع النور ، لاكمال وظائفهم ، ولجاز فرائضهم ، آمين يامعين .

« والآن نخبركم أن الذى حررتموه لنا ، ملأ نفسنا سرورا ، وقلبنا حبورا ، فثبت عندنا وتحقق وفور ماعندكم من المحبة التى شهدتم بها ، وما فيكم من النعمة والنظام والعدل .

« فحقا انكم لمستحقون لأن تكونوا فى مثل هذا المحل الذى اخترتم عليه . فنحن نعلم أن القرآن

العظيم الشأن ... ذلك المصحف الأكمل ، والكتاب المفصل ، يشتمل على مبادىء الحكمة السنية ، والحموق اليقينية .

« وهذه المبادىء المذكورة لايصح بناؤها المتبن ، على الحكم والحق اليقين ، الا اذا عرضت على أحسن الآداب ، وتعليم العلوم بغير ارتياب . وبهذين تنتج أعظم الفوائد ، وذلك بمساعى أناس متحدين معا برياضات الحظ والسعد .

« وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن الشريف يفصح الا على ماهو من باب النظام ، لأنه — من دون ذلك — فكل ماهو فى هذا العالم الفانى ليس الا معابر وخراب .

« ولا يسهى عنا أن كل ماهو من الموجودات الكائنات ، كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام ، من قبل من جعلها للمسير سبحانه مبدع الأنام ، كالنجوم السائرة فى الأعالى ، وبها يهتدى للسير الحالى . ثم على الخصوص تلك الفصول الأربع المتوالى انتقالها باستمرار جولانها ، ثم اتصال الليل بالنهار ، والنهار بالليل .. على حد واحد من المقدار ، ثم وجود المتباينات ، وتمييز النور من الظلمات ، وان ذلك وما أدراك !

« فماذا عسى كان يحل بنا وبحال العالم بأسره أيضا ، لو عدم هذا النظام ... ولو برهة ؟

« فالآن لرجو جناب حضرة المشايخ والعلماء يفيدون كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى ، لو يمتنع عن جريانه كعادته نهره هذا المبارك المشتهر — لا يسمح الله سبحانه بذلك — فبلا شك أن البلاد قاطبة لايمكن أن تسكن حين ذاك الا بيحر سنة واحدة فقط . وذلك من عدم الماء ، ورى الأرض .. أراضى هذه المملكة التى أنتم قاطنون بها . وفى ذلك الحين كانت تصعد الرمال على الأطيان والمزارع والحيضان ، والناس تهلك جوعا ، وتعدم السكان ، فتنشحن الأرض من الأموات ، فنعوذ بالله الحفيظ لسائر المخلوقات .

« واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة . وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا وما فيها ترتيب معجز غريب . فقد عرف أنها بدون ذلك تعدم سريعا ، وحالها يغدو مريعا .

« فالآن ... انما نكون من أشر المذنبين اذا سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غير منخضعين . ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا على السلوك فى ديننا ودنيانا .. وهذا القدر كفانا .

« فيا أيها المشايخ المكرمون ، والعلماء المحققون ومن هم بالعلم موصوفون ... لايخفاكم أن أجمل مافى النظام ، فى تدبير هذه الدنيا بأسرها حسن تام ، هو الاحتفال والميل الى النظام ، الذى هو صادر ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام . ثم ان البلاد وتلك النواحى ، التى يطلق عليها كونها فى حال النجاح ، والحظ والفلاح — لاتعتد هكذا الا اذا كان سكانها يهتدون الى قواعد الشريعة ، والفرائض الصادرة عن أصحاب الفطنة والادراك ، ويستعدون للسلوك بالعدل والانصاف .. خلافا لغيرها من البلاد التعسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على الدوام لما فيهم من العجرفة والاعتداء ، ولاينعطفون الا الى أهواء أنفسهم المنحرفة .

« فجناب حضرة بونابارته الشهير النبيل ، الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن يحرر دفتر ، يكتب فيه أسماء كامل الميتين . والآن حضرتكم قد طلبتم منى دفترا آخر خلافه ، فيه يتحرر أسماء المولودين أيضا .

« ومن حيث ذلك ، فلا بد أن أعتنى منذ الآن ، مع جزيل الاهتمام ، بهذين الأمرين . وهكذا أيضا بتحرير دفتر الزواج ، اذ كان ذلك أشد المهمات والحوادث الواجبات . ثم يتبع ذلك بتجديد نظام

غير قابل التغيير فى ضبط الأملاك ، والتمييز الكامل عمن ولد ومات من السكان ، وهذا يعرف من أهالى كل بيت . فعلى هذا الحال ، يتيسر للحاكم الشرعى الحكم بالعدل والانصاف ، وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ، وتقرر الولادة ، ومعرفة السلالة التى هى الشيء الأجل والأوفر استحقاقا فى الارث . وهكذا ، ان شاء الله ، لابد من الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق ، وبذل الهمة للحصول لأقرب نوال الى ما يلزم لاكمال ما قصدناه .

« ثم ان أراد الله لابد أن أعتنى بالمطالبة ، على وجه تام ، كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشياء تستفيد بها هذه المملكة التى قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقن ونتحقق كوننا امتثلنا لأوامر دولة جمهور الفرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونابرته .

« فياحضرة المشايخ والعلماء الكرام ، أننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك مينو . فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، واسألوه كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ، أن يجود به على زمانا مديدا ، وأن يكون للعدل محبا ، وللاستقامة والحق مكرما ، وموفى وعده صادقا ، وألا يكون من أهل الطمع فهذا هو أوفر الغنى الذى أرغبه لولدى . لأن الرجل ... الذى لايهتدى الا بالخير ، فلا يصرف اعتناءه الا فى خير الأدب ، لا فى قنية الفضة والذهب .

« فنسأله تعالى أن يطيل بقاءكم والسلام » (١) .

(١) فى هذا الشهر رزق عبد الله جاك مينو من زوجته السيدة زبيدة ولدا اسماه « سليمان مراد جاك مينو » .

« عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية جـ ٢ ص ٢١٤ »

وكان اختيار مينو اسم « سليمان » ، لان سليمان الحلبى قاتل كليبر ، وذلك لكراهية مينو لكليبر . وكان أيضا لا يبدو منه اى احترام لذكراه .

الخميس غايته (١٥ يناير ١٨٠١ م) :

سقطت منارة جامع قوصون .. سقط نصفها الأعلى فهدم جانبا من بوائك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات ، وبقى مسندا كذلك قطعة واحدة الى يومنا هذا . وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيس بالبارود .

رمضان

ثبت هلاله ليلة الجمعة (١٦ يناير ١٨٠١ م) :

عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك ، نظير عوائده التى كان يصرفها فى لوازم الركبة .

الثلاثاء ٥ منه (٢٠ يناير ١٨٠١ م) :

وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة ، التى كانت صنعت على يد مصطفى أغا — كتخدا الباشا — وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل ، الأريب الأديب ، الناظم الناثر : السيد اسماعيل الشهير بالخشاب . ووضعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسينى ، وأهمل أمرها الى حد تاريخه ، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخرير السقف من المطر . فقال الوكيل : « ان سارى عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة الى المسجد الحسينى ، ويكشف عنها . فان وجد بها خللا أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع فى ارسالها الى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية ! » . فقالوا له : « شأنكم وما تريدون » وقرىء بالمجلس فرمان بمضمون ذلك .

وفيــه : قرىء فرمان مضــمونه : أنه وردت مكاتبات من فرنسا بوقوع الصلح بينهم وبين أهل الجزائر وتونس بشروط ممضاة مرضية . وقد أطلقوا الاذن للتجار من أهل الجهتين بالســفر للتجارة فمن سافر ، له الحماية والصيانة فى ذهابه وايابه واقامتــه باسم دولة الجمهور الفرنساوية ... الى آخره ، ولم يظهر لذلك أثر .

وفيــه : قرىء تقليد الشيخ أحمــد العريشى بقضاء مصر . ووصل أيضا تقليد القضاء بدمياط لأحمد أفندى عبد القادر ، وابيار للعلامة الشيخ رضوان نجا ، ومحلة مرحوم للشيخ عبد الرحمن طاهر الرشيدى . وذلك على موجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر . وقرىء ذلك بالديوان ، ولم يحصل بعد ذلك غيرهم .

فلما كان صبح ذلك اليوم أرسل شيخ البلد « بليــار » الى العيــريشى ومشــــايخ الديوان والوجاقلية ، فلما تكاملوا خلع على القاضى العريشى فروة سمور بولايته القضــاء ، وركب بصحبتــه الجميع وجملة من العســاكر الفرنساوية ، وشيخ البلد بجانبه ، ومشوا من وســط المدينة الى أن وصلوا الى المحكمة بين القصرين ، فجلسوا ساعة من النهار ، وقرىء تقليده بحضرة الجميع ووكيل الديوان « فوريه » . ثم رجعوا الى منازلهم .

الخميس ٧ منه (٢٢ يناير ١٨٠١ م) :

توجه الوكيل ومشايخ الديوان الى المشــهد الحسينى لانتظار حضور سارى عسكر الفرنسيس بسبب الكشف على الكسوة ، وازدحم النــاس زيادة على عادتهم فى الازدحام فى رمضان . فلمــا حضر ونزل عن فرسه عنــد الباب وأراد العبــور للمســجد ، رأى ذلك الازدحام فهــاب الدخول وخاف من العبور ، وسأل ممن معه عن سبب هذا الازدحام فقالوا له : « هــذه عادة الناس فى نهار رمضان ، يزدحمون دائما على هــذه الصورة فى المسجد ، ولو حصــل منكم تنبيه كنا أخرجناهم قبل حضوركم » فركب فرسه ثانيا وكر راجعــا وقال : « نأتى فى يوم آخر » وانصرف حيث جاء .. وانصرفوا !

السبت ٩ منه (٢٤ يناير ١٨٠١ م) :

حصلت كائنة سيدى محمود وأخيه ســيدى محمد المعروف بأبى دفية . و لك أن سيدى محمودا المذكور كان بينه وبين على باشا الطرابلسى صداقة ومحبة أيام اقامته بالجيزة ، وحج صحبته فى سنة تسع ومائتين وألف فلما وقعت حادثة الفرنساوية والحرج على باشا المذكور مع من خرج الى الشام ، ووردت العساكر العثمانية صــحبة يوسف باشا الوزير فى العام الماضى وصحبته على باشا المذكور ، وله به مزيد الوصلة والعناية والمرجع فى المشوره لخبرته بالأقطار المصرية ، ومعرفته أهالى البلاد ... استشــاره فى شخص يعرفه ، يكون عينــا بمصر ليراسله ويطالعه بالأخبار ، فأشار عليــه بمحمود أفندى المذكور . فــكانوا يراسلونه ، ويطالعهم بالأخبار سرا . فلمــا قدموا الى مصر فى الســنة الماضية ، وجرى ماجرى من نقض الصلح ، ورجوع الوزير .. ولم يزل سيدى محمود تأتيه المراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقى أيضا ، ولأن على باشا ارتحل الى الديار الرومية فيطالعهم كذلك بالأخبار مع شدة الحذر خوفا من سطــوة الفرنســاوية وتحسس عيونهم المقيدة لذلك . فكان يذهب الى قليوب ويتلقى ورود القاصد ويرد له الجواب .

فلما كان فى التاريخ ، ورد عليه رسول ومعه جواب وأربع أوراق مكتوبة باللغــة الفرنساوية ، وفيها الأمر بتوزيعها ووضعها فى أماكن معينــة حيث سكن الفرنساوية .. فوزع اثنتين ، وقصد وضع الثالثة فى موضع جمعيتهم ، فلم يمكنه ذلك الا ليلا ، فأعطاها خادمه ، وأمره أن يشكها بمسمار

فى حائط ذلك المكان — وهو بالقرب من الحمام المعروف بحمام الكلاب — ففعل وتلكأ فى الذهاب فاطلع عليه بعض الفرنسيس من أعلى الدار فنزل اليه وأخذ الورقة . وقبضوا على ذلك الخادم ، وصادف ذلك مرور حسن القلق — وهو يتوقع نكتة تكون له بها الوجاهة عند الفرنساوية — فاغتنم هذه الفرصة ، وقبض على الخادم مع الفرنساوية ، وسيده ينظر اليه من بعيد ، وعلم أنه وقع فى خطب لا ينجيه منه الا الفرار . فرجع الى داره ، وتناجى مع اخيه واستشاره فيما وقع فيه ، وكيف تكون العمل فأشار عليه بالاختفاء ، ويستمر اخوه بالمنزل مستهدفا للقضاء ، وليكون وقاية على منزله وعرضه ، وليس هو مقصودا بالذات ... فكان كذلك وتغيب سيدى محمود ، وأصبح الطلب قاصده فلما لم يجدوه ، قبضوا على أخيه سيدى محمد افندى ومن كان معه بالبيت — وهو الشيخ خليل المنير ، وقرابته اسماعيل جلبى ، ونسيبه البرنوسى ، والسقاء وشيخ حارتهم — وحبسوهم ببيت قائمقام وهم سبعة أنفار بالخادم المقبوض عليه أولا ، وأوقفوا حرسا بدارهم ، واجتهدوا فى الفحص عن سيدى محمود ، وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقائه أياما .

فلما لم يقفوا له على خبر ، أحاطوا بالدار ، ونهبوا مافيها وصحبتهم الخادم يدلهم على المتاع والمخبآت . ثم أصعدوهم الى القلعة ، وضيقوا عليهم ، وأرسلوا خلف الشواربى شيخ قليوب ومن كان ينتقل عندهم ، وألزموهم باحضاره فأنكروه وجحدوه ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالا فرانسة ، وجعلوا له ألفا ان دلهم عليه ، وقيدوا به عينا يتبعه اينما توجه . فاستمر أياما يغدو ويروح فى مظناته ، فلم يقع له على خبر . فردوه الى السجن ثانيا عند أصحابه . ولم يزالوا به حتى فرج الله عنهم .

وأما المطلوب فوقع له مزيد المشقة فى مدة اختفائه ، وتبرأ منه غالب أصحابه ومعارفه من العربان وغيرهم وتنكروا منه . ولم يزل حتى استقر عند شيخ العرب موسى أبى حلاوة وأولاده بناحية أمييه بالقليوبية ، باطلاع الشواربى ، فأكرموه وواسوه وأخفوا أمره ، ولم يزل مقيما عندهم فى غاية الاكرام حتى فرج الله عنه .

الخميس ١٤ منه (٢٩ يناير ١٨٠١ م) :

تقيد للحضور بسبب الكشف على الكسوة « استوفو » خازندار الجمهور ، و « فوريه »



استوفو

وكيل الديوان . فحضر صحبتهما المشايخ والقاضى والأغا والوالى والمحتسب ، بعد ما أخلى المسجد من الناس ، وأحضروا خدامين الكسوة الأقدمين ، وحلوا رباطاتها وكشفوا عليها ، فوجدوا بها بعض خلل ، فأمروا باصلاحه ورسموا لذلك ثلاثة آلاف فضة ، وكذلك رسموا للخدمة الذين يخدمونها ألف نصف فضة ، ولخدمة الضريح ألف نصف ثم ركبوا الى منازلهم ، ثم طويت ووضعت فى مكانها بعد اصلاحها .

الاحد ٢٤ منه (٨ فبراير ١٨٠١ م) :

ضربت مدافع كثيرة ، بسبب ورود مركبين

عظيمين من فرانسا ، فيهما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونابارته أغار على بلاد النمسه وحاربهم وحاصرهم وضايقهم ، وأنهم نزلوا على حكمه . وبقى الأمر بينهم وبينه على شروط الصلح ، وأنه استغنى عن هذه الأشياء المرسلة ، وسيأتى فى أثرهم مركبان آخران فيهما أخبار تمام الصلح . ويستدل بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم الفرنسيس لا يشركهم غيرهم فيها .. هكذا قالوا وقرأوه فى ورقة بالديوان !

شوال

الاحد غرته (١٥ فبراير ١٨٠١ م) :

بدأ أمر الطاعون ، فانزعج الفرنساوية من ذلك ، وجردوا مجالسهم من الفرش ، وكنسوها وغسلوها ، وشرعوا فى عمل كرنتيلات ومحافظات .

الاحد ٨ منه (٢٢ فبراير ١٨٠١ م) :

قال وكيل الديوان للمشايخ : « أن حضرة سارى عسكر بعث الى كتابا معناه ايضاح ما يتعلق بأمر الكرنتيلة ، ويرى رأيكم فى ذلك ، وهل توافقون على رأى الفرنساوى أم تخالفون؟» . فقالوا : «حتى ننظر ماهو المقصود» فقال : «حضرة أرباب الديوان يجب عليهم أن يعملوا الطريق الذى يكون سببا لانقطاع هذه العلة ، فاننا نبغى لهم ولغيرهم الخير . فان أجابوا فذاك .. والا فليلزموا ولو قهرا ، وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة . ومن الذى يتغافل عما يكون سببا لقطع هذا الداء ؟ فان رأينا قد انعقد على ذلك ، ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان ، لأن حفظ الصحة واجب ، ولذا نرى كثيرا من الناس ، ولا سيما المتشرعون يستعمل الطبيب عند المرض وغايته حفظ الصحة وما نحن فيه من ذلك . ونذكر لكم أن بلاد المغرب قد اعتمدوا فعل الكرنتيلة الآن .. فعلماء القاهرة أولى بأن لا يتأخروا عن استعمال الوسايط اذ قد ربطت الأسباب بالمسببات » . فقيل له : «وما الذى تأمرون به أن يفعل ؟ » فقال : « هو الحذر لاغير ، وهو الغاية والنتيجة ، وهو أنه اذا دخل الطاعون بيتا لا يدخل فيه أحد ، ولا يخرج منه أحد ، مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به ، وخدمة المريض وعلاجه . وسيوضح لكم ذلك فيما بعد . يعنى أن تذعنوا للطاعة وعدم المخالفة » .

وطال البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب الديوان والوكيل . وانفض المجلس على أن الوكيل سيفاوض سارى عسكر فى ذلك ، ثم يدبرون أمرا وطريقة يكون فيها الراحة للناس البلدية والفرنساوية فان ذلك فيه مشقة على أهل البلد لعدم الفتهم لهذه الأمور .

الجمعة ١٣ منه (٢٧ فبراير ١٨٠١ م) :

ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدرى سببها

السبت ١٤ منه (٢٨ فبراير ١٨٠١ م) :

قرىء فرمان من سارى عسكر بالديوان ، وألصقت منها نسخ فى مفارق الطرق والأسواق .

ونصه ، بعد البسملة والجلالة :

« من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ... الى كامل الأهالى كبير وصغير ، غنى وفقير . المقيمين حالا بمحروسة مصر وبمملكة مصر : الناس الذين هم من الأشقياء والمفسدين ، ولا يفتشون الا على لاضرار بالناس واضراركم ، يظهرون فى وسط المدينة بينكم أخبارا رديئة تزويرا لتخويفكم . وتخويف المملكة ، وكل ذلك كذب وافتراء . فانما نحن نخبركم جميعا أن كلا من الأهالى المذكورة من أى طائفة وملة كان ، الذى يثبت عليه بالاشاعة

او النشر من نفســه بينكم ذلك الأخبار الرديئة المكذوبة ، تخويفا لكم واضلالا بالناس ، ففى الحال ذلك الرجل يمسك وترمى رقبته بوسط واحــدة طرق مصر

« ويا أهالى مصر ، انتبهوا وتذكروا هــذه الكلمات ، وكونوا مستريحين البــال ، ومترهفين الحال ... انما دولة الجمهور الفرنساوى حاضرة لحمايتكم وصياتتكم ، ولكن ناظر كذلك الى تعذيب العصاة . والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة » .

تحريرا فى شــهر وافتور (١) سنة تسع ، الموافق الحادى عشر شهر شوال .

فعــلم النــاس من ذلك الفرمان ورود شىء وحصول شىء على حد « كاد المرتاب أن يقــول خذونى » . وليس للناس ذكر ولا فكر الا فى بواقى الفردة وما لزمهم فى المليون ، ولا شغل لكل فرد الا بتحصيل مافرض عليه . ولعل ذلك بسبب الأوراق الواصلة على يد سيدى محمود أبى دفية باللغــة الفرنساوية التى تقدم ذكرها .

واشتهر أيضا أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب انكليز جهة أبى قير وفى ذلك المجلس سئل الوكيل عن ضرب المدافع لأى شىء ، فقال : « لا بد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس ، وهو أن الفرنساوية كانت تحارب القرانات ، والآن وقع صلح بينهم وبين القرانات ماعدا الانكليز ، فانه الآن مضيق عليــه ، وربما كان ذلك سببا لرضاه بالدخول فى الصلح ، وقد خرج من فرانسا عمارة ربما توجهت على الهند ، وربما أنهم يقدمون الى مصر . وقد وصل لسارى عسكر أمر من المشيخة بوصول مراكب الموسقو التى تحمل الذخائر الى الفرساوية ، وأن يمكنهم من دخول اسكندرية .

وقد خرج ستة غلايين من فرانسا الى بحر الهنــد فربما قدموا بعد ذلك الى جهة السويس . وبورود هــذه الأخبــار تعين خلوص مصر الى جمهــور الفرنساوية .

« وفى ســالف الزمان كانت جميــع القرانات التى بالجهة الشمالية ضدا للفرنساوية ، وقد زالت الآن هذه الضدية ، ومتى انقضى أمر الحرب عمت الرحمة والرأفة . والنظر بالملاطفة للرعية والذى أوجب الاغتصاب والعسف انما هو الحرب ، ولو دامت المسالمة لما وقع شىء من هذا » .

فقال بعض أهل الديوان : « سنة الملوك العفو والصفح ، وما مضى لايعاد . فارحموا واعفوا عما سلف » . فقال الوكيل : « قد وقع الامتحان ولم يبق الا السلم والمسامحة » .

وفيه : قبضوا على القلق المعروف بعمر آغا — وهو أغات المغاربة المرتبة عندهم عسكرا — وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما على جلبى والآخر مصطفى جلبى ، وسجنا بالقلعة وسبب ذلك أنه حضر الى مصطفى جلبى مكتوب من نسيبه بجهة الشام يطلب منه بعض حوائج ، فقرىء ذلك المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه الآخر ، فوشى بهم رجل قواس ، فقبضوا على الجميع . وكان مصطفى جلبى المذكور ساكن ببيته محمد أفندى ثانى قلفة ، فدخلوا يفتشون عليه فى الدار فلم يجدوه ، فألزموا به محمد أفندى المذكور وازعجوه وأحاط به عدة من العسكر ولم يمكنوه من القيام من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد . وبعد أن وجدوا ذلك الانسان لم يفرجوا عن محمد أفندى ، بل استمر معهم فى الترسيم ، ووجــدوا مكانا بالدار به أسلحة وأمتعة فنهبوه ، وانتهبت الدار والحارة ، وحصل عندهم غاية الكرب والمشقة ... حتى أن بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف ، وغلب عليه الوهم فمات فجأة رحمه الله !

(١) لعله يعنى شهر « فانتوز » Ventose » .

ثم فرج الله عن محمد أفندى بعـــد ثلاثة أيام ، وأطلق عمر القلق لظهور براءته ، ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت ، وانتقل محمد أفندى من تلك الدار وما صدق بخلاصه منها ، وبقى على جلبى ومصطفى جلبى فى الحبس .

الثلاثاء ١٧ منه (٣ مارس ١٨٠١ م) :

استفيضت الأخبار بوصول مراكب الى أبى قير كما تقدم .

الاربعاء ١٨ منه (٤ مارس ١٨٠١ م) :

خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا الى الجهة البحرية برا وبحرا .

الخميس ١٩ منه (٥ مارس ١٨٠١ م) :

خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشـــهم ، وذهبوا الى جهة الشرق . وأشيع حضور عرضى العثمانية ووصولهم الى العريش صحبة يوسف باشا الوزير .

وفيه : أصعدوا الشيخ الســـادات الى القلعـــة من غير اهانة .

الجمعة ٢٠ منه (٦ مارس ١٨٠١ م) :

اجتمع أهل الديوان فيه على العادة ، فبدأ الوكيل يقول : « انه كان يظن أنه يكون حرب ، ولـــكن وردت أخبار أن المراكب التى حضرت الى اسكندرية — وهى نحو مائة وعشرين مركبا — قد رجعت » فقيل له : « وما هذه المراكب ؟ » . فقال : « مراكب فيها طائفة من الانكليز وصحبتهم جماعة من الأروام ليس فيها مراكب كبار الا قليل جدا ، وباقيها صغار تحمل الذخيرة » . ثم قال : « ان حضرة ســـارى عســـكر قد كان وجه اليكم فرمانا فى شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر ، وهو وان كان قد فات موضعه من حيث أنه كان يظن أن هنـــاك حربا ، ولكن من حيث كونه قد برز الى الوجود ، فينبغى أن يتلى على مســـامعكم » . ثم أمر « رفائيل » الترجمان بقراءته ، ونصه :

« من عبـــد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتهـــا ببر مصر حالا .. الى جميـــع الكبير والصغير ، الأغنياء والفقراء ، المشايخ والعلماء ، وجميعهم الذين يتبعون الدين الحق والحاصـــل لجميـــع أهالى بر مصر سلمهم الله ، بمقـــام السر عسكر الكبير بمصر فى أربعة عشر شهر « ونتوز » ســـنة تسع من قيام الجمهور الفرنساوية واحـــد ولا ينقسم . ثم كتب تحت ذلك البســـملة ولفظ الجلالة ، وتحته : أن الله هو هادى الجنود ، ويعطى النصرة لمن يشاء ، والسيف الصقيل فى يد ملاكه ، يسابق دائما الفرنساوية ويضمحل أعداؤهم !

« ان الانكليزية الذين يظلمون كل جنس للشر فى كل المواضع ، فهم ظهروا فى الســواحـــل ، وان كانوا يتجرأوا يضعوا أرجلهم فى البر فيرتدوا فى الحال على أعقابهم فى البحر ، والعثمانيين متحركين كهؤلاء الانكليزية يعملون أيضا بعض حركات . فان كان يقدموا ، ففى الحال يرتدوا وينقلعوا فى غبار وعفار البادية .

« فأنتم ياأهالى مملـــكة ومحروسة مصر ، انى أنا أخبركم : ان كان تسلكوا فى طريق الخـــائفين الله ، وتبقوا مستريحين فى بيوتكم ، ومقيمين كما كنتم فى أشغالكم وأغراضكم .. فحينئذ لا خوف عليكم . ولكن ان كان واحد منكم يسلك للفساد واضـــلالا الكم بالعـــدواة ضـــد دولة الجمهور الفرنساوى.. فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم أن رأس ذلك المفسد ترمى فى تلك الساعة . فتذكروا فى كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة ، وجرى دماء آبائكم ونســـائكم وأولادكم فى كل مملكة مصر — وخصوصا محروسة مصر — وخواصكم

انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فردة قوية غير المعتاد . فأدخلوا فى عقولكم وأذهانكم كل ما قلت لكم الآن . والسلام على كل من هو فى طريق الخير ، فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير » .

ممضى خالص الفؤاد

منو
جاك
عبد الله

وفيه : عملوا شنكا وضربوا عدة مدافع من القلاع ، فارتاع الناس لذلك ، واضطربوا اضطرابا شديدا . فسئل من الفرنسيس فأخبروا : أن ذلك سرور بقدوم مركبين من فرانسه الى اسكندرية .

وفيه أيضا : وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة . وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب الى أبى قير ، شحت الغلال ، وارتفعت من الرقع على العادة ، وزادت أثمانها . فتفاوضوا فى شأن ذلك ، وأنه لابد من الاعتناء من الحكام وزجر الباعة ، وطواف المحتسب وشيخ البلد على الرقع والسواحل .

ولما قرىء الفرمان المذكور قال بعض الحاضرين : « العقلاء لا يسعون فى الفساد ، واذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم » . فقال الوكيل : « ينبغى للعقلاء ولأمثالكم نصيحة المفسدين ، فان البلاء يعم المفسد وغيره » . فقال بعضهم : « هذا ليس بجيد ! بل العقاب لا يكون الا على المذنب .قال تعالى : كل نفس بما كسبت رهينة » . وقال آخر من أهل المجلس : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . فقال الوكيل : « المفسدون فيما تقدم أهاجوا الفتنة فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فانها لا تقرأ القرآن ! » . وقال آخر : « المخلص نيته تخلصه ! » .

فقال الوكيل : « ان المصلح من يشمل صلاحه الرعية ، فان صلاحه فى حد ذاته يخصه فقط ، والثانى أكثر نفعا » . وطال البحث والمناقشة فى نحو ذلك .

فلما كان عصر ذلك اليوم ، ورد فرمان من سارى عسكر الى وكيل الديوان ، فأرسل خلف الشيخ اسماعيل الزرقانى فاستدعاه وسلمه اليه وأمره أن يطوف به على مشايخ الديوان فى بيوتهم فيقرأونه ، وهومبنى على جواب المناقشةالمذكورة . وصورته .. بعد البسملة والجلالة :

« من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها بير مصرحالا ، الى كافة المشايخوالعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ... أدام الله تعالى فضائلهم ، وألهمهم الحكمة الواجبة لاجراء فرائضهم : نرسل لحضراتكم يامشايخ وياعلماء الكرام ، نداء جديدا .. خطابا الى جميع أهالى مملكة مصر ، ولخصوصا أهل محروسة مصر ، ولا شبهة لى فى تقييدكم لتنبيههم بكل ماهو محرر فيها ، وغير ذلك . تذكروا أن هذا التنبيه هو غرضكم . اما حضراتكم ههنا رجال دولة الجمهور الفرنساوى ، فيبقى فى عقولكم وأذهانكم كل ما وقع حين قصاص مصر الأخير ، تفهموا بناء على ذلك ، كيف هو واجب الى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلائق ، لأنه ان كان يصير أصغر الحركات فلا بد أثقالها يقع على رؤوسكم . وغير ذلك ورد لنا فى الحال أخبار من فرانسا أنه كملت المصالحة مع امبراطور النيمسا ، وأن قيصر الروسيا بين وأقام المحاربة ضد دولة العثمانية والسلام » .

السبت ٢١ منه (٧ مارس ١٨٠١ م):

اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوى، وحضر الأغا والوالى والمحتسب، وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الأخطاط ونصحوهم وأنذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم، وأن لا يغفلوا أمر عامتهم، وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين، وجهل الجاهلين. وأنهم هم المأخوذون بذلك، كما أن من فوقهم مأخوذ عنهم. فالعاقل يشتغل بما يعنيه — على أنه لم يبق فى الناس الا رسوم هافتة — وأنفصلوا على ذلك.

هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد، وبث المعينين من القواسة والفرنساوية فى المطالبة بالثلث والكسرة الباقية من الفردة، والتشديد فى أمر الكرنتيلة، وازعاج الناس من ذلك، وخوفهم من حصول الطاعون. وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء فى مكان، كشفوا عليه .. فان كان مريضا بذلك الداء، أخذوا ذلك المصاب الى الكرنتيلة عندهم، وانقطع خبره عن أهله. الا ان كان له أجل باق ويشفى من ذلك، ويعود اليهم صحيحا. والا فلا يراه أهله بعد ذلك أصلا، ولا يدرى خبره. لانه اذا مات أخذه الموكلون بالكرنتيلة، ودفنوه بثيابه فى حفرة، وردموا عليه التراب. واما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها مدة أربعة أيام، ويحرقون ثيابه التى تختص به، ويقف على بابه حرس. فان مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرتنوه. وان مات الشخص فى بيته وظهر أنه مطعون جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها وغسله الغاسل وحمله الحمالون لاغير، وأخرجوه من غير مشهد وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه، فان قرب منه أحد كرتنوه فى الحال. وبعد دفنه يكرتنون على كل من باشره بغسل أو حمل أو دفن! فلا يخرجون الا لخدمة أخرى مثلها بشرط لا مساس.

فهال الناس هذا الفعل واستبشعوه، وأخذوا فى الهرب والخروج من مصر الى الارياف لذلك ولتوهم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب الى أبى قير، وتحذر الفرنساوية واستعدادهم وتأهبهم ونقل أمتعتهم الى القلعة.

الثلاثاء ٢٤ منه (١٠ مارس ١٨٠١ م):

قبضوا أيضا على حسن أغا المحتسب، وأصعدوه الى القلعة بشخص يخدمه، فحبسوه بالبرج الكبير. فأما الشيخ السادات فسأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه. فقال له: « لم يكن الا الحذر من اثارة تلك الفتن فى البلد واهاجة العامة، لبغضك الفرنسيس لما سبق لك منهم من الايذاء ». وأما المحتسب فان الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ذهبا الى قائمقام والى سارى عسكر وتكلما فى شأنه، فأجابهما بأن هذا لم يكن من شغلكما. وقيل للسيد أحمد: « انك رجل تاجر وذاك أمير وليس من جنسك حتى تشفع فيه ». فقال: « اننا محتاجون اليه لأجل مساعدته معنا فى قبض المليون، ولا نعرف له ذنبا يوجب حبسه لأنه ناصح فى خدمة الفرنسيس ». فقالا على لسان الترجمان: « الله يعلم ذنبه وسارى عسكر، وهو أيضا يعلم ذلك من نفسه ». ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره، فكان كتخداه يركب مع الأغا وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة.

وفيه: نادوا فى الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج ن أمر الكرنتيلة، وأما من مات لاتحرق الا ثيابه التى على بدنه لاغير. وكان أشيع فى الناس ماتقدم، وزادوا على ذلك حرق الدار التى بموت فيها أيضا، وأن قصدهم أيضا عمل كرنتيلة على البلد بتمامها. فحصل من هذا المشاع فى الناس كرب عظيم، ووهم جسيم. فنودى بذلك ليسكن روع الناس.

الخميس ٢٦ منه (١٢ مارس ١٨٠١ م) :

أرسل كبير الفرنسيس وطلب رؤساء الديوان والتجار فحضروا الى منزله فأعلمهم أنه مسافر الى بحرى ، وتارك بمصر قائمقام « بليار » وجملة من العسكر والكتبة والمهندسين ، وأوصاهم بأن يكون نظرهم على البلد . وكان فى العزم حبسهم رهينة ، فاستشار فى ذلك ، فاقتضى رأيهم تأخير ذلك ، وركب من فوره مسافرا ، ولم يرجع من هذه السفرة الى مصر .

وحضر الجماعة الى الديوان ، واجتمعوا بالوكيل « فوريه » فأخبرهم أنه حضر الي ناحية أبى قير طائفة من الانكليز ، وصحبتهم طائفة من المالطية ، وأخرى نابلطية وطلعوا الى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء ، وأن الفرنساوية محيطون بهم من كل جهة .

الجمعة ٢٧ منه (١٣ مارس ١٨٠١ م) :

رجعت العساكر التى كانت توجهت الى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم ، وصحبتهم سارى عسكر الشرقية « رينه » . فسافروا من يومهم ، ولحقوا بكبيرهم برا وبحرا وأخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الصالحية ، وأرسلوا هجانة الى العريش . فلم يجدوا أحدا فكروا راجعين ، وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت اليها أحد مطلقا .

وأصل الخبر أن سارى عسكر « رينـه » ، كاشف القليوبية والشرقيـة ، أخبره بعض عربان المويلح بأنهم شاهدوا مراكب انكليزية ترددت بالقلزم فأرسل بخبر ذلك الى سارى عسكر « مينو » ويقول له فى ضمن ذلك ، ويشير عليه بأن يتوجه صحبة جانب من العسكر ويحصن نواحى الاسكندرية خوفا من ورود الانكليز تلك الناحية وأن « رينه » يتكفل له بمن يرد الى ناحية الشرق . وأكد عليه فى ذلك فأجابه سارى عسكر بقوله : « ان الانكليز لا يأتون من هذه الناحية ، وأنهم يأتون من ساحل الشـام » ويأمره بالارتحال والذهاب الى الصالحيـة يرابط فيها . فتوانى فى الحركة ، وأرسل اليه ثانيـا بمعنى الجواب الأول ويحثه على تحصين ثغور الأسكندرية .

وترددت بينهما المراسلات فى ذلك ، ومضت أيام فيمابين ذلك . فورد الخبر للفرنساوية بورود مراكب الانكليز وترددها تجاه الاسكندرية ثم رجوعها . فكتب سارى عسكر «مينو» يقول لرينه انهم تراءوا — ليوهموا بأن قصدهم ورود الاسكندرية — ثم غابوا ، وأنهم رجعوا ليطلعوا بناحية الطينة ، ويستحثه على الرحلة والذهاب الى الصالحيـة . فلم يسعه الا الامتثال والارتحال وكتب اليه كتابا يقول فيه . « انهم لا يريدون الا ثغر الاسكندرية ، وانما لم يسعفهم الريح فلا تغتر برجوعهم » وأنه رحل امتثالا للأمر . ويشير عليه هو أيضا بعدم تأخره عن الذهاب الى الاسـكندرية ، ويقبل اشارته . فلم يستمع ، وتأخر عن ذلك .

ورحل « رينه » الى جهة البركة ، ولم يستعجل الذهاب ، ثم انتقل الى الزوامل ، ثم الى بلبيس وفى كل يوم ووقت يرسـل اليـه سـارى عسكر « مينو » ويأمره بالذهاب الى الصالحية ، وهو يتلكأ فى الرحيـل ثم أرسـل له آخـر يقول له . « انه وردت علينـا أخبار بأن يوسف باشا الوزير متحرك الى القدوم » ويحتم عليه فى الرحيل الى الصالحية فعنـد ذلك جمع « رينه » سوارى عسكره وعرض عليهم ذلك ، وسفه رأيه ، وأن هذا الخبر لا أصل له ... وأنا أعلم أننا لا نصل الى الصالحية حتى يأتى الخبر بخلاف ذلك ، ويأتينا الأمر بالرجوع والذهاب الى الأسـكندرية ، فلا نستفيد الا التعب والمشقة وارتحل بمن معه من غير استعجال فوصلوا الى القرين فى ثلاثة أيام واذا بمراسلة سارى عسكر « مينو » الى « رينه » يخبره بأن الانكليز وصلوا الى أبى قير ، وطلعوا الى

البر ، وتحاربوا مع أمير الاسكندرية ومن معه من الفرنساوية ، وظهروا عليهم . ويستعجله فى الرجوع والذهاب الى الاسكندرية .

فقال «رينه» : « هذا ما كنت أخمنه وأظنه » ، وارتحل راجعا ، وعدى على بر أنبابه بعساكره . وتقدم سارى عسكر « مينو » وسبقه الى الاسكندرية .

ذو القعدة

الاربعاء ٣ منه (١٨ مارس ١٨٠١ م) :

أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا لسارى عسكر مكتوبا بالسلام ، ففعلوا ما أمروا به.

السبت ٦ منه (٢١ مارس ١٨٠١ م) :

توفى محمد أغا مستحفظان مطعونا .. مرض يوم السبت وتوفى ليلة الأحد — فوضعوه فى نعش وخرج به الحمالون لاغير ، وأمامه الطرادون . ولم يعملوا له مشهدا ولا جماعة ، وكرتنوا داره وأغلقوها على من فيها . ولم يقلدوا عوضه أحدا ، بل أذنوا لعبد العال أن يركب عوضا عنه .. وذلك بمعونة نصر الله النصرانى ترجمان قائمقام ، فاستقر عبد العال المذكور أغات مستحفظان ومحتسبا . فكان ذلك من جملة النوادر والعبر ! فان عبد العال هذا كان من أسافل العامة ، وكان أجيرا لبعض نصارى الشوام بخان الحمزاوى يخدمه ، ثم توسط بمصطفى أغا السابق بسبب معرفته للنصارى المترجمين ، حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية ، فجعله كتخداه ومشيره . فلما تولى محمد أغا تقيد معه كما كان مع مصطفى أغا ، ولكن دون الحالة التى كان عليها مع ذلك لصلاحية محمد أغا عن ذلك المقتول . فلما توفى فى هذا الوقت ترك لعبد العال أمر المنصب لاشتغال الفرنساوية بما هو الأهم ، من انفتاح الحروب والطاعون وغير ذلك .

الثلاثاء ٩ منه (٢٤ مارس ١٨٠١ م) :

أشيع فى الناس وصول العثمانيين الى ناحية غزة ، وأن جواليشهم وصلوا الى العريش . وقدمت الهجانة الى الفرنساوية بالخبر .

فلما كان عشاء تلك الليلة ، طلبوا المشايخ الى الديوان ، فلما تكامل حضورهم ، حضر « فوريه » الوكيل ، وصحبته آخر من الفرنسيس من طرف قائمقام . فتكلم « فوريه » كلاما كثيرا ليزيل عنهم الوهم ، ويؤانسهم بزخرف القول كقوله : « انه يحب المسلمين ويميل بطبعه اليهم وخصوصا العلماء وأهل الفضائل ، ويفرح لفرحهم ، ويغتم لغمهم ، ولايحب لهم الا الخير . وسياسة الأحكام تقتضى بعض الأمور المخالفة للمزاج ، وأن سارى عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسوما ، وأمرهم باجرائها والمشى عليها فى أوقاتها ، وأنه عند سفره قصد أن يعوق المشايخ وأعيان الناس ، ويتركهم فى الترسيم رهينة عن المسلمين . فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا الى أبى قير ليسوا من المسلمين ، وانما هم انكليزية ونابلطية وأعداء للفرنساوية وللمسلمين أيضا ، وليسوا من ملتهم حتى يخشى من ميلهم اليهم ، أو يتعصبوا من أجلهم..والآن بلغنا أن يوسف باشا الوزير وعساكر العثمانية تحركوا الى هذا الطرف ، فلزم الأمر لتعويق بعض الاعيان ، وذلك من قوانين الحرب عندنا ، بل وعندكم . ولا يكون عندكم تكدر ولا هم بسبب ذلك .. فليس الا الاعزاز والاكرام أينما كنتم ، والوكيل دائما نظره معهم ، ولا يغفل عن تعليل مزاجهم فى كل وقت ويوم » .

ثم انتهى الكلام وانقضى المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ وهم : الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى .. فأصعدوهم الى القلعة فى الساعة الرابعة من الليل مكرمين ، وأجلسوهم بجامع سارية ، ونقلوا الى

مكانهم الشيخ السادات ، فاستمر معهم بالمسجد ، وأمروا الأربعة الباقية من أعضاء الديوان وهم : البكرى والأمير والسرسى وكاتبه أن يكون نظرهم على البلد ، ويجتمعون بشيخ البلد ولا ينقطعون عنه ، وأن المشايخ المحجوزين لا خوف عليهم ولا ضرر ، وهم معززون مكرمون ، وأطلقوا لكل شيخ منهم خادما يطلع اليه وينزل ليقضى له أشغاله وما يحتاج اليه من منزله . والذى يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم يأخذ له ورقة بالاذن من قائمقام ويطلع بها فلا يمنع ، وكذلك أصعدوا ابراهيم افندى كاتب البهار وأحمد بن محمود محرم وحسين قرا ابراهيم ويوسف باشجاويش تفكيان وعلى كتخدا يحيى أغات الجراكسة ، ومصطفى أغا أبطال وعلى كتخدا الجدلى ومحمد أفندى سليم ومصطفى أفندى جمليان ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم ، وأمروا المشايخ الباقية والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظرهم الى البلد والعامة ، وأنهم يترددون على « بليار » قائمقام ويعلمونه بالأمور التى ينشأ عنها الشرور والفتن . وأهمل ديوان المليون والمطالبة بثلثه ، وكذلك كسرة الفردة . ونفس الله عن الناس ، وكذلك تسوهل فى أمر الكرنتيلة واجازة الأموات وعدم الكشف عليهم ، وتصديق الناس بما يخبرون به فى مرض من يموت ... وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ونقل متاعهم وصناديقهم وفرشهم وذخائرهم الى القلعة الكبيرة على الجمال والحمير ليلا ونهارا ، والطاعون متعلق فيهم ، ويموت منهم العدة الكثيرة فى كل يوم .

الخميس ١١ منه (٢٦ مارس ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن الشيخ سليمان الفيومى وأنزلوه من القلعة ليكون مع من لم يحبس . وأمرهم الوكيل بالتقيد والحضور الى الديوان على عادتهم ولا يهملونه . فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم ، ولا يرد عليهم الا القليل من الدعاوى ، ثم ينصرفون الى منازلهم ، وكذلك أمروا الشيخ أحمد العريشى القاضى بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك ، وذلك حفظا للناموس لا غير .

السبت ١٣ منه (٢٨ مارس ١٨٠١ م) :

نقل الكمشارى « فوريه » الوكيل متاعه الى القلعة وصعد اليها فلم ينزل . وأرسل الى الشيخ سليمان الفيومى تذكرة يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس ويودعه فى مكان بداره ... ففعل ما أمره به ، ولم يتركوا به الا الحصر . وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم ، فكانوا يفرشون سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس ثم ينصرفون .

الاحد ١٤ منه (٢٩ مارس ١٨٠١ م) :

نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج الى جامع سارية صحبة المشايخ . وكذلك « فوريه » الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور ، وأظهر أن قصده مؤانستهم ، وليس الا لضيق مساكن القلعة وازدحام الفرنسيس وكثرة ما نقلوه اليها من الأمتعة والذخائر والغلال والأحطاب ، مع ماهدموه من أماكنها ، حتى أنهم سدوا أبواب الميدان وجعلوه من جملة حقوقها فكانوا ينزلون اليه ويصعدون منه ، من باب السبع حدرات .

الجمعة ١٩ منه (٣ ابريل ١٨٠١ م) :

ورد مكتوب من كبير الفرنسيس من ناحية اسكندرية ، مؤرخ بثالث عشر القعدة (٢٨ مارس ١٨٠١) وهو جواب عن المكتوب المرسل اليه السابق ذكره ، وصورته بعد الصدر المعتاد : « من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ... الى كامل المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله فضائلهم .

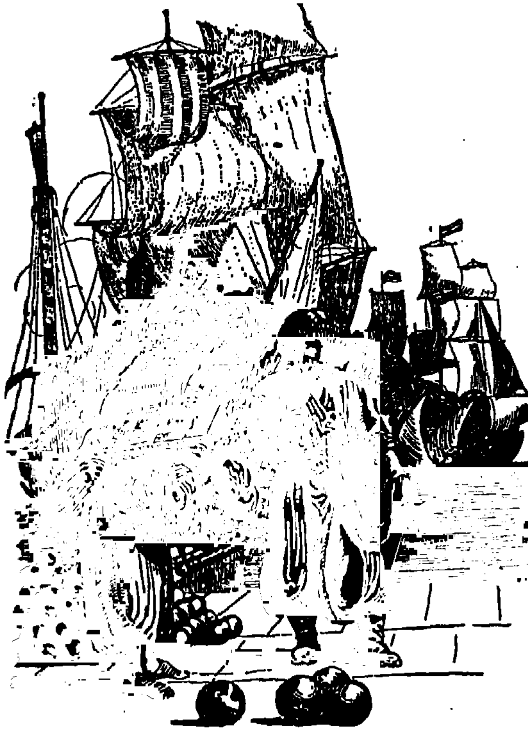
« ورد لنا مكتوبكم العـزيز ، ورأينا بكامل السرور كل ما فصلتم لنا به ، وثبت من مفهومنـا صدق ودادكم لنا ولعساكر دولة جمهور الفرنساوية ، ودمتم حضراتكم ، وكافة أهالى مصر ، بالحميـة والاستقامة الموعودة . ومعلوم عـلى فضائلكم أن الله يهدى كلا .. فما النصرة الا منه ، ووضعت عليه اعتمادى وما توفيقى الا به وبرسوله الكريم عليه السـلام الدائم ، وان ابتغيت النصرة فما هو الا لسهولة خيراتى الى بر مصر وسكان ولايتها ، وخير أمور أهلها . والله تعالى يكون دائما معكم ، ويكرم وجوهكم بالسلامة » .

وفيه : سمع ونقل عن بعض الفرنسيس ، أنه وقع الحرب بين الفرنساوية والانكليزية . وكانت الهزيمة على الفرنساوية ، وقتل بينهم مقتلة كبيرة ، وانحازوا الى داخل الاسـكندرية ، ووقع بينهم الاختلاف . واتهم « مينو » سارى عسكر « رينه » و « داماص » ورابه منهما ما رابه ، وكانا سـببا لهزيمته فيما ظن ويعتقد . فقبض عليهما وعزلهما من امارتهما . وذلك أن « رينه » و«داماص» لما ذهبا على الصورة المتقدمة ، ونظر « رينه » وأرسل من كشف على متاريس الانكليز فوجدها فى غاية الوضع والاتقان ، اجتمعوا للمشورة على عادتهم ، ودبروا بينهم أمر المحاربة ، فرأى سارى عسكر « مينو » رأيه ، فلم يعجب « رينه » ذلك الرأى : « وان فعلنا ذلك وقعت الغلبة علينا . وانما الرأى عندى كذا ، وكذا ... »

ووافقه على ذلك «داماص» وكثير من عقلائهم . فلم يرض بذلك « مينـو » وقال : « أنا سـارى عسكر ، وقد رأبت رأيى » فلم يسعهم مخالفته ، وفعلوا ما أمر به . فوقعت عليهم الهزيمة ، وقتل منهم فى تلك الليلة خمسة عشر ألفا ، وتنحى « رينه » و « داماص » ناحيـة ، ولم يدخـلا فى الحـرب بعسكرهما . فاغتاظ « مينو » ونسبهما للخيـانة والمخامرة عليه وتسفيههم لرأيه . وأكد ذلك عنده أنهما لما حضرا الى الاسكندرية أخذا معهما أثقالهما وما كان لهما بمصر لعلمهما عاقبة الأمر وسوء رأى كبيرهما ... فاشـتد انكاره عليهما ، وعزل عنهما العسكر ، وحبسهما ثم أطلقهما ونزلا الى المراكب مع عدة من أكابرهم ، وسافرا الى بلادهما .

وكان « مينو » أرسل الى بونابارته يخبر عن ورود الانكليز ويستنجده . فأرسل اليه عسـكرا ، فصادفوا الجماعة المذكورين فى الطريق ، فأخبروهم عن الواقع ، وردوهم من أثناء الطريق — وقد أشاروا لذلك فى بعض مكاتباتهم — وأخبر أيضا المخبرون أن الانكليز أطلقوا حبوس المياه الملحة حتى أغرقت طرق الأسكندرية ، وصارت جميعها لجة ماء ، ولم يبق لهم طريق مسلوك الا من جهـة العجمى الى البرية ، وأن الانكليز تترسوا قبالهم من جهة الباب الغربى .

وفيه : ورد الخبر بأن حسين باشـا القبـطان



قبطان باشا بالاسكندرية

ورد بعساكره جهة أبى قير ، وطلع عسكره من المركب الى البر . وقويت القرائن الدالة على صحة هذه الأخبار ، وظهرت لوائح ذلك من الفرنسيس ... مع شدة تجلدهم ، وكتمان أمرهم ، وتنميق كلامهم.

وفيه : سدوا باب البرقية — المعروف بباب الغريب — وبنوه .. فضاق خناق النـاس بسبب الخروج الى القرافة بالأموات . فكان الذى مدفنه ببستان المجاورين ، يخرج بجنازته من باب النصر ، ويمرون بها من خلف السـور المسافة الطويلة ، حتى ينتهوا الى مدفنهم . فحصل للناس مشقة شديدة ، وخصوصا مع كثرة الأموات .

الأحد ٢١ منه (٥ ابريل ١٨٠١ م) :

كلم بعض المشايخ قائمقام فى شأن ذلك . فأرسل الى قبطان الخطة ، ففتح بابا صغيرا من حائط السور ، جهة كفر الطماعين ، على قدر النعش والحمالين والمشاة .

الاثنين ٢٢ منه (٦ ابريل ١٨٠١ م) :

سافر جماعة من أعيان الفرنساوية الى جهة بحرى وهم : « أستوف » الخازندار العام ومدبر الحدود ، و«فوريه» وكيل الديوان ، و«شنانيلو» مدبر أملاك الجمهور ، و « برنار » وكيل دار الضرب، و «ريج» خازندار دار الضرب، و «لابرت» رئيس مدرسة المكتب وحافظ سجلاتهم وكتبهم . وأخذوا معهم طائفة من رؤساء القبط ، وفيهم جرجس الجوهرى . وأشيع فى الناس بأن سفرهما لتقرير الصلح . وليس كذلك !

الثلاثاء ٢٣ منه (٧ ابريل ١٨٠١ م) :

توكل بحضور الديوان كمشارى يقال له « جيرار » .

الجمعة ٢٦ (١٠ ابريل ١٨٠١ م)

حضر بصحبة كاتب سلسلة التاريخ محبنا الفاضل العمدة السيد اسماعيل ، المعروف بالخشاب ، وحضرة قاسم أفندى أمين الدين كاتب الديوان . فلما استقر به الجلوس ، أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم « جاك مينو » باللغة الفرنساوية مضمونه : أنه مقيم بسكندرية . وهو مؤرخ بعشرين القعدة . ومثل ذلك من الكلام الفارغ !

وفيه : قدم ثلاثة أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيس ، وذهبوا بهم الى بيت قائمقام . فاستفسرمنهم ، فاختل كلامهم وتبين كذبهم ، فأمر بحبسهم .

وفيه : حضر جماعة من الفرنسيس من جهة الشرق ومعهم دواب كثيرة وآلات حرب ، ومروا فى شارع المدينة ، ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفا على البارود من النار . ولم يعلم سبب قدومهم ، ثم تبين أنهم الذين كانوا محافظين بالصالحية .

وبعد أيام حضر أيضا الذين كانوا بالقرين ، وكذلك الذين كانوا ببلبيس وناحية الشرق ، شيئا بعد شىء .

ذو الحجة

(١٥ ابريل — ١٣ مايو ١٨٠١ م)

فيه : حصل الاجتماع بالديوان ، وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخبارا بالأمس منها : أنه قد مات جماعة من كبراء الانكليز ، وأن أكثر عساكرهم مريضون بمرض الزحير والرمد ، وربما يحصل الصلح عن قريب ويرجعون الى بلادهم ، وأن العطش مضاررهم ، وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم بالماء ، فتعذر عليهم ذلك .

ثم سأل عن أحوال البلد ، وسكون الرعية ، والغلال والأقوات . فأجيب بأن البلد مطمئنة ، والرعية ساكنة ، والغلال موجودة ، فقال : « لابد من اعتنائكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة » .

وفيه : أشيع أن الانكليز ومن معهم من العثمانية ملكوا ثغر رشيد وأبراجها ، وحاربوا من كان بهـا من الفرنسيس حتى أجلوهم عنها ودخلوها .

وفى ذلك اليوم : قبضوا على نيف وستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوهم . وذلك من فعل عبد العال الأغا .

وفيـه : أمر « بليار » قائمقام بركوب أحـد المشايخ صحبة عبد العـال ، ويمرون بشـوارع المدينة . فكان يركب معه مره الشيخ محمد الأمير ، ومرة الشـيخ سـليمان الفيومى . وذلك لتطمئن الرعية .

٦ منه (٢٠ ابريل ١٨٠١ م) :

قرىء مكتوب زعموا أنه حضر من سارى عسكر « مينو » من جهة الاسكندرية ، وصورته ، بعد البسملة والجلالة والصدر المعتاد : « الى حضرات كافة المشايخ والعلماء الكرام المستشيرين بمحفـل الديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعـالى فضائلهم . وما النصرة الا من الله وبشفاعه رسوله الكريم عليه السلام الدائم

« العساكر الفرنساوية والانكليزية هما الى هذا الآن حصيران قبلهما ، فحصنا أطرافنـا بمتاريس وخنادق لا تغلب ولا تهجن ، وغير ذلك يلزم نخبر حضراتكم — لتهدئة تمشياتكم ، ولأجل انتظامها — أن سلطان الروسية المحمية أعلن ، بواسطة مرسله الى حضرة السلطان سليم ، أذعن الأمر الى عساكره لأحل ما تتجانبوا وبتراووا ويخـلوا من بر مصر جميعـا ، والا لابد من السـلطان الروسـيات الجمعـة (١) الاقامة بالمحاربة بمعيـة مائة ألف عسكرية ضد العثمانية وضد قسطنطينية .

« فبناء على ذلك ، أرسل السلطان سليم أوامره بفرمانه ، خطابه الى عساكره لتخلية بر مصر ولكامل من بالبر المذكور ، لكى وثم ولكن ذهب الانكليزية كفا للارتشاء بعض من مقدار العسكر العثمانية ، وبتقديم امتثالهم الى أوامر سلطانهم ... فأعلنوا وأخبروا كل ذلك الى أهالى مصر . فانتظموا كما كنتم دائما بالخير ، فاعتمدوا واعتنوا بحماية وصيانة دولة الجمهور الفرنساوية . والله تعالى يديم فضائلكم عن الالهام بالخير والسلامات » .

حرر فى الخامس والعشرين شهر « جرمينيال » سنة تسعة الموافق ٣ ذى الحجة ١٢١٥ (١٧ ابريل ١٨٠١ م) وكتب بألفاظه وحروفه من خط منشئه « لوماكا » الترجمان .

ثم قال الترجمان : « ان الفرنساوى الذى حمل هذا الكتاب نقل لى عن سر عسكر أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظائفكم ، فدوموا على ذلك » . فأجيب بالسمع والطاعة !

ثم ان بعض الحاضرين من المشـايخ أخبر بأن رجلا من المنوفية ، يقـال له موسى خالد ، كان الفرنساوية أحسنوا اليه وقدموه على أقرانه . فلما خرجوا من المنوفية ، أفسد فى البلاد وقطع الطريق ، ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة أن يخـرج من بلده لتحصيل معاشه ، وأنه قبض على الشيخ عابدين القاضى ، وصـادره فى نحو ثلاثة آلاف ريال ، وكذلك صـادر كثيرا من أغنياء منـوف وغيرها ، وأخذ أموالهم . فقال الوكيل : « ستسكن الفتنة ويعاقب المفسدون » . ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاة من مشايخ الديوان خطابا للتجار والمتسببين ولمشايخ البلاد تأمرونهم بارسال الغلال والأقوات الى مصر . فكتبـوا للمحـلة الكبرى ومنـوف والمنصورة والفشن وبنى سويف .

وفيه : كتبوا جوابا من مشايخ الديوان لكبير الفرنسيس جوابا عن المكتوب المذكور آنفا .

(١) كذا فى الأصل .

وفيه : ذكر قائمقام « بليار » لبعض الرؤساء : أنه اذا رجع سارى عسكر منصورا ، ودامت أهل البلد على طاعتهم وسكونهم ، رفع عنهم نصف المليون والظلم .

١٠ منه (٢٤ ابريل ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن ابن محرم التاجر ، بتوسل والدته بقائمقام « بليار » على مصلحة ألفين ريال فرانسه .



ابو زعبل

وفيه : خرج عبد العال الى ناحية أبى زعبل ، ورجع ومعه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ، ضرب عنق أحدهم .

١٢ منه (٢٦ ابريل ١٨٠١ م) :

قبض عبد العال على أناس من الغورية والصاغة ومرجوش وغيرهم ، وألزمهم بمال . وسئل عن ذلك فقال : « لم أفعله من قبل نفسى ، بل عن أمر من الفرنسيس » !

وفيه : حفروا خندقا عند تلال البرقية ، فكان الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق التل ثم ينزلون ويمرون على سقالة من الخشب على الخندق المحفور . فحصل للناس غاية المشقة .

واتفق أن ميتا سقط من على رقاب الحمالين وتدحرج الى أسفل التل !

وفيه : ورد الخبر بموت مراد بيك (١) بالوجه القبلى بالطاعون . وكان موته رابع الشهر (١٨ ابريل ١٨٠١ م) ودفن بسوهاج عند الشيخ العارف ، وأقيم عزاؤه عند زوجته الست نفيسة وبنت له قبرا بمدفن على بيك واسماعيل بيك بالقرافة بالقرب من قبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه . وأشيع نقله اليه ، ثم ترك ذلك وبطل .

وكان الفرنساوية عندما اصطلح معهم ، وأعطوه امارة الصعيد ، رتبوا لزوجته المذكورة فى كل شهر مائة ألف فضة ، واستمرت تقبض ذلك حتى أخرج الفرنساوية جوابات الى الأمراء المرادية يعزونهم فى أستاذهم ، وتقريرا الى عثمان بيك

(١) يوجد خلاف بين « الجبرتى » والمراجع الفرنسية فى تاريخ وفاة مراد بيك . فالجبرتى يحدد الوفاة فى ٤ ذى الحجة (١٨ ابريل) . والمسيو « مانجان » يقول انه مات يوم (٢١ مارس) ورواية الجبرتى ارجح .

(عبد الرحمن الرافعى — تاريخ الحركة القومية ص ٢٥٧)

الجوخدار المعروف بالطنبرجي بأن يكون أميرا ورئيسا على خشداشينه ، وعوضا عن مراد بيك ويستمرون على امريتهم وطاعتهم .

وفيه : حضرت جوابات المراسلات التى أرسلت الى البلاد بسبب الغلال والأقوات ، بأن المتسببين والتجار أجابوا بالسمع والطاعة . غير أن المانع لهم قطاع الطريق ، وتعدى العرب ومنعهم السبيل ، وأن أبواب البلدان مغلوقة بحيث لا يمكن الخروج منها ، فاذا أمنت الطرق ، حضر المطلوب .. وكلام هذا معناه . وأما الساعي المرسل الى المنصورة فانه رجع من أثناء الطريق ، ولم يمكنه الوصول اليها ، لأن العساكر القادمة قد دخلوها ، وصارت فى حكمهم .

وفيه (أى فى هذا الشهر) : زاد أمر الطاعون وطعن مصطفى أغا أبطال بالقلعة . فلما ظهر فيه ذلك ، رفعوه بطريق مهانة ، وأنزلوه الى الكرنتيلة بباب العزب ، وألقوه بها . ثم تكلم فى شأنه أرباب الديوان ، فأنزلوه الى داره ... فمات بها . وكذلك وقع لحسين قرا ابراهيم التاجر ، وعلى كتخدا النجدلى ، وذلك فى أوائله .

وفى كل يوم يموت من الفرنسيس الكائنين بالقلعة الثلاثون والأربعون وينزلون بهم من كرنتيلة القلعة على الأخشاب مثل الأبواب، كل ثلاثة أو أربعة سواء يحملهم الحمالون ، وأمامهم اثنان من الفرنسيس يمنعون الناس ، ويباعدونهم عن القرب منهم ، الى أن يخرجوا بهم من باب القرافة ، فيلقونهم فى حفر عميقة قد أعدها الحفارون ، ويهيلون عليهم التراب حتى يعلوهم . ثم يلقون صفا آخر ويغطونهم بالتراب .. وهكذا حتى تمتلىء الحفرة ويبقى بينها وبين الأرض نحو الذراع ، فيكبسونها بالتراب والأحجار ، ويحفرون أخرى غيرها كذلك . فيكون فى الحفرة الواحدة اثنا عشر وستة عشر وأكثر فوق بعضهم البعض وبينهم التراب ، ويرمولهم بثيابهم وأغطيتهم وتواسيمهم التى فى أرجلهم ! وذلك المكان الذى يدفنون به فى العلوة الكائنة خارج مزار القادرية بين الطريقين الموصلين الى جهة مزار الامام الشافعى رضى الله عنه .

وفيه : أنهى مشايخ الديوان تعرض عبد العال لمصادرة الناس وطلب المال بعد تأمينهم وتبشيرهم برفع نصف المليون عنهم . فأجيبوا بأن ذلك على سبيل القرض لتعطل المال الميرى ، واحتياج العسكر الى النفقة . وقيل لهم أيضا : « ان كان يمكنكم أن تكتبوا الى البلاد بدفع الميرى ، رفعنا الطلب عن الناس » فقالوا : « هذا غير ممكن ، لحصول البلاد فى حيازة القادمين ، وقطع الطريق من وقوف العرب بها وعدم الانتظام . وانما القصد الملاطفة والرفق ، فان وظيفتنا النصح والوساطة فى الخير » .

الخميس ١٦ منه (٣٠ ابريل ١٨٠١ م) :

حضر « استوف » الخازندار وجرجس الجوهرى ومن معهما من القبطة وغيرهم ، ماعدا الفرنسيس الذين ذهبوا معهم . فأرسلت أوراق بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من الغد .

الجمعة ١٧ منه (أول مايو ١٨٠١ م) :

حصلت الجمعية ، وحضر الخازندار والوكيل وعبد العال وعلى أغا الوالى ، وبعض التجار كالسيد أحمد الزرو والحاج عبد الله التاودى شيخ الغورية والحاج عمر الملطيلى التاجر بخان الخليلى ومحمود حسن و « كليمان » الترجمان . فتكلم «استوف» وترجم عنه الترجمان بقوله : « ان سارى عسكر الكبير « مينو » يقرئكم السلام ، ويثنى عليكم كثيرا . وسينجلى هذا الحادث ان شاء الله تعالى ، ويقدم فى خير ، ويرى أهل مصر ما يسرهم . وقد هلك من الانكليز خلق كثير ، وباقيهم اكثرهم

مرمودون الأعين وبمرض الزحير . وجاءت طائفة منهم الى الفرنساوية وانضموا اليهم من جوعهم وعطشهم . ولتعلموا أن الفرنساوية لم يسلموا فى رشيد قهرا عنهم ، بل تركوها قصدا ، وكذلك أخلينا دمياط لأجل أن يطمعوا ويدخلوا الى البلاد وتتفرق عساكرهم ، فنتمكن عند ذلك من استئصالهم .

« ونخبركم أنه قد وردت الى اسكندرية مركب من فرانسا ، وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرانات ماعدا الانكليز ، فانهم لم يدخلوا فى الصلح ، وقصدهم عدم سكون الحرب والفتن ، ليستولوا على أموال الناس .

« واعلموا أن المشايخ المحبوسين بالقلعة وغيرهم لا بأس عليهم ، وانما القصد من تعويقهم بحبسهم ، رفع الفتن والخوف عليهم . وشريعة الفرنساوية اقتضت ذلك ، ولا يمكن مخالفتها ، ومخالفتها كمخالفة القرآن العظيم عندكم .. !

« وقد بلغنا أن السلطان العثملى أرسل الى عسكره بالكف عن الفرنساوية ، والرجوع عن قتالهم . فخالف عليه بعض السفهاء منهم ، وخرجوا عن طاعته ، وأقاموا الحرب بدون اذنه » .

فأجابه بعض الحاضرين بقوله: « ان القصد حصول الراحة والصلح . والفرنساوية عندنا أحسن حالا من الانكليز ، لأننا قد عرفنا أخلاقهم ، ونعلم أن الانكليز انما يريدون بانضمامهم الى العثملية تنفيذ أغراضهم فقط . فانهم يولون العثملى ويغرونه حتى يوقعوه فى المهالك ، ثم يتركونه كما فعلوا سابقا » .

ثم قال الخازندار : « ان الفرنساوية لايحبون الكذب ، ولم يعهد عليهم . فلازم أن تصدقوا كل ما أخبروكم به » .

فقال بعض الحاضرين : « انما يكذب الحشاشون . والفرنساوية لايأكلون الحشيش ! » .

ثم قال الخازندار : « ان وقع من أهل مصر فشل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول . واعلموا أن الفرنساوية لايتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها أبدا ، لأنها صارت بلادهم ، وداخلة فى حكمهم !! وعلى الفرض والتقدير ، اذا غلبوا على مصر ، فانهم يخرجون منها الى الصعيد ، ثم يرجعون اليها ثانيا . ولا يخطر فى بالكم قلة عساكرهم ، فانهم على قلب رجل واحد ، واذا اجتمعوا كانوا كثيرا » . وطال الكلام فى مثل هذه التمويهات والخرافات .. وأجوبة الحاضرين بحسب المقتضيات !

ثم قال الخازندار : « القصد منكم معاونة الفرنساوية ومساعدتهم ، وغلاق نصف المليون ، وتشفع بعد ذلك عند سارى عسكر فى فوات النصف الثانى ، حكم ما عرفكم قائمقام «بليار» . فاجتهدوا فى غلاقه من الأغنياء واتركوا الفقراء » . فأجابوا فى آخر الكلام بالسمع والطاعة !

فقال : « لكن ينبغى التعجيل ، فان الأمر لازم لأجل نفقة العسكر » ، ثم قال لهم : « ينبغى أن تكتبوا جوابا لسارى عسكر تعرفونه فيه عن راحة أهل البلد وسكون الحال ، وقيامكم بوظائفكم . وهو ان شاء الله يحضر اليكم عن قريب » .

وانفض المجلس ، وكتب الجواب المأمور به وأرسل .

وفيه : ورد الخبر بوصول طاهر باشا الأرنؤودى بجملة من العساكر الأرنؤودية الى أبى زعبل .

وفيه : خرج عدة من عساكر الفرنساوية وضربوا أربع قرى من الريف بعلة موالاة العرب وقطاع الطريق فنهبوهم وحضروا الى مصر بمتاعهم ومواشيهم .

وفيه : أرسل « بليار » قائمقام يطلب من

الوجاقلية بقية ماعليهم من المال المتأخر من فردة الملتزمين ، وقدره اثنا عشر ألف ريال ، وان تأخروا عن الدفع أحاط العسكر ببيوتهم ، ونقلهم الى أضيق الحبوس ، بل واستعملهم فى شيل الأحجار . فاعتذروا بضيق ذات يدهم . وحبسهم ، فتصدر اليهم السيد أحمد الزرو ، وتشفع عند قائمقام بأن يقوموا بدفع أربعة آلاف ريال ، ويؤجلوا بالباقى ، وينزلوا من القلعة لتحصيل ذلك ... فأجابه .

وأنزل على أغا يحيى ، أغات الجراكسة ، ويوسف باشجاويش الى بيت عبد العال ، وحبسهم بمكان بداره ، وحبس معهم مصطفى كتخدا الرزاز . فكان يتهددهم ويرسل اليهم أعوانه يقولون لهم : « شهلوا ماعليكم والا ضربكم الأغا بالكرابيج » . فسبحان الفعال لما يريد . فان عبد العال هذا الذى يتهددهم ، ربما كان لايقدر على الوصول الى الوقوف بين يدى بعض أتباعهم ... فضلا عنهم !

وفيه : أحاط الفرنسيس بمنزل حسن أغا الوكيل - المتوفى قبل تاريخه — وذلك بسبب أنه وجد ببيته غلام فرنساوى مختنف أسلم وحلق رأسه ، وقبضوا على أحد خشداشينه وحبسوه ، لكونه علم ذلك ولم يخبر به .

وفيه : حضرت رسل من طرف عرضى الوزير لقائمقام « بليار » . فاجتمعوا به ، وخلا بهم ، ووجههم من ليلتهم . فلما حصلت الجمعية بالديوان ، سئل الوكيل عن ذلك فقال : « نعم .. انهم أرسلوا يطلبون الصلح » .

١٨ منه (٢ مايو ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن ابراهيم أفندى كاتب البهار ، ليساعد فى قبض نصف المليون .

٢٤ منه (٨ مايو ١٨٠١ م) :

قبضوا على أبى القاسم المغربى شيخ رواق المغاربة ، وحبسوه بالقلعة بسبب أنه كان يتكلم فى بعض المجالس ويقول : « أنا شيخ المغاربة ، وأحكم عليهم » ، ويتباهى بمثل هذا القول فنقل عنه ذلك الى عبد العال والفرنسيس ، وظنوا صحة قوله ، وأنه ربما أثار فتنة . فقبضوا عليه وحبسوه . وكذلك حبسوا محمد أفندى يوسف ثانى قلفة ، وآخر يقال له عبيد السكرى .

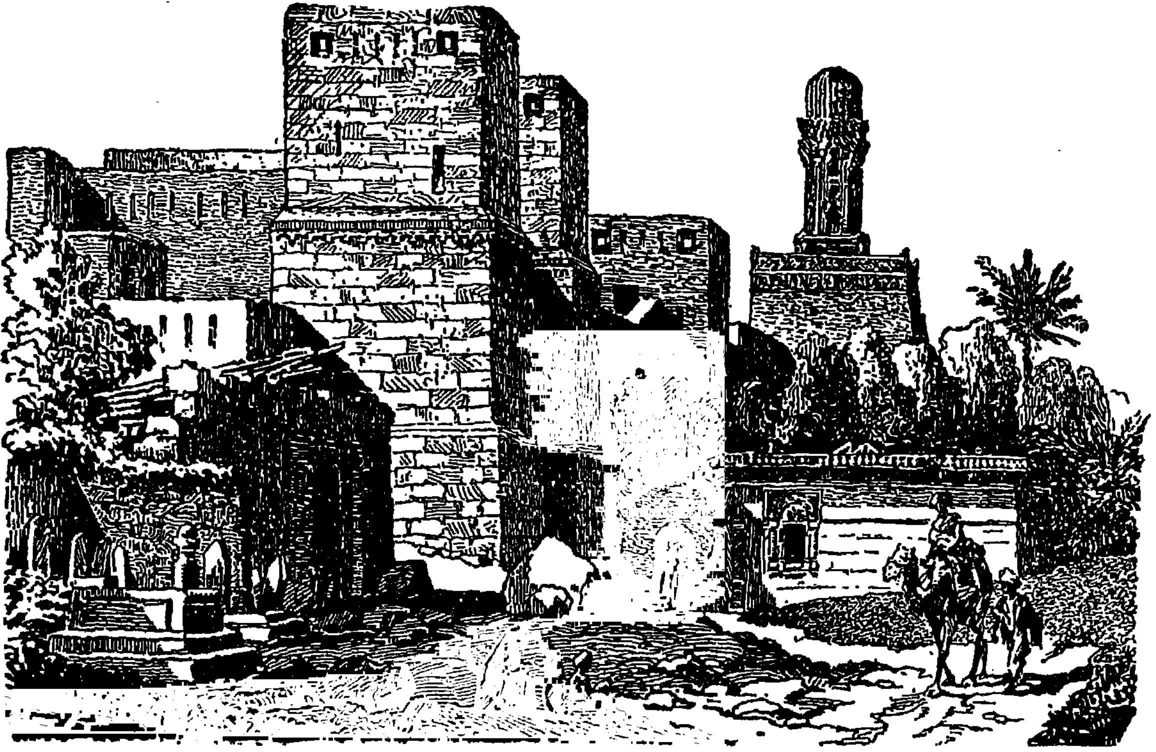
٢٥ منه (٩ مايو ١٨٠١ م) :

أبرزوا مكتوبا وزعموا أنه حضر من سارى عسكرهم وقرىء بالديوان . وصورته ، بعد الصدر :

« خطابا الى كافة العلماء والمشايخ الكرام بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر حالا ، أدام الله تعالى فضائلهم :

« ورد لنا مكتوبكم ، وانشرح قلبى من كل ماشهدتم لنا فيه بأنه بثبت عقلكم السليم وصدقكم ، وتقييد قلوبكم فى طارق الدستور ، فدوموا مهتدين بهذه المسلكة ، ولا بد لفضائلكم من دولة جمهورنا كامل الوفاء من حسن رضا ، واطمئنان عليكم منها ، ومن طرف عمدة أصحاب الجراءة والشجاعة حضرة القونصل أولها بونابرته ، وعلى الخصوص من طرفنا ، وكان ضدأوامرى ، أن الستويان « فوريه » الذى كنت وصفته قرب فضائلكم ، ترك ذلك الموضع توجها الى اسكندرية وما تلك الفعلة الا من نقص جسارته فى ذى الوقعة ، فبدلناه جنب فضائلكم بالستويان « جيرار » رجل واجب الاستوصاء لأجل عرضه وفضله ، وخصوصا لأجل غيرته وجسارته . فلذلك هو كسب اعتمادى ، فاعتمدوا الى كل ماهو قائل بفضائلكم من جانبنا .

« وبمنه وعونه تعالى عن قريب نواجهكم بمصر بخير وسلامة ، ودوموا حسب تدبيراتكم لتنظيم البلد ، ومماسكة الطاعة بين الأمة الحامدة ،



الاماكن المجاورة لباب النصر

والسياسة بين غيرهم . وكذلك نرجو من رب الأجناد ، بحرمة سيد العباد ، أن تشدوا قلوبكم توكلا له ، لأن عوننا اسمه العظيم » !

حرر فى ثلاثة عشر «فلوريال» سنة تسعة ، موافقا لثمانية عشر ذى الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر . ممضى : عبد الله جاك مينو . انتهى بألفاظه وحروفه .

٢٦ منه (١٠ مايو ١٨٠١ م) :

أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل « جيرار » . وذلك على حد قول القائل :

وتجلدى للشامتين أريهم
أنى لريب الدهر لا أتضعضع

وفيه : أفرجوا عن محمد كاشف سليم الشعراوى بشفاعة حسين كاشف ، وسافر الى جهة الصعيد .

٢٨ منه (١٢ مايو ١٨٠١ م) :

وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف باشا الى مدينة بلبيس وذلك فى رابع عشرينه .

وفيه : أخبر وكيل الديوان أن سارى عسكر أرسل كتابا الى الست نفيسة بالتعزية ، ورتب لها فى كل شهر مائة ألف نصف وأربعين .

❋ ❋ ❋

وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها .

فمنها : توالى الهدم والخراب ، وتغيير المعالم ، وتنويع المظالم . وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبى ، فهدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات ، والدروب والحمامات ، والمساجد والمزارات ، والزوايا والتكايا ، وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة ، وجامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر ، وما كان به من

القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت ، المربعة الأركان ، الشبيهة بالأهرام ، والمنارة العظيمة ذات الهلالين . واتصل هدم خارج باب النصربخارج باب الفتوح وباب القوس الى باب الحديد ، حتى بقى ذلك كله خرابا متصلا واحدا ، وبقى سور المدينة الأصلى ظاهرا مكشوفا ، فعمروه ورموا ماتشعث منه ، وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ، ورفعوا بنيانه فى العلو ، وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظاما ، وأبوابا داخلة وخارجة ، وأخشابا مغروسة بالأرض مشبكة بكيفية مخصوصة ، وركزوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين وملازمين ليلا ونهارا .

ثم سدوا باب الفتوح بالبناء ، وكذلك باب البرقية وباب المحروق ، وأنشأوا عدة قلاع فوق تلال البرقية ، ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الماء ... وذلك من حد باب النصر الى باب الوزير وناحية الصوة طولا ، فمهدوا أعالى التلال ، وأصلحوا طرقها ، وجعلوا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط ، بقياسات وتحريرات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة ، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها .

وهدموا أبنية رأس الصوة ، حيث الحطابة وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة ، وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة ، والقباب المرتفعة . وهدموا أعالى المدرسة النظامية ومنارتها — وكانت فى غاية من الحسن — وجعلوها قلعة ونبشوا مابها من القبور ، فوجدوا الموتى فى توابيت من الخشب ، فظنوا داخلها دراهم ، فكسروا بعضها ، فوجدوا بها عظام الموتى ، فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها الى خارج ا فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها ، وعملوا لها مشهدا بجمع من الناس ، ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج ... وجعلوا تلك المدرسة قلعة أيضا بعد أن هدموا منارتها أيضا .

وكذلك هدموا مدرسة القانبية والجامع المعروف بالسبع سلاطين وجامع الجركسى وجامع خوند بركة الناصرية خارج باب البرقية ، وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها ومساجدها ، وسدوا الباب ، وعملوا الجامع الناصرى الملاصق له قلعة ، بعد أن هدموا منارته وقبابه .

وسدوا أبواب الميدان من ناحية الرميلة وناحية عرب اليسار ، وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر ، وجعلوا ذلك الجامع قلعة . وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التى كانت تنقل الماء الى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكيها ، وجعلوها سورا بذاتها ، ولم يبقوا منها الا قوصرة واحدة من ناحية الطيبى جهة مصر القديمة ، جعلوها بابا ومسلكا وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين الاقامة بها ، ولقبض المكس من الخارج والداخل .

وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص وعليه باب بقفل مقفص أيضا ، وعليه حرسجية ملازمون القيام عليه ... وذلك حيث



الحراس عند مداخل القاهرة



بيت الالفي

سواقى المجراة التى كانت تنقل المـاء الى القلعة ، وحفروا خلف ذلك خندقا .

وأما ما أنشأوه وعمروه من الأبراج والقـلاع والحصون بناحية ثغر الاسكندرية ورشيد ودمياط وبلاد الصعيد .. فشىء كثير جدا ، وذلك كله فى زمن قليل .

ومنها : تخريب دور الأزبكيه وردم رصـيفآتها بالأتربة ، وتبديل أوضاعها ، وهـدم خطـة قنطرة الموسـكى ، وما جاورها من أول القنطرة المقابلة للحمام الى البوابة المعروفة بالعتبـة الزرقاء حيث جامع أزبك ، وما كان فى ضـمن ذلك من الدور والحوانيت والوكائل وكوم الشيخ سلامة .. فيسلك المـار من على القنطرة فى رحبة متسعة ينتهى الى رحبة الجامع الأزبكى .

وهدموا بيت الصابونجى ووصلوه بجسر عريض ممتـد ميمهـد حتى ينتهى الى قنطرة الدكة . وفى متوسط ذلك الجسر ينعطف جسر آخر الى جهـة اليسار عند بيت الطويل المهدوم ، وبيت الألفى حيث سكن سارى عسكر ... ممتد ذلك الجسر الى قنطرة المغربى ، ومنها يمتد الى بولاق على خط مستقيم الى ساحل البحر ، حيث موردة التبن والشون ، وزرعوا بحافتيه السيسبان والأشـجار ، وكذلك برصيفات الأزبكية .

وهدموا المسـجد المجاور لقنطرة الدكة مع ما جاوره من الأبنية والغيطـان ، وعملوا هناك بوابة وكرنكا وعسكرا ملازمين الاقامة والوقوف لـيلا ونهارا .. وذلك عند مسكن « بليار » قائمقام — وهى دار جرجس الجوهرى — وما جاوره . وكان فى عزمهم ايصال ما انتهوا الى هدمه بقنطرة الموسكى الى سور باب البرقية ، ويهدمون من حـد حمام الموسكى حتى يتصل المهدوم بناحية الأشرفية ، ثم الى خان الخليلى الى اسطبل الطارمة ، المعروف الآن

بالشنوانى ، الى ناحية كفر الطماعين ، الى البرقيه ، ويجعلون ذلك طريقا واحدا متسعا ، وبحافتيه الحوانيت والخانات ، وبها أعمدة وأشجار وتكاعيب وتعاريش وبساتين — من أولها الى آخرها — من حد باب البرقية الى بولاق .

فلما انتهوا فى الهدم الى قنطرة الموسكى ، تركوا الهدم ونادوا بالمهلة ثلاثة أشهر ، وشرعوا فى أبنية حوائط بحافتى القنطرة ، ومعاطف ومزالق الى حارة الافرنج وحارة النباقة ، وذلك بالحجر النحت المتقن الوضع .

وكذلك عمروا قناطر الخليج المتهدمة ، داخل مصر وخارجها ، على ذلك الشكل مثل : قنطرة السد ، والقنطرة التى بين أراضى الناصرية وطريق مصر القديمة ، وقنطرة الليمون ، وقنطرة قديدار ، وقنطرة الأوز وغير ذلك . ثم فاجأهم حادث الطاعون ووصول القادمين ، فتركوا ذلك ، واشتغلوا بأمور التحصين .. وسيأتى تتمة ذلك .

ومنها : توالى خراب بركة الفيل — وخصوصا بيوت الأمراء التى كانت بها — وأخذوا أخشابها لعمارة القلاع ، ووقود النيران والبيع ، وكذلك ماكان بها من الرصاص والحديد والرخام .

وكانت هذه البركة من جملة محاسن مصر ، وفيها يقول أبو سعيد الأندلسى — وقد ذكر القاهرة — : « وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل ، لأنها دائرة كالبدر ، والمناظر فوقها كالنجوم . وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ، ويسرح أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم ، فيكون بذلك لها منظر عجيب ، وفيها أقول :

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت
بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هى ، والأبصار ترمقها ،
كواكب قد أداروها على القمر

«ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت:

انظر الى بركة الفيل التى نحرت
لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك محفوفا ببهجتها
تهيم وجدا وحبا فى بدائعها »

وتخرب أيضا جامع الرويعى وجعلوه خمارة ! وبعض جامع عثمان كتخدا القزدغلى — الذى بالقرب من رصيف الخشاب — وجامع خير بك حديد — الذى بدرب الحمام بقرب بركة الفيل — وجامع البنهاوى والطرطوشى والعدوى . وهدموا جامع عبد الرحمن كتخدا — المقابل لباب الفتوح — حتى لم يبق به الا بعض الجدران ، وجعلوا جامع أزبك سوقا لبيع أقلام المكوس .

ومنها : أنهم غيروا معالم المقياس ، وبدلوا أوضاعه ، وهدموا قبته العالية ، والقصر البديع الشاهق والقاعة التى بها عمود المقياس ، وبنوها على شكل آخر لابأس به ، لكنه لم يتم ، وهى على ذلك باقية الى الآن . ورفعوا قاعدة العمود العليا ذراعا ، وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع .

ومنها : أنهم هدموا مساطب الحوانيت التى بالشارع ، ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد بذلك توسيع الأزقة لمرور العربات الكبيرة التى ينقلون عليها المتاع ، واحتياجات البناء من الأحجار والجبس والجير وغيره .. والمعنى الخفى الشافى خوفا من المتاريس بها عند حدوث الفتن كما تقدم وكانوا وصلوا فى هدم المساطب الى باب زويلة ، ومن الجهة الأخرى الى عطفة مرجوش . فهدموا مساطب خط قناطر السباع والصليبة ودرب الجماميز وباب سعادة وباب الخرق الى آخر باب الشعرية ولو طال الحال لهدموا مساطب العقادين والغورية والصاغة والنحاسين الى آخر باب النصر

وباب الفتوح فحصل لأرباب الحوانيت غاية الضيق لذلك ، وصاروا يجلسون فى داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران فى الشقوق ! وبعض الزوايا والجوامع والرباع التى درجها خارج عن سمت حائط البناء ... لما هدموا درجه وبسطته ، بقى باب مدخله معلقا ، فكانوا يتوصلون اليه بدرج من الخشب مصنوع ، يضعونه وقت الحاجة ويرفعونه بعدها .. وذلك عمل كثير .

ومنها تبرج النساء ، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء .. وهو أنه لما حضر الفرنسيس الى مصر — ومع البعض منهم نساؤهم — كانوا يمشون فى الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه ، لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميرى والمزركشات المصبوغة ، ويركبن الخيول والحمير ، ويسوقونها سوقا عنيفا مع الضحك والقهقهة ، ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة ... فمالت اليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش ، فتداخلن معهم ، لخضوعهم للنساء ، وبذل الأموال لهن .

وكان ذلك التداخل أولا مع بعض احتشام وخشية عار ، ومبالغة فى اخفائه فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر ، وحاربت الفرنسيس بولاق ، وفتكوا فى أهلها ، وغنموا أموالها ، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات — صرن مأسورات عندهم ، فزيوهن بزى نسائهم ، واجروهن على طريقتهن فى كامل الأحوال . فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية ، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر !

ولما حل بأهل البلاد من الذل والهوان ، وسلب الأموال ، واجتماع الخيرات فى حوز الفرنسيس ومن والاهم ، وشدة رغبتهم فى النساء وخضوعهم لهن ، وموافقة مرادهن ، وعدم مخالفة هواهن — ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها ! — فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار ، واستملن نظراءهن ، واختلسن عقولهن .. لميل النفوس الى الشهوات ، وخصوصا عقول القاصرات وخطب الكثير منهم بنات الأعيان ، وتزوجوهن رغبة فى سلطانهم ونوالهم . فيظهر حالة العقد الاسلام ، وينطق بالشهادتين ، لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها .

وصارمع حكام الأخطاط منهم .. النساء المسلمات متزييات بزيهم ، ومشوا معهم فى الأخطاط للنظر فى أمور الرعية ، والأحكام العادية ، والأمر والنهى والمناداة . وتمشى المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها ، وأمامها القواسة والخدم وبأيديهم العصى يفرجون لهن الناس — مثل ما يمر الحاكم — ويأمرن وينهين فى الأحكام !

ومنها أنه لما أوفى النيل أذرعه ، ودخل الماء الى الخليج ، وجرت فيه السفن ... وقع عند ذلك من تبرج النساء ، واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن فى المراكب ، والرقص والغناء ، والشرب فى النهار والليل ، فى الفوانيس والشموع الموقدة ، وعليهن الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة ، وصحبتهم آلات الطرب . وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون ، ويتجاوبون برفع الصوت فى تحريك المقاديف .. بسخيف موضوعاتهم ، وكشائف مطبوعاتهم ، وخصوصا اذا دبت الحشيشة فى رءوسهم ، وتحكمت فى عقولهم ! فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ، ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية فى غنائهم ، وتقليد كلامهم .. شىء كثير .

وأما الجوارى السود ، فانهن لما علمن رغبة القوم فى مطلق الأنثى ... ذهبن اليهم أفواجا ، فرادى وأزواجا ، فنططن الحيطان ، وتسلقن اليهم من الطيقان ، ودلوهم على مخبآت أسيادهن ، وخبايا أموالهم ومتاعهم .. وغير ذلك !

ومنها : أن يعقوب القبطى ، لما تظاهر مع الفرنساوية ، وجعلوه سارى عسكر القبطة .. جمع شبان القبط وحلق لحاهم ، وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنساوية ، مميزين عنهم بقبع يلبسونه على رءوسهم ، مشابه لشكل البرنيطة ، وعليها قطعة فروة سوداء من جلد الغنم .. فى غاية البشاعة ! وصيرهم عسكره وعزوته ، وجمعهم من أقصى الصعيد .

وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى — التى هو ساكن بها — خلف الجامع الأحمر ، وبنى له قلعة ، وسورها بسور عظيم وأبراج ، وباب كبير يحيط به بدنات عظام . وكذلك بنى أبراجا فى ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية . وفى جميع السور المحيط والأبراج طيقانا للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذى رمه الفرنساوية . ورتب على باب القلعة — الخارج والداخل — عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلا ونهارا ، وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية .



الروضة

ومنها : قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجنائن الكائنة بمصر وبولاق ومصر القديمة والروضة وجهة قصر العينى ، وخارج الحسينية ، وبساتين بركة الرطلى وأرض الطبالة ، وبساتين الخليج ... بل وجميع القطر المصرى كالشرقية والغربية والمنوفية ، ورشيد ودمياط كل ذلك لاحتياجات عمل القلاع وتحصين الأسوار فى جميع الجهات ، وعمل العجل والعربات والمتاريس ووقود النار . وكذلك المراكب والسفن وأخذ أخشابها أيضا .. مع شدة الاحتياج اليها ، وعدم انشاء الناس سفنا جديدة لفقرهم ، وعدم الخشب والزفت والقار والحديد وباقى اللوازم . حتى انهم حال حلولهم الديار المصرية ، وسكنهم بالأزبكية ، كسروا جميع القنج والأغربة التى كانت موجودة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزه . وكذلك ما كان ببركة الفيل .

وبسبب ذلك شحت البضائع ، وغلت الأسعار ، وتعطلت الأسباب ، وضاقت المعايش ، وتضاعفت أجر حمل التجارات فى السفن لقلتها .

ومنها : هدم القباب والمدافن الكائنة بالقرافة تحت القلعة خوفا من تترس المحاربين بها . فكانوا يهدمون ذلك بالبارود على طريقة اللغم ، فيسقط المكان بجميع أجزائه من قوة البارود والحباسه فى الأرض ، فيسمع له صوت عظيم ودوى . فهدموا شيئا كثيرا على هذه الصورة .

وكذلك أزالوا جانبا كبيرا من الجبل المقطم بالبارود من الجهة المحاذية للقلعة ، خوفا من تمكن الخصم منها ، والرمى على القلعة .

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة التى لم يعهد مثلها فى هذه السنين حتى غرقت الأراضى ، وحوصرت البلاد ، وتعطلت الطرق . فصارت الأرض كلها لجة

ماء ، وغرق غالب البـلاد التي على السـواحل ، فتهدم من دورها شيء كثير .

وأما المدينة فان الماء جرى من جهة الناصرية الى الطريق المسلوكة ، وطفح من بركة الفيل الى درب الشمسي وطريق قنطرة عمر شاه .

ومنها : استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر ، وغلو البضائع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب . حتى غلت أسـعار جميع الأصـناف ، وانتهي سعر كل شيء الى عشرة أمثاله وزيادة على ذلك . فبلغ الرطل الصابون الى ثمانين نصفا ، واللوزة الواحدة بنصفين . وقس على ذلك .

وأما الأشياء البلدية ، فانها كثيرة وموجودة ، وغالبها يباع رخيصا مثل : السمن والعسل النحل والأرز والغلال ... وخصوصا الأرز فانه بيع في أيامهم بخمسمائة نصف فضة الأردب .

وكانت النصارى باعة العسل النحل يطوفون به في بلاليص محملة على الحمير ، ينـادون عليه في الأزقة بأرخص الأثمان .

ومنها : وقوع الطاعون بمصر والشـام ، وكان معظم عمله ببلاد الصعيد . أخبرني صاحبنا العلامة الشيخ حسن المعروف بالعطار ، المصري نزيل أسيوط مكاتبة ، ونصه : « ونعرفكم ياسيدي أنه قد وقع في قطر الصعيد طاعون لم يعهد ، ولم نسمع بمثله ، وخصوصا ما وقع منه بأسيوط . وقد انتشر هذا البلاء في جميع البلاد شرقا وغربا ، وشاهدنا منـه العجائب في أطواره وأحواله . وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد ، وكان أكثره في الرجال ، سيما الشبان والعظماء ، وكل ذي منقبة وفضيلة .

« وأغلقت الأسواق ، وعزت الأكفان ، وصار المعظم من النـاس بين ميت ، ومشيع ، ومريض ، وعائد ، حتى أن الانسان لا يدري بموت صاحبه أو قريبه الا بعد أيام . ويتعطل الميت في بيته من أجل تجهيزه ، فلا يوجد النعش ولاالمغسل ولا من يحمل الميت .. الا بعد المشقة الشديدة .

« وان أكبر كبير اذا مات ، لايكاد يمشي معه ما زاد على عشرة أنفار ... تكترى !

« وماتت العلمـاء ، والقراء ، والملتزمون ، والرؤساء ، وأرباب الحرف .

« ولقد مكثت شهرا بدون حلق رأسي .. لعدم الحلاق ! وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان ، وأخذ في الزيادة في شهر ذي القعدة والحجة ، حتى بلغ النهاية القصوى . فكان يموت كل يوم من أسيوط خاصة زيادة على الستمائة ، وصـار الانسان اذا خرج من بيته لا يرى الا جنازة ، أو مريضـا ، أو مشتغلا بتجهيز ميت ، ولا يسمع الا نائحة أو باكية .

« وتعطلت المساجد من الأذان والامامة لموت أرباب الوظائف ، واشتغـال من بقي منهم بالمشي أمام الجنائز ، والسبح والسهر .

« وتعطل الزرع من الحصاد ، ونشف على وجه الأرض ، وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده . وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس ... هذا مع سعي العرب في البلاد بالفساد والتخويف بسبب خلو البلاد من الناس والحكام » ... الى أن قال :

« ولو شئت أن أشرح لك ياسيدي ما حصل من أمر الطاعون ، لملأت الصحف مع عدم الايفاء » . وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة تاريخه .

وأما من مات في هذه السنة من الأعيان .

مات الامام الألمعي ، والـذكي اللوذعي ، من عجنت طينته بماء المعـارف ، وتآخت طبيعته مع العوارف .. العمدة العلامة ، والنحرير الفهامة ، فريد دهره ووحيد عصره : الشيخ محمـد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدي الشافعي ، الشهير بابن

الجوهرى . وهو أحد الاخوة الثلاثة وأصغرهم .

ولد سنة احدى وخمسين ومائة وألف ، ونشأ فى حجر والده فى عفة وصون وعفاف ، وقرأ على المشايخ الكبار وفضلاء الوقت . وكان آية فى الفهم والذكاء ، والغوص والاقتدار على حل المشكلات .

وعاشر العلماء والفضلاء من أهل عصره ، ومشايخه وقرنائه ، وتردد عليهم ، وترددوا عليه .

وحج ثلاث مرات ، وقرأ الدروس بالأزهر ، وعقد دروسا بالحرم ، وانتفع به الطلبة . ولم يعهد عليه أنه دخل بيتا لأمير قط ، أو أكل من طعام أحد قط .. الا بعض أشياخه المتقدمين ، وكانت شفاعته لا ترد عند الأمراء والأعيان ، مع الشكيمة والصدع بالأمر والمناصحة فى وجوههم .

ووفدت عليه الوفود من الحجاز والغرب والهند والشام والروم .

ولم يزل وافر الحرمة ، معتقدا عند الخاص والعام . حتى حضر الفرنساوية واختلت الأمور ، وشارك الناس فى تلقى البلاء ، وذهب ما كان له بأيدى التجار ، ونهب بيته وكتبه التى جمعها ، وتراكمت عليه الهموم والأمراض ، وحصل له اختلاط . ولم يزل حتى توفى يوم الأحد حادى عشرين القعدة سنة تاريخه .

وبالجملة فكان من محاسن مصر ، والفريد فى العصر : ذهنه وقاد ، ونظمه مستجاد . وكان رقيق الطبع ، لطيف الذات ، مترفها فى مأكله وملبسه

ومن مؤلفاته : مختصر المنهج فى الفقه ، وشرح المعجم الوجيز ، وشرح عقيدة والده المسماة منقذة العبيد فى كراريس ، ورسالة فى تعريف شكر المنعم ، وشرح الجزرية ، والدر النظيم فى تحقيق الكلام القديم ، ونظم عقائد النسفى ، وعقيدة فى التوحيد وشرحها بشرحين ، واللمعة الألمعية فى قول الشافعى باسلام القدرية ، وتحقيق الفرق بين علم الجنس وبين اسمه ، واتحاف الكامل ببيان تعريف العامل ، وزهر الأفهام فى تحقيق الوضع وما له من الأقسام ، وحلية ذوى الافهام بتحقيق دلالة العام ، واتحاف الطرف فى بيان متعلق الظرف ، والروض الأزهر فى حديث من رأى منكم منكرا ، ورسالة فى تعريف الشكر العرفى ، وثمرة غرس الاغتناء بتحقيق أسباب البناء ، والدر المنثور فى الساجور ، واتحاف الآمال بجواب السؤال : فى الحمل والوضع لبعض الرجال ! واتحاف الأحبة فى الضبة (أى المفضضة) ، ورسالة فى التوجه واتمام الأركان ، ورسالة فى زكاة النابت ، ورسالة فى ثبوت رمضان ، ورسالة فى أركان الحج ، ورسالة فى مد عجوة ودرهم ، ورسالة فى مسألة الغصب ، وحاشية على شرح ابن قاسم العبادى الى البيوع ، والروض الوسيم فى المفتى به من المذهب القديم ، ورسالة فى النذر الشريف ، ورسالة فى اهداء القرب للنبى عليه السلام ، ورسالة فى الأصولى والأصول ، ورسالة فى مسألة ذوى الأرحام ، واتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف . وله غير ذلك منظومات وضوابط وتحقيقات ... رحمه الله تعالى .

* * *

ومات الأجل الأمثل ، العمدة الوجيه : السيد عبد الفتاح بن أحمد بن الحسن الجوهرى ، أخو المترجم المذكور ، وهو أسن منه وأصغر من أخيه الشيخ أحمد .

ولد سنة احدى وأربعين ومائة وألف ، ونشأ فى حجر أبيه ، ولم يكن معتنيا بالعلم ، ولم يلبس زى الفقهاء . وكان يعانى التجارة ، ويشارك ويضارب ويحاسب ويكاتب .

فلما توفى أخوه الأكبر الشيخ أحمد ، وامتنع أخوه الأصغر الشيخ محمد من التصدر للاقراء فى محله ... اتفق الحال على تقدم المترجم — حفظا

للناموس ، وبقاء لصورة العلم الموروث — فعند ذلك تزيا بزى الفقهاء ، ولبس التاج والفراجة الواسعة ، وأقبل على مطالعة العلم وخالط أهله ، وصار يطالع ويذاكر ، وأقرأ دروس الحديث بالمشهد الحسينى فى رمضان ... مع قلة بضاعته ، وذلك بمعونة الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد الفرماوى ، فكان يطالع الدرس الذى يمليه من الغد ، ويتلقى عنه مناقشات الطلبة . وثبت على ذلك ، حتى ثبتت المشيخة وتقررت العالمية . كل ذلك مع معاناته التجارة !

وتردد الى الحرمين ، وأثرى واقتنى كتبا نفيسة وعروضا وحشما ، واشترى المماليك والعبيد والجوارى والأملاك والالتزام . ولم يزل حتى حصلت حوادث الفرنساوية . وصادروه وأخذوا منه خمسة عشر ألف فرانسة ، وداخله من ذلك كرب وانفعال ، الى أن مات فى هذه السنة ، وذلك بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بنحو خمسة أيام .. رحمه الله تعالى .

* * *

ومات الامام العلامة الثقة ، الهمام النحرير ، الذى ليس له فى فضله نظير ، أبو محمد أحمد بن سلامة الشافعى المعروف بأبى سلامة .

اشتغل بالعلم ، وحضر العلوم النقلية والنحوية والمنطقية ، وتفقه على كثيرمن علماء الطبقة الأولى ، وتبحر فى الأصول والفروع . وكان مستحضرا للفروع الفقهية ، والمسائل الغامضة فى المذاهب الأربع . ويغوص بذهنه وقياسه فى الأصول الغريبة ، ومطالعة كتب الأصول القديمة التى أهملها المتأخرون. وكان الفضلاء يرجعون فى ذلك اليه ، ويعتمدون قوله ، ويعولون فى الدقائق عليه .

الا أن الدهر لم يصافه على عادته ، وعاش فى خمول وضيق عيش ، وخشونة ملبس ، وفقد رفاهية .. بحيث أن من يراه لايعرفه لرثاثة ثيابه !

وكان مهذبا ، حسن المعاشرة ، جميل الخلق والنادرة ، مطبوعا ، فيه صلاح وتواضع . ونزل مؤقتا فى مسجد عبد الرحمن كتخدا الذى أنشأه تجاه باب الفتوح ، بمعلوم قدره ثمانية أنصاف .. يتعيش بها مع ما يرد عليه من بعض الفقهاء والعامة الذين يحتاجون اليه فى مراجعة المسائل والفتاوى .

فلما خرب المسجد المذكور فى حادثة الفرنسيس وجهات أوقافه ... انقطع عنه ذلك المعلوم ، وكان ذا عائلة ، ومع ذلك لا يسأل شيئا ، ولا يظهر فاقة !

توفى يوم الأحد حادى عشرين جمادى الآخرة من السنة عن خمس وسبعين سنة تقريبا .. رحمه الله .

* * *

ومات الأمير مراد بيك محمد . مات بسهاج قادما الى مصر باستدعاء الفرنسيس ، ودفن بها عند الشيخ العارف . وكان موته رابع شهر الحجة كما تقدم ، وهو من مماليك محمد بيك أبى الذهب ، ومحمد بيك مملوك على بيك ، وعلى بيك مملوك ابراهيم كتخدا القازدغلى اشترى محمد بيك مراد بيك المذكور فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف — وذلك فى اليوم الذى قتل فيه صالح بيك الكبير — فأقام فى الرق أياما قليلة ، ثم أعتقه وأمره ، وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة ، وقدمه على أقرانه . وتزوج بالست فاطمة — زوجة الأمير صالح بيك — وسكن داره العظيمة بخط الكبش .

ولما مات على بيك ، تزوج بسريته أيضا — وهى الست نفيسة الشهيرة الذكر بالخير — ولما انفرد محمد بيك بامارة مصر ، كان هو وابراهيم بيك أكبر أمرائه المشار اليهما دون غيرهما .

فلما سافر محمد بيك الى الديار الشامية محاربا للظاهر عمر ، أقام عوضه فى امارة مصر ابراهيم بيك وأخذ صحبته مراد بيك وباقى أمرائه .

فلما مات محمد بيك بعكا ، اجتمع أمراؤه على رأى مماليكه فى رآسة مراد بيك ، فتقدم وقدمه عليهم ، وحملوا جثة سيدهم ، وحضروا بأجمعهم الى مصر . فاتفق رأى الجميع على امارة من استخلفه سيدهم وقدمه دون غيره — وهو ابراهيم بيك — ورضى الجميع بتقدمه ورياسته لوفور عقله ، وسكون جأشه . فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ونائب نوابها ووزرائها .

وعكف مراد بيك على لذاته وشهواته ، وقضى أكثر زمانه خارج المدينة مرة بقصره الذى انشأه بالروضة ، وأخرى بجزيرة الذهب ، وأخرى بقصر قايماز — جهة العادلية — كل ذلك مع مشاركته لابراهيم بيك فى الأحكام والنقض والابرام ، والايراد والاصدار ومقاسمة الأموال والدواوين ، وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والمناصب .

وأخذ فى بذل الأموال وانفاقها على أمرائه وأتباعه ، فانضم اليه بعض أمراء على بيك وغيرهم ، فأكرمهم ورخص لمماليكه فى هفواتهم ، وسامحهم فى زلاتهم ، وحظى عنده كل جرىء غشوم ، عسوف ذميم ظلوم . فانقلبت أوضاعهم ، وتبدلت طباعهم ، وشرهت نفوسهم ، وعلت رؤوسهم . فتناظروا وتفاخروا ، وطمعوا فى أستاذهم،وشمخت آنافهم عليه ، وأغاروا حتى على ما فى يده .

واشتهر بالكرم والعطاء ، فقصده الراغبون ، وامتدحه الشعراء والغاوون ، وأخذ الشىء من غير حقه ، وأعطاه لغير مستحقه . كما قال القائل :

يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما
لكنها خطرات من وساوسه

ثم لما ضاق عليه المسلك ، ورأى أن رضا العالم غاية لا تدرك ... أخذ يتحجب عن الناس ، فعظم فيه الهاجس والوسواس . وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن مع التهور والطيش ، والتورط فى الاقدام مع عدم الشجاعة .

ولم يعهد عليه أنه انتصر فى حرب باشره أبدا .. على ما فيه من الادعاء والغرور ، والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور . كما قال القائل :

أسد على وفى الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر

ولما قدم حسن باشا الى مصر ، وخرج المترجم مع خشداشينه وعشيرته هاربين الى الصعيد حتى انقضت أيام حسن باشا واسماعيل بيك ومن كان معه ، ورجعوا ثانيا بعد أربع سنين وشىء من الشهور من غير عقد ولا عهد ولا حرب .. تعاظم فى نفسه جدا ، واختص بمساكن اسماعيل بيك ، وجعل اقامته بقصر الجيزة ، وزاد فى بنائه وتنميقه ، وبنى تحته رصيفا محكما ، وأنشأ بداخله بستانا عظيما نقل اليه أصناف النخيل والأشجار والكروم ، واستخلص غالب بلاد اقليم الجيزة لنفسه : شراء ومعاوضة وغصبا . وعمر أيضا قصر جزيرة الذهب ، وجعل بها بستانا عظيما . وكذلك قصر ترسا ، وبستان المجنون .

وصار يتنقل فى تلك القصور والبساتين ، ويركب للصيد فى غالب أوقاته . واقتنى المواشى من الأبقار والجواميس الحلابة والأغنام المختلفة الأجناس . فكان عنده بالجيزة من ذلك شىء كثير جدا .

وعمل له ترسخانة عظيمة . وطلب صناع آلات الحرب من المدافع والقنابر والبنب والجلل والمكاحل واتخذ بها أيضا معامل البارود ، خلاف المعامل التى فى البلد . وأخذ جميع الحدادين والسباكين والنجارين ، فجمع الحديد المجلوب . والرصاص والفحم والحطب ، حتى شحت جميع هذه الأدوات لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها ،

وكذلك حطب القرطم والترمس والذرة ، لحرق قمام الجير والجبس للعمارة .

وأوقف الأعوان فى كل جهة يحجزون المراكب التى تأتى من البلاد بالأحطاب ، يأخذونها ويجمعونها للطلب ، ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا ، ويأخذون الجعالات على ما يسمحون به ، أو يطلقونه لأربابه بالوسايط والشفاعات .

وأحضر أناسا من القليونجية ونصارى الأروام وصناع المراكب ، فأنشأوا له عدة مراكب حربية وغلايين ، وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم ، صرف عليها أموالا عظيمة ، ورتب بها عساكر وبحرية ، وأدر عليهم الجماكى والأرزاق الكثيرة ، وجعل عليهم رئيسا كبيرا : رجلا نصرانيا — وهو الذى يقال له « نقولا » — بنى له دارا عظيمة بالجيزة وأخرى بمصر ، وله عزوة وأتباع من نصارى الأروام المرتبين عسكرا . وكان نقولا المذكور يركب الخيل ، ويلبس الملابس الفاخرة ، ويمشى فى شوارع مصر راكبا ، وأمامه وخلفه قواسة يوسعون له الطريق فى مرور على هيئة ركوب الأمراء ... كل ذلك خطرات من وساوسه ، لا يدرى أحد لأى شىء هذا الإهتمام ، ولأى حاجة انفاق هذا المال فى الخشب والحديد ، واعطاؤه لنصارى الأروام .

واختلفت آراء الناس فى ذلك . فمن قائل ان ذلك خوفا من خشداشينه ، وقائل من مخافة العثمانية — كما تقدم فى قضية حسن باشا — والبعض يظن خلاف ذلك وليس ، غير الوهم والتخيل الفاسد والخوف ، شىء .

وبقيت آلات الحرب جميعها والبارود بحواصله ، والجلل والبنبات ، حتى أخذ جميعه الفرنسيس ! فيقال انه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلل أحد عشر ألف جلة — كذا نقل عن معلم الترسخانة — أخذ جميع ذلك الفرنسيس يوم استيلائهم على الجيزة والقصر .

ومما اتفق أنه وقعت مشاجرة فى بعض الأيام بين بعض نصارى الأروام القليونجية وبعض السوقة بمصر القديمة ، فتعصب النصارى على أهل البلد ، وحاربوهم ، وقتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا . وانتهت الشكوى الى الأمير ، فطلب كبيرهم ، فعصى عليه ، وامتنع من مقابلته ، وعمر مدافع المراكب ، ووجهها جهة قصره ... فلم يسعه الا التغافل ... وراحت على من راح !

واستوزر رجلا بربريا ، وهو المسمى بابراهيم كتخدا السنارى ، وجعله كتخداه ومشيره . وبلغ من العظمة ونفوذ الكلمة باقليم مصر ما لم يبلغه أعظم أمير بها . وبنى له دارا بالناصرية ، واقتنى المماليك الحسان والسرارى البيض والحبوش والخدم ، وتعلم اللغة التركية والأوضاع الشيطانية ، واختص ذلك السنارى ببعض رعاع الناس ، وجعله كتخداه .. يأتمر بأمره ، ويتوسل به أعاظم الناس فى قضاء أشغالهم !

ولما حسن لمراد بيك الاقامة بالجيزة ، واختار السكن بها ، وزين له شيطانه العزلة عن خشداشينه وأقرانه ، وترك لابراهيم بيك أمر الأحكام والدواوين ومقتضيات نواب السلطنة العثمانية — مع كونه لاينفذ أمرا دون رأيه ومشورته — واحتجب هو عن الاجتماع بالناس بالكلية ، حتى عن الأمراء الكبار من أقرانه ... كان السفير بينه وبينهم ابراهيم كتخدا المذكور . فكان هو عبارة عنه . وربما نقض القضايا التى ابرم أمرها عند ابراهيم بيك أو غيره ، بنفسه أو عن لسان مخدومه .

وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربى نحو ست سنوات متوالية ... لا يعدى الى البر الشرقى أبدا ، ولا يحضر الديوان ، ولايتردد الى الأقران . واذا

حضر الباشا المولى على مصر ، ووصل الى برانبابة ، ركب وسلم عليه مع الأمراء ورجع الى قصره ... فلا يراه بعد ذلك أبدا .

وتعاظم فى نفسه ، وتكبر على أقرانه وأبناء جنسه ، فتزاحمت على سدته الطلاب ، وتكالبت على جيفته الكلاب ! فانزوى من نبشهم ، وتوارى من نهشهم . فاذا بلغه قدوم من يختشيه ، أو وصول من يرتجيه ، وكان يستحى من رده ، أو يخشى عاقبة صده ... ركب فى الحال ، وصعد الى الجبال ، وربما وصله الغريم على غفلة ، فيجده قد شمع الفتلة ! فان صادفه واجتمع عليه ، أعطاه ما فى يديه .. أو وعده بالخير ، أو وهبه ملك الغير . فما يشعر الميسور ، الا ولقمته قد اختطفتها النسور !

ثم أخذ يعبث بدواوين الأعشار والمكوسات والبهار ، فيحول عليهم الحوالات ، ويتابع لمماليكه ختم الوصولات ... فتجاذب — هو وابراهيم بيك — ذلك الايراد ، وتعارضت أوراقهما ، وخافا فى المعتاد .. ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين البحرية ، ولقسيمه ما يرد من الأصناف الحجازية وما انضاف الى قلم البهار ، وحسب فى دفاتر التجار . فانفرد كل منهما بوظيفته ، وفعل بها من الاجحاف ما سطر فى صحيفته . فأحدث المترجم ديوانا خاصا بثغر رشيد على الغلال التى تحمل الى بلاد الافرنج ، وسموه « ديوان البدعة ! » ، وأذن ببيع الغلال لمن يحملها الى بلاد الافرنج أو غيرها . وجعل على كل اردب دينارا ، خلاف البرانى . والتزم بذلك رجل سراج من أعوانه الموصوفين بالجور ، وسكن برشيد ، وبقيت له بها وجاهة وكلمة نافذة ، فجمع من ذلك أموالا وايرادا عظيما . وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيس وطمعهم فى الاقليم المصرى ، مع ما أضيف الى ذلك من أخذ أموالهم ، ونهب تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن [1] .

واقتدى به أمراؤه وتناظروا فى ذلك . وفعل كل منهم ما وصلت اليه همته ، واستخرجته فطنته !

ومما سولت به نفس المترجم — بارشاد بعض الفقهاء — عمارة جامع عمرو بن العاص ، وهو الجامع العتيق .

وذلك أنه لما خرب هذا الجامع بخراب مدينة الفسطاط ، وبقيت تلالا وكيمانا — وخصوصا ما قرب من ذلك الجامع — ولم يبق بها بعض العمار الا ما كان من الأماكن التى على ساحل النيل ، وخربت فى دولة « القزدغلية » وأيام حسن باشا لما سكنتها عساكره ... لم يبق بساحل النيل الا بعض أماكن جهة دار النحاس وفم الخليج يسكنها أتباع الأمراء ونصارى المكوس . وبها بعض مساجد صغار يصلى بها السواحلية والنواتية وسكان تلك الخطة من القهوجية والباعة .

والجامع العتيق لا يصل اليه أحد لبعده وحصوله بين الأتربة والكيمان . وكان ، فيما أدركنا ، الناس يصلون به آخر جمعة فى رمضان . فتجتمع به الناس على سبيل التسلى من القاهرة ومصر وبولاق ، وبعض الأمراء أيضا والأعيان . ويجتمع بصحنه أرباب الملاهى من الحواة والقرداتية وأهل الملاعب والنساء الراقصات المعروفات بالغوازى ... فبطل ذلك أيضا من نحو ثلاثين سنة لهدمه وخراب ما حوله وسقوط سقفه وأعمدته

---

(١) ان قنصل فرنسا وجواسيسها وتجارها قد أطلعوا نابليون — دون ريب — على ماوصل اليه حال البلاد من تفكك وانحلال ، وعلى ما يقترفه الحكام من بغى وطغيان ، وعلى ما وصل اليه المحكومون من ضيق بدهم طوائف وشيعا . . . فعلم الذئب الجسور أن الفريسة قد أصبحت وجبة سائغة لا تملك من أمرها شيئا ...

وميل شقته اليمنى بل وسقوطها بعد ذلك . فحسن ببال المترجم هده وتجديده بارشاد بعض الفقهاء .. ليرقع به دينه الخَلِق ، كما قال شاعرهم :

ومسجد فى فضاء : ما عمارته
فوق الصيانة ، الا لهو مختلق !

كأن عمرا دعا : يا عاص هم به
ورمّه رقعة فى دينك الخَلِقِ !

فاهتم لذلك ، وقيد به نديمه الحاج قاسم المعروف بالمصلى ، فجعله مباشرا على عمارته ، وصرف عليه أموالا عظيمة أخذها من غير حلها ، ووضعها فى غير محلها !

وأقام أركانه ، وشيد بنيانه ، ونصب أعمدته ، وكمل زخرفته ، وبنى به منارتين ، وجدد جميع سقفه بالخشب النقى ، وبيضه جميعه ... فتم على أحسن ما يكون . وفرشه بالحصر الفيومى ، وعلق به القناديل ، وحصلت به الجمعية آخر جمعة برمضان سنة ١٢١٢ . فحضر الأمراء والمشايخ وأكابر الناس وعامتهم .

وبعد انقضاء الصلاة عقد له الشيخ عبد الله الشرقاوى مجلسا ، وأملى حديث « من بنى لله مسجدا .. » ، وآية « انما يعمر مساجد الله .. » .

وعند فراغه ألبس فروة من السمور ، وكذلك الخطيب .

فلما حضرت الفرنساوية فى العام القابل ، جرى عليه ما جرى على غيره من الهدم والتخريب ، وأخذ أخشابه حتى أصبح بلقعا أشوه مما كان .. فياليتها لم تزنِ ولم تتصدق !

وبالجملة فمناقب المترجم لا تحصى ، وأوصافه لا تستقصى : فهو كان من أعظم الأسباب فى خراب الاقليم المصرى بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه من الجور والتهور ، ومسامحته لهم ... فلعل الهم يزول بزواله !

وكان صفته : أشقر ، مربوع القامة ، كث اللحية ، غليظ الجسم والصوت ، بوجهه أثر ضربة سيف ، ظالما غشوما متهورا ، مختالا معجبا متكبرا ، الا أنه كان يحب العلماء ويتأدب معهم ، وينصت لكلامهم ، ويقبل شفاعتهم ، ويميل طبعه الى الاسلام والمسلمين ، ويحب معاشرة الندماء والفصحاء وأهل الذوق والمتكلمين ، ويشاركهم ويباسطهم ولايمل من مجالستهم ومنادمتهم ، ويناقل فى الشطرنج ، ويطلب أهل المعرفة فيه ، ويحب سماع الآلات والأغانى ، وكانت عطاياه جمة ، ومواهبه وهمته فوق كل همة!

ولم يخلف ولدا ولا بنتا ، وصناجقه الذين مات عنهم : الأمير محمد بيك المعروف بالألفى ، وعثمان بيك الجوخدار المعروف بالطنبرجى ، وعثمان بيك المعروف بالبرديسى ، ومحمد بيك المنفوخ : وسليم بيك أبو دياب وأصله مملوك مصطفى بيك الاسكندرانى .

ولما مات دفن بسهاج كما تقدم عند الشيخ العارف .. غفر الله له .

* * *

ومات الأمير حسن بيك الجداوى — مملوك على بيك — وهو من خشداشين محمد بيك أبى الذهب . مات بغزة بالطاعون . وكان من الشجعان الموصوفين ، والأبطال المعروفين . ولما انفرد على بيك بمملكة مصر ولاه امارة جدة .. فلذلك لقب بالجداوى ، وذلك سنة ١١٨٤ .

ولما وقعت حادثة الفرنسيس ، واستولوا على الاقليم المصرى ، وحضرت العساكر بصحبة الوزير يوسف باشا ، ووقع ما وقع من الصلح ونقضه . وانحصر المترجم مع ما انحصر بالمدينة من المصرلية والعثمانية ، فقاتل وجاهد وأبلى بلاء حسنا .. شهد

له بالشجاعة والاقدام كل من العثمانية والفرنساوية والمصرلية .

فلما انفصل الأمر وخرجوا الى الجهة الشامية ، لم يزل محرصا ومرابطا ومجتهدا ، حتى مات بالطاعون فى هذه السنة ، وفاز بالشهادتين ، وقدم على كريم يغفر الذلوب جميعا .. انه هو الغفور الرحيم .

* * *

ومات الأمير مصطفى بيك الكبير — وهو أيضا من مماليك محمد بيك — تولى الصعيد وامارة الحج عدة مرار ، وكان فظا غليظا ، متبولا بخيلا شحيحا ! وفى امارته على الحج ، ترك زيارة المدينة لخوفه من العرب وشحه بعوائدهم ، وقلة اعتنائه بشعائر الدين ، وانتقد ذلك على المصريين من الدولة وغيرها . وكان ذلك من أعظم ما اجترمه من القبائح .

* * *

ومات الأمير حسن كتخدا ، المعروف بالجربان ، بالشام أيضا . وأصله من مماليك حسن بيك الأزبكاوى ، وكان ممتهنا فى المماليك ... فسموه بالجربان لذلك فلما قتل أستاذه بقى هو لا يملك شيئا ، فجلس بحانوت جهة الأزبكية يبيع فيها تنباكا وصابونا !

ثم سافر الى المنصورة فأقام بها مدة تحت قصر محمود جربجى . ثم رجع الى مصر فى أيام دولة على بيك ، وتنقلت به الأحوال حتى انضم الى مراد بيك وتقرب منه ، فجعله كتخداه ووزيره ، واشتهر ذكره ، وصار من الأعيان المعدودين .

وكان يعترى المترجم مرض شبيه بالصرع . ولم يزل حتى مات مع من مات بالشام .

* * *

ومات الأمير يحيى كاشف الكبير ، وهو من مماليك ابراهيم بيك الأقدمين .

وكان لطيف الطباع ، حسن الأوضاع ، وعنده ذوق وتودد ، عطارديا يحب الرسومات والنقوش والتصاوير والأشكال ودقائق الصناعات ، والكتب المشتملة على ذلك ، مثل « كليلة ودمنة » و « النوادر والأمثال » .

واهتم فى بناء السبيل المجاور لداره بخطة عابدين ، فرسم شكله قبل الشروع فيه فى قرطاس بمعونة الأسطا حسن الخياط ، ثم سافر الى الاسكندرية وأحضر ما يحتاجه من الرخام والأعمدة المرمر الكبيرة والصغيرة ، وأنواع الأخشاب ، وحفر أساسه وأحكم وضعه ، واستدعى الصناع والمرخمين ، فتأنقوا فى صناعته ونقش رخامه على الرسم الذى رسمه لهم ... كل ذلك بالحفر بالآلات فى الرخام ، وموهوه بالذهب .

فما هو الا أن ارتفع بنيانه ، وتشيدت أركانه ، وظهر للعيان حسن قالبه ، وكاد يتم ما قصده من حسن مآربه ... حتى وقعت حادثة الفرنسيس ، فخرج مع من خرج قبل اتمامه ، وبقى على حالته الى الآن .

ولما خرج سكن داره « برطلمين » ، واستخرج مخبأة بين داره والسبيل ، فيها ذخائره ومتاعه ، فأوصلها للفرنسيس .

* * *

ومات الأمير رشوان كاشف — وهو من مماليك مراد بيك — وكان له أقطاع بالفيوم . فكان معظم اقامته بها ، فاحتكر الورد وما يخرج من مائه ، والخل المتخذ من العنب ، والخيش . واتجر فى هذه البضائع بمراده واختياره ، وتحكم فى الاقليم تحكم الملاك فى أملاكهم وعبيدهم ، وذلك قوة واقتدارا !

* * *

ومات كل من الأمير باكير بيك ، والأمير محمد بيك تابع حسين بيك كشكش .

ومات غير هؤلاء ممن لم تحضرلى أسماؤهم

المحـــرم

الخميس غرته (١٤ مايو ١٨٠١ م) :

خف أمر الطاعون . وفى ليـلة الجمعـة تلك أرسـل عبـد العال الأغا وأحضر الشيخ محمـد الأمير ليلا الى منزله فبيته عنده ، ولما أصبح النهار طلع به الى القلعة وحبسه عند المشـايخ بجامع سارية . والسبب فى ذلك أن ولد الشيخ المذكور كان من جملة من يسـتحث النـاس على قتـال الفرنسيس فى الواقعة السابقة بمصر . فلما انقضت هرب الى جهة بحرى ، ثم حضر بعد مدة الى مصر ، فأقام أياما ، ثم رجـع الى فوة باذن من الفرنسـيس .

فلما حصلت هذه الحركة ، وتحذروا شدة التحذر ، وأخذوا الناس بأدنى شبهة ، وتقرب اليهم المنافقون بالتجسس والاغراء ــ ذكر بعضهم ذلك لقائمقام ، وأدخل فى مسامعه أن ابن الشيخ المذكور ذهب الى عرضى الوزير ، والتف عليهم . فأرسل قائمقام الى الشيخ قبل تاريخه ، فلما حضر سأله عن ولده المذكور . فأخبره أنه مقيم بفوة . فقال له : « لم يكن هناك ، وانما هو عند القادمين » . قال له : « لم يكن ذلك ، وان شئتم أرسلت اليه بالحضور » . فقال له : « أرسل اليه وأحضره » .

فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مدة مسافة الذهاب والمجىء . ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضا ، فوعده بحضوره أوحضور الجواب بعد يومين ، واعتذر بعدم أمن الطريق . فلما انقضى اليومان ، أمروا عبد العال بطلبه واصعاده على القلعة ، ففعل .

وفيـه : حضر جملة من عساكر الفرنساوية من جهة بحرى ، وتواترت الأخبار بوصول القادمين من الانكليز والعثمانية الى الرحمانية ، وتملكهم القلعة وما بالقرب منها من الحصون الكائنة بالعطف وغيره ، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة .

وفيه : حضرت زوجة سـارى عسـكر كبير الفرنسيس بصحبة أخيها السيد على الرشـيدى ــ أحد أعضاء الديوان ــ وكان خرج بها من رشيد حين ما ملكها القادمون ، ونزل بها فى مركب وأرسى بها قبالة الرحمانية .

فلما حصلت واقعة الرحمانية وأخذت قلعتها ، حضر بها الى مصر بعد مشقة وخوف من العربـان وقطاع الطريق وغـير ذلك . فأقامت هى وأخوها ببيت الألفى بالأزبكية نحو ثلاثة أيام ، ثم صعدا الى القلعـة .

وفيه : قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية وحضرت طوالعهم الى القليوبية والمنير والخانكة لأخذ الكلف ، فتأهب قائمقام « بليار » للقائهم . وأمر العسـاكر بالخروج من أول الليل . ثم خرج هو فى آخر الليل .

الأحد ٤ منه (١٧ مايو ١٨٠١ م) :

رجع قائمقـام ومن معه ، ووقع بينه وبينهم مناوشـة . فلم يثبت الفرنسيس لقلتهم ، ورجعوا مهزومين ، وكتموا أمرهم ، ولم يذكروا شيئا .

الاثنين ٥ منه (١٨ مايو ١٨٠١ م) :

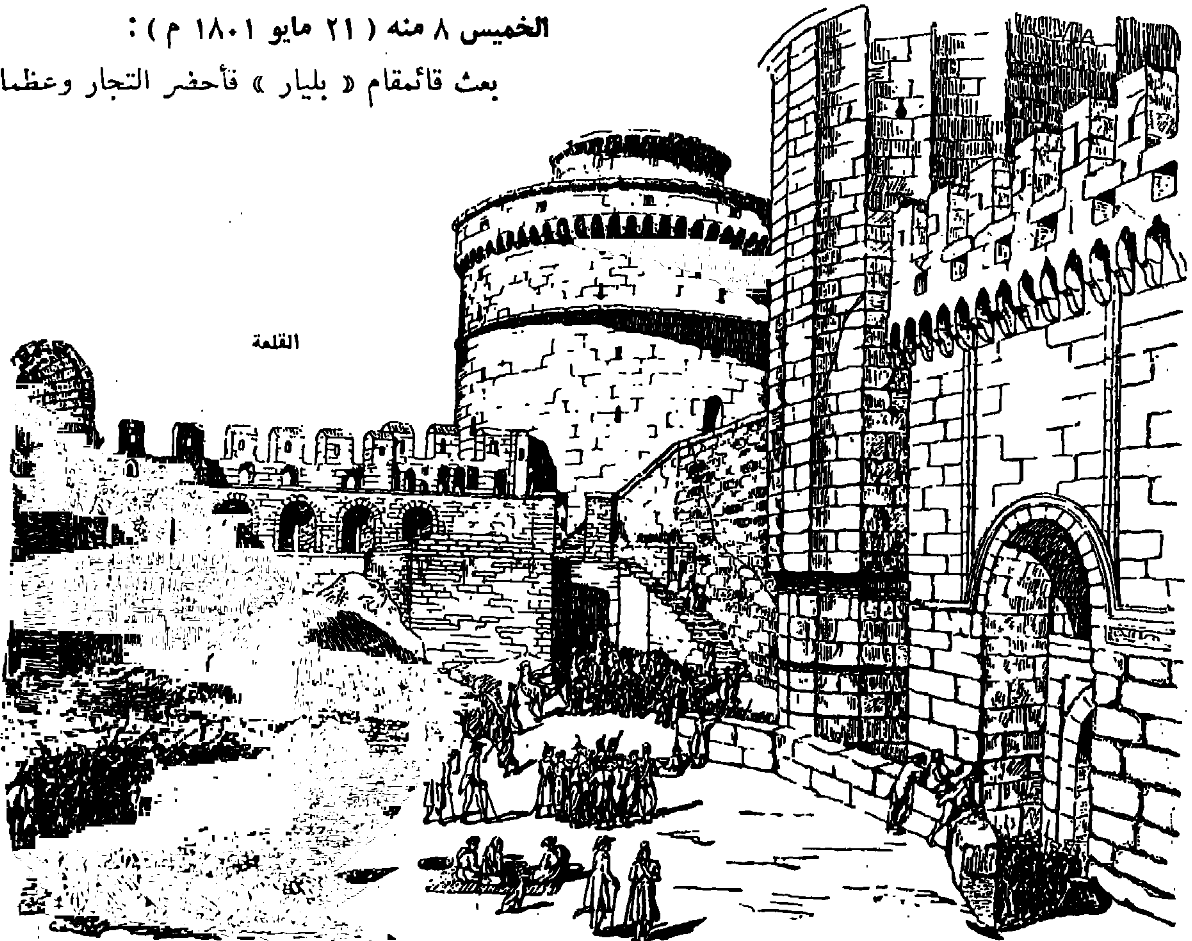
رفعوا الطلب عن الناس بباقى نصف المليون ، وأظهروا الرفق بالناس والسرور بهم لعدم قيامهم غند خروجهم للحرب ، وخلو البلدة منهم : وكانوا يظنون منهم ذلك .

وفيه : أخذت جملة من عدد الطواحين وأصعدت الى القلعة ، وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات اليها ، وكذلك البارود والكبريت والجلل والقنابر والبنب ، ونقلوا مافى الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة وحملوه اليها ولم يبقوا بالقلاع الصغار الا مهمات الحرب .

وفيه : طلبوا الزياتين وألزموهم بمائتى قنطار شيرج ، وسمروا جملة من حوانيتهم . وخرج جماعة من الجزارين لشراء الغنم من القرى القريبة ،فقبض عليهم عساكر العثمانية القادمة ، ومنعوهم من العود بالغنم والبقر ، وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات الى المدينة . فانقطع الوارد من الجهات البحرية والقليوبية ، وعزت الأقوات ، وشح اللحم والسمن جدا ، وأغلقت حوانيت الجزارين . واجتهد الفرنساوية فى وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية ، وحفروا خنادق ، وطلبوا الفعلة للعمل . فكانوايقبضون على كل من وجدوه ويسوقونهم للعمل ، وكذلك فعلوا بجهة القرافة ، وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر انبابة ، لتمنع المراكب من العبور ، وابتدأوا المتاريس البحرية من باب الحديد ممدودة الى قنطرة الليمون ، الى قصر افرنج احمد ، الى السبتية الى مجرى البحر .

الخميس ٨ منه (٢١ مايو ١٨٠١ م) :

بعث قائمقام « بليار » فأحضر التجار وعظماء



الناس وسألهم عن سبب غلق الحوانيت فقالوا له : « من وقف، الحال والكساد والجلاء والموت » فقال لهم : « من كان موجودا حاضرا فألزموه بفتح حانوته ، والا فأخبروني عنه » . ونزلت الحكام فنادت بفتح الحوانيت والبيع والشراء .

السبت ١٠ منه (٢٣ مايو ١٨٠١ م) :

شرعوا فى هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية ، وقربت عساكر الانكليز القادمة من البر الغربى الى البلد المسماة بـ « نادر » عند رأس ترعة الفرعونية

وفيه : تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية وصلت أوائلها الى بنها وطحلا بساحل النيل ، وأن طائفة من الانكليز رجعوا الى جهة سكندرية ، وأن الحرب قائم بها ، وأن الفرنساوية محصورون بداخل الاسكندرية ، والانكليز ومن معهم من العساكر يحاربون من خارج ، وهى فى غاية المنعة والتحصين ، وأن الانكليز بعد قدومهم وطلوعهم الى البر ، ومحاربتهم لهم المرات السابقة أطلقوا الحبوس عن المياه السائلة من البحر المالح منه الى الجسر المقطوع ، حتى سالت المياه ، وعمت الأراضى المحيطة بالاسكندرية ، وأغرقت أطيانا كثيرة وبلادا ومزارع ، وأنهم قعدوا فى الأماكن التى يمكن الفرنسيس النفوذ منها ، بحيث أنهم قطعوا عليهم الطرق من كل ناحية .

الاثنين ١٢ منه (٢٥ مايو ١٨٠١ م) :

نزلت امرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر ، فأحضر الفرنسيس حكام الشرطة ، وألزموهم باحضارها .

وهذه المرأة اسمها « هوى » كانت زوجة لبعض الأمراء الكشاف ، ثم انها خرجت عن طورها وتزوجت نقولا ، وأقامت معه مدة . فلما حدثت هذه الحوادث ، جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت من القلعة وهى على حمار ، ومتاعها محمول على حمار آخر ... فنزلت عند بعض العطف ، وأعطت المكارية الأجرة وصرفتهم من خارج واختفت .

فلما وقع عليها التفتيش ، وأحضروا المكارية .. قالوا : « لانعلم غير المكان الذى أنزلناها به وأعطتنا الأجرة عنده » ، فشددوا على المكارية ، ومنعوهم من السروح ، وقبضوا على أهل الحارة وحبسوهم ثم أحضروا مشايخ الحارات وشددوا عليهم وعلى سكان الدور وأعلموهم أنه ان وجدت المرأة فى حارة من الحارات ولم يخبروا عنها .. نهبوا جميع دور الحارة وعاقبوا سكانها فحصل للناس غاية الضجر والقلق بسبب اختفائها ، وتفتيش أصحاب الشرطة ، وخصوصا عبدالعال ، فانه كان يتنكر ويلبس زى النساء ، ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليها ، فيزعج أرباب البيوت والنساء ، ويأخذ منهن مصالح ومصاغا ، ويفعل ما لا خير فيه ، ولا يخشى خالقا ولا مخلوقا !

الخميس ١٥ منه (٢٨ مايو ١٨٠١ م) .

قبضوا على ألطون أبى طاقية النصرانى القبطى وحبسوه بالقلعة ، وألزموه بمبلغ دراهم تأخرت عليه من حساب البلاد .

الجمعة ١٦ منه (٢٩ مايو ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن محمد افندى يوسف ، ونزل الى بيته وكذلك الشيخ مصطفى الصاوى لمرضه .

وفيه انقضت دعوة تهمة الشيخ خليل البكرى ومحصلها : أن خادم مملوكه ذهب عن لسان المملوك الى « بليار » قائمقام ، وأخبره أنه وصل الى أستاذه الشيخ خليل البكرى المذكور فرمان من عرضى الوزير بالأمان .

وكان هذا باغراء عبد العال ليوقعه فى الوبال ،

ويحرك عليه الفرنسيس لحزازة بينه وبينه . فلما حضر الشيخ خليل على عادته عنـد قائمقام سأله عن ذلك .. فجحده . فأحضروا الخادم الذى بلغ ذلك ، فصـدق على ذلك ، وأسـند الى المملوك سـيده . فأحضروا المملوك وسألوه فقـال : « نعم .. » . فقالوا له : « وأين الفرمان .. ؟ » . فقال : «قرآه وقطعه» . فقال الفرنساوية : « وكيف يقطعه ؟ هذا دليل الكذب ، لأنه لايصح أن يتلقاه بالقبول ثم يقطعه ! » فقيل له : « ومن أتى به ؟ » قال : « فلان ... » . فألزموا الشيخ باحضار ذلك الرجل ، وحبس المملوك عند عبـد العال يومين ، وحضر الرجل فسألوه .. فجحد ولم يثبت عليه . وظهر كذب الغـلام والخادم . فعنـد ذلك طلب الشيخ غلامه ، فقال قائمقام : « ان قصـاصه فى شريعتنا أن يقطع لسانه ! » فتشفع فيـه سيده ، وأخذه بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سـيده .

وفيـه : حضر حسـين كاشف اليهودى الى قائمقام وأخبره أن الأمراء الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنسـاوية ، وردوا مكاتبتهـم التى أرسلوها لهم بعـد موت مراد بيك ، وأنهم مروا وتوجهـوا الى بحرى من البر الغربى ، وعثمـان بيك الأشقرذهب من خلف الجبل الى جهةالشرق . فلما حصـل ذلك ، ركب قائمقـام وذهب للست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها وأخبرها أنها فىأمان هى وجميع نساء الأمراء والكشـاف والأجناد ، ولا مؤاخذة عليهن بما فعله رجالهن

الثلاثاء ٢٠ منه (٢ يونية ١٨٠١ م) :

. توكل رجل قبطى يقال له عبد الله — من طرف يعقوب — بجمع طائفة منالناس لعمل المتاريس ، فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم ، وعسف وضرب بعض النـاس على وجهـه حتى أسـال دمه .. فتشكى الناس من ذلك القبطى ، وأنهوا شكواهم الى « بليار » قائمقـام ، فأمـر بالقبض على ذلك القبطى ، وحبسه بالقلعة ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتى بهما شيخ الحارة وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة .

وفيه : وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوة .

الاثنين ٢٦ منه (٨ يونية ١٨٠١ م) :

سمع عدة مدافع على بعد وقت الضحوة .

وفى ذلك اليوم ، قبـل العصر ، طلبوا مشايخ الديوان .: فاجتمعوا بالديوان ، وحضر الوكيـل والترجمان ، وطلبهم للحضور الى قائمقام . فلما حصلوا عنـده قال لهم على لسـان الترجمان « نخبركم أن الخصم قد قرب منا . ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية ، وأن تنصحوا أهل البلد والرعيـة بأن يكونوا مستمرين عـلى سكونهموهدوهم ، ولا يتداخلوا فىالشر والشغب. فان الرعيـة بمنزلة الولد ، وأنتم بمنزلة الوالد ! والواجب على الوالد نصح ولده وتأديبه وتدريبه على الطريقالمستقيم التى يكون فيها الخيروالصلاح. فانهم ان داوموا على الهدو ... حصل لهم الخير ، ونجوا من كل شر . وان حصل منهم خلاف ذلك .. نزلتعليهم النار ، وأحرقت دورهم ، ونهبتأموالهم ومتاعهم ، ويتمت أولادهم ، وسبيت نسـاؤهم . وألزموا بالأموال والفرد التى لا طاقة لهم بهـا . فقد رأيتم ما حصل فى الوقائع السابقة ، فاحذروا من ذلك ... فانهم لايدرون العاقبة . ولا نكلفكم المساعدة لنا ، ولا المعاونةلحرب عدونا ، وانمانطلب منكم السكون والهدو لاغير » . فأجابوه بالسـمع والطاعة وقولهم : « كذلك ! » .

وقرىء عليهم ورقة بمعنى ذلك . وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك . وأنهم



اغا

ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة فلا ينزعجوا من ذلك ، فانه شنك وعيد لبعض أكابرهم ، وأن يجتمع من الغد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ، ويتلى عليهم ذلك .

الثلاثاء ٢٧ منه (٩ يونيه ١٨٠١ م) :

اجتمعوا كما ذكر ، وحصلت الوصية والتحذير، وانتهى المجلس ، وذهبوا الى محلاتهم .

وفى ذلك اليوم : أشيع حضور الوزير الى شلقان . وكذلك عساكر الانكليز بالناحية الغربية وصلوا الى أول الوراريق .

الجمعة ٣٠ منه (١٢ يونيه ١٨٠١ م) :

اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العادة ، وحضر «استوف» الخازندار ، وترجم عنه «رفاييل» بقوله : «انه يثنى على كل من القاضي والشيخ اسماعيل الزرقانى باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث وبيت المال والمصالح على التركات المختومة ، لأن الفرنساوية لم يبق لهم من الايراد الا ما يتحصل من ذلك والقصد الاعتناء أيضا بأمر البلاد والحصص التى انحلت بموت أربابها . فلازم أيضا من المصالحة والحلوان . والمهلة فى ذلك ثمانية أيام . فمن لم يصالح على الالتزام الذى له فيه شبهة فى تلك المدة .. ضبطت حصته ولا يقبل له عذر بعد ذلك .

« واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك ، واركزوه فى أذهانكم .. كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ! ! ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم . فانه لا يخرج من أيديهم شىء أبدا . وهؤلاء الانكليز ناس خوارج حرامية ! وصناعتهم القاء العداوة والفتن ، والعثملى مغتر بهم . فان الفرنساوية كانت من الأحباب الخلص للعثملى ، فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور . وأن بلادهم ضيقة ، وجزيرتهم صغيرة . ولو كان بينهم وبين الفرنساوية طريق مسلوك من البر، لامحى أثرهم ، ونسى ذكرهم من زمان مديد . وتأملوا فى شأنهم ، وأى شىء خرج من أيديهم ! فان لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم الى البر والى الآن لم يصلوا الينا ، والفرنسيس عند قدومهم وصلوا فى ثمانية عشر يوما . فلو كان فيهم همة أو شجاعة .. لوصلوا مثل وصولنا » ... وكلام كثير من هذا النمط فى معنى ذلك .. من بحر الغفلة !

ثم ذكر البكرى والسيد احمد الزرو : أنه حضر مكتوب من رشيد على يد رجل حناوى لآخر من منية كنانة ، يذكر فيه أنه حضر الى اسكندرية مراكب وعمارة من فرانسا ، وأن الانكليز رجعت اليهم ، وأن الحرب قائمة بينهم على ظهر البحر . فقال الخازندار : « يمكن ذلك ، وليس ببعيد » . ثم نقلوا ذلك الى « بليار » قائمقام ، فطلب الرجل الراوى لذلك . فأحضر الزرو رجلا شرقاويا حلف لهم أنه سمع ذلك بأذنه من الرجل الواصل الى منية كنانة من رشيد .

السبت غرته (١٣ يونيه ١٨٠١ م) :

فى ذلك اليوم ، قبل المغرب ، مشى عبد العال الأغا وشق فى شوارع المدينة وبين يديه منـاد تقول : « الأمن والأمان على جميع الرعايا . وفى غد تضرب مدافع وشنك من القـلاع فى الساعة الرابعة فـلا تخـافوا ، ولا تنزعجوا . فانه حضرت بشـارة وصول بونابارته بعمارة عظيمة الى الاسكندرية ، وأن الانكليز رجعوا القهقرى » .

فلما أصبح يوم الأحد فى الساعة الرابعـة من الشروق ... ضربت عدة مدافع ، وتابعوا ضربها من جميع القلاع ، وصعد أناس الى المنارات ، ونظروا النظارات فشاهدوا عساكر الانكليز بالجهة الغربية وصلوا الى آخر الوراريق وأول انبابة ، ونصبوا خيامهم أسفل انبابة وعند وصولهم الى مضاربهم ضربوا عدة مدافع ، فلما سمعها الفرنساوية ضرب الآخرون تلك المدافع التى ذكروا أنهـا شـنك وأما العساكر الشرقيه فوصلت أوائلهم الى منيـة الأمراء المعروفة بمنية السيرج ، والمراكب فيما بينهما من البرين بكثرة فعند ذلك عزت الأقوات وشحت زيادة على قلتها ، وخصوصا السمن والجبن والأشياء المجلوبة من الريف ، ولم يبق طريق مسلوكة الى المدينة الا من جهة باب القرافة ، وما يجلب من جهة البساتين من القمح والتبن ، فيأتى ذلك الى عرصة الغلة بالرميلة ، ويزدحم عليه النساء والرجال بالمقاطف فيسمع لهم ضجة عظيمة وشح اللحم أيضا وغلا سعره لقلة المواشى والأغنام ، فوصل سـعر الرطل تسعة أنصاف ، والسمن خمسـة وثلاثين نصفا ، والبصل بأربعمائة فضة القنطار ، والرطل الصابون بثمانين فضة ، والشيرج عشرون نصفا ، وأما الزيت فلا يوجد البتة ، وغلت الأبزار جـدا واتفق لى غريبة : وهو أنى احتجت الى بعض آنيسون فأرسلت خادمى الى الابزارية على العادة ، يشترى لى منـه بدرهم .. فلم يجده ، وقيل له : انه لا يوجد الا عند فلان ، وهو يبيع الوقية بثلاثة عشر نصفا ثم أتانى منه بأوقيتين بعد جهد فى تحصيله ، فحسبت على ذلك سعر الأردب فوجدته يبلغ خمسمائة ريال أو قريبا من ذلك .. فكان ذلك من النوادر الغريبة !

الاثنين ٣ منه (١٥ يونيه ١٨٠١ م) :

حصلت الجمعيـة بالديوان ، وحضر التجـار ومشـايخ الحارات والأغا . وحضر مكتوب من « بليار » قائمقام خطابا لأرباب الديوان والحاضرين يذكر فيـه ، أنه حضر اليه مكتوب من كبـيرهم « مينو » بالاسـكندرية صـحبة هجانة فرنسيس وصلوا اليهم من طريق البرية ، مضمونه : أنه طيب بخير ، والأقوات كثيرة عندهم يأتى بها العـربان اليهم . وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنساوية الى بحر الخزر ، وأنها عن قريب تصل الاسـكندرية أن العمارة حاربت بلاد الانكليز واستولت عـلى شقة كبيرة منها فكونوا مطمئنين الخاطر من طرفنا ، ودوموا على هدوئكم وسكونكم .. الى آخر ما فيه من التمويهات . وكل ذلك لسكون الناس وخـوفا من قيامهم فى هـذه الحالة . وكان وصول هـذا المكتوب بعد نيف وأربعين يوما من انقطاع أخبار من فى اسكندرية .. ولا أصل لذلك !

وفى ذلك اليوم : قتل عبد العال رجلا ذكروا أنه وجد معه مكتوب من بعض النساء مرسل الى بعض أزواجهن بالعرضى قتل ذلك الرجل بباب زويلة ونودى عليه : « هذا جزاء من ينقل الأخبار الى العثملى والانكليز » .

وفيه : وصلت العساكر الشرقية الى العادلية ، وامتد العرضى منها الى قبلى منية السيرج . وكذلك الغربية الى انبابة ، ونصبوا خيامهم بالبرين والمراكب بينهم فى النيل ، وضربوا عدة مدافع ، وخرج عدة من

الفرنساوية خيالة فترامحوا معهم وأطلقوا بنادق ، ثم انفصلوا بعد حصة من الليل ، ورجع كل الى مأمنه . واستمر هذا الحال على هذا المنوال يقع بينهم فى كل يوم

الخميس ٦ منه (١٨ يونيه ١٨٠١ م) :

زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر .

وسكن ابراهيم بيك زاوية الشيخ دمرداش .

وحضر جماعة من العسكر وأشرفوا على الجزارين من حائط المذبح ، وطلبوا شيخ الجزارين . ووجدوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس ضربوا عليهم بنادق فأصيب أحدهم فى رجله ، فأخذوه وهرب الاثنان . وأصيب جزار يهودى ، ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد ، وقتل بعض قتلى وأسر بعض أسرى . ولم يزل الضرب بينهم الى قريب العصر . والفرنسيس يرمون من القلعة الظاهرية وقلعة نجم الدين والتل ، ولا يتباعدون عن حصونهم .

الجمعة ٧ منه (١٩ يونيه ١٨٠١ م) :

وقعت مضاربة بين الفريقين ببنادق ومدافع من الصباح الى العصر أيضا .

وفيه : أشيع موت السيد أحمد المحروقى بدجوة — وكان مريضا بها — وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية .

وفيه : قبضوا على رجل شبه خدام ظنوه جاسوسا . فأحضروه عند قائمقام ، فسألوه ، فلم يقر بشىء ، فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله وصار كالمختل ، وكرروا عليه الضرب والعقاب وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه ورأسه .. حتى قيل انهم ضربوه نحو ستة آلاف كرباج ! وهو على حاله . ثم أودعوه الحبس .

وفيه : أطلقوا محبوسا يقال له الشيخ سليمان



وطنى يعذب حتى يعترف

حمزة الكاتب ، وكان محبوسا بالقلعة من مدة أشهر ، فأطلق على مصلحة ألفى ريال

السبت ٨ منه (٢٠ يونية ١٨٠١ م) :

وقعت مضاربة أيضا بطول النهار ، ودخل نحو خمسة وعشرين نفرا من عسكر العثمانية الى الحسينية ، وجلسوا على مساطب القهوة ، وأكلوا كعكا وخبزا وفولا مصلوقا ، وشربوا قهوة ، ثم انصرفوا الى مضربهم . وأخذ الفرنساوية عسكريا من أتباع محمد باشا والى غزة والقدس ، المعروف بأبى مرق ، فحبسوه ببيت قائمقام . وأغلقوا فى ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى .

وفيه : زحفت عساكر البر الغربى الى تحت الجيزة ، فحضر فى صبحها « ينى » وأخبر قائمقام ، فركب من ساعته وعدى الى برالجيزة ، فسمع الضرب أيضا من ناحية الجيزة ، وسمعت طبول الأمراء ونقاقيرهم .

الثلاثاء ١١ منه (٢٣ يونية ١٨٠١ م) :

بطل الضرب فى وقت الزوال ، ولما حصلوا جهة الجيزة انتشروا الى قبلى منها ، ومنعوا المعادى من تعدية البر الشرقى ... فانقطع الجالب من الناحية

القبلية أيضــا ، فامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجور والخضروات والخيار والسمن والجبن والمواشي . فعزت الأقوات وغلت الأسعار فى الأشياء الموجودة منها جدا . واجتمع النــاس بعرصــة الغلة بالرميلة ، يريدون شراء الغلة ، فلم يجدوها ... فكثر ضجيجهم ، وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم الى جهة البساتين ، ورجع الباقون من غير شيء . فأحضر عبد العال القبانية وألزمهم باحضار السمن وضرب البعض منهم ، فأحضروا له فى يومين أربعة عشر رطلا بعد الجهد فى تحصيلها . وبيعت الدجاجة بأربعين نصفــا ، وامتنع وجود اللحم من الأســواق . واســتمر الأمــر على ذلك الاربعاء والخميس . والمضاربة بين الفريقين ساكنة ، وأشيع وقوع المسالمة والمراسلة بينهما — والمتوسط فى ذلك الانكليز وحسين قبطان باشــا — فانسر النــاس وسكن جأشهم لسكون الحرب .

وفى ذلك اليوم أغلقوا باب القرافة وباب المجراة ولم يعلم سبب ذلك ، ثم فتحوهما عند الصباح من يوم الجمعة ، ورفعوا عشور الغلة .

الاثنين ١٧ منه (٢٩ يونية ١٨٠١ م) :

أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية ، وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسةعشرقرشا ، وأرسلوهم الى عرضي الوزير . وكان بلغ بهم الجهد من الخدمة والفعالة وشيل التراب والأحجار وضيق الحبس والجوع ، ومات الــكثير منهم . وكذلك أفرجوا عن جملة من العربان والفلاحين .

وفى ليلة الاثنين المذكور : سمع صوت مدفع بعد الغروب عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ، ثم سمع منها أذان العشاء والفجر . فلما أضاء النهار نظر الناس فاذا البيرق العثماني بأعلاها ، والمسلمون على أسوارها ، فعلموا بتسليمها ، وكان ذلك المدفع اشارة الى ذلك . ففرح الناس وتحققوا أمر المسالمة .

وأشيع الافراج عن الرهائن من المشايخ وغيرهم وباقى المحبوسين فى الصباح . وأكثر الفرنساوية من النقل والبيــع فى أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريهم وعبيدهم وقضاء أشغالهم !

وفى ذلك اليوم : أنزلوا عدة مدافع من القلعة ، وكذلك من قلعة باب البرقيــة ، وأمتعة وفروش وبارود .

الثلاثاء ١٨ منه (٣٠ يونية ١٨٠١ م) :

عمل الديوان ، وحضر الوكيل وأعلن بوقوع الصلح والمسالمة ، ووعد أن فى الجلسة الآتية يأتى اليهم فرمان الصلح وما اشتمل عليه من الشروط ، ويسمعونه جهارا .

وفى ذلك اليوم : كثر اهتمــام الفرنســاوية بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة وباقى القلاع بقرة السعى .

وفيــه : أفرجوا عن محمــد جلبى أبى دفيــة



الفرنسيون يحملون أمتعتهم على الجمال

واسماعيل القلق ، ومحمد شيخ الحارة بباب اللوق والبرنوسي نسيب أبى دفية ، والشيخ خليل المنير وآخرين تكملة ثمانية أنفار ، ونزلوا الى بيوتهم .

وفيه . سافر عثمان بيك البرديسى الى الصعيد وعلى يده فرمانات للبلاد بالأمن والأمان ، وسوق المراكب بالغلال والأقوات الى مصر ، ويلاقى ستة آلاف من عسكر الانكليز حضروا من القلزم الى القصير .

وفيه : شنق الفرنساوية شخصا منهم على شجرة ببركة الازبكية . قيل انه سرق !

وفيه : أرسل الفرنساوية الى الوزير وطلبوا منه جمالا ينقلون عليها متاعهم فأمر لهم بارسال مائتى جمل ، وقيل أربعمائة ، مساعدة لهم . وفيها من جمال طاهر باشا وابراهيم بيك .

الخميس ٢٠ منه (٢ يولية ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ وهم : شيخ السادات والشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير والشيخ محمد المهدى ، وحسن أغا المحتسب ، ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم .. فنزلوا الى بيت قائمقام وقابلوه وشكروه . فقال للمشايخ : « ان شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير فانى كلمته ووصيته عليكم » .

وفيه : حضر الوزير ومن معه من العساكر الى ناحية شبرا ، وكذلك الانكليز ، وصحبتهم قبطان باشا ، الى الجهة الغربية والعساكر تجاههم . ونصبوا الجسر فيما بينهم على البحر . وهو من مراكب مرصوصة مثل جسر الجيزة ، بل يزيد عنه فى الاتقان ، بكونه من الراح فى غاية الثخن ، وله داربزين من الجهتين أيضا ، وهو عمل الانكليز .

وفيه : ألصقوا أوراقا بالطرق مكتوبة بالعربى والفرنساوى وفيها شرطان من شروط الصلح التى تتعلق بالعامة ، ونصها : « ثم انه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عسكر الفرنساوية وعساكر الانكليز وعساكر العثمانية ، ولكن مع هذا الصلح .. أنفسكم وأديانكم ومتاعكم ما أحد يقارشكم . ورءوس عساكر الثلاثة جيوش قد اشترطوا بهذا كما ترونه .

« الشرط الثانى عشر : كل واحد من أهالى مصر المحروسة ، من كل ملة كانت ، الذى يريد أن يسافر مع الفرنساوية يكون مطلق الارادة ، وبعد سفره كامل ما يبقى عياله ومصالحه ما أحد يعارضهم .

« الشرط الثالث عشر : لا أحد من أهالى مصر المحروسة ، من كل ملة كانت ، يكون قلقا من قبل نفسه ، ولا من قبل متاعه ... جميع الذين كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوى بمدة اقامة الجمهور بمصر . ولكن الواجب أن يطيعوا الشريعة . ثم يا أهالى مصر وأقاليمها ... جميع الملل ، أنتم ناظرون نحد آخر درجة الجمهور الفرنساوى ناظر لكم ولراحتكم ، فيلزم أنتم أيضا تسلكون فى الطريق المستقيمة ، وتفتكرون أن الله جل جلاله هو الذى يعمل كل شىء » . وعليه امضاء « بليار » قائمقام .

الجمعة ٢١ منه (٣ يولية ١٨٠١ م) :

عملوا الديوان وحضر المشايخ والوكيل ، فقال الوكيل : « هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر ؟ » فقالوا : « لا » . فأبرز ورقة من كمه .. بالقلم الفرنساوى ، فشرع بقرؤها والترجمان يفسرها ، وهى تتضمن الأحد عشر شرطا الباقية ، فقال : « ان الجيش الفرنساوى يلزم أن يخلوا القلاع ومصر ، ويتوجهون على البر بمتاعهم الى رشيد ، وينزلون فى مراكب ويتوجهون الى بلادهم . وهذا الرحيل ينبغى أن يسرع به ، وأقل ما يكون فى خمسين يوما ، وأن يساق الجيش من طريق مختص . ومن عسكر الانكليز والمساعد يلزم أن يقوم لهم بجميع ما يحتاجونه من نفقة ومؤنة وجمال ومراكب . والمحل الذى يبدأ منه السعى يكون بالتراضى بين الجمهور والانكليز والمساعد . وكامل الأمتعة

والأثقال تتوجه من البحر ، ومعهم جيش من الفرنساوى لأجل الحراسة . ولا بد من كون المؤنة التى تترتب لهم كالمؤنة التى كانوا يعطونها هم لجيش الانكليز ورؤسائهم . وعلى رؤساء عساكر الانكليز وحضرة العثملى القيام بنفقة الجميع . والحكام المتقيدون بذلك ، يحضرون لهم المراكب ليسفروهم الى فرانسا من جهة البحر المحيط ، وأن يقدم كل من حضرة العثملى والانكليز أربع مراكب للعليق والعلف للخيل التى يأخذونها فى المراكب ، وأن يسيروا معهم مراكب المحافظة عليهم الى أن يصلوا الى فرانسا ، وأن الفرنساوية لا يدخلون مينة الا مينة فرانسا . والأمناء والوكلاء يقدمون لهم ما يحتاجون اليه ، نظرا لكفاية عساكرهم . والمدبرون والأمناء والوكلاء والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم ما يحتاجونه من أوراقهم وكتبهم ، ولو التى شروها من مصر . وكل من أهل الأقليم المصرى اذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه وعياله ، وكذلك من داخل الفرنساوية من أى ملة كانت فلا معارضة له ، الا أن يجرى على أحواله السابقة . وجرحى الفرنساوية يتخلفون بمصر ويعالجهم الحكماء وينفق عليهم حضرة العثملى ، واذا عوفوا توجهوا الى فرانسا بالشروط المتقدم ذكرها . وحكام العثملى يتعهدون من بمصر منهم ، ولابد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهان بمركبين الى «طولو» ، فيرسلون خبرا الى فرانسا ليطلعوا حكامها على الصلح وسائر الرسوم . وكل جدال وخصام صدر بين شخصين من الفرنساوية فلابد أن يقام شخصان حاكمان من الطائفتين ليتكلما فى الصلح . ولا يقع فى ذلك نقض عهد الصلح . وعلى كل طائفة معين من العثملى والفرنساوى أن تسلم ما عندها من الأسرى ، ولا بد من رهائن من كل طائفة واحد كبير يكون عند الطائفة الأخرى حتى يتوصلوا الى فرانسا » اهـ .

ثم قال الوكيل : « وقدعلمنا بالشروط وماندرى ماذا يكون » . فقيل له : « هذه شروط عليها علامة القبول ، وهذا الصلح رحمة للجميع . وسيكون الصلح العام » . فقال الوكيل : « انى أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصى مبدأ للصلح العمومى » .

وفيه : كثر خروج الناس ودخولهم من الأتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية المعروف بالغريب ، فصار الحرسجية من الفرنساوية يأخذون من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعونهم . فلما علم الناس بذلك كثر ازدحامهم . فلما أصبحوا ، منعوهم . فدخلوا وخرجوا من باب القرافة ، فلم يمنعهم الواقفون به من الفرنسيس ، بل كانوا يفتشون البعض ، ويمنعون البعض . وكل ذلك حذرا من أفعال الطموش وسوء أخلاقهم وتولد الشر بسببهم . وقد دخل بعض أكابر الانجليز وصحبتهم فرنساوية يفرجونهم على البلدة والأسواق ، وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية ، فزاروا قبر الامام الشافعى والمشهد الحسينى والشيخ عبد الوهاب الشعراوى ، والفرنساوية ينتظرونهم بالباب .

الاثنين ٢٤ منه (٦ يولية ١٨٠١ م) :

نادوا فى الأسواق برمى مدافع فى صبحه ، وذلك لنقل رمة «كلهبر» فلا يرتاع الناس من ذلك . فلما كان فى صبح ذلك اليوم أطلقوا مدافع كثيرة ساعة نبش القبر بالقرب من قصر العينى ، وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ليأخذوه معهم الى بلادهم .

وفيه : أرسلوا أوراقا ورسلا للاجتماع بالديوان — وهو آخر الدواوين — فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجاقلية و «استوف» الخازندار والوكيل والترجمان . فلما استقر بهم الجلوس أخرج الوكيل كتابا مختوما وأخبر أن ذلك الكتاب من سارى

عسكر « مينو » بعث به الى مشايخ الديوان ، ثم ناوله لرئيس الديوان ففضه وناوله للترجمان فقرأه والحاضرون يسمعون وصورته — بعد البسملة والجلالة والصدر — « نخبركم أنا علمنا بكثرة الانبساط ، أنكم تهتدون بكثرة الحكمة والانصاف فى الموضع الذى أنتم مستمرون فيه ، وان تم تقدروا لتنظيم أهالى البلد بالهدى والطاعة الموجبة منه لحكومة الفرنساوى فالله تعالى — بسعادة رسوله الكريم عليه السلام الدائم — ينعم عليكم فى الدارين عواض خيراتكم .

« وأخبرنا المقدام الجسور بونابرته المشهور عن كل ما فعلتم حاكما ونافعا بوصايا لأجلكم سارة ، رضى واستراح لتلك الفعال الجيدة ، وعرفنى أيضا أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب جميع مكاتيبكم اليه فدمتم الى الآن بحير الهدى ، وبقوته تعالى نرى فضائلكم عن قريب ، ونواجبه سكان محروسة مصر كما هو مأمولنا لكن سركم أن جمهور المنصور غلب فى أقاليم الروم جميع أعدائه . وبعون الله هادى كل شىء ، سيغلب كذلك العدا فى مصر ، واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان « جيرار » هذا الذى وضعناه قربكم ، لأنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة .

« ونوجه الى همكم النصيحة الى زوجتنا الكريمة السيدة زبيدة ، وولدنا العزيز سليمان مراد ، أن كليهما حالا كائنان فى حصننا فى مصر ، وتأسفنا جدا برحلة المرحوم مراد بيك فى انتقاله الى البقاء . ومعلوم فضائلكم أننا أرضينا بانعام علوفة توجه على عمدة العفائف حضرة الست نفيسة خاتون ، لما جرت الحكومة الفرنساوية الى أصدقائه . وقولوا للقوم أن مامنيتى ومرامى وابرامى الا تقيدى بيمنه وخيره . واعتمدوا أيضا الى كل ما سيقول لكم الستويان « استيو » المأمور بتدبير الأمور وكمال العوائد .

والله تعالى ينعم عليكم وعلى عيالكم فى الأيام بالبشرى والاقبال » .

حرر فى أحد عشر « سيدور » ، سنة تسعه من قيام دولة جمهور الفرنساوية ، الموافق لثامن عشر صفر ، وتحته الوحدة الغير المنقسمة .. ممضى « عبد الله جاك مينو » بخطه وختمه .

ونقل بألفاظه وحروفه . وهو من تراكيب «لوماكا» الترجمان ، وكأنه كتب قبل وصول خبر الصلح الى الاسكندرية .

ثم أخذ الوكيل يقول : « ان الجنرال « مينو » انسر بسلوككم حتى الآن ، وراحة البلد حظ الفقراء ، وأن الحكام القادمين لابد وأن يسلكوا معكم هذا الموضوع ، ولابد من وصول مكاتيب بونابرته بعد أربعة أيام أو خمسة . وأنه لاننسى أحبابه كما لاينسى أعداءه . ولو لم يكن له من الحسن الا جعلكم وسايط لاغاثة الناس ، لكان كافيا . وانكم تعلمون أنه كان نظر الى أحوال المارستان ومصالح المرضى . وكان قصده أن يبنى جامعا ، ولكن عاقه توجهه الى الشام » . وذكر كثيرا من أمثال هذه الخرافات والتمويهات ، ثم أخرج ورقة بالفرنساوى وقرأها بنفسه حتى فرغ منها . ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان « رفاييل » . ومضمونها : حصول الصلح ، وتمويهات ، وهلسيات ليس فى ذكرها فائدة !

ولما انتهى من قراءتها أبرز أيضا « استوف » الخازندار ورقة وقرأها بالفرنساوى . ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان ، وهى فى معنى الأولى وصورتها : « خطاب محبة من حضرة «استوف» مدبر الحدود العام فى مجلس الديوان العالى ، فى سبعة عشر « سيدور » سنة تسع من المشيخة الفرنساوية :

« يامشايخ ، وياعلماء وغيرهم ... أعلمكم أن ما على أنى أكلمكم فى أسباب خروجنا من الديار المصرية ، بل وظيفتى تدبير أمور السياسة فقط ،

ومجيئى عندكم لأجل أن أعرفكم قدر ما هو حاصل من الصعوبة . كل واحد منكم رأى المحبة والأخوة التى كانت موجودة ما بين الفرنساوية وما بين أهل الديار المصرية ! قد كان الجيش والأهل المذكورون مثل الرعية الواحـدة ، واسـم حضرة بونابرته القنصل الأول من جمهور الفرنساوية فى عز الكفالة عندكم وعندنا !

« كم مرة يامشايخ وياعلماء ، فقد تمت صحبتنا لأجل سيرة هذا الشجاع الأعظم المعان بقوة الله ، الذى عقله ما له مثيل ! كان يستحق أن يكون حاكما عليكم دائما .. عرفتمونى عن المحبة والشفقة الذى مضت منه لكم . ومن وقت ما التزم ، بسبب التعب الذى حصل له فى بلده ، أن يتوجه اليه ما ضاع منكم العشم أن يترتب فى الديار المصرية التدبير العدل والمناقفة الذى كان وعدكم به وقت ما كان عندكم . وصحيح يامشايخ ، وعلماء ، أن حكم الفرنساوى كان يتم ما عاهدكم به الذى هو كبيرهم بونابرته دائما رأى لكم فى الخير والمحبة الى رعاية الديار المصرية لما لها نظير . كم مرة كرر الى حضرة سر عسـكر « مينو » أنه ينظر اليكم فى كامل الأمور بالخير ، وكام لوبة حضرة « مينو » المذكور أثبت أن الحكام والجيوش لما أمنوه أعطوه الأمان فى أحسن محل .

« وفى حكم سر عسكر « مينو » صار أن كثرة الظلم والجور ، الذى كان مستلقينه الرعية . قد أبطله ، والعدل الذى كان ممنوعا عنكم فى الأحكام السابقة .. قد وصـل اليكم بواسطته . وأيضا فى مبـدة حكمه رأيتم أن تقضى تحصـيل الأمـوال بالشفقة الى الرعايا . ولما كان التزم بسبب الحرب أنه يرتب تدبير فى تحصيل الأموال ، وهذا التدبير يكون فى حد العدل والخير لأهل الديار المصرية . ونحن كنا صحبته فى تدبير هذا الشغل العمومى . وأنتم تعرفون أن خير أو خراب الرعايا من تدبير مثل هـذا . وكذلك حضرة سر عسكر « مينو » — قبل ما يتوجه الى السفر بمدة — كان أمر بمسح الديار المصرية ، وكان وكل لذلك مـدبرين ونحن من جملتهم . والمدبرون المذكورون كانوا بدأوا فى تمام هذا الأمر الذى هو كنز لـكامل الناس . لـكن كل ذلك ما كان يكفى له ، وكان صعبان عليه من أمور الفلت الذى يقع من العربان الذين حواليكم ، وأيضا من الخوف الذى عندكم بسببهم . وكان فى عقله أن يزيلهم من على وجـه الأرض .. لأجل راحة الفـلاحين ، ولأجل اتمـام الخير والصلاح .

« وكذلك مراده . يامشـايخ وياعلمـاء ، أن يسـفر فى هـذه السـنة الحـج الشريف ، ويفتح زيارة طنطا لأجل حفظ مقام السيد أحمـد البدوى ، ويظهـر جميـع ما تشهرونه . وكامل ما تمشون فيه من اللازم أنكم تعرفون جميـع ما صدر لكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنساوية هـذا . ورعاية الديار المصرية جربه بعض منهم ، وفى عشمى أنهم لم ينسوه إبدا !

« صحيح أن حكم الفرنسـاوية حقق الكل ، والذى يعجب الأكثـر الى الرعايا . بسبب ذلك ، ذات الفرنسـاوية قتلوا فيـه ، لأجل منع الظلم والتعب الذى كانوا فيه . والقرانات فى بلاد الغرب خافوا أن رعاياهـم يقبلون الحـكم المذكور . وبسبب ذلك اربطوا مع بعضهم لأجل مايمنعوه منا . لكن كل جهاتهم صارت بطالة . وقد حاربونا حربا شديدا مدة عشر سنين متوالية . وفى جميع المطارح وقعت لهم الهزيمة ، وحكمنا قد بقى محله وكذلك هو البـاقى دائمـا أبدا ! فلا يحتـاج أننا نعرفكم فى الذى تعرفوه . ويكفينا الآن أننا نحقق لكم — من عند حضرة القنصل الأول فى الجمهور الفرنساوى بونابارته ، ومن عند حضرة سر عسكر « مينو » — المحبة والشفقة الصادقة التى واقعة من الفرنساوية الى الرعايا المصرية .

« وهذه المحبة والعشم لم ينقطعا أبداً ، بسبب سفر جانب من الجيش .. وهلبّت أن يصادف يوم أننا نرجع الى عندكم لأجل تمام الخير الذي يصدر من حكم الفرنساوى ، والذى ما أمكننا تميمه ! فلا تتوهموا يامشايخ ، وياعلماء ... ان فراقنا لم يقع الا عن مدة . وذلك محقق عندى ، ولا بد أن دولتنا يربطون ثانيا فى بدة قريبة المحبة القديمة التى كانت بينهم وبينكم !

« وهل بت أن دولة العثمانية لما تسير حسى الجرف الخالى الذى عمل لهم الانكليز .. يرون أن الفرنساوية فى طلب الديار المصرية ليس لهم الا ربط زيادة محبة صحبتهم لأجل كسر نفس وطيش الانكليز الذين مرادهم نهب جميع البحور ومتاجر الدنيا » .

وهو من تعريب أبى ديف ، وانشاء « أستوف » بالفرنساوى .

ولما فرغوا من قراءته قيل له : « ان الأمر لله والملك له . وهو الذى يمكن منه من شاء » .

وانفض الديوان ، وركب المشايخ ، وخرجوا للسلام على الوزير يوسف باشا — الذى يقال له الصدر الأعظم — والسلام على القادمين معه أيضا من أعيان دولتهم والأمراء المصرية . وكانوا عزموا على الذهاب فى الصباح ، فعوقوا لبعد الديوان .

وأما الشيخ السادات فانه خرج للسلام من أول النهار ، وكتب لهم قائمقام أوراقا للحرسجية ، لأنهم مستمرون على منع الناس من الدخول والخروج ، وأبواب البلد مغلقة . وكان خروجهم من طريق بولاق . فلما وصلوا الى العرضى ، سلموا على ابراهيم بيك ، وتوجه معهم الى الوزير . فلما وصلوا الى الصيوان أمروهم برفع الطبلسان التى على أكتافهم ، وتقدموا للسلام عليه فلم يقم لقدومهم .. فجلسوا ساعة لطيفة ، وخرجوا من عنده . وسلموا أيضا على محمد باشا



أكابر القبط

المعروف بأبى مرق ، وعلى المحروقى والسيد عمر مكرم ، وباتوا تلك الليلة بالعرضى ، ثم عادوا الى بيوتهم .

الثلاثاء ٢٥ منه (٧ يوليه ١٨٠١ م) :

عدوا الى البر الغربى ، وسلموا على قبطان باشا ، ورجعوا الى منازلهم .

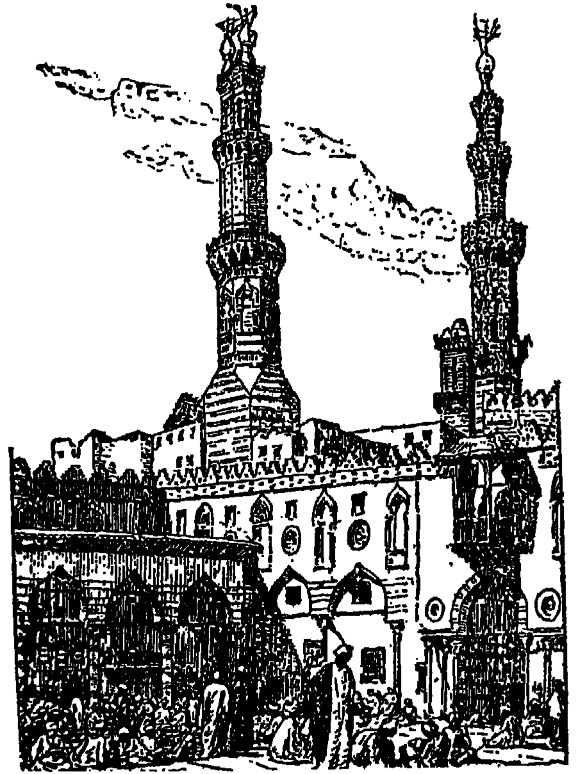
وفيه : أرسل ابراهيم بيك أمانا لأكابر القبط ، فخرجوا أيضا وسلموا ورجعوا الى دورهم .

وأما يعقوب فانه خرج بمتاعه وعازقه وعدى الى الروضة ، وكذلك جمع اليه عسكر القبط ، وهرب الكثير منهم واختفى . واجتمعت نساؤهم وأهلهم ودهبوا الى قائمقام ، وبكوا وولولوا وترجوه فى ابقائهم عند عيالهم وأولادهم ... فانهم فقراء وأصحاب صنائع مابين نجار وبناء وصائغ وغير ذلك . فوعدهم أنه يرسل الى يعقوب أنه لايقهر منهم من لايريد الذهاب والسفر معه .

وفيه : ذهب بليار قائمقام وصحبته ثلاثة آلاف من عظماء الفرنسيس الى العرضى وقابلوا الوزير ، فخلع عليهم وكساهم فراوى سمور ، ورجعوا .

وفى يوم الأربعاء خرج المسافرون مع الفرنساوية الى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم ، وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الافرنج والمترجمين وبعض مسلمين ممن تداخل معهم ، وخاف على نفسه بالتخلف ، وكثير من نصارى الشوام والأروام مثل يتى ، وبرطلمين ، ويوسف الحموى . وعبد العال الأغا أيضا طلق زوجته ، وباع متاعه وفراشه وما ثقل عليه حمله من طقم وسلاح وغيره . فكان اذا باع أشياء يرسل خلف المشترى ويلزمه باحضار ثمنه فى الحال قهرا ، ولم يصحب معه الا ماخف حمله وغلا ثمنه .

وفيه : حضر وكيل الديوان الى الديوان ، وأحضر جماعة من التجار وباع لهم فراش المجلس بثمن قدره ستة وثلاثون ألف فضة ... على ذمة السيد أحمد الزرو .



داخل صحن الأزهر

وفى ذلك اليوم أيضا : فتحوا باب الجامع الأزهر ، وشرعوا فى كنسه وتنظيفه .

وفى ذلك اليوم وما بعده : دخل بعض الانكليز ، ومروابأسواق المدينة يتفرجون ، وصحبتهم اثنان أو واحد من الفرنسيس يعرفونهم الطرق . وأشيع فى ذلك اليوم ارتحال الفرنساوية ، ونزولهم من القلاع ، وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال .

فلما أصبح يوم الخميس ومضى وقت الزوال ، لم يحصل ذلك ... فاختلفت الروايات : فمن الناس من يقول : « ينزلون يوم الجمعة » . ومنهم من يقول : « انهم أخذوا مهلة ليوم الاثنين » . وبات الناس يسمعون لغط العساكر العثمانية وكلامهم ووطء نعالاتهم . فنظروا فاذا الفرنساوية خرجوا بأجمعهم ليلا ، وأخلوا القلعة الكبيرة وباقى القلاع والحصون والمتاريس . وذهبوا الى الجيزة والروضة وقصر العينى ، ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية . ففرح الناس ، كعادتهم ، بالقادمين ، وظنوا فيهم الخير ، وصاروا يتلقونهم ويسلمون عليهم ويباركون لقدومهم ، والنساء يلقلقن بألسنتهن من الطيقان وفى الأسواق . وقام للناس جلبة وصياح ، وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ، ورفعوا أصواتهم بقولهم : « نصر الله السلطان » .. ونحو ذلك . وهؤلاء الداخلون دخلوا من نقب الغريب المنقوب فى السور ، وتسلقوا أيضا من ناحية العطوف والقرافة . وأما باب النصر والعدوى فهما على حالهما مغلوقان ، لم يأذنوا بفتحهما خوفا من تزاحم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة ، فيقع فيهم الفشل والضرر بالناس ، وباب الفتوح مسدود بالبناء .

فلما تضحى النهار حضر « قبى قول » وفتح باب النصر والعدوى ، وأجلس بهما جماعة من الينكجرية . ودخل الكثير من العساكر ، مشاة وركبانا ، أجناسا مختلفة . ودخلت بلوكات الينكجرية وطافوا بالأسواق ، ووضعوا نشاناتهم

ورنكهم على القهاوى والحواليت والحمامات .

فامتعض أهل الأسواق من ذلك ، وكثر الخبز واللحم والسمن والشيرج بالأسواق ، وتواجدت



ساحل بولاق

البضائع وانحلت الأسعار ، وكثرت الفاكهة مثل : العنب والخوخ والبطيخ . وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرنؤود ، فكانوا يتلقون من يجلبها من الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاق بأغلى الأثمان !

ووصلت مراكب من جهة بحرى ، وفيها البضائع الرومية والبميش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومى . فلما كان قبل صلاة الجمعة ، واذا بجاويشية وعساكر وأغوات ، وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر . فشق من وسط المدينة وتوجه الى المسجد الحسينى ، فصلى فيه الجمعة ، وزار المشهد الحسينى ، ودعاه حضرة الشيخ السادات الى داره المجاورة للمشهد . فأجابه ، فدخل معه ، وجلس هنيهة . ثم ذهب الى الجامع الأزهر فتفرج عليه ، وطاف بمقصورته وأروقته ، وجلس ساعة لطيفة ، وأنعم على الكناسين والخدمة بدراهم ، وكذلك خدمة المسجد الحسينى . ثم ركب راجعا الى وطاقه بناحية الحلى بشاطىء النيل .

وعملوا فى ذلك الوقت شنكا ، وضربوا مدافع كثيرة من العرضى والقلعة ، ودخل قلقات الينكجرية وجلسوا برؤوس العطف والحارات ، وكل طائفة عندها بيرق ، ونادوا بالأمان والبيع والشراء . وطلب أولئك القلقات من أهل الأخطاط المآكل والمشارب والقهوات وألزموهم بذلك .

وانحاز الفرنساوية الى جهة قصر العينى والروضة والجيزة ، الى حد قلعة الناصرية وفم الخليج ، وعليها بنديراتهم . ووقف حرسهم عند حدهم يمنعون من يأوى الى جهتهم من العثمانية ، فلا يمر العثمانى الا الى الجهة الموصلة الى بولاق . وأما اذا كان من أهل البلد فيمر حيث أراد .

وفى مدة اقامة المشار اليه بساحل الحلى ببولاق ، خرب عساكره ماقرب منهم من الأبنية والسواقى والمتريز الذى صنعه الفرنساوية — من حد باب الحديد الى البحر — وأخذوا ما بذلك من الأفلاق الكثيرة المتهدمة والأخشاب المنجرة المرصوصة فوق المتريز وتحته وفى الخندق ، فخربوا ذلك جميعه فى هذه المدة القليلة ... وذلك لأجل وجود النار والمطابخ .

السبت غايته (١١ يوليه ١٨٠١ م) :

دخل « قبي‌قول » — وهو المسمى عند المصريين كتخدا الينكجرية — وشق المدينة وأمر بمحو نشانات الانكشارية من الحوانيت ، ولم يترك الا القهاوى .



القوات الفرنسية تستعد للرحيل

ربيع الأول

الأحد غرته (١٢ يولية ١٨٠١ م) :

فيه ركب أغات الينكجرية الكبير العثملى ، وشق المدينة ، وخلفه سليم أغا المصرى . ودخل الكثير من العساكر والأجناد المصرية بمتاعهم وعازقهم وأحمالهم ، وطلبوا البيوت وسكنوها . ودخل محمد باشا المعروف بأبى مرق الغزى — وهو المرشح لولاية مصر — وسكن ببيت الهياتم بالقرب من مشهد الأستاذ الحنفى ، وأرسل الى المشايخ وكبار الحارات وطلب منهم التعريف عن البيوت الخالية بالأخطاط .

الثلاثاء ٣ منه (١٤ يوليه ١٨٠١ م) :

حضر حسين باشا القبطان من الجيزة ، ودخل المدينة ، وتوجه الى المشهد الحسينى فزاره وذبح به خمس جواميس وسبعة كباش ، واقتسمتها خدمة الضريح ، وحلق تاج المقام بأربعة شيلان كشميرى ، وأخذ قياس المقام ليصنع له سترا جديدا ، وفرق عليهم وعلى الفقراء نحو ألفى محجوب ذهب اسلامبولى . وامتدحه صاحبنا العلامة ، أحد أدباء مصر وفضلائها فى العلوم الأدبيـة ، الشيخ على الشرنفاشى بقصيدة مطلعها :

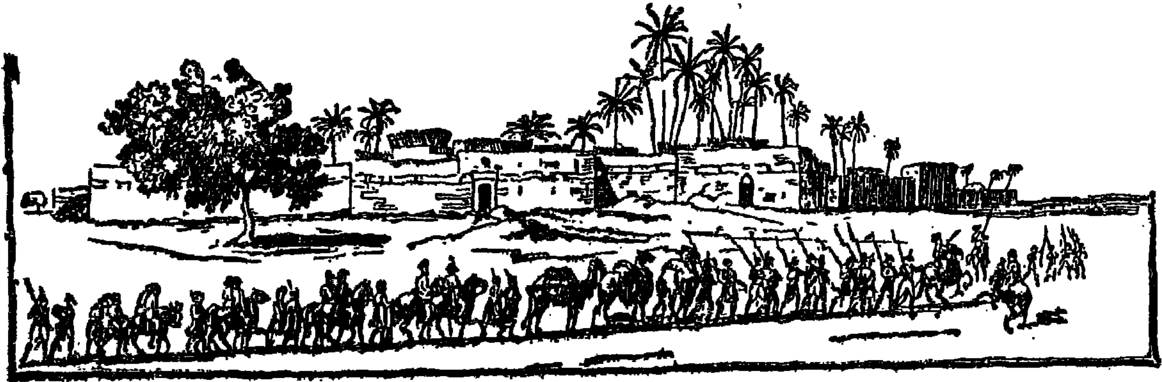
بدر المسرة بالمعالى آمنا
والوقت من بعد المخاوف آمنا

وهى طويلة ، يقول فى بيت التاريخ منها :

ولمصرنا نادى السرور مؤرخا :
صدر الكمال حسينه شرف الهنا
٥٨٠ ١٣٣ ٨٧ ١٢٢ ٢٩٤
= ١٢١٦ هجرية

وقدمها اليه وهو جالس للزيارة ، فأعطاه جائزة سنية . ثم ركب وعاد الى مخيمه بالجيزة .

وفى ذلك اليوم وقعت حادثة : وهو أن شخصا من العسكر بالجمالية شرب من العرقسوسى شربة عرقسوس ولم يدفع له ثمنها . فكلم العرقسوسى



الفرنساوية يرحلون

القلق الانكشارى ، فأحضره وأمره بدفع ثمنهـا ، ونهره وأراد ضربه . فاستل ذلك العسكرى الطبنجة وضرب ذلك الحـاكم فقتـله ، وهرب الى حارة الحوانية ودخل الى دار وامتنع فيها ، وصار يضرب الرصاص على كل من قصده فقتل خمسة أنفار . ومر شخصان من الأرنؤود بتلك الخطة ، فقتلهما الانكشارية لكون الغريم أرنؤوديا من جنسهما . فلما أعياهم أمره حرقوا عليه الدار ، فخرج هاربا من النـار ، فقبضوا عليه وقتلوه . ومات تسـعة أشخاص فى شربة عرقسوس !

ووقع فى ذلك اليوم أيضا : أن شخصـين من القليونجية دخلا الى دار رجل نصرانى ، فأخـذا من بيته بقجتين من الثياب ، وخرجا فوجدا شخصين مارين من الفلاحين ، فسخراهما فى حمل البقجتين . فخرج النصرانى وشـكا الى القلق . فأمر بالقبض على الشخصين العسكريين ، فتخلصا وهربا ، بعد أن انجرح أحدهما ، وأخذوا الشخصين المسخرين ، فقطعوا رؤوسهما ظلما وعدوانا .. وذلك من مبادى قبائحهم .

الاربعاء ٤ منه (١٥ يولية ١٨٠١ م) :

ارتحل الفرنســاوية ، وأخلوا قصر العينى والروضة والجيزة ، وانحدروا الى بحرى الوراريق . وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الانكليز ونحـو الخمسة آلاف من عسكر الأرنؤود ، ومن الأمراء المصرية : عثمان بيك الأشقر ، ومراد بيك الصغير ، وأحمد بيك الكلارجى ، وأحمد بيك حسن .

فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية : ثلاث سنوات وواحدا وعشرين يوما (١) . فانهم ملكوا بر انبابة والجيزة ، وكسروا الأمراء المصرية يوم السبت تاسع شهر صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف . وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع ، وخلو المدينة منهم ، وانخلاعهم عن التصرف والتحكم ، ليلة الجمعة الحادى والعشرين من شهر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف .. فسبحان من لا يزول ملكه ولا تتحول سلطانه .

وفى ذلك اليوم : حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف وصحبته السيد أحمد المحروقى شاه بندر التجار بمصر ، وعليهما خلعتا سمور ، وتوجها الى دورهما .

وفيه : لبهوا على موكب حضرة الوزير يوسف باشا من الغد .

الخميس ٥ منه (١٦ يولية ١٨٠١ م) :

اجتمـع الناس من جميع الطوائف وسـائر الأجناس ، وهرع الناس للفرجة ، وخرجت البنت من خدرها ، واكتروا الدور المطلة عـلى الشارع بأغلى الأثمان . وجلس النـاس على السـقائف والحوانيت صفوفا . وانجر الموكب من أول النهار

(١) لعل الصواب : واحد عشر يوما .



موكب الباشا عند دخوله القاهرة

الى قريب الظهر ، ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة ، وأمامه العساكر المختلفة من الأرنؤود وأرط الينكجرية ، والعساكر الشامية ، والأمراء المصرلية والمغاربة والقليونجية ، وطاهرباشا — باشة الأرنؤود — وابراهيم باشاوالى حلب ، ومحمد باشا والى مصر ، والكتبة ورئيس الكتاب ، وكتخدا الدولة ، والأغوات الكبار بالطبول والنقرزانات ، وقاضى العسكر ونواب القضاء ، والعلماء المصرية ومشايخ التكايا ، والدراويش . وأقبل المشار اليه وأمامه الملازمون بالبراقع والجاويشية والسعاة والجوخدارية ، وعليه كرك صوف سنجابى مطرز مخيش ، وعلى رأسه شلنج بفصوص الماس ، وخلفه اثنان — عن يمينه وشماله — ينثرون دراهم الفضة البيضاء — ضربخانة اسلامبول — على المتفرجين من النساء والرجال ، وخلفه أيضا العدة الوافرة من أكابر أتباعه ، وبعدهم الكثير من عسكر الأرنؤود وموكب الخازندار ، وخلفه النوبة التركية المختصة به ، ثم المدافع وعربات الجبخانات . وعملوا وقت الموكب شنكا ضربوا فيه مدافع كثيرة . فكان ذلك اليوم يوما مشهودا ، وموسما وبهجة وعيدا ... عمت المسلمين فيه المسرات ، ونزلت فى قلوب الكافرين الحسرات ، ودقت البشائر ، وقرت النواظر . وأمروا بوقود المنارات سبع ليال متواليات ... فلله الحمد والمنة على هذه النعمة ، ونرجو من فضله أن يصلح فساد القلوب ، ويوفق أولى الأمر للخير والعدل المطلوب ، ويلهمهم سلوك سواء السبيل القويم ، ويهديهم الى الصراط المستقيم ... صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ... آمين .

وممن قدم بصحبة ركاب المشار اليه من أكابر دولتهم : ابراهيم باشا والى حلب ، وابراهيم باشا شيخ أوغلى،ومحمد باشا المعروف بأبى مرق،وخليل افندى الرجائى الدفتردار ، ومحمود افندى رئيس الكتاب ، وشريف أغا نزلة أمين ، ومحمد أغا جبجى باشا الشهير بطوسون . ووقع الاختيار بأن يكون سكن المشار اليه ببيت رشوان بيك بحارة عابدين تجاه بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلى .

الجمعة ٦ منه (١٧ يولية ١٨٠١ م) :

نودى بابطال كلف القلقات ، وابطال شرك العسكر لأرباب الحرف ... الا من شارك برضاه وسماحة نفسه . فلم يمتثلوا لذلك ، واستمر أكثرهم على الطلب من الناس .

الاحد ٨ منه (١٩ يولية ١٨٠١ م) :

نودى بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصرانى ولا يهودى ، سواء كان قبطيا أو روميا أو شاميا ، فانهم من رعايا السلطان .. والماضى لا يعاد .

والعجب أن بعض نصارى الأروام الذين كانوا بعسكر الفرنسيس تزيوا بزى العثمانية ، وتسلحوا بالأسلحة واليطقانات ودخلوا فى ضمنهم ، وشمخوا بآنافهم ، وتعرضوا بالأذية للمسلمين فى الطرقات... بالضرب ، والسب باللغة التركية . ويقولون فى ضمن سبهم للمسلم : « فرنسيس كافر » ! ولا يميزهم الا الفطن الحاذق ، أو يكون له بهم معرفة سابقة .

وفيه : أرسلوا هجانا الى الحجاز ومعه فرمان بخبر الفتح والنصر ، وارتحال الفرنساوية من أرض مصر ، ودخول العثمانية . ومكاتبات من التجار لشركائهم بارسال المتاجر الى مصر .

وفيه : أرسلوا فرمانات أيضا الى الأقاليم المصرية والقرى بعدم دفع المال الى الملتزمين ، ولا يدفعون شيئا الا بفرمان من الوزير .

الاثنين ٩ منه (٢٠ يولية ١٨٠١ م) :

قتلوا شخصا بالرميلة يسمى حجاجا ، كان متولى الأحكام ببولاق أيام الفرنسيس ، وجار ، وعسف وقتل معه آخر يقال انه أخوه .

وفيه أيضا : قتلوا أشخاصا بالأزبكية وجهات مصر .

وفيه : ركب الوزير بثياب التخفيف ، وشق المدينة ، وتأمل فى الأسواق ، وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوانيت الباعة وأرباب الصنائع ، ومشاركتهم فى أرزاقهم . ثم توجه الى المشهد الحسينى فزاره ، ثم عبر الى دار السيد أحمد المحروقى وشرفه بدخوله اليه فجلس ساعة ثم ركب ، وأعطى أتباعه عشرين دينارا ، وذكر له أنه انما قصد بحضوره اليه ، تشريفه وتشريف أقرانه ، وتكون له منقبة ، وذلك على ممر الأزمان . وأما العسكر فلم يمتثلوا ذلك الأمر الا أياما قليلة . ووقع بسبب ذلك شكاوى ومشاكلات ومرافعات عند العظماء .

الثلاثاء ١٠ منه (٢١ يولية ١٨٠١ م) :

وصل قاصد من دار السلطنة ، وعلى يده شال شريف من حضرة الهنكار السلطان سليم خان ... خطابا لحضرة الوزير ، ومعه خنجر مرصع بفصوص الماس . وهو جواب عن رسالته بدخوله بلبيس .

وفيه : نودى بتزيين الأسواق من الغد تعظيما ليوم المولد النبوى الشريف .

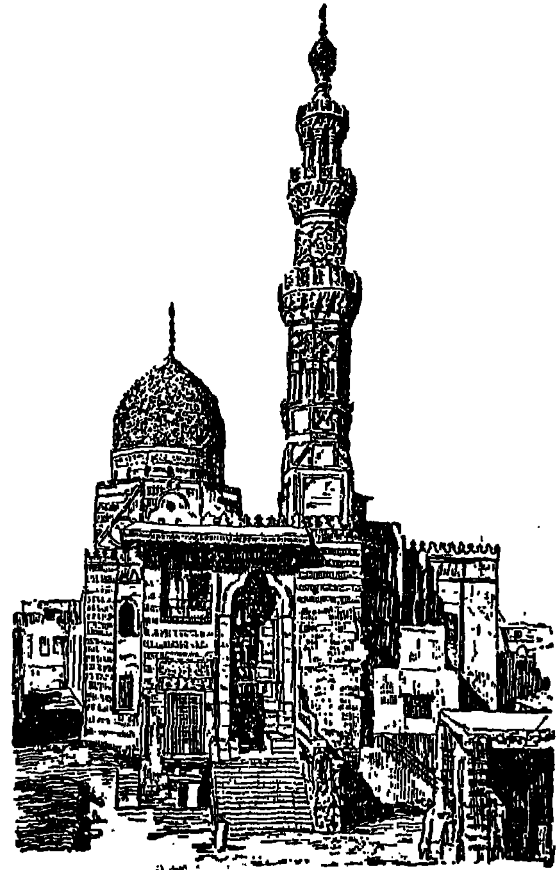
الاربعاء ١١ منه (٢٢ يولية ١٨٠١ م) :

كررت المناداة والأمر بالكنس والرش : فحصل الاعتناء ، وبذل الناس جهدهم ، وزينوا حوانيتهم بالشقق الحرير والازردخان والتفاصيل الهندية — مع تخوفهم من العسكر — وركب الشهر انه عصر ذلك اليوم وشق المدينة ، وشاهد الشوارع . وعند المساء أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد ، وحصل الجمع بتكية الكلشنى على العادة . وتردد الناس ليلا للفرجة ، وعملو مغانى ومزامير فى عدة جهات ، وقراءة قرآن . وضجت الصغار فى الاسواق ، وعم ذلك سائر أخطاط المدينة العامرة ومصر وبولاق . وكان من المعتاد القديم أن لا يعتنى بذلك الا بجهة الازبكية — حيث سكن الشيخ البكرى ، لأن عمل المولد من وظائفه — وبولاق فقط ...

الخميس ١٢ منه (٢٣ يوليه ١٨٠١ م) :

سافر سليمان أغا وكيل دار السعادة ، وصحبته عدة هجانة ، الى ناحية الشام لاحضار المحمل الشريف ، وحريمات الأمراء الى مصر .

وفيه : افتتحوا ديوان مزاد الأعشار والمكوس ، وذلك ببيت الدفتردار .. ولله الأمر من قبل ومن بعد !



جامع قايتباى

وفيه : حضر اليسرجى ، الذى جلب مملوك الشيخ البكرى،الذى تقدم ذكره،الى بيت القاضى ، وأحضروا الشيخ خليل البكرى ، وادعى عليه أنه قهره فى أخذالمملوك بالفرنسيس ، وأخذه منه بدون القيمة ، وأنه كان أحضره على ذمة مراد بيك .

وطال بينهما النزاع ، وآل الأمر بينهما الى التزاع المملوك من المذكور ... وقد كان أعتقه ، وعقد له على ابنته . فأبطلوا العتق ، وفسخوا الزواج.وأخذ المملوك عثمان بيك الطنبرجى المرادى ، ودفع للشيخ دراهمه ، ولجلابه باقى الثمن .. وتجرع فراقه .

الجمعة ١٣ منه (٢٤ يولية ١٨٠١ م) :

ركب الوزير ، وحضرالى الجامع الأزهر ، وصلى به الجمعة ، وخلع على الخطيب فرجية صوف .

وفى ذلك اليوم : احترق جامع قايتباى الكائن بالروضة ، المعروف بجامع السيوطى والسبب فى ذلك أن الفرنسيس كانوا يصنعون البارود بالجنينة المجاورة للجامع فجعلوا ذلك الجامع مخزنا لما يصنعونه ، فبقى ذلك المسجد ، وذهب الفرنسيس ، وتركوه كما هو ، وجانب كبريت فى أنخاخ أيضا فدخل رجل فلاح ومعه غلام وبيده قصبة يشرب بها الدخان . وكأنه فتح ماعونا من ظروف البارود ، ليأخذ منه شيئا ، ونسى المسكين القصبة بيده ، فأصابت البارود ، فاشتعل جميعه ، وخرج له صوت هائل ودخان عظيم ! واحترق المسجد ، واستمرت النار فى سقفه بطول النهار . واحترق الرجل والغلام .

الاحد ١٥ منه (٢٦ يوليه ١٨٠١ م) :

أشيع بأنه كتب فرمان على النصارى ، أنهم لا يلبسون الملونات ، ويقتصرون على لبس الأزرق والأسود فقط فبمجرد الاشاعة وسماع ذلك ، ترصد جماعة القلقات لمن يمر عليهم من النصارى ، ومن يجدوه بثياب ملونة يأخذوا طربوشه ومداسه الأحمر ، ويتركوا له الطاقية والشد الأزرق !

وليس القصد من أولئك القلقات الانتصار للدين ، بل استغنام السلب ، وأخذ الثياب ! ثم ان النصارى صرخوا الى عظمائهم ، فأنهوا شكواهم . فنودى بعدم التعرض لهم ، وأن كل فريق يمشى على طريقته المعتادة .

الاثنين ١٦ منه (٢٧ يوليه ١٨٠١ م) :

طلب الوزير من التجار مائة كيس وعشرة أكياس سلفة من عشور البهار ، وألزمهم باحضارها من الغد فاجتمع المستعدون لجمع الفردة فى أيام الفرنساوية : كالسيد أحمد الزرو ، وكاتب البهار ، وأرادوا توزيعها على المحترفين كعادتهم فاجتمع



رسول يحضر مكتوبا للباشا

أرباب الحرف الدنيـة ، وذهبوا الى بيت الوزير والدفتردار ، واستغاثوا وبكوا .. فرفعوا عنهم الطلب ، وألزموا بها المياسير !

وفيه : قلدوا محمد أغا ، تابع قاسم بيك موسقو الابراهيمى ، وجعلوه واليا عوضا عن على أغا الشعراوى .

الجمعة ٢٠ منه (٣١ يوليه ١٨٠١ م) :

حضر الوزير الى الجامع المؤيد ، فصلى به الجمعة .

وفيه : قبضوا على عرفة بن المسيرى ، وحبس ببيت الوزير بسبب أخيه ابراهيم .. كان شيخ مرجوش ، وتقيد بقبض فردة الفرنسيس ، ثم ذهب الى المحلة ، وتوفى بها . فغمزوا على أخيه عرفة المذكور ، وقبضوا عليه وحبسوه ، وأرسلوا فرمانا الى المحلة بضبط ماله وما يتعلق به وبأخيه عند شركائهما ثم نهبوا بيت المذكور .

الثلاثاء ٢٤ منه (٤ اغسطس ١٨٠١ م) :

طلبت ابنة الشيخ البكرى — وكانت ممن تبرج مع الفرنسيس — بمعينين من طرف الوزير . فحضروا الى دار أمها بالجودرية بعد المغرب ، وأحضروها ووالدها . فسألوهاعما كانت تفعله . فقالت : « انى تبت من ذلك » . فقالوا لوالدها : « ماتقول أنت ؟ » . فقال : « أقول انى برىء منها » . فكسروا رقبتها ! وكذلك المرأة التى تسمى « هوى » .. التى كانت تزوجت نقولا القبطان ، ثم أقامت بالقلعة ، وهربت بمتاعها ، وطلبها الفرنساوية ، وفتش عليها عبد العال ، وهجم بسببها عدة أماكن — كما تقدم ذكر ذلك — فلما دخل المسلمون ، وحضر زوجها مع من حضر ، وهو اسماعيل كاشف، المعروف بالشامى ، أمنها وطمنها، وأقامت معه أياما . فاستأذن الوزير فى قتلها ، فأذنه . فخنقها فى ذلك اليوم أيضا ومعها جاريتها البيضاء — أم ولده — وقتلوا أيضا امرأتين من أشباههن .

الاربعاء ٢٥ منه (٥ اغسطس ١٨٠١ م) :

أرسلوا طائفة معينين من طرف محمد باشا أبى مرق الى أخى الشواربى شيخ قليوب . فأحضروه على غير صورة .. ماشيا ، مكتوفا ، مسحوبا ، مضروبا .. من قليوب الى مصر . فحبسوه ببيت الوزير . ثم حضر أخوه ، وصالح عليه بعشرة أكياس .. قام بدفعها ، وأطلق !

قيل ان السبب فى ذلك : أن جماعة من أتباع محمد باشا ذهبوا الى قليوب وطلبوا تبنا ، فطردهم وشتمهم وردهم من غير شىء . وقيل : ان ذلك باغراء ابن المحروقى ، لضغن بينه وبينه قديم .

الاثنين آخره (١٠ اغسطس ١٨٠١ م) :

تحرر ديوان العشور . فكان المتحصل ستة عشر ألف كيس .

وفيه : تشاجر طائفة من الينكجرية مع طائفة من الانكليز بالجيزة ، وقتل بينهما أشخاص . فنودى على الينكجرية ، ومنعوا من التعدى الى بر الجيزة .

وفيه : كثر اشتغال طائفة العسكر بالبيع والشراء فى أصناف المأكولات ، وتسلطوا على الناس بطلب الكلف ، ورتبوا على السوقة وأرباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم فى كل يوم ، ويأخذون من الخابز الخبز من غير ثمن ، وكذلك يشربون القهوة من القهاوى ، ويحتكرون ما يريدون من الأصناف ، ويبيعونها بأغلى الأثمان ، ولا يسرى عليهم حكم المحتسب . وكذلك تسلطوا على الناس بالأذية بأدنى سبب ، وتعرضوا للسكان فى منازلهم . فتأتى منهم الطائفة ويدخلون الدار ، ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكنوها . فان لاطفهم الساكن

واعطاهم دراهم .. ذهبوا عنه وتركوه ، وان عاند سبوه وضربوه ... ولو عظيما . وان شكا الى كبيرهم،قوبل بالتبكيت ، ويقال له : « ألا تفسحون لاخوانكم المجاهدين ، الذين حاربوا عنكم ، وأنقذوكم من الكفارالذين كانوا يسومونكم سوء العذاب ، ويأخذون أموالكم ، ويفجرون بنسائكم ، وينهبون بيوتكم .. وهم ضيوفكم أياما قليلة !! ». فما يسع المسكين الا أن يكلفهم بما قدر عليه . وان أسعفته العناية ، وانصرفوا عنه بأى وجه ... فيأتى اليه خلافهم ! وان سكنوا دارا أخربوها .

وأما القلقات والينكجرية الذين تقيدوا بحارات النصارى ، فانهم كلفوهم أضعاف ما كلفوا به المسلمين ، ويطلبون منهم — بعد كلف المآكل واللوازم — مصروف الجيب ، وأجرة الحمام وغير ذلك .. !!

وتسلطت عليهم المسلمون بالدعاوى والشكاوى، على أيدى أولئك القلقات ، فيخلصون منهم مالزمهم بأدنى شبهة ، ولا يعطون المدعى الا القليل من ذلك . والمدعى يكتفى بما حصل له من التشفى والظفر بعدوه .

واذا تداعى شخص على شخص ، أو امرأة مع زوجها ، ذهب معهم أتباع القلق الى المحكمة — ان كانت الدعوى شرعية — فاذا تمت الدعوى ، أخذ القاضى محصوله ، ويأخذ مثله أتباع القلق .. على قدر تحمل الدعوى !

ربيع الآخر

الثلاثاء غرته (١١ اغسطس ١٨٠١ م) :

أفرج عن عرفة ابن المسيرى ، وصولح عليه بخمسة عشر كيسا . وكتب له فرمان برد منهوباته ، وعدم التعرض لتعلقاته بالمحلة .

الاربعاء ٢ منه (١٢ اغسطس ١٨٠١ م) :

أمر الوزير الوجاقلية بلبس القواويق على عادتهم القديمة . فأخبروا ابراهيم بيك . فقال : « الأمر عام لنا ولكم أولكم فقط ؟ » . فقالوا : «لاندرى» فسأل ابراهيم بيك الوزير المشار اليه ، فقال له : « بل ذلك عام » .

الخميس ٣ منه (١٣ أغسطس ١٨٠١ م) :

نبهوا على العساكر المتداخلة فى الينكجرية وغيرهم بالسفر .

وفيه : كتبت فرمانات باللغة العربية — بترصيف صاحبنا العلامة السيد اسماعيل الوهبى المعروف بالخشاب — وأرسلت الى البلاد الشرقية والمنوفية والغربية مضمونها : الكف عن أذية النصارى واليهود أهل الذمة . وعدم التعرض لهم وفى ضمنه آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، والاعتذار عنهم بأن الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنساوية صيانة أعراضهم وأموالهم .

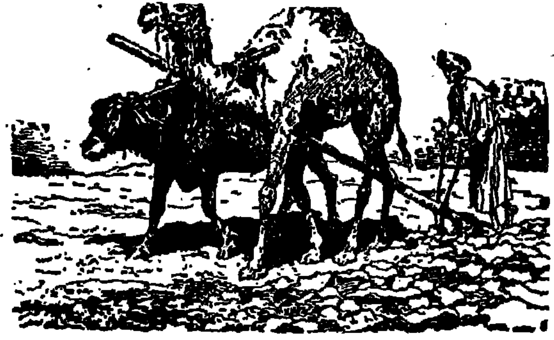
الجمعة ٤ منه (١٤ اغسطس ١٨٠١ م) :

أحضروا رمة زوجة ابراهيم بيك ، وعملوا لها قبرا بجانب أخيها محمد بيك أبى الذهب بمدرسه المقابلة للجامع الأزهر ، ودفنوها به .

السبت ٥ منه (١٥ اغسطس ١٨٠١ م) :

ورد الخبر بوفاة أحمد بيك حسن ، أحد الأمراء الذين توجهوا صحبة حسين باشا القبطان والفرنساوية وكان القبطان وجهه الى عرب الهنادى الذين يحملون الميرة الى الفرنسيس المحصورين بسكندرية ، وضم اليه عدة من العسكر فحاربهم وقاتلهم عدة مرار ، فأصابته رصاصة دخلت فى جوفه . فرجع الى مخيمه ، ومات من ليلته . وكان يضاهى سيده فى الشجاعة والفروسية .

وفيه : أطلقوا للملتزمين التصرف فى سنة خمس عشرة ، ليقضوا ما لهم وما عليهم من البواقى ، ومال



فلاح يحرث الأرض

الميرى والمضاف ، ويدفعوا جميع ذلك الى الخزينة... بأوراق مختومة من ابراهيم بيك وعثمان بيك .

والقصد من ذلك اطمئنانهم بالجباية ، والرجاء بالتصرف فى المستقبل ، ووعدهم بذلك سنة تاريخه بعد دفعهم الحلوان . مع أن الفرنساوية لما استقر أمرهم بمصر ، ونظروا فى الأموال الميرية والخراج فوجدوا ولاة الأمور يقبضون سنة معجلة ، ونظروا فى الدفاتر القديمة ، واطلعوا على العوائد السالفة ، ورأوا أن ذلك كان يقبض أثلاثا مع المراعاة فى رى الأراضى وعدمه . فاختاروا الأصلح فى أسباب العمار وقالوا : « ليس من الانصاف المطالبة بالخراج قبل الزراعة بسنة » . وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة ، فلم يطالبوا الملتزمين بالأموال الميرية ، ولا الفلاحين بالخراج . فتنفست الفلاحون ، وراج حالهم وتراجعت أرواحهم ، مع عدم تكليفهم كثرة المغارم والكلف وحق طرق المعينين ... ونحو ذلك .

الثلاثاء ٨ منه (١٨ اغسطس ١٨٠١ م - ١٣ مسرى ١٥١٧ ق) :

كان وفاء النيل المبارك ، وركب محمد باشا ، المعروف بأبى مرق المرشح لولاية مصر ، فى صبحها الى قنطرة السد . وكسروا جسر الخليج بحضرته ، وفرق العوائد ، وخلع الخلع ، ونثر الذهب والفضة .

وفيه : عزل الوزير القاضى ، وهو قاضى العرضى الذى كان ولاه الوزير قاضى العسكر بمصر عمن يؤول اليه القضاء باسلامبول .

فلما تولى ذلك حصل منه تعنت فى الأحكام وطمع فاحش ، وضيق على نواب القضاء بالمحاكم ومنعهم من سماع الدعاوى ، ولم يجرهم على عوائدهم . وأراد أن يفتح بابا فى الأملاك والعقار ويقول : « انها صارت كلها ملكا للسلطان ! لأن مصر قد ملكها الحربيون ، وبفتحها صارت ملكا للسلطان ، فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميرى ثانيا !! » .

ووقع بينه وبين الفقهاء المصرية مباحثات ومناقشات وفتاوى ، وظهروا عليه . ثم تحامل عليه بعض أهل الدولة وشكوه الى الوزير .. فعزله ، وقلد مكانه قدسى أفندى نقيب الأشراف بحلب سابقا . ونقل المعزول متاعه من المحكمة فكانت مدة ولايته خمسة عشر يوما .

وفى ذلك اليوم أيضا : خلع الوزير على الأمير محمد بيك الألفى فروة سمور ، وقلده امارة الصعيد ، وليرسل المال والغلال ، ويضبط مواريث من مات بالصعيد بالطاعون . فبرز خيامه من يومه الى ناحية الآثار ، وأسكن داره بالأزبكية رئيس أفندى .

وفيه : وصلت قافلة شامية وبها بضائع وصابون ودخان وحضر السيد بدر الدين المقدسى والحاج سعودى الحناوى وآخرون . وتراجع سعر الصابون والقناديل الخليلى والدخان .

وفيه : ورد الخبر بسفر الفرنساوية ، ونزولهم المراكب من ساحل أبى قير .

الجمعة ١١ منه (٢١ اغسطس ١٨٠١ م) :

لبس الوجاقلية ، والأمراء المصرية ، ازياهم من القواويق المختلفة الأشكال - على عادتهم القديمة - حسب الأمر بذلك ، وكذلك الأمراء



بعض الأمراء المصرية بزيهم

الصناجق . وحضروا فى يوم الجمعة بديوان الوزير ونظر اليهم ، وأعجب بهيئاتهم ، واستحسن زيهم ، ودعا لهم وأثنى عليهم ، وأمرهم أن يستمروا على هيئتهم...وذلك على ماهم فيه من التفليس . وغالبهم لا يملك عشاء ليلته ، فضلا عن كونه يقتنى حصانا وشنشارا وخدما ، ولوازم لا بد منها ، ولا غنى للمظهر عنها !

وفيه : حضرت جماعة من عسكر القبط الذين كانوا ذهبوا بصحبة الفرنساوية ، فتخلفوا عنهم ، ورجعوا الى مصر .

وفيه : أرسلوا تنابيه للملتزمين بطلب بواقى مال سنة ثلاث عشرة وأربع عشرة ... فاعتذروا بأنهم ممنوعون من التصرف ، فمن أين يدفعون البواقى ؟

الاحد ١٣ منه (٢٣ اغسطس ١٨٠١ م) :

حبس حسن أغا محرم المنفصل عن الحسبة ، وطولب بمائتى كيس ... وذلك معتاد الحسبة فى الثلاث سنوات التى تولاها أيام الفرنساوية فانه لما تقلد أمر الحسبة فى أيامهم ، منعوه من أخذ العوائد والمشاهرات من السوقة ، وجعلوا له مرتبا فى كل يوم يأخذه من الأموال الديوانية نظير خدمته ، وكذلك أتباعه . وطالبوه أيضا بأربعة آلاف غرش ... كان أعطاها له نزلة أمين عند حضورهم فى العام الماضى لمشتروات الذخيرة . ثم نقض الصلح عقيب ذلك ، وخرجوا من مصر ، وبقيت بذمته . فأخبر أن الفرنساوية علموا بها ، وأخذوها منه ، وأعطوه ورقة بوصول ذلك اليهم... فلم يقبلوا منه ذلك ، وبقى معتقلا .

وادعوا عليه أيضا بتركة الأغا الذى كان نزيله ، ومات عنده ، واحتوى على موجوده فأخبر أيضا أن الفرنسيس أخذوا منه ذلك أيضا ، وأعطوه سندا ... فلم يقبلوا منه ذلك ، واستمر محبوسا .

الاثنين١٤ منه (٢٤ اغسطس ١٨٠١ م) :

نودى على أن أهل البلدة لايصاهرون العساكر العثمانية ، ولا يزوجونهم النساء وكان هذا الأمر كثر بينهم وبين أهل البلد ، وأكثرهم النساء اللاتى درن مع الفرنساوية . ولما حضر العثمانية تحجبن وتنقبن وتوسط لهن أشباههن من الرجال والنساء وحسنوهن للطلاب ، ورغبوا فيهن الخطاب فأمهروهن المهور الغالية ، وأنزلوهن المناصب العالية .

وفى ذلك اليوم أيضا : نودى على أهل الذمة بالأمن والأمان ... وأن المطلوب منهم جزية أربع سنوات !

وفيه : قبض على جربجى موسى الجيزاوى ، وعمل عليه عشرون كيسا

وفيه : قبض محمد باشا أبو مرق على مقدمه مصطفى الطاراتى ، وضربه علقة ، وحبسه ، وألزمه بمبلغ دراهم .

وفيه سافر الانكليزية الذين بالجيزة والروضة الى جهة الاسكندرية وأشيع أن الحرب قائم بين العساكر والفرسيس بالاسكندرانية من يوم الاثنين

سابعه . فطلبوا المراكب حتى شح وجودها ، وضاق الحال بالمسافرين . واستمر طلبهم ونزولهم عدة أيام ... وكذلك نبهوا على الكثير من العساكر الاسلامية بالسفر .

الخميس ١٧ منه (٢٧ اغسطس ١٨٠١ م) :

نقضت الأوامر بتصرف الملتزمين فى البلاد ، وقيدت صيارف من نصارى القبط بالنزول الى البلاد لقبض الأموال فى غير أوانها لطرف الدولة .

الجمعة ١٨ منه (٢٨ اغسطس ١٨٠١ م) :

لبس الأمراء الكبار القواويق على رؤوسهم .

وفيه : قبض من مصطفى الطاراتى — المعتقل ، المتقدم ذكره — خمسة عشر ألف ريال .. ولم يزل معتقلا . وقيل : انه غمز عليه ، فوجد له فى مكان صندوقان ضمنهما ذهب نقد عين .

ومصطفى هذا كان كلارجيا عند قائد أغا حين كان بمصر . فلما خرج الأمراء ، تقيد مقدما عند بونابرته . ثم عند كلهبر . فلما وقعت الفتنة السابقة ، وظهر يعقوب القبطى ، وتولى أمر الفردة وجمع المال... تقيد بخدمته ، وتولى أمر اعتقال المسلمين وحبسهم وعقوبتهم وضربهم . فكان يجلس على الكرسى وقت القائلة ويأمر أعوانه باحضار أفراد المحبوسين من التجار وأولاد الناس ... فيمثل بين يديه ، ويطالبه باحضار ما فرض عليه مما لا طاقة له به ، ولا قدرة له على تحصيله ، فيعتذر بخلو يده ويترجى امهاله ، فيزجره ويسبه ويأمر بضربه . فيبطحونه ويضرب بين يديه ، ويرده الى السجن بعد أن يأمر أحد أعوانه أن يذهب الى داره ، وصحبته الجماعة من عسكر الفرنسيس ، ويهجمون على حريمه ... وأمثال ذلك !

الأحد ٢٠ منه (٣٠ اغسطس ١٨٠١ م) :

وردت أخبار من سكندرية بتملك العساكر



معركة بين الانجليز والفرنسيين فى البحر

الاسلامية والانجليزية متاريس الفرنساوية ، وأخذهم المتاريس التى جهة العجمى وباب رشيد ، وجانبا من سكندرية القديمة . وتخطت المراكب وعبرت الى المينة ، وأن الفرنساوية انحصروا داخل الأبراج ، وأخذ منهم نحو المائة وسبعين أسيرا ، وقتل منهم عدة وافرة .

ووقعت بين الفريقين مقتلة عظيمة لم يقع نظيرها ، وقتل الكثير من عسكر قبطان باشا ، وكذلك من الانجليز . ثم انجلت الحرب عما ذكر فلما ورد الخبر بذلك ، ضربوا عدة مدافع ، وسر الناس بذلك .

وفيه : ورد الخبر بوصول سليمان صالح الى بلبيس وصحبته المحمل والحريمات ، وأحضر معه رمة سيده صالح بيك ليدفنها بمصر بالقرافة . فخرج أناس لملاقاتهم ، وأخذوا معهم حمير مكارية لكراوى النساء ... وهدية .

الاثنين ٢١ منه (٣١ اغسطس ١٨٠١ م) :

وصل سليمان أغا الى بركة الحاج وصحبته المحمل ونساء الأمراء القادمين من الشام ، ومعه أيضا رمة صالح بيك ليدفنها بقرافة مصر . فخرج الناس لملاقاتهم وأخذوا معهم حمير مكارية لركوب النساء ، وهديات .

ونودى فى عصريته بعمل موكب من الغد، وطاف الآلاى جاويش بزيه المعتاد ، وخلفه القابجية وهم ينادون باللغة التركية بقولهم : « يارن آلاى ! » .

الثلاثاء ٢٢ منه (اول سبتمبر ١٨٠١ م) :

عمل الموكب ، وانجر الآلاى ، ودخل المحمل من باب النصر ، وشقوا به من الشارع الأعظم وصادف ذلك اليوم يوم مولد المشهد الحسينى ، والأسواق مزينة ، وعلى الحوانيت الشقق الحرير والزردخان والتفاصيل وتعاليق القناديل . ومشى فى الموكب رسوم الوجاقلية والأوده باشية وأكثر الأمراء والمشايخ والعلماء ونقيب الأشراف . ونبه على جميع الأشراف تلك الليلة بالحضور فى صبح ذلك اليوم للمشى فى ذلك الموكب . فمشى كل من كان له عمامة خضراء ... يكبرون ويهللون ، فكانوا عددا كثيرا . وكل من وجدوه بالطريق وعلى رأسه خضار جذبوه وسحبوه قهرا ، وأمروه بالمشى . وان أبى ضربوه وسبوه ، وبكتوه بقولهم : « ألست من المسلمين ! » ، وكذلك تجمع أرباب الأشاير ومشوا على عادتهم بطبولهم وزمورهم وخباطهم وخرقهم ، وخورهم وصياحهم .. فلم يزالوا حتى وصلوا الى قراميدان . وتسلم المحمل محمد باشا أبو مرق من سليمان أغا الذى وصل به ، ولكونه عوضا عن سيده أمير الحج صالح بيك . ثم صعدوا به الى القلعة ، وأودعوه هناك ، وعملت وقدة وشنك ... تلك الليلة .

وفى ذلك اليوم : شرعوا فى فتح باب الفتوح . وكان القصد ادخال المحمل منه لضيق باب الاستتنا الثانى ، الذى جدده الفرنساوية عند باب النصر ، فلم يتأت ذلك لمتانة البناء . واستمروا ثلاثة أيام يهدمون فى البناء الذى على الباب من داخل .. فلم يمكن ..

ودفنوا صالح بيك بتربة أعدت له بقرافة المجاورين . والعجب أن الناس من القديم يتمنون أن يقبروا بالأرض المقدسة لكونها عش الأنبياء والصديقين . وهؤلاء الثلاثة (١) بالعكس . فما هو الا لتطهيرها منهم !

وفيه : ورد خبر باسكندرية بانقضاء الحرب . وطلب الفرنسيس الصلح بعد وقوع الغلبة عليهم وهزيمتهم . وأخذ منهم عدة أسرى ، وانحصروا فى الأبراج ، فأمنوهم وأجلوهم خمسة أيام آخرها يوم الخميس سابع عشرينه .

وفيه : ألزموا حسن أغا المحتسب بالنقلة من داره — وهو فى الحبس — فأرسل الى حريمه وأتباعه ، فانتقلوا الى مكان آخر

وفيه : ورد الخبر أيضا بورود عثمان كتخدا الدولة ... الذى كان بمصر فى العام السابق ، وباشر الحروب بمصر ، وصحبته آخر يقال له شريف افندى .

السبت ٢٦ منه (٥ سبتمبر ١٨٠١ م)

قدم محمد أفندى المعروف بشريف أفندى الدفتردار ، وقدم بصحبته عثمان كتخدا الدولة وسكن شريف أفندى بدرب الجماميز ، وسكن الكتخدا بمنزل حسن آغا — المحتسب سابقا — بسويقة اللالا .

غايته (٨ سبتمبر ١٨٠١ م) :

عمل شنك ومدافع كثيرة ، وذلك لوصول خبر بتسليم الاسكندرية . وسبب تأخرهم الى هذه المدة — بعد وقوع الصلح — انتظار الأمر بالانتقال من بونابرته .. وذلك أنه لما وقع الصلح المتقدم ، أرسل سارى عسكر « مينو » تطريدة الى فرنسا بالخبر الى بونابارته ، وانتظر الجواب فورد عليه

(١) « وهؤلاء الثلاثة » : يعنى صالح بيك ومن مقته ممن مات بالشام .

الأمر بالانتقال والحضور . فعند ذلك أنزلوا متاعهم الى المراكب ، وسافروا الى بلادهم .

جمادى الأولى

غرته (٩ سبتمبر ١٨٠١ م) :

قرئت فرمانات صحبة عثمان كتخدا ، وفيها التنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط والوصية بهم ، مثل جرجس الجوهرى وواصف ومالطى ومقدمهم فى تحرير الأموال الميرية .

وفيه : انفصل مولانا السيد محمد ، المعروف بقداسى أفندى ، عن القضاء . وسافر ذلك اليوم وذلك بمراده واستعفائه وطلبه . وتقلد القضاء عوضه عبد الله أفندى قاضى الميرى وكاتب الجمرك ، وحضر فى ذلك اليوم الى المحكمة .

٣ منه (١١ سبتمبر ١٨٠١ م) :

أفرج عن حسن أغا المحتسب بشفاعة عثمان كتخدا وحسن أغا وكيل قبطان باشا من غير شىء . وتوجه الى دار بجوار داره .

وفيه : تجمع النساء والفلاحون والملتزمون والوجاقلية ببيت الوزير بسبب الالتزام ، والمنع من التصرف ، وحضور الفلاحين للضيق عليهم بطلب المال الى ملتزميهم ، ومطالبتهم اياهم بما قبضوه منهم .

فلما اجتمعوا وصرخوا ، سأل الوزير عن ذلك... فأخبروه . فأمر بكتابة فرمان بالاطلاق والاذن للملتزمين بالتصرف . ووجهوا الأمر الى الدفتردار فكتب عليه ، ثم الى الروزنامجى كذلك . ثم توجهوا به الى دفتردار الدولة ... فتوقف ، وبقى الأمر أياما . وذلك أن القوم يريدون أمورا مبطونة فى نفوسهم ، وأطماعا مركوزة فى طباعهم .

٥ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠١ م) :

نودى بالزينة ثلاثة أيام : أولها الأربعاء وآخرها الجمعة ... سرورا بتسليم الاسكندرية . فزينت المدينة ، وعملت الوقدات بالأسواق ، والمغانى للفرجة ليلا ونهارا . وكل ليلة يعمل شنك نفوط وسواريخ وبارود ببركة الغرابين المطل عليها بيت الوزير .

وفيه : حضر نحو ستة أنفار من أعيان الانكليز وصحبتهم جماعة من العثمانية يفرجونهم على مواطن مزارات المسلمين . فدخلوا الى المشهد الحسينى وغيره بمداساتهم ، فتفرجوا وخرجوا !

وفيه : تحاسب السيد أحمد المحروقى مع السيد أحمد الزرو على شركة بينهما ، فتأخر على الزرو احدى وعشرون كيسا فألزمه باحضارها ، وحبسه بسجن قواس باشا ، وأمره بالتضييق عليه .

١٠ منه (١٨ سبتمبر ١٨٠١ م) :

لغط الناس باستمرار الزينة سبعة أيام ، وانتظروا الاذن فى رفع التعاليق ، فلم يؤذن لهم بشىء . فاستمروا طول النهار فى اختلاف وحل وربط . ثم اذن لهم — قبيل الغروب — برفعها بعد ما عمروا القناديل . وكان الناس يبيتون سهارى بالحوانيت ، والقلقات يطوفون بالأسواق ، فمن وجدوه نائما .. نبهوه بازعاج !

١٢ منه (٢٠ سبتمبر ١٨٠١ م) :

وقع من طوائف العسكر عربدة بالأسواق ، وتخطفوا أمتعة الناس ، ومن باعة المآكل كالشواء والفطير والبطيخ والبلح . فانزعجت الناس ، ورفعوا متاعهم من الحوانيت ، وأخلوا منها وأغلقوها . فحضر اليهم بعض أكابرهم وراطنهم .. فانكفوا وراق الحال . وتبين أن السبب فى ذلك تأخير علائفهم . وذلك أن من عادتهم القبيحة : أنه اذا

تأخرت عنهم علائفهم ... فعلوا مثل ذلك بالرعية ، وأثاروا الشرور . فعنــد ذلك يطلبون خواطرهم ، ويوعدونهم أو يدفعون لهم !

وفيه : ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو على مصر — وهو كتخدا حسـين باشا القبودان — فالبس الوزير وكيله خلعة عوضا عنه .

وأشيع عزل محمد باشا أبو مرق وسـفره الى بلاده . وحضر السـفار أيضـا من جهـة رشيد واسكندرية ، وأخبروا بأن الفرنسـاوية لم يزالوا باسكندرية وبنديراتهم على الأبراج ، وأن القبطان ومن معه لم يدخلوها ، وانما يدخلها معهم الانكليزية وأنهم ينتظـرون الى الآن الجـواب والاذن من شيختهم (1) ... وما أشيع قبل ذلك فلا أصل له . وأما الطائفة الأخرى التى سافرت من مصر ، فانهم نزلوا وسـافروا ، على وفق الشرط ، من أبى قير كمـا تقــدم .

٢٢ منه (٣٠ سبتمبر ١٨٠١ م) :

وردت مكاتبة من قبطان باشا بطلب عثمان بيك المرادى وعثمـان بيك البرديسى وابراهيم كتخدا السنارى والحاج سلامه تابعه وآخرين . فسافروا فى رابع عشرينه .

٢٤ منه (٢ اكتوبر ١٨٠١ م) :

فى ليلته : قتلوا شخصا يسمى مصطفى الصيرفى من خط الصاغة ... قطعوا رأسه تحت داره عنــد حانوته . وسبب ذلك أنه كان يتداخل فى نصارى القبط والذين يتعاطون الفرد ويوزعونها . وتولى فردة أهل الصاغة وسوق السلاح ، وتجاهر بأمور نقمت عليه ، وأضر أشخاصا . وأغرى به ، فحبس أياما ثم قتل بأمر الوزير . وترك مرميا ثلاث ليال ثم دفن !

(1) لعله يعنى ملكة انجلترا .

وفى صبيحة قتــله ، طاف المشـاعلى بالخطة ودوائرها : مثل الجمالية والضببية والنحاسين وباب الزهومة وخان الخليلى . فجبى من أرباب الحوانيت دراهم مابين خمسة أنصاف فضة وعشرة . وعند شبله جبى القلقان أيضا مايزيد على المائة قرش . وذلك من جملة عوائدهم القبيحة .

وفيه : هرب السيد أحمد الزرو ، فلم يعلم له خبر . وذلك بعدما أطلق بضمانة السيد أسعد وابن محرم . فكتب الوزير عدة فرمانات ، وأرسـلها صحبة هجانة الى جهة الشام ، وختموا على دوره . ولم نعلم هروبه الا بعد أربعة أيام ، لما داخله من الخوف بقتل الصيرفى المذكور .

٢٩ منه (٧ اكتوبر ١٨٠١ م) :

عقد ابراهيم بيك الكبير عقد ابنته عديلة هانم التى كانت تحت ابراهيم بيـك الصـغير المعروف بالوالى ، الذى غرق بواقعة الفرنسيس بانبـابه ... على الأمير سـليمان كاشـف — مملوك زوجها الأول ! — على صداق ألفى ريال .

وحضر العقد الشيخ السادات والسيد عمر النقيب والفيومى وبعض الأعيان .

غايته (٨ اكتوبر ١٨٠١ م) :

قتل شخص أيضا بسوق السلاح ، وهو من ناحية المنصورة . وجبى المشاعلية والقلقات دراهم من أرباب الحوانيت ... مثل ذلك المذكور فيمـا تقــدم .

* * *

وانقضى هذا الشهر وحوادثه التى منهـا : الارتباك فى أمر حصص الالتزام ، والمزاد فى المحلول وعدم الراحة والاستقرار على شىء يرتاح الناس عليـــه .

ومثل ذلك : الرزق الأحباسية والأوقاف .

وحضر شخص تولى النظر والتفتيش على جميع

الأوقاف المصرية السلطانية وغيرها ، وبيده دفاتر ذلك . فجمع المباشرين واستملاهم ، وكذلك كاتب المحاسبة ، وبث المعينين لاحضار النظار بين يديه وحسابهم على الايراد والمصرف ، وأظهر أنه يريد بذلك تعمير المساجد ، واجراء مشروطات الأوقاف . وآخر مثله لتحرير الأوقاف والمساجد الكائنة بالقرى المصرية . وانضمت اليه الأغوات ، وطلب كل من كان له أدنى علاقة بذلك . واستمروا على ذلك بطول السنة .

ثم انكشف الأمر ، وظهر أن المراد من ذلك ليس الا تحصيل الدراهم فقط ، وأخذ المصالحات والرشوات بقدر الامكان بعد التعنت فى التحرير ، والتعلل باثبات المدعى فى الايراد والمصرف — خصوصا اذا كان الشخص ضعيفا وليس من أرباب الوجاهة والمتوجهين ، أو بينه وبين الكتبة حزازة باطنية — ثم يحررون دفترا ويحررون الفايظ . ثم يطلبون منه ايراد ثلاث سنوات أو أربع !

ولم يزل حتى يصالح على نفسه بما أمكنه ؛ ثم يختمون له ذلك الدفتر ويتركونه وما يدين ؛ ان شاء عمر ، وان شاء أخر ! فان انتهت اليهم بعد ذلك شكوى فى ناظر وقف سبقت له مصالحة ... لا تسمع شكوى الشاكى ، ولا يلتفت اليها ! ويفعلون هذا الفعل فى كل سنة .

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد وعن العام الماضى أيضا ، حتى غطى الذراع الذى زاده الفرنساوية على عمود المقياس . فان الفرنساوية لما غيروا معالم المقياس ، رفعوا الخشبة المركبة على العمود ، وزادوا فوق العمود قطعة رخام مربعة مهندمة ، وجعلوا ارتفاعها مقدار ذراع مقسوم بأربعة وعشرين قيراطا وركبوا عليها الخشبة ... فسترها الماء أيضا ، ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة ، وغرقت الروضة . ولم يقع فى هذا النيل حظوظ ولا نزهة للناس كعادتهم فى البرك والخلجان والمراكب ، وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية ، وخصوصا الخوف من أذى العسكر وانحراف طباعهم وأوضاعهم ، وعدم المراكب ، وتخريب الفرنسيس أماكن النزاهة ، وقطع الأشجار ، وتلف المقاصف التى كانت تجلس بها أولاد البلد مثل : دهليز الملك والجسر والرصيف ، وغير ذلك مثل : الكازرونى والمغربى وناحية قنطرة السد وقصر العينى والقصور .

ومنها : أن محمد بيك المعروف بالمنفوخ المرادى حصل عنده وحشة من قبطان باشا . فخضر الى ناحية الأهرام بالجيزة ، وطلب الحضور عند الوزير يستجير به فذهب اليه خشداشه عثمان بيك البرديسى...وحادثه ، وأشار عليه بالرجوع الى جهة القبطان . فأقام أياما ثم رجع الى ناحية سكندرية .

والسبب فى ذلك ماحصل فى الواقعة التى قتل بها أحمد بيك الحسينى قيل ان ذلك بنفاقه عليه ، واتضح ذلك للقبطان ، وأحضرت العرب مراسلته اليهم بذلك ، فانحرف عليه القبطان . فلما علم ذلك داخله الخوف ، ثم أرسل اليه الأمراء والقبطان أمانا ... فرجع بعد أيام .

ومنها : حضور الجمع الكثير من أهالى الصعيد هروبا من الألفى وما أوقعه بهم من الجور والمظالم ، والتقارير والضرائب والغرائم .

وحضر أيضا الشيخ عبدالمنعم الجرجاوى والشيخ العارف وخلافهم يتشكون مما أنزله على بلادهم . وطلب متروكات الأموات وأحضر ورثتهم وأولادهم وأطفالهم ، ومن توسط أو ضبط أو تعاطى شيئا من القضاة والفقهاء ، وحبسهم وعاقبهم وطالبهم ، وطلب استئصال ما بأيديهم ، ونحو ذلك .

كل ذلك بأمر من الدولة ، وغير ذلك معين ... فحضروا فصالحوا على تركة سليم كاشف باثنين وعشرين ألف ريال ، بعد أن ختموا على دوره ...

بعد أن أزعجوا حريمه وعياله . ولطوا من الحيطان ثم حضروا الى مصر ... وأمثال ذلك .

ومنها : كثرة تعدى العسكر بالأذية للعامه وأرباب الحرف . فيأتى الشخص منهم ويجلس على بعض الحوانيت ، ثم يقوم فيدعى ضياع كيسه أو سقوط شيء منه ، وان أمكنه اختلاس شيء فعل ! أو يبدلون الدنانير الزيوف، الناقصة النقص الفاحش ... بالدراهم الفضة قهراء أو يلاقشون النساء فى مجامع الأسواق ، من غير احتشام ولا حياء . واذا صرفوا دراهم أو أبدلوها ، اختلسوا منها !

وانتشروا فى القرى والبلدان ، ففعلوا كل قبيح ، فتذهب الجماعة منهم الى القرية وبيدهم ورقة مكتوبة باللغة التركية، ويوهمونهم أنهم حضروا اليهم بأوامر : اما برفع الظلم عنهم ، أو مايبتدعونه من الكلام المزور ... ويطلبون حق طريقهم مبلغا عظيما ، ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم بالكلف الفاحشة ، ويخطفون الأغنام ، ويهجمون على النساء ، وغير ذلك مما لايحيط به العلم . فطفشت الفلاحون ، وحضر أكثرهم الى المدينة ، حتى امتلأت الطرق والأزقة منهم .

أو يركب العسكرى حمار المكارى قهرا ، ويخرج به الى جهة الخلاء ، فيقتل المكارى ، ويذهب بالحمار فيبيعه ساحة الحمير ! واذا انفردوا بشخص أو بشخصين خارج المدنة ، أخذوا دراهمهم ، أو شلحوهم ثيابهم ، أو قتلوهم بعد ذلك !

وتسلطوا على الناس بالسب والشتم ، ويجعلونهم كفرة .. وفرنسيس وغير ذلك !

وتمنى أكثر الناس — وخصوصا الفلاحين — أحكام الفرنساوية !

ومنها : أن أكثرهم تسبب فى المبيعات وسائر أصناف المأكولات والخضارات ، ويبيعونها بما أحبوا من الأسعار ، ولا يسرى عليهم حكم



الناس يبنون
ما هدمه الفرنسيون

المحتسب ولا غيره . وكذلك من تولى منهم رياسة حرفة من الحرف ، كالمعمارجية أو غيرهم ، قبض من أهل الحرفة معلوم أربع سنوات ، وتركهم وما يدينون، فيسعرون كل صنف بمرادهم ، وليس له هو التفات لشيء سوى مايأخذه من دراهم الشكاوى . فغلا بسبب ذلك الجبس والجير ، وأجر الفعلة والبنائين ... خصوصا وقد احتاج الناس لبناء ما هدمه الفرنسيس ، وما تخرب فى الحروب بمصر وبولاق وجهات خارج البلد ، حتى وصل الأردب الجبس الى مائة وعشرين نصف فضة ، والجير بخمسين نصف فضة ، وأجرة البناء أربعين فضة ، والفاعل عشرين . وأما الغلة فرخيصة ، وكذلك باقى الحبوب بكثرتها .. مع أن الرغيف ثلاثة أواق بنصف ، لما ذكر من عدم الالتفات الى الأحكام والتسعيرات .

جمادى الآخرة

غرته (٩ أكتوبر ١٨٠١ م) :

تفكك الجسر الكبير المنصوب من الروضة الى الجيزة ، وذلك من شدة الماء وقوته ... فتحللت

رباطاته ، وانتزعت مراسيه ، وانتشرت أخشـابه ، وتفرقت سفنه ، وانحدرت الى بحرى .

٢ منه (١٠ اكتوبر ١٨٠١ م) :

حصلت زلزلة فى ثالث ساعة من الليل .

٣ منه (١١ اكتوبر ١٨٠١ م) :

قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطاراتى ، بين المفارق بباب الشعرية ، وذلك بعد حبسه أياما عـديدة ، وضربه وعقـابه حتى تورمت أقدامه ، وطاف مع المعينين عـدة أيام يتداين بواقى ما قرر عليه ، ودخل دارا نافذة ، وأجلس الملازمين له ببابها ـوهم لا يعلمون بنفوذهاـ وأوهم أنه يريد التداين من صاحب الدار ، ونفذ من الجهة الأخرى ، واختفى فى بعض الزوايا . فاستعوقه الجماعة ، ودخلوا الى الدار ... فلم يجدوه ، وعلموا بنفوذها . فقبضوا على خدمة الدار وضربوهم ، فلم يجدوا عندهم علمـا منه . فأطلقوهم ، وأوقعوا عليـه الفحص والتفتيش . فرآه شـخص ممن صادره فى أيام الفردة ، فصادفه فى صبحها خارج باب القرافة ، فقبض عليه وأحضره بين يدى جماعة القلق . فدل عليه فقبضوا عليه وقتلوه بعد القبض عليه بثلاثة أيام ، وتركوه مرميا تحت الأرجل وسط الطريق وكثرة الازدحام ثلاث ليـال ، وفعلوا عادتهـم فى جبى الدراهم من تلك الخطة !

وفيه : ورد فرمان من محمد باشا والى مصر بأن يتأهبوا لموكبه على القانون القديم . فكتبوا تنابيه للوجاقلية والأجناد بالتهيؤ للموكب .

٤ منه (١٢ اكتوبر ١٨٠١ م) :

وصل شمس الدين بيك أمير آخور كبير ، ومرجان أغا دار السعادة . فأرسلوا تنابيه الى الوجاقليـة والأمراء والمشايخ ومحمد باشـا وابراهيم باشا . فاجتمعوا ببيت الوزير ، وحضر المذكوران بعـد الظهر ، فخرج الوزير ولاقاهما من المجلس الخارج ، فسلماه كيسا بداخله خط شريف ، فأخذه وقبله وأحضرا له بقجة بداخلهـا خلعة سمور عظيمة ... فلبسها ، وسيفا تقلد به ، وشلنج جوهر وضـعه على رأسه ، ودخل صحبتهما الى القاعة حيث الجمع ، ففتح الكيس وأخرج منه الفرمان ، ففتحه وأخرج منه ورقة صغيرة فسلمها لرئيس أفندى فقرأها باللغة التركيـة — والقوم قيـام على أقدامهـم — مضمونها الخطاب لحضرة الوزير الحاج يوسف باشا وحسين باشا القبطان والباشات والأمراء والعساكر المجاهدين ، والثناء عليهم ، والشـكر لصنيعهم ، وما فتحه الله على يديهم ، وإخراجهم الفرنسيس ونحو ذلك . ثم وعظ بعض الأفنـدية بكلمـات معتـادة ، ودعوا للسـلطان والوزير والعساكر الاسلامية . وتقـدم ابراهيم باشا ومحمـد باشا وطاهر باشا وباقى الأمراء ، فقبلوا ذيل الخلعـة وانصرفوا . وضربوا مـدافع كثيرة من القلعـة فى ذلك الوقت .

وفى ذلك اليوم ، ألبس الوزير الأمراء والبلات فراوى وخلعا وشلنجات ذهب على رءوسهم !

وفيه : حضرت أطواخ بولاية جدة لمحمد باشا توسون أغات الجبجية ... وهو انسان لا بأس به .

وفيه : حضر القاضى الجديد من الروم ووصل الى بولاق ، وهو صـاحب المنصب ، فأقام ثلاثة أيام وصحبته عياله وحريمه .

٨ منه (١٦ اكتوبر ١٨٠١ م) :

حضر بموكبه الى المحكمة ، وذهب اليه الأعيان فى صبحها ، وسلموا عليه ، وله مسيس بالعلم

١١ منه (١٩ اكتوبر ١٨٠١ م) :

عمل الوزير الديوان ، وحضر عنده الأمراء ، فقبض عـلى ابراهيم بيك الكبير وباقى الأمـراء ،

القبناجق وحبسهم . وأرسل طاهر باشا بطائفة من العسكر الأرنؤود الى محمد بيك الألفى بالصعيد ، وكان أشيع هروبه الى جهة الواحات . وذهبت طائفة الى سليم بيك أبى دياب ، وكان مقيما بالمنيل . فلما أخذ الخبر ، طلب الهرب وترك حملته . فلما حضرت العسكر اليه فلم يجدوه نهبوا القرية ، وأخذوا جماله وهى نحو السبعين ، وهجنه وهى نيف وثلاثون هجينا ، وذهبت اليه طائفة بناحية طرا فقاتلهم ، ووقع بينهم بعض قتلى ومجاريح . ثم هرب الى جهة قبلى من على الحاجر . ووقفت طائفة العسكر والأرنؤود بالأخطاط والجهات وخارج البلد يقبضون على من يصادفونهم من المماليك والأجناد .

ونودى فى ذلك اليوم بالأمن والأمان على الرعية والوجاقلية . وأطلق الوزير مرزوق بيك ورضوان ، كتخدا ابراهيم بيك ، وسليمان آغا كتخداه ، المسمى بالحنفى. وأحاطت العسكر بالأمراء المعتقلين ، واختفى باقيهم ، ونودى عليهم وبالتوعد لمن أخفاهم أو آواهم . وباتوا بليلة كانت أسوأ عليهم من ليلة كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيس ، وخاب أملهم ، وضاع تعبهم وطمعهم . وكان فى ظنهم أن العثملى يرجع الى بلاده ، ويترك لهم مصر ، ويعودون الى حالتهم الأولى ، يتصرفون فى الأقاليم كيفما شاءوا . فاستمروا فى الحبس ، ثم تبين أن سليم بيك أبا دياب ذهب الى عند الانكليز والتجأ اليهم بالجيزة . وألبس الوزير سليمان آغا تابع صالح آغا ، زى العثمانيين وجعله سلخور ، وأمره أن يتهيأ ليسافر الى اسلامبول فى عرض الدولة .

١٧ منه (٢٥ اكتوبر ١٨٠١ م) :

سافر اسماعيل أفندى شقبون ، كاتب حوالة ، الى رشيد باستدعاء من الباشا والى مصر .

وورد الخبر بوصول كسوة للكعبة من حضرة السلطان .

١٩ منه (٢٧ اكتوبر ١٨٠١ م) :

حضر واحد أفندى وآخرون وصحبتهم الكسوة ، فنادوا بمرورها فى صباح اليوم التالى .

٢٠ منه (٢٨ اكتوبر ١٨٠١ م) :

ركب الأعيان والمشايخ والأشاير وعثمان كتخدا — المنوه بذكره — لامارة الحج ، وجمع من الجاويشية والعساكر والقاضى ونقيب الأشراف وأعيان الفقهاء . وذهبوا الى بولاق وأحضروها وهم أمامها . وفردوا قطع الحزام المصنوع من المخيش ثلاث قطع ، والخمسة مطوية . وكذلك البرقع ومقام الخليل ... كل ذلك مصنوع بالمخيش العال ، والكتابة غليظة مجوفة متقنة ، وباقى الكسوة فى سحاحير على الجمال وعليها أغطية جوخ أخضر . ففرح الناس بذلك ، وكان يوما مشهودا .

وأخبر من حضر أنه عندما وصل الخبر بفتح مصر ، أمر حضرة السلطان بعملها فصنعت فى ثلاثين يوما . وعند فراغها أمرهم بالسير بها ليلا . وكان الريح مخالفا ، فعندما حلوا المراسى اعتدل الريح بمشيئة الله تعالى . وحضروا الى اسكندرية فى أحد عشر يوما .

وفيه : وردت الأخبار بأن حسين باشا القبطان لم يزل يتحيل وينصب الفخاخ للأمراء الذين عنده ، وهم محترزون منه ، وخائفون من الوقوع فى حباله . فكانوا لايأتون اليه الا وهم متسلحون ومحترزون ، وهو يلاطفهم ويبش فى وجوههم .. الى أن كان اليوم الموعود به ، عزم عليهم فى الغليون الكبير الذى يقال له « ازج عنبرلى » . فلما طلعوا الى الغليون وجلسوا ، فلم يجدوا القبودان ، أحسوا بالشر . وقيل انه كان بصحبتهم ، فحضر

اليه رسول وأخبره أنه حضر معه ثلاثة من السعاة بمكاتبة . فقام ليرى تلك المراسلة . فما هو الا أن حضرَ اليهم بعض الأمراء ، وأعلمهم أنه ورد خط شريف باستدعائهم الى حضرة مولانا السلطان ، وأمرهم بنزع السلاح . فأبوا ، ونهض محمد بيك المنفوخ وسل سيفه وضرب ذلك الكبير فقتله . فما وسع البقية الا أنهم فعلوا كفعله وقاتلوا من بالغليون من العساكر ، وقصدوا الفرار . فقتل عثمان بيك المرادى الكبير وعثمان بيك الأشقر ومراد بيك الصغير وعلى بيك أيوب ومحمد بيك المنفوخ ومحمد بيك الحسينى — الذى تأمر عوضا عن أحمد بيك الحسينى — وابراهيم كتخدا السنارى . وقبض على الكثير منهم وأنزلوهم المراكب . وفر البقية مجروحين الى عند الانكليز ، وكانوا واقعين عليهم من ابتداء الأمر ، فاغتاظ الانكليز وانحازوا الى اسكندرية ، وطردوا من بها من العثمانيين ، وأغلقوا أبواب الأبراج . وحضر منهم عدة وافرة ، وهم طوابير بالسلاح والمدافع ، واحتاطوا بقبطان باشا من البر والبحر . فتهيأ عساكره لحربهم .. فمنعهم ، فطلب الانكليز بروزه بعساكره لحربهم . فقال : « لم يكن بيننا وبينكم حرب » . واستمر جالسا فى صيوانه . فحضر اليه كبير الانجليز وتكلم معه كثيرا ، وصمم على أخذ بقية الأمراء المسجونين ... فأطلقهم له فتسلمهم ، وأخذ أيضا المقتولين ونقل عرضى الأمراء من محطتهم الى جهة اسكندرية ، وعملوا مشهدا للقتلى مشى به عساكر الانكليز على طريقتهم فى موتى عظمائهم .

ووصل الخبر الى من بالجيزة من الانجليز ... وذلك ثانى يوم من قبض الوزير على الأمراء ففعلوا كفعلهم ، وأخذوا حذرهم ، وضربوا بعض مدافع ليلا ، وشرعوا فى ترتيب آلة الحرب .

وفى ذلك اليوم ، طلع محمد باشا طوسون والى جدة — الساكن ببيت طرا — الى القلعة ، وصعد معه جملة من العسكر ، وشرعوا فى نقل قمح ودقيق وقومانية ، وملاوا الصهاريج . وشاع ذلك بين الناس فارتاعوا ، وداخلهم الوسواس من ذلك واستمروا ينقلون الى القلعة مدافع وبارودا وآلات حرب .

٢٤ منه (١ نوفمبر ١٨٠١ م) :

حضر كبير الانكليز الذى بالجيزة ، فألبسه الوزير فروة وشلنجا .

وفى ذلك اليوم ، خلع الوزير على عثمان آغا المعروف بـ « قبى كتخدا » وقلده على أمارة الحج .

وفى ذلك اليوم ، وقع بين عسكر المغاربة والانكشارية فتنة ، ووقفوا قبالة بعضهم ما بين الغورية والفحامين ، وأغلقت الناس حوانيتهم بسوق الغورية والعقادين والصاغة والنحاسين . ولم يزالوا على ذلك ، حتى حضر آغات الانكشارية ، وسكنت الفتنة بين الفريقين .



غليون قبطان باشا والقوارب تحيط به



قتال بين المغاربة والانكشارية

٢٧ منه (٤ نوفمبر ١٨٠١ م) :

مروا بزفة عروس بسوق النحاسين ، وبها بعض انكشارية ، فحصلت فيهم ضجة ، ووقع فيهم فشل . فخطفوا ما على العروس وبعض النساء من المصاغ المزينات به . وفى أثنــاء ذلك مر شخص مغربى ، فضربه عسكرى رومى ببـــارودة ... فسقط ميتا عند الأشرفية . فبلغ ذلك عسكر المغاربة ، فأخذوا سلاحهم ، وسلوا سيوفهم ، وهاجت حمــاقتهم ، وطلعوا برمحون من كل جهة وهم يضربون البندق ويصرخون .

فأغلقت الناس الحوانيت ، وهرب قلق الأشرفية بجماعته ، وكذلك قلق الصنادقية ، وفزعت الناس ولم يزالوا على ذلك من وقت الظهر الى الغروب . ثم حال بينهم الليل . وقتل من المغــــاربة أربعة أشخاص ، وأصبحوا محترســين من بعضهــم .

فحضر أغات الانكشـــــارية على تخوف ، وجلس بسبيل الغورية ، وحضر الكثير من عقلاء الانكشارية وأقاموا بالغــورية ، وحــوالى جهة الكعكيين والشوائين ... حيث سكن المغاربة .

واستمر السوق مغلوقا ذلك اليوم ورجعت القلقــات الى مراكزها . وبردت القضية ، وكأنهم اصطلحوا . وراحت على من راح !

* * *

وانقضى هذا الشهر بحوادثه التى منها : استمرار نقل الأدوات الى القلعة ، وكذلك مراكز باقى القلاع ... مع أنهم خربوا أكثرها .

ومنها : زيادة تعدى العســـكر على السوقة والمحترفين والنساء ، وأخذ ثياب من ينفردون به من الناس فى أيام قليلة .

ومنها : استمرار مكث النيل على الأرض وعدم

هبوطه ، حتى دخل شهر هاتور ، وفات أوان الزراعة ، وعدم تصرف الملتزمين ، وهجاج الفلاحين من الأرياف ، لما نزل بهم من جور العسكر وعسفهم فى البلاد ، حتى امتلأت المدينة من الفلاحين ، ولودى عليهم عدة مرار بذهابهم الى بلادهم .

ومنها : أن الوزير أمر المصرلية بتغيير زيهم ، وأن يلبسوا زى العثمانية . فلبس أرباب الأقلام والأفندية والقلقات القواويق الخضر والعنتريات ، وضيقوا أكمامهم . ولبس مصطفى أغا — وكيل دار السعادة سابقا — وسليمان أغا — تابع صالح أغا — وخلافهما .

رجب

٢ منه (٨ نوفمبر ١٨٠١ م) :

سافر سليمان أغا ، تابع صالح أغا ، الى اسلامبول .

وفيه : أمر الوزير الأمراء المحبوسين بأن يكتبوا كتابا الى الانكليز بأنهم أتباع السلطان ، وتحت طاعته وأمره ، ان شاء أبقاهم فى امارتهم ، وان شاء قلدهم مناصب فى ولايات أخرى ، وان شاء طلبهم يذهبون اليه ، فلا دخل لكم بيننا وبينه .. وكلام فى معنى ذلك . فأرسلوا يقولون ان هذا الكلام لاعبرة به ، فانهم مسجونون وتحت أمركم ، ومكتوب المقهور المكره لا يعمل به . فان كان ولا بد فأرسلوهم الينا لنخاطبهم ونعلم ضميرهم ، وحقيقة حالهم .

٩ منه (١٥ نوفمبر ١٨٠١ م) :

أحضر الوزير ابراهيم بيك والأمراء وأعلمهم أن قصده ارسالهم الى بر الجيزة عند الانجليز ليتفسحوا ذلك اليوم ، ويخبروهم أنهم مطيعون للسلطان ، وتحت أوامره . وأن المراسلة التى أرسلوها عن طيب قلب منهم . وليسوا مكرهين فى ذلك . فأظهر ابراهيم بيك التمنع عن الذهاب ، وأنه لا غرض له فى الذهاب الى مخالفى الدين فجزم عليه ووعده خيرا ، وعاهدهم ، وحلفهم . فنزلوا وركبوا من عنده فى الصباح ، وما صدقوا بالخلاص ، وعدوا الى الجيزة ، وذهبوا الى عند الانكليز ، فتبعهم أتباعهم ومماليكهم يرمحون اليهم ويلحقون بهم . فأقاموا هناك ، ولم يرجعوا . فانتظر الوزير رجوعهم خمسة أيام ، وأرسل اليهم يدعوهم الى الرجوع بحكم عهدهم . فامتنع ابراهيم بيك وتكلم بما فى ضميره من قهره من الوزير وخيانته له .

١٤ منه (٢٠ نوفمبر ١٨٠١ م) :

عملوا جمعية ببيت الشيخ السادات ، واجتمع المشايخ والوجاقلية . وذلك بأمر من الوزير . وأرسل اليهم مكاتبة وفى ضمنها النصيحة والرجوع الى الطاعة . فأرسلوا فى جواب الرسالة يقولون : « انهم ليسوا مخالفين ، ولا عاصين ، وانهم مطيعون لأمر الدولة . وانما تأخرهم بسبب خوفهم ... وخصوصا ما وقع لاخوانهم باسكندرية . وانهم لم يذهبوا الى عند الانكليز ، الا لعلمهم أنهم عسكر السلطان ، ومن المساعدين له على أعدائه . ومتى ظهر لهم أمر يرتاحون فيه ... رجعوا الى الطاعة » . ونحو ذلك من الكلام .

٢٧ منه (٣ ديسمبر ١٨٠١ م) :

حضر عابدى بيك ، لسبب مولانا الوزير ، فخرج اليه غالب أعيان العثمانية والجاويشية ، وطاهر باشا وعسكر الأرنؤود ... وتلقوه . ودخل بحموله فى موكب جليل . وكان حضرة الوزير حاصلا عنده توعك ، وغالب أوقاته محتجب عن ملاقاة الناس .

وفيه : ورد الخبر بسفر قبطان باشا من ساحل أبى قير الى الديار الرومية فى منتصف الشهر . وأما محمد باشا الوالى على مصر ، فانه لم يزل مقيما بأبى قير . وحضر خازنداره وسكن ببيت البكرى بالأزبكية

شعبان

غرته (٧ ديسمبر ١٨٠١ م) :

حضر يوسف أفندى ، وبيده مرسوم بولايته على نقابة الأشراف . فبات ببولاق ، وأرسل ناسا يعلمون بحضوره . فلم يخرج لملاقاته أحد . ثم ان بعض الناس أحضر اليه فرسا فركبه فى ثانى يوم ، وحضر الى مصر ، وأشاع أنه متولى نقابة الأشراف ومشيخة المدرسة الجبانية .

وخبر ذلك الانسان : أنه كان يبيع الخردة واليميش بحانوت بخان الخليلى ، وهو من متصوفة الأتراك الذى يتعاطون الوعظ والاقراء باللغة التركية . فمات شيخ رواق الأروام بالأزهر . فاشتاقت نفسه للمشيخة على الرواق المذكور ، فتولاها بمعونة بعض سفهائهم .

فنقم عليه الطائفة أمورا ، واختلاسات من الوقف ، فتعصبوا عليه وعزلوه ، وولوا مكانه السيد حسين أفندى — المولى الآن — فحنق من ذلك ، وداخله قهر عظيم وحقد على حسين أفندى المذكور ، وأضمر له فى نفسه المكروه . فدعاه يوما الى داره ، ودس له سما فى شرابه فنجاه الله من ذلك . وشربت ابنة يوسف أفندى الداعى تلك الكاسة المسمومة غلطا وماتت ، وشاع ذلك ، وتواترت حكايته بين الناس . ورجع كيده عليه ، وذاق وبال أمره كما قيل :

ومن يحتفر بئرا ليوقع غيره
سيوقع بالبئر الذى هو حافرُ

ثم انه سافر الى اسلامبول ، وأقام هناك مدة اقامة الفرنسيس بمصر . ولم يزل يتحيل ويتداخل فى بعض حواشى الدولة ، وأعرض بطلب النقابة ومشيخة الجبانية ، فأعطوه ذلك لعدم علمهم بشأنه ، وظنهم أنه أهل لذلك ، بقوله لهم : انه كان شيخا على الأزهر ومعرفته بالعلم .

فلما حصل بمصر ، وظهر أمره ، تجمعت أعيان الأشراف وقالوا : « لا نكون هذا حاكما ولا نقيبا علينا أبدا » . وتنوقل خبره ، وظهر حاله لأكابر الدولة ، وحضرة الصدر الأعظم فلم يصغوا اليه ، ولم يسعفوه ، وأهمل أمره . وهكذا شأن رؤساء الدولة أدام الله بقاءهم ، اذا تبين لهم الصواب فى قضية ، لا يعدلون الى خلافه .

وفيه من الحوادث : أنه تقيد بأبواب القاهرة بعض من نصارى القبط ، ومعهم بعض من العسكر. فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئا ، سواء كان داخلا أو خارجا ، بحسب اجتهادهم ، وكذلك ما يجلب من الأرياف . وزاد تعديهم ... فعم الضرر ، وعظم الخطب ، وغلت الأسعار وكل من ورد بشىء يبيعه بشتط فى ثمنه ، ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس. فلا يسع المشترى الا التسليم لقوله ، والتصديق له وقبول عذره .

والسبب فى ذلك ، أن الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق ، دس عليهم بعض المتقيدين معهم من الأقباط بأن كثيرا من المتاجر التى يؤخذ عليها العشور ، يذهب بها أربابها من طريق البر ، ويدخلون بها فى أوقات الغفلة تحاشيا عن دفع ما عليها وبذلك لا يجتمع المال المقرر بالديوان ، فيلزم أن يتقيد بكل باب من يترقب لذلك ويرصده ويأخذ ما يخص الديوان من ذلك . فأذن كبراء الديوان بذلك ، فانفتح لهم بذلك الباب فولجوه ، ولم يحسبوا للعاقبة من حساب . وزادوا فى الجور والفضائح ، وأظهروا ما فى نفوسهم من القبائح . فساءت الظنون ، واستغاث المستغيثون ، وأكثر سخاف الأحلام مما لا طائل تحته من الكلام ، كما قيل فى هذا المعنى :

وكنا نستطب اذا مرضنا
فصار الداء من قبل الطبيب

الى أن زاد التشكى ، وأنهى الأمر الى الوزير ، فأمر بابطال ذلك ، وانجلت تلك الغمة .

وفيه أيضا : أعرض طائفة القبانية وتشكوا مما رتب عليهم من الجمرك السنوى . فأطلق لهم الأمر برفعه عنهم .

وفيه : قبضوا على رجل من المفسدين باقليم المنوفية يقال له راضى النجار ، وأحضروه الى مصر وقطع رأسه بالرميلة .

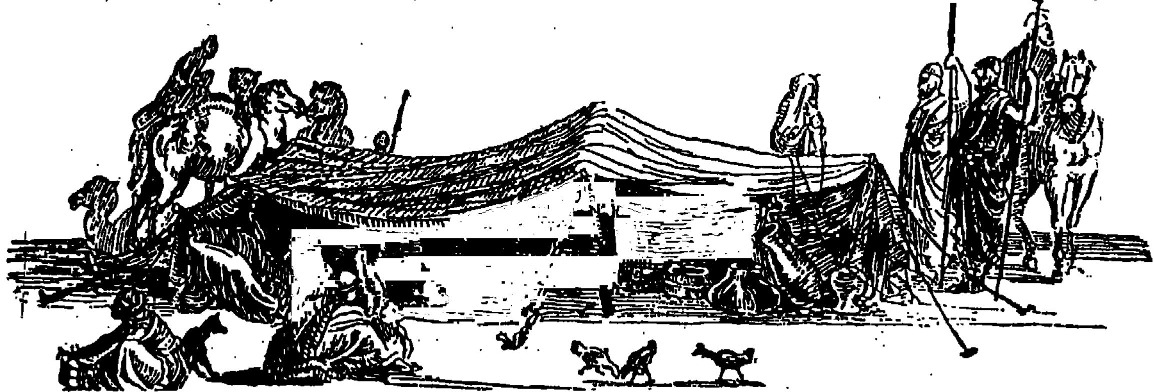
وفيه : كتب فرمان الى ناحية البحيرة وصورته :

« صدر الفرمان العالى السلطانى ، وأمرنا الجليل الخاقانى... الى قدوة النواب المتشرعين نائب البحيرة زيد علمه ، والى كامل المشايخ من عربان الهنادى والأفراد والجمعيات والبهجة وبنى عونة عموما — زيد فى عشيرتهم — بعد وصول التوقيع الرفيع الهمايونى الحكمى : تحيطون علما أنكم أنهيتم الى ديواننا الهمايونى ، أنكم من قديم الزمان منازلكم أبا عن جد فى فيافى البحيرة وفدافدها ، وأنكم تحت قدم الطاعة ! والمحافظة للرعايا والطرقات الواقعة بناحية البحيرة ، والتمستم من عواطف مراحم سلطنتنا السنية ، ودولتنا الخاقانية ، استقراركم فى منازلكم القديمة كما كنتم ، حكم السنين الخوالى . فحيث انه جرت العادة أن قبائل العربان فى الديار المصرية ، كل قبيلة لها منزلة مخصوصة بهم ، لا ينازعهم فيها غيرهم .

« ومنزلة البحيرة من قديم الزمان منزلكم . فبحسب التماسكم من مراحم دولتنا العلية ! قد أقررناكم فى منازلكم المزبورة كما كنتم قديما نازلين بها من غير منازع لكم ... بالشروط التى تعهدتم بها ، وقبلتموها فى حضور صدرنا الأعظم ، وكتبتم بها سندا عليكم . وهى أن توفوا بعدم التعدى وايصال الرزية والمضرة ، ولو مقدار ذرة ، الى الرعايا وديعة خالق البرايا ، والمحافظة على الطرقات ، وعدم اتلاف شىء من مزروعات أهل البلاد ، واضاعة مواشيهم ، وألا تسكنوا عندكم شقيا من اللصوص وقطاع الطريق ، ونهب أموال الناس ، وقتل النفوس بغير حق شرعى .

« وقد نذرتم على أنفسكم أنه متى اختل شرط من هذه الشروط المذكورة ، تقومون بدفع مائتى ألف قرش الى خزينة مصر .

« فبناء على ذلك ، أصدرنا فرماننا الشريف وأمرنا العالى المنيف ، ليكون معلومكم أنه من قاعدة الديار المصرية كل قبيلة من العربان لها منزلة تنزلها مخصوصة بها . وقد أقررناكم فى منازلكم القديمة فى فيافى البحيرة وفدافدها بالشروط السابقة الذكر ، التى التزمتموها ، والنذور التى قبلتموها ، وتعهدتم بها ، وكتبتم على أنفسكم سندا أنه متى اختل شرط



خيمة البدو

من الشروط المذكورة ، بعد بيان دفعكم المائتى ألف قرش ، يكون اخراجكم من البحيرة وبلادها وفيافيها ، والطلوع من حقكم .

« فاعملوا بموجب مضمون أمرنا الشريف كما هو مشروح ، وتجنبوا خلاف ما هو مسطور وموضوح .. اعلموه ، واعتمدوه غاية الاعتماد .

« والحذر ثم الحذر من المخالفة ! » .

وكتب بمضمونه حجة ، وأمضى عليها قاضى العسكر ، وقيدت بالسجل ، وهى من انشاء صاحبنا اللبيب الأديب ، الناظم الناثر ، جامع فضائل المآثر السيد اسماعيل الشهير بالخشاب ، ونصه : « لما ورد الفرمان الشريف الواجب القبول والاجلال والاعظام والتشريف ، اليانعة أزاهر رياض فصاحته ، المحلاة بعقود البلاغة أجياد معانى عبارته ، المشتمل على فصول من الترغيب والترهيب ، التى يعجز كل بليغ لبيب عن سلوك أسلوبها العجيب ، من حضرة مولانا الصدر الأعظم ، والمشير المفخم ، عضد الدولة العليه ولسانها ، وحسامها الماضى وسنانها ... من انجلى عنا ظلام الشرك بصباح غرته السنية واشراق ضياء حسن سيرته المرضية ، مولانا الوزير يوسف باشا — بلغه الله من المرادات ما شاء — خطابا الى سائر الحكام والمتشرعين والنواب وسكان اقليم البحيرة من قبائل الأعراب ، ومن التحق بهم من الأبناء والذرارى والعشائر المنجمعين معهم فى تلك القدافد والبرارى ، وما تضمنه من تأمينهم فى منازلهم وأوطانهم وعشيرتهم وجيرانهم ، والنظر اليهم بعين الاحسان والرعاية وادخالهم سرادق الحفظ والوقاية ، بشرط أن يكونوا على قدم الطاعة ، وأن يسلكوا سبيل السنة والجماعة ، وأن يتجنبوا الخلاف ، ويعاملوا من يمر بهم بالاكرام والاعزاز والانصاف ، واردين مشرب الوفاق بالاتفاق ، غير مثيرين للفتن والنزاع والشقاق ، وأن لا يتجمعوا على الضلال ويتحزبوا ، ولا يقطعوا الطريق على من يمر بهم ويتعصبوا « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا » .

« وأقطع حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار اليه — خلد الله جزيل نعمه وفضله عليه — كل قبيلة منهم منازلهم المخصوصة بهم المعهودة ، وأظلهم بظلال أمانه الظليلة الممدودة حين التمسوا ذلك من مراحم دولته ، وعوارف عواطف رأفته ... بعد التزامهم بما سلف من الشروط ، على الوجه المشروح المحرر المضبوط . وعلى أنهم ان عصوا أمره وخالفوه ، ونسوا ما تلى عليهم أو نسخوه ، أو قطعوا الطريق ونهبوا الأموال ، أو آووا شقيا من يفعل ذلك بحال من الأحوال — أخذتهم صاعقة العذاب الهون ، وحل بهم من البلاء مالا يطيقون ، ووقعوا من غضب هذه الدولة العلية عليهم فى العذاب الشديد ... « ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد » .. بعد أن تسلب أموالهم ، ويتلاشى حالهم ، حتى يصيروا لا عين ولا أثر ، ولا مخبر ولا خبر ، ولا معالم ولا معاهد ، ولا مشارع ، ولا موارد ... جزاء بما أسلفوا ، وعقابا على ما اقترفوا اذا خالفوا !

« وعاهد رؤساءهم حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار اليه على ما تقدم ذكره . وكتب لهم بذلك التوقيع السلطانى ، والأمر الخاقانى ، المتضمن لما تقدم من المعانى ، المتوج بالعلامة الشريفة ، والطرة السلطانية المنيفة . المبدا بذكره ، المؤرخ بتاريخه .

« وحضر به الى حضرة مولانا شيخ الاسلام المومى اليه أعلاه ، كل من فلان وفلان ، وهم مشايخ عربان البحيرة المرقومون .

« ولما تأمل فيه ، وأحاط علمه الكريم ببديع معانيه ، ونزه طرفه فى رياض فصوله ، ورآه جاريا على قواعد الشرع وأصوله ، والتمس منه الجماعة المذكورون كتابة حجة متضمنة لفحواه ، مؤكدة له ، مقوية لمعناه ... أمر بكتابة هذا المرسوم ، على

الوجه المشروح المرقوم وقيد ذلك بالسجل المحفوظ ليراجع عند الاحتياج اليه ، والاحتجاج به » .

٥ منه (١١ ديسمبر ١٨٠١ م) :

نزل محمد باشا توسون والى جدة من القلعة فى موكب ، وتوجه الى العادلية ، قاصدا السفر الى جدة .

٩ منه (١٥ ديسمبر ١٨٠١ م) :

قبضوا على ثلاثة من النصارى الأروام المتزيين بزى العساكر الانكشارية ، ويعملون القبائح بالرعية فرموا رقابهم : أحدهم بالدرب الأحمر ، والثانى بسوق السلاح عند الرفاعى ، والثالث بالرميلة .

١٠ منه (١٦ ديسمبر ١٨٠١ م) :

أيضا قطعوا رأس على جلبى ، تابع حسين أغا شنن ، بباب الخرق ، بين المفارق بأمر من الوزير . والسبب فى ذلك أن المرحوم يوسف باشا المذكور الكبير ، المتوفى بالمدينة المنورة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — كان أودع عند حسين أغا شنن وديعة . فلما ملك الفرسيس مصر ، وجرى ما جرى من ورود العرضى ، والصلح ونقضه . فاعتقد قصار العقول ، أن الأمر انتهى للفرنسيس ، فتجاوزوا الحد ، وأغروا ببعضهم ، وتتبعوا العورات ، وكشفوا عن المستورات ، ودلوا الفرنسيس على المخبآت ، وتقربوا اليهم بكل ما وصلت اليه همتهم ، وراجت به سلعتهم !

والمسكين المقتول ، مد يده الى بعض ودائع سيده فاختلس منها ، وتوسع فى نفسه ، وركب الخيول ، واتخذ له خدما ، وتداخل مع الفرنسس وحواشيهم . فاستخفوا عقله ، فاستفسروا منه . فأخبرهم بالودائع والخبايا ، فاستخرجوها ونقلوها — وكانت شيئا كثيرا جدا — وأظهر أن ذلك لم يكن بواسطته ، ليوارى ما اختلسه لنفسه ، ويكون له عذر فى ذلك .

فلما حضر له سيده صحبة العرضى ، ذهب اليه وتملق له ، وربط فى رقبته منديلا فأهمل أمره الى هذا الوقت ، حتى اطمأن خاطره . ثم انه أخبر بقصته الوزير ، لعلمه أنه سيطالب بوديعة يوسف باشا . فأمره بأن يرفع قصته الى القاضى ، ويثبت تلك الدعوى ، لتبرأ ساحتهعند الدولة ... ففعل ، ثم أمر الوزير بقتل على جلبى المذكور . فقتل وترك مرميا ثلاثة أيام بلياليها .

رمضان

غرته (٥ يناير ١٨٠٢ م) :

لم يعمل فيه شنك الرؤيا على العادة ، خوفا من عربدة العساكر . والمحتسب كان غائبا ، فركب كتخداه بدلا عنه بموكبه فقط . ولم يركب معه مشايخ الحرف فذهب الى المحكمة ، وثبت الهلال تلك الليلة . ونودى بالصوم من الغد .

وفيه : أمر الوزير محمد باشا العربى بالسفر الى البلاد الشامية فبرز خيامه الى خارج باب النصر ، وخرج هو فى ثالثه وسافر وأشيع سفر الوزير أيضا . وذلك بعد أن حضرت أجوبة من الباب الأعلى .

٣ منه (٧ يناير ١٨٠٢ م) :

ارتحل محمد باشا المذكور .

٥ منه (٩ يناير ١٨٠٢ م)

انتقل رئيس أفندى من بيت الألفى وسكن فى بيت اسماعيل بيك ، وشرعوا فى تعميره واصلاحه لسكن والى مصر .

١٢ منه (١٦ يناير ١٨٠٢ م)

وصل محمد باشا والى مصر الى شلقان .

١٣ منه (١٧ يناير ١٨٠٢ م) :

ضربت عدة مدافع من الجيزة صباحاً ومساء . فقتل اله حضر ستة قناصل الى الجيزة .

١٥ منه (١٩ يناير ١٨٠٢ م) :

حضر القناصل المذكورون الى بيت الوزير وقابلوه . فخلع عليهم خلعا ، ورجعوا الى أماكنهم بالجيزة .

وفى ذلك اليوم : وصل محمد باشا والى مصر الى جهة بولاق ، ونصب وطاقه بالقرب من المكان المعروف بالحلى . ثم انتقل الى جهة قبة النصر .

١٧ منه (٢١ يناير ١٨٠٢ م) :

وصل الى المدينة من باب النصر فى موكبه وطوائفه ، على غير الهيئة المعتادة ، ولم يلبس الطلخان تأدبا مع الوزير ، لحصوله بمصر . فتوجه الى بيت الوزير وأفطر معه .

وفى تلك الليلة : عزل خليل أفندى الرجائى من دفتردارية الدولة ، وقلد عوضه حسن أفندى باش محاسب . وسببه : أن الوزير طلب خلعا ليخلعها على والى مصر ، وقناصل الانكليز ، فتأخر حضورها . فحنق وسأل عن سبب تأخير المطلوب . فقال الرسول : « ان الخازندار قال : حتى أستأذن الدفترداز » . فحنق الوزير ، وأمر بحبس الخازندار ، وعزل الدفتردار . وهرب السفير الذى كان بينهما !

وفيه : انتقل الأمراء المصرلية المرادية من الجيزة الى جزيرة الذهب ، ونصبوا وطاقهم بها . وأرسلوا ما كان عندهم من الحريم الى دورهم بمصر .

واستمر ابراهيم بيك وعثمان بيك الحسينى ومحمد بيك المبدول وقاسم بيك أبو سيف بالجيزة . ولم نعلم حقيقة حالهم .

ثم فى ثانى يوم ، لحق ابراهيم بيك وباقى الجماعة بالآخرين ، وخرج اليهم طلبهم ومتاعهم وأغراضهم .

١٩ منه (٢٣ يناير ١٨٠٢ م) :

ركبوا ليلا بأجمعهم الى الصعيد من الجهة الغربية ، وتخلف عنهم قاسم بيك أبو سيف لمرضه . وكذلك تخلف عنهم محمد أغا أغات المتفرقه وآخرون .

٢٠ منه (٢٤ يناير ١٨٠٢ م) :

نودى بالأمان على المماليك وأتباعهم ومن تخلف عنهم أو انقطع منهم ، وكذلك فى ثانى يوم .

وفيه : قلد محمد باشا والى مصر ، حسن أغا وألبسه على جرجا .

٢٨ منه (اول فبراير ١٨٠٢ م)

عزل الباشا محمد أغا المعروف بالزربة من الكتخدائية ، وهو من المصرلية ، وولاه كشوفية الغربية . وتقلد عوضه فى الكتخدائية يوسف أغا أمين الضربخانة سابقا ، وتقلد كشوفية المنوفية . وتقلد كشوفية القليوبية .

٢٩ منه (٢ فبراير ١٨٠٢ م)

ذهب يوسف أفندى الى عند والى مصر فقلده نقابة الأشراف وألبسه فروة ، بعد أن كان أهمل أمره .

وفيه : عزل أغات الانكشارية وتولى آخر عوضه من العثمانية ، ونزل المعزول الى بولاق ليسافر الى جهة الصعيد .

شوال

السبت ٣ منه (٦ فبراير ١٨٠٢ م) :

خرج جاليش الوزير الى قبة النصر ، ونودى بخروج العساكر ، ويكون آخر خروجهم يوم الاثنين . فشرعوا فى الخروج بأحمالهم ودوابهم .

الاثنين ٥ منه (٨ فبراير ١٨٠٢ م) :

خرج الوزير على حين غفلة الى قبة النصر ، وتتابع خروج الأثقال والأحمال والعساكر . وحصل منهم فى الناس عربدة وأذية ، وأخذ بعضهم من عطارين القصرين ثلاثة أرطال بن ثمنها مائة وعشرون نصف . فرمى له عشرين نصفا ، فصرخ الرجل وقال : « أعطنى حقى » . فضربه وقتله ! فأغلق الناس الحوانيت ، وانكفوا فى دورهم .

فاستمرت جميع حوانيت البلدة مغلوقة ، حتى سافرت العساكر ، وانتقلت من قبة النصر . ولازم حضرة محمد باشا والى مصر وطاهر باشا على المرور والطواف بالشوارع ... بالتبديل وثياب التخفيف ليلا ونهارا . ولولا ذلك لحصل من العسكر ما لا خير فيه .

وفيه : كتبت فرمانات ، وألصقت بالشوارع ومفارق الطرق مضمونها : بأن لا أحد يتعرض بالأذية لغيره ، وكل من كان له دعوة أو شكية فليرفع قصته الى الباشا . وكل انسان يمشى فى زيه وقانونه القديم ، ويلازموا على الصلوات بالجماعة فى المساجد ، ويوقدوا قناديل ليلا على البيوت والمساجد والوكائل والخانات التى بالشوارع ، ولا يمر أحد من العسكر من بعد الغروب . والذى يمشى بعد الغروب من أهل البلد ، يكون معه فانوس أو سراج ، ويبيعون ويشترون بالحق والمصلحة ولا أحد يخفى عنده أحدا من عسكر العرضى . والذى يبقى منهم بعد سفر الوزير من غير ورقة بيده ، يعاقب .

وأن القهاوى المحدثة جميعها تغلق ، ولا يفتح الا القهاوى القديمة الكبار ، ولا يبيت أحد من العسكر فى قهوة ، ولا يبيعون المسكرات ، ولا يشترونها .. الا الكفرة سرا . وأمثال ذلك .

فانسرت القلوب بتلك الفرمانات ، واستبشروا بالعدل .

وفيه : خرجت عساكر وسافرت الى جهة قبلى ، وعدتهم ستة آلاف . وذلك بسبب الأمراء المصرلية الهربانين ، وقرر لهم بأن من أتى برأس صنجق فله ألف دينار ، أو كاشف فله ثلثمائة ، أو جندى أو مملوك فله مائة .

السبت ١٠ (١٣ فبراير ١٨٠٢ م) :

ركب الوزير من قبة النصر ، وارتحل العرضى الى الخانكة . وعند ركوبه حضر اليه السيد عمر أفندى النقيب وبعض المتعممين لوداعه ، فأعطاهم صررا ، وقرءوا له الفاتحة ، وركب . وخرج أيضا فى ذلك اليوم بقية المشايخ وذهبوا الى الخانكاه أيضا ، وودعوه ورجعوا .

الاثنين ١٢ منه (١٥ فبراير ١٨٠٢ م) :

أحضر الباشا محمد أغا الوالى وسليم أغا المحتسب ، وأمر برمى رقابهما . فقطعوا رأس الوالى تحت بيت الباشا على الجسر ، والمحتسب عند باب الهواء . وختم على دورهما فى تلك الساعة . وشاع خبر ذلك فى البلد . فارتاع الناس لذلك واستعظموه ، وداخل الخوف أهل الحرف مثل : الجزارين والخبازين وغيرهم وعلقوا اللحم الكثير بحوانيتهم ، وباعوه بتسعة أنصاف . بعد أن كانوا يبيعونه بأحد عشر ... مع قلته واحتكاره ! وكانوا نبهوا عليهم قبل ذلك ، فلم يستمعوا .

الثلاثاء ١٣ منه (١٦ فبراير ١٨٠٢ م)

فى صبحه : قلد على أغا الشعراوى الزعامة عوضا عن محمد أغا المقتول ، وزين الفقار كتخدا أمين احتساب عوضا عن سليم أغا أرنؤود المقتول أيضا .

واجتمعوا ببيت القاضى ، وحضر أرباب الحرف ، وعملوا قائمة تسعيرة لجميع المبيعات من المأكولات

وغيرها. فعملوا اللحم الضانى بثمانية أنصاف ، والماعز بسبعة ، والجاموسى بستة . وألا يباع فيه شيء من السقط مثل : الكبدة والقلب وغير ذلك .

والسمن المسلى بمائة وثمانين نصفا العشرة أرطال ، بعد أن كانت بثلثمائة وأربعين . والزبد العشرة بمائة وستين بعد أن كانت بمائتين وأربعين . وجميع الخضراوات تباع بالرطل حتى الفجل والليمون . والجبن الذى بخيره بثلاثة أنصاف ، بعد عشرة . والخبز رطل بنصف فضة .. وكذلك جميع الأشياء العطرية والأقمشة : العشرة أحد عشر . والراوية الماء بعشرة أنصاف ، بعد عشرين . وغير ذلك .

ورسموا بأن الرطل فى الأوزان مطلقا يكون قبانى اثنى عشر وقية . وأبطلوا الرطل الزياتى الذى يوزن به الأدهان والأجبان والخضراوات ، وهو أربع عشرة وقية ... فلم يستمر من هذه الأوامر بعد ذلك سوى نقص الأرطال !

ولما برزت هذه الرسوم ، هرع الناس لشراء اللحم والمأكولات حتى فرغ الخبز من الأفران .

وشق المحتسب ، فقبض على جماعة من الخبازين ، وخزم آنافهم ، وعلق فيها الخبز ... وكذلك الجزارون خزمهم وعلق فى أنافهم اللحم !

وأكثر حضرة الباشا وعظماء أتباعه من التجسس وتبديل الشكل والملبوس ، والمرور والمشى فى الأزقة والأسواق حتى أخافوا الناس .

وانكف العسكر عن الأذية ، ولزموا الأدب . ومشى كل أحد فى طريقته وأدبه . ومشت النساء كعادتهن فى الأسواق لقضاء أشغالهن . فلم يتعرض لهن أحد من العسكر ، كما كانوا يفعلون .

الخميس ١٥ منه (١٨ فبراير ١٨٠٢ م) :

ارتحل الوزير من بلبيس .

السبت ١٧ منه (٢٠ فبراير ١٨٠٢ م) :

سافر خليل أفندى الرجائى الدفتردار المعزول فى البحر من طريق دمياط . وانتقل شريف أفندى الدفتردار الى الدار التى كان بها الأول ، وهى دار البارودى بباب الخرق .

الاثنين ١٩ منه (٢٢ فبراير ١٨٠٢ م) :

كان موكب أمير الحج عثمان بيك ، وصحبته المحمل على العادة . وخرج فى أبهة ورونق ، وانسرت القلوب فى ذلك اليوم الى لقائه ، ونجز له جميع اللوازم مثل : الصرة وعوائد العربان ، وغير ذلك .

وكان المتقيد بتشهيل ذلك ، وبجميع اللوازم ... حضرة شريف محمد أفندى الدفتردار .

الثلاثاء ٢٧ منه (٢ مارس ١٨٠٢ م) :

شنقوا ثلاثة أنفار فى جهات مختلفة ، تزيوا بزى العسكر ، يقال انهم من الفرنسيس ، افتقدوهم من العسكر المتوجه الى الحج .

وفى ذلك اليوم : عمل حضره الباشا ديوانا ، وأرسل الجاويشية الى جميع المشايخ والعلماء ، وخلع عليهم خلعا سنية زيادة على العادة ... أكثر من سبعين خلعة ، وكذلك على الوجاقلية والأفندية . وجبر خاطر الجميع .

وكانت العادة فى هذا التلبيس أن يكون عند قدومه . والسبب فى تأخيره لهذا الوقت تعويق حضور المراكب التى بها تلك الخلع .

الخميس ٢٩ منه (٤ مارس ١٨٠٢ م) :

انتقل أمير الحج بالركب من الحصوة الى البركة .

وفيه : ركب حضرة محمد باشا الى الامام الشافعى .. فزاره ، وأنعم على الخدمة بستين ألف

فضة ، وألبسهم خلعا ، وفرق دنانير ودراهم كثيرة في غير محلها .

وكذلك يوم الجمعة : ركب وتوجه الى المشهد الحسيني . فصلى الجمعة ، وخلع على الامام الراتب ، والخطيب وكبير الخدمة فراوى . وفرق دراهم كثيرة في طريقه ، ورجع من ناحية الجمالية . وكان في موكب جليل على الغاية .

وفيه : أمر المشار اليه بنصب عدة مشانق عند أبواب المدينة برسم الباعة والمتسببين والخبازين وغيرهم . وأكثر أرباب الدرك من المرور والتجسس والتخويف . وعلقوا عدة أناس من الباعة على حوانيتهم وخزموهم من آنافهم ! فرخص السعر ، وكثرت البضائع والمأكولات ، وحصل الأمن في الطرق ، وانكفت العربان وقطاع الطريق . فحضرت الفلاحون من البلاد ، وكثر السمن والجبن والأغنام ، وكبر العيش وكثر وجوده ، وانحط سعر السمن عن التسعيرة عشرين نصفا لكثرته ... ولله الحمد !

وهاب الناس هذا الباشا وخافوه ، وصاروا يترنمون به في البلاد والأرياف ، ويغنون بذكره حتى الصبيان في الأسواق ويقولون : « سيدى .. يا محمد باشا .. يا صاحب الذهب الأصفر ! ! » وغير ذلك .

وكان في مبتدأ أمره يظنه الظمآن ماء !

ذو القعدة

غرته (٥ مارس ١٨٠٢ م) :

نهبت العربان قافلة التجار الواصلة من السويس .

وفيه : حضر السيد أحمد الزرو الخليلي التاجر بوكالة الصابون بديوان الباشا وتداعى على جماعة من التجار ، وثبت له عليهم عشرة آلاف ريال . فأمر الباشا بسجنهم .

٤ منه (٨ مارس ١٨٠٢ م) :

حضر السيد أحمد المذكور الى بيت الباشا ، فأمر بقتله . فقبض عليه جماعة من العسكر ، وقطعوا رأسه عند المشنقة — حيث قنطرة المغربي — على قارعة الطريق . وختموا على موجوده ، وأخذ الباشا ما ثبت له على المحبوسين .

والسبب في ذلك أن بعضهم وشى الى الباشا ، أنه كان يحب الفرنسيس ويميل اليهم ويسالمهم ، وعند خروجهم هرب الى الطور خوفا من العثمانية ، ثم حضر بأمان من الوزير .

٥ منه (٩ مارس ١٨٠٢ م) :

أحضر الباشا محمد أغا المعروف بالوسيع — أغات المغاربة — وأمر بقتله . فقطعوا رأسه على الجسر ببركة الأزبكية قبالة بيت الباشا ، لأمور نقمها عليه . وكتبت في ورقة وضعت عند رأسه .

٦ منه (١٠ مارس ١٨٠٢ م) :

توفي قاسم بيك أبو سيف على فراشه .

٨ منه (١٢ مارس ١٨٠٢ م) :

حضر المشار اليه (١) الى الجامع الأزهر بالموكب . فصلى به الجمعة ، وخلع على الخطيب فروة سمور ، وفرق ونثر دراهم ودنانير على الناس في ذهابه وايابه .

وتقيد قبي كتخداه ، واسماعيل أفندي شقبون بتوزيع دراهم على الطلبة والمجاورين بالأروقة والعميان والفقراء . ففرقوا فيهم نحو خمسة أكياس .

وفيه : عمل الشيخ عبد الله الشرقاوي وليمة لزواج ابنه . ودعا حضرة المشار اليه فحضر في يوم الأحد ، وحضر أيضا شريف أفندي وعثمان كتخدا الدولة . فتغدوا عنده ، وأنعم على ولد الشيخ بخمسة أكياس رومية ، وألبسه فروة سمور ؛

(١) يقصد الباشا العثماني .



الطلبة وقت الدرس

وفرق على الخدم والفراشين والقراء دنانير ودراهم بكثرة . وكذلك دفع عثمان كتخدا وشريف أفندى كل واحد منهم كيسا . وانصرفوا .

في منتصفه (١٩ مارس ١٨٠٢ م) :

وردت الأخبار من الجهة البحرية بضياع نحو الخمسين مركبا ، حلت مراسيها من ثغر سكندرية ، مشحونة بمتاجر وبضائع . وكانت معوقة بكرتيلة الانكليز ، فلما أذنوا لهم بالسراح فما صدقوا بذلك . فصادفتهم فرتونة خرجت عليهم ، فضاعوا بأجمعهم .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم !

وفيه : طلب الباشا المشايخ ، وتكلم معهم في شأن الشيخ خليل البكرى وعزله عن وظيفته ، وسأل رأيهم في ذلك . فقالوا له : « الرأى لحضرتكم » . فقال : « ان الشيخ خليل البكرى لا يصلح لسجادة الصديق ، وأريد عزله عنها من غير ضرر عليه ، بل أعطيه اقطاعا لنفقته والقصد أن تروا رأيكم فيمن يصلح لذلك ، ومن يستحق » . فطلبوا المهلة الى غد ، وانحط الرأى ، بعد اختلاف كبير ، على تقليد ذلك لمحمد سعد من أولاد جلال الدين .

فلما حضروا في اليوم الثاني ، أخبروه بذلك ، وأنه يستحقها الا أنه فقير . فقال : « ان الفقر ليس بعيب » . فأحضروه ، وألبسه فروة سمور ، وأركبه فرسا بعباءة مزركشة ، وأنعم عليه بثمانين ألف درهم . وكان من الفقراء المحتاجين للدرهم الفرد !

ولما ذهب للسلام على الشيخ السادات خلع أيضا فروة سمور عليه .

٢٤ منه (٢٨ مارس ١٨٠٢ م) :

توفى الى رحمة الله الشيخ مصطفى الصاوى الشافعى ، وكان عالما نجيبا ، وشاعرا لبيبا . وقد ناهز الستين .

وفيه : جهزت عدة من العسكر الى قبلى .

وفيه : نودى بأن خراج الفدان مائة وعشرون نصفا ، وكذلك نودى برفع عوائد القاضى والأفندى التى كانت تؤخذ على اثبات الجامكية والجراية ، والرفق بعوائد تقاسيط الالتزام والاقطاع . وكتبوا بذلك أوراقا وألصقت بالأسواق ، وفى آخرها « لا ظلم اليوم » (أى مما تقرر الا قبل اليوم) . فان الفدان بلغ في بعض القرى بمصاريفه ومغارمه أربعةآلاف نصف فضة . وأما بدعة القاضى وعوائد التقاسيط فزادت عن أيام الوزير . وزاد على ذلك اهمال الأوراق ببيت الباشا لأجل العلامة شهرين وأربعة ، حتى يسأم صاحبها وتحفى أقدامه من كثرة الذهاب والمجيء ، ومقاساة الذل من الخدم والأتباع ، ودفع البقشيش والرشوة على التعجيل ، أو يتركها . وربما ضاعت بعد طول المدة ، فيحتاج الى استئناف العمل !

ذو الحجة

الاربعاء ٤ منه (٧ ابريل ١٨٠٢ م) :

حضر خمسة أشخاص من الكشاف القبالى - من أتباع ابراهيم بيك الوالى — الى مصر بأمان . فقابلوا حضرة والى مصر ، وأنعم عليهم بالبسهم خلعا .

وفيه : أنعم على خدامهم .

وفيه : عمل الانكليز كرنتيلة بالجيزة ، ومنعوا من يدخلها ومن يخرج منها وذلك لتوهم وقوع الطاعون ، وورود الأخبار بكثرته فى جهة قبلى وبعض البلاد البحرية ، وأما المدينة ففيها بعض تنفير .

الاثنين ٩ منه (١٢ ابريل ١٨٠٢ م) :

كان يوم الوقوف بعرفة ، وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع ، وحضرت أغنام وعجول كثيرة للاضحية حتى امتلأت منها الطرقات ، وازدحمت الناس وأفراد العسكر على الشراء ، وغيمت السماء فى ذلك اليوم ، وأمطرت مطرا كثيرا حتى توحلت الأزقة .

ونودى بفتح الحوانيت والقهاوى والمزينين ليلا ، واظهار الفرح والسرور ، واظهار بهجة العيد . واستمر ضرب المدافع فى الأوقات الخمسة .

ونودى أيضا بالمواظبة على الاجتماع للصلوات فى المساجد ، وحضور الجمعة من قبل الصلاة بنصف ساعة . وأن يسقوا العطاش من الأسبلة ولا يبيعوا ماءها .

وأشيع سفر الانكليز ، وسفر عثمان كتخدا الدولة ، وتشهيل الخزينة .



اطلاق المدافع فى الاعياد

الاحد ١٥ منه (١٨ ابريل ١٨٠٢ م) :

حضر قاصد من الديار الرومية بمكاتبات وتقرير نقابة الأشراف للسيد عمر ، وعزل يوسف أفندى .

وفى صبحها ركب السيد عمر المذكور ، وتوجه الى عند الباشا ، فألبسه خلعة سمور ثم حضر الى عند الدفتردار كذلك . وكانت مدة ولاية يوسف أفندى المعزول شهرين ونصفا

الاربعاء ١٨ منه (٢١ ابريل ١٨٠٢ م) :

خرج احمد أغا خورشيد أمير الاسكندرية الى بولاق ، قاصدا السفر الى منصبه . وركب الباشا لوداعه فى عصريته . وضربوا عدة مدافع من بولاق وبر انبابة

ونودى فى ذلك اليوم بأن لا أحد يوارى أحدا من الانكليز أو يحبيه ، وكل من فعل ذلك عوقب .

الاربعاء ٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٨٠٢ م) :

قبضوا على امرأة سرقت أمتعة من حمام ، وشنقوها عند باب زويلة .

* * *

وانقضت هذه السنة ، وما تجدد بها من الحوادث التى من جملتها :

أن شريف أفندى الدفتردار أحدث على « الرزق الأحباسية» المرصدة على الخيرات والمساجد وغيرها « مال حماية » : على كل فدان عشرة أنصاف فضة وأقل وأكثر فى جميع الأراضى المصرية القبلية والبحرية . وجرروا بذلك دفاتر فكل من كان تحت يده شيء من ذلك قل أو كثر ، يكتب له عرضحال ويذهب به الى ديوان الدفتردار ، فيعلم عليـه علامته ، وهى قوله : « قيـد » ، بمعنى أنه يطلب قيوده من محله التى تثبت دعواه . ثم يذهب بذلك العرضحال الى كاتب الرزق ، فيكشف عليها فى الدفاتر المختصـة بالاقليم الذى فيه الأرصـاد بموجب الاذن بتلك العلامة ، فيكتب له ذلك تحتها بعد أن يأخذ منه دراهم ، ويطيب خاطره ... بحسب كثرة الطين وقلته وحال الطالب ، ويكتب تحته علامته فيرجع به الى الدفتردار ، فيكتب تحته علامة غير الأولى فيذهب به الى كاتب الميرى فيطالبه حينئذ بسنداته وحجج تصرفه ، ومن أين وصل اليه ذلك فان سهلت عليه الدنيا ، ودفع له ما أرضاه ، كتب له تحت ذلك عبارة بالتركى لثبوت ذلك ، والا تعنت عـلى الطـالب بضروب من العلل ، وكلفه بثبوت كل دقيقة براها فى سنداته ، وعطل شغله فما سع ذلك الشخص الا بذل همته فى تتميم غرضه بأى وجه كان ... اما أن يستدين أو يبيع ثيـابه ، ويدفع مالزمه فان ترك ذلك وأهمله — بعد اطلاعهم عليه — حلوه عنه ورفعوه وكتبوه لمن يدفع حلوانه ثلاث سنوات أو أكثر ، وكتبوا له سندا جديدا يكون هو المعول عليه بعـد ، ويقيد بالدفاتر ويبطل اسم الأول وما بيده من الوقفيات والحجج والافراجات القديمة ولو كانت عن أسلافه !

ثم يرجع كذلك الى الدفتردار ، فيكتب له علامة لكتابة الاعلام . فيذهب به الى الاعلامجى . فيكتب له عبارة أيضا فى معنى ما تقدم ، ويختم تحتها بختم كبير فيه اسم الدفتردار ، ويأخذ على ذلك دراهم أيضا . وبعد ذلك يرجع الى الدفتردار فيقرر مايقرره عليها من المال الذى يقال له « مال الحماية » . ثم يذهب بها الى بيت الباشا ليصحح عليها بعلامته . ويطول عند ذلك انتظـاره لذلك . ويتفق اهمالها الشهرين والثلاثة عند الفرمانجى . وصاحبها يغدو ويروح فى كل يوم .. حتى تحفى قدماه ، ولا يسهل به تركها بعد ما قاساه من التعب وصرفه من الدارهم فاذا تمت علامتها .. دفع أيضا المعتاد الذى على ذلك ، ورجع بها الى بيت الدفتردار .. فعند ذلك يطلبون منه ما تقرر علها ، فيدفعه عن تلك السنة ، ثم يكتبون له سندا جديدا ، ويطالب بمصروفه أيضـا — وهـو شيء له صـورة أيضـا — فلا يجـد بدا من دفعـه . ولا يزال كذلك .. يغدو ويروح مدة أيام . حتى يتم له المراد !

ومنها المعروف بـ « الجامكية » و « مرتبات الغلال » بالأنبار وذلك أن من جملة الأسباب فى رواج حال أهل مصر المتوسطين وغنـاهم ، ومدار حال معاشهم وايرادهم فى السابق هذان الشيئان . وهما « الجامكية » و « الغلال » التى يقـال لها « الجرايات » ... رتبها الملوك السالفة من الأموال الميرية للعسـاكر المنتسـبة للوجاقات ، والمرابطين بالقلاع الكائنة حوالى الاقليم ومنها ماهو للأيتام والمشايخ والمتقاعدين ونحوهم .

وكانت من أروج الايراد لأهل مصر ، وخصوصا أهل الطبقة الذين ليس لهم اقطاع ولازراعات ولا تجارات ، كأهل العلم ومساتير أولاد البلد والأرامل ونحوهم وثبت وتقرر ايرادها وصرفهـا فى كل ثلاثة أشهر من أول القرن العاشر الى أواخر الثانى عشر . بحيث تقرر فى الأذهان عدم إختلالها أصلا

ولما صارت بهذه المثابة ، تناقلوها بالبيع والشراء والفراغ ، وتغالوا فى أثمانهـا ، ورغبوا فيها ... وخصوصا لسلامتها من عوارض الهدم والبناء كما فى العقار ، وأوقفوها وأرصدوها ، ورتبوها على جهات الخيرات والصهاريج والمكاتب ومصـالح المساجد ونفقات أهل الحرمين وأهل بيت المقدس . وأفتى العلماء بصحة وقفها لعلة عدم تطرق الخلل .

فلما اختلت الأحوال ، وحدثت الفتن ، وطمع الحكام والولاة فى الأموال الميرية ... ضعف شأنها ، ورخص سعرها ، وانحط قدرها ، وافتقر أربابها . ولم تزل فى الانحطاط والتسفل ، حتى بيع الأصل والايراد بالغبن الفاحش جدا ، وتعطل بسبب ذلك متعلقاتها ولم يزل حالها فى اضطراب الى أن وصل هؤلاء القادمون ، وجلس شريف أفندى الدفتردار المذكور ، ورأى النـاس فيـه مخايل الخـير لما شاهدوه فيه من البشاشة واظهار الرفق والمكارم... عرض الناس عليه شأن العلوفة المذكورة والغلال . فلم يمـانع فى ذلك . وكتب الاذن على الأوراق كعادته ، وذهب بها أربابها الى ديوان الكتبة ، وكبيرهم يسمى حسن أفنـدى باش محاسب — وهو من العثمانيين — عارض فى حسابها وقال : « أن العثمانى اسم لواحد الاقچة . وصرفه عندنا بالروم كل ثلاث أقچات بنصف فضة . ومافى دفاتركم يزيد فى الحساب الثلث ! » . فعورض وقيـل له : « ان الأقچة المصرى ، كل أثنين بنصف ، بخـلاف اصطلاح الروم ، وهذا أمر تداولنا عليه من قديم الزمان » . ولم يزل حتى فقد ذلك المشروع ومشوا على فقد الثلاث ، ورضى الناس بذلك لظنهم رواج الباقى.. وعند استقرار الأمر بذلك أخذوا يتعنتون على الناس فى الثبوت . وقد كان الناس اصطلحوا فى أكثرها ، عند فراغها ، على عدم تغيير الأسماء التى رقمت بها ، وخصوصا بعد ضعفها ... فيبيعها البائع ويأخذها المشترى بتمسك البيع فقط . ويترك سند الأصل بما فيه من الاسم القديم عنده ، أو تكون باسم الشخص ويموت وتبقى عند أولاده . فجعلوا معظمها بهذه الصورة ، وأخذوه لأنفسهم ، وأعطوا منهم لأغراضـهم بعـد رفع الثلث الأصل ، وثلث الايراد . وضاعت على أربابها مع كونهم فقراء !

وكذلك فعـلوا فى أوراق الغلال ، وجعلوها بدراهم ... عن كل اردب خمسون نصفا : غلا أو رخص . وزادوا فى القيـود التى تـكتب عـلى العرضحالات المصطلحين عليها ... بأن يكتب عليها أيضا قاضى العسكر — بعد حسـابهم — مقدار العلوفة والغلال ، ويأخذ على كل عثمانى نصفين أو أقل أو أكثر ، وعلى كل اردب قرشا روميا . وكل ذلك حيلة على أخذ المال بطريق شيطانى !

وحرروا ما حرروه ، ودفعوا للنـاس ما دفعوه مقسـطا على الجمع والشـهور . ورضوا بذلك وفرحوا به ، لظنهم دوامه ، واستعوضوا الله فيما ذهب لهم ! وختموا الدفتر على مقدار ما عرض عليهم .. وما ظهر بعد ذلك لايعمل به ويذهب فى المحلول .

ولما انقضت هذه السنة الأخرى ، وافتتح الناس الطلب . قيل لهم : « ان الذى أخذتموه ، هو عن السنة القابلة . وقد قبضتموها معجلة ! » .

وعزل شريف أفندى الدفتردار فى أثرها . ووصل خليل افندى الرجائى ، واضطربت الأحوال ، ولم ينفع القيل والقال .. كما يأتى .

ممن مات فى هذه السنة :

الشيخ العمدة الامام ، خاتمة العلماء الأعلام ، ومسك ختام الجهابذة ذوى الافهام ، ومن افتخر به عصره على الأعصار ، وصاح بلبل فصاحته فى الأمصار . يتيمة الدهر ، وشامة وجه أهل العصر ، العالم المحقق ، والنحرير المدقق ، بديع الزمان ، والتاج المرصع على رؤوس الأقران ، الناظم الناثر ، الفصيح الباهر : الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوى .

وسمى بالصاوى نسبة الى بلدته « صوة » بشرقية بلبيس والنسبة اليها على غير قياس .

دخل الأزهر ، واشتغل بالقراءة ، فحفظ القرآن والمتون ، واشتغل بالعلم ، ومهر وأنجب ، وأقرأ الدروس ، وختم الختوم ، وشهد له الفضلاء .

وكان لطيف الذات ، مليح الصفات ، رقيق حواشى الطبع ، مشارا اليه فى الأفراد والجمع ، مهذب الأخلاق ، جميل الأعراق . اللطف حشو اهابه ، والفضل لايلبس غير جلبابه .

ومن نثره ما كتبه تقريظا على المؤلف الذى ألفه الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى ، الذى ضاهى به عنوان الشرف للعلامة السيوطى ، قوله :

« حمدا لمولى يضيق لطاق المنطق عن شكره ، ويعجز لسان اللسن عن الافصاح بذكره ، يدنى لب الموحد الى فهم مقامات التوحيد ، ويعرفه سبل التهجد والتحميد ، ويسعده بنهاية الوصول الى مقاصد فقه الأصول ... وصلاة وسلاما على المحمود بأكمل ثناء ، الممدوح بأجمل ضياء وسناء ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ماألف كتاب ، وكللت تيجان الربى بلآلىء السحاب .

« أما بعد ، فقد سرحت طرفى فى رياض هذا التأليف الرائق ، وفرحت بصرى بالمشاهدة لمحاسن هذا التصنيف الفائق . واقتطفت بيدى ثمرات أوراقه ، واستضأت بأنوار اشراقه . وحليت سمعى بدرر فوائده ، وفكرى بغرر عوائده . وعرضت على فهمى لآلىء جواهره ، فلاحت لعينى بدوز زواهره ... فاذا هو عقد نظم من درر العلوم ، وتحلت به غوانى الفهوم : رشيق الألفاظ والمعانى ، رقيق التراكيب والمبانى . لم ينسج ناسج على منواله ، ولم يأت بليغ بمثاله . قد أفحم فصحاء الرجال ، وألقت له البلغاء العصى والجبال . وأعجز الفصحاء كبيرا وصغيرا ، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . يفوق بحسنه كل مؤلف ، ويروق برونقه على كل مصنف . جمع فيه من العلوم أشرفها وأشرقها ، ومن المعارف أرقها وأروقها . فهو مجموع جامع مانع ، وروض يانع يانع . فلا شك أنه صنعة قادر . وصنعة لبيب ماهر .

« وكيف لا ... وهو العلامة الامام ، والفهامة الهمام . المحقق الفاضل ، المدقق الكامل . جامع شمل المعارف ، حائز ألوان اللطائف . وحيد الكمالات اللدنية ، وفريد المحاسن الخلقية والحلقية : مولانا الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى ... قابل الله صنيعه بحسن القبول ، وبلغه من خير الدارين كل مأمول . وأدام الكريم النفع بوجوده ، وأقام لديه جزيل احسانه وجوده ... ماكرت الليالى ومرت

الأيام ، وقطر غيث الغمام . والحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده » .

ومن نثره أيضاهذه المراسلة : « بسم الله الرحمن الرحيم . نحمدك يامن أجريت المقادير على وفق الارادة ، وجعلت المطالب سببا للافادة والاستفادة ، ونشكرك على ما أوليتنا من سوابغ الاحسان ، ومنحتنا من سوابق الفضل والامتنان ، ونصلى ونسلم على نبيك سيد ولد عدنان .. الى آخره » .

من اهدائه : « .. لحضرة ذوى المهابة والفخار ، والعلو والاقتدار ، الجامعين بين المتاجر والمفاخر ، الحائزين لجمال الأول والآخر ، القاطنين بخير البلاد ، القائمين بمصالح العباد ... مصابيح الدنيا وبهجتها ، وكواكب البلاد وتحفتها ، حماة حرم يجبى اليه الثمرات ، وزينة محل تقضى به الحاجات ، عين أعيان المكاسب والتجارة ، وزين أبناء المطالب والاشارة ، نعنى بذلك فلانا وفلانا . أسبغ الله عليهم سوابغ الانعام ، وأسبل عليهم حلل الجود والاكرام ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلغهم الأمانى والآمال ، وبسط لهم الأرزاق ، وحباهم بلطفه الخلاق .

« أما بعد بسط كف الرجاء، ومد سواعد القصد والالتجاء بدعوات مقرونة بالانابة ، ليس لها حاجب عن أبواب الاجابة . فمما يعرض عليكم ، وينهى بعد السلام اليكم ... أنه قد وصل الينا رقيمكم المكنون ، المحتوى على الدر المصون فشممنا منه نفحات مكية حرمية ، ونسيمات سحرية بهية . فتعطرنا بطيب مسكها الأذفر ، وتطيبنا بعبير عنبرها الأزهر . وذكرتم أنكم بذلتم المجهود ، فى طلب المقصود ... الخ » .

وله غير ذلك كثير ، وحاله وفضله شهير . ولم يزل يملى ويفيد ، ويكرر ويعيد . حتى قطفت يد الأجل نواره ، وأطفأت رياح المنية أنواره .

وذلك يوم الاثنين رابع عشرين شهر القعدة من السنة .

ورثاه الشيخ اسماعيل الزرقانى بقوله :

تداولت الأيام بالعسر واليسر
وتلك شئون الحق فى مطلق الدهر

فكيف أرى قلبى على فقد الفه
حزينا ... ودمع العين — من فيضه — يجرى ؟

فقال : لنا فى سيد الخلق أسوة
فقد دمعت عيناه حزنا كما تدرى

وهذا الذى أمسى حليف ضريحه
الى فضله تصبو الأنام مدى العمر

امام له فضل الرواية والحجا :
فمن نقله يملى ، ومن عقله يقرى

قوى فهمه ، صارت بنور معيدها
ترى من مبادى الحال عاقبة الأمر

عتبت على الأيام فى نثر عقدها
وقد غاب من أثنائه معدن الدر

فقالت : وما لى ... ذاك حبر موفق
أحب لقاء الله ... أسرع للأجر !

تلقته أملاك النعيم تحفه
وتنقله من ورد نهر الى قصر

الى أن يرى وجه العزيز مكانه
ويبقى حميدا فى الترقى مع البشر

بمقعد صدق صار عند مليكه
فيا مصطفاه ، فزت مرتفع القدر

* * *

ومات الأمير عثمان بيك الأشقر الابراهيمى — وهو من مماليك ابراهيم بيك الكبير — وعرف بالأشقر لشقرته .

وكان قتل مع من قتل بأبى قير ودفن بإسكندرية. وكان ذاحشمة وسكون، وحسن عشرة مع مافيه من الشح.



ومات الأمير عثمان بيك الجوخدار المعروف بالطنبرجي المرادى — وهو من مماليك مراد بيك.

وكان أميرا لا بأس به، وجيه الشكل، عظيم اللحية، ساكن الجأش، فيه تؤدة وعقل. وسبب تلقبه بالطنبرجي: أنه كان فى عنفوان أمره مولعا بسماع الآلات وضرب الطنبور، وربما باشر ضربه بيديه، مع الاتقان لذلك، فغلبت عليه الشهرة بذلك.



ومات الأمير مراد بيك — المعروف بالصغير — وهو من مماليك محمد بيك أبى الذهب. وكان يعرف بمراد كاشف، وله ايراد واسع ومماليك.

تقلد الامارة والصنجقية فى سنة ١٢٠٦ فزادت وجاهته. وسافر مع عثمان بيك الأشقر وأحمد بيك الحسنى مع القبوذان. وقتل كذلك بأبى قير ودفن بالاسكندرية.



ومات الأمير قاسم بيك أبو سيف — وهو مملوك عثمان بيك أبى سيف — وكان يعرف بقاسم كاشف أبى سيف. وكان له اقطاع والتزام وايراد. واشتهر ذكره فى أيام مراد بيك، وبنى له دارا بالناصرية وأنفق عليها أموالا جمة.

وكان له ملكة وفكرة فى هندسة البناء، واستأجر قطعة عظيمة من أراضى البركة الناصرية تجاه داره من وقف المولوية، وسورها بالبناء، وبنى فى داخلها قصرا مزخرفا برحبة متسعة، وقسم تلك الأرض بتقاسيم للمزارع، وحولها طرق ممهدة مستطيلة، ومجار للمياه التى تصل اليها أيام النيل، ومجار أخرى عالية مبنية بالمؤن والخافقى، من داخلها تجرى فيها المياه من السواقى ويحيط بذلك جميعه أشجار الصفصاف المتدالية القطاف! وبداخل تلك البركة المنقسمة، النخيل والأشجار، ومزارع المقاثىء والبرسيم والغلة وغيرها. يسرح فيها النظر من سائر جهاتها، وتنشرح النفوس فى أرجائها ومساحاتها. وجعل السواقى فى ناحية، تجتمع مياهها فى حوض، وبأسفله أنابيب تتدفق منها المياه الى حوض أسفل منه، وعنده مجلس ومساطب للجلوس، وتجرى منه المياه الى المجارى المخفقة المرتفعة، ومنها تنصب من مصبات من حجر الى أحواض أسفل منها ... صغار، وتجرى الى مساقى المزارع وعند كل مصب منها محل للجلوس وعليه أشجار تظله، وبوسطه أيضا ساقية بفوهتين تجرى منها المياه أيضا.

والقصر يشرف على ذلك كله، وحول رحبة القصر وطرق المشاة، كروم العنب والتكاعيب. وأباح للناس الدخول اليها، والتنزه فى رياضها، والتفسح فى غياضها، والسروح فى خلالها، والتفيؤ فى ظلالها. وسماها «حديقة الصفصاف والآس، لمن يريد الحظ والائتناس». ونقش ذلك فى لوح من الرخام وسمره فى أصل شجرة يقرأها الداخلون اليها. فأقبل الناس على الذهاب اليها للنزاهة، ووردوا عليها من كل جهة، وعملوا فيها قهاوى ومساقى ومفارش وأنخاخا بفرشنها القهوجية للعامة، وقللا وأباريق.

واجتمع بها الخاص والعام، وصار بها مغان وآلات، وغوان ومطربات، والكل يرى بعضهم بعضا. وجعل بها كراسى للجلوس، وكنيفات لقضاء الحاجة.

وجعل للقصر فرشا ومساند ولوازم ومخادع لنفسه

ولمن يأتى اليه بقصد النزاهة من أعيان الأمراء والأكابر، فيبيتون به الليالى ، ولايحتاجون لسوى الطعام ، فيأتى اليهم من دورهم .

وزاد بها الحال ، حتى امتنع من الدخول اليها أهل الحياء والحشمة !

وأنشأ تجاهها أيضا على يسار السالك الى طريق الخلاء ، بستانا آخر على خلاف وضعها .

وأخبرنى المترجم أيضا من لفظه أنه أنشأ بستانا بناحية قبلى أعجب وأغرب من ذلك .

ولما حضر حسن باشا الجزايرلى الى مصر ، وخرج منها أمراؤها .. تخلف المترجم عن مخدومه واستقر بمصر ، فقلدوه الامارة والصنجقية فى سنة احدى ومائتين وألف . فعظمت امرته ، وزادت شهرته ، وتقلد امارة الحج مرتين .

ولما أوقع العثمانية بالأمراء المصرلية ما أوقعوه ، وانفصلوا من حبس الوزير ، وانضموا الى الانكليز بالجيزة . ثم انتقلوا الى جزيرة الذهب ، وارتحلوا منها الى قبلى .. تخلف عنهم المترجم لمرض اعتراه ، وحضر الى مصر ولازم الفراش . فلم يزل حتى مات فى يوم الخميس سادس القعدة من السنة .

وكان يخضب لحيته بالسواد مدة سنين ... رحمه الله .

***

ومات ابراهيم كتخدا السنارى الأسود — وأصله من برابرة دنقلة — وكان بوابا فى مدينة المنصورة ، وفيه نباهة ، فتداخل فى الغز القاطنين هناك ، مثل الشابورى وغيره ، بكتابة الرقى وضرب الرمل ونحو ذلك ! ولبس ثيابا بيضا ، ثم تعاشر مع بعضهم ، وركب فرسا ، وانتقل الى الصعيد مع من اختلط بهم ، وتداخل فى أتباع مصطفى بيك الكبير .

ولم يزل حتى اعتشر بالأمير المذكور ، وتعلم اللغة التركية ، فاستعمله فى مراسلاته وقضاياه . فنقل فتنة ونميمة بين الأمراء ، فأراد مراد بيك قتله • فالتجأ الى حسين بيك وخدمه مدة • ثم تحيل والتجأ الى مراد بيك وعاشره وأحبه ولازمه فى الغربة والأسفار ، واشتهر ذكره ، وكثر ماله ، وصار له التزام وايراد . وبنى داره التى بالناصرية، فصرف عليها أموالا ، واشترى المماليك الحسان ، والسرارى البيض .

وتداخل فى القضايا والمهمات العظيمة ، والأمور الجسيمة ، وصار من أعظم الأعيان المشار اليهم بمصر . ونما ذكره ، وعظم شأنه ، وباشر بنفسه الأمور من غير مشورة الأمراء • فكان يحل مايعقده الأمراء الكبار .

ولما تحجب مخدومه بقصر الجيزة .. كان المترجم لسان حاله فى الأمر والنهى ، وبيده مقاليد الأشياء الكلية والجزئية ، ولا يحجب عن ملاقاة مخدومه فى أى وقت شاء . فينهى اليه ما يريد تنفيذه بحسب غرضه !

واتخذ له أتباعا وخدما يقضون القضايا ، ويسعون فى المهمات ، ويتوسطون لأرباب الحاجات ويصانعهم الناس — حتى الأكابر — ويسعون الى دورهم !

وصاروا من أرباب الوجاهات والثروات .

ولم يزل ظاهر الأمر ، نامى الذكر ، حتى وقعت الحوادث ، وسافر الفرنساوية ، ودخل العثمانية ، ورجع قبودان باشا الى أبى قير • فأرسل يطلبه فى جملة من استدعاهم اليه ، وقتل مع من قتل ، ودفن بالاسكندرية .

المحرم

فى غرته (٤ مايو ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار بحصول الصلح العمومى بين القرانات جميعا ، ورفع الحروب فيما بينهم .

وفيه : ترادفت الأخبار بأمر عبد الوهاب وظهور شأنه ، من مدة ثلاث سنوات من ناحية نجد ، ودخل فى عقيدته قبائل من العرب كثيرة ، وبث دعاته فى أقاليم الأرض . ويزعم أنه يدعو الى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ، ويأمر بترك البدع التى ارتكبها الناس ومشوا عليها ... الى غير ذلك .

وفيه : سافر عثمان ، كتخدا الدولة ، الى الديار الرومية ، ونزل الى بولاق ، وضربوا له عدة مدافع ، وأخذ صحبته الخزينة ، وسافر معه مختار أفندى بن شريف أفندى دفتردار مصر .

وفى هذه الأيام : حصلت أمطار متتابعة وغيام ورعود وبروق عدة أيام . وذلك فى أواسط نيسان الرومى .

وفى ذلك اليوم : نبهوا على الوجاقات والعساكر بالحضور من الغد الى الديوان لقبض الجامكية . فلما كان فى صبحها يوم الثلاثاء ، نصبوا صيوانا كبيرا ببركة الأزبكية ، وحضر العساكر والوجاقلية بترتيبهم ، ونزل الباشا بموكبه الى ذلك الصيوان وهو لابس على رأسه الطلخان والقفطان الأطلس — وهو شعار الوزارة — ووضعوا الأكياس وخطفوها على العادة القديمة ، فكان وقتا مشهودا .

٩ منه (١٢ مايو ١٨٠٢ م) :

حضر كبير الانكليز من الاسكندرية ، ونصبوا وطاقهم ببر انبابة .

١٠ منه (١٣ مايو ١٨٠٢ م) :

عدى كبير الانكليز ومعه عدة من أكابرهم . فتهيأ لملاقاته الباشا ، واصطفت العساكر عند بيت الباشا ، ووصل الانكليز الى الأزبكية ، وطلعوا الى عند الباشا وقابلوه . فخلع عليهم وقدم لهم خيلا وهدية . ثم نزلوا وركبوا ورجعوا الى وطاقهم ، وعند ركوبهم ضربوا لهم عدة مدافع ، فلم يعجب الباشا ضربها ، فأمر بحبس الطبجية لكونهم لم يضربوها على نسق واحد !

وفيه : وردت الأخبار بأن الانكليز أخلوا القلاع بالاسكندرية ، وسلموها لأحمد بيك خورشيد ... وذلك يوم الاثنين ثامنه . وأبطلوا الكرنتيلة أيضا ، وحصل الفرج للناس ، وانطلق سبيل المسافرين برا وبحرا ، وأخذ الباشا فى الاهتمام بتشهيل الانكليز المسافرين الى السويس والقصير ، وما يحتاجون اليه من الجمال والأدوات وجميع مايلزم . ولما حضر الانكليز الى عند الباشا ، دعوه الى الحضور الى عندهم . فوعدهم على يوم الجمعة .

١٣ منه (١٦ مايو ١٨٠٢ م) :

ركب الباشا وصحبته طاهر باشا ، فى نحو الخمسين ، وعدى الى الجيزة بعد الظهر . ووقفت عساكر الانكليز صفوفا ، رجالا وركبانا ، وبأيديهم البنادق والسيوف ، وأظهروا زينتهم وأبهتهم

ـ وذلك عندهم من التعظيم للقادم ـ فنزل الباشا ودخل القصر ، فوجدهم كذلك صفوفا بدهليز القصر ومحل الجلوس . فجلس عندهم ساعة زمانية ، وأهدوا له هدايا وتقادم . وعند قيامه ورجوعه ، ضربوا له عدة مدافع على قدر ما ضرب لهم هو عند حضورهم اليه .

فلقد أخبرنى بعض خواصهم أن الباشا ضرب لهم سبعة عشر مدفعا ، ولقد عددت ما ضربه الانكليز للباشا فكان كذلك .

وأخبرنى حسين بيك وكيل قبطان باشا ـ وكان بصحبة الباشا عند ذهابه الى الانكليز ـ قال :

« كنا فى نحو الخمسين والانكليز فى نحو الخمسة آلاف .. فلو قبضوا علينا فى ذلك الوقت لملكوا الاقليم من غير ممانع .. فسبحان المنجى من المهالك ! » .

واذا تأمل العاقل فى هذه القضية يرى فيها أعظم الاعتبارات والكرامة لدين الاسلام . حيث سخر الطائفة الذين هم أعداء للملة ، هذه لدفع تلك الطائفة ومساعدة المسلمين عليهم . وذلك مصداق الحديث الشريف وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . فسبحان القادر الفعال .

واستمرت طائفة كبيرة بالاسكندرية من الانكليز ، حتى يريد الله !

وفى ذلك اليوم : سافرت الملاقاة للحجاج بالوش .

وفيه : وصلت مكاتبات من أهل القدس ويافا والخليل يشكون ظلم محمد باشا أبى مرق ، وأنه أحدث عليهم مظالم وتفاريد ، ويستغيثون برجال الدولة . وكذلك عرضوا أمرهم لأحمد باشا الجزار . وحضر الكثير من أهل غزة ويافا والخليل والرملة هروبا من المذكور .

وفى ضمن المكاتبات : أنه حفر قبور المسلمين والأشراف والشهداء بيافا ونبشهم ، ورمى عظامهم ، وشرع يبنى فى تلك الجبانة سورا يتحصن به ، وأذن للنصارى ببناء دير عظيم لهم ، ومكنهم أيضا من مغارة السيدة مريم بالقدس ، وأخذ منهم مالا عظيما على ذلك . وفعل من أمثال هذه الفعال أشياء كثيرة !

وفيه : حضر جماعة من العسكر القبالى ، وصحبتهم أربعة رؤوس من المصرلية ، وفيهم رأس على كاشف أبى دياب . وتواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانية والمصرلية ، وكانت الغلبة على العثمانية ، وقتل منهم الكثير ... وذلك عند أرمنت . ورأس عصبة المصرلية الألفى وصحبته طائفة من الفرنسيس ، وتجمع عليهم عدة من عسكر الفرنساوية والعثمانية طمعا فى بذلهم .. وأن عثمان بيك حسن انفرد عنهم وأرسل يطلب أمانا ليحضر . فأرسلوا له أمانا ، فحضر الى باشة الصعيد ، وخلع عليه فروة سمور ، وقدم له خيلا وهدية .

وفيه : ورد الخبر بموت محمد باشا طوسون والى جدة وكذلك خازنداره .

١٤ منه (١٧ مايو ١٨٠٢ م) :

شرع الانكليز المتوجهون الى جهة السويس فى تعدية البر الشرقى ، ونصبوا وطاقهم عند جزيرة بدران ، وبعضهم جهة العادلية . وذهبت طائفة منهم جهة البر الغربى متوجهين الى القصير . واستمروا يعدون عدة أيام ، ويحضر أكابرهم عند الباشا ، ويركبون فيرمون لهم مدافع حال ركوبهم الى أماكنهم .

٢٢ منه (٢٥ مايو ١٨٠٢ م) :

عدى حسين بيك وكيل القبطان الى الجيزة وتسلمها من الانكليز ، وأقام بها وسكن بالقصر .

٢٥ منه (٢٨ مايو ١٨٠٢ م) :

وصل الى ساحل بولاق أغا ، وعلى يده شالات وأوامر . وحضر أيضا عساكر رومية ، فأرسلوا عدة منهم الى الجيزة . فركب ذلك الأغا فى موكب من بولاق الى بيت الباشا . فخلع عليه وقدم له تقدمة ، وضربوا له عدة مدافع .

وفيه : حضر ططرى من ناحية قبلى بالأخبار بما حصل بين العثمانية والمصرلية ، وطلب جبخانة ولوازمها .

وفيه : وصلت الأخبار بأن أحمد باشا أرسل عسكرا الى أبى مرق من البر والبحر فأحاطوا بيافا ، وقطعوا عنهم الجالب ، واستمروا على حصاره .

وفيه : اتخذ الباشا عسكرا من طائفة «التكرور» الذين يأتون الى مصر بقصد الحج ... فعرضهم واختار منهم جملة . وطلبوا الخياطين ففصلوا لهم قناطيش قصارا من جوخ أحمر ، وألبسة من جوخ أزرق ، وصدريات ... وجميعها ضيقة مقمطة مثل ملابس الفرنسيس ، وعلى رءوسهم طراطير حمر ا وأعطوهم سلاحا وبنادق ، وأسكنوهم بقلعة الجامع الظاهرى خارج الحسينية ، وجعلوا عليهم كبيرا يركب فرسا ويلبس فروة سمور .. وجمع الباشا أيضا العبيد السود ، وأخذهم من أسيادهم بالقهر ، وجعلهم طائفة مستقلة ، وألبسهم شبه ما تقدم ، وأركبهم خيلا ، وجعلهم فرقتين : صغارا وكبارا ، واختارهم للركوب اذا خرج الى الخلاء ، وعليهم كبير يعلمهم هيئة اصطفاف الفرنسيس وكيفية أوضاعهم ، والاشارات بمرش وأردبوش ا وكذلك طلب المماليك ، وغصب ما وجده منهم .. من أسيادهم واختص بهم وألبسهم شبه لبس المماليك المصرلية ، وعمائم شبه عمائم البحرية الأروام ، ويلكات وشراويل . وأدخل فيهم ا وجده من الفرنسيس ، وجعل لهم كبيرا أيضا من الفرنسيس يعلمهم الكر والفر والرمى بالبنادق . وفى بعض الأحيان يلبسون زرديات وخودا ، وبأيديهم السيوف المسلولة . وسموا ذلك كله « النظام الجديد » .

صفر

٢ منه (٤ يونيه ١٨٠٢ م) :

وصل سعيد أغا وكيل دار السعادة ، وهو فحل



معركة بين العثمانية والمصرلية

أسمر ، فحضر عند الباشا ، فقابله وخلع عليه وقدم له تقدمة ، وضربوا له عدة مدافع أيضا .

٩ منه (١١ يونيه ١٨٠٢ م) :

عمل الباشا ديوانا ، وحضر القاضي والعلماء والأعيان ، وقرأوا خطا شريفا حضر بصحبة وكيل دار السعادة بأنه ناظر أوقاف الحرمين .

١٣ منه (١٥ يونيه ١٨٠٢ م) :

قتل الباشا ثلاثة أشخاص من النصارى المشاهير وهم : الطون ابو طاقية ، وابراهيم زيدان ، وبركات معلم الديوان سابقا . وفى الحال أرسل الدفتردار فختم على دورهم وأملاكهم ، وشرعوا فى نقل ذلك الى بيت الدفتردار على الجمال ليباع فى المزاد . فبدأوا باحضار تركة الطون أبى طاقية ، فوجد له موجود كثير من ثياب وأمتعة ومصاغ وجواهر وغيرها ، وجوارى سود وحبوش ، وساعات واستمر سوق المزاد فى ذلك عدة أيام .

وفيه : تواترت الأخبار بأن بونابرته خرج بعمارة كبيرة ليحارب الجزائر ، وأنه انضم الى طائفة الفرنسيس «الأسبانيول» و « النامرطان » وتفرقوا فى البحر وكثر اللغط بسبب ذلك ، وامتنع سفر المراكب ، ورجع الانكليز الى قلاع الاسكندرية . واستمرت هذه الاشاعة مدة أيام ، ثم ظهر عدم صحة هذه الأخبار ، وان ذلك من اختلاقات الانكليز .

١٧ منه (١٩ يونيه ١٨٠٢ م) :

حضر جاويش الحج ، وصحبته مكاتبات الحجاج من العقبة ، وضربوا لحضوره مدافع ، واخبروا بالأمن والرخاء والراحة ذهابا وايابا ، ومشوا من الطريق السلطانى ، وتلقتهم العربان وفرحوا بهم .

٢١ منه (٢٣ يونيه ١٨٠٢ م) :

وصل الحجاج ، ودخلوا الى مصر .

وفى صبحها : دخل أمير الحج وصحبته المحمل .

٢٣ منه (٢٥ يونيه ١٨٠٢ م) :

سافر حسين أغا شنن وزين الفقار كتخدا ، وصحبتهما على كاشف ، لملاقاة عثمان بيك حسن ، وأخلوا له دار عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين .

٢٨ منه (٣٠ يونيه ١٨٠٢ م) :

حضر عثمان بيك حسن ، فأرسل اليه الباشا أعيان أتباعه من الأغوات وغيرهم والجنائب ، فحضر بصحبتهم وقابل حضرة الباشا ، وخلع عليه خلعة ، وقدم له تقدمة . وذهب الى الدار التى أعدت له ، وحضر صحبته صالح بيك غيطاس وخلافه من الأمراء البطالين ، ومعهم نحو المائتين من الغز والمماليك ... سكن كل من الأمراء والكشاف فى مساكن أزواجهم . فكانوا يركبون فى كل يوم الى بيت عثمان بيك ، ويذهبون صحبته الى ديوان الباشا . ورتب له خمسة وعشرين كيسا فى كل شهر .

ربيع الأول

غرته (٢ يولية ١٨٠٢ م) :

شرعوا فى عمل المولد النبوى ، وعملوا صوارى ووقدة قبالة بيت الباشا وبيت الدفتردار والشيخ البكرى ، ونصبوا خياما فى وسط البركة .

٨ منه (٩ يولية ١٨٠٢ م) :

نودى بتزيين البلد وفتح الأسواق والحوانيت ، والسهر بالليل ثلاث ليال : أولها صبح يوم الجمعة وآخرها الأحد ليلة المولد الشريف . فكان كذلك .

وفى ليلة المولد : حضر الباشا الى بيت الدفتردار باستدعاء وتعشى هناك ، واحتفل لذلك الدفتردار ،

وعمل له حراقة نفوط وسوازيخ ، حصة من الليل .

وفيه : وصلت الأخبار بكثرة عربدة الأمراء القبالي . وتجمع عليهم الكثير من غوغاء العربان والهوارة والغربان ، ووصلوا الى قربى أسيوط . وخافتهم العساكر العثمانية ، وداخلهم الرعب منهم ، وتحصن كل فريق فى الجهة التى هو فيها . وانكمشوا عن الاقدام عليهم ، وهابوا لقاءهم ... مع ما هم عليه من الظلم والفجور والفسق بأهل الريف ، والعسف بهم ، وطلبهم الكلف الشاقة ، والقتل والحرق . وذلك هو السبب الداعى لنفور أهل الريف منهم وانضمامهم الى المصرلية .

ومن جملة أفاعيلهم التى ضيقت المنافس وأحرجت الصدور — حتى أعاظم الدولة — حجزهم المراكب ومنعهم السفار .. حتى تعطلت الأسباب ، وامتنع حضور الغلال من الجهة القبلية ، وخلت عرضات الغلة والسواحل من الغلال ... مع كثرتها فى بلاد الصعيد . ولولا تشديد الباشا فى عدم زيادة سعر الغلة .. لغلت أسعارها . وأمر بأن لا يدخلوا الى الشون والحواصل شيئا من الغلة ، بل يباع ما يرد على الفقراء حتى يكتفوا .

وفى كل وقت يرسلون أوراقا وفرمانات الى العساكر باطلاق المراكب ، فلا يمتثلون . ويحجز الواحد منهم أو الاثنان المركب التى تحمل الألف أردب ، ويربطونها بساحل الجهة التى هم بها ، وتستمر كذلك من غير منفعة ! . وربما مرت بهم المركب المشحونة بالغلة فيأخذون منها النواتية والرئيس يستخدمونهم فى مراكبهم ، ويأخذ غيرهم المراكب فيرمى ما بها من الغلال على بعض السواحل ان لم يجدوا من يشتريه ! ويأخذون المراكب فيربطونها عندهم ... وأمثال ذلك ما تقصر عنه العبارة .

ولما تواترت هذه الأخبار عن الأمراء القبالى ،



المراكب بعد حجزها

شرعوا فى تسفير عساكر أيضا ، وسارى عسكرهم طاهر باشا ، وأخذ فى التشهيل والسفر .

١٥ منه (١٦ يولية ١٨٠٢ م) :

عدى طاهر باشا الى البر الغربى وتبعته العساكر .

وفى ذلك اليوم : حضرت مكاتبة من الأمراء القبالى . ملخصها : أن الأرض ضاقت عليهم ، واضطرهم الحال والضيق وفراق الوطن الى ما كان منهم ، وأنهم فى طاعة الله والسلطان ، ولم يقع منهم ما يوجب ابعادهم وطردهم وقتلهم . فانهم خدموا وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانية ، وأبلوا مع الفرنساوية ، فجوزوا بضد الجزاء . ولا يهون بالنفس الذل والاقبال على الموت . فاما أن تعطونا جهة نتعيش فيها ، أو ترسلوا لنا أهلنا وعيالنا ، وتشهلوا لنا مراكب على ساحل القصير لنسافر فيها الى جهة الحجاز ، أو تعينوا لنا جهة نقيم بها نحو خمسة أشهر مضافة لما نخاطب الدولة فى أمرنا

ويرجع لنا الجواب ، ونعمل بمقتضى ذلك . فان لم تجيبونا لشيء من ذلك فيكون ذنب الخلائق فى رقابكم .. لا رقابنا !

وورد الخبر عنهم أنهم رجعوا القهقرى الى قبلى . فلما حضرت تلك المكاتبة ، فاشتوروا فى ذلك ، وكتبوا لهم جوابا بامضاء الباشا والدفتردار والمشايخ ، حاصله الأمان ... لما عدى ابراهيم بيك والألفى والبرديسى وأبو دياب ، فلا يمكن أن يؤذن لهم بشيء حتى يرسلوا الى الدولة ، ويأتى الاذن بما تقتضيه الآراء . وأما بقيتهم فلهم الأمان والاذن بالحضور الى مصر،ولهم الاعزاز والاكرام. ويسكنون فيما أحبوا من البيوت ، ويرتب لهم ما يكفيهم من التراتيب والالتزام وغير ذلك .. مثل ما وقع لعثمان بيك حسن ، فانهم رتبوا له خمسة وعشرين كيسا فى كل شهر ، ومكنوه مما طلبه من خصوص الالتزام ، ورفعوها عمن كان أخذها بالحلوان . وهذه أول قضية شنيعة ظهرت بقدومهم .

واستمر طاهر باشا مقيما بالبر الغربى .

وفى هذا الشهر : كمل تتميم عمارة المقياس على ما كان عمره الفرنسيس على طرف الميرى ، وأنشأ به الباشا طيارة فى علوه عوضا عن الطيارة القديمة التى هدمها الفرنسيس . وأنشأ أيضا مصطبة فى مرمى النشاب بالناصرية ، وجعل فيها كشكا لطيفا مزينا بالأصباغ ودرابزين حول المصطبة المذكورة

ومن الحوادث بسكندرية : أنه حضر قليون وفيه تجار وبزرجانية يقال له « قليون مهردار الدولة » . فأرسى بالمينة الغربية ، وطلع منه قبطان وبعض التجار الى البلدة ، وأقاموا نحو يومين أو ثلاثة . فطلع رجل نصرانى ، وأخبر الانكليز أنه مات به رجل بالطاعون ، ومات قبله ثلاثة أيضا . فطلبوا القبطان ... فهرب ، فأرسلوا الى المركب وأحضروا اليازجى ، وتحققوا القضية ، وأحرقوا المركب بما فيها ، وأشهروا اليازجى وعروه من ثيابه ، وسحبوه بينهم فى الأسواق . وكلما مروا به على جماعة من العثمانية مجتمعين على مساطب القهاوى ، بطحوه بين أيديهم ، وضربوه ضربا شديدا ، ولم يزالوا يفعلون به ذلك حتى قتلوه !

ووقع أيضا : أن خورشيد ، حاكم الاسكندرية ، أحدث مظالم ومكوسا على الباعة والمحترفين . فذهب بعض الانكليز يشترى سمكا . فطلب السماك منه زيادة فى الثمن عن المعتاد ، فقال له الانكليزى : « لأى شيء تطلب زيادة عن العادة ؟ » فعرفه بما أحدث عليهم من المكس . فرجع الانكليزى وأخبر كبراءه . فتحققوا القضية ، وأحضروا المنادى وأمروه بالمناداة بابطال ما أحدثه العثمانية من المكوس والمظالم فخرج المنادى وقال . « حسبما رسم الوزير محمد باشا وخورشيد أغا بأن جميع الحوادث المحدثة بطالة » فسمعوه يقول ذلك ، فأحضروه وضربوه ضربا شديدا وعزروه على ذلك القول ، وقالوا له : « قل فى مناداتك : حسبما رسم سارى عسكر الانكليز » .

ووقع أيضا : أن جماعة من العسكر أرادوا القبض على امرأة من النساء اللاتى يصاحبن الانكليز فمنعها منهم عسكر الانكليز . فتضاربوا معهم ، فقتل من الانكليز اثنان . فاجتمع الانكليز وأرسلوا الى خورشيد بأن يخرج الى خارج البلدة ويحاربهم . فامتنع من ذلك . فأمروه بالنزول من القلعة ، وأسكنوه فى دار بالبلد ، ومنعوا عسكره من حمل السلاح مطلقا مثل الانكليزية ، واستمروا على ذلك .

ربيع الآخر

الاحد غرته (اول اغسطس ١٨٠٢ م) :

شرع الباشا فى هدم الأماكن المجاورة لمنزله

— التى تهدمت واحترقت فى واقعة الفرنسيس — ليبنيها مساكن للعساكر المختصة به ، وتسمى عندهم « بالقشلة » ، وذلك من قبالة منزله من المكان المعروف بالساكت الى جامع عثمان كتخدا حيث رصيف الخشاب ، واهتم لذلك اهتماما عظيما ، ورسم بعمل فردة على البلاد أعلى وأوسط وأدنى . وأرسلوا المعينين لقبض ذلك من البلاد مع ما الفلاحون فيه من الظلم والجور من العساكر والمباشرين ، وحق الطرق وفرد الانكليز .

وفيه : حضر أحمد أغا شويكار من عند القبالى ، ومحمد كاشف صحبته من جماعة الألفى ، ومعهم مكاتبات . وأشيع طلبهم الصلح فأقاموا عدة أيام محجوبين عن الاجتماع بالناس ، ثم سافروا فى أواسطه . ولم يظهر كيفية ما حصل . وبطل سفر طاهر باشا الى الجهة القبلية ، ورجع الى داره بعد أيام من رجوعهم .

وفيه : عمل مولد المشهد الحسينى .

الخميس ٥ منه (٥ اغسطس ١٨٠٢ م) :

دعا شيخ السادات الباشا بمناسبة الاحتفال بالمولد ، وتعشى هناك ، ورجع الى داره .

وفيه : تقلد السيد أحمد المحروقى أمين الضربخانة ، وفرق ذهبا كثيرا فى ذلك اليوم ببيت الباشا . وعمل له ليلة بالمشهد الحسينى ، ودعا الباشا والدفتردار وأعيان الدولة والعلماء ، وأولم لهم وليمة عظيمة ، وأوقد بالمسجد وقدة كبيرة ، وقدم للباشا تقدمة .

وفى صبحها : أرسل مع ولده هدية وتعبية أقمشة نفيسة . فخلع عليه الباشا فروة سمور .

١٢ منه (١٢ اغسطس ١٨٠٢ — ٦ مسرى ١٥١٨ ق) :

كان وفاء النيل المبارك ، وكسر السد فى صبحها يوم الخميس بحضرة الباشا والقاضى ، والشك المعتاد . وجرى الماء فى الخليج ، ولم يطف مثل العادة . ومنعوا دخول السفن والمراكب المعدة للنزهة ، وذلك بسبب أذية العساكر العثمانية .

١٥ منه (١٥ اغسطس ١٨٠٢ م) :

كملت عمارة مشهد السيدة زينب بقناطر السباع ، وكان من خبره : أن هذا المشهد كان أنشأه وعمره عبد الرحمن كتخدا القازدغلى فى جملة عمائره ، وذلك فى سنة أربع وسبعين ومائة وألف فلم يزل على ذلك الى أن ظهر به خلل ومال شقه ، فانتدب لعمارته عثمان بيك المعروف بالطنبرجى المرادى فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف .. فهدمه وكشف أنقاضه ، وشرع فى بنائه ، وأقام جدرانه ، ونصبوا أعمدته ، وأرادوا عقد قناطره . فحصلت حادثة الفرنسيس ، وجرى ما جرى . فبقى على حالته الى أن خرج الفرنسيس من أرض مصر وحضرت الدولة العثمانية ... فعرض خدمة الضريح الى الوزير يوسف باشا،فأمر باتمامه واكماله على طرف الميرى . ثم وقع التراخى فى ذلك الى أن استقر قدم محمد باشا فى ولاية مصر ، فاهتم لذلك . فشرعوا فى اكماله وتتميمه وتسقيفه . وتقيد لمباشرة ذلك ذو الفقار كتخدا ، فتم على أحسن ما كان . وأحدثوا به حنفية وفسحة ، وزخرفوه بالنقوشات والأصباغ .

ولما كان يوم الجمعة حصلت به الجمعية ، وحضر الباشا والدفتردار والمشايخ وصلوا به الجمعة . وبعد انقضاء الصلاة ، عقد الشيخ محمد الأمير المالكى درس وظيفته ، وأملى «انما يعمر مساجد الله .. الآية» والأحاديث المتعلقة بذلك ، وتم المجلس ، وخلع عليه الباشا بعد ذلك خلعة .. وكذا الامام .

وفيه : نصب للباشا خيمة عند بيته بقرب الهدم ، يجلس بها حصة كل يوم لمباشرة العمل ... وربما

باشر بنفســه ، ونقل بعض الأنقاض .. فلما عاينه الأغوات والجوخدارية .. بادروا الى الشيل ونقل التراب بالغلقان فلما أشيع ذلك ، حضر طاهر باشا وأعيان العساكر ، فنقلوا أيضا وطلبوا المساعدة .

وحضر طائفة من ناحية الرميلة وعرب اليسار ، ومعهم طبول وزمور . فسأل عن ذلك ، فقال له المحتسب ذو الفقــار : « هؤلاء طائفة من طوائفى حضروا لأجل المســاعدة » . فشــكرهم على ذلك وأمرهم بالذهاب . فبقى منهم طائفة ، وأخذوا فى شيل التراب بالأغلاق ساعة ، والطبول تضرب لهم . فانسر الباشــا من ذلك ، وحسن القرناء للباشــا المساعدة ، وأن الناس تحب ذلك . فرتبــوا ذلك وأحضروا قوائم أرباب الحرف التى كتبت أيام فرد الفرنسيس ، ونبهــوا عليهم بالحضــور . فأول ما بدأوا .. بالنصارى والأقباط . فحضروا ويقدمهم رؤســاؤهم : جرجس الجوهرى ، وواصــف ، وفلتيوس ومعهم طبول وزمور . وأحضر لهم أيضا مهتار باشا النوبة التركية وأنواع الآلات والمغنين .. حتى البرامكة بالرباب ، فاشــتغلوا نحــو ثلاث ســاعات .

وفى ثانى يوم : حضر منهم أيضا كذلك طائفة . ولمــا انقضت طوائف الأقباط ، حضر النصــارى الشوام والأروام . ثم طلبــوا أرباب الحرف من المسلمين .فكان يجتمع الطائفتان والثلاث ويحضرون معهم عدة من الفعلة يستأجرونهم ، ويحضرون الى العمل ويقدمهم الطبول والزمور والمجرية . وذلك خلاف ما رتبه مهتار باشا.فيصير بذلك ضجةعظيمة مختلطة من نوبات تركية ، وطبول شامية ، ونقاقير كشوفية ، ودبادب حربية ، وآلات موســيقية ، وطبلات بلدية ، وربابات برامكية .. كل ذلك فى الشمس والغبار والعفار .

وزادوا فى الطنبور نغمة : وهى أنهم بعــد أن يفرغوا من الشغل ، ويأذنوا لهم بالذهاب ، يلزمونهم بدراهم يقبضها مهتار باشا برسم البقشيش على أولئك الطبالين والزمارين . فيعطيهم النزر اليسير ويأخذ لنفســه البــاقى ! وذلك بحسب رسمه واختياره فيأتى على الطائفة المائة قرش والخمسون قرشا ونحو ذلك . فيركب فى ثانى يوم ويذهب الى خطتهم ، ويلزمهم باحضــار الذى قــرره عليهم . فيجمعونه من بعضهم ويدفعــونه . واذا حضرت طائفة ، ولم تقدم بين يديها هدية أو جعالة .. طولوا عليهم المدة ، وأتعبوهم ونهروهم ، واستحثوهم فى الشغل ، ولو كانوا من ذوى الحرف المعتبرة .. كما وقع لتجار الغورية والحريرية . واذا قدموا بين أيديهم شــيئا .. خففوا عليهم وأكرموهم ، ومنعوا أعيانهم وشيوخهم من الشغل ، وأجلسوهم بخيمة مهتار باشا ، وأحضر لهم الآلات والمغانى فضربت بين أيديهم ! كما وقع ذلك لليهود .

واستمر هذا العمل بقية الشــهر الماضى الى وقتنا هــذا .. فاجتمع على الناس عشرة أشياء من الرذالة ، وهى : الســخرة ، والعونة ، وأجرة الفعلة ، والذل ، ومهنة العمل ، وتقطيع الثياب ، ودفع الدراهم ، وشماتة الأعداء من النصــارى ، وتعطيل معاشهم ، وعاشرها : أجرة الحمام !

وفيه : حضر قصــاد من الططر ، وعلى يدهم مكاتبات من الدولة ، بوقوع الصلح العــام بين الدولة والقرانات . وعثمان باشــا ومن معه من المخالفين على الدولة ، من جهة الروملى . فعملوا شنكا ومدافع ثلاثة أيام ، تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة . وكتبوا أوراقا بذلك وألصقوها فى مفارق الطرق بالأسواق . وقد تقدم مثل ذلك ... وأظنه من المختلقات !

فى اواخره (اواخر اغسطس ١٨٠٢ م) :

حضر حريم الباشا من الجهــة الرومية . وهما اثنتان : احداهما معتوقة أم السلطان ، والأخرى

معتوقة أخته زوجة قبطان باشا ، وصحبتهما عدة سراري . فأسكنهن ببيت الشيخ خليل البكري ، وقد كان عمره قبل حضورهن ، وزخرفه . ودهنوه بأنواع الصباغات والنقوش ، وفرشوه بالفرش الفاخرة .

وفرش المحروقي مكانا ، وكذلك جرجس الجوهري فرش مكانا ، وأحمد بن محرم . واعتنوا بذلك اعتناء زائدا ... حتى أن جرجس فرش بساطا من الكشمير وغير ذلك وعمل وليمة العقد ، وعقد على الثنتين في آن واحد بحضرة القاضي والمشايخ ، وأهدوا لكل من الحاضرين بقجة من ظرائف الأقمشة الهندية والرومية ، وعملوا شنكا وحراقة بالأزبكية عدة ليال .

جمادى الأولى

الاثنين ٨ منه (٦ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

شنقوا ثلاثة من عساكر الأروام : أحدهم بباب زويلة ، والثاني بباب الخرق ، والثالث بالأزبكية بالقرب من جامع عثمان كتخدا . وقتلوا أيضا شخصا بالنحاسين .

الثلاثاء ٩ منه (٧ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

عمل الباشا ديوانا ، وفرق الجامكية على الوجاقلية .

وفيه : وردت الأخبار بوقوع حادثة بين الأمراء القبالي والعثمانية . وذلك أن شخصا من العثمانية يقال له « أجدر » موصوفا بالشجاعة والاقدام ، أراد أن يكبس عليهم على حين غفلة ، ليكون له ذكر ومنقبة في أقرانه . فركب في نحو الألف من العسكر المعدودين — وكانوا في طرف الجبل بالقرب من الهوة — فسبق العين الى الأمراء وأخبرهم بذلك .

فلما توسطوا سطح الجبل ... واذا بالمصرلية أقبلت عليهم في ثلاثة طوابير ، فأحاطوا بهم . فضرب العثمانية بنادقهم طلقا واحدا لاغير ، ونظروا ... واذا بهم في وسطهم ، وتحت سيوفهم ، ففتكوا فيهم وحصدوهم ، ولم ينج منهم الا القليل ، وأخذ كبيرهم « أجدر » المذكور أسيرا ، وانجلت الحرب بينهم وأحضروا «أجدر» بين يدى الألفي ، فقال له : « لأى شيء سموك أجدر ...؟ ! » فقال : « الأجدر ، معناه الأفعى العظيم وقد صرت من أتباعك ! » . فقال : « لكن يحتاج الى تطريمك واخراج سمك أولا » . وأمر به ، فأخذوه وقلعوا أسنانه ، ثم قتلوه ، وأخذوا جميع ما كان معه ، ومن جملة ذلك أربعة مدافع كبار .

وفيه : قلدوا أحمد كاشف سليم امارة أسيوط . وعزل أميرها مقدار بيك العثماني بسبب شكوى أهل النواحي من ظلمه .

الاثنين ١٥ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار برجوع الأمراء القبالي الى بحري ، وأنهم وصلوا الى بني عدى ، فنهبوا غلالها ومواشيهم ، وقبضوا أموالها ، وأعطوهم وصولات بختمهم ، وكذلك الحواوشة وما جاور ذلك من البلاد .

فشرع العثمانية بمصر في تشهيل تجريدة وعساكر .

وفيه : حضرت أيضا عساكر كثيرة من«هبود»(١) الأتراك والأرنؤود ، فأحضروا مشايخ الحارات وأمروهم باخلاء البيوت لسكناهم فأزعجوا الكثير من الناس ، وأخرجوهم من دورهم بالقهر . فحصل للناس غاية الضرر ، وضاق الحال بالناس وكلما سكنت منهم طائفة بدار ، أخربوها وأحرقوا

ـــــــــــ

— هبود : صفة للتحقير بمعنى « صعاليك » .

أخشابها وطيقانهــا وأبوابها ، وانتقلوا الى غيرها فيفعلون بها كذلك .

ومن تكلم أو دافع عن داره ، وبخ بالكــلام ، وقيل له : « عجب ! ... كنتم تسكنون الفرنسيس ، وتخلون لهم الدور » .. وأمثال ذلك من الــكلام القبيح الذى لا أصل له .

ولما شرعوا فى تشهيل التجريدة ، حصلت منهم أمور وأذية فى الناس كثيرة .

فمنها : أنهم طلبوا الحمارة المكارية وأمروهم باحضار ستمائة حمار ، وشددوا عليهم فى ذلك . فقيل انهم لما جمعوها ، أعطوهم أثمانها فى كل حمار خمسة ريال .. بعدته ولجامه ، مع أن فيها ما قيمته خمسون ريالا خلاف عدته . ثم ما كفاهم ذلك ، بل صاروا يخطفون حمير الناس من أولاد البلد بالقهر ، وكذلك حمير السقائين التى تنقل الماء من الخليج ، حتى امتنعت السقاءون بالكلية ، وبلغ ثمن القربة الكتافى من الخليج ، عشرة أنصاف فضة !

وتعدى بالخطف أيضا من ليس بمسافر . فكانوا ينزلون الناس من على حميرهم ، ويذهبون بها الى الساحة ويبيعونها . والبعض تبعهم واشترى حماره بالثمن . فخبى جميــع الناس حميرهم فى داخــل الدور ، فكان يأتى الجماعة من العسكر وينصتون بآذانهم عــلى باب الدار ، ويتبعــون « نهيق » الحمير ! وبعض شــياطينهم يقف عــلى الــدار ويقول : « زر ! » ويكررهــا ... فينهق الحمار ، فيعلمون به ، ويطلبونه من البيت : فاما أخذوه ، أو افتداه صاحبه بما أرادوه ... وغير ذلك !

وفيه : حضر قاضى سكندرية الى مصر . وذلك أنه لما حضر من اسلامبول طلع الى داره ، وحضرت اليه الدعاوى ، فأخذ منهم المحصول على الرســم المعتاد فأرسل اليه الانكليز ولاموه على عــدم حضوره اليهم وقت قدومه ، وقالوا له : « ان اقمت هنا بتقليدنا اياك فلا تأخذ من أحد شيئا ، ونرتب لك ثلاثة قروش فى كل يوم ... والا فاذهب حيث شئت » . فحضر الى مصر بذلك السبب .

جمــادى الآخرة

الأحد ٥ منه (٣ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

سافرت العساكر الى الأمراء القبالى ، وســافر أيضا عثمان بيك الحسنى وباقى العساكر المعزولين ، وأمير العساكر العثمانية محمد على سرششمه .

وكان الباشا أرسل ابراهيم ، كاشف الشرقية ، بجواب اليهم ، فرجع فى ثامنه بجواب الرســالة ، وأعطاه الألفى ألفى ريال ، وقــدم له حصانين . وحاصل تلك الرسالة — كما تقدم — الأمان لجميع الأمــراء المصرليــة ، وأنهــم يحضرون الى مصر ويقيمون بها ، ولهم مايرضيهم من الفائظ وغيره ماعــدا الأربعة الأمــراء ، وهم : ابراهيم بيك ، والألفى ، والبرديسى ، وأبو دياب ، فانهم مطلوبون الى حضرة السلطان يتوجهون اليه مع الأمن عليهم ، ويعطيهم مناصب وولايات كما يحبــون . فان لم يرضوا بذلك ، فيأخذوا اقطاع اسنا ويقيمون بها

فلما وصل ابراهيم أغا المذكور الى أسيوط ، وأرسل اليهم ... أرسلوا اليه أحمــد أغا شويكار ومحمد كاشف الألفى فانتظروه خارج الجبانة ، فخرج اليهم ، ولاقوه ، وأخــذوه بصحبتهم الى عرضيهم ، وأنزلوه بوطاق بات به .

فلما أصبح الصباح طلبوه الى ديوانهم ، فحضر ووقفت عساكرهم صفوفا ببنادقهم ، وفيهم كثــير على هيئة اصطفاف الفرنسيس ، وعملوا له شــنكا ومدافع . ثم أعطاهم المكاتبــة بحضرة الجميع ... فقرأوها ، ثم تكلم الألفى وقال : « أما قولــكم نذهب الى اسلامبول و نقابل السلطان ينعم علينا... فهذا مما لا يمكن . وان كان مراده أن ينعم علينا

فاتنا فى بلاده وانعامه ، لايتقيه بحضورنا بين يديه . وأما بقية اخواننا فهم بالخيار : ان شاءوا أقاموا معنا ، والا ذهبوا .. وكل انسان أمير نفسه . وأما كون حضرة الباشا يعطينا اقطاع اسنا .. فلا يكفينا هذا ، وانما يكفينا من أسيوط الى آخر الصعيد ، ونقوم بدفع خراجه . فان لم يرضــوا بذلك فان الأرض لله ... ونحن خلق الله ، نذهب حيث شئنا ، ونأكل من رزق الله ما يكفينــا ، ومن أتى اليـنـا حاربناه حتى يكون من أمــرنا ما يكون » . ثــم استقروا بقنطرة اللاهــون ، وكسروا القنطرة ، وشرعوا فى قبض الأموال من بلاد الفيوم .

فلما رجع ابراهيم كاشف بذلك الجواب ، ركب الباشا فى صبحها الى الآثار ، واســتعجل العسكر بالذهاب . فعدوا الى البر الغربى ، وتأخر عنهـم عثمان بيك الحسنى والغز المصرلية ، وباتوا بطرا .

وفيه : شنق الباشا رجلا طبجياً فى المشنقة التى عند قنطرة المغربى .

ثم ان عثمان بيك أرسل الى الباشا يطلب حسن أغا شنن ومصطفى أغا الوكيل ، ليتفاوض معهما فى كلام فأرسـل له ابراهيم أغا كاشف الشرقية ، فأعطاه الخلعة التى خلعها عليه الباشــا ، ودراهم الترحيلة ، وقال له : « سلم على أفندنا وأخبره أنى جاهدت الفرنسيس ، وبلوت معهم .. ثم انى حضرت بأمان طائعا ، فلم أجاز ، ولم يحصل ماكنت أؤمله ، ولم يوفوا معى وعــدا ... وأنا لا أقاتل اخوانى المسلمين ، وأختم عملى بذلك ، ولا أقيم بمصر آكل الصدقة ، وانما أذهب سائحا فى بــلاد الله ! » . وكان فى ظن عثمان بيك أنه اذا أتى الى مصر على هذه الصورة ، يجعله الباشا أمير البلد ، أو أمير الحج .

وفيه : أمر الباشــا محمــد كتخدا ، المعروف بالزربة ، بالسفر الى جهــة قبلى . فاســتعفى من ذلك .. فأمر بقتــله . فشفع فيه يوسف كتخـدا الباشا ، وقال : « ان له حرمة ، وقد كان فى السابق كتخدا لأفندينا ، ولا يناسب قتــله عــلى هــذه الصورة » ، فأمر بسفره الى جهة البحيرة محافظا . فسافر من يومه .

وأما عثمان بيك ، فانه ركب وذهب الى جهــة قبلى ، مشرقا على غير الرسم . وأشــيع ذلك فى الناس ، ولغطوا به . فلمــا تحقق العثمانية ذلك ، رسموا لطوائف العسكر أن يقيموا منهم طوائف بالقلاع التى على التلول ، ونصبوا عليها بيارق ، وأوقفوا حراســا على أبواب المدينــة يمنعون من يخرج من المدينة من الغز الخيالة والمصرلية . فمن خرج الى بولاق أو غيرها .. فلا يخرج الا بورقة من كتخدا الباشا .

الجمعة ١٠ منه (٨ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

أمر الباشــا بكبس بيوت الأمــراء الحسنية ، ونهب مابها من الخيول والجمال والسلاح

وفيه : حضر أغات التبديل الى بيت الحربطلى بعطفه « خشقدم » وبه جماعة من عسكر المغاربة ، فكبس عليهم ، وقبض على جمــاعة منهم وكتفهم وكشف رؤوسهم وأحاطت بهم عساكره وسحبوهم وأخذوا ما وجدوه فى جيوبهم على هيئة شنعة ، ومروا بهم على الغورية ، ثم على النحاسين وباب الشعرية .. حتى انتهوا بهم الى الأزبكية على حارة النصارى ، ودخلوا بهم بيت الباشا وهم لا يعلمون لهم ذنبا .

فلما مثلوا بين يدى كتخدا الباشا ، ذكر لهم أن بجوارهم ديرا للنصارى ، وأنهم فتحوا طاقا صغيرا يطل على الدير فقــالوا : « لا علم لنــا بذلك » ، وأخبروا أن جماعة من الأرنؤود ساكنون معهم بأعلى الدار ، ويحتمل أن ذلك من فعلهم فأرسلوا من كشف على ذلك ، فوجدوه كما قال

المغاربة ، فأطلقوهم بعد هذه الجرسة الشنيعة ، ومرورهم بهم الى حارة النصارى ، وأخذوا دراهمهم ومتاعهم .. والأمر لله وحده !

وفيه : أشيع مرور جماعة من الغز القبالى على جهة الجيزة ، الى جهة سكندرية ، وكذلك جماعة من الانكليز من سكندرية الى قبلى .

وفيه : تداعى مصطفى — خادم مقام سيدى أحمد البدوى — مع نسيبه سعد بسبب ميراث أخته . فقال مصطفى : « أنا أحاسبه على خمسين ألف ريال » . فقال سعد : « أنا أستخرج منه مائتى ألف ريال ... بشرط أن تعوقوه هنا ، وتعطونى خادمه وجماعة من العسكر » . ففعلوا ذلك ، وعوقوه ببيت السيد عمر النقيب ، وتسلم سعد خادمه والعسكر ، وذهب بهم الى طندتا . فعاقبوا الخادم ، فأقر على مكان أخرجوا منه ستة وثلاثين ألف ريال فرانسة . ثم فتحوا بئرا مردومة بالأتربة ، وأخرجوا منها ريالات فرانسة ، وأنصافا وأرباعا وفضة عددية ... كلها مخلوطة بالأتربة وقد ركبها الصدأ والسواد ، فأحضروها وجلوها فى قاعة اليهود . ولم يزالوا يستخرجون .. حتى غلقوا مائة وسبعة وثمانين الفا وسبعمائة وكسورا ! وآخر الأمر ، أخرجوا خبيئة لا يعلم قدرها . ثم حصل العفو ، ورجع العسكر ، وأخذوا كراء طريقهم ، وأخذوا من أولاد عمه عشرة أكياس .

السبت ١١ منه (٩ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

كان آخر التسخير فى نقل التراب من العمارة[١] ، وكان آخر ذلك طائفة الخردة من الغياش والقرداتية وأرباب الملاعيب . وبطل الزمر والطبل . واستمر الفعلة فى حفر الأساس ، ورشح عليهم الماء بأدنى حفر لكون ان ذلك فى وقت النيل ، والبركة ملآنة بالماء حول ذلك .

١٥ منه (١٣ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

خرجت عساكر ودلاة أيضا ، وسافروا الى قبلى .

٢٣ منه (٢١ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

سافر عساكر فى نحو الأربعين مركبا الى جهة البحيرة بسبب عرب بنى على ، فانهم عاثوا بالبحيرة ودمنهور .

ومن الحوادث السماوية : أن فى تلك الليلة — وهى ليلة الأربعاء — احمرت السماء بالسحاب عند غروب الشمس حمرة مشوبة بصفرة ثم انجلت ، وظهر فى أثرها برق من ناحية الجنوب فى سحاب قليل متقطع ، وازداد ، وتتابع من غير فاصل حتى كان مثل شعلة النفط المتوقدة المتموجة بالهواء . واستمر ذلك الى ثالث ساعة من الليل ، ثم تحول الى جهة المغرب ، وتتابع ... لكن بفاصل على طريقة البرق المعتاد ، واستمر الى خامس ساعة ، ثم أخذ فى الاضمحلال ، وبقى أثره غالب الليل . وكان ذلك ليلة سادس عشرين درجة من برج الميزان ، وحادى عشر بابه القبطى ، وثامن تشرين أول الرومى (٢٤ اكتوبر ١٨٠٢ م) . ولعل ذلك من الملاحم المنذرة بحادث من الحوادث .

وفيه : ورد الخبر بورود مركب من فرانسا وبها الجى وقنصل وصحبتهما عدة فرنسيس . فعمل لهم الانكليز شنكا ومدافع بالاسكندرية .

الثلاثاء ٢٨ منه (٢٦ اكتوبر ١٨٠٢ م) :

فى ليلته وصل ذلك الألجى ، وصحبته خمسة من أكابر الفرنسيس ، الى ساحل بولاق . فأرسل الباشا لملاقاتهم خازنداره وصحبته عدة عساكر خيالة وبأيديهم السيوف المسلولة . فقابلوهم ، وضربوا لهم مدافع من بولاق والجيزة والأزبكية . وركبوا الى دار أعدت لهم بحارة البنادقة ،

(١) يقصد عمارة مسجد السيدة زينب .

وحضروا فى صبحها الى عند الباشا فقابلوه ، وقدم لهم خيلا معـددة ، وأهدى لهم هدايا ، وصاروا يركبون فى هيئـة وأبهة معتبرة . وكان فيهم جبير ترجمان بونابارته .

وفيه : وردت الأخبار بأن الغـز القبالى نهبوا بلاد الفيـوم ، وقبضوا أموالها ، ونهبوا غـلالها ومواشيها ، وحرقوا البـلاد التى عصت عليهم ، وقتلوا ناسها ... حتى قتلوا من بلدة واحـدة مائة وخمسين نفرا ! وأما العثمانية الكائنون بالفيوم فانهم تحصـنوا بالبلدة ، وعمـلوا لهم متـاريس بالمدينة ، وأقاموا داخلها .

رجب

فى غرته (٢٨ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

رموا أساس عمارة الباشـا ، وكان طلب من الفلكيين أن يختاروا له وقتا لوضع الأساس ... ففعلوا ذلك ، وكان بعد إثنى عشر يوما من يوم تاريخه .. فاستبعده ، وأمر برمى الأساس فى اليوم المذكور ... ورب النجم يفعل ما يشاء !

وفيه : أحضروا أربعة رؤوس ، فوضعت عند باب الباشا . زعموا أنهم من قتلى الغز المصرلية .

٥ منه (أول نوفمبر ١٨٠٢ م) :

سافر الألجى الفرنسـاوى وأصحابه ، فنزلوا الى بولاق وأمامهم مماليك الباشا بزينتهم ، وهم لابسـون الزروخ والخود ، وبأيديهم السـيوف المسلولة ، وخلفهم العبيد المختصة بالباشا ، وعلى رءوسهم طراطير حمـر ، وبأيدهم البنـادق على كواهلهم . فـلم يزالوا صـحبتهم حتى نـزلوا ببيت راشتو ببولاق . ثم رجعوا ، ثم نزلوا المراكب الى دمياط ، وضربوا لهم مدافع عنـد تعويمهم السفن

وفيه : أشيع انتشار الأمراء القبانى الى جهـة بحرى ، وحضروا الى اقليم الجيزة ، وطلبوا منها الكلف حتى وصلوا الى وردان .

وفيه : حضر محمد كتخدا ، المعروف بالزربة ، الذى كان كتخدا الباشا — وتقدم أنه كان أمره بالسفر الى قبلى ، فامتنع — وأذن له بالسفر الى البحيرة محافظا . فلما تقـدم طوائف الأمراء الى بحرى ، مر منهم جماعة قليـلة على محمد كتخدا الزربة المذكور ، فلم يتعرض لهم مـع قدرته على تعويقهم . فبلغ البـاشا ذلك ، فحقـدها عليـه ، وأرسل اليه ، وطلبه الى الحضـور ... فحضر .

٩ منه (٥ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

طلبه الباشا فى بكرة النهار . فلما أحضر ، أمر بقتله . فنزل به العسكر ، ورموا رقبته عنـد باب الباشا ، ثم نقلوه الى بين المفارق قبالة حمام عثمان كتخدا . فاستمر مرميا عريانا الى قبيل الظهر ثم شالوه الى بيته ، وغسلوه فى حوش البيت سكنه ، ودفنوه .

وعند موته أرسل الدفتردار فختم على داره ، وأخرج حريمه .

١٠ منه (٦ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

أحضروا تركتـه ومتـاعه ، وباعوا ذلك ببيت الدفتردار .

وفيه : وردت مكاتبات من الديار الروميـة ، وفيها الخبر بعزل شريف أفندى الدفتردار ، وولاية خليل افندى الرجائى المنفصل عن الدفتردارية عام أول . فحزن الناس لذلك حزنا عظيما ... فان أهل مصر لم يروا راحة من وقت دخول العثمانية الى مصر — بل من نحو أربعين سنة — سوى هذه السنة التى باشرها هو فانه أرضى خواطر الصغير قبل الكبير ، والفقير قبل الغنى . وصرف الجامكية

وغلال الأنبار عينا وكيلا . وكان كثير الصدقات ، ويحب فعل الخير والمعروف ، وكان مهذبا فى نفسه ، بشوشا متواضعا . وهو الذى أرسل بطلب الاستعفاء من الدفتردارية لما رأى من اختلال أحكام الباشا .

١١ منه (٧ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

عدى يوسف كتخدا الباشا الى بر انبابة ، وعدى معه الكثير من العسكر ، ونصب العرضى ببر انبابة على ساحل البحر .

وأشيع وصول الأمراء الى ناحية الجسر الأسود ، وقطعوا الجسر لأجل تصفية المياه وانحدارها من الملق ... لأجل مشى الحافر . ثم جعوا الى ناحية المنصورية وبشتيل .

واستمر خروج العساكر العثمانية — التى كانت جهة قبلى — الى بر انبابة ، وهم كالجراد المنتشر . ونصبوا وطاقهم ظاهر انبابة . واستمر خروج العساكر والطلب ونقل البقسماط والجبخانة على الجمال والحمير ليلا ونهارا . وأخذوا المراكب ووسقوها معهم فى البحر ، وغصبوا ما وجدوه من السفن قهرا ، وانتشرت عساكرهم وخيامهم ببر انبابة حتى ملأوا الفضاء .. بحيث يظن الرائى لهم أنهم متى تلاقوا مع الغز المصرلية أخذوهم تحت أقدامهم لكثرتهم واستغدادهم ، بحيث كان أوائل العرضى عند الوراريق ، وآخرهم بالقرب من بولاق التكرور طولا . ثم ان الأمراء رجعوا الى ناحية وردان والطرانة .

١٥ منه (١١ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

انتقل العرضى من بر البابة ، وحلوا الخيام .

١٦ منه (١٢ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

خرجت عساكر خلافهم ، ونصبت مكانهم وسافروا ، وخرج خلافهم . وهكذا دأبهم فى كل يوم ... تخرج طائفة بعد أخرى .

وفيه : رسم الباشا بألف أردب قمح انعام تفرق على طلبة العلم المجاورين ، والأروقة ، بالجامع الأزهر ... ففرقت بحسب الأغراض ! وأنعم أيضا — بعد أيام — بألف أردب أخرى .. فعل بها كذلك .

فانها خطرات من وساوسه
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما (١)

١٧ منه (١٣ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

وصلت جماعة ططر ، وأخبروا بتقليد شريف محمد أفندى الدفتردار ... ولاية جدة .

١٩ منه (١٥ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

خرج طاهر باشا ، ونصب وطاقه جهة انبابة للمحافظة وخرجت عساكره ونصبت وطاقاتهم ببر انبابة أيضا ، متباعدين عن بعضهم البعض . واستمروا على ذلك .

٢٢ منه (١٨ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

حضر رجل من طرف الدولة يقال له «حجان» ، وهو رجل عظيم من أرباب الأقلام ، وعلى يده فرمان . فأرسل الباشا الى شريف أفندى الدفتردار والقاضى والمشايخ ، وجمعهم بعد صلاة الجمعة ، وقرىء عليهم ذلك الفرمان ، وهو خطاب الى حضرة الباشا ، وملخصه : « أننا اخترناك لولاية مصر ... لكونك ربيت بالسراية ، ولما نعلمه منك من العقل والسياسة والشجاعة . وأرسلنا اليك عساكر كثيرة ، وأمرناك بقتال الخائنين واخراج الأربعة

(١) ورد هذا البيت خطأ فى الجزء الرابع . وهو ثانى بيتين هما :
لاتمدحن ابن عباد وان هطلت
يمناه بالجود حتى يسبق الديما
فانها خطرات من وساوسه
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

أنفار من الأقليم المصرى بشرط الأمان عليهم من القتل ، وتقليدهم ما يختارونه من المناصب فى غير اقليم مصر ، واكرامهم غاية الاكرام ان امتثلوا الأوامر السلطانية . وأطلقنا لك التصرف فى الأموال الميرية لنفقة العسكر واللوازم . وما عرفنا موجب تأخير أمرهم لهذا الوقت . فان كان لقلة العساكر .. أرسلنا اليك الأمداد الكثيرة من العساكر . أو المال ... أرسلنا اليك كذلك ان لم يمتثلوا . وكل من انضم اليهم كان مثلهم ، ومن شذ عنهم وطلب الأمان .. فهو مقبول وعليه الأمان » . الى آخر ما ذكر من ذلك المعنى .

٢٣ منه (١٩ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

كتبت أوراق بمعنى ذلك ، وألصقت بالطرقات .

٢٥ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانيين والأمراء المصرلية بأراضى دمنهور ، وقتل من العساكر العثمانية مقتلة عظيمة . وكانت الغلبة للمصرليين ، وانتصروا على العثمانيين .

وصورة ذلك : أنه لما تراءى الجمعان ، واصطفت عساكر العثمانيين الرجالة ببنادقهم ، واصطفت الخيالة بخيولهم . وكان الألفى بطائفة من الأجناد — نحو الثلاثمائة — قريبا منهم وصحبتهم جماعة من الانكليز . فلما رأوهم مجتمعين لحربهم ، قال لهم الانكليز: «ماذا تصنعون؟». قالوا : «نصدمهم ونحاربهم » : قال الانكليز : « انظروا...ماتقولون؟ ان عساكرهم الموجهين اليكم أربعة عشر ألفا ، وأنتم قليلون » . قالوا : « النصر بيد الله » . فقالوا : « دونكم » . فساقوا اليهم خيولهم ، واقتحموا الى الخيالة . فقتل منهم من قتل ، فانهزم الباقون ، وتركوا الرجالة خلفهم . ثم كروا على الرجالة ، فلم يتحركوا بشيء ، وطلبوا الأمان . فساقوا منهم نحو السبعمائة مثل الأغنام ! وأخذوا الجبخانة والمدافع وغالب الحملة ... والانكليز وقوف على علوة ينظرون الى الفريقين بالنظارات . فلما تحقق الباشا ذلك ، اهتم فى تشهيل عساكر ومدافع ، وعدوا الى بر انبابة ، ونصبوا وطاقهم هنالك ، وانتقل طاهر باشا الى ناحية الجيزة .

شعبان

السبت غرته (٢٧ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

شرعوا فى عمل متاريس جهة الجيزة ، وقبضوا على أناس كثيرة من ساحل مصر القديمة ليسخروهم فى العمل .

وفيه : حضر الكثير من العساكر المجاريح ، وجمع الباشا النجارين والحدادين وشرع فى عمل شركفلك . فاشتغلوا فيه ليلا ونهارا حتى تمموه فى خمسة أيام ، وحملوه على الجمال ، وأنزلوه المراكب ، وسفروه الى دمنهور فى سادسه .

الاثنين ١٠ منه (٦ ديسمبر ١٨٠٢ م) :

كتبوا عدة أوراق ، وختم عليها المشايخ ، ليرسلوها الى البلاد ، خطابا لمشايخ البلاد والعربان ... مضمونها معنى ما تقدم .

وكتبوا كذلك نسخا وألصقت بالأسواق ، وذلك باشارة بعض قرناء الباشا المصرلية ، وهى بمعنى التحذير والتخويف لمن يسالم الأمراء المصرلية ، وخصوصا المغضوب عليهم ... مطرودى السلطنة ، العصاة ، الى آخر معنى ماتقدم .

وفى هذه الأيام : كثرت الغلال حتى غصت بها السواحل والحواصل ، ورخص سعرها حتى بيع القمح بمائة وعشرين نصفا الأردب . واستمرت الغلال معرمة فى السواحل ولا يوجد من يشتريها .

وكان شريف افندى الدفتردار أنشأ أربعة مراكب كبار لغلال الميرى . ولما حصلت النصرة للمصرلية على العثمانية — خصوصا هذه المرة مع كثرتهم وقوتهم واستعدادهم — ضبعوا فيهم واحتكروها ،

ووقفوا على سواحل النيل يمنعون الصادر والوارد منهم ومن غيرهم .

وأما الباشا فانه سخط على العساكر ، وصار يلعنهم ويشتمهم فى غيابهم وحضورهم .

وفيه : حضرت جماعة من أشراف مكة وعلمائها هربا من الوهابيين،وقصدهم السفر الى اسلامبول يخبرون الدولة بقيام الوهابيين ، ويستنجدون بهم لينقذوهم منهم ، ويبادروا لنصرهم عليهم . فذهبوا الى بيت الباشا والدفتردار وأكابر البلد ، وصاروا يحكون ويشكون ، وتنقل الناس أخبارهم وحكاياتهم .

رمضان

الأحد غرته (٢٦ ديسمبر ١٨٠٢ م) :

فى ليلته:عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف على العادة ولم ير الهلال — وكان غيما مطبقا — فلزم اتمام عدة شعبان ثلاثين يوما فانتدب جماعة ليلة الأحد وشهدوا أنهم رأوا هلال شعبان ليلة الجمعة ... فقبله القاضى ، وحكم به تلك الليلة . على أن ليلة الجمعة التى شهدوا برؤيته فيها ... لم يكن للهلال وجود البتة وكان الاجتماع فى سادس ساعة من ليلة الجمعة المذكورة ... باجماع الحساب والدساتير المصرية والرومية . على أنه لم ير الهلال ليلة السبت الا حديد البصر .. فى غاية العسر والعجب .

وشهر رجب كان أوله الجمعة ، وكان عسر الرؤية ايضا ، وأن الشاهد بذلك لم يتفوه به الا تلك الليلة فلو كانت شهادته صحيحة لأشاعها فى أول الشهر لوقع ليلة النصف — التى هى من المواسم الاسلامية — فى محلها ... حيث كان حريصا على اقامة شعائر الاسلام .

وفيه : حضرت جماعة من أشراف مكة وغيرها .

الأربعاء ٢٥ منه (١٩ يناير ١٨٠٣ م) :

حضر خليل أفندى الرجائى الدفتردار فى قلة من أتباعه ، وترك أثقاله بالمراكب ، وركب من مدينة فوة وحضر على البر ، وذلك بسبب وقوف جماعة من الأمراء المصرلية ناحية النجيلة يقطعون الطريق على المارين فى المراكب . ولما حضر نزل بيت اسماعيل بيك بالازبكية .

غايته (٢٤ يناير ١٨٠٣ م) :

وقع ماهو أشنع مما وقع فى غرته . وذلك أن ليلة الاثنين غايته كان بالسماء غيم مطبق ، ومطر ورعد وبرق متواتر . وأوقدت قناديل المنارات والمساجد ، وصلى الناس التراويح ، واستمر الحال الى سابع ساعة من الليل ... واذا بمدافع كثيرة وشنك من القلعة والأزبكية . ولغط الناس بالعيد ، وذكروا أن جماعة حضروا من دمنهور البحيرة ، وشهدوا أنهم رأوا هلال رمضان ليلة السبت . فذهبوا الى بيت الباشا ، فأرسلهم الى القاضى ... فتوقف القاضى فى قبول شهادتهم . فذهبوا الى الشيخ الشرقاوى ... فقبلهم ، وأيدهم ، وردهم الى القاضى ، وألزمه بقبول شهادتهم . فكتبوا بذلك اعلاما الى الباشا ، وقضوا بتمام عدة رمضان بيوم الأحد ، ويكون غرة شوال صبحها يوم الاثنين .. وأصبح الناس فى أمر مريج(١) : منهم الصائم ومنهم المفطر ! فلزم من ذلك أنهم جعلوا رجب ثمانية وعشرين يوما ، وشعبان تسعة وعشرين ، وكذلك رمضان ... والأمر لله وحده !

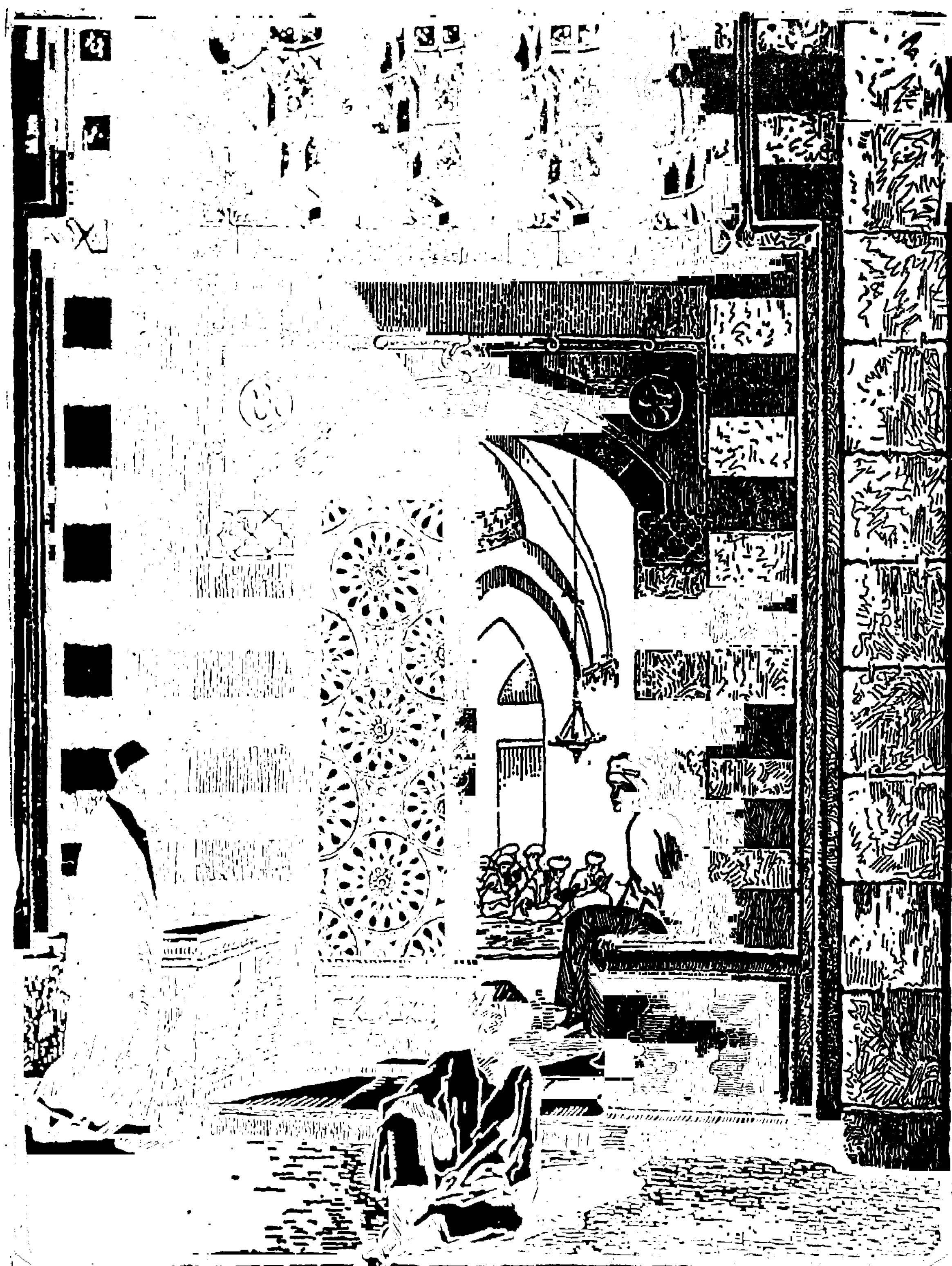
شوال

غرته (٢٥ يناير ١٨٠٣ م) :

كان أوله الحقيقى يوم الثلاثاء ، وجزم غالب الناس المفطرين بقضاء يوم الاثنين .

---

(١) مختلط



الجامع الأزهر
ويرى الطلبة داخله يتلقون دروسهم

٥ منه (٢٩ يناير ١٨٠٣ م) :

وصلت أثقال خليل أفندى الرجائى الدفتردار .

وفيه : طلبوا ألف كيس سلفة من التجار وأرباب الحرف ، فوزعت ، وقبضت على يد السيد أحمد المحروقى ... وهى أول حادثة وقعت بقدوم الدفتردار !

١٠ منه (٣ فبراير ١٨٠٣ م) :

نصب جالش شريف باشا ، المعبر عنه بالطوخ ، عند بيته بالأزبكية ، وضربت له النوبة التركية ، واهدى له الباشا خياما كثيرة وطقما ولوازم .

٢٢ منه (١٥ فبراير ١٨٠٣ م) :

كان خروج أمير الحج بالموكب والمحمل المعتاد الى الحصوة . وكان ركب الحجاج فى هذه السنة عالما عظيما . وحضر الكثير من حجاج المغاربة من البحر . وكذلك عالم كثير من الصعيد وقرى مصر البحرية والأروام .. وغير ذلك .

٢٥ منه (١٨ فبراير ١٨٠٣ م) :

خرج شريف باشا فى موكب جليل ، ونصب وطاقه عند بركة الشيخ قمر ، فأقام به الى أن يسافر الى جدة من القلزم ، وانتقل خليل أفندى الرجائى الدفتردار الى دار شريف باشا بالأزبكية .

غانته (٢٢ فبراير ١٨٠٣ م) :

حضر أولاد الشريف سرور ، شريف مكة ، هروبا من الوهابيين ، ليستنجدوا بالدولة . فنزلوا ببيت المحروقى بعد ما قابلوا محمد باشا والى مصر وشريف باشا والى جدة .

ذو القعدة

الاربعاء غرته (٢٣ فبراير ١٨٠٣ م) :

تقدم الناس بطلب الجامكية ، فأمرهم الدفتردار بكتابة عرضحالات . فثقل عليهم ذلك ، فقالوا « انا كتبنا عرضحالات فى السنة الماضية ، وأخذنا سنداتنا من الدفتردار المنفصل ، ودفع لنا سنة ستة عشر » . فقيل لهم : « انه دفع لكم سنة معجلة .. والحساب لا يكون الا من يوم التوجيه ! » . فضجوا من ذلك ، وكثر لغط الناس بسبب ذلك ، وأكثروا من التشكى من الدفتردار .

الاثنين ٦ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٣ م) :

اجتمع الكثير من النساء بالجامع الأزهر ، وصاحوا بالمشايخ ، وأبطلوا دروسهم . فاجتمعوا بقبلته ، ثم ركبوا الى الباشا ، فوعدهم بخير حتى ينظر فى ذلك ... وبقى الأمر ، وهم فى كل يوم يحضرون ، وكثر اجتماعهم بالأزهر وباب الباشا فلم يحصل لهم فائدة من ذلك سوى أن رسم لهم ، بمواجب آخر سنة تاريخه ... معجلة . ولم يقبضوا منها الا ماقل بسبب تتابع الشرور والحوادث .

السبت ١١ منه (٥ مارس ١٨٠٣ م) :

ارتحل شريف باشا الى بركة الحج متوجها الى السويس .

وفيه : ارتحل حجاج المغاربة ، وكانوا كثيرين ، فسافر أغنياؤهم ، والكثير من فقرائهم ، من طريق البر ، وآخرون من السويس على القلزم .

الثلاثاء ١٤ منه (٨ مارس ١٨٠٣ م)

حضر ططريات الى الباشا ، وعلى يدهم شالات شريفة وبشارة بتقريره على السنة الجديدة ، وزيد له « تشريف ترخانة » ، ومعناه مرتبة عالية فى الوزارة . فضربوا شنكا ومدافع متوالية يومين

وفيه : أشيع انتقال الأمراء المصرلية من جهة البحيرة ، وقبلوا الى ناحية الجسر الأسود .

وأشيع أيضا أن جماعة منهم نزلوا بصحبة جماعة من الانكليز الى البحر ، قاصدين التوجه الى

اسلامبول . وانتقل كتخدا بيك خلفهم بعساكره ، ولكن لم يتجاسروا على الاقدام عليهم .

وفيه : وصلت الأخبار من الجهات الشامية بهروب محمد باشا أبى مرق من يافا ، واستيلاء عساكر أحمد باشا الجزار عليها وذلك بعد حصاره فيها سنة وأكثر .

وفيه : حضر كتخدا الباشا ، وتقدم الأمراء المصرلية الى جهة قبلى حتى عدوا الجيزة ، وحصل منهم ومن العساكر العثمانية الضرر الكثير فى مرورهم على البلاد ... من التفاريد والكلف ، ورعى الزروع ، وقطع الطرق برا وبحرا .

وكان أغات الجوالى القبلية — وهو نجيب أفندى كتخدا الدفتردار — وصحبته أرباب مناصب ، عدوا الى الجيزة متوجهين الى الصعيد ، ونصبوا خيامهم ببر الجيزة . فصادفوهم ، وهجموا عليهم ، وقتلوا منهم من وجدوه ، وهرب الباقون .. فاستولوا على خيامهم ووطاقهم . وكذلك كتخدا الدفتردار خرج الى مصر القديمة متوجها الى الصعيد لقبض الغلال والأموال ... فاستمر مكانه ، وتأخر لعدم المراكب وخوفا من المذكورين .

وفيه : ورد الخبر بنزول شريف باشا الى المراكب بالقلزم يوم الخميس سادس عشره .

الاربعاء ٢٢ منه (١٦ مارس ١٨٠٣ م) :

طلبوا أيضا خمسة آلاف كيس سلفة : من التجار ثلاثة آلاف ، ومن الملتزمين ألفا كيس ، وشرعوا فى توزيعها . فانزعج الناس ، وأغلق أهل الغورية حوانيتهم ، وكذا خلافهم ، وهرب أهل وكالة الصابون الى الشام على الهجن . واختفى أكثر الناس مثل : السكرية وأهل مرجوش وخلافهم . فطلبهم المعينون ، ولزموا بيوتهم ، وسمروا مطابخ السكر وكذلك عملوا فردة على البلاد : أعلى وأوسط وأدنى ... الأعلى : خمسمائة ريال ، والأوسط : ثلثمائة ، والأدنى : مائة وخمسون .

وفيه : تحقق الخبر بنزول طائفة الانكليز ، وسفرهم من ثغر الاسكندرية فى يوم السبت حادى عشره . ونزل بصحبتهم محمد بيك الألفى وصحبته جماعة من أتباعه .

السبت ٢٥ منه (١٩ مارس ١٨٠٣ م) :

حضر أحمد باشا والى دمياط ، وكانوا أرسلوا له طوخا ثالثا ، وأنه يحضر ويتوجه لمحافظة مكة . وكذلك قلدوا آخر باشاوية المدينة ، يسمى أحمد باشا ، وضموا لهما عسكرا يسافرون صحبتهم للمحافظة من الوهابيين ، وأخذوا فى التشهيل .

وفى هذه الأيام : كثر تشكى العسكر من عدم



السكر بالجهة الحرانية

الحاكمة والنفقة ، فانه اجتمع لهم جامكية نحو سبعة شهر ، وقد قطع عليهم الباشا رواتبهم وخرجهم لقلة الايراد ، وكثرة المطلوبات ، وكراهته لهم . فصار كبراؤهم يترددون ويكثرون من مطالبة الدفتردار ، حتى كان يهرب من بيته غالب الأيام .

وأشيع بالمدينة قيام العسكر ، وأنهم قاصدون نهب أمتعة الناس . فنقل أهـل الغورية وخلافهم بضائعهم من الحوانيت ، وامتنع الكثير منهم من فتح الحوانيت ، وخافهم الناس حتى فى المرور .. وخصوصا أوقات المساء . فكانوا اذا انفردوا بأحد شلحوه من ثيابه ، وربما قتلوه !

وكذلك أكثروا من خطف النساء والمردان !

الثلاثاء ٢٨ منه (٢٢ مارس ١٨٠٣ م) :

كان انتقال الشمس لبرج الحمل ، وأول فصل الربيع . وفى تلك الليلة هبت رياح شمالية شرقيـة هبوبا شديدا مزعجا ، واستمرت بطول الليل . وفى آخر الليل — قبل الفجر — اشتد هبوبهـا .. ثم سكنت عند الشروق .

وسقط تلك الليلة دار بالحبالة بالرميلة ، ومات بها نحو ثلاثة أشخاص ، وداران أيضا بطولون ، وغـير ذلك حيطان وأطارف أماكن قديمة . ثـم تحولت الريح غربية قوية ، واستمرت عـدة أيام ومعها غيم ومطر .

وفيه : وصل الأمـراء المصرلية الى الفيـوم ، فأخذوا كلفا ودراهم كثيرة فردوها على البلاد ، ثم سافروا الى الجهة القبلية .

وفيه : ورد الخبر بأن المراكب التى بها ذخـيرة أمير الحاج بالقلزم ، المتوجهة الى الينبع والمويلح ... غرقت بما فيها ، ومركب الجميعى من جملتها .

وفيه . حضر مصطفى بيتباشا ، الذى كان أيام الوزير بمصر ، الى بلبيس ، وهو موجه بطلب مبلغ دراهم . فأقام ببلبيس حتى أرسلوها له ، ثم ذهب الى دمياط ، وصحبته نحو الأربعمائة من الأرنؤود ، ليسافر من البحر .

وفيه : توجه المحروقى والكثير من الناس لزيارة سيدى أحمد البدوى لمولد الشرنبلالية . وأخـذ معه عدة كثيرة من العسـكر خوفا من العربان ، ووصل اليه فرمان بطلب دراهم من أولاد الخادم ومن أولاد البلد ... فدلوا عـلى مكان لمصطفى الخادم ، فاستخرجوا منه ستة آلاف ريال ، وطلبوا من كل واحد من أولاد عمه مثلها .

ذو الحجـة

الاثنين ٤ منه (٢٨ مارس ١٨٠٣ م) :

قتلوا شخصا عسكريا نصرانيا عند باب الخرق... قتله أغات التبديل بسبب أنه كان يقف عند باب داره بحارة عابدين هو ورفيقان له ، ويخطفون من يمر بهم من النساء فى النهار ... الى أن قبض عليه وهرب رفيقاه .

وفيه أيضا : أخرجوا من دار بحارة « خشقدم » قتلى كثيرة نساء ورجالا من فعل العسكر !

وفيه : عدى ابراهيم باشا الى بر الجيزة .

الاحد ١٠ منه (٣ ابريل ١٨٠٣ م) :

كان عيد الأضحى .

فى ذلك اليوم : حضر من الأمراء القبالى مكاتبة على يد الشيخ سليمان الفيومى خطابا للمشايخ ، فأخذها بختمها وذهب بها الى الباشا ، ففتحها واطلع على ما فيها . ثم طلب المشايخ فحضروا اليه وقت العصر .

الجمعة ١٥ منه (٨ ابريل ١٨٠٣ م) :

حضرت مكاتبات من الديار الحجازية ، يخبرون فيها عن الوهابيين ، أنهم حضروا الى جهة الطائف .

فخرج اليهم شريف مكة ـ الشريف غالب ـ فحاربهم ، فهزموه ، فرجع الى الطائف ، وأحرق داره التي بها ، وخرج هاربا الى مكة فحضر الوهابيون الى البلدة ، وكبيرهم « المضايفي » نسيب الشريف ، وكان قد حصل بينه وبين الشريف وحشة ، فذهب مع الوهابيين ، وطلب من مسعود الوهابي أن يؤمره على العسكر الموجهة لمحاربة الشريف ... ففعل . فحاربوا الطائف ، وحاربهم أهلها ثلاثة أيام حتى غلبوا فأخذ البلدة الوهابيون واستولوا عليها عنوة ، وقتلوا الرجال ، وأسروا النساء والأطفال ... وهذا دأبهم مع من يحاربهم !

وفي ذلك اليوم : مر أربعة أنفار من العسكر ، وأخذوا غلاما لرجل حلاق بخط بين الصورين عند القنطرة الجديدة . فعارضهم الأسطى الحلاق في أخذ الغلام ، فضربوا الحلاق وقتلوه ! ثم ذهبوا بالغلام الى دارهم بالخطة . فقامت في الناس ضجة وكرشة وحضر أغات التبديل فطلبهم ، فكرنكوا بالدار ، وضربوا عليه البنادق من الطيقان ، فقتلوا من أتباعه ثمانية أنفار ، ولم يزالوا على ذلك الى ثاني يوم .

فركب الباشا في التبديل ، ومر من هناك ، وأمر بالقبض عليهم . فنقبوا عليهم من خلف الدار ، وقبضوا عليهم ، بعد ما قتلوا وجرحوا آخرين ، فشنقوهم ، ووجدوا بالدار مكانا خربا أخرجوا منه زيادة عن ستين أمرأة مقتولة .. وفيهن من وجدوها وطفلها مذبوح معها في حضنها !!

وفيه : حضر على أغا الوالي الى بيت أحمد أغا شويكار بدرب سعادة ، وأخرج منه قتلى كثيرة وأمثال ذلك .. شيء كثير !!

وفيه : أمر الباشا الوجاقلية أن يخرجوا جهة العادلية لأجل الغفر من العربان . فاتهم فجش أمرهم ، وتجاسروا في التعرية والخطف .. حتى على



مقاتل من الوهابيين

نواحي المدينة ، بل وطريق بولاق وغير ذلك .

السبت ١٦ منه (٩ ابريل ١٨٠٣ م) :

ركب الوجاقلية بأبهتهم وبيارقهم ، وحضروا الى بيت الباشا ، وخرجوا من هنالك الى وطاقهم الذي أعدوه لأنفسهم خارج القاهرة ، وشرعوا أيضا في تعمير قصر من القصور الخارجة ، التي خربت أيام الفرنسيس .

الثلاثاء ١٩ منه (١٢ ابريل ١٨٠٣ م) :

سافر جماعة الوجاقلية المذكورين ، وصحبتهم عدة من العسكر ، الى جهة عرب الجزيرة .. بسبب اغارة موسى خالد ومن معه على البلاد ، وقطع الطرق . فلاقاهم المذكور ، وحاربهم ، وهزمهم الى وردان ، وذهب هو الى جهة البحيرة .

الأحد ٢٤ منه (١٧ ابريل ١٨٠٣ م) :

كان عيد النصارى الكبير . فى ليلتها — وهى ليلة الاثنين — وقع الحريق فى الكنيسة التى بحارة الروم .

وفى صبحها شاع ذلك . فركب اليها أغات الانكشارية والوالى ، وأحضروا السقائين والفعلة الذين يعملون فى عمارة الباشا .. حتى أخذوا الناس المجتمعة بسوق المؤيد بالأنماطيين ، وحضر الباشا أيضا فى التبديل ، واجتهدوا فى اطفائها بالماء والهدم .. حتى طفئت فى ثانى يوم .

واحترق بها أشياء كثيرة وذخائر وأمتعة ، ونهبت أشياء !

وفيه : وردت أخبار بأن الأمراء المصرلية وصلوا الى منية ابن خصيب ، فأرسلوا الى حاكمها بأن ينتقل منها ، ويعدى هو ومن معه من العسكر الى البر الشرقى ، حتى انهم يقيمون بها أياما ويقضون أشغالهم ثم يرحلون !

فأبوا عليهم ، وحصنوا البلدة ، وزادوا فى عمل المتاريس . وحاكمها المذكور سليم كاشف — تابع عثمان بيك الطنبرجى المرادى المقتول — فانه سالم العثمانيين ، وانضم اليهم ، فألبسوه حاكما على المنية ، وأضافوا اليه عساكر . فذهب اليها ، ولم يزل مجتهدا فى عمل متاريس ومدافع ... حتى ظن أنه صار فى منعة عظيمة .

فلما أجابهم بالامتناع ، حضروا الى البلدة . وحاربهم أشد المحاربة مدة أربعة أيام بلياليها ، حتى غلبوا عليهم ، ودخلوا البلدة ، وأطلقوا فيها النار ، وقتلوا أهلها وما بها من العسكر . ولم ينج منهم الا من ألقى نفسه فى البحر ، وعام الى البر الآخر ، أو كان قد هرب قبل ذلك !

وأما سليم كاشف فانهم قبضوا عليه حيا ، وأخذوه أسيرا الى ابراهيم بيك .. فوبخه ، وأمر بضربه . فضربوه علقة بالنبابيت !

وفيه : وصلت هجانة — من شريف باشا — بمكاتبة للباشا والدفتردار ، يخبر فيها أنه وصل الى الينبع ، وهو عازم على الركوب من هناك على البر ليدرك الحج ، ويترك أثقاله ... فتوجه فى المركب الى جدة .

وفى غايته (٢٢ ابريل ١٨٠٣ م) :

وصل سلحدار الباشا وصحبته أغات المقرر ، الذى تقدمت بشارته . فلما وصلوا الى بولاق ، أرسل الباشا فى صبحها اليهم . فركبوا فى موكب الى بيت الباشا ، وضربوا لهم مدافع . وحضر المشايخ والقاضى والأعيان والوجاقات ، فقرىء عليهم ذلك . وفيه : الأمر بتشهيل غلال للحرمين ، والحث والأمر بمحاربة المخالفين .

وفيه : بعثوا نحو ألف من العسكر الى جهة أسيوط للمحافظة . فساروا على الهجن من البر الشرقى .

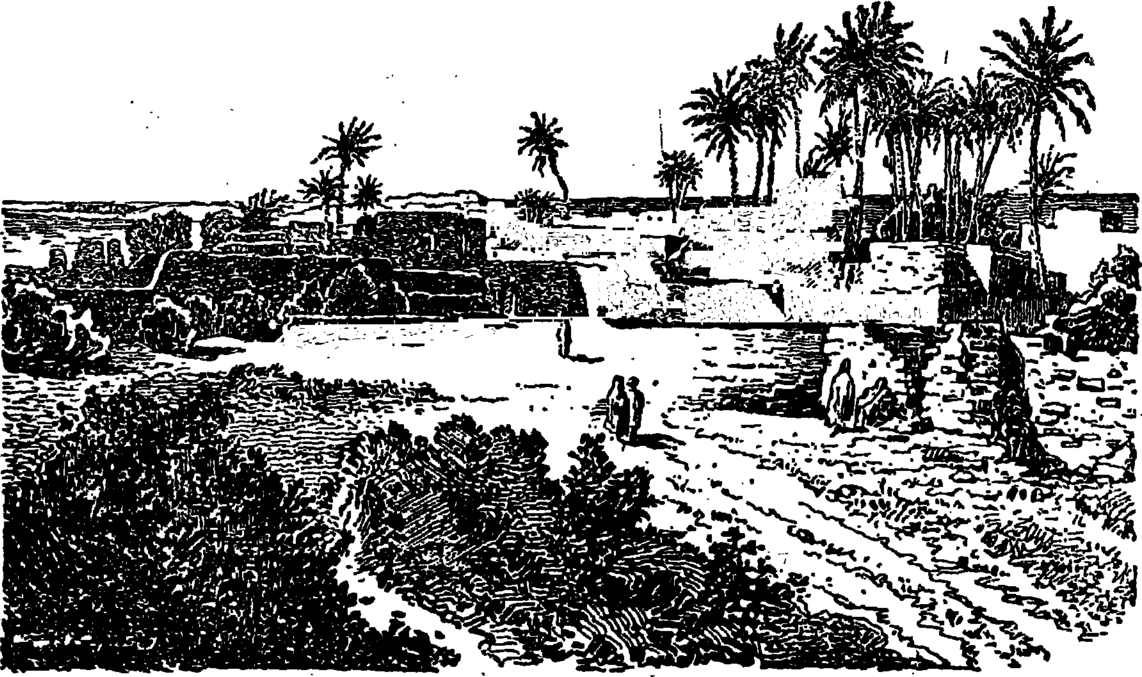
وفيه : أرسلوا أوراقا الى التجار وأرباب الحرف ، بطلب باقى الفردة .. وهو القدر الذى كان تشفع فيه المحروقى ، وأخذوا فى تحصيله .

* * *

وانقضت هذه السنة ، وما وقع بها من الحوادث الكلية التى ذكر بعضها ، وأما الجزئية فلا يمكن الاحاطة ببعضها فضلا عن كلها ، لكثرتها واختلاف جهاتها ، واشتغال البال عن تتبع حقائقها ، ونسيان الغائب بالأشنع ، والقبيح بالأقبح .

فمن الكلية التىعم الضرر بها : زيادة المكوس أضعاف المعتاد فى كل ثغر ذهابا وايابا .

ومنها : توالى الفرد والسلف والمظالم على أهل المدينة والأرياف ، وحق طرق المعينين ، وكلفهم الخارجة عن الحد والمعقول .. بأدنى شكوى ، ولو



اسيوط

بالباطل . فبمجرد ما يأتي الشاكي بعرضحال شكواه ، يكتب له ورقة ، ويعين بها عسكرى أو اثنان أو أكثر .. بحسب اختيار الشاكي وطلبه ، للتشفى من خصمه . فبمجرد وصوله الى المشكى بصورة منكرة ، وسلاح كثير متقلد به ، فلا يكون له شغل الا طلب خدمته ، ولا يسأل عن الدعوى ولا عن صورتها ويطلب طلبا خارجا عن المعقول كألف قرش فى دعوى عشرة قروش ! وخصوصا اذا كانت الشكوى على فلاح فى قرية ، فيحصل أشنع من ذلك ... من اقامتهم عندهم ، وطلبهم وتكليفهم الذبائح والفطور بما يشترطونه ويقترحونه عليهم . وربما يذهب الشخص الذى يكون بينه وبين آخر عداوة قديمة ، أو مشاحنة ، أو دعوى ... قضى عليه فيها بحق من زمان طويل ، فيقدم له عرضحال ، ويعين له مباشرا بفرمان ، ويذهب هو فلا يظهر ، ويذهب المعين فى شغله ... والمشكى لا يرى الشاكى ، ولا يدرى من أين جاءته هذه المصيبة !

ويمكن أنه من بعد خلاصه من أمر المباشر ، يحضر الى بيت الباشا ، ويفحص عن خصمه ويعرفه ، فينهى دعواه ، ويظهر حجته بأنه على الحق ، وأن خصمه على الباطل . فيقال له : « عين على خصمك أيضا » . فان أجاب الى ذلك ، رسم له بفرمان ومعين آخر كذلك .. والا ترك أجره على الله ورجع !

فضاق ذرع الناس من هذه الحال ، وكرهوا هذه الأوضاع وربما قتل الفلاحون المعينين ، وهربوا من بلادهم ، وجلوا عن أوطانهم خوف الغائلة .

ولم يزل هذا دأبهم ، حتى نفرت منهم القلوب ، وكرهتهم النفوس ، وتمنوا لهم الغوائل .

وعصت أهل النواحى ، وعربدت العربان ، وقطعوا الطرق ، وعلموا خياناتهم ... فخانوهم ، ومكالبتهم ... فكالبوهم

وانتمى عربان الجهة القبلية الى الأمراء المصرلية وساعدوهم عليهم . ولما انحدر الأمراء الى جهة

بحرى ، انضمت اليهم جميع قبائل الجهة الغربية والهنادى وعرب البحيرة وخلافهم .

فلما وقعت الحروب بين الأمراء والعثمانيين ، وكانت الغلبة للأمراء والعربان ... زادت جسارتهم عليهم ، ورصدوا لهم الغوائل ، وقطعوا عليهم وعلى المسافرين الطرق بحرا وبرا . فمن ظفروا به ومانعهم ، نهبوا متاعه وقتلوه .. والا سلبوه وتركوه !

وفحش الأمر جدا ، قبلى وبحرى ، حتى وقف حال الناس ، ورضوا عن أحكام الفرنسيس !

ومنها : أن الباشا لما قتل الوالى والمحتسب ، وعمل قائمة تسعيرة للمبيعات ، وأن يكون الرطل اثنتى عشرة أوقية فى جميع الأوزان ، وأبطلوا الرطل الزياتى الذى يوزن به السمن والجبن والعسل واللحم وغير ذلك — وهو أربع عشرة أوقية — لم ينفذ من تلك الأوامر شىء سوى نقص الأرطال !

ولم يزل ذو الفقار محتسباً حتى رتب المقررات على المتسببين زيادة عن القانون الأصلى ، وجعل منها قسطا لخزينة الباشا وللكتخدا وخلافهما .

ورجعت الأمور فى الأسعار أقبح وأغلى مما كانت عليه فى كل شىء ، واستمر الرطل اثنتى عشرة أوقية لاغير .

وكثر ورود الغلال أيام النيل ، ورخص سعرها . والرغيف على مقدار رغيف الغلاء !

ومنها : أن الفضة الأنصاف العددية ، صاروا يأخذونها من دار الضرب أول بأول ويرسلونها الى الروم والشام بزيادة الصرف ، ولا ينزل الى الصيارف منها الا القليل ، حتى شحت بأيدى الناس جدا ، ووقف حالهم فى شراء لوازم البيوت ومحقرات الأمور . ويدور الانسان بالريال أو المحبوب أو المجر — وهو فى يده طول النهار — فلا يجد مصارفته !

وأغلقت غالب الصيارف حوانيتهم بسبب ذلك ، وبسبب أذية العسكر . فانهم يأتون اليهم ويلزمونهم بالمصارفة ، فيقول له الصيرفى : «ليس عندى فضة» فلا يقبل عذره ، ويفزع عليه بيطقانه أو بارودته . وان وجد عنده المصارفة ، وكان المحبوب أو البندقى ناقصا فى الوزن ... لا يستقيم فى نقصه ، ولا يأخذ الا صرفه كاملا . واذا اشترى شيئا من سوقى ، أعطاه بندقيا وطلب باقيه .. ولم يكن عند البائع باقيه ، أخذ الذى اشتراه والبندقى وذهب . ولا نقدر المتسبب على استخلاص حقه منه ! وان وجد معه باقى المصارفة ، وأخذ ذلك البندقى ونقده عند الصراف ، وكان ناقصا — وهو الغالب — لا يقدر الصيرفى أن يذكر نقصه .. فان قال : « انه ينقص كذا » ، فزع عليه وسبه . وبعضهم أدخل اصبعه فى عين الصراف .. وأمثال ذلك !

ومنها : شحت المراكب ، حتى ان المسافر يمكث الأيام الكثيرة بنتظر مركبا ... فلا يجد . وربما أخذوها بعد تمام وسقها .. فنكتوه ، وأخذوها . وان مرت على الأمراء المصرلية وما انضم اليهم ، تعرضوا لها ، ونهبوا ما بها من الشحنة ، وأخذوا المركب .

واستمر هذا الحال على الدوام . فكان ذلك من أعظم أسباب التعطيل أيضا .

ومنها : تسلط العسكر على خطف الناس وسلبهم وقتلهم ، وخصوصا فى أواخر هذه السنة ، حتى امتنعت الناس من المرور فى جهات سكنهم الا أن يكونوا فى عزوة ومنعة وقسوة . ولا تكاد ترى شخصا يمر فى الأسواق السلطانية من بعد المغرب وقبيل العشاء !



السير من بعد الغروب .. بالخفارة والعزوة

وإذا اضطر الانسان الى المرور تلك الأوقات ، فلا يمر الا كالمجازف على نفسه ، وكأنما على رأسه الطير . فيقال ان فعلهم هذه الفعائل من عوائدهم الخبيثة ... اذا تأخرت نفقاتهم ، فعلوا ذلك مع العامة ، على حد قول القائل : « خلص ثارك من جارك » . وذلك كله بسبب تأخير جماكيهم وقطع خرجهم نحو خمسة أشهر . والباشا يسوقهم ويقول : « هؤلاء لا يستحقون فلسا ، وأى شيء خرج من يدهم ، وطول المدى نكلفهم ونعطيهم ، وما ستروا أنفسهم مع الغز المصرلية ... ولا مرة ، فلا حاجة لنا بهم . بل يخرجون عنى ، ويذهبون حيث شاءوا فليس منهم الا الرزية والقنطرية ! » وهم يقولون: « لا نخرج ، ولا نذهب ، حتى نستوفى حقنا على دور النصف الفضة الواحد . وان شئنا أقمنا ، وان شئنا ذهبنا ! » .

ومنها : استمرار الباشا على الهمة والاجتهاد فى العمارة والبناء ، وطلب الأخشاب والمون .. حتى عز جميع أدوات العمارة ، وضاق حال الناس بسبب احتياجهم لعمارة أماكنهم التى تخربت فى الحوادث السابقة . وبلغ سعر الأردب الجبس : مائة وعشرين نصفا ، والجير المخلوط : أربعين نصفا ، وأجرة المعلم فى اليوم : خمسة وأربعين نصفا ، وتبعه آخر ، مثل ذلك ، والفاعل : اثنين وعشرين نصفا !

وأحدثوا أخذ اجازة من المعمارجى ، وهو أن الذى يريد بناء — ولو كانونا — لا يقدر أن يأتيه البناء حتى يأخذ ورقة من المعمارجى ، ويدفع عليها خمسين نصفا . ولم يزل الاجتهاد فى العمارة المذكورة ، حتى أقاموا جانبا من « القشلة » ، وهى عبارة عن وكالة يعلوها طباق ، وأسفلها اصطبلات ، وحولها — من داخل — حواصل ، ومن خارج

حوانيت وقهوة . فعند ما تمت الحوانيت ، ركبوا عليهــا درفها ، وأسكنوا بها قهوجيــا ومزينا من أتبــاع الباشا ، وخيــاطين وعقادين وصرماتية الباشا ، وغير ذلك .

ولم يكمل تسقيف الطباق ، وعملوا لهــا بوابة عظيمة بمصاطب ، وهدموا حائط الرحبــة المقابلة لبيت الباشا الخارجة ، وعمرت ، وأنشئت بالحجر النحت المحكم الصنعة ، وعملوا لهــا بابا عظيمــا بيدنات وأبراج عظيمة ، وبها طاقات عليا وسفلى ، وصفوا بها المدافع العظيمة .

وبركة الرحبة مثل ذلك . وعملوا لها بابا آخر قبالة باب « القشلة » بحيث صــار بينهــا وبين « القشلة » رحبة متسعة سلك منها المــارون الى جهة بولاق ، على الجسر الذى عمله الفرنسيس .

ويخرجون أيضــا فى سلوكهم من بوابة عظيمة الى طريق بولاق ، من الجهة الغربية ، بحائط حجر متصــلة من الرحبــة .. حيث البوابة المواجهــة « للقشلة » الى آخر « القشلة » .

وعلى هذه البوابة من الجهتين مدافع مركبة على بدنات وأبراج وطيقان مهندمة ، وبأسفلها — من داخل — مصطبة كبيرة من حجر ، وبها باب يصعد منه الى تلك الأبراج . والجبخانة والعساكر جلوس على تلك المصاطب الخارجة والداخلة ... لابسين الأســلحة ، وبنادقهم مرصوصة بدائر الحيطان . وبداخل الرحبة الوسطانية مدافع عظيمة مرصوصة بطول الرحبة يمينا وشمالا . وكذلك بداخل الحوش الجوانى الأصلى ، وبأسفل البركة نحو المائتى مدفع مرصوصة أيضا ، وعربيــات وصنــاديق جبخانة وآلات حرب وغير ذلك .

والجبخانة الكبيرة لها محل مخصوص بالحوش الداخل الأصلى ، ولها خزانة وطبجية وعربجية

ومنها : أنه عدم البصــل الأحمــر .. حتى بيع الرطل بسعر القنطار فى الزمن السابق !

وعدم الملح أيضا .. بسبب احتكاره ! وعــدم المراكب التى تجلبه من بحرى ، لما ترتب عليهم من زيادة الجمرك ، وعدم مكاسبهم فيه ... لأن الذى تولى علي جمرك الملاحة صار يأخذه من أصحابه على ذمته بسعر قليل معلوم ، ويبيعه على ذمتــه بسعر كثير لمن يسافر به الى جهــة قبلى ، وذلك خــلاف ما يأخذه من المراكب التى تحمله .

فامتنع المتسببون فيه من تجارته ... فعز وجوده فى آخر السنة ، حتى بيع الربع بثمانين نصــفا .. من ثلاثة أنصاف !

وضجت الناس من ذلك ، فأرسل ذلك الملتزم ثلاثة مراكب على ذمته ، ووسقوها ملحا ، وصار يبيع الربع بعشرين نصفا ، ويبيعه المسبب بثــلاثين !.. وهذا لم يعهد فيما تقدم من السنين !!

وعدم أيضا الصابون بسبب تأخر القافلة ، حتى بيع بأغلى ثمن . ثم حضرت القافلة ، فانحل سعره وتواجد ، وغير ذلك مما لايمكن الاحاطة به . ونسأل الله تعالى حسن العاقبة .

المحرم

السبت غرته (٢٣ ابريل ١٨٠٣ م)

فى ذلك اليوم : وقعت زعجة عظيمة فى الناس ، وحصلت كرشات فى مصر وبولاق ، وأغلق أهل الأسواق حوانيتهم ، ورفعوا منها ماخف من متاعهم من الدكاكين وبعضهم ترك حانوته ، وهرب والبعض سقط متاعه من يده ولم يشعر .. من شدة مالحقهم من الخوف والارجاف ولم يعلم سبب ذلك !!

فيقال : ان السبب فى ذلك أن جماعة من كبار العسكر ذهبوا الى الباشا وطلبوا جماكيهم المنكسرة وخرجهم فقال لهم : « اذهبوا الى الدفتردار » ، فذهبوا الى الدفتردار ، فقال لهم : « جمكيتكم عند محمد على » ، فذهبوا الى محمد على — وكانوا وعدوهم بقبض جمكيتهم فى ذلك اليوم . فلما ذهبوا الى محمد على قال لهم : « لم أقبض شيئا » فعملوا معه شراسة ، وضرب بينهم بعض بنادق ، وهاجت العسكر عند بيت محمد على سرششمة .

فحصلت هذه الزعجة فى مصر وبولاق . ثم سكن ذلك بعد أن وعدهم بعد ستة أيام .

وفيه : وردت عدة نقاير ، وبها جبخانة وجملة من العساكر ، وصحبتهم ابراهيم أغا — الذى كان كاشف الشرقية عام أول — وكان توجه الى اسلامبول ... فحضر وصحبته ذلك .. فحملوا الجبخانة وطلعوها الى القلعة . فيقال انها متوجهة الى جدة بسبب فتنة الحجاز . وقيل غير ذلك .

الجمعة ٧ منه (٢٩ ابريل ١٨٠٣ م) :

ثارت العسكر ، وحضروا الى بيت الدفتردار ، فاجتمعوا بالحوش ، وقفلوا باب القيطون ، وطردوا القواسة . وطلع جمع منهم فوقفوا بفسحة المكان الجالس به الدفتردار ، ودخل أربعة منهم عند الدفتردار ، فكلموه فى انجاز الوعد ، فقال لهم : « انه اجتمع عندى نحو الستين ألف قرش .. فاما أن تأخذوها ، أو تصبروا كم يوم حتى يكمل لكم المطلوب » . فقالوا : « لابد من التشهيل ، فان العسكر تقلقوا من طول المواعيد » ، فكتب ورقة وأرسلها الى الباشا بأن يرسل اليه جانب دراهم تكملة للقدر الحاصل عنده فى الخزينة .

فرجع الرسول وهو يقول : « لا أدفع ، ولا آذن بدفع شىء ... فاما ان يخرجوا ويسافروا من بلدى ، أو لا بد من قتلهم عن آخرهم ! » .

فعندما رجع بذلك الجواب ، قال له : « ارجع اليه ، وأخبره أن البيت قد امتلا بالعساكر فوق وتحت ، وأنى محصور بينهم » فعند وصول المرسال ، وقبل رجوعه ، أمر الباشا بأن يديروا المدافع ويضربوها على بيت الدفتردار ، وعلى العسكر ! فما يشعر الدفتردار الا وجلة وقعت بين يديه ، فقام من مجلسه الى مجلس آخر . وتتابع الرمى ، واشتعلت النار فى البيت وفى الكشك الذى أنشأه ببيت جده المجاور لبيته — وهو من الخشب والحجنة (١) ، من غير بياض لم يكمل — فالتهب

(١) بوص رفيع ينمو على شاطىء النيل وفى البرك والمستنقعات.

بالنار ، فنزل الى أسفل — والأرنؤود محيطة به — وبات تحت السلالم الى الصباح . ونهب العسكر الخزينة والبيت ، ولم يسلم الا الدفتردار . والأوراق وضعوها فى صناديق وشالوها !

وكان ابتداء رمى المدافع وقت صلاة الجمعة . وأما أهل البلد فانهم كانوا متخوفين ومتطيرين من قومة أو فزعة تحصل من العسكر قبل ذلك . فلما عاين الناس تجمعهم ببيت الدفتردار ، شاع ذلك فى فى المدينة ومر الوالى يقول للناس : « ارفعوا متاعكم ، واحفظوا أنفسكم ، وخذوا حذركم وأسلحتكم » فأغلق الناس الدكاكين والدروب ، وهاجوا وماجوا . فلما سمعوا ضرب المدافع زاد تطيرهم ، وتخيلوا هجوم العسكر ونهب البلد ... بل ودخول البيوت . ولا راد بردهم ، ولا حاكما يمنعهم . ونادى المنادى : « معاشر الناس ، وأولاد البلد .. كل من كان عنده سلاح فليلبسه ، واجتمعوا عند شيخ مشايخ الحارات ، يذهب بكم الى بيت الباشا » .

وحضرت أوراق من الباشا لأهل الغورية ومغاربة الفحامين وتجار خان الخليلى وأهل طولون .. بطلبهم بأسلحتهم ، والحضور عنده ، والتحذير من التخلف

فذهب بعض الناس ، فأقاموهم عند بيت حريم الباشا وبيت ابن المحروقى المجاور له — وهو بيت البكرى القديم — فباتوا ليلتهم هناك .

وحضر حسن أغا والى العمارة ، عشاء تلك الليلة ، وطاف على الناس يحرضهم على القيام ومعاونة الباشا . وتجمع بعض الأوباش بالعصى والمساوق ، وتحزبوا أحزابا ، وعملوا متاريس عند رأس الوراقين وجهة العقادين والمشهد الحسينى .

فلما دخل الليل ، بطل الرمى الى الصباح ، فتنازعوا فى الرمى بالمدافع والقنابر من الجهتين ، وتترست العساكر بجامع أزبك وبيت الدفتردار وبيت محمد على وكوم الشيخ سلامة . وداخل الناس خوف عظيم من هذه الحادثة .

وأما القلعة الكبيرة ، فان الباشا مطمئن من جهتها ، لأنه مقيد بها الخازندار ومعه عدة من الأرنؤود وغيرهم ، وقافل أبوابها .

ولما كان يوم الجمعة — أمس تاريخه — قبل حصول الواقعة ، وحضر أغات الانكشارية والوجاقلية لأجل السلام على عادتهم ، ودخلوا عند كتخدا بيك ، قال لهم : « نبهوا على أهل البلد بغلق الدكاكين والأسواق والاستعداد ... فان العسكر حاصل عندهم قلة أدب ! » .

فلما طلعوا عند الباشا ، أعلموه بمقالة كتخدا بيك ، فقال لهم: «نعم»، فقال له أغات الانكشارية « ياسلطانم ... ينبغى الاحتفاظ بالقلعة الكبيرة قبل كل شىء » فقال : « ان بها الخازندار ، وأوصبته بالاحتفاظ وغلق الأبواب » ، فقال له الأغا : « لكن ينبغى أن تترك عند كل باب من خارج قدر خمسين انكشاريا » ، فقال : « وايش فائدتهم ؟ ما عليكم من هذا الكلام... تريدون تفريق عساكرى . اذهبوا لما أمرتكم به » . وذلك لأجل انفاذ القضاء !

وحضر طاهر باشا أيضا فى ذلك الوقت ، وهو كالمحب ومكمن العداوة ، فلم يقابله الباشا ، وأمره بأن يذهب الى داره ، ولا يقارش .

السبت ٨ منه (٣٠ ابريل ١٨٠٣ م) :

رتب الباشا عساكره على طريقة الفرنسيس — وهو المسمى بالنظام الجديد — فخرجوا بأسلحتهم وبنادقهم وخيولهم ، وهم طوابير ، ومروا حوالى البركة ، وانقسموا فرقتين : فرقة أتت على رصيف الخشاب ، وفرقة على جهة باب الهواء ... ليأخذوا الأرنؤودية بينهم ، ويحصروهم من الجهتين .

فلما حضرت الفرقة التى من ناحية رصيف

الخشاب ... قاتلوا الأرنؤودية . فعند ذلك أركبوا الدفتردار ، وأخذوه الى بيت طاهر باشا ، ومعه أتباعه . وانهزم الأرنؤودية من تلك الجهة ، وانحصروا جهة جامع أزبك ، واشتغلوا بمحاربة الفرقة الأخرى ، وتحققوا الهزيمة والخذلان .

وعندما وصلت عساكر الباشا الى بيت الدفتردار والمحروقى وبيت حريم الباشا ، اشتغلوا بالنهب واخراج الحريم ، وتركوا القتال وتفرقوا بالمنهوبات. وفترت همة الفرقة الأخرى،وجرى أكثرهم ليخطف شيئا ، ويغنم مثلهم ! وقالوا : « نحن نقاتل ونموت... لا على شيء .. وأصحابنا ينهبون ويغنمون ! » ، فهزموا أنفسهم لذلك ، وتراجع الأرنؤودية ، واشتدت عزيمتهم . ورجع البعض منهم على عساكر الباشا ، فهزموا من بقى منهم ، وملكوا الجهة التى كانوا أجلوهم عنها .

فعند ذلك ظهر طاهر باشا ، وركب الى الرميلة ، وتقدم الى باب العزب ، فوجده مغلوقا ، فعالج الطاقات الصغار التى فى حائط باب العزب ، القريبة من الأرض ، المعدة لرمى المدافع من أسفل ... ففتح بعضها ، ودخل منها بعض عسكر . فتلاقوا مع الأرنؤود المحافظين داخل الباب ، فالتف بعضهم على بعض . ثم طلعوا عند الخازندار — وكان عنده ابن أخت طاهر باشا متمرضا قبل ذلك بأيام — وصحبته طائفة أيضا . فالتفوا على بعضهم،وصاروا عصبة ، وطلبوا مفاتيح القلعة من الخازندار ... فمانعهم ولما رأى منهم العين الحمراء سلمهم المفاتيح ، فنزلوا وفتحوا الأبواب لطاهر باشا ، وحبسوا الخازندار ، وأنزلوا من القلعة مدافع وبنبات وجبخانة الى الأزبكية لجماعتهم .

وكذلك قيدوا بالقلعة طبجية وعساكر ... كل ذلك ومحمد باشا لا يدرى بشيء من ذلك . فلم يشعر الا والضرب نازل عليه من القلعة . فسأل : « ما هذا ؟ » . فقيل له : « انهم ملكوا القلعة » فسقط فى يده !

وعند ذلك نزل طاهر باشا من القلعة ، وشق من وسط المدينة وهو يقول بنفسه مع المنادى : « أمان واطمئنان ، افتحوا دكاكينكم ، وبيعوا واشتروا . وما عليكم بأس » !

وطاف يزور الأضرحة والمشايخ والمجاذيب ، ويطلب منهم الدعاء ! . ورفع الناس المتاريس من الطرق ، وانكفوا عن مقارشة العسكر ، وكذلك لم يحصل أذية من العسكر لأحد من الرعية .

وأمروا بفتح مخابز العيش والمآكل ، وأخذوا ، واشتروا من غير اجحاف ولا بخس .

فلما علم الباعة منهم ذلك ، ذهبوا اليهم بالعيش والكعك والجبن والفطير والسميط وغير ذلك ودخلوا فيهم يبيعون عليهم ، وهم يشترون منهم بالمصلحة .

وصار بعض أولاد البلد يذهب الى الفرجة ، ويدخل بينهم ويمر من وسطهم .. فلا يتعرضون لهم ، ويقولون : « نحن مع بعضنا ... وأنتم رعية فلا علاقة لكم بنا ! » .ووجدوا مع البعض سلاحا ، ذهب به عندما أرسل الباشا ونادى على الناس ، فردوهم بلطف .. وكل ذلك على غير القياس !

وطاهر باشا لم يكن له شغل الا الطواف بالمدينة والأسواق وخارج البلد ، ويقول للفلاحين الذين يجلبون الحطب والجلة والسمن والجبن من الأرياف: « كونوا على ما أنتم عليه ، وهاتوا أسبابكم ، وبيعوا واشتروا ... وليس عليكم بأس ! » . وحضر اليه الوالى ، فأمره بالمرور والمناداة بالأمن للناس .

واستمر الحرب بين الفريقين نهار السبت ، واشتد ليلة الأحد طول الليل . فما أصبح النهار حتى زحف عساكر الأرنؤود الى جامع عثمان كتخدا والى حارة النصارى من الجهة الأخرى ، وطلعوا

الى التلول التى بناحية بولاق ، وملكوا بولاق ، وهجموا على مناخ الجمال الذى بالقرب من الشيخ فرج ، فقتلوا من به من عسكر التكرور ، وهرب من بقى منهم عريانا . وقبضوا على «متش» القبطان ، وعدوا بالغليون الى بر انبابة ، ونهبوا ما فيه — وكان به مال القبطان وذخائره التى جمعها من مظالم المراكب والمسافرين والقادمين شيئا كثيرا — وكذلك ذهبت طائفة منهم الى قصر العينى ، وقبضوا على من به من عبيد الباشا ، وعروهم وأخذوهم أسرى .

ونهبوا بيت السيد أحمد المحروقى بالأزبكية — وهو بيت البكرى القديم — وقد كان أخلاه لنفسه ، وعمره وسكنه بحريمه ... فنهبوا منه شيئا كثيرا يفوق الحصر ، وأخرجوا منه النساء بعد ما فتشوهن ، أو افتدين أنفسهن . وكذلك بيت حريم الباشا الملاصق له ، بعد ما أرسل الباشا عساكره قبل بيوم ، فنقل منه الحريم عنده بطولهن لاغير ، ونهبوا بيت جرجس الجوهرى وأخذوا منه أشياء نفيسة كثيرة ، وفراوى مثمنة . وحريم بيت الباشا لم يتمكنوا منه الا بعد انفضاض القضية بيومين ... بسبب أن المحافظين عليه كانوا ثمانية عشر فرنساوية . فحاصروا فيه هذه المدة ، حتى خرجوا منه بأمان .

وأما سكان تلك الخطة ... فانهم كانوا يذهبون الى طاهر باشا ، أو محمد على ، فيرسل معهم عسكرا لخفارتهم ، حتى ينقلوا أمتعتهم أو ماأمكنهم الى جهات بعيدة عن ذلك المحل ، ليأمنوا على أنفسهم من الحرب . وهرب المحروقى وابنه عند الباشا .

ولاحت لوائح الخذلان على الباشا ، واستعد للفرار ... فانه لما بات تلك الليلة ، لم يجد عليقا ولا خبزا ، فعلقوا على الخيل أرزا ، وتعشى الباشا بالبقسماط ، وأرسل الى حارة النصارى فطلب منهم خبزا . فأرسلوا له خبزا ، فخطفه الأرنؤود فى الطريق ، ولم يصل اليه .

ثم ان عسكر الأرنؤود أحضروا له آلة بنبة ، ووضعوها بالبركة ، وضربوا بها على بيت الباشا فوقعت واحدة على الباذاهنج ، فالتهب فيه النار ، فأرادوا اطفاءها ، فلم يجدوا سقائين تنقل الماء . ويقال ان الخازندار الذى كان بالقلعة — لما قبضوا عليه — التزم لهم بحرق بيت الباشا ويطلقوه . فأرسل بعض أتباعه الى مكانه — الذى ببيت الباشا — فأوقدوا فيه النار فى ذلك الوقت ، واشتعلت فى الأخشاب والسقوف ، وسرت الى مساكن الباشا . فعند ذلك نزل الباشا الى أسفل ، وأنزل الحريم — وعددهن سبع عشرة امرأة — فأركبهن بغالا ، وأمر الدلاة والهوارة أن يتقدموهن ، وركب صحبتهن المحروقى وابنه وترجمانه وصيرفه وعبيده وفراشوه . وتأخر الباشا حتى أركب الحريم ، ثم ركب فى مماليكه ومن بقى من عسكره وأتباعه ، وركب معه حسين أغا شنن وبعض أغوات ، وصحبته ثلاثة هجن ، وخرج الى جزيرة بدران .

فعندما أشيع ركوبه ، هجمت عساكر الأرنؤود على البيت ، واشتغلوا بالنهب .. هذا والنار تشتعل فيه . وكان ركوبه قبيل أذان العصر من يوم الأحد تاسع المحرم . وخرج خلفه عدة وافرة من عسكر الأرنؤود ، فرجع عليهم وهزمهم مرتين ، وقيل ثلاثا .

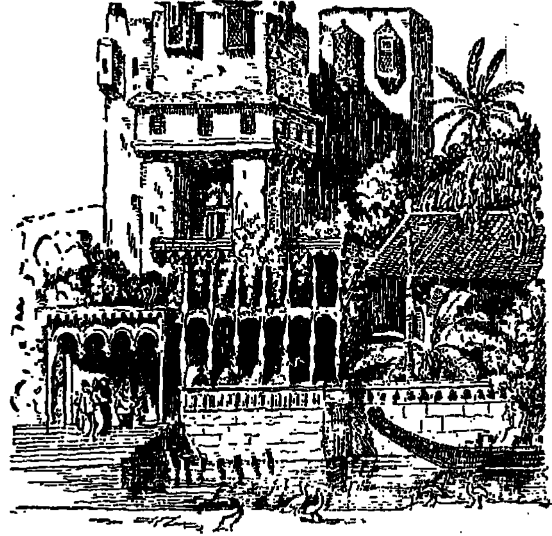
وأما المحروقى ومن معه فانهم تشتتوا من بعضهم خلف الدلاة ، ولم يلحقوهم . وانقطع حزام بغلته ، فنزل عنها . فأدركه العساكر المتلاحقة بالباشا ، فعروه وشلحوه هو وأتباعه وابنه ، وأخذوا منهم نحو عشرين ألف دينار اسلامبولى نقدية ، وقيل جواهر بنحو ذلك . فأدركهم عمر أغا بينباشى المقيم ببولاق ، فوقعوا عليه .. فأمنهم ، وأخذهم معه الى

بولاق ، وباتوا عنده إلى ثانى يوم ، وأخـذ لهم أمانا ، وحضر الى طاهر باشـا وقابله . وكذلك جرجس الجوهرى .

ونهب العسكر بيت الباشا ، وأخذوا منه شيئا كثـيرا . وباتت النـار تلتهب فيـه ... والدخان صاعد الى عنـان السماء ، حتى لم يبق فيـه الا الجـدران التحتانية الملاصقة للأرض . واحترقت وانهدمت تلك الأبنية العظيمة الشيدة العالية وما



محمد باشا يخرج منهزما الى جزيرة بدران



جانب من بيت الباشا

من القصور والمجالس والمقاعد والرواشن والشبابيك والقمريات والمناظر والتنهات والخزائن والمخادع .

وكان هذا البيت من أضخم المبانى المكلفة . فانه اذا حلف الحالف أنه صرف على عمارته — من أول الزمان الى أن احترق — عشرة خزائن من المال أو أكثر ... لا يحنث . فان الألفى لما أنشأه صرف عليه مبالغ كثيرة . وكان أصل هذا المكان قصرا عمره وأنشأه السيد ابراهيم بن السيد سعودى اسكندر — من فقهاء الحنفية — وجعل فى أسفله قناطر وبوائك من ناحية البركة ، وجعلها برسم النزهة لعامة الناس . فكان يجتمع بها عالم من أجناس الناس وأولاد البلد شىء كثير . وبها قهاوى وبياعون وفكهانية ومغانى وغير ذلك . ويقف عندها مراكب وقوارب بها من تلك الأجناس . فكان يقع بها ، وبالجسر المقابل لها — من عصر النهار الى آخر الليل — من الحظ والنزاهة مالا يوصف . ثم تداول ذلك القصر أيدى الملاك ، وظهر على بيك وقناوة حكمه ... فسدوا تلك البوائك ، ومنعوا الناس عنها لما كان يقع بها فى الأحيان من اجتماع أهل الفسوق والحشاشين .

ثم اشترى ذلك القصر الأمير أحمد أغا شيويكار... وباعه بعد مدة . فاشتراه الأمير محمد بيك الألفى فى سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) ، وشرع فى هدمه وتعميره وانشائه على الصورة التى كان عليها . وكان غائبا جهة الشرقية ، فرسم لكتخداه صورته فى كاغد بكيفية وضعه . فحضر ذو الفقار كتخدا ، وهدم ذلك القصر ، وحفر الجدران ، ووضع الأساس ، وأقام الدعائم ، ووضع سقوف الدور السفلى ، فحضر عند ذلك مخدومه فلم يجده على الرسم الذى حدده له ... فهدمه ثانيا ، وأقام دعائمه على مراده ، واجتهد فى عمارته ، وطلب له الصناع والمؤن من الأحجار والأخشاب المتنوعة ... حتى شحت المؤن فى ذلك الوقت . وأوقف أربعة من أمرائه على أربع جهاته ، وعمل على ذمة العمارة طواحين للجبس وقمن الجير ، وأحضر البلاط من الجبل قطعا كبارا ، ونشرها على قياس مطلوبه ، وكذلك الرخام ... وذلك خلاف أنقاض رخام المكان ، وأنقاض الأماكن التى اشتراها وهدمها وأخذ أخشابها وأنقاضها ونقلها على الجمال وفى المراكب لأجل ذلك . فمنها البيت الكبير الذى كان أنشأه حسن كتخدا الشعراوى على بركة الرطلى ، وكان به شىء كثير من الأخشاب والأنقاض والشبابيك والرواشن ... نقلت جميعها الى العمارة . فصار كل من الأمراء المشيدين يبنى وينقل ويبيع ويفرق على من أحب حتى بنوا دورا من جانب تلك العمارة والطلب مستمر حتى أتموه فى مدة يسيرة ، وركب على جميع الشبابيك شرائح الزجاج أعلى وأسفل وهو شىء كثير جدا . وفى المخادع المختصة به ألواح الزجاج البلور الكبار التى يساوى الواحد منها خمسمائة درهم — وهو كثير أيضا — ثم فرشه جميعه بالبسط الرومى والفرش الفاخر ، وعلقوا به الستائر والوسائد المزركشة وطوالات المراتب كلها مقصبات . وبنى به حمامين علويا وسفليا الى غير

ذلك ... فما هـو الا أن تم ذلك ، فأقام به نحو عشرين يوما ، ثم خرج الى الشرقية فأقام هناك .

وحضر الفرنسيس فسكنه سارى عسكر بونابرته فعمر فيه أيضا عمارة . ولما سافر وأقام مكانه كلهبر عمر فيه أيضا . فلما قتل كليهبر ، وتولى عوضـه عبد الله مينو ... لم يزل مجتهدا فى عمارته ، وغير معاليمه ، وأدخل فيه المسجد ، وبنى الباب عـلى الوضع الذى كان عليه ، وعقد فوقه القبة المحكمة ، وأقام فى أركانها الأعمدة بوضع محكم متقن ، وعمل السلالم العراض التى يصعد منها الى الدور العلوى والسفلى على يمين الداخل ، وجعل مساكنه كلها تنفذ الى بعضها البعض على طريقة وضع مساكنهم . واستمر يبنى فيه ويعمر مدة اقامته الى أن خرج من مصر .

فلما حضر العثمانية ، وتولى على مصر محمد باشا المذكور ، ورغب فى سـكنى هذا المكان ، شرع فى تعميره هذه العمارة العظيمـة .. حتى انه رتب لحرق الجير فقط اثنى عشر قميناً تشتغل على الدوام ، والجمال التى تنقل الحجر من الجبل ثلاث قطارات : كل قطار سبعون جملا . وقس على ذلك بقية اللوازم . ورموا جميع الأتربة فى البركة حتى ردموا منها جانبا كبـيرا ردما غير معتـدل ، حتى شوهوا البركة ، وصارت كلها كيمانا وأتربة .

والعجب أن منتهى الرغبة فى سكن هذه البركة وأمثالها .. انما هو تسريح النظر ، وانبساط النفس باتساعها واطلاقها .. وخصـوصا أيام النيـل حين تمتلىء بالماء فتصير لجة ماء دائرة بركارية ، مملوءة بالزوارق والقنج ، والشطيات المعدة للنزهة تسرح فيها ليلا ونهارا . وعنـد دخول المسـاء يوقدون القناديل بدائرها فى جميع قواطين البيوت . فيصير لذلك منظر بهيج ، لاسـيما فى الليالى المقمرة ، فيختلط ضـحك الماء فى وجـه البدر والقنـاديل وانعكاس خيالها كأنها أسفل الماء أيضا ، وصدى أصوات القيان والأغانى فى ليال لاتعد من الأعمار ، اذ الناس ناس ، والزمان زمان ! فلا حول ولا قوة الا بالله العـلى العظيـم .. الى أن كان ما كان ، ووقعت هذه الحوادث فتضاعف المسخ والتشويه .

والعجب أنه لما وقعت الحرابة بين الفرنساوية والعثمانية وأهل مصر . وأقام الحرب ستة وثلاثين يوما ، وهم يضربون عـلى ذلك البيت بالمـدافع والقنابر .. لم يصبه شىء ، ولم ينهـدم منه حجر واحـد . ولـما وقعت هذه الحرابة بين الباشـا وعسكره ، احترق وانهدم فى ليلة واحدة !

وكذلك احتـرق بيت الدفتردار — وهو بيت ثلاثة ولية — الذى كان أنشأه رضـوان كتخدا الجلفى . وكان بيتا عظيما ليس له نظير فى عمارته وزخرفته وكلفته . وسـقوفه من أغرب ما صنعته أيدى بنى آدم فى الدقة والصنعة ، وكله منقوش بالذهب واللازورد والأصـباغ . وعلى مجالسه العليا قباب مصنعة ، وأرضه كلها بالرخام الملون .. فاحترق جميعه ولم يبق به شىء الا بعض الجدران اللاطئة بالأرض .

وسكنت الفتنـة . وشـق الوالى عـلى أغا الشـعراوى ، وذو الفقـار المحتسب ، وأغات الانكشـارية ، ونادوا بالأمان والبيع والشراء . فكانت مدة ولاية هذا الباشا على مصر ، سـنة وثلاثة أشهر وأحدا وعشرين يوما .

وكان سيىء التـدبير ، ولا يحسن التصرف ، ويحب سفك الدماء ، ولا يتروى فى ذلك ، ولا يضع شيئا فى محله . ويتكرم على من لا يستحق ، ويبخل على من يستحق

وفى آخر مدته ، داخله الغرور ، وطاوع قرناء السـوء المحدقين به ، والتفت الى المظالم والفرد على الناس وأهل القرى .. حتى أنهم كانوا حرروا

دفاتر فردة عامة على الدور والأماكن بأجرة ثلاث سنوات . وقيل أشنع من ذلك !

فأنقذ اللهمنهعباده، وسلطعليهجندهوعساكره ، وخرج مرغوما مقهورا على هذه الصورة ! ولم يزل فى سيره الى أن نزل بقليوب بعد الغروب ، فعشاه الشنواربى شيخ قليوب . ثم سار ليلا الى دجوة ، فأنزل الحريم والأثقال فى ثلاث مراكب ، وسار هو الى جهة بنها ، وغالب جماعته تخلفوا عنه بمصر . وكذلك الكتخدا وديوان أفندى والخازندار — الذى كان بالقلعة — والسلحدار وخليل أفندى خزنة كاتب .

الاثنين ١٠ منه (٢ مايو ١٨٠٣ م) :

نودى بالأمان أيضا ، وأن العساكر لايتعرضون لأحد بأذية . وكل من تعرض له عسكرى بأذية ، ولو قليلة ، فليشتكه الى القلق الكائن بخطته ، ويحضره الى طاهر باشا ، فينتقم له منه .

الخميس ١٣ منه (٥ مايو ١٨٠٣ م) :

حضر الأغا والوجاقلية الى بيت القاضى ، وأعلموه باجتماعهم فى غد عند طاهر باشا ، ويتفقون على تلبيسه قائمقام ، ويكتبون عرض محضر بحاصل ما وقع .

وفى ذلك اليوم حضر جعفر كاشف ، تابع ابراهيم بيك ، وبيده مراسلة خطابا للعلماء والمشايخ . وقيل انه كان بمصر من مدة أيام . وكان يجتمع بطاهر باشا كل وقت بالشيخونية .

الجمعة ١٤ منه (٦ مايو ١٨٠٣ م) :

اجتمع المشايخ عند القاضى ، وركبوا صحبته وذهبوا عند طاهر باشا ، وعملوا ديوانا . وأحضر القاضى فروة سمور ألبسها لطاهر باشا ليكون قائمقام حتى تحضر له الولاية ويأتى وال وكلموه على رفع الحوادث والمظالم ، وظنوا فيه الخيرية ، واتفقوا على كتابة عرضحال بصورة ماوقع ، وقرءوا المكتوب الذى حضر من عند الأمراء القبالى . وهو مشتمل على آيات وأحاديث وكلام طويل،ومحصله: أنهم طائعون وممتثلون ، ولم يحصل منهم تعد ولا محاربة ، وانما اذا حضروا الى جهة أو بلد وطلبوا المرور عليها أو قضاء حاجة من بندر...منعهم الحاكم والعساكر التى بها ونابذوهم بالمحاربة والطرد . ومع ذلك اذا وقعت بيننا محاربة لايثبتون لنا وينهزمون ويفرون ، وقد تكرر ذلك المرة بعد المرة . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من النهب والسلب وهتك الحرائر .

وقد وقع أننا لما حضرنا بالمنية فحصل ما حصل ، وبدأونا بالطرد والابعاد ، حصل ما حصل مما ذكر ، وعوقب من لا جنى . وذنب الرعية والعباد فى رقابكم . وقد التمسنا من سادتنا المشايخ أن يتشفعوا لنا عند حضرة الوزير ، ويعطينا ما يقوم بمئونتنا ومعايشنا ، فأبى حضرة الوزير الا اخراجنا من القطر المصرى كليا . وبعثتم تحذروننا مخالفة الدولة العلية مستدلين علينا بقوله تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . ولم تذكروا لنا آية تدل على أننا نخرج من تحت السماء ، ولا آية تدل على أننا نلقى بأيدينا الى التهلكة . وذكرتم لنا أن حريمنا وأولادنا بمصر ، وربما ترتب على المخالفة وقوع الضرر بهم . وقد تعجبنا من ذلك فاننا انما تركنا حريمنا ثقة بأنهم فى كفالتكم وعرضكم ... على أن المروءة تأبى صرف الهمة الى امتداد الأيدى للحريم ... والرجال للرجال على أن الفلك دوار ، والله مقلب الليل والنهار ، والملك بيد الله يؤتيه من يشاء « قل اللهم مالك الملك » الآية .

فلما قرىء ذلك بتفاصيله ، تعجب السامعون له . فكأنما كانوا ينظرون من خلف حجاب الغيب .